تأملات فى حياة وخدمة السيد المسيح

الأنبا بيشوي مطران دمياط و البراري

Melicca_tm

كلمات قداسة البابا

عن الطبعة الأولى من الكتاب

بعنوان

تأملات فى حياة وخدمة السيد المسيح

فى مجلة الكرازة العدد رقم ١٣، ١٤ للسنة الرابعة والعشرون بتاريخ ١٩٩٦/٤/١٢م **نشر قداسة البابا شنودة الثالث ما نصه:**

صدر هذا الكتاب فى ٣٦٨ صفحة من الحجم الكبير، مزوداً بالصور الجميلة. ويشمل حياة السيد المسيح، من ميلاده إلى عماده إلى صومه وتجربته وخدمته بتفاصيلها، ومعجزاته وتجليه.

ومن ص ٩٧ إلى ص ٣٠٤ يتكلم عن آلام السيد المسيح وموته ودفنه. وبهذا يكون صدوره مناسباً لأسبوع الآلام. ثم بعد ذلك يتحدث عن قيامة السيد المسيح، وصعوده إلى السماء، وإرساله الروح القدس.

ومما يميز أسلوب **نيافة الأنبا بيشوى** أنه يمزج التفسير بالروحيات وباللاهوت، فتشمل كتابته هذه العناصر الثلاثة معاً.

وقد سبق أن نشرت مادة الكتاب كمقالات فى مجلة الكرازة. نهنئ نيافته على صدور هذا الكتاب.

مقدمة الطبعة الأولى

نشكر الرب الذى أعاننا

هذا الكتاب هو ثمرة لتعاليم وتشجيع وتوجيه صاحب القداسة البابا شنودة الثالث. وهو مجموعة مقالات عن "حياة وخدمة السيد المسيح" نُشرت بأعداد مجلة الكرازة فى المدة من ١٠يناير ١٩٩٢ إلى ١٦مارس ١٩٩٦، تحت إشراف قداسة البابا. فلقداسته كل شكر وتقدير.

هى تأملات فى قصة الحب الذى تواضع للنهاية: من ميلاد السيد المسيح إلى صعوده إلى السماء، وإرسال الروح القدس للكنيسة، وإرساله لتلاميذه القديسين.

من يستطيع أن يضع قصة ذلك الحب المتضع فى كتاب واحد؟!!.. إن العالم كله لا يسع الكتب المكتوبة..

ومن يستطيع أن يعبّر عن ذلك التجسد الإلهى الذى يفوق الوصف والإدراك؟!!..

ومن يستطيع أن يتكلم عن الفداء الذى صنعه الله الكلمة بتجسده، وموته، وقيامته، وصعوده إلى السماء؟!!..

من يمكنه أن يصف ذاك الذى فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً؟!!..

ومن يمكنه أن يعبِّر عن لجة محبته، وعن خدمته، وعن معجزاته، وعن حروبه مع الشيطان، وعن تعاليمه السامية وكلماته الخالدة، وعن رقته، وعن حزمه وحنانه، وعن لطفه وتواضعه، وعن قداسته وكماله، وعن صداقته ووفائه، وعن بساطته وحكمته، وعن فرحه وبكائه..

إن حياة السيد المسيح هى "قدس أقداس" نقترب منها بشوق وبمخافة.. يجتذبنا الحنين لرؤياه، وتملؤنا الرهبة فى لقياه.. ونتذكر حالة التلاميذ عند بحر الجليل بعد قيامة السيد المسيح حينما ناداهم إلى الشاطئ ليشاركوه طعاماً أعدّه لهم، طالباً منهم أن يقدموا مما عندهم، إذ لم يجسر أحد منهم أن يسأله من هو، لأنهم عرفوا أنه هو الرب.

وقبلها حينما ظهر لهم فى عشية أحد القيامة وأراهم آثار الجراحات فى يديه ورجليه، وبينما هم غير مصدقين من الفرح قال لهم جسّونى وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لى. كان السيد المسيح قد احتفظ لجسد القيامة –قبل الصعود– بما يثبت لتلاميذه أنه قد قام حقاً من الأموات.. أى أن جسده الذى صلب قد قام حقاً منتصراً على الموت إلى الأبد.

أضع كلمات هذا الكتاب بين يدى القارئ العزيز طالباً من الروح القدس أن ينقل الحق المختفى وراء ضعف التعبير وقصوره إلى فكر وقلب القارئ. لأن الروح القدس باعتباره روح الحق هو المعلم الحقيقى.. وليسامحنى الرب على كل ضعف وتقصير.

بيشوى

بنعمة الله

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

صوم الأربعين المقدسة

١٠ مارس ١٩٩٦م

مقدمة الطبعة الثانية (مزيدة)

نشكر الرب الذى أرشدنا

هذا الكتاب هو ثمرة لتعاليم وتشجيع وتوجيه **صاحب القداسة البابا شنودة الثالث**. وهو مجموعة مقالات بعنوان "**تأملات فى حياة وخدمة السيد المسيح**" نشرت بمجلة الكرازة فى المدة من ١٠ يناير ١٩٩٢ إلى ١٧ مارس ٢٠٠٦، تحت إشراف قداسة البابا رئيس التحرير فلقداسته كل شكر وتقدير. وقد أضفنا إلى ذلك مقالاً عن "ظهور الرب ليشوع بن نون" تم إعداده تحت إشراف وتوجيه قداسة البابا.

ونظراً لأن موضوعات الكتاب قد تطرّقت إلى ظهورات المسيح السابقة للتجسد وعلاقتها بظهوره فى الجسد فى العهد الجديد، كان من المناسب أن يكون عنوان الكتاب: **المسيح مشتهى الأجيال–منظور أرثوذكسى.**

أما ما نشر فى مجلة الكرازة عن "**المسيح فى سفر إشعياء**" فسوف يصدر عن ذلك كتاب خاص عند الانتهاء من هذه السلسة من المقالات. ويمكن أن تضاف بعد ذلك إلى الطبعة التالية من هذا الكتاب بمشيئة الرب.. فالكتاب ممتد ومفتوح إن شاء الرب وعشنا.

وقد تم دمج المقالات التى نُشرت بعد ١٦ مارس ١٩٩٦م ضمن الكتاب فى مواضعها، بحيث إن الطبعة الحالية من الكتاب ليست جزءاً ثانياً من كتاب "حياة وخدمة السيد المسيح" الذى تم طبعه سنة ١٩٩٦م لأن المقالات الأحدث قد دُمجت فى مواضع متعددة تناسب موضوعاتها.

ونظراً لأن الكتاب يشمل مقالات نشرت على مدى ١٨ عاماً فإنه من المناسب أن يصدر على جزئين إلى جوار المجلد الجامع للجزئين معاً، مع ملاحظة أن ترقيم الصفحات فى الجزء الثانى سوف يكون استمرارًا للترقيم فى الجزء الأول مع استخدام الحروف الأبجدية فى ترقيم المقدمات.

وإذ نقدّم هذا الكتاب المتواضع للقارئ العزيز ندرك تماماً أن السيد المسيح لا تسعه كل الكتب المكتوبة فى العالم، بل أن العالم نفسه لا يسع الكتب المكتوبة. لأن المسيح هو الذى وضع قوانين الطبيعة والحياة وهو الذى به نحيا ونتحرك ونوجد وله فى حياة كل إنسان وكل مخلوق عمل عجيب. كل ذرة فى الخليقة تدين بوجودها ونظامها للإله الكلمة الذى "كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان" (يو ١: ٣).

أيضاً كل ما يعمله المسيح فى حياة كل إنسان: فى معرفته، فى صلواته، فى توبته، فى خدمته، فى علاقته مع الله..كيف نحصر هذا المحيط اللانهائى المملوء بالأسرار؟!.

ومع ذلك فإن هذا الكتاب يركّز على ما ورد فى الكتب المقدسة عن السيد المسيح. بقصد التأمل فى حياة وخدمة السيد المسيح وأسمينا كل مقالاته "أضواء من الإنجيل". وحتى فى حديثنا عن المسيح فى العهد القديم فقد فعلنا ذلك فى ضوء الإنجيل الذى هو بشارة الخلاص الذى أعده الله من قبل تأسيس العالم.

إذاً مع السيد المسيح نتأمل فى عمله وظهوراته عبر العصور منذ عصر آدم ومن بعده البطاركة الأُوَلْ، مروراً بعمله مع موسى، وإنذاره لبلعام، وعمله مع يشوع والقضاة والأنبياء (مثل ظهوره لإشعياء النبى فى رؤيا)، ثم فى تجسده وولادته من العذراء مريم، ونشأته، وعماده، ومسحه بالروح القدس، وصومه على الجبل، وهزيمته

للشيطان هناك، وبداية خدمته ودعوته للآباء الرسل، ومعجزاته، وشروحاته اللاهوتية عن الآب وعن نفسه باعتباره الابن الوحيد وعن الروح القدس، وحواراته مع اليهود، وتعاليمه السامية، وكلماته الخالدة، ومناجاته مع الآب، وتأسيس سر العشاء الربانى، وآلامه، ومحاكمته، وصلبه، ودفنه، وقيامته، وتعاليمه عن الأمور المختصة بملكوت الله، وشرح أسرار الكنيسة، وإرساله الرسل إلى العالم، وإرساله الروح القدس إلى الكنيسة قبل أن يبدأ الرسل إرساليتهم حسب موعد الآب السماوى. ثم مجيئه الثانى فى نهاية العالم، وما يسبق هذا المجيء الثانى من علامات.

وليرافق الرب يسوع المسيح حياتنا جميعاً بنعمته بصلوات **صاحب القداسة البابا شنوده الثالث** معلّم هذا الجيل، أطال الرب حياة قداسته، ومتّعه بموفور الصحة على مدى الأيام، حارساً للإيمان وراعياً للقطيع إلى بر الأمان.

بيشوى

بنعمة الله

مطران دمياط وكفر الشيخ والبرارى

ورئيس دير القديسة دميانة ببرارى بلقاس

الظهور الإلهى

الجمعة ١٩ يناير ٢٠٠٧م

١١ طوبة ١٧٢٣ش

الباب الأول

السيد المسيح و ظهوراته فى العهد القديم

(أمثلة من بعض هذه الظهورات)

١. ظهور السيد المسيح لأبينا إبراهيم

٢. ظهور السيد المسيح لموسى النبى

٣. ظهور السيد المسيح لموسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعين شيخاً

٤. ظهور السيد المسيح ليشوع

٥. ظهور السيد المسيح لبلعام

٦. ظهور السيد المسيح لجدعون

٧. ظهور السيد المسيح لمنوح وزوجته

٨. ظهور السيد المسيح لإشعياء النبى فى الهيكل

السيد المسيح وظهوراته فى العهد القديم

كلما ظهر الرب فى العهد القديم كانت هى ظهورات للابن الوحيد سابقة لتجسده فى ملء الزمان من القديسة مريم العذراء. فالذى ظهر لأبينا إبراهيم مع الملاكين عند بلوطات ممرا هو السيد المسيح، لكن كان ذلك قبل التجسد. كذلك الذى ظهر لأبينا يعقوب عند مخاضة يبوق فى صورة إنسان وصارعه حتى الفجر، ثم باركه وقال له: "لماذا تسأل عن اسمى" (تك٣٢: ٢٩) هو أيضاً السيد المسيح قبل التجسد. والذى ظهر لمنوح والد شمشون وصعد فى نيران الذبيحة كان هو السيد المسيح قبل التجسد. والأمثلة كثيرة عن هذه الظهورات السابقة للتجسد، وكلها كانت تمهد لمجيء الابن الوحيد متجسداً من الروح القدس والعذراء مريم لخلاص العالم. وهذا ما عبّر عنه القديس بولس الرسول بقوله: "وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد، تبرر فى الروح، تراءى لملائكة، كُرز به بين الأمم، أومن به فى العالم، رُفع فى المجد" (١تى٣: ١٦). كذلك قال القديس يوحنا الإنجيلى: "فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله.. كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان.. والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمة وحقاً" (يو١: ١، ٣، ١٤).

١. ظهور السيد المسيح لأبينا إبراهيم

أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى

قال السيد المسيح لليهود: "أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى، فرأى وفرح" (يو٨: ٥٦). وقد تعجب اليهود وقالوا له: "ليس لك خمسون سنة بعد، أفرأيت إبراهيم" (يو٨: ٥٧). فرد عليهم السيد المسيح قائلاً: "الحق الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن" (يو٨: ٥٨). وقد أثار هذا القول اليهود وحاولوا وقتها أن يقتلوا السيد المسيح ولم يتمكنوا، لأن ساعة موته الخلاصى لم تكن قد حانت بعد.

ويهمنا فى هذا المجال أن نبحث: متى رأى إبراهيم **يوم** السيد المسيح؟

لم يقل السيد المسيح أن إبراهيم قد اشتهى فقط أن يراه.. بل أن يرى **يومه**.

وهنا نتسائل:

ما هو يوم الرب؟

يقول المزمور "هذا هو **اليوم** الذى صنعه الرب، فلنبتهج ونفرح فيه" (مز١١٧: ٢٤).

ويقول يوئيل النبى: "تتحول الشمس إلى ظلمة، والقمر إلى دم قبل أن يجيء **يوم الرب العظيم الشهير (المخوف)**" (أع٢: ٢٠، يؤ ٢: ٣١).

ويقول ملاخى النبى: "ويأتى بغتةً إلى هيكله السيد الذى تطلبونه، وملاك العهد الذى تُسرُّون به، هوذا يأتى قال رب الجنود. ومن يحتمل **يوم** مجيئه" (ملا ٣: ١، ٢).

كما يقول أيضاً: "هأنذا أُرسل إليكم إيليا النبى قبل مجيء **يوم الرب اليوم العظيم والمخوف**" (ملا ٤: ٥).

إن **يوم الرب** فى معناه الشامل هو **يوم الخلاص**.

سواء يوم صلب السيد المسيح، أو يوم قيامته من الأموات، أو يوم إرسال الروح القدس المعزى لتوصيل مفاعيل الخلاص إلى الكنيسة، أو يوم استعلان ملكوت الله فى مجيء السيد المسيح الثانى للدينونة، ولخلاص القديسين من متاعب هذا العالم الحاضر ومن جسد الفساد.

هناك علاقة وثيقة تربط بين **يوم** الصليب وإدانة الخطية بذبيحة الفداء، وبين **يوم** الدينونة فى نهاية العالم، أى اليوم الأخير..

ففى يوم الصليب استوفى العدل الإلهى حقه.

وفى يوم الدينونة سيُطالب السيد المسيح بحقه فيما أوفاه من دين على الصليب من الذين استخفوا بدمه المسفوك لأجل خلاصهم، ومن الذين طعنوه.

فمعنى قول السيد المسيح "أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى **يومى**" (يو٨: ٥٦)، أن إبراهيم قد اشتهى أن يرى **يوم الفداء.. يوم الرب العظيم**.

متى رأى إبراهيم يوم الفداء؟

عن هذا يخبرنا سفر التكوين أن إبراهيم حينما أطاع الأمر الإلهى وأوشك أن يقدّم ابنه إسحق ذبيحة "ناداه **ملاك الرب** من السماء وقال: إبراهيم إبراهيم.. الآن علمت أنك خائف الله؛ فلم تُمسِك ابنك وحيدك **عنى**" (تك٢٢: ١١، ١٢).

وهذا يعنى أن **ملاك الرب** (فى النص العبرى "ملاخ يهوه" بمعنى "سفير يهوه") الذى ناداه هو السيد المسيح – الابن الوحيد– وليس ملاكاً من الملائكة المخلوقين مثل ميخائيل وجبرائيل وغيرهم من الملائكة. فكلمة "ملاك" تعنى "مفوّض" أو "سفير" أو "مُرسل".

ولاشك أن السيد المسيح هو مُرسل من الآب إلى العالم مثلما قال مرارًا أن الآب قد أرسله (انظر يو٥: ٣٧، يو٦: ٣٩، ٤٤).

والدليل أن الذى نادى إبراهيم هو الابن الوحيد؛ هو قوله لإبراهيم "فلم تُمسك ابنك وحيدك **عنى**" (تك٢٢: ١٢). ولا يمكن أن يكون إبراهيم قد أوشك أن يقدّم ابنه الوحيد لملاك من الملائكة العاديين، بل ليقدّمه قرباناً لله.

فى هذا التوقيت رأى إبراهيم يوم الرب؛ أى أبصر بروح النبوة المسيح المصلوب القائم من الأموات. لذلك فقد أطلق على المكان الذى قدّم فيه الكبش عوضاً عن إسحق ابنه "**يهوه يِرأَه**" كما هو مكتوب: "فدعا إبراهيم ذلك الموضع **يهوه يِرأَه**. حتى إنه يُقال اليوم فى جبل الرب يُرى" (تك٢٢: ١٤) أى أنه قد رأى الرب.

لقد رأى إبراهيم الرب عند تقديم ابنه إسحق، وهذا ما اشتهاه وألح فى طلبه كقول السيد المسيح عنه "**تهلل** بأن يرى يومى؛ فرأى وفرح" (يو٨: ٥٦).

فما أروع ما رآه إبراهيم حينما سلك فى طريق الطاعة للرب الذى وعد: "الذى عنده وصاياى ويحفظها، فهو الذى يحبنى. والذى يحبنى؛ يحبه أبى، وأنا أحبه **وأُظهر له ذاتى**" (يو١٤: ٢١).

قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن

وقد رأينا كيف اشتهى أب الآباء إبراهيم أن يرى يوم الرب، ورأى وفرح حسبما ذكر السيد المسيح فى كلامه مع اليهود. ولكن هل كان ظهور السيد المسيح لإبراهيم قبل التجسد الإلهى هو لإبراهيم فقط؟ أم ظهر لكثير من الشخصيات المذكورة فى الكتاب المقدس؟

إن ظهورات السيد المسيح قبل تجسده وولادته من السيدة العذراء لها أهمية ومدلولات كثيرة وتؤكّد فكرة التجسد الإلهى، كما تؤكّد رسالة المسيح الخلاصية التى صنعها بنفسه فى ملء الزمان.

وقد اقترنت هذه الظهورات الإلهية بأحداث عجيبة، ومواقف مصيرية. كما أنها تحمل بُعداً نبوياً يشير إلى المستقبل.

وكما ظهر السيد المسيح لأنبياء، هكذا أيضاً ظهر لأشخاص آخرين بعضهم قديسين وبعضهم ليسوا قديسين، ولكن كان لهم دورهم البارز فى أحداث تاريخ البشرية. وهذا ما سوف نحاول أن نتناوله بالشرح إن سمحت عناية الله.

٢. ظهور السيد المسيح لموسى النبى

من أقوى ما ورد عن السيد المسيح من ظهورات؛ هو ظهوره لموسى فى العليقة المشتعلة بالنار. وقد ورد ذلك فى سفر الخروج لموسى النبى كما يلى: "وأما موسى فكان يرعى غنم يثرون حميه كاهن مديان، فساق الغنم إلى وراء البرية وجاء إلى جبل الله حوريب. **وظهر له ملاك الرب** بلهيب نار من وسط عليقة. فنظر وإذا العليقة تتوقد بالنار، والعليقة لم تكن تحترق. فقال موسى: أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم. لماذا لا تحترق العليقة؟ فلما رأى الرب أنه مال لينظر، ناداه الله من وسط العليقة وقال: موسى، موسى. فقال: هأنذا. فقال: لا تقترب إلى ههنا. اخلع حذاءك من رجليك، لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة. ثم قال: أنا إله أبيك، إله إبراهيم، وإله إسحق، وإله يعقوب. فغطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله" (خر٣: ١-٦).

لا يمكن أن ينطبق هذا الظهور على أقنوم الآب لأن الكتاب يقول "**ظهر له ملاك الرب**" (خر٣: ٢). وكلمة "**ملاك**" فى اللغة العبرية تعنى "**مُرسل**" أى من هو مرسل من آخر. ولا يجوز أن يُقال عن الآب أنه مرسل من الرب ولكنها تقال عن الابن باستمرار كقوله لليهود فى أكثر من موضع (انظر يو٥: ٣٧، يو٦: ٣٩، ٤٤، يو٧: ١٦).

ومما يؤكد أن الظهور فى العليقة كان يخص الابن الوحيد هو قوله لموسى بعد ذلك "إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم. إنى علمت أوجاعهم، **فنزلت لأنقذهم**" (خر٣: ٧، ٨). ومعروف أن الرب قد نزل لخلاص البشرية بتجسد الابن الوحيد فى أحشاء العذراء مريم والدة الإله. وبهذا نقول أن الابن هو الذى "أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً فى شبه الناس. وإذ وُجد فى الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (فى٢: ٧، ٨).

النار والعليقة

إن لهيب النار الذى ظهر وسط العليقة يشير إلى لاهوت السيد المسيح باعتباره الابن الوحيد الجنس أى الذى له نفس جوهر الآب وطبيعته بالولادة من الآب قبل كل الدهور لأنه مكتوب إن "إلهنا نار آكلة" (عب١٢: ٢٩).

أما العليقة نفسها فتشير إلى ناسوت السيد المسيح المأخوذ من السيدة العذراء بفعل الروح القدس؛ والذى تكوّن فى أحشائها فى نفس لحظة اتحاد الله الكلمة بهذا الناسوت. ولكن الناسوت لم يحترق لسبب اتحاده باللاهوت. وهذا ما عبّر عنه القديس بولس الرسول بقوله "**وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد**" (١تى٣: ١٦).

حقاً إنه شئ عظيم يفوق العقل أن تتحد الطبيعة الإلهية بالطبيعة الإنسانية الخاصة بالسيد المسيح دون أن تحترق هذه الطبيعة الإنسانية بالرغم من التفاوت الهائل فى خواص الطبيعتين، وقد كونتا معاً طبيعة واحدة لتجسد الله الكلمة حسبما علّم القديس كيرلس الكبير Mi,a fu,sij tou/ Qeou/ Logou/ sesarkwme,nh (ميا فيسيس تو ثيئو لوغو سيساركومينى) أى "طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة" هذه الطبيعة الواحدة تجمع بين خصائص الطبيعتين ولكن دون أن تتحول إحداهما إلى الأخرى بالامتزاج أو بالامتصاص بل استمرت كل طبيعة فى الوجود محتفظة بخصائصها بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير ولا انفصال ولا تقسيم.

اسم الرب

عندما أبصر موسى هذا المشهد العظيم الذى يرمز إلى التجسد الإلهى، وأراد الرب أن يرسله لخلاص شعبه. قال موسى لله: "ها أنا آتى إلى بنى إسرائيل وأقول لهم: إله آبائكم أرسلنى إليكم. فإذا قالوا لى ما اسمه؟ فماذا أقول لهم؟ فقال الله لموسى: **أهيه الذى أهيه**. وقال هكذا تقول لبنى إسرائيل **أهيه** أرسلنى إليكم. وقال الله أيضاً لموسى: هكذا تقول لبنى إسرائيل: **يهوه إله آبائكم**، إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب أرسلنى إليكم. هذا اسمى إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور" (خر٣: ١٣-١٥).

وهكذا أعلن السيد المسيح لموسى النبى أن اسمه هو "**يهوه**" أى "**الكائن**" مثلما قال القديس يوحنا الإنجيلى فى سفر الرؤيا "أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية يقول الرب **الكائن** والذى كان والذى يأتى، القادر على كل شئ" (رؤ١: ٨). نفس الاسم ينطبق على الآب والابن والروح القدس الإله الواحد.

بصواب قال الشاعر الفرنسى دى لامارتين: [إن كينونة يهوه لا تحسب بالشهور والأيام، فيومه يوم أزلى، وهو الكائن على الدوام].

إن اسم "**يسوع**" فى اللغة العبرية هو يهوشع بمعنى "**يهوه خلّص**" وهذا ما قاله الملاك جبرائيل للقديس يوسف خطيب العذراء مريم "يا يوسف ابن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك. لأن الذى حُبل به فيها هو من الروح القدس. فستلد ابناً وتدعو اسمه **يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم**" (مت١: ٢٠، ٢١). وبهذا تحقق قول الرب (يهوه) لموسى "إنى قد رأيت مذلة شعبى.. **فنزلت لأنقذهم**" (خر٣: ٧، ٨).

إن شعب يهوه هو شعب يسوع لأن يسوع هو يهوه.

٣. ظهور السيد المسيح لموسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعين شيخاً

من ضمن ظهورات السيد المسيح السابقة للتجسد ظهوراته لموسى النبى. ولم تكن كل هذه الظهورات لموسى وحده، بل فى إحدى المرات ظهر له ومعه هارون وناداب وأبيهو وسبعون شيخاً من شيوخ بنى إسرائيل.

وقد ورد ذِكر هذا الظهور فى سفر الخروج كما يلى:

"وقال لموسى: اصعد إلى الرب أنت وهارون وناداب وأبيهو، وسبعون من شيوخ إسرائيل، واسجدوا من بعيد. ويقترب موسى وحده إلى الرب، وهم لا يقتربون، وأما الشعب فلا يصعد معه.. ثم صعد موسى وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، **ورأوا إلـه إسرائيل وتحت رجليـه** شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكَذَات السماء فى النقاوة. ولكنه **لم يمد يده** إلى أشراف بنى إسرائيل، **فرأوا الله** وأكلوا وشربوا" (خر ٢٤: ١، ٢، ٩-١١).

هذه تقريباً هى المرة الوحيدة التى ظهر فيها الرب ظهوراً واضحاً أمام عدد كبير من شعب إسرائيل؛ مثلما ظهر لنبوخذ نصر ملك بابل ومن معه عند إلقاء الثلاثة فتية فى أتون النار، إذ ظهر معهم فى وسط الأتون شخص رابع قال عنه الملك (على حد تعبيره) إنه "شبيه بابن الآلهة" (دا ٣: ٢٥).

جاء ظهور الرب لموسى ولمن معه بوضع خاص جداً وذى معانٍ جليلة. ومن الواضح أنه ظهر فى هيئة إنسان لأن هناك ذِكر لرجليه ويده.

ومن المعلوم أن الآب لم يره أحد قط، لذلك فالرب إله إسرائيل الذى ظهر لهم هو الابن الوحيد الجنس المولود من الآب قبل كل الدهور.

أما عبارة أنه "**لم يمد يده** إلى أشراف بنى إسرائيل" (خر ٢٤: ١١) فهى دليل على أن أكل وشرب شيوخ إسرائيل المذكورين فى هذه الواقعة لم يكن هو العشاء الربانى. وأن المصالحة بالفداء لم يكن قد آن أوانها.

فى العشاء الخاص بليلة آلام الرب يسوع المسيح؛ أخذ خبزاً وشكر وباركه وقسمه وأعطاه لتلاميذه القديسين ورسله الأطهار المكرمين قائلاً: "خذوا كلوا هذا هو جسدى" (مت٢٦: ٢٦)، وهكذا الكأس أيضاً بعد العشاء " قائلاً: اشربوا منها كلكم" (مت٢٦: ٢٧)، إذن لقد مد الرب يده إلى تلاميذه ومنها أكلوا وشربوا.

أما فى حالة موسى النبى ومن معه فإن الرب لم يمد يده إليهم، بل يقول الكتاب "رأوا الله، وأكلوا وشربوا" (خر٢٤: ١١).. مجرد رؤية أعقبها أكل وشرب هو **رمز للإفخارستيا**، مجرد رمز وليس له أى حقيقة إفخارستية لأن الرب لم يمد يده إليهم.

يوجد رمز آخر فى المشهد الذى رآه موسى وشيوخ بنى إسرائيل، وهو منظر العقيق الأزرق الشفاف كذات السماء فى النقاوة تحت رجلى السيد المسيح الذى ظهر لهم.. وهذا **رمز للمعمودية المقدسة** التى بها يمكننا أن نصل إلى ملكوت الله. وهى ميلاد فوقانى سماوى. وقد قَبِل السيد المسيح العماد لأجلنا ليرسم لنا طريق الخلاص بالمعمودية. لهذا كان منظر العقيق الأزرق الشفاف تحت رجليه.

بعد رؤيتهم لمنظر شبه المعمودية تحت رجلى الرب الذى ظهر لهم، أكلوا وشربوا رمزاً للإفخارستيا. لذلك فالإنسان لا يمكن أن يأكل من مائدة الرب فى العهد الجديد إلاّ بعد أن ينال سر العماد المقدس فى مياه المعمودية التى هى مثل العقيق الأزرق الشفاف كذات السماء فى النقاوة.

وكما كان فى فلك نوح والطوفان والحمامة التى بشرت بعودة الحياة مرة أخرى رموز جميلة للمعمودية المقدسة، هكذا أيضاً فى هذا الظهور العجيب.

٤. ظهور السيد المسيح ليشوع

❖ البعض لا يعتبرون ظهور السيد المسيح ليشوع بن نون فى هيئة "رئيس جند الرب" والذى ورد فى سفر يشوع (يش٥: ١٣-١٥) ظهوراً إلهياً. فهو فى رأيهم ظهور لرئيس الملائكة ميخائيل حسبما هو وارد فى سنكسار الكنيسة القبطية تحت يوم ١٢ هاتور ويوم ١٢ بؤونة، وفى إحدى مدائح الملاك ميخائيل بالعربية، وفى سنكسار كنائس عائلة الروم تحت يوم ٨ تشرين الثانى (نوفمبر). ويحدد ميمر منسوب للقديس يوحنا ذهبى الفم (مكتوب باللغة القبطية ومحفوظ فى مكتبة الفاتيكان تحت رقم مخطوط قبطى ٥٨) يوم ٢٦ بؤونة تذكاراً لظهور الملاك ميخائيل لإنقاذ لوط، وظهوره ليشوع عند أسوار أريحا.

❖ أما الأدفنتست وشهود يهوه فيدّعون خطأ أن الذى ظهر ليشوع هو المسيح نفسه وهو نفسه الملاك ميخائيل.

❖ أما نص ما ورد فى سفر يشوع مترجماً من اللغة العبرية فهو كما يلى: "وحدث لما كان يشوع عند أريحا أنه رفع عينيه ونظر وإذا برجل واقف قبالته وسيفه مسلول بيده. فسار يشوع إليه وقال له هل أنت لنا أو لأعدائنا؟ فقال: كلا؛ بل أنا رئيس جند الرب، الآن أتيت. فسقط يشوع على وجهه إلى الأرض وسجد، وقال له: بماذا يكلم سيدى عبده، فقال رئيس جند الرب ليشوع: اخلع نعلك من رجلك لأن المكان الذى أنت واقف عليه هو مقدس ففعل يشوع كذلك. وكانت أريحا مغلقة مقفلة بسبب بنى إسرائيل لا أحد يخرج ولا أحد يدخل. فقال الرب (يهوه) ليشوع انظر قد دفعت بيدك أريحا وملكها، جبابرة البأس" (يش٥: ١٣-١٥، ٦: ١، ٢).

وقد شهد الكثيرون من آباء الكنيسة الجامعة بأن هذا الظهور كان ظهوراً للرب نفسه فى هيئة رئيس جند الرب. وكمثال لذلك:

١- تشهد **الدسقولية** (بالعربية باب ٣١، والأثيوبية باب ٣٠)، وكذلك السنن الرسولية (٥: ٢٠) عن مسيح الله أنه هو الذى رآه يشوع بن نون كرئيس جند الرب متسلّحاً لمساعدتهم ضد أريحا، وأن له خرّ وسجد (يشوع) كما يفعل العبد لسيده.

٢- ويشهد **يوستينوس الشهيد** (الحوار مع تريفو ٦١) عن ابن الله أنه "يُدعى بالروح القدس أحياناً مجد الرب، وأحياناً الابن، وأيضاً الحكمة، وأيضاً ملاكاً، ثم الله ثم الرب والكلمة. وفى مرة أخرى هو يدعو نفسه قائداً (رئيس جند) عندما ظهر فى شكل بشرى ليشوع بن نون.

٣- **والقديس هيلارى أسقف بواتييه** الملقب بأثناسيوس الغرب فى معرض عن ظهورات الله فى أشكال متنوعة فى كتاب عن الثالوث (١٢: ٤٧) يذكر الظهور ليشوع بن نون باعتباره (أى باعتبار يشوع) نبياً يحمل اسم الرب يسوع (الاسم يشوع هو بعينه يسوع، وكلاهما بمعنى "يهوه خلص").

❖ فالرأى الصائب إذن هو أن رئيس جند الرب الذى ظهر ليشوع هو الرب نفسه. وذلك لأن يشوع سقط على وجهه وسجد وقال له: "بماذا يكلّم سيدى عبده". فمن وَصْفْ طريقة سجود يشوع وأسلوبه فى الحديث؛ نرى توقيراً

بالغاً يزيد عن المعتاد، يدل على أن سجوده كان سجود عبادة. كما تتكشف الصفة الحقيقية للشخص الذى ظهر، من قبوله السجود من يشوع مما يؤكد أنه ليس مجرد ملاك مخلوق (قارن رؤ١٩: ١٠، ٢٢: ٨-٩، أع١٠: ٢٥-٢٦). كذلك فإنه طالب يشوع بأن يخلع حذاءه لأن الموضع قد تقدّس بحضوره، تماماً مثلما حدث مع موسى فى أمر العليقة حين ناداه ملاك الله وأمره بأن يخلع حذاءه من رجليه (خر٣: ٤-٥). وهذا يؤكّد أن رئيس جند الرب الذى ظهر ليشوع ليس سوى الرب (يهوه) نفسه، لأن الأصحاح الخامس من سفر يشوع لا يذكر الرسالة التى حملها رئيس جند الرب إلى يشوع، لكنها مذكورة فى بداية الأصحاح السادس مسبوقة بجملة اعتراضية تفصل بين الظهور وبين الرسالة، هى: "وكانت أريحا مغلقة مقفلة بسبب بنى إسرائيل، لا أحد يخرج ولا أحد يدخل"، يليها مباشرة نص الرسالة منسوبة إلى الرب هكذا: "**فقال الرب (يهوه) ليشوع: انظر قد دفعت بيدك أريحا وملكها**" (يش٦: ١-٢).

❖ لأنه طالما أن المسيح ظهر مراراً فى هيئة ملاك، وكان هو الملاك السائر أمام بنى إسرائيل فى البرية مشهوداً له بأن اسم الله فيه (خر٢٣: ٢٠-٢٣)، فليس ما يمنع من أن يتخذ هيئة رئيس جند الرب، ويظهر فى صورة قائد محارب، سيفه مسلول بيده. قارن فى هذا المجال ظهور ملاك يهوه لبلعام وسيفه مسلول فى يده (عد٢٢: ٢٣)، قارن أيضاً ظهور السيد المسيح بمجده فى سفر الرؤيا (رؤ١: ١٦) "وسيف ماضٍ ذو حدين يخرج من فمه ووجهه كالشمس وهى تضئ فى قوتها" كذلك أيضاً ظهوره فى نفس سفر الرؤيا (رؤ١٩: ١١-١٦) جالساً على فرس أبيض وهو "يدعى أميناً وصادقاً **وبالعدل يحكم ويحارب**.. وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله. والأجناد الذين فى السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزاً أبيض ونقياً. **ومن فمه يخرج سيف ماض**.. وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب". (قارن أف٤: ٨، كو٢: ١٥).

فنظراً لأن السيد المسيح كما ورد فى (رؤ١٩: ١١-١٦) بالعدل يحكم ويحارب، وهو يركب فرس أبيض والأجناد الذين فى السماء يتبعونه على خيل بيض، ومن فمه يخرج سيف ماضٍ، فإن ذلك يعنى أن السيد المسيح هو أيضاً رئيس لجند الرب فى المعارك الكبرى. ولا يفوتنا أن القائد العام للقوات المسلحة وهو وزير الدفاع، ليس هو القائد الأعلى للقوات المسلحة، وهو رئيس الجمهورية، فكل منهما قائد أو رئيس جند، ولكن مع اختلاف مستوى الرئاسة. وهكذا أيضاً بالنسبة لقواد فروع الجيش، مثل الطيران والبحرية والمشاة والمدفعية والدفاع الجوى. فليس معنى أن ميخائيل هو رئيس أن يكون هو الرئيس الأعلى للقوات السمائية، ففى حديث السيد المسيح مع يشوع بن نون قال له عن نفسه أنه هو "رئيس جند الرب" بمعنى أنه هو "القائد الأعلى للقوات السمائية"، أما رؤساء الملائكة مثل ميخائيل وغبريال ورافائيل وسوريال وسراسيال وأنانيال وسداكيال؛ فإن كل منهم رئيس طغمة ومن الممكن أن نفهم أن ميخائيل هو الأول بينهم. أما رئيس كل الرؤساء وملك كل الملوك ورب كل الأرباب فهو السيد المسيح، هو الذى خاض معركة الفداء والخلاص، وانتصر على مملكة الظلمة الروحية، كما كتب معلمنا بولس الرسول عن السيد المسيح: "إذ جرّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه" (كو٢: ١٥). وكذلك

قرب نهاية العالم قيل عن الوحش "ضد المسيح": "وحينئذ سيستعلن الأثيم **الذى الرب يبيده بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه**" (٢تس٢: ٨). بمعنى أن الذى سيبطل عمل الوحش الذى سيظهر حينما يُحَلْ الشيطان من سجنه "والذى مجيئه بعمل الشيطان" (٢تس٢: ٩)، هو المسيح الرب الذى سيأتى "فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه" (مت٢٥: ٣١).

أما عن ادعاء شهود يهوه والأدفنتست السبتيين بأن السيد المسيح هو الملاك ميخائيل؛ فإن هذا غير مقبول على الإطلاق، لأنه مكتوب "أما ميخائيل رئيس الملائكة فلما خاصم إبليس محاجاً عن جسد موسى لم يجسر أن يورد حكم افتراء بل قال لينتهرك الرب" (يه٩). فكيف لا يجسر الرب يسوع المسيح أن ينتهر الشيطان؟ هذا غير معقول، ولذلك فليس ميخائيل هو السيد المسيح.

ولذلك يقول القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات فى نص قداسه الإلهى مخاطباً الابن الوحيد ربنا يسوع المسيح: [لا ملاك **ولا رئيس ملائكة** ولا رئيس آباء ولا نبياً ائتمنته على خلاصنا، بل أنت بغير استحالة تجسدت وتأنست..] (صلاة الصلح).

كما أنه لم يرِد أى لقب من ألقاب السيد المسيح الإلهية عن الملاك ميخائيل بالكتاب المقدس مثل: "ملك الملوك"، و"رب الأرباب"، و"الابن الوحيد الجنس"، و"اللوغوس (الكلمة)".

وكتب معلمنا بولس الرسول مقارناً بين السيد المسيح والملائكة فى فاتحة رسالته إلى العبرانيين يقول: "لأنه لمن من الملائكة قال قط: أنت ابنى أنا اليوم ولدتك" (عب١: ٥).

إن السيد المسيح يمكنه أن يظهر فى هيئة ملاك أو إنسان وأن يأخذ لقب "ملاك يهوه" أى "سفير يهوه" (انظر خر٣: ٢، قض ٦: ١١، ١٤، قض١٣: ١٥، ٢٢) ولكنه ليس من الملائكة. كذلك من الجانب الآخر، فإن الملاك ميخائيل لا يمكنه أن يأخذ لقب "ابن الله الوحيد".

٥. ظهور السيد المسيح لبلعام

لم يظهر السيد المسيح قبل التجسد لأناس أبرار فقط، بل ظهر أيضاً لأناس آخرين مثل لابان خال يعقوب أب الآباء، وكان لابان يعبد الأصنام؛ ولكن ظهر له إله إبراهيم وإسحق ويعقوب ليحذّره من أذية يعقوب ابن شقيقته رفقة، بعد هروبه منه ومعه زوجتيه بنات لابان (انظر تك٣١: ٢٤-٣٢).

كذلك ظهر السيد المسيح لبلعام بن بعور –النبى الأحمق– ثلاث مرات وأراد أن يقتله لولا أن الأتان قد حادت عن الطريق، هذا إلى جوار ما رآه بلعام فى نبواته عن السيد المسيح.

فزع موآب من الشعب الخارج مع موسى النبى، فأرسل بالاق ملك موآب رسلاً إلى النبى بلعام بن بعور ليأتى ويلعن هذا الشعب لكى يتمكن من الانتصار عليهم. فقال لهم بيتوا هنا الليلة فأرد عليكم جواباً كما يكلّمنى الرب.

"**فأتى الله إلى بلعام** وقال من هم هؤلاء الرجال الذين عندك. **فقال بلعام لله:** بالاق بن صفور ملك موآب قد أرسل إلىّ يقول: هوذا الشعب الخارج من مصر قد غشى وجه الأرض. تعال الآن العن لى إياه لعلى أقدر أن أحاربه وأطرده. **فقال الله لبلعام:** لا تذهب معهم ولا تلعن الشعب لأنه مبارك" (عدد٢٢: ٩-١٢).

ففى الصباح قال بلعام لرؤساء بالاق أن الرب أبى أن يسمح له بالذهاب معهم فذهبوا وأخبروا الملك بالاق الذى عاد وأرسل أيضاً رؤساء أكثر وأعظم من أولئك مع وعود بعطايا كثيرة. فطلب منهم أن يمكثوا هذه الليلة ليعلم ماذا يعود الرب أن يكلّمه به.

"**فأتى الله إلى بلعام** ليلاً وقال له إن أتى الرجال ليدعوك؛ فقم اذهب معهم. **إنما تعمل الأمر الذى أكلمك به فقط** .فقام بلعام صباحاً وشد على أتانه وانطلق مع رؤساء موآب" (عدد٢٢: ٢٠، ٢١). "فحمى غضب الله لأنه منطلق. **ووقف ملاك الرب فى الطريق ليقاومه** وهو راكب على أتانه وغلاماه معه. فأبصرت الأتان ملاك الرب واقفاً فى الطريق وسيفه مسلول فى يده؛ فمالت الأتان عن الطريق ومشت فى الحقل. فضرب بلعام الأتان ليردها إلى الطريق" (عدد٢٢: ٢٢، ٢٣).

وتكرر الأمر فى خندق للكروم بين حائطين، وفى مكان آخر ضيق حتى ربضت الأتان تحت بلعام، وفى كل مرة كان بلعام يضرب الأتان. وأخيراً فتح الرب فم الأتان وعاتبت بلعام على ضربه إياها ثلاث دفعات "ثم **كشف الرب** عن عينى بلعام فأبصر **ملاك الرب** واقفاً فى الطريق وسيفه مسلول فى يده، فخرّ ساجداً على وجه. **فقال له ملاك الرب:** لماذا ضربت أتانك الآن ثلاث دفعات.. لو لم تمل من قدامى لكنت الآن قد قتلتك واستبقيتها. **فقال بلعام لملاك الرب:** أخطأت إنى لم أعلم أنك واقف تلقائى فى الطريق. والآن إن قبح فى عينيك فإنى أرجع. **فقال ملاك الرب لبلعام:** اذهب مع الرجال **وإنما تتكلم بالكلام الذى أكلمك به فقط.** فانطلق بلعام مع رؤساء بالاق" (عدد٢٢: ٣١-٣٥).

من هو ملاك الرب الذى ظهر لبلعام؟

كما ذكرنا سابقاً فإن كلمة "ملاك" باللغة العبرية (ملاخ) تعنى مرسل أو سفير أو مفوض و لا تعنى بالضرورة أحد الملائكة العاديين مثل الملاك ميخائيل أو الملاك جبرائيل. وعبارة "ملاك الرب" هى فى النص العبرى (ملاخ يهوه) أى "سفير يهوه" واستخدمت فى بعض المواضع للإشارة إلى السيد المسيح فى ظهوراته السابقة للتجسد، مثل ظهوره لمنوح والد شمشون وجدعون وغيرهما.

ونلاحظ أن **الله** قد أتى إلى **بلعام** ليلاً وقال له "تعمل الأمر **الذى أكلمك به فقط**" (عدد٢٢: ٢٠). ثم حينما لاقاه **ملاك الرب** فى الطريق قال له "إنما تتكلم بالكلام **الذى أكلمك به فقط**" (عدد٢٢: ٣٥) ففى كلتا الحالتين الله هو المتكلم، وملاك الرب هو المتكلم، لأن السيد المسيح هو الذى تكلم مع بلعام فى كلتا الحالتين فى ظهوراته السابقة للتجسد الإلهى. فالسيد المسيح هو الذى يمكن أن يأخذ لقب "سفير الرب" لأنه مرسل من الآب.

عندما وصل بلعام قال لبالاق الملك "**الكلام الذى يضعه الله فى فمى** به أتكلم" (عدد٢٢: ٣٨).

وبعد أن أصعدت الذبائح على سبعة مذابح "**وضع الرب كلاماً فى فم بلعام** وقال ارجع إلى بالاق وتكلم هكذا" (عدد٢٣: ٥)

وبدأ بلعام يبارك الشعب فقال له بالاق "لتشتم أعدائى أخذتك وهوذا أنت قد باركتهم. فأجاب وقال **أما الذى يضعه الرب فى فمى** أحترص أن أتكلم به" (عدد ٢٣: ١١، ١٢). وهذا يؤكد أن ملاك الرب الذى تكلم مع بلعام هو الرب الإله. وتكرر الأمر ثلاث مرات فى مباركة الشعب. وفى المرة الثالثة كان روح الله على بلعام "فنطق بمثله وقال: وحى بلعام بن بعور. وحى الرجل المفتوح العينين. وحى الذى يسمع أقوال الله "(عدد٢٤: ٣، ٤).

وبالرغم من كل هذه البركات والنبوات إلا أن بلعام قد جعل الشعب يخطئ بمشورة رديئة.

السيد المسيح فى رؤى بلعام

تكلمنا عن ظهورات السيد المسيح لبلعام بن بعور وغضبه عليه، وتحذيراته له، وعدم تمكن بلعام من أن يلعن الشعب بروح النبوة. ولكن يتساءل البعض: لماذا حمى غضب الرب على بلعام عندما انطلق لمقابلة بالاق ملك موآب، مع أن الرب فى المرة الثانية سمح له بالذهاب؟!

وللرد على هذا التساؤل نقول إن بلعام كان نبياً للرب ولكنه كان محباً للمال ويتصرف بحماقة كما شهد الكتاب المقدس عنه (انظر ٢بط ٢: ١٥، ١٦).

فى نبواته لم ينطق بشئ مخالف لما يريد الرب أن يُقال، ولكنه فى مقاصده الشخصية ونواياه كان ميالاً لمحبة المال بصورة أغضبت الرب عليه ووضعته فى مصاف الحمقى والمخالفين. وقد وصل به الأمر أنه قد أشار على الملك بالاق الموآبى بمشورة رديئة أسقطت عدد كبير من شعب إسرائيل فى الزنى وعبادة الأوثان وتسببت فى غضب الرب عليهم وسقوط أربعة وعشرين ألفاً من القتلى بالوباء، مع أن بلعام لم يقبل أن ينطق بلعنات إلهية على هذا الشعب قبل أن يشير على بالاق الملك بمشورته الرديئة. بل بالعكس لقد بارك الشعب عدة مرات بحسب كلام الرب. ثم حل عليه روح الرب وتنبأ عن تجسد السيد المسيح بنبوءة فى منتهى الروعة، ذكر فيها أنه قد رآه بروح النبوة من بعيد.

فى بداية الأمر منع الله بلعام من الذهاب مع رسل الملك وبالفعل لم يذهب إليه. فعاد الملك ووعده بوعود مالية أكبر بكثير، فعاد يسأل الله إن كان يذهب فسمح له.

وهذا درس للجميع فى عدم محاولة سؤال الله عن شئ ضد مشيئته والإلحاح عليه فى الطلب سعياً وراء تحقيق المآرب والشهوات الشخصية.

وأمام إلحاح بلعام فى الذهاب وافق الله ولكنه أمره بألاّ ينطق إلاّ بالكلام الذى يضعه فى فمه. وفرح بلعام وشد على أتانه وذهب مع رسل الملك، وفى الطريق لاقاه السيد المسيح فى ظهور من ظهوراته السابقة للتجسد وشرع فى أن يقتله ثلاث مرات وأنقذه الحمار.. وفى المرة الثالثة بدأ الحمار ينطق بكلام كأنه إنسان بطريقة معجزية

موبخاً بلعام. وكان ذلك كله لكى يظهر السيد المسيح له أنه غاضبٌ عليه وعلى مسلكه المحب للمال مع تحذيره من أن ينطق شيئاً مخالفاً لما يضعه فى فمه.
وبالفعل نفَّذ بلعام أوامر السيد المسيح حرفياً؛ وبارك الشعب ولم يلعنه، بل وتنبأ عن تجسده فى ملء الزمان. ولكنه اكتفى بحرفية تنفيذ الوصية. أما قلبه فلم يكن مع السيد المسيح مثلما قال الله "هذا الشعب يكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً" (مر٧: ٦).
من الناحية الرسمية نفَّذ بلعام الوصية، ولكنه بقلبه وفكره ومشورته لم ينفذها بل عمل عكسها. والله لا يخدعه بالطبع التنفيذ الشكلى للوصايا بل قال "يا ابنى أعطنى قلبك ولتُلاحظ عيناك طُرقى" (أم ٢٣: ٢٦).

ما ورد فى العهد الجديد عن بلعام

فى سفر الرؤيا قال السيد المسيح لملاك كنيسة برغامس: "**عندك هناك قوماً متمسكين بتعليم بلعام الذى كان يعلِّم بالاق أن يلقى معثرة أمام بنى إسرائيل أن يأكلوا ما ذبح للأوثان ويزنوا**"(رؤ٢: ١٤).
وفى رسالة يهوذا الرسول يقول عن الناس الأشرار: "ويل لهم لأنهم سلكوا طريق قايين **وانصبوا إلى ضلالة بلعام لأجل أجرة** وهلكوا فى مشاجرة قورح" (يه ١١).
وفى رسالة بطرس الرسول يقول عن المعلمين الكذبة الذين يدسّون بدع هلاك: "لهم قلب متدرب فى الطمع، أولاد اللعنة. قد تركوا الطريق المستقيم فضلّوا **تابعين طريق بلعام بن بصور الذى أحب أجرة الإثم. ولكنه حصل على توبيخ تعديه إذ منع حماقة النبى حمار أعجم ناطقاً بصوت إنسان**" (٢بط٢: ١٤-١٦).
ويتضح من هذه الآيات التى وردت فى العهد الجديد أن بلعام قد أشار على الملك بالاق أن يرسل نساءً زانيات فى وسط محلة بنى إسرائيل ليسقط الأجناد فى الزنى وعبادة الأوثان. فيحل غضب الرب عليهم. وهذا بالفعل هو ما ورد فى سفر العدد عما فعله الملك إذ أرسل نساءً زانيات وضرب الرب الشعب بالوباء لسقوطهم فى الخطية "**وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب. فدعوْن الشعب إلى ذبائح آلهتهن فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن**" (عد ٢٥: ١، ٢).

رؤية بلعام عن تجسد السيد المسيح

بالرغم من الوضع المأساوى الذى فعله بلعام إلا أنه قد سبق فتنبأ عن ظهور السيد المسيح بالجسد فى ملء الزمان. وهذا يجعلنا لا نتكل على مواهب الروح القدس مثل موهبة النبوة لأن السيد المسيح قد أكّد على أهمية حفظ وصاياه وأن كثيرين سيقولون له فى اليوم الأخير: "أليس باسمك تنبأنا وباسمك أخرجنا شياطين وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟" فيقول لهم: "إنى لم أعرفكم قط اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم" (مت ٧: ٢٢، ٢٣).
وكانت نبوة بلعام هكذا "فكان عليه روح الله. فنطق بمثله وقال: وحى بلعام بن بعور وحى الرجل المفتوح العينين. وحى الذى يسمع أقوال الله الذى يرى رؤيا القدير.. وهو مكشوف العينين. ما أحسن خيامك يا يعقوب مساكنك يا إسرائيل!.. **أراه ولكن ليس الآن، أبصره ولكن ليس قريباً، يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل**

فيحطم طرفى موآب ويهلك كل بنى الوغى" (عد٢٤: ٢-٥، ١٧). والمعروف أن كوكب يعقوب الذى ظهر فى ملء الزمان هو السيد المسيح.

٦. ظهور السيد المسيح لجدعون

اشترط جدعون أن يعطيه الرب علامة على أنه سوف يكون معه للانتصار على جيش المديانيين الذين جاءوا بمئات الألوف بينما كان مع جدعون عدد أقل منهم بكثير.

طلب جدعون أن يضع جزّة الصوف على الأرض المتسعة بحيث تمتلئ الجزة بندى الليل وتبقى الأرض المحيطة بها كلها جافة بلا ندى. وقد حقق له الرب طلبه. وكان هذا إشارة إلى تجسد الله الكلمة فى بطن العذراء القديسة مريم دوناً عن كل البشر. كما أنه إشارة إلى اتحاد اللاهوت بالناسوت المأخوذ من العذراء مريم بالروح القدس لتجسّد الكلمة دون أن يحدث ذلك مع أى طبيعة بشرية أخرى أى خصوصية ناسوت السيد المسيح وتفرده بالاتحاد باللاهوت.

عاد جدعون فطلب من الرب أن ينزل الندى فى الليلة التالية على كل الأرض المتسعة، ولا ينزل على جزة الصوف بحيث تبقى جافة. وعاد الرب فحقق له طلبه وتمت هذه العلامة أيضاً. وكانت رمزاً لحلول الروح القدس على كل شعوب الأرض الذين آمنوا بالسيد المسيح واعتمدوا على اسمه دوناً عن الأمة اليهودية الرسمية التى رفضت الإيمان بالمسيح. ولذلك قال لهم "هوذا بيتكم يترك لكم خراباً" (مت٢٣: ٣٨، لو١٣: ٣٥).

ومعروف طبعاً أن عبارة "جبل صهيون" ترمز إلى كلٍ من العذراء مريم وإلى أورشليم التى بنى هيكل الرب فيها مثل قول المزمور "صهيون الأم تقول إن إنساناً إنساناً صار فيها، وهو العلّى الذى أسسها" (مز٨٦: ٥). لذلك فجزة الصوف هى نفسها قد رمزت فى المرة الأولى إلى العذراء مريم، وفى المرة الثانية إلى الأمة اليهودية التى ملأها الغرور بهيكل الله الذى كان مجرد رمز لأمجاد العهد الجديد فى المسيح يسوع.

قبل هذه الأحداث كان السيد المسيح قد ظهر لجدعون ضمن ظهوراته السابقة للتجسد.

تحت شجرة البطمة

وردت قصة هذا الظهور العجيب للسيد المسيح فى أحد ظهوراته السابقة للتجسد فى سفر القضاة كما يلى:

"أتى **ملاك الرب** وجلس تحت البطمة التى فى عفرة التى ليوآش الأبيعزرى. وابنه جدعون كان يخبط حنطة فى المعصرة لكى يهربها من المديانيين. **فظهر له ملاك الرب** وقال له: الرب معك يا جبار البأس. فقال له جدعون: أسألك يا سيدى إذا كان الرب معنا فلماذا أصابتنا كل هذه.. والآن قد رفضنا الرب وجعلنا فى كف مديان. **فالتفت إليه الرب** وقال اذهب بقوتك هذه وخلّص إسرائيل من كف مديان أما أرسلتك" (قض٦: ١١-١٤).

بعد ذلك مباشرة دخلت المسألة فى مرحلة ثانية أن جدعون أراد أن يتأكد أن الرب هو الذى ظهر له والذى ذكر عنه السفر باللغة العبرية أنه "ملاخ يهوه" (ملاك الرب = سفير يهوه) وأنه هو "**الرب**" كما ورد فى النص السابق (قض٦: ١٤).

قال جدعون للرب "أسألك يا سيدى بماذا أخلّص إسرائيل. ها عشيرتى هى الذُلَّى فى منسى وأنا الأصغر فى بيت أبى. فقال له **الرب** إنى أكون معك وستضرب المديانيين كرجل واحد. فقال له إن كنت قد وجدت نعمةً فى عينيك فاصنع لى علامة **أنك أنت** تكلمنى. لا تبرح من ههنا حتى آتى إليك **وأخرج تقدمتى وأضعها أمامك**. فقال: إنى أبقى حتى ترجع" (قض٦: ١٥-١٨).

وبالفعل دخل جدعون "وعمل جدى معزى وإيفة دقيق فطيراً. أما اللحم فوضعه فى سل، وأما المرق فوضعه فى قدر، وخرج بها إليه **إلى تحت البطمة وقدّمها**" (قض٦: ١٩). ونلاحظ أن جدعون قد قرّب التقدمة إلى الجالس تحت شجرة البطمة وتعامل معه على أنه هو الرب.

"قال له **ملاك الله** (بالعبرية "ملاخ إلوهيم") خذ اللحم والفطير وضعهما على تلك الصخرة واسكب المرق ففعل كذلك. فمد **ملاك الرب** طرف العكاز الذى بيده ومس اللحم والفطير فصعدت نار من الصخرة وأكلت اللحم والفطير وذهب **ملاك الرب** عن عينيه. فرأى جدعون إنه **ملاك الرب** فقال جدعون: **آه يا سيدى الرب** لأنى قد رأيت **ملاك الرب** وجهاً لوجه. فقال له **الرب** السلام لك لا تخف لا تموت. فبنى جدعون هناك مذبحاً للرب ودعاه **يهوه شَلوم** (بالعبرية أى الرب سلام) " (قض٦: ٢٠-٢٤). لقد أدرك جدعون أن **سفير يهوه** الذى ظهر له هو **ظهور للرب**، ولذلك خاف أن يموت لأنه رآه. فطمأنه **الرب** وأعطاه السلام. فبنى **مذبحاً للرب** فى الموضع الذى قبل فيه السيد المسيح تقدمته عند الصخرة ودعا اسم المذبح "**الرب سلام**".

لذلك لا نعجب أن السيد المسيح قال لليهود "فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهى التى تشهد لى. ولا تريدون أن تأتوا إلىّ لتكون لكم حياة" (يو٥: ٣٩، ٤٠).

كيف يمكن أن يفسر اليهود أن "**سفير يهوه**" المذكور فى الأسفار المقدسة هو هو نفسه **يهوه الله** إلاّ إذا كان سفير يهوه هو الابن الوحيد الذى أرسله الآب فى ظهورات العهد القديم وفى تجسد العهد الجديد حينما كلّمنا الله فى ابنه وليس من خلال الأنبياء والقضاة كما فى العهد القديم.

٧. ظهور السيد المسيح لمنوح وزوجته

كان ظهوراً عجيباً لزوجين من الأبرار فى العهد القديم، وقد وردت قصة هذا الظهور فى الأصحاح الثالث عشر من سفر القضاة، إذ تبدأ القصة كما يلى: "ثم عاد بنو إسرائيل يعملون الشر فى عينى الرب؛ فدفعهم الرب ليد الفلسطينيين أربعين سنة. وكان رجل من صرعة من عشيرة الدانيين اسمه منوح وامرأته عاقر لم تلد" (قض١٣: ١، ٢).

وقد ظهر السيد المسيح للمرأة وقال لها "ها أنت عاقر لم تلدى، ولكنك تحبلين وتلدين ابناً.. فدخلت المرأة وكلّمت رجلها قائلة: جاء إلىّ **رجل الله ومنظره كمنظر ملاك الله مُرهب جداً**، ولم أسأله من أين هو، ولا هو أخبرنى عن اسمه" (قض١٣: ٣، ٦).

نلاحظ هنا أن المرأة قد شاهدت رجلاً يكلمها ولكن منظره كمنظر ملاك الله مُرهب جداً، بمعنى أنه سفير إلهى لأن كلمة ملاك فى اللغة العبرية (ملاخ) كما أوضحنا سابقاً تعنى "سفير أو مفوّض أو مُرسِل" ولا تعنى بالضرورة أحد الأجناد الملائكية مثل الملاك جبرائيل مثلاً، فمنظر السيد المسيح المرهب عند ظهوره قبل التجسد قد عبّر عنه البعض بأنه كملاك الله، وعبّر عنه البعض بأنه "شبيه بابن الآلهة" (دا٣١: ٢٥) مثلما قال نبوخذ النصر الملك عندما رأى السيد المسيح فى وسط الثلاثة فتية فى أتون النار فى مملكة بابل وسجل ذلك دانيال النبى فى سفر نبوته.

وبعدما أخبرت امرأة منوح زوجها بما رأته وسمعته "صلى منوح إلى الرب وقال أسألك يا سيدى أن يأتى أيضاً إلينا رجل الله الذى أرسلته، ويعلّمنا ماذا نعمل للصبى الذى يولد. فسمع الله لصوت منوح" (قض ١٣: ٨، ٩).

وبعدما ظهر السيد المسيح أيضاً لزوجة منوح التى أسرعت ودعت زوجها وتكلّم معه بكل ما هو مطلوب للصبى الذى يولد كنذير للرب، قال له منوح: "دعنا نعوّقك ونعمل لك جدى معزى" (قض١٣: ١٥).

فأجاب السيد المسيح قائلاً "ولو عوقتنى لا آكل من خبزك، وإن عملت محرقة؛ فللرب أَصعِدهَا. لأن منوح لم يعلم أنه ملاك الرب. فقال منوح لملاك الرب: ما اسمك حتى إذا جاء كلامك نكرمك. فقال له ملاك الرب: **لماذا تسأل عن اسمى وهو عجيب؟**" (قض١٣: ١٦-١٨).

المقصود بملاك الرب هنا كما أوضحنا هو "سفير الرب" الذى فى هذه الواقعة هو "الابن الوحيد" أى "السيد المسيح" الذى قال عنه الرب بفم إشعياء النبى "لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه **ويدعى اسمه عجيباً** مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام" (إش٩: ٦).

لقد سأل يعقوب أب الآباء السيد المسيح عن اسمه عندما صارعه طوال الليل عند مخاضة يبوق. فقال له السيد المسيح "**لماذا تسأل عن اسمى؟**" (تك٣٢: ٢٩).

وحينما سأل منوح أيضاً كما ذكرنا "**ما اسمك؟**" أجاب السيد المسيح: **لماذا تسأل عن اسمى وهو عجيب**. ولا غرابة فى ذلك. فقد قال الآب عن ابنه "**يدعى اسمه عجيباً**" (إش٩: ٦). بل أكثر من ذلك لقد تساءل الكاتب فى الأصحاح الثلاثين من سفر الأمثال عن الله وعن ابنه، فقال "من ثبَّت جميع أطراف الأرض **ما اسمه وما اسم ابنه إن عرفت؟**" (أم ٣٠: ٤).

إن اسم الله الذى أُعلن فى العهد الجديد هو "**الآب**"، واسم ابنه الذى أُعلن فى العهد الجديد هو "**يسوع**". وقال الملاك الذى أعلن الاسم: إن سبب ذلك إنه "يخلص شعبه من خطاياهم" (مت١: ٢١) لأن اسم "**يسوع**" فى اللغة العبرية هو يهوشع أى "**يهوه خلّص**" بمعنى "**الله خلّص**".

بعد ذلك "أخذ منوح جدى المعزى والتقدمة وأصعدهما على الصخرة للرب، فعمل عملاً **عجيباً**. ومنوح وامرأته ينظران. فكان عند صعود اللهيب عن المذبح نحو السماء؛ أن ملاك الرب صعد فى لهيب المذبح، ومنوح وامرأته ينظران، فسقطا على وجهيهما إلى الأرض. ولم يعد ملاك الرب يتراءى لمنوح وامرأته حينئذ عرف منوح أنه **ملاك الرب**. فقال منوح لامرأته نموت موتاً لأننا **قد رأينا الله**" (قض١٣: ١٩-٢٢).

إذاً فحينما عرف منوح أن السيد هو **ملاك الرب**؛ لم يكن المقصود ملاكاً عادياً لأنه قال "**قد رأينا الله**" (قض١٣: ٢٢). إذاً لقد فهم منوح أن سفير الرب هو المسيح، أى هو الله الابن الذى ظهر له ولزوجته التى طمأنته بقولها: "لو أراد الرب أن يميتنا لَما أخذ من يدنا محرقة وتقدمة. ولَمَا أرانا كل هذه، ولَمَا كان فى مثل هذا الوقت أسمعنا مثل هذه" (قض١٣: ٢٣).

إن صعود السيد المسيح فى نار الذبيحة؛ قد أشار إلى تقديم نفسه صعيدة ومحرقة وقربان لله أبيه عند تجسده فى ملء الزمان "المسيح الذى بروح أزلى قدّم نفسه لله بلا عيب" (عب٩: ١٤).

٨. ظهور السيد المسيح لإشعياء النبى فى الهيكل

بدأ سفر إشعياء بالنص التالى "رؤيا إشعياء بن آموص التى رآها على يهوذا وأورشليم فى أيام عُزيّا ويوثام وآحاز وحزقيا ملوك يهوذا" (إش١: ١).

ثم جاء إلى رؤياه التى شاهد فيها السيد المسيح فقال: "**فى سنة وفاة عُزيّا الملك رأيت السيد جالساً على كرسى عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل**" (إش٦: ١).

السيد المسيح على عرشه

الذى رآه إشعياء هو السيد المسيح قبل تجسده من العذراء مريم. رآه جالساً على عرشه فى الهيكل ويطير حوله السرافيم يسبّحون تسبحة الثلاثة تقديسات، وشَعَر إشعياء بالخوف لأنه إنسان خاطئ وعيناه قد أبصرتا الملك رب الجنود.

وقد وصف الموقف كما يلى:

"رأيت السيد جالساً على كرسى عالٍ ومرتفع وأذياله تملأ الهيكل. السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة: باثنين يغطى وجهه، وباثنين يغطى رجليه، وباثنين يطير. وهذا نادى ذاك وقال: **قدوس قدوس قدوس رب الجنود مجده ملء كل الأرض.** فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلأ البيت دخاناً. فقلت ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن **عينى قد رأتا الملك رب الجنود**. فطار إلىّ

واحد من السرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح. ومس بها فمى وقال إن هذه قد مسّت شفتيك فانتُزِع إثمك وكُفِّر عن خطيتك" (إش٦: ١-٧).

ونلاحظ فى هذا النص الملاحظات التالية:

١- إن السيد الجالس على الكرسى العالى يحمل لقب "**الملك رب الجنود**" وهو من ألقاب الله الخاصة به وحده.

٢- إن الذى رآه إشعياء ليس هو الآب السماوى لأن يوحنا الرسول الإنجيلى يقول: "الله لم يره أحد قط؛ الإله الوحيد الجنس([١]) الذى هو فى حضن الآب هو خبّر" (يو١: ١٨) والمقصود بقوله "الله" فى هذا النص هو "الله الآب". بينما يقول إشعياء: "لأن عينى قد رأتا الملك رب الجنود" فالذى رآه هو الابن بالتأكيد.

٣- إن الذى رآه إشعياء هو واحد من الأقانيم الثلاثة لأن الملائكة (السرافيم) قد سبّحوا قائلين: "**قدوس قدوس قدوس** رب الجنود مجده ملء **كل الأرض**"، ويستحيل أن تُقال تسبحة الثلاثة تقديسات إلاّ للواحد من الثالوث القدوس.

٤- إن الكرسى العالى فى هذه الرؤيا لم يكن فى السماء بل **على الأرض.** لأنه يقول عن السيد الجالس أن أذياله تملأ الهيكل، كما أن التسبيح قيل فيه فقط أن "**مجده ملء كل الأرض**" ومعروف طبعاً أن مجد الرب يملأ السماء أيضاً. ولكن هذه الرؤيا كانت على الأرض. كما ذُكر اهتزاز أساسات العتب وامتلاء **البيت دخاناً**. وكل هذا يدل على أن الرؤيا كانت فى هيكل الرب فى أورشليم فى ذلك الزمان. يُضاف إلى ذلك وجود المذبح وعليه الجمرات المتقدة؛ وهذا أيضاً كان فى خدمة الهيكل بأورشليم.

٥- إن تطهير فم إشعياء بجمرة من على المذبح يرمز إلى سر الإفخارستيا حيث يؤخذ التناول من جسد الرب ودمه من على المذبح بواسطة الكاهن. ويُعطى خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه. وكل ذلك يجرى فى الكنيسة الحاضرة هنا على الأرض كعربون للحياة الأبدية؛ وتكون الملائكة حاضرة حول المذبح فى خدمة القداس الإلهى فى الكنيسة التى هى بيت الله الحالى فى الزمان الحاضر.

٦- امتلأ البيت دخاناً، وهذا يرمز إلى البخور الذى يملأ الهيكل عند إصعاد القرابين فى الكنيسة.

٧- إن إشعياء النبى قد اعترف بخطاياه وخطايا شعبه قبل أن ينال التطهير والتكفير. وقد سمع السرافيم اعترافه، فلم يقدّم إشعياء هذا الاعتراف للسيد الرب وحده. لذلك قام الملاك الذى يرمز إلى خادم ذبيحة القداس الإلهى بأخذ الجمرة من على المذبح بملقط؛ ومس بها فمه. وهذا يرمز إلى خدمة الأسقف فى الكنيسة (ملاك الكنيسة) بمساعدة القسوس فى سر الإفخارستيا.

وأكمل إشعياء النبى رؤياه فقال: "**ثم سمعت صوت السيد قائلاً: من أُرسِلُ ومن يذهب من أجلنا. فقلت هأنذا أرسِلنِى**" (إش٦: ٨).

---

[١]) عبارة "الإله الوحيد" بحسب أقدم النسخ والترجمة القبطية.

شئ رائع أن يستمع إلى الدعوة ويستجيب لها بعد أن تطهّر من خطاياه بقوة المذبح. وها هو صوت الرب ينادى باستمرار "من أُرسِلُ ومن يذهب من أجلنا؟".. ألم يقل السيد المسيح إن "**الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون، فاطلبوا إلى رب الحصاد أن يُرسل فَعَلة إلى حصاده**" (مت٩: ٣٧، ٣٨)؟

ليتنا نكون مستعدين للاستماع إلى صوت الرب ودعوته، ومستعدين أن نعمل معه فى بناء الملكوت ونردد مع إشعياء إذ يدعونا عندما نكون مستعدين "هأنذا أرسِلنى"..

الارتباط بين الرؤيا وتابوت العهد

كان تابوت العهد يوضع داخل قدس الأقداس فى خيمة الاجتماع التى صنعها موسى النبى حسب أمر الرب، وأيضاً بعد ذلك فى الهيكل الذى بناه سليمان الملك فى أورشليم.

ومن الأمور اللافتة للنظر أن الملائكة الذين ذكرهم إشعياء فى رؤياه؛ قد ورد عنهم عبارة "**وهذا نادى ذاك**"، مما لا يخفى على القارئ أنه يتكلم عن ملاكين يتبادلان تسبحة الثلاثة تقديسات.

فى قبر السيد المسيح، بعد قيامته المجيدة من الأموات، أبصرت مريم المجدلية "ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين" (يو٢٠: ١٢). وقبل ذلك النسوة أيضاً اللواتى أتين إلى القبر بعد قيامة الرب ووجدن الحجر مدحرجاً عن القبر "فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع. وفيما هن محتارات فى ذلك **إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة**. وإذ كن خائفات ومنكسات وجوههن إلى الأرض قالا لهن لماذا تطلبن الحى بين الأموات. ليس هو ههنا لكنه قام" (لو٢٤: ٣-٦)، وكان المنظر الذى رأته النسوة هو منظر ملاكين.

مسألة وجود ملاكين عند أو فى قبر السيد المسيح، ووجود ملاكين فى رؤيا إشعياء النبى ليست مصادفة لأن الرب أمر موسى أن يضع ملاكين على غطاء تابوت الشهادة (أى تابوت العهد) فى قدس الأقداس. وقد ورد ذلك فى وصف الرب لموسى كيف يعمل ذلك فى سفر الخروج:

"وتصنع غطاءً من ذهب نقى طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف. وتصنع كروبين من ذهب صنعة خراطة تصنعهما على طرفى الغطاء. فاصنع كروباً واحداً على الطرف من هنا وكروباً آخر على الطرف من هناك. من الغطاء تصنعون الكروبين على طرفيه. ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما إلى فوق **مظللين بأجنحتهما على الغطاء ووجهاهما كل واحد إلى الآخر** نحو الغطاء يكون وجها الكروبين. وتجعل الغطاء على التابوت من فوق. وفى التابوت تضع الشهادة التى أعطيك. **وأنا أجتمع بك هناك وأتكلم معك من على الغطاء من بين الكروبين اللذين على تابوت الشهادة بكل ما أوصيك به إلى بنى إسرائيل**" (خر٢٥: ١٧-٢٢).

إذن فتابوت العهد يشير إلى العرش الإلهى الذى تحيط به مظلة الكاروبيم.

ولكن الأمر اللافت للنظر هو أنه فى رؤيا إشعياء وفى وصف تابوت الشهادة (تابوت العهد) قد قيل أن الملاكين كانا فوق العرش أو فوق غطاء التابوت.

وما معنى أن يظلل الملائكة فوق العرش الإلهى "مظللين بأجنحتهما" (خر٢٥: ٢٠)؟.

وقد وردت هذه العبارة أيضاً فى سفر حزقيال إذ يقول الرب لزُهرة بنت الصبح "أنت الكروب المنبسط المظلل، وأقمتك" (حز٢٨: ١٤، انظر إش١٤: ١٢).

هل يحتاج الرب إلى مظلّة. وما فائدتها؟!.. إن المظلة تحمى من المطر أو من الشمس. ولكن الرب لا يحتاج لمثل هذه الأمور.

وقد قال بطرس للسيد المسيح على جبل التجلى: "يا معلّم جيد أن نكون ههنا فلنصنع ثلاث مظال لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة وهو لا يعلم ما يقول. وفيما هو يقول ذلك كانت سحابة فظللتهم.. وصار صوت من السحابة قائلاً هذا هو ابنى الحبيب له اسمعوا" (لو٩: ٣٣-٣٥). فماذا كان يقصد بطرس الرسول بعمل المظال؟!..

إن ما يمكننا أن نفهمه عن مظلة الكاروبيم فوق العرش الإلهى هو أنها لا تحمى العرش إطلاقاً، بل تعكس المجد والبهاء الصادر عن الله لتتبهر به الخليقة المتطلّعة نحو العرش. مثلما تحاط المصابيح والكشافات المتقدة بالنور بمظال تعكس ضوءها. لهذا قيل عن حادثة التجلى "إذا سحابة **نيّرة** ظللتهم" (مت١٧: ٥).

ألم يقل السيد المسيح عن نفسه أنه هو نور العالم، ثم عاد يقول أنتم نور العالم. وقيل عن السيد المسيح "كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم" (يو١: ٩). فالسيد المسيح هو النور الحقيقى، أما القديسون فيعكسون هذا النور لأنهم ليسوا هم مصدره (كما شرح ذلك قداسة البابا شنودة الثالث- أطال الرب حياة قداسته).

فوجود الملائكة فوق العرش لا يعنى أنها تعلوه فى المقام، بدليل أن كل واحد منهم (كما ورد فى سفر إشعياء النبى) بجناحين يغطى وجهه، وباثنين يغطى رجليه، وباثنين يطير. فهو يغطّى وجهه من بهاء عظمة مجد الرب الذى لا يحتمل التحديق فيه، ويغطى رجليه بمعنى الخجل والاحترام، ويطير باثنين ليكون قادراً على تنفيذ مشيئة الرب فى الحال، ويشبه فى ذلك السيد المسيح معلقاً وهو فاتح ذراعيه على الصليب طاعةً لأبيه السماوى.

رؤيا إشعياء كتمهيد للنبوات

بالرغم من أن هذه الرؤيا قد وردت فى الأصحاح السادس، إلاّ أنها تشير إلى بداية خدمة إشعياء النبى؛ بدء دعوة الرب له. لأن السيد قال على مسمع منه: "من أُرسِلُ ومن يذهب من أجلنا" (إش٦: ٨). فردّ إشعياء وقال: "هأنذا أرسِلنى" (إش٦: ٨). وبالطبع فإن الدعوة تسبق الإرسالية.

لم يذكر إشعياء الرؤيا فى بداية سفر نبوته لئلا يبدو الأمر وكأنه متمركز حول أموره الخاصة، ولكنه ذكرها بالروح القدس قبل أن يبدأ نبواته المحددة عن تجسُّد الكلمة (أى تجسُّد السيد المسيح وميلاده من العذراء مريم لأجل خلاصنا) والتى وردت فى الأصحاحين السابع والتاسع.

وأراد الروح القدس بهذا أن يوضح أن رؤية إشعياء للسيد المسيح فى الهيكل وسط تسابيح الملائكة هى التمهيد الطبيعى لنبواته عن التجسد الإلهى.

فظهورات السيد المسيح فى العهد القديم كانت تمهيداً واضحاً لظهوره بالتجسد الفعلى فى **ملء الزمان**.

وكان **ملء الزمان** هو الموعد الذى أعدّ فيه الله الآب كل شئ لإرسال ابنه الوحيد إلى العالم متجسداً وفادياً ومخلصاً؛ كقول بولس الرسول "ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأةٍ، مولوداً تحت الناموس.. لننال التبّنى" (غل٤: ٤، ٥).

ولقداسة البابا شنودة الثالث –أطال الرب حياة قداسته– تأملات جميلة جداً ونافعة حول موضوع **ملء الزمان**، وكيف أعد الله البشرية لاستقبال الكلمة المتجسد بكثير من الرموز والنبوات، وأعد الأشخاص الذين يعاصرون مجيئه فى الجسد مثل العذراء القديسة مريم والقديس يوحنا المعمدان والتلاميذ الرسل القديسين، وحتى هيرودس الملك ويهوذا الإسخريوطى وقيافا وحنانيا وبيلاطس الحاكم الرومانى، وغيرهم الكثيرين بحيث يؤدى كل واحد من هؤلاء دوره بإرادته الحرة؛ ويكون مسئولاً عن تصرفاته بدون إجبار.. إنها ملحمة رائعة لا يمكن احتواء أبعادها بفكرنا المحدود، ولكننا نقف أمامها مبهورين بما عمله الرب؛ وبما شرحه قداسة البابا.

لماذا إشعياء بالذات؟

ولكن لماذا اختار الرب إشعياء بالذات ليظهر له فى الهيكل، ويرسل واحداً من السرافيم لتطهيره، ويدعوه ويرسله، ويسكب عليه هذا الفيض العجيب من النبوات عن السيد المسيح؛ حتى دُعى إشعياء النبى بالنبى الإنجيلى ودُعى سفر إشعياء **بالإنجيل الخامس**، لكثرة ما ورد فيه من نبوات عن المسيح الرب؟!!..

نلاحظ أن إشعياء كان من العابدين بعمق وملازماً للعبادة؛ لأن الرؤيا التى ظهرت له كانت فى الهيكل بأورشليم كما شرحنا..

وبالإضافة إلى ذلك كانت مخافة الرب واضحة فى كلامه عندما قال: "ويل لى إنى هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين لأن عينىَّ قد رأتا الملك رب الجنود" (إش٦: ٥).

كان إشعياء إنساناً متواضعاً معترفاً بخطاياه. ولكن الشئ العجيب أنه قد حمل هموم شعبه عند رؤيته للرب؛ فاعترف بخطاياه وخطاياهم معاً.

كان إشعياء مثقلاً بهموم شعب إسرائيل.. مثقلاً برؤيته لخطاياهم، وحيرته فى أمر خلاصهم.. وحيرته فى كيفية تحقيق وعد الرب بالخلاص لمثل هذه البشرية التى الجميع فيها قد "زاغوا وفسدوا معاً، ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد" (رو٣: ١٢).

لقد تمرر إشعياء بسبب خطايا شعبه وصلّى كثيراً إلى الرب مذكّراً إياه بمواعيده للآباء إبراهيم وإسحق ويعقوب، ومن قبلهم وبعدهم كثير من الذين انتظروا خلاص الرب شاعرين بحاجتهم للخلاص.

كان إشعياء يتطلع نحو مجد الله، ويترجى شوقاً أن يصير مجد الرب راية للشعوب.. وانطلق ببصره النبوى خارج إطار الأمة اليهودية ومملكة إسرائيل إلى كل شعوب الأرض، مثل ما ورد فى الآيات التالية:

"ويكون فى ذلك اليوم أن **أصل يسى القائم راية للشعوب إياه تطلب الأمم** ويكون محله مجداً" (إش١١: ١٠).

"التفتوا إلىَّ واخلصوا **يا جميع أقاصى الأرض**، لأنى أنا الله وليس آخر" (إش٤٥: ٢٢).

كان إشعياء قلب يشتعل بالحب نحو الله ونحو البشرية جمعاء. لذلك فعندما أوحى إليه الروح القدس بنبواته الرائعة "**ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله. ويحل عليه روح الرب روح الحكمة والفهم؛ روح المشورة والقوة؛ روح المعرفة ومخافة الرب. ولذته تكون فى مخافة الرب فلا يقضى بحسب نظر عينه ولا يحكم بحسب سمع أذنيه. بل يقضى بالعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسى الأرض، ويضرب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفتيه. ويكون البر منطقة متنيه والأمانة منطقة حقويه**" (إش١١: ١-٥).

وأيضاً "وتقول فى ذلك اليوم: أحمدك يا رب لأنه إذ غضبت علىَّ ارتد غضبك فتعزينى. هوذا الله خلاصى فاطمئن ولا أرتعب **لأن ياه يهوه قوتى وترنيمتى وقد صار لى خلاصاً**. فتستقون مياهاً بفرحٍ من ينابيع الخلاص. وتقولون فى ذلك اليوم: احمدوا الرب ادعوا باسمه، عرِّفوا بين الشعوب بأفعاله، ذكِّروا بأن اسمه قد تعالى. رنموا للرب لأنه قد صنع مفتخراً ليكن هذا معروفا فى كل الأرض. صوتى واهتفى يا ساكنة صهيون لأن قدوس إسرائيل عظيم فى وسطك" (إش١٢: ١-٦)؛ فقد شملت نبواته هذه جميع الأمم بصورة لم يكن يتقبلها الشعب اليهودى بسهولة، حتى فى بدايات الكنيسة فى العهد الجديد. وهو الأمر الذى عمل فيه الروح القدس حتى أوضح لكنيسة الرسل مقاصد الرب بصورة متدرجة.

واختص إشعياء فى نبوته، مصر وشعبها بنبوات رائعة مثل قوله: "فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخمها" (إش١٩: ١٩)، وقوله: "بها يُبارِك رب الجنود قائلاً: مبارك شعبى مصر" (إش١٩: ٢٥).

كان إشعياء شاعراً وكانت حياته أنشودة حب؛ لذلك ظهر له الرب فى رؤيا مع السرافيم أى المتقدين بالنار-نار الحب الإلهى. **فالكاروب** معناه "**الممتلئ أعيناً**" أى الممتلئ معرفة. و**السرافيم** معناه "**المتقد بالنار**" أى بالحب.

حقاً ينطبق على إشعياء النبى شعر **قداسة البابا شنودة الثالث** عن المتنيح الأرشيذياكون حبيب جرجس:

هذه تقواك : إيمانٌ فحب — هذه دنياك : أشواكٌ وصلبُ
أنت، من أنت؟ رسولٌ ههنا؟ — أنت أبهى من رسولٍ، أنت قلبُ
أنت قلبٌ واسعٌ فى حضنه — عاش جيلٌ كاملٌ أو عاش شعبُ

أنت نبــعٌ من حنانٍ دافـقٍ أنت عطفٌ، أنت رفقٌ، أنت حبُ

الباب الثانى
السيد المسيح فى ميلاده بحسب الجسد ونشأته

"لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس.. لننال التبنى" (غلا٤: ٤، ٥)

١. نبوة زكريا الكاهن
٢. عجيباً فى ميلاده
٣. مسيح بيت لحم
٤. زيارة المجوس
٥. السيد المسيح كخادم للختان
٦. تقديم ذبيحة عنه فى الهيكل
٧. الهروب إلى مصر
٨. مصر وأشور
٩. العلاقة مع أشور
١٠. نشأة السيد المسيح

١. نبوة زكريا الكاهن

افتقد وصنع فداءً لشعبه

حينما ولد يوحنا المعمدان امتلأ زكريا أبوه الكاهن من الروح القدس وتنبأ قائلاً: "مبارك الرب إله إسرائيل لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه. وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه. **كما تكلّم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر**" (لو١: ٦٨-٧٠).

كان زكريا يتكلم عن تجسد الله الكلمة فى بطن العذراء القديسة مريم الذى بدأ قبل كلامه هذا بنحو ثلاثة أشهر، ولم يكن السيد المسيح قد وُلد بعد من العذراء. ولكن الروح القدس نطق على لسانه بكلمات هذه النبوة.

والعجيب أنه قال إن الرب الإله قد **افتقد وصنع** فداءً لشعبه كما لو كان الخلاص قد تم. ولكن كثير من النبوات ذُكرت بصيغة الماضى قبل حدوثها بآلاف أو مئات السنين.

فمثلاً قيل عن مجيء السيد المسيح إلى مصر "من مصر **دعوت** ابنى" (هو١١: ١).

وقيل عن صلبه "**ثقبوا** يدىّ ورجلى.. يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون" (مز٢٢: ١٦، ١٨).

وقيل عن ذبح أطفال بيت لحم "صوت **سُمع** فى الرامة نوح بكاء مر. راحيل تبكى على أولادها وتأبى أن تتعزى عن أولادها لأنهم ليسوا بموجودين" (أر ٣١: ١٥).

ولكن لأن مواعيد الله هى بلا ندامة ولأنه معلوم عند الله أعماله منذ الأزل وكما قيل عن صلب السيد المسيح "مُسلَّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق" (أع٢: ٢٣). لذلك فإن النبوة ترتفع فوق الزمان وتتكلم عن الأشياء غير الموجودة كأنها موجودة، أو عن الأشياء التى بدأت وكأنها قد تمت بالفعل.

كان الخلاص قد بدأ بتجسد الكلمة فى بطن العذراء وتكلم زكريا بالروح القدس وقال إن الرب الإله قد "**افتقد وصنع فداءً لشعبه**" (لو ١: ٦٨).

وحينما دخلت السيدة العذراء إلى الهيكل وهى تحمل الطفل يسوع بعد ولادته بأربعين يوماً حمله سمعان الشيخ على ذراعيه وبارك الله وقال "الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام. لأن عينى **قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته** قدام وجه جميع الشعوب نور إعلان للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل" (لو ٢: ٢٩-٣٢). كان سمعان الشيخ قد "أتى بالروح إلى الهيكل" (لو ٢: ٢٧) ونطق بهذه الكلمات بوحى من الروح القدس الذى كشف له أن هذا الطفل هو المسيح مخلص العالم. وقال إن عينيه قد أبصرتا خلاص الرب لأنه أبصر الكلمة المتجسد. وإن كان قد أوضح أيضاً أنه هو الخلاص المعد أمام وجه جميع الشعوب، فالخلاص من الناحية الزمنية لم يكن قد أكتمل بعد، ولكنه من ناحية تحقيق الوعد قد بدأ بتجسد الكلمة. والنبوة كما قلنا ترتفع فوق الزمان لأنها بوحى من الروح القدس.

ونلاحظ أن زكريا الكاهن قد أشار بالروح القدس إلى أهمية تحقيق النبوات التى أوحى بها الروح القدس بقوله "كما تكلّم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر" (لو ١: ٧٠).

لم تكن النبوات قد قيلت فى زمن قريب بل منذ آلاف السنين، ودوِّنت فى الأسفار أى الكتب المقدسة، بداية من سفر التكوين إلى سائر أسفار العهد القديم واستغرق كتابتها قرابة ألف وستمائة عام قبل مجيء السيد المسيح بالجسد.

إن أحد أسباب قوة المسيحية هو استنادها إلى عديد من الرموز والنبوات الواضحة التى تحققت فى مجيء السيد المسيح، والتى مازالت محفوظة إلى يومنا هذا فى أيدى اليهود الذين رفضوا السيد المسيح وناصبوه العداء وحكموا عليه بالموت.

بأحشاء رحمة إلهنا

أكمل زكريا الكاهن أقواله النبوية الرائعة إلى قوله "**بأحشاء رحمة إلهنا** التى بها افتقدنا المشرق من العلاء ليضئ على الجالسين فى الظلمة وظلال الموت لكى يهدى أقدامنا فى طريق السلام" (لو ١: ٧٨، ٧٩).

إن الله قد سبق أن قال لموسى النبى عندما ظهر له فى هيئة نار مشتعلة فى عليقة فى البرية "إنى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم. إنى علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم" (خر٣: ٧، ٨).

ما أجمل عبارة "بأحشاء رحمة إلهنا التى بها افتقدنا".. إن أحشاء رحمة الرب تعنى رحمته العميقة الناشئة عن محبته الجياشة والفياضة التى تتحرك نحونا باستمرار. وقد استخدم أيضاً القديس بولس الرسول هذا التعبير بقوله: "فإن الله شاهد لى كيف أشتاق إلى جميعكم فى أحشاء يسوع المسيح" (فى١: ٨).

إن الرب يشعر بآلامنا ومذلتنا وأوجاعنا.. وقد رأى كيف تمزّقت البشرية فى مخالب الشيطان القاسى الذى لا يرحم.. وتحركت أحشاء رحمته ونزل ليخلصنا وينقذنا من فم الأسد، كما خلّص داود النبى أحد خرافه من فم الأسد والدب (انظر ١صم١٧: ٣٤-٣٧). ولازال الرب هو نفسه يرى آلام شعبه ويعمل من أجل راحتهم ونجاتهم. والرب نفسه قال أيضاً: "من أجل شقاء المساكين وتنهد البائسين الآن أقوم يقول الرب أصنع الخلاص علانية" (مز١١: ٥).

إن صراخ البشرية قد وصل إلى أذنى رب الجنود وقام الآب السماوى بتجهيز كل شئ من أجل خلاص البشرية، "لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة مولوداً تحت الناموس.. لننال التبنى" (غل٤: ٤، ٥). وفى إعداده للخلاص أعطى وعوداً وعهوداً.. وكان الثالوث القدوس يعمل بكل قوة من أجل إتمام الخلاص. **فكل ظهورات الله فى العهد القديم هى ظهورات للابن الوحيد قبل التجسد** وكل النبوات نطق بها الروح القدس على فم الأنبياء القديسين الذين هم منذ الدهر. والآب السماوى أرسل ابنه الوحيد لإتمام الفداء، وأرسل موعده بالروح القدس ليقود الكنيسة لاقتناء الفداء، كما أنه قد دبّر مع الابن والروح القدس كل شئ من أجل خلاص البشرية ومنحها المواهب والعطايا النازلة من عند أبى الأنوار.

أما فى قول زكريا الكاهن "المشرق من العلاء" فإن هذا يذكرنا بقول ملاخى النبى "ولكم أيها المتّقون اسمى تشرق شمس البر والشفاء فى أجنحتها" (ملا٤: ٢). إن شمس البر هو السيد المسيح الذى فتح ذراعيه مثل جناحين على الصليب من أجل شفائنا من مرض الخطية. وهو الذى أظهر لنا نور الآب بل أنه هو نفسه بهاء مجد الآب "الذى وهو بهاء مجده.." (عب١: ٣)، كما أن الروح القدس هو الذى ينير عقولنا وقلوبنا حتى نتغنى ونقول مع المرنم "بنورك نرى نوراً" (مز٣٦: ٩).

٢. عجيباً فى ميلاده

السيد المسيح كان عجيباً فى ميلاده.. إذ وُلد بعيداً عن مظاهر الكرامة العالمية. وُلد السيد المسيح بين الأغنام والحيوانات التى كانت تُقدَّم كذبائح للرب فى الهيكل بأورشليم. **مؤكّداً منذ اللحظة الأولى لميلاده متجسداً أنه هو حمل الله الذى يحمل خطية العالم كله. وهذا هو المشهد العجيب للميلاد:**

الحمل فى وسط الحملان والذبائح

وُلد فى الحظيرة لأنه ينبغى أن يكون الراعى وسط الخراف. إذ هو الراعى الصالح الذى "يبذل نفسه عن الخراف" (يو ١٠: ١١) وهل يمكن أن يوجد الراعى بعيداً عن خرافه؟!.

هو الحمل وهو الراعى فى آنٍ واحد وهو عجيب فى ميلاده! هو الهيكل الحقيقى وهو القربان! هو الكاهن وهو الذبيحة فى آنٍ واحد! لذلك دعى اسمه "عجيباً" (إش٩: ٦).

جاء السيد المسيح إلى العالم، وإذ لم يجد له مكاناً فى قلوب غالبية البشر ولد بين الخراف غير الناطقة، ليحوّل الخراف غير الناطقة (أى البشر قبل الفداء) إلى خراف تعقل الحق؛ تنطق باسمه وتهتف لمحبته فتشاركه مجده الحقيقى!.

وحينما بشّرت الملائكة البشر فى ليلة ميلاده، بشّرت الرعاة الذين يسهرون على رعاية الذبائح التى تقدم فى هيكل الرب. لكى يأتى الرعاة لينظروا الراعى الحقيقى، راعى الرعاة، مخلص العالم، ابن داود الراعى الذى تعب وسهر فى رعاية خرافه وحارب الأسد والدب ليخلّصها.

وُلد السيد المسيح فى بيت لحم مدينة داود. وهى أصغر مدن المملكة. وكان داود هو الأصغر بين إخوته لأن السيد المسيح قد اختار طريق الاتضاع ليملك على القلوب بتواضعه. "أما أنت يا بيت لحم أفراتة، وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لى، الذى يكون متسلطاً على إسرائيل. ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (مى٥: ٢). "لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى إسرائيل" (مت٢: ٦).

وُضع الرب يسوع، كلمة الله المتجسد وهو طفل فى المذود.. فى الموضع الذى تأكل منه الحيوانات فى الحظيرة. ليؤكّد أنه جاء طعاماً لحياة العالم الذى كان غارقاً فى ظلمات الجهل والخطية. وكان البشر يسلكون فيه مثل البهائم التى تباد. وقال عن نفسه إنه هو الخبز "خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم.. فمن يأكلنى فهو يحيا بى" (يو٦: ٣٣، ٥٧).

هذه الحظيرة التى كانت حقيرة فى مظهرها، تحوّلت بحلول الكلمة المتجسد فيها إلى كنيسة للمجد والبهاء، وهى كنيسة المهد فى بيت لحم، حيث اقترب ملايين البشر من الأسرار المقدسة فى التناول من جسد الرب ودمه على مر العصور.

عجيبة هى والدة الإله القديسة مريم العذراء التى شاهدت وسمعت وكانت تحفظ كل هذه الأمور متفكرة بها فى قلبها (انظر لو٢: ١٩). كانت الكنيسة –العروس المحبوبة– ممثلة فى شخص السيدة العذراء وهى تعاين خلاص الله بين ذراعيها نوراً متألقاً لحياة العالم.

هذا هو مجد الروح الذى لم يبالِ بالمجد الخارجى، بل عاش متمتعاً فى الاتضاع، والانسحاق، والبعد عن كل مظاهر العظمة والكرامة.

هناك فى الحظيرة.. هناك بين الحيوانات.. هناك حيث لم يدرك البشر وقتذاك.. هناك تلتقى النفس بالحقيقة الخالدة أن "الكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب مملوءًا نعمةً وحقاً" (يو١: ١٤).

٣. مسيح بيت لحم

حملت مدينة بيت لحم اسماً نبوياً يشير إلى ميلاد السيد المسيح حيث "بيت لحم" باللغة العبرية معناها "بيت الخبز". ونظراً لأن السيد المسيح قد قال عن نفسه "أنا هو خبز الحياة" (يو٦: ٣٥). وقال أيضاً "لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم" (يو٦: ٣٣). وأضاف "هذا هو الخبز النازل من السماء، لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت. أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء إن أكل أحد هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم" (يو٦: ٥٠، ٥١).

أراد السيد المسيح أن يوضح لليهود الفرق بين الخبز الذى أكله أباؤهم فى برية سيناء وماتوا وبين الخبز الحى النازل من السماء الذى يهب الحياة الأبدية. لذلك قال لهم: "آباؤكم أكلوا المن فى البرية وماتوا. هذا هو الخبز النازل من السماء، لكى يأكل منه الإنسان ولا يموت" (يو٦: ٤٩، ٥٠).

وقارن بين ما أعطاه موسى لشعب إسرائيل فى برية سيناء وعطية الله فى العهد الجديد فى المسيح الذى ولد فى بيت لحم (بيت الخبز) "فقال لهم يسوع: الحق الحق أقول لكم: ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء، بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء" (يو٦: ٣٢). من خلال حوار السيد المسيح مع اليهود نلمس شدة اهتمامه بإبراز العلاقة بينه وبين الخبز– ولكن ليس أى خبز بل الخبز السماوى.

مدينة بيت لحم

بيت لحم هى مدينة صغيرة مبنية على أكمة تبعد ٦ أميال إلى الجنوب من أورشليم وهى محاطة بتلال تكسوها الأشجار والنباتات الجميلة. وفيها مياه عذبة تتفجر من أراضيها المخصبة.

وقد ولد داود النبى والملك فى بيت لحم ونشأ وتربى فيها وكان راعياً لغنم أبيه فى مراعيها الخضراء. وكان داود فى الجوانب المقدسة من حياته رمزاً للسيد المسيح.

وقد ورد فى سفر راعوث أن أليمالك رجل من بيت لحم ذهب ليتغرب فى بلاد موآب هو وامرأته وابناه. وبعد وفاته تزوج ابناه من عُرفة وراعوث، وبعد موت الابنين عادت نعمى وأصرّت راعوث أن تعود معها وقالت لحماتها "شعبك شعبى وإلهك إلهى" (را ١: ١٦). فذهبتا كلتاهما حتى دخلتا بيت لحم فى ابتداء حصيد الشعير. وجمعت راعوث وراء الحصادين من السنابل فى حقل لرجل من عشيرة أليمالك اسمه بوعز. وكان رجلاً فاضلاً وتزوج راعوث، وأنجب منها عوبيد الذى هو أبو يسى أبى داود (انظر را ٤: ١٧).

إن أمام الرب مسيحه

قال الرب لصموئيل النبى "**املأ قرنك دهناً وتعال أرسلك إلى يسى البيتلحمى، لأنى قد رأيت لى فى بنيه ملكاً**" (١صمو١٦: ١).. "ففعل صموئيل كما تكلم الرب.. وقدّس يسى وبنيه ودعاهم إلى الذبيحة. وكان لما جاءوا أنه رأى اليآب، فقال: إن أمام الرب مسيحه. فقال الرب لصموئيل: لا تنظر إلى منظره وطول قامته لأنى قد رفضته.. وعبرّ يسى بنيه السبعة أمام صموئيل، فقال صموئيل ليسى: الرب لم يختر هؤلاء. وقال صموئيل ليسى: هل كملوا الغلمان؟ فقال: بقى بعد الصغير وهوذا يرعى الغنم. فقال صموئيل ليسى: أرسل وأتِ به.. فقال الرب: قم امسحه لأن هذا هو. فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه فى وسط إخوته. وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعداً. ثم قام صموئيل وذهب إلى الرامة" (١صم ١٦: ٤-١٣).

فى بيت لحم ولد الملك داود.. وفى بيت لحم مسح صموئيل النبى داود ملكاً، وبدأت مملكة داود التى كملت بمجيء السيد المسيح.

لذلك قال الملاك جبرائيل للعذراء مريم عن المسيح الرب الذى سوف يولد منها "ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية" (لو١: ٣٢، ٣٣).

وحينما دخل السيد المسيح أورشليم راكباً على أتان وعلى جحش ابن أتان استقبلته الجموع بهتاف قائلين "مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب" (مر١١: ١٠). "أوصنا لابن داود، مبارك الآتى باسم الرب، أوصنا فى الأعالى" (مت٢١: ٩).

وعندما بشّر الملاك الرعاة فى مراعى بيت لحم بميلاد السيد المسيح قال لهم: "ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب. **أنه وُلد لكم اليوم فى مدينة داود مخلّص هو المسيح الرب**" (لو٢: ١١). وتنبأ ميخا النبى عن مولد السيد المسيح فى بيت لحم قائلاً "أما أنت يا بيت لحم أفراتة، وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطاً على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم، منذ أيام الأزل" (ميخا ٥: ٢).

إن مدينة بيت لحم قد اكتسبت عظمتها ليس لأن داود الملك قد ولد فيها، بل لأن الله الظاهر فى الجسد قد وُلد فيها ليملك إلى الأبد على قلوب شعبه. حتى وإن كان داود قد صار رمزاً للسيد المسيح من حيث رعايته للأغنام وللشعب بعد ذلك كملك، وبالرغم من أن مزاميره قد حملت الكثير من النبوات عن السيد المسيح. ولكن لم تعد بيت لحم بعد أن تم تحقيق النبوات هى مدينة داود بل هى **مدينة الخبز** الحي النازل من السماء الذى هو مخلص كل العالم.

٤. زيارة المجوس

المجوس كانوا حكماء مملكة بابل، وأيضاً حكماء مملكة مادى وفارس، وكُتِبَ عن دانيال النبى فى حديث الملكة إلى بلطشاصر ملك بابل ما نصه "يوجد فى مملكتك رجل فيه روح الآلهة القدوسين، وفى أيام أبيك وجدت فيه نيّرة وفطنة وحكمة كحكمة الآلهة. والملك نبوخذ نصَّر أبوك جعله **كبير المجوس** والسحرة والكلدانيين والمنجمين.

أبوك الملك **من حيث أن روحاً فاضلة ومعرفة وفطنة وتعبير الأحلام وتبيين ألغاز وحل عُقد وجدت فى دانيال هذا الذى سماه الملك بلطشاصر" (دا٥: ١١، ١٢)**

واستمر شأن دانيال مرتفعاً بعد ذلك فى مُلك داريوس المادى وفى مُلك كورش الفارسى كقول الكتاب "فنجح دانيال هذا فى مُلك داريوس وفى مُلك كورش الفارسى" (دا٦: ٢٨). واستمرت نبوات دانيال ومواهبه وإعلانات الله له "فى السنة الثالثة لكورش ملك فارس كشف أمر لدانيال الذى سُمى باسم بلطشاصر. والأمر حق والجهاد عظيم وفهم الأمر وله معرفة الرؤيا" (دا١٠: ١).

تعين دانيال كبيراً للمجوس ولكنه لم يلجأ إلى السحر مثل السحرة، بل كان يشع بنور الإعلان الإلهى فى وسط ظلمات الوثنية القاتمة.

وتنبأ دانيال عن مجيء السيد المسيح وعن مملكته وحدد زمن مجيئه، وترك كل نبواته الصادقة فى سفره المسمى باسمه. واحتفظ شعب إسرائيل بهذا السفر، كما احتفظ به المجوس الذى كان دانيال كبيراً لهم فى ممالك السبى.

وقد ورد فى نبوة دانيال ما يلى :

"سبعون أسبوعاً قضيت على شعبك، وعلى مدينتك المقدسة، لتكميل المعصية وتتميم الخطايا، ولكفارة الإثم، وليؤتى بالبر الأبدى. ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين. فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها إلى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعاً.. يُثبّت عهداً مع كثيرين فى أسبوع واحد وفى وسط الأسبوع يُبطّل الذبيحة والتقدمة" (دا٩: ٢٤، ٢٥، ٢٧).

والمقصود بالأسابيع هنا أسابيع سنين وليس أسابيع أيام (أى أن الأسبوع يساوى سبع سنين). وقد تمت هذه النبوة بالفعل كما ذكرها دانيال النبى.

وقد انتظر المجوس متوارثين عبر الأجيال مجيء السيد المسيح الرئيس ملك اليهود مشتهى الأجيال.

الذين آمنوا من المجوس بإله دانيال كانوا يحترمون ما كتبه دانيال من أقوال إلهية. ويتضح احترامهم لذلك الإله من قول الكتاب "ثم كتب الملك داريوس إلى كل الشعوب والأمم والألسنة الساكنين فى الأرض كلها. ليكثر سلامكم. من قِبَلى صدر أمر بأنه فى كل سلطان مملكتى **يرتعدون ويخافون قدام إله دانيال لأنه هو الإله الحى القيوم إلى الأبد وملكوته لن يزول وسلطانه إلى المنتهى. هو ينجى** وينقذ، ويعمل الآيات والعجائب فى السماوات وفى الأرض" (دا٦: ٢٥-٢٧).

كان المجوس الذين عاشوا فى مملكة فارس يعلمون ما هو الوقت الذى صدر فيه الأمر لتجديد أورشليم وقاموا بحساب الزمان وعرفوا متى يأتى السيد المسيح على وجه التقريب فهو سيبدأ عمله عند مسحه فى سن الثلاثين، وهذا فى بداية الأسبوع الأخير من السنين المذكورة. أى بعد تسعة وستين أسبوعاً من السنين من خروج الأمر لتجديد أورشليم. أى ٤٨٣ سنة. وبطرح ٣٠ سنة التى هى عمر السيد المسيح فى بداية خدمته تكون المدة هى ٤٥٣سنة من خروج الأمر لتجديد وبناء أورشليم إلى ميلاد الفادى يسوع المسيح.

كان لابد أن يُمسح السيد المسيح فى سن الثلاثين حسب شريعة موسى لأن بنى لاوى لم يمارسوا عملهم فى الخدمة إلا بعد سن الثلاثين كقول الكتاب "جميع المعدودين اللاويين الذين عدهم موسى وهرون ورؤساء إسرائيل حسب عشائرهم وبيوت آبائهم. من ابن ثلاثين سنة فصاعداً إلى ابن خمسين سنة. كل الداخلين ليعملوا عمل الخدمة وعمل الحمل فى خيمة الاجتماع" (عد٤: ٤٦، ٤٧). وهكذا أيضاً بالنسبة لبنى هرون من الكهنة من سبط لاوى.

وأيضاً داود الذى اختاره الرب ومسحه ملكاً على شعبه والذى جاء السيد المسيح ملكاً من نسله حسب وعد الرب له كان قد ملك على يهوذا وهو فى سن الثلاثين كقول الكتاب "كان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك. وملك أربعين سنة. فى حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر وفى أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة. على جميع إسرائيل ويهوذا " (٢صم٥: ٤، ٥).

ولهذا كُتب عن السيد المسيح "ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة" (لو٣: ٢٣).

حينما اقترب موعد ميلاد السيد المسيح حسب النبوات كان المجوس الذين آمنوا بنبوات دانيال وحفظوها ينتظرون شيئاً يخبرهم عن هذا المجيء.

وأراد الرب أن يكلمهم باللغة التى يفهمونها فأرسل إليهم كائناً مميزاً، له صفات عجيبة؛ ربما يكون ملاكاً لامعاً يبدو فى هيئة نجم.

كان النجم واضحاً مميزاً عن باقى النجوم وفهموا من منظره ومساره أنه نجم ملك عظيم هو ملك ملوك الأرض.

لهذا أعدوا العدة لرحلة طويلة من بلاد فارس فى المشرق إلى اليهودية لينالوا بركة هذا المولود الإلهى الذى كتب عنه دانيال النبى ما نصه:

"كنت أرى فى رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه. فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً **لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة**. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض" (دا٧ : ١٣، ١٤).

كانت دعوة صريحة لهؤلاء المجوس الأمميين لكى يتعبدوا للمولود الموعود به من الله. وكان أمراً واضحاً أن يتعبدوا له ليصيروا أعضاءً فى ملكوته الأبدى.

إذن لم يكن السيد المسيح ملكاً لليهود فقط بل دعى "ملك اليهود" واتسع مفهوم هذا اللقب ليشمل جميع الذين آمنوا به "وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أى المؤمنون باسمه" (يو١: ١٢). صار المعنى بالمفهوم الروحى هو لكل من يقبل حب الله المعلن بواسطة تجسد ابنه الوحيد مخلص العالم فيملك الله على قلبه وحياته ويصير مسكناً لروحه القدوس.

قال الملاك جبرائيل للعذراء مريم "ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية" (لو١: ٣٢، ٣٣).

وصار بيت يعقوب هو كل شعب الله وليس نسل يعقوب فقط لأن بولس الرسول يقول "ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون. ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد.. أى ليس أولاد الجسد هم **أولاد الله**. بل أولاد الموعد يحسبون نسلاً.. ولكى يبين غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد. التى أيضاً دعانا نحن إياها **ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضاً**. كما يقول فى هوشع أيضاً سأدعو الذى ليس شعبى شعبى، والتى ليست محبوبة محبوبة. ويكون فى الموضع الذى قيل لهم فيه لستم شعبى أنه هناك يدعون أبناء الله الحى" (رو٩: ٦-٨، ٢٣-٢٦).

هكذا تحققت النبوات الإلهية وجاء الرعاة من اليهود معترفين بملكهم ومخلصهم فى ليلة ميلاده. كما جاء المجوس من الأمم يقودهم النجم العجيب بعد مولده بفترة وقبل هروب العائلة المقدسة إلى مصر ليتعبدوا ويسجدوا للابن المولود "ملك الملوك ورب الأرباب" (رؤ١٩: ١٦).

أتينا لنسجد له

لماذا جاء المجوس من المشرق إلى أورشليم قائلين "أين هو المولود ملك اليهود، فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له" (مت٢: ٢)؟

لقد سجد المجوس للسيد المسيح وهو طفل، وسجد له تلاميذه فى السفينة قائلين له "بالحقيقة أنت ابن الله" (مت١٤: ٣٣)، وسجد له المولود أعمى بعد أن خلق له عينين ووجده السيد المسيح بعد أن طرده اليهود وقال له "أتؤمن بابن الله؟ أجاب ذاك وقال: من هو يا سيد لأؤمن به؟ فقال له يسوع قد رأيته والذى يتكلم معك هو هو. فقال أؤمن يا سيد وسجد له" (يو٩: ٣٥-٣٨).

وقيل عن السيد المسيح "لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض. ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فى٢: ١٠-١١).

وأيضاً قيل عنه "متى أَدخَل البكر إلى العالم يقول ولتسجد له كل ملائكة الله" (عب١: ٦).

وفى رؤيا القديس يوحنا إذ ارتفع بالروح إلى المشهد السمائى قال "وكل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر؛ كل ما فيها سمعتها قائلة: للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة والمجد والسلطان إلى أبد الآبدين. وكانت الحيوانات الأربعة تقول آمين. والشيوخ الأربعة والعشرون خرّوا وسجدوا للحي إلى أبد الآبدين" (رؤ٥: ١٣-١٤).

السجود للمسيح

إن عبادة السيد المسيح هى شئ لازم وضرورى مهما تكلّف الإنسان فى سبيل ذلك من مشقات.

وها هم المجوس وقد جاءوا من بلاد فارس إلى جبال اليهودية لينالوا شرف وبركة السجود أمام القدوس الحق الذى جاء إلى العالم فادياً ومخلصاً. وليعلنوا أن الله قد أعطاهم العلامة المؤيدة بنبوات دانيال النبى "كبير المجوس" (دا٤: ٩) عن هذا العظيم الذى ملكوته ملكوت أبدى لا يزول. كما أخبر دانيال النبى وقال: "كنت أرى فى رؤى

الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه. فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً **لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة**. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض" (دا ٧: ١٣-١٤).

وقد تحققت هذه النبوة بصورة مبدئية بسجود المجوس للسيد المسيح؛ وكانوا فى ذلك رمزاً لكل الشعوب والأمم والألسنة إلى جوار شعب إسرائيل.

أما سمعان الشيخ "كان قد أعلم بوحى من بالروح القدس أنه لن يرى الموت قبل أن يعاين المسيح الرب، **فأقبل بالروح** إلى الهيكل. ولما دخل بالطفل يسوع أبواه ليصنعا له كما يجب فى الناموس، حمله سمعان على ذراعيه وبارك **الله** قائلاً: الآن يا سيدى تطلق عبدك بسلام حسب قولك لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام جميع الشعوب. **نوراً تجلى للأمم ومجداً لشعبك إسرائيل**" (انظر لو٢: ٢٦-٣٢).

لم يغفل سمعان الشيخ فى كلامه إذ كان منقادًا بالروح القدس؛ أن السيد المسيح هو نور إعلان للأمم إلى جوار مجيئه لخلاص بنى اسرائيل ولتحقيق وعود الله للآباء؛ لإبراهيم ونسله من بعده.

والكنيسة لا تغفل فى صلواتها أهمية السجود للسيد المسيح وتقديم العبادة له مع الآب والروح القدس.

ففى القداس الإلهى يصلّى كل الشعب فى نهاية لحن "بشفاعة والدة الإله القديسة مريم" ويقول: {نسجد لك أيها المسيح مع أبيك الصالح، والروح القدس؛ لأنك أتيت وخلّصتنا}.

وهكذا أيضاً فى قانون الإيمان نقول {نعم نؤمن بالروح القدس الرب المحي المنبثق من الآب، نسجد له ونمجده مع الآب والابن}.

فالسجود يقدَّم للآب والابن والروح القدس الإله الواحد. وأيضاً التمجيد يعطى للثالوث القدوس. ففى كل قطع صلوات الساعات نقول بعد القطعة الأولى من كل صلاة [المجد للآب والابن والروح القدس].

نقدم عبادة واحدة للثالوث، ونقدم ذوكصا (تمجيد) واحد للثالوث.. وهكذا.

إن الخضوع للمسيح فيه خضوع للآب والروح القدس أيضاً (لسبب وحدانية الجوهر الإلهى).

وتكريم السيد المسيح فيه تكريم للآب والروح القدس أيضاً (لسبب وحدانية الجوهر الإلهى).

والسجود للمسيح فيه سجود للآب والروح القدس أيضاً (لسبب وحدانية الجوهر الإلهى).

وعبادة المسيح فيها عبادة للآب والروح القدس أيضاً (لسبب وحدانية الجوهر الإلهى).

المسيح هو الذى أظهر السجدة للثالوث بظهوره فى العالم، وهو الذى أظهر الثالوث فى معموديته فى نهر الأردن (عيد الظهور الإلهى = الإبيفانيا).

اعتقادنا بوحدانية الجوهر للأقانيم الثلاثة لا يمنعنا إطلاقاً من فهم حقيقة التمايز الأقنومى بينهم. فلكل أقنوم دوره المتمايز فى العمل الواحد. ولكل أقنوم خاصيته الخاصة التى تميّزه عن الأقنومين الآخرين. والحب المتبادل بين الأقانيم الثلاثة هو من أبرز الدلائل على تمايزهم الأقنومى بالرغم من جوهرهم الواحد واسمهم الفريد الواحد، وهو "الكائن" أى "يهوه" الذى كينونته غير منقسمة.

٥. السيد المسيح كخادم للختان

كان الختان هو علامة العهد بين الله وإبراهيم (انظر تك١٧: ١٠-١٤). وقد صار السيد المسيح خادماً للختان، ليؤكد أن العهد هو بسفك دمه المقدس الذى سوف يتم سفكه بالكامل على الصليب.

ولكن ما رآه الناس فى ذلك الوقت -حسب الظاهر- هو أنه اختتن حسب الوصية السابقة ليحسب ضمن شعب الله.

فلنتأمل أيها الأحباء "**قدوس القدوسين**" (دا٩: ٢٤) وهو يطلب الانتماء بعلامة العهد إلى شعب الله.. أى اتضاع يكون مثل ذلك بعيداً عن العظمة الظاهرية!!.

٦. تقديم ذبيحة عنه فى الهيكل

كانت حياة الابن البكر الذكر ملكاً للرب "كل ذكر فاتح رحم يدعى قدوساً للرب" (لو٢: ٢٣)، وذلك بحكم أن الرب كان قد افتدى الأبكار فى ليلة خروج الشعب من أرض مصر (ليلة الفصح والعبور).

وقد استعاض الرب عن أولئك الأبكار بتقديم ذبيحة عنهم فى الهيكل، وهذه الذبيحة ترمز بالطبع إلى ذبيحة الفداء، حيث إن الرب قد اشترانا من الموت حينما وفىّ دين الخطية الذى علينا فى الصليب.

فما أعجب أن نرى السيد المسيح الذى هو الذبيحة الحقيقية والمخلص الفادى، يُقدِّم عن نفسه وعن نجاته مع الأبكار ذبيحة فى الهيكل، مع أنه هو موضوع النجاة وبدونه لم يخلص بشر على الإطلاق، وكل الذبائح كانت رمزاً لذبيحته المانحة للحياة، ولم يكن هو محتاجاً إلى النجاة ولا إلى الخلاص، لأنه بلا خطية وحده وقدّم نفسه عن آخرين.

ألا يقف العقل حائراً أمام اتضاع السيد المسيح الذى تمم عنا كل بر..؟!

البعض يقدمون الذبائح فى الهيكل ويتباهون بها وبعظمتها وكبر حجمها..كلٌ بحسب غناه واقتداره.

أما السيد المسيح فقد قدّم ذبيحة بسيطة جداً، تماثل بساطة موضع مولده العجيب فى الحظيرة مع الخراف.

كانت أقل ذبيحة تقدم فى الهيكل من حيث مظهرها هى "يمامتين أو فرخى حمام" (لا١٢: ٨، انظر لو٢: ٢٤)، وهذا بالفعل قدّمه من جاء فقيراً ليغنينا بمجده الذى فاق كل أمجاد العالم الظاهرة. لأن المجد الحقيقى هو مجد الروح المتضع والقلب النقى الخاضع لمشيئة الآب السماوى.

٧. الهروب إلى مصر

كما رأى المجوس الذين جاءوا من المشرق السيد المسيح وقدموا له العبادة والقرابين والسجود، هكذا ذهب السيد المسيح بنفسه إلى أرض مصر حيث عاش سنوات ارتجفت فيها أوثان مصر، ومن المصريين من قدَّم له الضيافة

والعبادة والسجود. وتم تهيئة المجال لينتشر الإيمان بالمسيح فيما بعد بكرازة مار مرقس. ولكن السيد المسيح قد وضع بنفسه أساسات الكنيسة العتيدة فى مصر.

كانت السحابة **السريعة** هى مريم العذراء القديسة والدة الإله التى سبق أن قيل عنها بعد البشارة بميلاد المخلص "فقامت مريم فى تلك الأيام وذهبت **بسرعة** إلى الجبال إلى مدينة يهوذا ودخلت بيت زكريا وسلمت على أليصابات" (لو ١: ٣٩، ٤٠).

كانت العذراء مريم دائماً سريعة فى استجابتها لقيادة الروح القدس. وكانت هى المركبة المطوبة جداً أكثر من الشاروبيم والسرافيم.

لقد اختار السيد المسيح مصر ليحضر إليها بنفسه وليراه المصريون بأعينهم.. هناك حيث كان معقل العبادة الوثنية العريقة العاتية. وكان ذلك كله ليهز مملكة الشيطان ويمهد الطريق لانتشار المسيحية حتى تغنى إشعياء النبى وقال "مبارك شعبى مصر وعمل يدى أشور وميراثى إسرائيل" (إش١٩: ٢٥).

الرب فى مصر

جاء السيد المسيح إلى أرض مصر تحقيقاً للنبوات. فقد تم بذلك قول الكتاب "من مصر دعوت ابنى" (هو١١: ١، مت٢: ١٥). وكذلك نبوءة إشعياء النبى "هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه" (إش١٩: ١).

وقد أكّد القديس متى الإنجيلى أن النبوة التى وردت فى سفر هوشع (١١: ١) قد تحققت بمجيء السيد المسيح إلى مصر إذ قال إن "ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلاً: قم وخذ الصبى وأمه واهرب إلى مصر، وكن هناك حتى أقول لك. لأن هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه. فقام وأخذ الصبى وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر. وكان هناك إلى وفاة هيرودس. لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل: من مصر دعوت ابنى" (مت٢: ١٣-١٥).

إن مجيء الرب يسوع المسيح إلى مصر قد هز العبادة الوثنية الجبارة التى عاشت فى مصر آلافاً من السنين، ولم يكن من السهل إطلاقاً اقتلاعها من حياة المصريين. كانت الحضارة المصرية عميقة جداً فى جذورها وتعانقت هذه الحضارة مع عبادة ذات فلسفة قوية تداخلت معها الفلسفة الهللينية، بداية من عصر الإسكندر الأكبر وفى عصور البطالمة، وكذلك الفلسفة الرومانية فى العصر الرومانى. وتكوّنت بذلك مجموعات عجيبة من الآلهة المصرية واليونانية والرومانية جعلت من أرض مصر مرتعاً للعبادة الوثنية فى أقوى معانيها. وهكذا ارتجفت أوثان مصر من وجه الرب لأن "كل آلهة الأمم شياطين" (مز٩٥: ٥).

مذبح للرب فى مصر

من بعد إقامة الهيكل فى أورشليم لم يكن مُصَرّحاً حسب شريعة العهد القديم بتقديم ذبائح خارج الهيكل. فالعبادة التى أمر بها الرب موسى فى خيمة الاجتماع الراحلة فى البرية قد استقرت فى وضعها الثابت حينما بُنى الهيكل

ووُضع فيه تابوت العهد وباقى محتويات خيمة الاجتماع. والعجيب أن إشعياء النبى قد تنبأ عن مذبح للرب فى وسط أرض مصر فى وقت لم يكن مسموحاً لبنى إسرائيل أن يقيموا مذبحاً مثل ذلك خارج أورشليم. ومازال اليهود يقرأون سفر إشعياء النبى إلى يومنا هذا ويعترفون به كأحد أسفار الكتاب المقدس الموحى بها من الله، ولكن للأسف لا يفهمون معنى هذه النبوة التى صارت حقيقة فى العهد الجديد بعد إتمام الفداء فى أورشليم وانتشار المسيحية فى أرجاء المسكونة ووصول المسيحية إلى مصر.

وقد أكتُشِفَت نسختان كاملتان من سفر إشعياء فى حفريات البحر الميت بوادى قمران داخل أوانى من الفخار، ويرجع تاريخها إلى القرن الثانى قبل الميلاد. وهذه المخطوطات موجودة حالياً فى الجامعة العبرية عند اليهود ووجدت مطابقة للنص العبرى المتداول لسفر إشعياء.

والآن لنتابع ما ورد فى هذه النبوة العجيبة الواردة فى سفر إشعياء:

"وحي من جهة مصر: هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر، فترتجف أوثان مصر من وجهه، ويذوب قلب مصر داخلها.. فى ذلك اليوم يكون فى أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان وتحلف لرب الجنود، يُقال لإحداها مدينة الشمس (هليوبوليس). فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر، وعمود للرب عند تخمها. فيكون علامة وشهادة لرب الجنود فى أرض مصر.. فيُعرف الرب فى مصر، ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم، **ويقدمون ذبيحة وتقدمة**، وينذرون للرب نذراً ويوفون به" (إش١٩: ١، ١٨-٢١).

والعجيب فى نبوة إشعياء أنه لم يقل إن المصريين يقدمون ذبائح للرب عندما يعرفونه بل "يقدمون ذبيحة وتقدمة" وذلك لأن المسيحيين فى العهد الجديد لا يقدمون ذبائح عديدة ومتكررة مثلما كان يحدث مع شعب إسرائيل فى العهد القديم، بل يقدمون ذبيحة وصعيدة أى تقدمة واحدة هى ذبيحة الشكر فى القداس الإلهى التى هى نفسها ذبيحة صليب ربنا يسوع المسيح بجسده ودمه الأقدسين. وذبيحة الشكر (الإفخارستيا) هذه هى ليست تكرارًا لذبيحة الصليب، بل امتدادًا أو استعلانًا لها فى سر الشكر تحت أعراض الخبز والخمر. لذلك دُعى السيد المسيح رئيس كهنة على طقس (نظام) ملكى صادق الذى قدّم قرباناً من الخبز والخمر عندما بارك إبراهيم (انظر تك١٤: ١٨-٢٠).

بالنسبة لليهود يجب أن يسألوا أنفسهم السؤال التالى: كيف يمكن أن يوجد مذبح للرب فى وسط أرض مصر؟ وكيف تقدم عليه ذبيحة وتقدمة؟

إن اليهود قد مضى عليهم قرابة ألفى عام منذ هدم الهيكل فى أورشليم وهم لا يقدمون ذبائح على الإطلاق. بينما تقدم ذبيحة الخلاص الحقيقية فى مصر وفى كل مكان انتشرت فيه المسيحية والإيمان المسيحى المستقيم.

ألا يدعو هذا الأمر اليهود إلى مراجعة النفس وكيف هُدم الهيكل حسب قول السيد المسيح لهم "هوذا بيتكم يترك لكم خراباً" (لو١٣: ٣٥)؟ وكيف صارت الذبيحة تقدم فى مصر حسب نبوة الكتاب. بل كيف وصل الأمر أن

يقول الرب فى نفس الموضع من السفر "بها يبارك رب الجنود قائلاً: مبارك شعبى مصر" (إش١٩: ٢٥). فلماذا يحاول اليهود بناء الهيكل القديم؟

إن اليهود يعتقدون أنهم هم شعب الله. أفلا يسألون أنفسهم عن معنى هذه العبارة "**شعبى مصر**"؟ كيف صار فى مصر شعب لله يفرح به قلبه ويبارك به؟ مصر التى كانت ترزح تحت نير الوثنية الرهيبة كيف صارت محبوبة ويُعرف الرب فيها "ويعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم، ويقدمون ذبيحة وتقدمة، وينذرون للرب نذراً ويوفون به" (إش١٩: ٢١).

أما عن عبارة "وسط أرض مصر" الواردة فى النبوة فهى تشير إلى انتشار المسيحية فى مصر كلها، كما أنها تشير إلى مذبح كنيسة العذراء الأثرية بالدير المحرق حيث جلس السيد المسيح ووعد أمه العذراء مريم بأن يصير هذا الحجر الكبير مذبحاً له على اسمها، وكنيسة مباركة.

كذلك فقد أوردت النبوة عبارة "عمود للرب عند تخمها". وهذا العمود هو عمود مار مرقس الرسول عند تخوم مصر الشمالية فى الإسكندرية. العمود الحقيقى الذى بدأ مع مار مرقس واستمر إلى يومنا هذا عبوراً بالقديس أثناسيوس الرسول والقديس كيرلس عامود الدين.

٨ . مصر وأشور

كما اهتم الرب بتهيئة الأوضاع لنشر الكرازة بالإنجيل فى الإمبراطورية الرومانية وباللغة اليونانية التى انتشرت منذ فتوحات الاسكندر الأكبر. كما شرح لنا قداسة البابا شنودة الثالث([٢]).

هكذا اهتم أيضاً بحضارتين رئيسيتين من العالم القديم هما **الحضارة الأشورية والحضارة المصرية.**

وكانت الحضارة والديانات الأشورية فى مملكة بابل ومن بعدها مملكة مادى وفارس لا تقل فى ثقلها عن حضارة وقوة الديانات فى مصر القديمة الفرعونية.

كان السيد المسيح قد جاء إلى العالم، ليخلص العالم كله من ظلمات العبادة الوثنية التى استطاع الشيطان أن ينشرها فى أجزاء كبيرة من العالم. ولهذا اهتم بالشعوب الأممية كما اهتم بشعب إسرائيل.

على الصليب كان مكتوباً عنوان علّته فوق رأسه بأحرف عبرية ويونانية ولاتينية. وهى أهم اللغات التى سادت فى منطقة الشرق الأوسط والإمبراطورية الرومانية. لتأكيد أن السيد المسيح قد صلب فداءً عن الجميع.

ومنذ البداية ارتبط ميلاد السيد المسيح بسجلات الدولة الرومانية إذ صدر أمر من أوغسطس قيصر فى روما بأن يكتتب كل المسكونة. وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والى سورية. فذهب يوسف خطيب العذراء مريم إلى بيت لحم وهى مدينة داود ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حُبلى لكونهما من بيت داود وعشيرته

---

[٢]) مجلة الكرازة فبراير ١٩٩٦ (العدد ٣، ٤صفحة ٤).

وفيما هما هناك تمت أيامها لتلد (انظر لو٢: ١-٦). وتم تسجيل المولود الجديد فى سجلات الدولة الرومانية بناءً على الأمر الذى أصدره أوغسطس قيصر. وثبت رسمياً أن يسوع الناصرى قد ولد فى بيت لحم اليهودية.

أما كتابة غالبية أسفار العهد الجديد فقد كانت باللغة اليونانية الغنية بتعبيراتها اللاهوتية العميقة. والتى كتب بها أيضاً أعظم لاهوتى الكنيسة فى القرون الأولى للمسيحية أمثال القديسين أثناسيوس وكيرلس وساويرس.

وكما شرح لنا **قداسة البابا شنودة الثالث -أطال الله حياته-** فقد دبر الرب ترجمة أسفار العهد القديم من اللغة العبرية التى لم تكن منتشرة فى العالم إلى اللغة اليونانية وذلك بأمر بطليموس فيلادلفوس، البطليموس الثانى من خلفاء الاسكندر الأكبر فى مدينة الاسكندرية بالترجمة التى عرفت باسم الترجمة السبعينية. وساعدت فى إعداد الفكر اليونانى لقبول ما فى العهد القديم من تمهيد لميلاد السيد المسيح.

وكما اهتم الرب بالعالم الحديث فى وقت ميلاده -أى الرومان واليونانيين- كذلك اهتم بالعالم القديم أى الأشوريين والمصريين.

وقد وردت نبوة عن ذلك فى سفر إشعياء فى الأصحاح ١٩ هذا نصها:

"فى ذلك اليوم تكون سكّة من مصر إلى أشور.. ويعبد المصريون مع الأشوريين. فى ذلك اليوم يكون إسرائيل ثلثاً لمصر ولأشور بركةً فى الأرض. بها يبارك رب الجنود قائلاً: مبارك شعبى مصر وعمل يدىَّ أشور وميراثى إسرائيل" (أش١٩: ٢٣-٢٥).

وقد تحقق قول إشعياء النبى "تكون سكة من مصر إلى أشور.. ويعبد المصريون مع الأشوريين" أولاً حينما انتشرت المسيحية فى بلاد مصر وأشور، وبعد ذلك توثقت العلاقة بين كنيسة الإسكندرية وكنيسة أنطاكيا السريانية الأرثوذكسية.

٩ . العلاقة مع أشور

دبر الرب فى مرحلة السبى أن يتعرف ملوك بابل ومادى وفارس على أنبياء الرب أمثال دانيال النبى الذى حكى وفسّر لنبوخذ نصر الملك حلمه المختص بالممالك التى سوف تتعاقب إلى مجيء السيد المسيح. وكان حلم الملك أن تمثالاً عظيماً بهياً جداً وهائلاً، رأسه من ذهب جيد. صدره وذراعاه من فضة. بطنه وفخذاه من نحاس، وساقاه من حديد. وقدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف. وبينما كان ينظر الملك قُطع حجر بغير يدين وضَرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً وصارت كعصافة البيدر فى الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلاً كبيراً وملأ الأرض كلها (انظر دا ٢: ٣١-٣٦).

وقد أطلق نبوخذ نصر على دانيال النبى اسم "**بلطشاصر**" (دا٤: ٨) وعيّنه **كبيراً للمجوس** (انظر دا ٤: ٩) فى المملكة وظل يشغل هذا المنصب أيضاً فى مملكة مادى وفارس التى جاءت بعد مملكة بابل.

كان الحجر الذى صار جبلاً كبيراً هو رمز للسيد المسيح الذى ولد بغير زرع بشر وهو ملك الملوك ورب الأرباب. وكان التمثال يرمز إلى الممالك المتعاقبة من مملكة بابل إلى مملكة مادى وفارس ثم ملك الاسكندر الأكبر وما أعقبه من ممالك أربعة والإمبراطورية الرومانية التى جاء بعدها المُلك الروحى الإلهى للسيد المسيح الذى فاق كل عظمة ممالك الأرض.

وبناءً على حلم الملك نبوخذ نصر وتفسيرات ونبوات دانيال، جاء المجوس من المشرق ليسجدوا للملك المسيح ويقدموا عبادتهم وقرابينهم. وبهذا وضع السيد المسيح فى بلاد المشرق أساس الإيمان بملكوته السمائى. وحينما بدأت الكرازة بالإنجيل فى تلك البلاد كان الأساس موجوداً فى واحدة من أقدم الحضارات الوثنية وأعتاها.

١٠ . نشأة السيد المسيح

كما كان السيد المسيح عجيباً فى ميلاده، هكذا أيضا كان عجيباً فى نشأته وباقى أمور حياته وخدمته.

فقد هرب من وجه هيرودس الملك الذى أراد أن يقتله. وذهب السيد المسيح متغرباً فى أرض مصر وتباركت مصر بحضوره إليها. وارتجت أوثان مصر وذاب قلب مصر داخلها (انظر إش١٩).

كان من الممكن أن يصطدم السيد المسيح بهيرودس الملك، لأن المسيح أقوى منه بكثير، **ولكن فى إخلائه لذاته، فضل أن يهرب – مع ما فى الهروب من مظاهر الضعف وعدم المواجهة – لأن السيد المسيح لم يكن منشغلاً بمظاهر القوة والعظمة الخارجية، بل بتحقيق الانتصار غير المنظور ضد مملكة الظلمة الروحية، فأظهر بالضعف ما هو أقوى من القوة.**

وبعد مذبحة أطفال بيت لحم بدا للناس وكأن السيد المسيح الذى رأى المجوس نجمه، قد ذُبح وانتهى أمره. **وبهذا قَبِلَ السيد المسيح أن يصير مذبوحاً فى نظر الناس، وكأنه غير موجود، وهو الحامل لكل الوجود، والذى به "تحيا ونتحرك ونوجد" (أع١٧: ٢٨). قَبِل المسيح هزيمة مؤقتة أمام هيرودس، فى نظر الناس.**

فمن الواضح أن مذبحة الأطفال وهروب السيد المسيح إلى أرض مصر قد صنعا معاً فاصلاً بين ميلاده ونشأته فى الناصرة، حتى ظن اليهود فيما بعد أن السيد المسيح من الجليل. وقالوا مستنكرين "**ألعل المسيح من الجليل يأتى. ألم يقل الكتاب إنه من نسل داود ومن بيت لحم القرية التى كان داود فيها يأتى المسيح؟**" **(يو٧: ٤١، ٤٢)**. وحتى نثنائيل الذى دعاه السيد المسيح، قال فى البداية "أمن الناصرة يمكن أن يكون شئ صالح ؟!" (يو١: ٤٦).

ولكن حينما كُتب الإنجيل فيما بعد اتضح أن السيد المسيح لم يكن من الجليل ولا من الناصرة فى ميلاده، بل من بيت لحم اليهودية مدينة داود الملك حسب الكتب المقدسة.

وأعطى القديس لوقا الدليل القاطع الذى يستطيع أن يرجع إليه كل إنسان فى ذلك الزمان الذى كتب فيه إنجيله، بأن ذكر أن السيد المسيح قد تسجّل ضمن الاكتتاب الأول الذى أمر به أوغسطس قيصر.. إذ أمر بأن تكتتب كل المسكونة "**وهذا الاكتتاب الأول جرى إذ كان كيرينيوس والى سورية**" (لو٢: ٢)، مشيراً فى أى سجلات المواليد ينبغى أن يبحث الإنسان عن زمان ومكان ونسب السيد المسيح.

قيل عن السيد المسيح أنه "كان يتقدم فى الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس" (لو٢: ٥٢). وأيضا "**كان الصبى ينمو ويتقوى بالروح ممتلئاً حكمة وكانت نعمة الله عليه" (لو٢: ٤٠).**

أخلى السيد المسيح ذاته آخذاً صورة عبد "وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه" (فى٢: ٨). ولذلك قَبِل أن يوجد فى صورة طفل رضيع تحمله السيدة العذراء بين ذراعيها وتمنحه الغذاء حينما أرضعته من لبنها. وقَبِل أن ينمو قليلاً قليلاً بشبه البشر وأن يتعلم المشى والكلام وهو المذخر فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة والعلم، وهو اللوغوس (الكلمة).

خضع السيد المسيح لنواميس الطبيعة بلا خطية وخضع لقواعد الحياة ونواميسها. **فكان خاضعاً لأبويه (أى العذراء وخطيبها يوسف)، مطيعاً لهما (انظر لو٢: ٥١)**. وبهذا أكمل الوصايا الإلهية بما فى ذلك وصية "أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض" (خر٢٠: ١٢) "التى هى أول وصية بوعد" (أف٦: ٢).

لم يقدّم السيد المسيح فى تجسده خضوعاً للآب السماوى فقط، بل وضع نفسه وأطاع من أوصى الرب بطاعتهم من البشر. مقدماً المثل الأعلى فى التواضع وإنكار الذات.

وبالرغم من أن السيد المسيح هو قدوس القديسين، وهو رئيس كهنة الخيرات العتيدة، وهو رئيس الخلاص، وهو رئيس السلام، وهو راعى الخراف العظيم، وهو ملك الملوك ورب الأرباب، وهو مشتهى الأجيال، وهو خلاص الله الذى أعده قدام كل شعوب الأرض. إلا أنه لم يبدأ خدمته الخلاصية المبشرة بالإنجيل وباقتراب ملكوت الله إلا بعد بلوغه سن الثلاثين.

فى تلك السن مسح الآب السيد المسيح بالروح القدس فى نهر الأردن ليُستعلَن السيد المسيح كخادم للخلاص وككاهن مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق.

كان أبناء هرون لا يبدأون فى ممارسة خدمتهم الكهنوتية فى خيمة الاجتماع حسب الشريعة إلا بعد بلوغهم سن الثلاثين. وهكذا فعل أيضاً السيد المسيح.

إن العقل يقف حائراً أمام **هذه الأعوام الثلاثين التى قضاها السيد المسيح بدون خدمة رسمية، بل اقتصرت خدمته على حياته وقدوته الحسنة ومعاملاته الطيبة. وتمتعت السيدة العذراء بعشرة طويلة مع ابنها الوحيد يسوع المسيح القدوس الذى "فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً" (كو٢: ٩).**

من يستطيع أن يحكى عن حلاوة تلك الأيام والشهور والسنين الطويلة؟! وأى قلب بين البشر أحب السيد المسيح مثل قلب العذراء القديسة التى حملته فى بطنها، كما حملته فى قلبها وعقلها ووجدانها؟! ويكفى أنها كانت تراه فى كل يوم وكل ساعة ملء العين والقلب والفكر على مدى ثلاثين عاماً.

كان يعمل نجاراً، يستجيب لمطالب الناس ويعمل فى الخير ما يرضيهم.

كم من البيوت امتلأت من فنه وعمل يديه؟! وهو الذى "قاس السماوات بالشبر" (إش٤٠: ١٢) والمسكونة هى عمل يديه..

ما أعجب اتضاعك أيها السيد النجار؟!.. فى صمتك، فى هدوئك، فى وداعتك وأنت تعمل من أجل بناء الإنسان وأنت المهندس الأعظم..

الباب الثالث

السيد المسيح فى عماده ومسحه بالروح القدس

١. عماد السيد المسيح
٢. قد رأيت الروح
٣. لماذا سُرَّ الآب بابنه الحبيب؟
٤. ما بين الظهور والتجسد
٥. عيد الظهور الإلهى

١. عماد السيد المسيح

قبل أن يبدأ السيد المسيح خدمته التبشيرية بملكوت الله ذهب ليعتمد من يوحنا المعمدان فى نهر الأردن. كان الشعب يذهبون ليعتمدوا بمعمودية التوبة لغفران الخطايا فى نهر الأردن، وذهب معهم السيد المسيح فى اتضاع عجيب، ضمن جموع التائبين الذين يغتسلون بالماء من خطاياهم، مع أنه لم يفعل أية خطية.

(هنا ونشير إلى حقيقة أن الغفران بذبائح العهد القديم أو بمعمودية يوحنا غفراناً ينتظر ذبيحة صليب السيد المسيح وفاعليتها، إذ لم ينتقل البشر من الموت إلى الحياة، ومن الجحيم إلى الفردوس إلا بعد إتمام الفداء على الصليب).

ذهب مخلص العالم البار القدوس الذى بلا خطية وحده، ليُحسب (فى نظر الناس) مع الخطاة والتائبين الذين يغتسلون من خطاياهم، مثلما قيل عنه "وأحصى مع أثمة" (إش٥٣: ١٢).

حقاً يا رب لقد حملت خطايانا، وقبلت ذلك بكل اتضاع لكى نحمل نحن الخطاة صورة برك وقداستك وكمالك.

إن العقل يتساءل: ما الذى فكرتْ فيه تلك الجموع، حينما أبصرتْ السيد المسيح آتياً إلى معمودية التوبة من يوحنا ؟!.. ذلك المشهد العجيب الذى تحيّرت أمامه أفهام الملائكة العلوية.

حاول يوحنا أن يمنع السيد المسيح من ذلك وقال له: "أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلىّ؟!" (مت٣: ١٤). ولكن السيد المسيح أجابه فى اتضاع عجيب بعيد عن كل مظاهر العظمة والافتخار: "اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر" (مت٣: ١٥)، "حينئذ سمح له (يوحنا)" (مت٣: ١٥).

لقد دار ذلك الحديث بينهما ولم يسمعه غالبية الجمع، ولكن ما أبصرته الجموع هو ذلك الحمل الوديع وهو يضع نفسه أمام الآب فى طاعة عميقة صامتة، حاملاً صورة الإنسان الذى أخطأ وجاء لكى يطلب الاغتسال والمغفرة.. ونزل السيد المسيح إلى الماء، واعتمد من يوحنا الكاهن.

وهنا لم يكن ممكناً للسماء أن تصمت أكثر من ذلك، فللوقت وهو صاعد من الماء "وإذا السماوات قد انفتحت له.. وصوت من السماوات قائلاً: هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت" (مت٣: ١٦، ١٧).

وقف يوحنا المعمدان ليرى بعينيه الروح القدس آتياً من السماء التى انشقت ومستقراً على رأس السيد المسيح، وليسمع بأذنيه صوت الآب السماوى وهو يشهد لابنه الوحيد الذى تجسد، بأنه هو فتاه الذى اختاره وحبيبه الذى سُرَّت به نفسه (انظر مت١٢: ١٨). ومنذ ذلك اليوم فصاعداً صار يوحنا يشهد للسيد المسيح ويرشد الناس إليه..

حقا قال الآباء: [إن من يسعى وراء الكرامة تهرب منه، ومن يهرب منها تسعى خلفه وترشد جميع الناس إليه].

٢ . قد رأيت الروح

قال يوحنا المعمدان: "إنى قد رأيت الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه. وأنا لم أكن أعرفه لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء، ذاك قال لى **الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمّد بالروح القدس.** وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله" (يو١: ٣٢-٣٤).

كانت هذه هى العلامة التى أعطاها الله لنبيه يوحنا، أن الذى يرى الروح أثناء عماده نازلاً من السماء ومستقراً عليه، فهذا هو المسيح ابن الله، حمل الله الذى يحمل خطية العالم ليخلّصه.

وقد حل الروح القدس وظهر "بهيئة جسمية مثل حمامة" (لو٣: ٢٢) إذ "السماوات قد انشقت" (مر١: ١٠) ونزل الروح القدس واستقر على رأس السيد المسيح (انظر يو١: ٣٢). كان المنظر مبهراً وجميلاً جداً؛ فالسماوات التى انفتحت قد جاء منها الروح القدس، وصوت الآب قائلاً: "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت" (مت٣: ١٧).

ولاشك أن يوحنا قد انبهر وفرح بهذا المشهد العجيب، مع صوت الآب وتسابيح الملائكة، والمناظر السمائية حينما انفتحت السماء. مشهد لا يقل بالطبع روعة عن حلم الأب يعقوب حينما أبصر السلم المنصوب على الأرض ورأسه يمس السماء، والملائكة صاعدة ونازلة عليه، والرب واقف عليه بمنظر مخوف يتكلم مع يعقوب.

كان سلم يعقوب إشارة إلى التجسد الإلهى، وإشارة إلى انفتاح السماوات على الأرض. وها هو يوحنا يبصر بعينيه، ليس فى منام، بل فى يقظة، السماوات مفتوحة بكل ما فيها من أمجاد روحانية لتعلن أن الصاعد من مياه الأردن هو **الابن الحبيب الذى سُرّ به قلب الآب**، والذى عليه يكون رجاء الأمم والشعوب.

٣ . لماذا سُرَّ الآب بابنه الحبيب؟

من المفهوم طبعاً أن الابن فى تجسده كان موضوعاً لسرور الآب نظراً لقداسته المطلقة وطاعته الكاملة. لهذا قال السيد المسيح: "الذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى الآب وحدى **لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه**" (يو٨: ٢٩).

وفى مناجاته مع الآب السماوى فى ليلة صلبه وآلامه قال له: "**أنا مجّدتك على الأرض. العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته.. أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم.. وعرّفتهم اسمك وسأعرّفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم**" (يو١٧: ٤، ٦، ٢٦).

لاشك أن السيد المسيح قد أرضى قلب الآب بتقديم مثال الإنسان الكامل الذى تمم كل رغبات الآب وأطاع حتى الموت موت الصليب.

ولكن هناك بُعداً آخراً لسرور الآب من نحو ابنه الوحيد الجنس المولود منه قبل كل الدهور وقبل خلق الملائكة والبشر وكل ما فى العالم من موجودات. وذلك لأن الابن فى ولادته الروحية الأزلية من الآب قد حمل فى أقنومه الخاص كل الصفات الإلهية التى للآب مثل الحق والحكمة والصلاح والقداسة والحب والقدرة على كل شئ والعدل والقوة.. ولأن المحبة هى من صفات الجوهر الإلهى؛ فينبغى أن تمارَس بين الأقانيم الثلاثة قبل كل الدهور لهذا قال السيد المسيح للآب: "لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم" (يو١٧: ٢٤).

فالابن –والحال هكذا– هو موضوع لحب الآب ولمسرته.. لأن الآب يرى فى الابن كل الكمالات الإلهية التى يحبها.

وقد يسأل سائل كيف يستطيع الآب أن يرى الابن بينما نعلم أن الابن هو فى الآب حسب قوله لتلاميذه: "صدقونى أنى فى الآب والآب فىّ" (يو١٤: ١١)؟

ونجيب على ذلك بأن الرؤية الإلهية لا تخضع للمقاييس المادية. وعلى سبيل المثال: فإن الفكر يولد من العقل فى العقل ومع ذلك فإن العقل يستطيع أن يرى الفكر المولود منه وفيه. ويعجب به مثلما يقول قائل عن فكرة أعجبته [أنا أرى أن هذه الفكرة جميلة] أو عن فكر صائب [أنا أرى أن هذا الفكر سليم]. فالعقل يرى الفكر ومن الممكن أن يحبه ويعجب به. فكم بالأولى يكون الحال بين الآب الوالد للابن، والابن الكلمة المولود منه الذى هو العقل الإلهى منطوق به؟!!.

إن الابن هو موضوع سرور الآب منذ الأزل أى قبل كل الدهور وهو موضوع فرحُه الدائم. وكل ما يمكن أن يُسر قلب الآب بالنسبة للخليقة هو من خلال مسرته بالابن.

لهذا قال معلمنا بولس الرسول فى رسالته إلى أهل أفسس إن الآب قد باركنا فى المسيح واختارنا قبل تأسيس العالم فى المسيح فكتب يقول: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة. إذ سبق فعيّننا للتبنّى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب" (أف١: ٣-٦).

لقد بارك الله الآب قديسيه فى المسيح لأنهم صاروا أعضاء فى جسده أى الكنيسة، واختارهم فى المسيح لأنهم باغتسالهم بدمه قد نالوا سلطاناً أن يصيروا أولاد الله. لهذا قال: "إذ سبق فعيّننا للتبنّى بيسوع المسيح.. الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا" (أف١: ٥، ٧).

وقد كتب القديس أثناسيوس الرسولى يقول: {الآب يفعل كل شئ من خلال الكلمة (أى الابن) فى الروح القدس} (الرسالة الأولى إلى سرابيون). وهذا ما يؤكده قول معلمنا بولس الرسول: "مخلصنا الله.. بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا" (تى٣: ٤-٦). وأيضاً قوله عن قدومنا إلى الآب بالابن فى الروح القدس "المسيح يسوع.. به لنا كِلَينا قدوماً فى روح واحد إلى الآب" (أف٢: ١٣، ١٨).

إن الله لم يبارك قديسيه ويختَرهم فقط فى المسيح، بل أكثر من ذلك أنهم قد خلقوا به وله. كقول معلمنا بولس الرسول فى رسالته إلى أهل كولوسى عن الابن: "الذى هو صورة الله غير المنظور بكر كل خليقة. فإنه فيه خُلِقَ الكل ما فى السماوات وما على الأرض ما يُرى وما لا يُرى سواء كان عروشاً أم سيادات أم رياسات أم سلاطين. الكل به وله قد خُلق. الذى هو قبل كل شئ وفيه يقوم الكل وهو رأس الجسد الكنيسة" (كو١: ١٥-١٨).

إن الخليقة قد خلقت من أجل الابن.. ليس فقط كل شئ به كان، بل كل شئ لأجله أيضاً كان. أليست الخليقة هى نتيجة الحكمة الإلهية والابن هو الملقّب "حكمة الله" (١كو١: ٢٤)؟!.

٤ . ما بين الظهور والتجسد

لم يكن ظهور الروح بهيئة جسمية مثل حمامة معناه أن الروح القدس قد تجسّد.. لأن الروح القدس لا يتجسد مثلما تجسد كلمة الله. **بل إن الظهور شئ، والتجسد شئ آخر. فالمسيح كلمة الله قد ظهر مرارًا فى العهد القديم دون أن يكون ذلك تجسداً على الإطلاق.**

وفى هذا المقام نذكر على سبيل المثال ظهور السيد المسيح مع ملاكين لإبراهيم عند بلوطات ممرا فى هيئة ثلاثة رجال. وتكلم إبراهيم معه ودعاه وأعطاه الرب الموعد بميلاد إسحق بعد عام من هذا الظهور. ثم سار إبراهيم مع السيد المسيح بينما ذهب الملاكان إلى سدوم وعمورة وتحدث الرب مع إبراهيم عما كان مزمعاً أن يفعله بالنسبة لشر سدوم وعمورة الذى كان قد تزايد جداً (تك١٨).

ونذكر أيضاً ظهور السيد المسيح ليعقوب أب الآباء عند مخاضة يبوق، إذ ظهر له فى هيئة إنسان، وصارعه إلى طلوع الفجر وباركه فى النهاية وأعطاه اسماً جديداً ودعا يعقوب اسم ذلك المكان فنيئيل قائلاً: **"لأنى نظرت الله وجهاً لوجه ونُجِّيت نفسى" (تك٣٢: ٣٠).**

لم تكن هذه الظهورات تجسداً على الإطلاق، بل ظهر السيد المسيح بهيئة جسمية مثل إنسان. ولكنه حينما حل فى بطن العذراء مريم، فقد أخذ طبيعة بشرية حقيقية كاملة بلا خطية وجعلها فى وحدة حقيقية تامة مع لاهوته بغير اختلاط ولا تغيير.

التجسد يعنى أن يأخذ الرب جسداً حقيقياً مساوياً لطبيعتنا فى الجوهر بلا خطية.. جسداً حقيقياً بروح عاقلة أى طبيعة بشرية كاملة. وهذا الجسد الإنسانى أو هذه الطبيعة البشرية لها كل خواص الطبيعة البشرية، بما فى ذلك القابلية للحزن وللألم وللجوع وللموت، وكذلك للفرح والراحة وما يشبه ذلك من أمور بشرية بلا خطية.

لهذا ينبغى أن نرى الفارق الواضح بين الظهور والتجسد.

ولم يكن مجيء ابن الله فى الجسد مجرد ظهور، ولكنه كان تجسداً بمعنى الكلمة، ولهذا قال الإنجيل: "**والكلمة صار جسداً وحل بيننا**" (يو١: ١٤). ولكن التجسد طبعاً يتضمن الظهور أيضاً كما هو مكتوب "**الله ظهر فى الجسد**" (١تى٣: ١٦). أما ظهور الروح القدس عند نهر الأردن فكان ظهوراً فريداً.. ظهر فيه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة، ليكون ذلك علامة فريدة على نزوله واستقراره على السيد المسيح إتماماً للنبوات، وإعلاناً لبدء عمله الكهنوتى النبوى الملوكى لخلاص البشرية.

فى هذه المناسبة الفريدة ظهر الثالوث القدوس بأجلى بيان.

٥. عيد الظهور الإلهى

صوت الآب من السماوات المفتوحة، والابن المتجسد صاعد من مياه الأردن، والروح القدس آتياً ومستقراً عليه مثل حمامة. لهذا تسمى الكنيسة هذا اليوم {يوم الظهور الإلهى (عيد الإبيفانيا)}.

وقد ظهر الروح القدس مرة أخرى فى يوم الخمسين على هيئة ألسنة منقسمة كأنها من نار، مقترناً بصوت كما من هبوب ريح عاصف وملأ كل البيت حيث كان التلاميذ مجتمعين (انظر أع٢: ١-٣).

كان منظر الألسنة التى تشبه منظر النار إشارة إلى عمل الروح القدس فى التطهير وفى محبة الله. وصار منظر كل واحد من التلاميذ كأنه مصباح أو شمعة متقدة بالنار لتنير للعالم من فوق المنارة.

كما إنه لم تكن مصادفة أن تبدأ خدمة السيد المسيح الخلاصية فى سن الثلاثين لأن هذا هو سن الكاهن حسب شريعة موسى فى بداية خدمته الكهنوتية (انظر عد٤: ٢٣، ٣٥) و (١ أى ٢٣: ٣). ولم تكن مصادفة أن يمسح السيد المسيح بالروح القدس من قِبل الآب السماوى عند عماده من يوحنا المعمدان. ولم تكن مصادفة أيضاً أن يستعلن الثالوث القدوس بهذه الصورة الواضحة فى بداية خدمة ومسح قدوس القدوسين.

لقد تجسد الله الكلمة لكى يعرفنا الثالوث

فباعتباره هو الابن الوحيد الجنس من الآب فقد أظهر لنا ذاته حينما تجسد. ولهذا قال معلمنا بولس الرسول: "وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد، تبرر فى الروح، تراءى لملائكة، كُرز به بين الأمم، أومن به فى العالم، رفع فى المجد" (١تى٣: ١٦).

أما عن الآب فقد خبّرنا عنه بكل الوسائل ولهذا قال فى مناجاته مع الآب قبل الصلب: "أنا مجدتك على الأرض.. أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى.. وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم" (يو١٧: ٤، ٦، ٢٦).

وبالنسبة للروح القدس فقد أفرد حديثاً طويلاً مع تلاميذه فى ليلة آلامه عن الروح القدس سجّله القديس يوحنا فى إنجيله ومن أمثلة ذلك قول السيد المسيح: "إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى. وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه **وأما أنتم فتعرفونه** لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" (يو١٤: ١٥-١٧) وقال أيضاً: "وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يو١٤: ٢٦). وكذلك قال: "ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء" (يو١٥: ٢٦، ٢٧).

وهكذا عبّر القديس غريغوريوس النازينزى فى قداسه العظيم قائلاً عن السيد المسيح: {الذى أظهر لنا نور الآب، الذى أنعم علينا بمعرفة الروح القدس الحقيقية}.

إن معرفة الآب والابن والروح القدس هى الوسيلة الحقيقية للوصول إلى الحياة الأبدية.

فعن معرفة الآب والابن قال السيد المسيح: "وهذه هى الحياة الأبدية أن **يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته**" (يو١٧: ٣).

وعن معرفة الروح القدس قال: "روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. **أما أنتم فتعرفونه** لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" (يو١٤: ١٧).

المعمودية والثالوث

ارتباط المعمودية بالثالوث واضح من أمرين:

الأمر الأول: هو إعلان الثالوث أثناء عماد السيد المسيح.

والأمر الثانى: هو قول السيد المسيح لتلاميذه قبيل صعوده إلى السماء: "فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت٢٨: ١٩). أى أن المعمودية تتم على اسم الثالوث القدوس لأنها مرتبطة بالإيمان بالثالوث القدوس الواحد فى الجوهر.

إن خدمة السيد المسيح قد بدأت بمسحه بالروح القدس وإعلان الثالوث. ثم وصلت إلى غايتها حينما صالح الآب مع البشرية بدم صليبه وأخذ موعد الآب بإرسال الروح القدس فى يوم الخمسين وبذلك دخلت الكنيسة إلى شركة الحياة مع الثالوث القدوس.

الباب الرابع

السيد المسيح فى صومه وخدمته

١. التجربة على الجبل والصوم الأربعين
٢. فى بداية خدمته
٣. فى صنعه المعجزات
٤. فى هروبه من الجموع ومحبته للاختلاء
٥. فى إخفائه لاهوته
٦. فى زهده فى المناصب
٧. فى رفضه للتعصب العرقى
٨. فى معاملاته مع الخطاة
٩. الحوار فى أسلوب السيد المسيح
١٠. حديث السيد المسيح مع نيقوديموس
١١. السيد المسيح ومواجهته لليهود
١٢. التعليم عن الاتضاع فى خدمة السيد المسيح
١٣. التعليم عن الوداعة وعدم مقاومة الشر فى خدمة السيد المسيح
١٤. التعليم عن العطاء فى خدمة السيد المسيح
١٥. تعليم السيد المسيح عن الإيمان فى مواجهة المحن والتجارب
١٦. تعليم السيد المسيح عن الجهاد الروحى
١٧. شهادة السيد المسيح للكتاب المقدس

١. التجربة على الجبل والصوم الأربعين

لم يبدأ السيد المسيح خدمته مباشرة بعد أن تعمد فى نهر الأردن، بل أقتيد "بالروح فى البرية أربعين يوماً يجرب من إبليس" (لو٤: ١، ٢).

بعد الإعلان السماوى العجيب حينما أتى صوت الآب من السماء المفتوحة "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت" (مت٣: ١٧)، والروح القدس الذى ظهر بهيئة جسمية مثل حمامة آتياً من السماء ومستقراً على رأسه؛ كان من

المتصور أن يبدأ السيد المسيح خدمة مجيدة قوية مؤيَّدة بالإعلان السماوى وروحه القدوس ولكن ما حدث هو العكس..

خرج يسوع بقوة الروح القدس إلى البرية أربعين يوماً فى القفر، ولم يأكل أو يشرب طوال هذه المدة، بل كان مع الوحوش وحيداً.. بعيداً عن الناس.. بعيداً عن إعجابهم ومديحهم وإطرائهم.. بلا مؤنس بلا تعزية من البشر.. لا أحد يخدمه أو يقدم له شيئاً من الراحة.

إن العقل يقف حائراً أمام هذا المشهد الغريب والعجيب: الابن الوحيد الأزلى للآب السماوى، كلمة الله الذى تخضع له كل الخليقة وهو الذى يحملها بقدرته الإلهية. حينما أخلى ذاته ووضع نفسه، وأقتيد بالروح فى البرية القفرة، إذ أنه تجسد فوجد فى الهيئة كإنسان وأطاع إلى المنتهى.. وسمح للشيطان أن يُجرِّبه.

كان اتضاع السيد المسيح هو سبب تجاسر الشيطان فى أن يتقدم ليجربه، لأنه حينما صام فى البرية صار فى حالة من الإعياء والتعب الشديد، إذ جاع جوعاً شديداً –من حيث إنه شابهنا فى كل شئ ماخلا الخطية وحدها– فلم يمنع عن جسده التعب والجوع.. ولهذا اعتقد الشيطان إنه من الممكن أن يُجرّب السيد المسيح كإنسان.

أمام هذا السر العجيب الذى لتجسد الكلمة، انحمق الشيطان وتقدم ليُجرِّب السيد المسيح فى جسارة عجيبة، انتهت بهزيمته فى البرية، تمهيداً للهزيمة الكبرى عند صليب الجلجثة.

كان السيد المسيح يريد أن يرسم لنا طريق الانتصار بالاتضاع ولهذا لم يبدأ خدمته بعد مجد الظهور الإلهى عند نهر الأردن وهو الظهور الذى أعلن سر الثالوث القدوس، ولكن بدأ خدمته فى ساحة التجربة فى البرية فى القفر.

حقاً "كل مجد ابنة الملك من داخل" (مز٤٤: ١٣)، فالمجد الداخلى لازم وضرورى لإثبات أصالة النفس البارة المقدسة. أما من يسعى وراء الأمجاد الخارجية ومديح الناس فإنه يكون عرضة للسقوط فى الكبرياء والمعصية.

البعض للأسف يبحثون فى خدمتهم عن مظاهر خلابة تجذب الناس وراءهم.. ويهتمون ويفرحون بالأمور الخارقة للطبيعة التى تبدو فى ظاهرها مؤيدة لإرساليتهم، ويسقطون فى خداعات الشياطين، لأن الشيطان يستطيع أن يغير شكله إلى شبه ملاك نور.

المسلك المتضع الهارب من المجد والمظاهر الخارجية، هو برهان صدق الإعلان السماوى وصدق المعجزات الخارقة.

ينبغى أن تُختبَر أصالة الخدمة فى ساحة الاتضاع وإنكار الذات أولاً، لأن الذهب النقى يختبر بالنار.

المحبة الحقيقية تُختبر بالألم، والخدمة السماوية تُختبر بالاتضاع وإنكار الذات وبالطاعة والمسكنة والخضوع.

هل هناك من هو أعظم مجداً من الابن الوحيد الذى هو "بهاء مجده ورسم أقنومه" (عب١: ٣).. ومع ذلك فإنه حينما تجسد وصار إنساناً مثلنا، قدّم لنا مثالاً فى خدمته الخلاصية بأن بدأها بالاتضاع. فما الذى يمكن أن يفعله الرب أكثر من ذلك ليحذرنا من غواية الشياطين فى خدمتنا؟.

إن الروح القدس هو الذى يستطيع أن يقود أفكارنا ونحن نفحص أصالة كل خدمة وبرهان تأييد السماء لها، لهذا يقول معلمنا يوحنا الرسول:

"**أيها الأحباء لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله**" (**١يو٤: ١**). "وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتى، قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون... منا خرجوا لكنهم لم يكونوا منا لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا، لكن ليظهروا أنهم ليسوا جميعهم منا. وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شئ" (١يو٢: ١٨-٢٠).

لماذا صام ؟

من المعلوم طبعاً أن السيد المسيح لم يكن محتاجاً إلى الصوم لتدريب جسده أو تقويمه لأنه هو الوحيد الذى بلا خطية بين البشر جميعاً. ومن المعلوم أن الصوم بالنسبة لنا يساعدنا على التحرر من رغبات الجسد وتغليب رغبات الروح، وعلى تدريب الإرادة على ضبط النفس أى قمع الجسد، كما أنه يساعد فى تذللنا أمام الله مثلما صام أهل نينوى من الكبير إلى الصغير ولبسوا مسوحاً وتضرعوا إلى الله بالتوبة فرحمهم الله ورفع غضبه عنهم. ولم يكن السيد المسيح شخصياً محتاجاً إلى أى شئ من هذه الأمور جميعاً.

نقول فى ألحان التوزيع فى الكنيسة فى الصوم الكبير {يسوع المسيح صام عنا أربعين يوماً وأربعين ليلة}، إذن فإن السيد المسيح قد صام **نيابة عنّا** وليس عن نفسه.

لم يكن السيد المسيح طبعاً محتاجاً للصوم ولا للتجربة على الجبل لأنه "**قدوس القدوسين**" (دا٩: ٢٤).. **لكنه صام** وسمح للشيطان أن يجرّبه لكى يعلّمنا.. أراد أن يرسم لنا طريق الجهاد والنصرة على الشيطان. وقال لتلاميذه إن "هذا الجنس (أى جنس الشيطان) لا يمكن أن يخرج بشئ إلا بالصلاة والصوم" (مر٩: ٢٩، انظر مت١٧: ٢١).

كما أنه أراد أن يعلّمنا أهمية الصلاة قبل البدء فى الخدمة، لذلك أراد أن يختلى وقتاً طويلاً فى مناجاة عميقة يعبّر فيها عن محبته للآب، ويطلب فيها من أجل نجاح مناداته بالتوبة والإيمان بالإنجيل فى قلوب سامعيه، حينما تبدأ خدمته بعد عودته من البرية.

صام ليسجل انتصارًا على الشيطان لحسابنا عندما سمح للشيطان أن يجربه. أى ليلقن الشيطان درساً من خلال طبيعتنا التى تباركت فيه أى باتخاذه إياها ليعبر بنا فيها من الهزيمة إلى النصرة، ومن الموت إلى الحياة. فكما أنه مات عنا ولم يكن مستوجباً الموت؛ ولهذا داس الموت بالموت؛ وقام منتصراً من الأموات. وكما كانت القيامة من الأموات أمراً حتمياً بانتصاره على الموت "إذ لم يكن ممكناً أن يمسك منه" (أع٢: ٢٤) هكذا كان انتصار السيد المسيح على الشيطان فى التجربة أمراً حتمياً، إذ لم يكن ممكناً أن ينهزم منه لأنه هو نفسه "قدوس القدوسين" (دا ٩: ٢٤).

وبذلك علّمنا أن الصوم والصلاة هما اللذان يخرجان الشياطين ويقهران سلطانهم اللعين.

وصام ليبارك الصوم وليبارك طبيعتنا بالصوم {باركت طبيعتى فيك، أكملت ناموسك عنى} (القداس الغريغورى).

باركت طبيعتى فيك

عندما تجسد ابن الله الكلمة ووجد فى الهيئة كإنسان، فإنه قد **بارك** الطفولة فى طفولته، و**بارك** سن الشباب فى شبابه، و**بارك** سن الرجولة فى رجولته.

عندما أكل **بارك** الطعام، وعندما صام **بارك** الصوم.

عندما نام **بارك** النوم، وعندما سهر الليل كله **بارك** السهر..

عندما حضر عرس قانا الجليل **بارك** الزواج، ولأنه ولد من عذراء فقد **بارك** البتولية..

عندما ولد فى حظيرة للخراف واضطجع فى المذود **بارك** الفقراء، وعندما تقبل هدايا المجوس **بارك** الأغنياء الأسخياء.

عندما عمل كنجار **بارك** العمل، وعندما تفرغ للخدمة **بارك** التكريس.

عندما مشى على الأرض، **بارك** الأرض. وعندما مشى على المياه **بارك** المياه..

عندما تكلّم **بارك** الكلام. وعندما صمت **بارك** الصمت..

قوة الصوم

لهذا فقد أعطى السيد المسيح بركة وقوة للصوم حينما صام. وفى الأربعين يوماً التى صامها أدخر لنا قوة النصرة فى حروب الشياطين بواسطة الصوم المقترن بالصلاة والتأمل والإيمان بالمسيح وأسرار الكنيسة.

الصوم يسبق المعمودية المقدسة، ويسبق التناول من جسد الرب ودمه، ويسبق مسحة الميرون، ويسبق سيامة الكهنة وخدمة الكهنوت، ويسبق سر مسحة المرضى الذى تكثر الكنيسة من ممارسته فى الصوم المقدس وفى يوم جمعة ختام الصوم.

ما أجمل التناول من الأسرار المقدسة بعد الصوم، حيث يقدّم الإنسان جسده كذبيحة فى الصوم على مثال ذبح إسحق. ثم يتناول من الحمل المذبوح عوضاً عن إسحق، ليعود إسحق حياً بإيمان القيامة.

الصوم الكبير

فى الصوم الكبير المقدس تُذكِّرنا الكنيسة بأهمية التوبة. ويقترن الصوم بالتوبة وممارسة سر الاعتراف. وتخصص الكنيسة أسابيعَ من الصوم المقدس تدور قراءاتها حول التوبة وأهميتها مثل أحد السامرية وأحد الابن الضال وأحد المخلّع.

وفى مدائح الصوم الكبير نسمع كثيراً فى الكنيسة عن التوبة:

تُب يا إنسان عن جهلك وارجـع إلى الله وتقدّم

عسى بـالله تبلـغ أملك واترك خطايـاك وتندَّم

ضيّعت زمـانك وأفنيته كنزك فى التراب أخفيته

ومصباحك من عدم زيته طفى وبقيت فى الظلمات

وتتحدث هذه المدائح عن أهمية ممارسة الرحمة لينال الإنسان رحمة من عند الرب فيأتى القرار:

طوبى للرحما على المسـاكين فإن الرحمة تحل عليهم

والمسيح يرحمهم فى يوم الدين ويحل بروح قدسه فيهم

إن الصوم بالنسبة لنا يستمد قوته وفاعليته من صوم السيد المسيح، والنصرة الروحية فى الصوم تأتى من رصيد النصرة الذى حققه لنا مخلصنا الصالح الذى صام عنا أربعين يوماً وأربعين ليلة.

وبهذا الإيمان نبدأ رحلة الصوم والعبادة الروحية فيه بقوة الروح القدس.

فى البرية

ربما يتساءل البعض عن ارتباط الرهبنة بالبرية.. وها نحن نرى السيد المسيح وهو يرسم طريقاً واضحاً للجهاد النسكى فى ارتباطه بالبرية.

فبعد عماده فى نهر الأردن أُقتيد "بالروح فى البرية أربعين يوماً يجرب من إبليس" (لو٤: ١، ٢).

لم يأكل السيد المسيح، ولم يشرب شيئاً فى تلك الأيام.. وارتبط الصوم بالبعد عن المشاغل الموجودة فى العالم بما فى ذلك الانشغال بخدمة الآخرين بصورة مباشرة.

كان الوقت مخصصاً للتأمل والصلاة مع الصوم.. هكذا نرى الصوم فى أبهى صوره حسب قول الكتاب "قدسوا صوماً. نادوا باعتكاف" (يؤ٢: ١٥).

الصوم مع الاعتكاف هو صوم لجميع الحواس الجسدية.. ليس فقط حاسة التذوق، بل أيضاً حاسة السمع، وحاسة النظر، وحاسة اللمس، وحاسة الشم.

فى البرية تتفرغ الحواس جميعاً للعمل الروحى..

بالنسبة لنا نحن نحتاج إلى صوم الحواس.. وكما قال أحد الآباء [إن مجرد نظر القفر، يبطل فى النفس الحركات العالمية]. وقد أراد السيد المسيح أن يجتذبنا نحو القفر حينما نتبع مسيرته فى البرية أربعين يوماً فى جهاد من أجلنا. نحن نحتاج إلى القفر.. بل يجب أن يعيش القفر فى قلوبنا خاصة أثناء الصوم.

وفى القفر نردد على وزن منظومة قداسة البابا شنودة الثالث عن الوطن [إن القفر ليس قفراً نعيش فيه، بل هو قفر يعيش فينا].. هذا هو حال القلب الزاهد فى الأمور الدنيوية.. وبالقفر نعيش الفقر الاختيارى.. أو بالفقر نعيش القفر متحرراً من محبة العالم وكل ما فيه.

قضى السيد المسيح أربعين يوماً فى القفر لكى يدخل القفر إلى قلوبنا.. ولكى نرى القفر فردوساً روحياً نحيا فيه مع الله.

لأن الفردوس الأول الممتلئ بالخيرات (جنة عدن)، كان مكاناً سقط فيه آدم الأول.. والبرية مكان انتصر فيه آدم الثانى، ليجعل من البرية فردوساً روحياً لموكب المنتصرين.

آيلى غوطك انى ب

بالرغم من أن السيد المسيح قد جاء لخلاص العالم، إلا أنه قد ذهب إلى البرية للاختلاء والصوم والمناجاة مع الآب قبل أن يبدأ خدمته بين الناس.

وهو بهذا قد أرسى مبدأ أهمية الوجود فى البرية بعيداً عن الانشغال بالخدمة ومتطلباتها وذلك من أجل خدمة قوية ناجحة ينهزم فيها الشيطان أمام إنسان البرية.

لهذا قيل عن الكنيسة المقدسة "من هذه **الطالعة من البرية** كأعمدة من دخان **معطّرة بالمُر واللبان** وبكل أذرة التاجر" (نش٣: ٦).

معطّرة بالمُر واللبان: أى بالصوم والصلاة، وهى **طالعة من البرية** متشبهة بالسيد المسيح فى صومه فى البرية وفى مناجاته للآب السماوى من أجل الكنيسة ونصرتها على الشيطان.

لقد هزم السيد المسيح الشيطان فى البرية ليسجل انتصارًا لحساب الكنيسة.. لحساب البشرية التى انهزمت قبل ذلك طويلاً أمام الشيطان، وبعدها صار الشيطان يرتعب من رؤية السيد المسيح ويصرخ ويقول "آه ما لنا ولك يا يسوع الناصرى أتيت لتهلكنا، أنا أعرفك من أنت؛ قدوس الله" (مر١: ٢٤). وكان السيد المسيح ينتهرهم ولا يدعهم ينطقون لأنه لا يقبل الشهادة من الشيطان كما أنه كان يريد أن يخفى لاهوته عن الشيطان، وقد حقق ذلك بالفعل فيما بعد بحكمة عجيبة.

ولكن ما يستوقفنا هنا؛ هو أن السيد المسيح فى البرية قد واجه تساؤلاً مكرراً من الشيطان "إن كنت ابن الله..؟!" (مت٤: ٣، ٦، لو٤: ٣، ٩). وبعد المواجهة التى حدثت فى البرية صار يواجه عبارة مختلفة "يا يسوع الناصرى.. أنا أعرفك من أنت قدوس الله" (مر١: ٢٤، لو٤: ٣٤). لقد صنعت البرية الكثير فى نظرة الشيطان للسيد المسيح كخادم. بل صارت البرية بذكريات صوم السيد المسيح وصلاته فيها مكاناً للنصرة على الشيطان بعد أن كانت مكاناً مهجوراً تهيم فيه الشياطين التى لا تجد لها مكاناً يتسع لأعدادها الكبيرة فى البشر.

وقد علّق السيد المسيح على ذلك بقوله: "متى خرج الروح النجس من الإنسان؛ يجتاز فى أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة. وإذ لا يجد؛ يقول أرجع إلى بيتى الذى خرجت منه. فيأتى ويجده مكنوساً مزيناً. ثم يذهب ويأخذ سبعة أرواح أُخر أشر منه، فتدخل وتسكن هناك. فتصير أواخر ذلك الإنسان أشر من أوائله" (لو ١١: ٢٤-٢٦).

لقد تقدّست البرية بحلول السيد المسيح فيها وبصومه وبصلاته وبنصرته على الشيطان عن الإنسان. وصار القديسون يجدون مجالاً للنمو فى حياة القداسة فى البرية.. وصارت مسكناً للملائكة الذين رافقوا صلوات وتسابيح هؤلاء القديسين الذين سكنوا فى الجبال والمغاير وشقوق الأرض من أجل عظم محبتهم فى الملك المسيح.

الجسد والنفس والروح

فى البرية قدّم السيد المسيح مثالاً لنا للزهد فى رغبات الجسد، ورغبات النفس، لكى نحيا فى الروح.

فبالنسبة للجسد أعطانا فكرة أنه "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (مت٤: ٤).

وبالنسبة للنفس أعطانا فكرة عن الزهد فى أمجاد العالم الزائلة، وأن نخدم الله لا المال أو الجاه أو السلطان.

وقد رفض كل ممالك العالم التى رآها من فوق الجبل حتى لا يتعطل الصليب.

كما أن الجسد يحتاج إلى الطعام المادى ليعيش وينمو، هكذا أيضاً الروح تحتاج إلى الغذاء الروحى لكى تعيش ولكى تنمو.

لهذا قال السيد المسيح: "ليس بالخبز **وحده** يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (مت٤:٤). وبقوله: "ليس بالخبز وحده" كان يقصد أنه إلى جوار الخبز المادى اللازم لحياة الإنسان من ناحية جسده، فإن هناك كلمة الله لحياة الإنسان من جهة روحه.

وقال أيضاً السيد المسيح: "الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة" (يو٦: ٦٣). وقال: "أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم" (يو٦: ٥١).

عموماً الروح تحتاج إلى الغذاء الروحى لتحيا وتنمو تماماً مثلما يحتاج الجسد إلى الطعام الجسدى ليحيا وينمو.

فبالنسبة للروح أعطانا السيد المسيح فكرة عن الزهد، حينما رفض أن يطير من فوق جناح الهيكل لينظره الناس سابحاً فى الفضاء محمولاً على أيدى الملائكة.

إن الصعود بالنسبة للسيد المسيح هو من خلال الصليب. وقد قال: "أنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىّ الجميع" (يو١٢: ٣٢). ورآه كثيرون معلقاً فوق الإقرانيون، محتملاً الاحتقار والذل والعار.. وكان الارتفاع فوق الصليب هو الطريق الحقيقى نحو المجد غير المنظور.

وبعد القيامة صعد السيد المسيح أمام أعين تلاميذه. ولكن لم يكن الصعود بالنسبة للسيد المسيح نوعاً من التباهى. ولكنه كان صعوداً باعتباره الذبيحة المقدسة المقبولة إلى المقدس السماوى، حيث دخل السيد المسيح كسابق لنا، ليكون هو رئيس الكهنة الذى يشفع فى جنس البشر أمام الله الآب كل حين "دخل.. فوجد فداءً أبدياً" (عب٩: ١٢).

قبل أن يصعد السيد المسيح بيمين الآب إلى السماء، كان قد أصعد ذاته على الصليب ذبيحة مقبولة عن خلاص جنسنا.. لهذا كان لابد للصعيدة أن تصعد.

وقد صعد السيد المسيح فى البرية.. إلى جبل التجربة.. أربعين يوماً يجرب من إبليس.

وكانت حياة السيد المسيح صعوداً متتالياً.. صعد إلى جبل التجربة، وصعد إلى جبل التجلى، وصعد إلى جبل الجلجثة، وصعد إلى جبل الصعود، ثم صعد إلى عرش الله.

ولكننا نراه صاعداً وهو يحمل الصليب، مكللاً بالأشواك.. كما بجهاد الصوم والصلاة.

ونرى عروسه الكنيسة وهى تحمل صورته، كما رسمها فى سفر النشيد وتغنى بها، "من هذه الطالعة من البرية كأعمدة من دخان، معطرة بالمر واللبان وبكل أذرة التاجر" (نش٣: ٦).

هكذا تصير الكنيسة مثل صعيدة من البخور (أعمدة من دخان) معطرة بالصوم والصلاة (المر واللبان).. نراها طالعة من البرية مستندة على ذراع حبيبها (انظر نش٨: ٥) الذى صام عنها ويعطيها نعمة الصوم لتتحلى به كعروس "جميلة كالقمر، طاهرة كالشمس، مرهبة كجيش بألوية" (نش٦: ١٠).

ما أحلاك أيتها الكنيسة العروس، وأنت مشرقة بحب عريسك الحبيب..!!

ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان

كانت الوصية الأولى للإنسان تحمل فى مضمونها وصية صوم "لا تأكل من شجرة معرفة الخير والشر" (انظر تك٢: ١٦، ١٧، تك٣) فالإنسان مكوّن من روح وجسد وليس هو جسداً فقط..

وكما أن الجسد يحتاج إلى طعام لكى يحيا ويعيش، هكذا الروح أيضاً لها غذاء تحتاج إليه وتحيا به وهو كلام الله.

لهذا قال السيد المسيح للشيطان حينما طالبه قرب نهاية صومه بأن يحوّل الحجارة إلى خبز: "مكتوب أن ليس بالخبز **وحده** يحيا الإنسان، بل بكل كلمة من الله" (لو٤: ٤).

لم يقل السيد المسيح "ليس بالخبز يحيا الإنسان" لأن هذا هو الواقع الطبيعى للإنسان.. بل قال: "ليس بالخبز **وحده**" أى أن هناك مصدراً آخر لحياة الإنسان **وهو الله**.

الله الذى "به نحيا ونتحرك ونوجد" (أع١٧: ٢٨).

الله الذى تغتذى به وبالعشرة معه أرواحنا، وترتقى حتى تأكل طعام الملائكة الروحانيين.

الله الذى يحيينا بكلامه، وينير عقولنا "الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة" (يو٦: ٦٣).

لهذا يقول المرنم "من كل قلبى طلبتك، فلا تبعدنى عن **وصاياك.** أخفيت **أقوالك** فى قلبى لكى لا أخطئ إليك"..
وقال أيضاً: "اذكر لعبدك **كلامك** الذى جعلتنى عليه أتكل. هذا الذى عزانى فى مذلتى. لأن **قولك** أحيانى".. "خيراً صنعت مع عبدك يا رب بحسب **قولك**، صلاحاً وأدباً ومعرفة. علّمنى فإنى قد صدّقت **وصاياك**".. "**ناموس فمك** خير لى من ألوف ذهب وفضة".. "الذين يخافونك يبصروننى ويفرحون، لأنى **بكلامك** وثقت".. "تاقت نفسى إلى خلاصك، وعلى **كلامك** توكلت".. "يا رب **كلمتك** دائمة فى السماوات إلى الأبد".. "لو لم تكن **شريعتك** تلاوتى لهلكت حينئذ فى مذلتى. وإلى الدهر لا أنسى **وصاياك، لأنك بها أحييتنى**، يا رب. لك أنا فخلصنى. يا رب لأنى **لوصاياك** طلبت".. "إن **كلماتك** حلوة فى حلقى. أفضل من العسل والشهد فى فمى".. "**مصباح لرجلى كلامك، ونور لسبلى**".. "**يا رب أحينى كقولك**".. "ورثت **شهاداتك** إلى الأبد، لأنها بهجة قلبى".. "**أعضدنى حسب قولك فأحيا**".. "لأجل هذا أحببت **وصاياك** أفضل من الذهب والجوهر".. "فتحت فمى واجتذبت لى روحاً، لأنى **لوصاياك** اشتقت".. "أضئ بوجهك على عبدك وعلّمنى **حقوقك**".. "عادلة هى شهاداتك إلى الأبد، **فهمنى فأحيا**".. "بحسب أحكامك أحينى".. "من أجل كلامك أحينى".. "أبتهج **أنا بكلامك** كمن وجد غنائم كثيرة".. "توقعت خلاصك يا رب، **ووصاياك** حفظتها. حفظت نفسى **شهاداتك** وأحببتها جداً".. "**ككلمتك** أحينى.. تفيض شفتاى السبح إذا ما علمتنى **حقوقك**".. "لتكن يدك لخلاصى، لأننى اشتهيت **وصاياك**".. "تحيا نفسى وتسبحك، و**أحكامك** تعيننى".. (المزمور ١١٨).
هذه بعض أجزاء من المزمور الكبير الذى يؤكد ويوضح بمعانى جلية أن كلام الله فيه حياة لنفس الإنسان مثل قوله "**لأن قولك أحيانى**".. فى هذا المزمور يتأكد للمصلى أهمية كلام الله بالنسبة له كمصدر لحياته، وكمصدر للمعونة والإنقاذ، وكمصدر للبهجة والرجاء والنصرة، وكمصدر لتذوق حلاوة العشرة مع الله، وكمصدر للثقة والاتكال على الله، وكمصدر للفهم والمعرفة، وكمصدر للنور الذى يضئ الطريق، وكمصدر للتسبيح الذى تنطق به النفس نحو الله بقوة كلمته العاملة فيها.

ليتنا ننتفع من كلمات هذا المزمور الذى رتبته الكنيسة فى صلاة نصف الليل مع إنجيل العذارى المستعدات للقاء العريس.

مواجهة مع إبليس

فى التجربة على الجبل **استخدم إبليس وسيلتين** لمحاولة معرفة حقيقة السيد المسيح من جهة ألوهيته.. ولكنه فشل إلى جوار هزيمته الواضحة أمام الرب المتجسد.
لم يكن من السهل على إبليس أن يفهم معنى إخلاء الذات بالنسبة للإله الكلمة الذى هو ابن الله الوحيد الجنس.
ولم يكن مفهوماً بالنسبة له أن يخفى الابن الوحيد مجده الإلهى، ولا أن يقدم طاعة للآب وهو المساوى للآب فى المجد والكرامة والقدرة والعظمة والسلطان بسبب وحدانية الجوهر من حيث لاهوت السيد المسيح.

كانت مسألة التجسد محيّرة للشيطان.. لذلك قال معلمنا بولس الرسول: "**وبالإجماع عظيم هو سر التقوى، الله ظهر فى الجسد، تبرر فى الروح، تراءى لملائكة، كرز به بين الأمم، أومن به فى العالم، رُفع فى المجد**" (١تى٣: ١٦).
وقال أيضاً عن تدبير الخلاص بعد أن تم: "**وأنير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح. لكى يُعرف الآن عند الرؤساء والسلاطين فى السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة حسب قصد الدهور الذى صنعه فى المسيح يسوع ربنا**" (أف ٣: ٩-١١).
ولكن ينبغى أن نلاحظ أن الإنارة دائماً تكون للمستقيمى القلوب والأفهام. فالمعرفة السليمة للأمور الإلهية ترتبط بالمحبة لأن "الله محبة ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه" (١يو٤: ١٦).
هناك من يدرك قدرة الله ويخشاها ويرتعب منها ولكنه لا يفهم أعماق الله وأعماق محبته إلا بالروح القدس "لأن الروح يفحص كل شئ حتى أعماق الله. لأن مَن مِن الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذى فيه. هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله" (١كو٢: ١٠، ١١).

الوسيلة الأولى

كانت الوسيلة الأولى التى استخدمها إبليس لمحاولة معرفة حقيقة السيد المسيح هى أنه قال له عندما رآه جائعاً بعد صوم طويل لمدة أربعين نهارًا وأربعين ليلة "**إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً**" (مت٤: ٣).
والواضح من العبارة التى قالها إبليس أنه كان يتساءل عن بنوة السيد المسيح لله من خلال الاستدلال بقدرته على استخدام قدرته الإلهية للخلاص من الجوع ومتاعب الجسد المنهك من الصيام الطويل.
ولكن السيد المسيح اتجه فى إجابته إلى ما يخص إنسانيته وليس ما يخص لاهوته مستخدماً آيات الكتاب المقدس إذ رد وقال: "مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (مت٤: ٤).
كان الهدف من تساؤل إبليس هو أن يعلن السيد المسيح عن ألوهيته وبنوته لله. **ولكن السيد المسيح أكّد إنسانيته وكيف أن الطبيعة الإنسانية يلزمها الغذاء الروحى للروح بكلام الله، كما يلزمها الغذاء الجسدى للجسد بتناول الخبز. وبهذا فشل إبليس فى الوصول إلى هدفه الخبيث.**

الوسيلة الثانية

وكانت **الوسيلة الثانية التى استخدمها إبليس هى الاستفزاز بأسلوب غير لائق**. ولكن السيد المسيح أضاع عليه الفرصة باتضاعه العجيب. فى الوسيلة الأولى كان هناك نوع من التساؤل باحترام أما فى الوسيلة الثانية فكانت هناك جسارة بالغة تكشف عن الكم الهائل من الوقاحة التى يتصف بها إبليس إذ أُتيحت له الفرصة بسماح من الله.
قال إبليس للسيد المسيح بعد ما أصعده على جبل عال وأراه جميع ممالك العالم ومجدها "**أعطيك هذه جميعها إن خررت وسجدت لى**" (مت٤: ٩).

هل هناك جسارة واستفزاز يفوق ذلك القول؟ ولكن السيد المسيح استمر فى إخفاء حقيقة لاهوته عن الشيطان متوشحاً بالاتضاع الذى التحف به فى مجيئه إلى العالم من أجل خلاص البشرية. أجاب السيد المسيح: "اذهب يا شيطان. لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد" (مت٤: ١٠)

لقد وضع السيد المسيح الوصية الإلهية المعطاه لبنى البشر فى مواجهة استفزازات إبليس. ومع كون السيد المسيح هو ملك الملوك ورب الأرباب المسجود له من الملائكة والبشر ولكنه إذ وُجِدَ فى الهيئة كإنسان تكلّم عن واجب البشر فى السجود لله وحده، ولم يتكلم عن السجود اللائق له هو شخصياً. وهكذا استمر فى إخفاء لاهوته عن الشيطان.

ملك لزيج آفهو لـ مطكسين ئم

قال السيد المسيح: "لا يستطيع أحد أن يدخل بيت قوى وينهب أمتعته إن لم يكن يربط القوى أولاً وحينئذ ينهب بيته" (مر٣: ٢٧). وقد دل السيد المسيح بهذا الكلام أنه أقوى من الشيطان بما لا يقاس، وهذا أحد أسباب التجسد الإلهى، إذ لم يكن ممكناً لطبيعتنا البشرية أن تحقق الانتصار الساحق على الشيطان، إلا بتجسد الله الكلمة نفسه "الذى أبطل الموت وأنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل" (٢تى١: ١٠).

ما أجمل رد قداسة البابا شنودة الثالث على السبتيين الأدفنتست الذين يدعون أن السيد المسيح قد ورث الميل إلى الخطية بوراثته للخطية الأصلية فى ولادته من العذراء مريم، إذ قال قداسته {**إن الميل للخطية لا يتفق مع لاهوت هذا المولود، فكيف يتحد اللاهوت مع جسد فيه ميل إلى الخطية؟! مستحيل**} (مجلة الكرازة السنة الثلاثون العددان ١٣، ١٤ بتاريخ ٢٠٠٢/٣/٢٩).

إن الأدفنتست قد فاقوا فى ضلالهم الكثير من الهراطقة لأن نسطور حينما نادى بنفس تعليم وراثة المسيح للخطية الأصلية والميل الطبيعى للخطية لم يكن يؤمن بأن الإنسان المولود من العذراء مريم هو هو نفسه الله الكلمة بالحقيقة مثلما يؤمن السبتيون الذين يجدّفون بذلك على الله.

لذلك ينبغى أن نحذر الشعب المسيحى فى كل مكان من بدعة السبتيين الذين يقدسون يوم السبت مثل اليهود، وليس يوم الأحد الذى قام الرب فيه منتصراً من الأموات.

إن نصرة قيامة السيد المسيح وأهميتها غائبة عن أذهانهم تماماً مثلما غابت عن أذهانهم حتمية الانتصار فى التجربة على الجبل.

دعاوى الأدفنتست السبتيين

يدعى الأدفنتست أن السيد المسيح قد حمل طبيعة بشرية فيها إمكانية الخضوع للخطية (The possibility of yielding to sin) ويستدلون على ذلك بواقعة التجربة على الجبل ويقولون إن التجربة على الجبل تصبح فى حكم التمثيلية لو لم يكن احتمال سقوط المسيح وارداً فيها.

وهم فى عقيدتهم الخاطئة هذه يرددون تعليم نسطور الذى قال إن يسوع المسيح قد قدّم على الصليب ذبيحة وكفارة عن نفسه وعن الآخرين لأن الله الكلمة قد اتخذ إنساناً محتاجاً للخلاص مثل سائر البشر.

ونرد على هرطقة السبتيين فنقول لو كان السيد المسيح هو نفسه الله الكلمة الذى تجسد لأجل خلاصنا. فإن القول بإمكانية خضوعه للخطية بحسب طبيعته البشرية يكون تجديفاً خطيراً ضد الله نفسه. لأن الله الكلمة حينما أخلى ذاته آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس قد قَبِل الموت والآلام بحسب الجسد لأجل خلاصنا، ولسبب أن يسوع المسيح هو نفسه الله الكلمة بالحقيقة، صار يُنسب إلى الله الكلمة الميلاد من العذراء والآلام والموت بحسب إنسانيته، دون أن يُنسب ذلك إليه بحسب ألوهيته. لكن الآلام والموت من الممكن قبولها كعمل من أعمال المحبة من قِبل أقنوم الله الكلمة المتجسد. أما أن ينسب إليه إمكانية الخضوع أو الميل للخطية فهو أمر مستحيل لأنه لا يحمل أى مجد بل يعتبر إهانة صريحة لأقنوم الله الكلمة المتجسد وتجديف على الله غير مقبول. وهذا يعنى أن السبتيين لا يؤمنون إيماناً حقيقياً أن يسوع الناصرى هو الله الكلمة وليس آخر.

هناك فرق بين أن يخفى الله الكلمة مجده فى التجسد، أو أن يحتمل الآلام إنسانياً من أجل من أحبهم إلى المنتهى، وبين أن يصير معرَّضاً للخطية أو السقوط وهذا ليس فى إطار أمجاد المحبة الباذلة.

لقد حمل السيد المسيح -وهو برئ- خطايا الآخرين وأوفى الدين عنها. ولكنه هو نفسه قد حمل طبيعة خالية تماماً من أى نوع من نوازع الخطية. لهذا قال الملاك للعذراء عن ميلاد السيد المسيح منها: "فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو ١: ٣٥).

لا يمكن أن يفدى العالم إلا من كان خالياً تماماً من كل عيب، وخالياً تماماً من أى ميل نحو الخطية. ولا يمكن أن تتبارك طبيعتنا فيه إلا إذا كانت هذه الطبيعة التى اتحدت باللاهوت فى التجسد هى طبيعة خالية تماماً من كل نوازع الشر والخطية.

ولا يمكن أن يحدث اتحاد حقيقى، طبيعى وأقنومى بين اللاهوت والناسوت فى المسيح إلا إذا كان الناسوت خالياً تماماً من كل ما يتعارض مع قداسة اللاهوت وصلاحه. إذ كيف يجتمع النور مع الظلمة؟!.

لقد خاطب السيد المسيح أباه السماوى فى ليلة آلامه قائلاً: "أنا مجدتك على الأرض.. والآن مجدّنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم" (يو١٧: ٤، ٥). لقد تمجّد الناسوت عند صعود السيد المسيح إلى السماء ودخوله إلى مجده بأمجاد اللاهوت وذلك لسبب الاتحاد التام والطبيعى بين اللاهوت والناسوت. لم يعد الناسوت يخفى مجد اللاهوت حينما تمجّد يسوع وجلس عن يمين الآب فى السماوات.

إن التجربة على الجبل لم تكن تمثيلية كما يدّعى السبتيون. ولكن السيد المسيح قد لقّن الشيطان درساً لن ينساه حينما سمح له أن يجربه وهو فى صورة الإنسان. أى أن السيد المسيح قد أعاد للإنسان هيبته وكرامته بانتصاره على الشيطان فى التجربة على الجبل أولاً ثم بعد ذلك بصورة حاسمة فى الصليب كما هو مكتوب "إذ جرّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهاراً ظافراً بهم فيه (أى فى الصليب)" (كو٢: ١٥).

لقد قدّس السيد المسيح الصوم بصومه مانحاً إياه قوة فائقة للطبيعة لهزيمة الشياطين. ولقد رسم السيد المسيح لنا مثالاً لنقتفى أثر خطواته ولنتشبه به فى الصوم وفى الانتصار على الأرواح الشريرة.

كذلك أعطانا السيد المسيح دروساً فى الحرب الروحية وكيفية مجابهتها. فمثلاً حينما استخدم الشيطان آية من الكتاب المقدس، رد عليه السيد المسيح بآية من الكتاب المقدس أيضاً بقوله: "مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك" (مت٤: ٧). ونحن نرى اليوم كثير من النقاد وبعض الدارسين (Scholars) يستخدمون آيات الكتاب المقدس بطريقة خاطئة ضد العقائد السليمة والتسليم الرسولى. وينبغى علينا أن نرد عليهم بآيات من الكتاب. كذلك أعطانا السيد المسيح فكرة عن عدم استخدامه لسلطانه الإلهى من أجل إراحة جسده، وكذلك فكرة عن عدم استخدام أمجاد وسلطان الأرض من أجل نشر الكرازة بالإنجيل وعدم التنازل عن المبادئ فى الخدمة مهما كان المقابل المادى.

لماذا التجربة ؟

كان السيد المسيح "يقتاد بالروح فى البرية، أربعين يوماً يجرب من إبليس" (لو٤: ١، ٢) هل كان السيد المسيح يحتاج أن يختبر. أو أن يجرب؟!

وإذا كان يسوع المسيح هو الله الكلمة المتجسد فما فائدة التجربة؟!

أليس هو نفسه الرب الذى هو "غير مُجرَّب بالشرور، وهو لا يجرِّب أحداً" (يع١: ١٣)؟

أليس هو الله الظاهر فى الجسد، والذى هو بلا خطية وحده؟

كل هذه الأسئلة وكثير غيرها، قد يذكرها البعض متسائلاً: ما فائدة التجربة بالنسبة للسيد المسيح؟ لأنه من المعلوم مقدماً أنه لابد أن ينجح فى الاختبار حتمياً وبغير نقاش.

وقد يتساءل البعض عن ما هو مفهوم التجربة فى الكتاب المقدس لأنها تَرِدْ أحياناً بمعنى الآلام، وأحياناً بمعنى محاربات الشيطان. وقد تأخذ محاربات الشيطان الآلام وسيلة لها فى بعض الأحيان. وللإجابة على ذلك نقول:

أولاً: إن السيد المسيح قد جاء فى الجسد، لينوب عن البشرية فى أمرين أساسيين:

الأمر الأول: أن يغلب الشيطان فى جسم بشريتنا لحساب الجنس البشرى، مقدماً الصورة المثالية للإنسان فى طاعته الكاملة لله الآب.

والأمر الثانى: أن يموت على الصليب نيابة عن الكل، ليوفى العدل الإلهى حقه بالكامل، ويكفّر بذلك عن خطايا جميع البشر الذين يقبلوه كفادٍ ومخلص.

لهذا كان ينبغى أن ينوب عنا فى محاربة إبليس، وينتصر عليه لأجلنا.

ثانياً: أن السيد المسيح أراد أن يخفى لاهوته عن الشيطان، ولهذا فقد سمح للشيطان أن يجربه مثل سائر البشر؛ فى المجال المناسب وبدون أن يخطئ وبعد ذلك "لما أكمل إبليس كل تجربة فارقه **إلى حين**" (لو ٤: ١٣).

وعبارة "**إلى حين**" تعنى أن الشيطان بعد هذه المعركة، قد ذهب ليستعد للمعركة الكبرى عند الجلجثة..

كان صوم السيد المسيح وتجربته على الجبل، هى المعركة التى أثارت إبليس، لكى يعلن الحرب القصوى ضد السيد المسيح. فهناك فرق بين معركة تقديم المغريات، وبين معركة توجيه الضربات.

على الجبل كان الشيطان يقدّم عروضاً اختيارية بدون ضغط.. أما فى معركة الجلجثة الكبرى، فقد استعمل السوط، والمسمار، والأشواك، والآلام الرهيبة الجسدية والنفسية، والتعييرات. وجاء إبليس وهو يحمل معه سيف الموت مشهراً بجسارة تتعجب أمامها الألباب!!.

ولكن هوشع النبى قد تغنى مُلهَماً بالروح القدس فى القديم، وهو يرى بعين النبوة نتائج هذه المعركة "أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية؟" (انظر هو١٣: ١٤، ١كو١٥: ٥٥).

حينما. خرج مسيح الرب داود وهو شاب صغير لملاقاة جليات الجبار، أخذ السيف الذى كان بيد جليات وقطع رأسه بنفس هذا السيف.

وكان هذا رمزاً وإشارة إلى ما فعله السيد المسيح الذى أباد سلطان الموت بسيف الموت الذى كان إبليس يستخدمه ضد جميع البشر.

وقد شرح معلمنا بولس الرسول ذلك بقوله: "لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية" (عب٢: ١٤، ١٥).

وهكذا أيضاً تتغنى الكنيسة فى لحن القيامة {بالموت داس الموت}.

بعد التجربة على الجبل ذهب إبليس ليحشد كل قواه، وليتآمر بأقصى ما يستطيع على السيد المسيح. وكان الهدف هو موت المسيح، أو أن يهرب من الموت منهزماً.

ولكن لم يكن ممكناً للمعركة أن تبدأ على هذا المستوى الخطير، لولا أن السيد المسيح قد أخفى لاهوته عن الشيطان.

الصوم الأربعينى

وحتى على جبل التجربة، كان الصوم هو الوسيلة التى اجتذب السيد المسيح بها الشيطان لمحاربته.

اختار هو بنفسه ساحة المعركة؛ فى البرية؛ ومع الصوم الكبير. الأمر الذى جذب انتباه الشيطان ليتساءل:
هل هذا موسى جديد يصوم أربعين يوماً على الجبل؟! أم إيليا آخر يصوم مثله؟! أم لعل هذا هو المسيح الذى تنبأ عنه موسى والأنبياء؟!!

وما العمل أمام من ترنمت الملائكة فى يوم مولده بتسابيح لم يسبق لها مثيل؟!.

ما سر أفراح الملائكة بهذه الصورة غير المسبوقة منذ سقوط الإنسان الأول؟!.

وما سر هذا الميلاد العذراوى العجيب؟.. وكيف تحققت كثير من أقوال الأنبياء القديسين الذين هم منذ الدهر؟!..

وإن كان يسوع هو الله الظاهر فى الجسد، فكيف ولد فى المذود المتواضع بين الحيوانات؟!.. وكيف هرب من بطش هيرودس الملك؟!.. وكيف ذهب مع يوسف وأمه العذراء ليسكن فى الناصرة، تفادياً لغضب الملك الجديد ابن هيرودس؟!.. وكيف عاش هذه السنوات حتى سن الثلاثين مثل إنسان عادى يعمل نجارًا بسيطاً؟!.. ولماذا تقبل العماد فى وسط التائبين من يوحنا فى نهر الأردن؟!

كثير من الأسئلة أدخلت الشيطان فى الحيرة.. ولم يفهم فى كبريائه معنى أن السيد المسيح كلمة الله "إذ كان فى صورة الله، لم يحسب مساواته لله اختلاساً. لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس. وإذ وُجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت – موت الصليب" (فى٢: ٦-٨).

لذلك صدق القديس بولس الرسول حينما قال: "وبالإجماع عظيم هو **سر التقوى**؛ الله ظهر فى الجسد" (١تى٣: ١٦).

حقاً عظيم هو سر التقوى.. إنه سر عجيب، لم يفهمه الشيطان لسبب كبريائه.. ولن يفهمه..!!

٢. فى بداية خدمته

رجع بقوة الروح

بعد العماد والتجربة فى البرية "رجع يسوع **بقوة الروح** إلى الجليل، وخرج خبر عنه فى جميع الكورة المحيطة، وكان يعلم فى مجامعهم ممجداً من الجميع" (لو٤: ١٤، ١٥).

من المعلوم أن السيد المسيح هوكلمة الله الممجد مع الآب والروح القدس ولكنه إذ أخلى ذاته آخذاً صورة عبد، فإنه "إذ وُجد فى الهيئة كإنسان، وضع نفسه" (فى٢: ٨) ليقبل قيادة الروح القدس. وذلك كما حدث فى خروجه إلى البرية "رجع من الأردن ممتلئًا من الروح القدس. وكان يُقتاد بالروح فى البرية" (لو٤: ١).

بعد الأربعين يوماً التى قضاها فى البرية منقادًا بالروح، هكذا أيضاً رجع بقوة الروح ليبدأ خدمته فى الجليل.

ما هذا الاتضاع العجيب؟! إن قوة الروح القدس هى نفسها قوة الكلمة الأزلى، فالأقانيم متساوية فى كل القدرات والصفات المختصة بالجوهر الإلهى الواحد.. ولكن السيد المسيح كان يحلو له أن ينسب القدرة للروح القدس، وأن

ينسب العمل إلى الآب السماوى لأنه لم يحسب مساواته لله اختلاساً، ولهذا أخلى ذاته وأخذ صورة عبد (انظر فى٢: ٦).
ولكننا نسمع الآب يشهد للسيد المسيح أنه هو ابنه الحبيب الذى سُرت به نفسه، كما نلاحظ كيف جاء الروح القدس ليشهد للسيد المسيح بعد صعوده إلى السماء.. هكذا كان ينبغى أن يمجد الابن الوحيد من الآب ومن الروح القدس، بعد أن أخلى ذاته لأجل خلاصنا.. **إننا نتعبد فى خشوع أمام الثالوث القدوس، ونحن نتفكر فى هذا الحب الأزلى العجيب الذى بين الأقانيم المتساوية فى الجوهر الإلهى الواحد.**

يقول معلمنا بولس الرسول عن نتيجة طاعة السيد المسيح واتضاعه: "لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم. لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء، ومن على الأرض، ومن تحت الأرض. ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو ربٌ لمجد الله الآب" (فى٢: ٩-١١).

فى مجمع الناصرة

أراد السيد المسيح فى إخلائه لذاته، أن يبرز انقياده للروح القدس، ومسحه بالروح القدس فجاء إلى الناصرة حيث كان قد تربى. ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت وقام ليقرأ. فدفع إليه سفر إشعياء النبى. ولما فتح السفر وجد الموضع الذى كان مكتوباً فيه "روح الرب علىَّ لأنه مسحنى لأبشر المساكين أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب لأنادى للمأسورين بالإطلاق وللعمى بالبصر، وأرسل المنسحقين فى الحرية وأكرز بسنة الرب المقبولة" (لو٤: ١٨، ١٩، انظر أيضا إش٦١: ١، ٢).
"ثم طوى السفر وسلّمه إلى الخادم وجلس. وجميع الذين فى المجمع كانت عيونهم شاخصة إليه. فابتدأ يقول لهم إنه اليوم قد تم هذا المكتوب فى مسامعكم. وكان الجميع يشهدون له ويتعجبون من كلمات النعمة الخارجة من فمه" (لو٤: ٢٠-٢٢).
أراد السيد المسيح أن ينسب كل ما فى خدمته من قوة وبركة وتأثير للآب وللروح القدس؛ فقال: "روح الرب علىّ لأنه مسحنى لأُبشر المساكين.." (لو٤: ١٨).
الابن الوحيد الحبيب هو الذى تجسد، وهو الذى تألم، وهو الذى قدّم ذاته ذبيحة مقبولة عن خلاص جنسنا.. وها نحن نراه يُخفى نفسه ويقول: "روح الرب علىّ لأنه مسحنى.. لأُنادى للمأسورين بالإطلاق.. وأكرز بسنة الرب المقبولة".
وها نحن أيضا نسمعه ينادى الآب فى اتضاع ويقول: "أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم.. الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم.. أنا مجدتك على الأرض. العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته" (يو١٧: ٦، ٨، ٤).
لقد علّمنا السيد المسيح كيف يمكن أن نمارس الاتضاع من خلال المحبة. لأن الذى يحب حقاً يمكنه أن ينكر نفسه. لأن المحبة "لا تطلب ما لنفسها" (١كو١٣: ٥)، بل إن المحبة الكاملة هى العطاء الكلى للذات.

هناك من الأسرار الروحية ما يقف العقل أمامها مبهوراً، مشدوداً نحو التأمل فى سر الأبدية مع السيد المسيح وفى السيد المسيح، حيث نور معرفة الله الذى تخشع أمامه النفس، وتستر وجهها من بهاء عظمة مجده.

فى عرس قانا الجليل

كان هناك عرس فى قانا الجليل، وكانت السيدة العذراء أم يسوع هناك.. ودعى أيضاً السيد المسيح وتلاميذه إلى العرس (انظر يو٢: ١، ٢).

كان السيد المسيح فى بداية أيام خدمته، بعد عودته من الجبل بعد صومه الأربعينى المقدس، وقد وافق أن يقبل الدعوة لحضور العرس ومعه تلاميذه.. وهناك وبتوسط العذراء أمه، صنع أول معجزات خدمته أمام تلاميذه، إذ "لما فرغت الخمر قالت أم يسوع له ليس لهم خمر" (يو٢: ٣)، فحوّل السيد المسيح الماء إلى خمر بناءً على طلبها. فكانت "هذه بداية الآيات فعلها يسوع.. وأظهر مجده فآمن به تلاميذه" (يو٢: ١١).

اختار السيد المسيح أن يبدأ معجزاته فى وسط تلاميذه، بناء على طلب من السيدة العذراء، ليعلّمنا أن شفاعتها التوسلية لديه مقبولة فى كل حين وفى مقدمة كل الشفاعات.

لم يكن السيد المسيح متعجلاً أن يصنع معجزات يظهر بها قوته الإلهية.. مع أن الفرصة كانت متاحة له لصنع معجزة. إلا أنه مكث فى العرس دون أن يفعل شيئاً. حتى جاءت أمه القديسة فائقة الكرامة مريم، الشفيعة المؤتمنة على جنس البشر والمكرمة جداً أكثر من الشاروبيم والسيرافيم.. جاءت ترجوه فىحب وثقة أن يفعل شيئاً من أجل أصحاب العرس، الذين تورطوا فى حرج شديد حينما فرغت الخمر (غير المسكرة) التى يقدمونها للمدعوين.

الخمر فى الكتاب المقدس تشير إلى محبة الله كقول عروس النشيد "أدخلنى إلى **بيت الخمر**، وعلمه فوقى **محبة**" (نش٢: ٤). **وهكذا دائماً تطلب العذراء من أجل فيض محبة الله أن يتجدد فى أحشائنا بقوة شفاعتها غير المرفوضة.**

كم هو جميل أن ندعو سيدنا يسوع المسيح ووالدته العذراء إلى عرس حياتنا حتى تتدفق فينا محبته بغزارة، وبحلاوة عجيبة.

قال السيد المسيح لأمه: "ما لى ولك يا امرأة" (يو٢: ٤) بمعنى أنه لا يمكن أن يرد طلب للعذراء الطاهرة المرأة التى أعادت اللقب الأول لحواء قبل السقوط "هذه تدعى امرأة لأنها من امرءٍ أخذت" (تك٢: ٢٣). لأنها آمنت وأطاعت وقبلت أن تصير أماً لمخلص العالم. وترنمت بالروح القدس قائلة: "تبتهج روحى بالله مخلصى" (لو١: ٤٧).

فهمت السيدة العذراء أن المخلص قد قبِل توسلها وطِلبتها، وأنه سوف يصنع المعجزة، مع أنه قال: "لم تأتِ ساعتى بعد" (يو٢: ٤)، فقالت للخدام: "مهما قال لكم فافعلوه" (يو٢: ٥).

وصنع يسوع المعجزة، وحوّل الماء إلى خمر شهد لها رئيس المتكأ. وقال الإنجيل عن هذه المعجزة "**هذه بداية الآيات فعلها يسوع فى قانا الجليل وأظهر مجده فآمن به تلاميذه**" (يو٢: ١١).

فى اتضاعه العجيب لم يفعل هذه الآية إلا بتوسل السيدة العذراء، ولهذا حسب أن ساعة صنعه للمعجزات لم تكن قد أتت بعد. وهكذا كان السيد المسيح دائماً يحاول أن يخفى مجده، ولا يطلب مجداً من الناس، بل يبحث عن خيرهم.

كان الحب هو دافعه.. فى بحثه عن خراف بيت إسرائيل الضالة.. فى سعيه من أجل خلاص البشرية.. فى تعبه من أجل الخطاة.. "يجول يصنع خيراً" (انظر أع١٠: ٣٨) و"يشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب" (مت ٤: ٢٣).

ولكن لماذا اختار أن يبدأ معجزات خدمته فى عرس، وليس فى أى مجال آخر؟

كانت علاقة الرب بالبشرية قد بدأت فى الفردوس، حيث نشأت العائلة البشرية الأولى.. وكانت هذه العائلة الأولى من آدم وامرأته، هى الرمز الأول لعلاقة السيد المسيح بالكنيسة.

فمن المعلوم أن "الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة" (أف٥: ٢٣) وقيل للرجال: "أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة، وأسلم نفسه لأجلها.. مطهراً إياها" (أف٥: ٢٥، ٢٦).

وقال معلمنا بولس الرسول عن الزواج كصورة لارتباط السيد المسيح كعريس بكنيسته: "هذا السر عظيم، ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة" (أف٥: ٣٢).

وفى مَثَل العذارى الذى يرمز إلى العرس السماوى قال السيد المسيح: "يشبه ملكوت السماوات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس.. ففى نصف الليل صار صراخ هوذا العريس مقبل، فاخرجن للقائه" (مت٢٥: ١، ٦).

ومعلمنا بولس الرسول يؤكّد هذه الحقيقة أن السيد المسيح هو عريس لكنيسته بقوله: "خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح" (٢كو١١: ٢).

لهذا اختار السيد المسيح أن يبدأ معجزاته التى أظهر بها مجده فى وسط تلاميذه، فى عرس قانا الجليل، وفى حضور العروس الحقيقية رمز الكنيسة كلها، وأم جميع القديسين، العذراء والدة الإله.

إن المعجزة الحقيقية التى صنعها السيد المسيح، هى أنه أعاد العائلة البشرية مرة أخرى إلى الفردوس.

وهكذا جاءت هذه الصورة الجميلة، المسيح والكنيسة فى عرس.

وكانت الكنيسة ممثلة فى العذراء مريم الشفيعة المؤتمنة أمام ربنا يسوع المسيح، وفى تلاميذه الذين أبصروا مجده المعجزى الخالق فى ذلك العرس الممتلئ فرحاً.

عصير الكرمة

ارتبط عصير الكرمة المختمر بالعرس ارتباطاً وثيقاً. إن السيد المسيح هو الكرمة الحقيقية كما قال لتلاميذه.
وفى العشاء الأخير قال لتلاميذه: "شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم" (لو٢٢: ١٥). "وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى" (مت٢٦: ٢٩).
إن الكرمة تذكّرنا بالفردوس الذى فقدناه بالخطية التى أسكرتنا زمناً طويلاً.
وجاء السيد المسيح لكى يسقينا من خمر محبته، كقول عروس النشيد: "أدخلنى إلى بيت الخمر وعلمه فوقى محبة" (نش٢: ٤). وقولها أيضاً: "نذكر حبك أكثر من الخمر" (نش١: ٤).
فى سر الإفخارستيا يكون السيد المسيح حاضراً فى الكنيسة فى وسطنا، بجسده ودمه الأقدسين، يسقينا من عصير محبته ويمنحنا الحياة.

هذا عشا العريس قُدم للعروس والوعد بالفردوس لحافظ العهد

إن الإفخارستيا هى العرس الدائم الذى تحيا به الكنيسة فى غربتها الحالية، إلى أن تتمتع بشركة الحياة الأبدية مع السيد المسيح فى ملكوت السماوات، حيث العرس الأبدى الذى لا توصف حلاوته الحقيقية.
فى عرس قانا الجليل جاءت الخمر الجيدة الحلوة التى صنعها السيد المسيح فى نهاية العرس. لكى نفهم أن حلاوة الحياة مع السيد المسيح سوف نتذوقها بما لا يقاس عند استعلان ملكوت السماوات.

الرب الخالق

ارتبط عرس قانا الجليل بمعجزة خلق واضحة.. حيث خلق السيد المسيح من الماء خمراً حقيقية حلوة المذاق، قال عنها رئيس المتكأ إنها الخمر الجيدة.
فهذا العرس يذكرنا بالفردوس، حيث خلق السيد المسيح أبوينا الأولين على صورة الله ومثاله.
وفى العرس كان هناك ستة أجران يسع كل جرن مطرين أو ثلاثة. وقد أمر السيد المسيح الخدام أن يملأوها بماء إلى فوق ففعلوا هكذا.
وقد حوّل السيد المسيح الماء الذى فى الأجران إلى خمر جيدة، بمجرد أن أراد ذلك فى نفسه، وقال للخدام: "استقوا الآن، وقدّموا إلى رئيس المتَّكإ، فقدّموا.." (يو٢: ٨).
هذه الأجران الستة تذكّرنا بأيام الخليقة الستة.. لأن الرب صنع العالم والمخلوقات التى فيه فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع.
وقد خلق الرب الإنسان فى اليوم السادس، كما أنه قد صُلب على الصليب فى اليوم السادس من الأسبوع، وفى وقت الساعة السادسة.

الرقم ستة دائماً فى الكتاب المقدس يرمز إلى كمال العمل، وإلى عمل السيد المسيح فى خلق الإنسان وفى خلاصه من الخطية.

وها هو الرب الخالق يعود ليبدأ مع الإنسان من جديد لأنه "إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة. الأشياء العتيقة قد مضت. هوذا الكل قد صار جديداً" (٢كو٥: ١٧).

ولكن هذا الجديد فى حياتنا مع الله، ليس هو الجديد، بل هو الأصيل.. هو الأقدم والأعمق من العتيق. لأن الأصل هو فى شركة الحياة الفردوسية مع الله.

مقصود بالأشياء العتيقة أى الخطايا والشرور التى دخلت إلى حياة الإنسان.. ولكن ما هو أقدم وأعتق، هو العلاقة المقدسة مع الله التى بدأت مع خلق الإنسان..

لهذا صنع الرب فى الأجران خمراً جديدة، أطيب من العتيقة.. أعتق فى طعمها بكثير.. أليس هذا ما عبّر عنه القديس أغسطينوس فى مناجاته عن الله ومحبته:

[آه.. تأخرت كثيراً فى حبك أيها الجمال الفائق فى القدم والدائم جديداً إلى الأبد.]

٣ . فى صنعه المعجزات

لم يصنع السيد المسيح المعجزات ليتباهى بها، ولا ليأخذ مجداً من الناس، بل على العكس كثيراً ما أوصى الذين شفاهم أن لا يخبروا أحداً بما صنعه معهم. وهذه بعض الأمثلة:

١- واقعة شفاء الرجل الأبرص

يحكى لنا إنجيل معلمنا مرقس عنها "فأتى إليه أبرص يطلب إليه جاثياً وقائلاً له إن أردت تقدر أن تطهرنى. **فتحنن يسوع** ومد يده ولمسه وقال له أريد فاطهر. فللوقت وهو يتكلم ذهب عنه البرص وطهر. **فانتهره وأرسله للوقت وقال له انظر لا تقل لأحد شيئاً**. بل اذهب أرِ نفسك للكاهن، وقدّم عن تطهيرك ما أمر به موسى شهادة لهم. وأما هو فخرج وابتدأ ينادى كثيراً ويذيع الخبر، **حتى لم يعد يقدر أن يدخل مدينة ظاهراً، بل كان خارجاً فى مواضع خالية.** وكانوا يأتون إليه من كل ناحية" (مر١: ٤٠-٤٥). وعن نفس المعجزة كتب القديس لوقا الإنجيلى.

من هذه المعجزة وملابساتها يتضح ما يلى :

- إن السيد المسيح قد صنع المعجزة بدافع من حنانه وإشفاقه على هذا الأبرص "**فتحنن** يسوع".
- إن السيد المسيح قد حاول مع الأبرص لكى لا يقول لأحد شيئاً، فلا يظهر المعجزة لعامة الناس.
- إنه حينما وجد أن الأبرص قد أذاع الخبر كثيراً، وتقاطرت عليه الجموع، بدأ يختفى ويعتزل فى البرارى ويصلى، ولا يدخل إلى مدينة ظاهراً.

هكذا يعلمنا السيد المسيح بمثاله الصالح أن نهرب من طلب مجد الناس، صانعين مشيئة الله من القلب وأن من يهرب من الكرامة تجرى خلفه، وترشد جميع الناس إليه.

٢- إقامة ابنة يايرس من الموت

يقول معلمنا لوقا الإنجيلى: "فلما جاء إلى البيت **لم يدع أحداً يدخل إلا بطرس ويعقوب ويوحنا وأبا الصبية وأمها**. وكان الجميع يبكون عليها ويلطمون. فقال لا تبكوا. لم تمت لكنها نائمة. فضحكوا عليه عارفين أنها ماتت. **فأخرج الجميع خارجاً** وأمسك بيدها ونادى قائلاً: يا صبية قومى. فرجعت روحها وقامت فى الحال. فأمر أن تُعطى لتأكل. فبُهت والداها. **فأوصاهما أن لا يقولا لأحد عما كان**" (لو٨: ٥١-٥٦).

وعن نفس المعجزة يقول القديس متى الإنجيلى: "فخرج ذلك الخبر إلى تلك الأرض كلها" (مت٩: ٢٦).

فى هذه المعجزة ترى السيد المسيح يصنع الأمور التالية:

أولاً: منع الجموع التى كانت تسير خلفه من الدخول إلى موضع المعجزة.

ثانياً: لم يأخذ من التلاميذ إلى الداخل إلا بطرس ويعقوب ويوحنا، الذين أخذهم معه على جبل التجلى، وفى بستان جثسيمانى وهو يجاهد فى الصلاة، ليكونوا شهوداً بعد قيامته من الأموات على هذه الأمور (انظرمت١٧: ٩).

ثالثاً: أخرج جميع الأهل والزوار والمعزين خارجاً، ولم يستبقِ سوى والد الصبية وأمها.

رابعاً: أنه أوصى الذين شاهدوا المعجزة وقت حدوثها، أن لا يقولوا لأحد عما كان.

وبالرغم من كل ما فعل السيد المسيح لإخفاء المعجزة، إلا أن الخبر قد خرج إلى تلك الأرض كلها، لأنه "لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل، ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال، بل على المنارة فيضئ لجميع الذين فى البيت" (مت٥: ١٤، ١٥).

٣- شفاء الأعميان

عن هذه المعجزة يقول معلمنا متى البشير:

"وفيما يسوع مجتاز من هناك **تبعه** أعميان يصرخان ويقولان: ارحمنا يا ابن داود. ولما جاء إلى البيت تقدم إليه الأعميان. فقال لهما يسوع: **أتؤمنان** أنى أقدر أن أفعل هذا؟ قالا له: نعم يا سيد. حينئذ لمس أعينهما قائلاً: بحسب إيمانكما ليكن لكما. فانفتحت أعينهما. **فإنتهرهما يسوع قائلاً: انظرا لا يعلم أحد. ولكنهما خرجا وأشاعاه فى تلك الأرض كلها**" (مت٩: ٢٧-٣١).

لم يقدّم السيد المسيح الشفاء لهذين الأعميين بمجرد أن طلبا ذلك، بل ظل ساكتاً وهو يسير فى الطريق نحو البيت، بالرغم من صراخهما "ارحمنا يا ابن داود". ولما جاء إلى البيت تقدما إليه فسألهما عن إيمانهما، فأجابا بالإيجاب.

- كان السيد المسيح يرغب فى إظهار إيمان هذين الرجلين، فتمهل عليهما فى الاستجابة.

- كما إنه لم يرغب فى أن يصنع المعجزة علناً فى الطريق، فسار نحو البيت وهما يتبعانه.
- إلى جوار ذلك أوصاهما السيد المسيح بشدة أن لا يعلم أحد.
- ولكنهما خرجا وأشاعا خبر المعجزة فى تلك الأرض كلها.

٤- شفاء مريض بيت حسدا

عندما سأل السيد المسيح الرجل المفلوج الذى مكث بجوار بِركة مياه بيت حسدا لمدة ثمانى وثلاثين سنة، قائلاً: "أتريد أن تبرأ"؟ (يو٥: ٦).. قال له المفلوج: "يا سيد **ليس لى إنسان** يلقينى فى البركة متى تحرك الماء. بل بينما أنا آتٍ ينزل قدامى آخر" (يو٥: ٧).

ليس لى نسان

فى هذه البِركة للمياه ذات الخمسة أروقة "كان مضطجعاً جمهور كثير من مرضى وعمى وعرج وعسم يتوقعون تحريك الماء، لأن ملاكاً كان ينزل أحياناً فى البِركة ويحرك الماء. فمن نزل أولاً بعد تحريك الماء، كان يبرأ من أى مرض اعتراه" (يو٥: ٣، ٤).

كان حال الرجل المفلوج بجوار هذه البِركة ذات الخمسة أروقة، يمثل حال البشرية التى انتظرت مجيء المخلّص أكثر من **خمسة** آلاف عام، وقد أعطيت شريعة موسى ذات **الخمسة** أسفار والتى لم تتمكن من تخليص البشرية مما هى فيه من فساد طبيعتها، ومن الموت الذى نتج عن دخول الخطية إلى العالم.

فى مدة انتظار البشرية، كان الرب يرسل أنبياء بين الحين والآخر لتنبيه البشرية إلى الخلاص، الذى كان الرب مزمعاً أن يصنعه فى ملء الزمان، وقد تنبأوا عن مجيء المخلص. ولكن لم يتمكن أحد منهم من تخليص البشرية من عجزها الروحى، ومن حالة الموت التى سيطرت عليها منذ سقوط أبوينا الأولين.

كانت هناك ومضات من السماء عبر الأجيال، عبّر عنها نزول الملاك أحياناً لتحريك المياه فى البركة. ولكن هذه الومضات كانت لتذكير البشرية بأن الخلاص سوف يتم بمجيء المخلّص.

وها هو المخلّص قد أتى ووقف إلى جوار الرجل المفلوج يسأله "**أتريد أن تبرأ؟**" أجابه المريض يا سيد "**ليس لى إنسان**".

لعل رد الرجل المريض يذكّرنا بما ورد فى سفر إشعياء عن حال البشرية إذ قال: "ننتظر عدلاً وليس هو. وخلاصاً فيبتعد عنّا. لأن معاصينا كثرت أمامك، وخطايانا تشهد علينا، لأن معاصينا معنا وآثامنا نعرفها.. وقد ارتد الحق إلى الوراء، والعدل يقف بعيداً.. فرأى الرب وساء فى عينيه أنه ليس عدل. فرأى أنه **ليس إنسان** وتحيّر من أنه ليس شفيع. فخلّصت ذراعه لنفسه وبره هو عَضَدَهُ. فلبس البر كدرع وخوذة الخلاص على رأسه" (إش٥٩: ١١،١٢، ١٤-١٧).

كما قال المريض: "**ليس لى إنسان**" هكذا رأى الرب أنه "**ليس إنسان**".. أى لا يوجد إنسان يستطيع أن يتمم الفداء ويخلّص البشرية. ولذلك يقول: "رأى (الرب) أنه ليس إنسان، وتحيّر من أنه ليس شفيع، فخلَّصت ذراعه لنفسه وبره هو عضّده" (إش٥٩: ١٦).

كان من الضرورى أن يقوم الرب هو نفسه بالخلاص، لأنه لا يقدر أحد أن يتمم الفداء إلا الرب نفسه. لذلك يكمّل قائلاً: "فخلّصت ذراعه لنفسه.. فلبس البر كدرع، وخوذة الخلاص على رأسه"

صار الرب الله هو نفسه المخلص.. لهذا قال الإنجيل "وكان الكلمة الله.. والكلمة صار جسداً وحل بيننا ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب مملوءًا نعمةً وحقاً" (يو ١: ١، ١٤).

صار لى خلاصاً

عن هذا تغنى إشعياء النبى قائلاً: "هوذا الله خلاصى فأطمئن ولا أرتعب، لأن ياه يهوه قوتى وترنيمتى وقد صار لى خلاصاً. فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص" (إش١٢: ٢، ٣).

لقد صار يهوه نفسه هو الخلاص، لأنه تجسد وهو المخلص. هو الكاهن، وهو الذبيحة. هو الحمل، وهو الراعى. هو الهيكل، وهو القربان.

وتغنت العذراء مريم قائلة: "تبتهج روحى بالله مخلصى" (لو ١: ٤٧).

وقيل عن السيد المسيح فى ميلاده "وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلّص شعبه من خطاياهم" (مت١: ٢١). وكلمة "**يسوع**" معناها "**يهوه خلّص**".

الكلمة الذى له نفس جوهر الآب، هو الذى تجسد وصنع الفداء. فالله يهوه هو المخلّص. لأن الكلمة من حيث جوهره هو يهوه، ومن حيث أقنومه هو الابن المولود من الآب، الذى هو يهوه أيضاً من حيث الجوهر.

وقد قال الرب صراحة فى إشعياء النبى: "أنا أنا الرب **وليس غيرى مخلّص**.. وأنتم شهودى يقول الرب وأنا الله" (إش٤٣: ١١، ١٢).

ما أعجب محبتك يا رب لأنك إذ لم تجد من يمكنه خلاص البشرية، أرسلت ابنك الوحيد ليولد متجسداً من العذراء مريم، وإذ صار إنساناً مثلنا بلا خطية، يقوم هو نفسه بإتمام الفداء، يقدّم نفسه كشفيع ويموت نيابةً عن الكل. ويقيمنا معه بانتصاره على الموت.. وبهذا صار الرب نفسه هو المخلص، وخلّصت ذراعه لنفسه وبره هو عضَدّه.

قم احمل سريرك وامشِ

قال الرب للمفلوج: "**قم احمل سريرك وامش**" (يو٥: ٨). بعد أن كانت الروح عاجزة عن الحركة. ترقد فى فراش الجسد، بكلمة الله صار لها القدرة أن تحمل الجسد، وتتحرك به بملء الصحة الروحية.

صارت الروح قادرة أن تقود الجسد، لأنها تنقاد بروح الله، وتتقوى بنعمة الروح القدس.

لم يعد الجسد هو موضع ترقد الروح فيه عاجزة عن الحركة نحو حياة الأبد، بل صارت الروح قادرة أن تقود الجسد وأن تحمله إلى بيت الآب.

ما أجمل هذه الكلمة "**قم**". سوف يسمعها كل من آمن وتمتع بالخلاص.. حينما ينادى ابن الله الذين رقدوا ليقوموا بأجساد روحانية ويرثوا الحياة الأبدية. **إذا قال الرب للإنسان "قم" فسوف يقوم حتماً.. إنها كلمة الرب القادرة الحية إلى الأبد.**

٥- شفاء الأعمى

قال هذا النداء الرجل الأعمى الذى كان جالساً يستعطى على الطريق المؤدى إلى أريحا بقرب أريحا "فلما سمع الجمع مجتازًا، سأل ما عسى أن يكون هذا؟ فأخبروه أن يسوع الناصرى مجتاز. فصرخ قائلاً: يا يسوع ابن داود ارحمنى. فانتهره المتقدمون ليسكت، أما هو فصرخ أكثر كثيراً: يا ابن داود ارحمنى. فوقف يسوع وأمر أن يُقدّم إليه. ولما اقترب سأله قائلاً: ماذا تريد منى أفعل بك؟ فقال: يا سيد أن أبصر. فقال له يسوع: أبصر، إيمانك قد شفاك. وفى الحال أبصر، وتبعه وهو يمجد الله. وجميع الشعب إذ رأوا سبحوا الله" (لو١٨: ٣٦-٤٣).

إن طلب الرحمة بلجاجة، وبصراخ من الأعماق من السيد المسيح يجلب للإنسان كثير من المراحم الإلهية.

إن اللجاجة فى الطلب والصراخ من عمق القلب هى دليل على قوة الإيمان بالمسيح.

وبالرغم من المعوقات المحيطة بهذا الرجل الأعمى إلا أنه قد وصل إلى غايته وتغلب على كل الصعوبات.

أولاً: تغلّب على مشكلة عدم قدرته على الإبصار بأن سأل من حوله "ما عسى أن يكون هذا؟" وذلك عندما شعر بالجمع مجتازًا.

ثانياً: تغلّب على مشكلة عدم قدرته على الاتجاه نحو السيد المسيح لأنه لا يبصر طريقه **بأن صرخ قائلاً: "يا يسوع ابن داود ارحمنى**".

ثالثاً: تغلّب على التذمر لإصابته بالعمى بالثقة فى مراحم الرب الجزيلة.

رابعاً: تغلّب على مشكلة انتهار المتقدمون من الجمع الذين حاولوا أن يمنعوه من الصراخ طالباً رحمة السيد المسيح **بأن أصر على طلب الرحمة وصرخ أكثر كثيراً "يا ابن داود ارحمنى**".

خامساً: لم يثنه عن طلب الرحمة سؤال السيد المسيح له "ماذا تريد أن أفعل لك؟" بل أجابه لوقته "**يا سيد أن أبصر**". **فالسيد المسيح يريدنا أن نحدد احتياجنا وطلباتنا منه.** لا يكفى أن نطلب الرحمة بل ينبغى أن يكون لنا هدف واضح فى صلاتنا.

وقد شهد السيد المسيح لإيمان هذا الرجل الذى استمر فى الطلبة واثقاً من الاستجابة. ألم يقل السيد المسيح: "كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم" (مر ١١: ٢٤).

لقد قاسى هذا الأعمى فى حياته واضطر أن يتسول بأن يطلب عطايا من الناس لأنه لا يستطيع أن يكسب قوته لإصابته بالعمى. وهو لم يتذمر على الله الذى سمح له بهذه الضيقة وهذه المذلة بل صرخ نحو السيد المسيح طالباً الرحمة فى ثقة وإيمان.

هناك أناس تبعدهم الضيقات عن الله فيتذمرون عليه قائلين لماذا يسمح الله لنا بالذل والهوان والمشقة والتعب. **أما المؤمنون فإن الضيقة تعتبر مجالاً يلتقون فيه مع الله ويقتربون منه.**

لقد أوقف صراخ هذا الأعمى السيد المسيح الذى أمر أن يقدم إليه. **ولما اقترب** سأله قائلاً: "ماذا تريد أن أفعل بك؟". وهنا نرى كيف أمر السيد المسيح بأن يقترب إليه هذا الأعمى لكى يمنحه الشفاء.

وقد صار هذا الأعمى تلميذاً للسيد المسيح لأنه مكتوب أنه "أبصر وتبعه وهو يمجد الله". لقد امتلأ فمه فرحاً وتسبيحاً وتمجيداً وصار شاهداً لعمل الرب فى حياته. وبسببه "جميع الشعب إذ رأوا سبحوا الله" (لو١٨: ٤٣). ما أجمل هذه الأنشودة فى حياة الإنسان أن يتمجد من خلال الضيقات التى يحتملها بإيمان. وما أجمل أن ننادى اسم يسوع الرب فى كل حين من عمق القلب.

إن صلاة {**يا ربى يسوع المسيح ارحمنى –يا ربى يسوع المسيح أعنى – يا ربى يسوع المسيح خلصنى**} هى من أقوى الصلوات فاعلية فى الحروب الروحية ضد الشياطين. لأن مجرد ذكر اسم الرب يسوع المسيح ترتعب منه جيوش الشياطين.

لهذا ففى إبصالية يوم السبت من كل أسبوع تسبح الكنيسة {اسمك حلو ومبارك فى أفواه قديسيك: يا ربى يسوع المسيح مخلصى الصالح – كل أحد يباركك السمائيون والأرضيون: يا ربى يسوع المسيح مخلصى الصالح – سبع مرات كل يوم أبارك اسمك القدوس: يا ربى يسوع المسيح مخلصى الصالح .. الخ}.

إن اسم **يسوع** فى اللغة العبرية هو "يهوشع" أى "**يهوه خلّص**" بمعنى "**الله خلّص**" لهذا قال القديس بطرس الرسول لرؤساء اليهود بعد شفاء الرجل المفلوج: "فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل، أنه باسم يسوع المسيح الناصرى، الذى صلبتموه أنتم، الذى أقامه الله من الأموات، بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً.. **وليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطى بين الناس به ينبغى أن نخلص**" (أع٤: ١٠، ١٢).

إن اسم يسوع يحمل قوة الله للخلاص ولا يوجد اسم فى الوجود له فاعلية الخلاص مثله بالنسبة للبشر. لذلك صرخ الأعمى نحو السيد المسيح قائلاً: "يا يسوع ابن داود ارحمنى".

فلنردد هذا الاسم من عمق قلوبنا ولا نكف عن ترديده بكل الثقة والإيمان ويصرخ كل منا قائلاً {يا ربى يسوع المسيح ارحمنى}.

وهكذا نرى من الأمثلة الخمسة السابقة وغيرها كثير، إن السيد المسيح كان يميل دائماً إلى إخفاء ما يصنعه من المعجزات. وبالفعل أمكن إخفاء بعضها إلى ما بعد قيامته من الأموات، كما سوف نرى فى معجزة التجلى، التى لم يبصرها سوى بعض من تلاميذه الاثنى عشر.

٤ . فى هروبه من الجموع ومحبته للاختلاء

كان السيد المسيح يعمل من أجل خير الناس وخلاصهم وراحتهم وشفائهم، ولكن لم يكن إعجاب الجموع به يجتذبه نحوهم على الإطلاق..

كانت محبته هى التى تدفعه لأن يعمل فى وسط الجموع، وليس طلباً لمجد الناس. فالمحبة دائماً تريد أن تعطى.. حتى إنها تبذل نفسها من أجل الآخرين.

وقد أبرزت الأناجيل المقدسة هذا الأمر بوضوح فى عديد من المواقف. ومن أمثلتها ما يلى:

١- فى اختلائه وصلاته

بعدما "أخرج شياطين كثيرة، ولم يدع الشياطين يتكلمون لأنهم عرفوه" (مر١: ٣٤). يذكر معلمنا مرقس الواقعة التالية:

"**وفى الصبح باكراً جداً قام وخرج ومضى إلى موضع خلاء، وكان يصلى هناك.** فتبعه سمعان والذين معه. ولما وجدوه قالوا له **إن الجميع يطلبونك.** فقال لهم: لنذهب إلى القرى المجاورة لأكرز هناك أيضاً لأنى لهذا خرجت. فكان يكرز فى مجامعهم فكل الجليل، ويخرج الشياطين" (مر١: ٣٥-٣٩).

كان السيد المسيح يتوقع أن تأتى الجموع إليه بغزارة شديدة بعد أن صنع كثير من المعجزات، **وأخرج شياطين كثيرة**، وهو الأمر الذى لم يسبقه إليه أحد من الأنبياء الذين صنعوا معجزات منذ القديم، إذ لم يكن لأحد سلطان على الشيطان مثل هذا السلطان العجيب.

وقبل أن تحضر هذه الجموع قام باكراً جداً فى الصباح، ومضى إلى موضع خلاء وكان يصلى هناك..

تُرى ماذا كان يقول للآب السماوى فى صلاته هذه؟ لعله كان يكلمه عن "شقاء المساكين وتنهد البائسين" (مز١١: ٥) الذين تسلط عليهم إبليس، ورغبته الحارة فى خلاصهم.. أو لعله كان يشكره من أجل محبته الأبوية الفياضة، التى حررت كثيراً من البشر من سلطان الشيطان، والتى أكدّت أن ملكوت الله قد أقبل..

هذه المناجاة الممتلئة من الحب المتبادل بين الآب والابن؛ وهذا الاتضاع الذى سلك فيه الابن الوحيد، حينما أخلى ذاته آخذاً صورة عبد، وهذه الطاعة العجيبة التى قدّمها السيد المسيح لأبيه السماوى.. لاشك أنها قد

أسعدت قلب الآب القدوس. إنها علاقة الثقة والحب بين الله والإنسان، التى حققها الكلمة المتجسد فى علاقته بالآب {باركت طبيعتى فيك، أكملت ناموسك عنى..} القداس الغريغورى.

كان يحلو للسيد المسيح أن يخلو مع الآب، ليتكلّم معه، حديث من يصنع للآب كل مشيئته. **وقد علّمنا السيد المسيح بمثاله الصالح أهمية الخلوة والصلاة والحديث مع الله. فالصلاة هى التى تجعلنا نفهم مشيئة الله فى حياتنا. وهى فرصة للتعبير عن حبنا وشكرنا لأبينا السماوى. كما إنها فرصة لتسبيحه وتمجيد اسمه** "ليتقدس اسمك" (الصلاة الربانية).

كانت الصلاة بالنسبة للسيد المسيح هى فرصة لتأكيد دور الآب السماوى فى إرسالية الابن الوحيد، ولتأكيد الوحدة الجوهرية القائمة بين أقانيم الثالوث القدوس: الآب والابن والروح القدس.

حينما وصلت الجموع وبحثوا عن السيد المسيح ولم يجدوه، سألوا عنه تلاميذه. وهؤلاء بدورهم بحثوا عنه حتى وجدوه فى خلوته المقدسة. فقالوا له: "إن الجميع يطلبونك" (مر ١: ٣٧).

كان إحساس التلاميذ بأهمية الجموع مختلفاً عن إحساس السيد المسيح.. وكانت نظرتهم للموضوع، فى ذلك الوقت، تختلف عن نظرته.

فأجابهم: " **لنذهب إلى القرى المجاورة**"..

لم يكن للجماهير تأثير ولا جاذبية تعطل قصد الآب السماوى فى إرسالية السيد المسيح. ولهذا قال: "لنذهب إلى القرى المجاورة **لأنى لهذا خرجت**"..

لقد خرج من عند الآب وأتى إلى العالم، وأيضاً يترك العالم ويمضى إلى الآب.. وكانت الإرسالية قصيرة فى مدتها، عميقة فى تأثيرها..

ولم يكن العالم قادراً أن يجتذب السيد المسيح نحوه ليبقى فيه، بل كان مشتاقاً أن يمضى إلى الآب، وكان العمل كبيراً متسعاً للكرازة بالتوبة وباقتراب ملكوت الله..

وكان السيد المسيح يرى الصليب ماثلاً أمام عينيه باستمرار، كطريق نحو السماء. وهو الذى قال لتلاميذه بعد قيامته "كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده" (لو٢٤: ٢٦).

وفى سعيه نحو الصليب، لم يكن هناك متسع من الوقت للانشغال بالجموع وإعجابها، كما لم يكن هناك متسع فى القلب لمثل هذه الأمور.. بل كان القلب ساعياً مثبتاً نحو الجلجثة.

وبالفعل ترك السيد المسيح ذلك الموضع إلى القرى المجاورة، وكان يكرز فى مجامعهم ويخرج الشياطين.

٢- فى اختلائه مع التلاميذ ليستريحوا

يذكر أيضا معلمنا مرقس الإنجيلى الواقعة التالية:

"واجتمع الرسل إلى يسوع، وأخبروه بكل شئ، كل ما فعلوا وكل ما علموا، فقال لهم تعالوا أنتم **منفردين إلى موضع خلاء** واستريحوا قليلاً. لأن القادمين والذاهبين كانوا كثيرين. ولم تتيسر لهم فرصة للأكل. **فمضوا فى السفينة إلى موضع خلاء منفردين**" (مر ٦: ٣٠-٣٢).

وكان السيد المسيح يُقدِّر أهمية الراحة والخلوة بالنسبة لتلاميذه، وفى فترات الاختلاء بهم كان يحدثهم أحاديثاً خاصة، ويشرح ويفسّر لهم الكثير من تعاليمه. كما أنه قد اختارهم ليكونوا معه ليتتلمذوا على يديه، ويتمثلوا به، وبمحبته، ووداعته، وصفاته الجميلة التى كانوا هم فى أشد الاحتياج إليها. كان السيد المسيح يعلمهم بأفعاله أكثر مما يعلمهم بأقواله.

وما حدث بعد ذلك أن "رآهم الجموع منطلقين، وعرفه كثيرون، فتراكضوا إلى هناك من جميع المدن مشاة وسبقوهم واجتمعوا إليه. فلما خرج يسوع رأى جمعاً كثيراً فتحنن عليهم، إذ كانوا كخراف لا راعى لها" (مر ٦: ٣٣، ٣٤).

ضحى يسوع براحته بدافع من حنانه. ولكنه كان يميل إلى الاختلاء مع تلاميذه، بعيداً عن الجموع، التى كانت تلاحقه وهو لم يكن يمنع محبته عنها، ويعلم تلاميذه باستمرار، كيف أن المحبة لا تطلب ما لنفسها.

٥ . فى إخفائه لاهوته

قد يخفى القديسون فضائلهم الروحية، بدافع الاتضاع، ولكن قدوس القديسين أخفى لاهوته فى مناسبات كثيرة. ولكن بالطريقة التى لا تتعارض مع الإيمان به، باعتباره المخلّص الحقيقى القادر على هزيمة الموت..

إثبات السيد المسيح لألوهيته لم يحدث إطلاقاً بدافع الافتخار بالنفس، أو حب الظهور، أو طلب المجد من الآخرين. بل سمح به الرب لإتمام رسالة الفداء والخلاص وغفران الخطايا وتأسيس الكنيسة المقدسة.

وقد احتارت الشياطين فى أمر السيد المسيح؛ الذى كان يخفى لاهوته عن الشيطان.. ولم يكن الشيطان قادراً أن يفهم معنى التواضع وإخلاء الذات. وبالاتضاع هزم السيد المسيح إبليس بكل فطنة وحكمة روحية كقول معلمنا بولس الرسول: "الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته التى أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة" (أف١: ٧، ٨).

تعالوا بنا لنرى كيف كان السيد المسيح يخفى لاهوته فى مواضع كثيرة:

١- فى إخراجه للشياطين

يذكر **إنجيل معلمنا مرقس** الوقائع التالية:

بعد أن "انصرف يسوع مع تلاميذه إلى البحر، وتبعه جمع كثير من الجليل، ومن اليهودية، ومن أورشليم، ومن أدومية، ومن عبر الأردن، والذين حول صور وصيداء، جمع كثير إذ سمعوا كم صنع (من المعجزات والأعمال

الممتلئة حباً) أتوا إليه.. لأنه كان قد شفى كثيرين، حتى وقع عليه ليلمسه كل من فيه داء. **والأرواح النجسة حينما نظرته خرّت له وصرخت قائلة إنك أنت ابن الله. وأوصاهم كثيراً أن لا يظهروه" (مر٣: ٧-١٢).**

لم يكن السيد المسيح يرغب فى الإعلان عن نفسه بهذه الطريقة، كما إنه لا يقبل شهادة إبليس عنه وعن بنوته للآب السماوى. وقد حيّر السيد المسيح الشياطين برفضه لشهادتهم عن بنوته لله.. لأن الشيطان لا يفهم الاتضاع.

كان الشيطان يتخبط فى معرفته عن السيد المسيح. فتارة يقول له: "**إن كنت ابن الله**" (لو٤: ٣). وتارة يقول: "**إنك أنت ابن الله**" (مر٣: ١١).

عبارة "**أوصاهم كثيراً أن لا يظهروه**" تؤكد كيف حاول السيد المسيح أن يخفى لاهوته، كما أنه فى مناسبات كثيرة كان يتعمد إثبات حقيقة إنسانيته وتجسده.

ويذكر **إنجيل معلمنا لوقا** الأمور التالية:

حينما ذهب السيد المسيح إلى كفر ناحوم "وكان فى المجمع رجل به روح شيطان نجس، فصرخ بصوت عظيم قائلاً: آه مالنا ولك يا يسوع الناصرى. أتيت لتهلكنا. **أنا أعرفك من أنت قدوس الله. فانتهره يسوع قائلاً اخرس** واخرج منه. فصرعه الشيطان فى الوسط وخرج منه ولم يضره شيئاً" (لو٤: ٣٣-٣٥).

ويلاحظ هنا أيضاً أن السيد المسيح قد انتهر الشيطان الذى قال "**أنت قدوس الله**" لأنه لا يقبل شهادة الشيطان عنه كما أنه لا يريد أن ينتشر هذا القول بين الناس فى وقت مبكر قبل قيامته من الأموات وصعوده إلى السماوات.

أما اعتراف التلاميذ "أنت هو المسيح ابن الله الحى" (مت١٦: ١٦). فقد طوّبه السيد المسيح لأنه هو أساس الإيمان فى الكنيسة. ولكن هذا الاعتراف كان بعيداً عن أسماع الجماهير، تماماً مثلما حدث مع المولود أعمى الذى آمن بأن المسيح هو ابن الله وسجد له.

كان السيد المسيح يقتاد الناس إلى الإيمان بألوهيته فى الوقت المناسب، حينما تكون أعين قلوبهم مفتوحة بالقدر الكافى، ومهيأة لمعرفة أسراره المقدسة "**أظهر له ذاتى" (يو١٤: ٢١).**

بعد الواقعة السابقة يذكر إنجيل معلمنا لوقا أن السيد المسيح "لما قام من المجمع..كانت الشياطين أيضاً تخرج من كثيرين وهى تصرخ وتقول: **أنت المسيح ابن الله. فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون لأنهم عرفوه أنه المسيح" (لو٤: ٣٨، ٤١)** شعرت الشياطين بقوة السيد المسيح وسلطانه عليهم، فعرفوا إنه هو المسيح ابن الله. لأنه لم يحدث قط أن أخرج أحد الأنبياء شيطاناً فى العهد القديم. ولهذا دهش الجميع وكانوا يخاطبون بعضهم بعضاً قائلين: **ما هو هذا التعليم الجديد** فإنه بسلطان وقوة يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه وتخرج؟ (انظر لو٤: ٣٦). ولكن حينما كان

السيد المسيح يسلك بمقتضى إنسانيته، فيتعب ويتألم ويحزن –كان الشيطان يعود فيشك فى ألوهيته ويتجاسر عليه، حتى تمم السيد المسيح الفداء على الصليب..

٢- فى حديثه مع تلاميذه

حينما سأل السيد المسيح تلاميذه عما يقوله الناس عنه، ثم عن رأيهم هم فيه قالوا: "أنت هو المسيح ابن الله الحى" (مت١٦: ١٦)، "**حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح**" (مت١٦: ٢٠) وذلك بعد أن أوضح أن الاعتراف بألوهيته قد جاءهم نتيجة إعلان الآب السماوى لهم. وهنا نرى كيف منع السيد المسيح تلاميذه من أن يكشفوا حقيقة لاهوته للناس، وذلك إلى أن يقوم من الأموات. ولذلك يكمل معلمنا متى الإنجيلى قوله السابق ويقول:

"من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يُظهر لتلاميذه أنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل وفى اليوم الثالث يقوم" (مت١٦: ٢١). كان من المناسب إخفاء ألوهية السيد المسيح حتى تتأكد بقيامته من الأموات منتصراً على الموت من أجل خلاص البشرية.

٦ . فى زهده فى المناصب

بالرغم من أن السيد المسيح هو ملك الملوك ورب الأرباب، وبالرغم من أنه هو رئيس الكهنة الأعظم.. إلا أنه عاش بعيداً عن المناصب المختصة بالمُلك، والمختصة بالكهنوت. لم يمجّد نفسه، ولم يُنافس الناس فى مناصبهم، بل كان بعيداً عن كل هذه الأمور..

أولاً: فيما يختص بالمُلك

عاش السيد المسيح تحت سلطة الملوك والأباطرة والحكام.. لم تكن له أية وظيفة، ولا رئاسة، ولا سلطان ينافس به الحكام فى سلطتهم.

خشى هيرودس الملك من ولادة السيد المسيح ملك اليهود، وأراد أن يتخلّص منه، وذبح جميع أطفال بيت لحم.. ولكنه لم يفهم طبيعة مُلك السيد المسيح الذى قال للوالى الرومانى بعد ثلاثين عاماً: "**مملكتى ليست من هذا العالم**" **(يو١٨: ٣٦).**

لم يستخدم السيد المسيح حقه الإلهى فى أن يسود على الجميع، بل وضع نفسه تحت الكل، وكان خاضعاً لسلطان البشر.

دَفَعَ الجزية للحكام، ورفض أن تجعله الجموع ملكاً ينتزع ما اعتبروه حقوقاً لهم. ولم يقاوم الذين ألقوا القبض عليه، و"ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه، كشاه تساق إلى الذبح" (إش٥٣: ٧)، ولم يقاوم اللطم والإهانات وجلد السياط، ولا ما اقترن بالصليب من إهانات وآلام متنوعة.

رفض السيد المسيح الملك الزمنى، وكل أمجاده، لأنه كان يريد أن يملك على القلوب بمحبة إذ قال: "أنا إن ارتفعت.. أجذب إلىّ الجميع" (يو١٢: ٣٢)، بمعنى أنه حينما يرتفع معلقاً على خشبة الصليب، فسوف يجتذب إليه محبة وإيمان الكثيرين. وفى موضع آخر تكلم عن الصلب فقال: "متى رفعتم ابن الإنسان" (يو٨: ٢٨).

حقاً "إن الرب قد ملك على خشبة" (مز٩٥: ١٠).. ملك على قلوب الذين افتداهم وخلصهم من سلطان الخطية وعبوديتها.

عاش السيد المسيح فى عالم ممتلئ بالمشاكل والاضطرابات.. ولم يحاول إطلاقاً أن يدخل فى خضم هذا البحر المتلاطم. بل عالج مشكلة الإنسان الداخلية.. وأراد أن يحرر الإنسان من الداخل؛ عملاً بقول الكتاب أن "مالك روحه خير ممن يأخذ مدينه" (أم١٦: ٣٢).

إن فى تحرير الإنسان من الخطية، وفى تحريره من ذاته ومن الأنانية، الحل الحقيقى لمشاكل البشرية ولكل معاناة الإنسان.

كانت الحرية فى نظر البشر شيئاً، وفى نظر السيد المسيح شيئاً آخر.. لهذا قال: "إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا" (يو٨: ٣٦).

أن يتحرر الإنسان من الداخل معناه أن يحيا فى حرية مجد أولاد الله فى الحياة الأبدية، فى شركة مقدسة مع الله. أما التحرر من العبودية الخارجية للبشر، فلا يؤثر فى مصير الإنسان الأبدى.. بل هو وضع مؤقت لا يمكن أن يدوم. وبهذا فقد اهتم السيد المسيح بأن يملك على قلوب الذين اشتراهم من حمأة الخطية والموت الأبدى.

لم يأخذ السيد المسيح مُلكاً أرضياً، ولكن فى السماء له ملكوت أبدى. فهو الملك الذى لا نهاية لملكه.

ثانياً: فيما يختص بالكهنوت

ترك السيد المسيح لكهنة اليهود وظائفهم فى خدمة الكهنوت الهارونى بتقديم الذبائح الحيوانية فى الهيكل.

لم يطلب منصباً كهنوتياً، ولا خدمة طقسية فى ذلك الهيكل الذى هو المسكن الأول. بل جعل من جسده هيكلاً لتقديم الذبيحة الحقيقية "وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد، أى الذى ليس من هذه الخليقة. وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً" (عب٩: ١١، ١٢). لقد دخل السيد المسيح إلى الأقداس السمائية ليشفع فينا أمام الآب السماوى.

لم يزاحم السيد المسيح أحداً فى منصبه الكهنوتى، بل جاء كهنوته، بحسب تدبير الله، كشئ ملازم لتقديم ذاته كذبيحة خلاص حقيقية مقبولة من الآب السماوى.

لم يأخذ السيد المسيح رئاسة الكهنوت كوظيفة أو منصب خارجى، بل نبع ذلك من صميم قدرته على تقديم ذاته ذبيحة عن حياة العالم.

كان هو الكاهن، وهو الذبيحة. كما أنه هو الهيكل، وهو القربان. وهو الحمل وهو الراعى فى آنٍ واحد.

كان الآب هو الذى اختاره ليكون رئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكى صادق. وقد دفع السيد المسيح حياته ثمناً لعمله الكهنوتى.. فما أمجد كهنوت مثل هذا؟.. أو هل كان ممكناً لمثل هذا أن لا يصير كاهناً؟!

حقاً قال معلمنا بولس الرسول: "ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هارون أيضاً. **كذلك المسيح أيضاً لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة**، بل الذى قال له أنت ابنى أنا اليوم ولدتك. كما يقول أيضاً فى موضع آخر أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق" (عب٥: ٤-٦).

٧. فى رفضه للتعصب العرقى

عند بئر يعقوب

التقى السيد المسيح بالمرأة السامرية عند بئر ماء وهو صاحب الينبوع الحى الذى يمنح الماء الحى لمن يطلبه.

كانت المرأة تعيش فى مشكلتين فى علاقتها بالله:

المشكلة الأولى: مشكلة عرقية لها صلة بالدين وحرفيته والتعصب فيه.

والمشكلة الثانية: مشكلة داخلية تخص انقيادها لرغبات الجسد وشهواته.

وفى الحقيقة أن السيد المسيح قد جاء إلى العالم ليحل هاتين المشكلتين فى حياة البشر جميعاً. وإن كان اللقاء مع السامرية هو وسيلة لإيضاح هاتين الحقيقتين المريرتين فى طبيعة البشر.

اليهود لا يعاملون السامريين

قالت المرأة للسيد المسيح "كيف تطلب منى لتشرب وأنت يهودى وأنا امرأة سامرية؟! لأن اليهود لا يعاملون السامريين" (يو٤: ٩).

كان اليهود يحتقرون السامريين لاختلاطهم بالأمم بعد أن انقسمت المملكة، وصار ملوك السامرة يقيمون شعائر العبادة فى هيكل آخر فى جبل السامرة بخلاف هيكل اليهود فى جبل صهيون، وذلك لكى يمنعوا أفراد شعوبهم من الذهاب إلى أورشليم للسجود هناك. وفى هيكل السامريين اختلطت عبادة الله بالعادات والممارسات الوثنية أحياناً. وتفاقم الصراع بين المملكتين، وتداخلت العوامل الدينية مع العوامل السياسية لتزداد العداوة بين اليهود والسامريين.

وجاء السيد المسيح ليزيل العداوة، وليحرر اليهود من التعصب العرقى والدينى.

فبدأ هو بالمبادرة نحو السامريين متخطياً الحواجز التى فصلت بين الشعبين. وتكلّم مع المرأة السامرية طالباً منها أن تعطيه ليشرب.

وحينما قالت له المرأة السامرية متسائلة: "آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل، وأنتم تقولون إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يُسجد فيه" (يو٤: ٢٠). أجابها السيد المسيح "يا امرأة صدقينى إنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى أورشليم تسجدون للآب، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون، أما نحن فنسجد لما نعلم" (يو٤: ٢١، ٢٢).

وقد قصد السيد المسيح أن يوضح لهذه المرأة عدم تمسكه بمكان معيّن للسجود للآب السماوى.. لا فى جبل السامرة، ولا فى جبل صهيون بأورشليم. **لأن الله هو فوق حدود المكان.**

ثم بدأ يوضح لها أن الموقف الأهم هو **مفهوم العبادة ونقاوة العقيدة، ومعرفة الله المعرفة الحقيقية لكى تقدم له العبادة المقبولة.**

وشرح لها أن الخلاص يُبنى على المعرفة السليمة، وأقوال الكتب المقدسة التى هى أنفاس الله، والتى حُفظت فى أورشليم إلى مجيء المخلّص. ولهذا قال لها: "لأن الخلاص هو من اليهود" (يو٤: ٢٢)، أى من وسطهم سوف يأتى المسيح مانحاً الخلاص والبنوة للذين يقبلونه.

وأوضح لها أيضاً أن العبادة المقبولة أمام الآب هى "بالروح والحق" (يو٤: ٢٤).

ليس بعتق الحرف.. أى ليس بالعبادة الحرفية الناموسية التى يفتخر بها المتزمتون من اليهود، بل بالروح الجديد (بجدة الروح).. أى بالعبادة الروحانية التى يتمتع بها أولاد الله الذين يتمتعون بشركة الروح القدس، ويستنيرون ويبتهجون ويشبعون بعمل الروح فيهم. عبادة تتحرر من الارتباط بالمكان والشكليات.. بل حيث يعمل الروح القدس فى الكنيسة بقوة من أقاصى المسكونة إلى أقاصيها.. يقود ويرشد ويعلم ويمنح سلطان الخدمة الكهنوتية بالخلافة الرسولية، وبها يتم مسح الخدام والمؤمنين والكنائس كما تتم جميع الأسرار المقدسة لخلاص المؤمنين.

وهى ليست عبادة يتمتع فيها الإنسان روحياً فقط، بل تمتلئ بالحق والاستقامة. أى لا يكفى أن يشعر الإنسان بنشوة روحية مبهمة فى العبادة بل ينبغى أن يستوعب بعقله الإيمان وما فيه من حق.. لأن الروح القدس يعلن الحق فى داخلنا.. يعلن المسيح الذى قال: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو١٤: ٦).

والحق الذى يعلنه الروح القدس هو الإيمان المستقيم.. الإيمان المسلّم مرة للقديسين.. الإيمان الذى يخلو من البدع ومن الخرافات ومن الهرطقات. الحق الذى قال عنه السيد المسيح: "كل من هو من الحق يسمع صوتى" (يو١٨: ٣٧).

لهذا كله قال السيد المسيح للمرأة السامرية: "تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. الله روح، والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا" (يو٤: ٢٣، ٢٤).

لم تعد العبادة لله قاصرة على أورشليم وحدها مثلما كان الأمر فى العهد القديم قبل مجيء السيد المسيح. ولم يعد هيكل سليمان هو المكان المختار للعبادة. بل قال معلمنا بولس: "أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم" (١كو٣: ١٦). اتسع الهيكل فى العهد الجديد، ليكون هو الكنيسة المقدسة الممتدة من أقاصى المسكونة إلى أقاصيها.

وصار هيكل الله الآب هو المكان (فى الكنيسة) الذى يحضر فيه السيد المسيح بجسده ودمه الأقدسين بفعل الروح القدس فى سر الإفخارستيا ليمنح المؤمنين باسمه الاشتراك فى الحياة الأبدية التى منحت لنا بموته عوضاً عنا على الصليب.

حقاً صار حضور المسيح بذبيحته المقدسة –بكل ما تُعلن عنه فى الموت والقيامة والصعود والمجيء الثانى– حقيقة واقعة فى كنيسته المحبوبة، إعلاناً مبكراً للعرس بين المسيح وعروسه الكنيسة التى اقتناها بدمه الكريم، وعربوناً للحياة الأبدية التى وعد بها جميع قديسيه.

لم يفهم اليهود فى نظرتهم الضيقة للعبادة هذه الحقائق الثمينة، وجعلوا يتمسكون بهيكل مبنى بالحجارة وربما يحلمون بإعادة بنائه بعد خرابه، حسبما قال لهم السيد المسيح: "هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً" (مت٢٣: ٣٨). وحينما يقولون: "مبارك الآتى باسم الرب" (مت٢٣: ٣٩) فسوف يفهمون المعنى الحقيقى للهيكل.

ألم يقل لهم السيد المسيح عن جسده: "انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه" (يو٢: ١٩). **أما هم فلم يفهموا أنه كان يُكلمهم عن هيكل جسده المقدس** بل صاروا يعترضون ويسخرون من كلامه قائلين عن هيكل الحجارة: "فى ست وأربعين سنة بنى هذا الهيكل أفأنت فى ثلاثة أيام تقيمه؟" (يو٢: ٢٠).

بعد مجيء المسيح لم يعد هناك لزوم للهيكل القديم

لأن الذبائح الحيوانية قد أبطلتها ذبيحة الصليب وقد شرح القديس بولس الرسول هذه الحقيقة بقوله للعبرانيين (أى لذوى الأصل اليهودى) "لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة، لا نفس صورة الأشياء، لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التى يقدمونها على الدوام أن يكمّل الذين يتقدمون.. لأنه لا يمكن أن دم ثيران وتيوس يرفع خطايا. لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحة وقرباناً لم تُرد، ولكن هيأت لى جسداً.. فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع، طريقاً كرّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده. وكاهن عظيم على بيت الله" (عب١٠: ١، ٤، ٥، ١٩–٢١).

اذهبى وادعى زوجك (يو٤: ١٦)

أراد السيد المسيح أن يقود المرأة السامرية إلى التوبة، حتى يأتى بها إلى العبادة بالروح والحق. فلم يكن من الممكن أن تبدأ علاقتها مع الله فى العبادة، بينما هى تحيا فى سيرة خاطئة ومشاعر خاطئة.

لهذا طلب منها أن تذهب وتدعو زوجها "أجابت المرأة وقالت: ليس لى زوج. قال لها يسوع: حسناً قلت ليس لى زوج لأنه كان لك **خمسة أزواج، والذى لك الآن ليس هو زوجك.** هذا قلتِ بالصدق" (يو٤: ١٧، ١٨).

بدأت المرأة من خلال كشف المسيح لها، تدرك أنها أمام شخصية غير عادية. فقالت: "يا سيد أرى أنك نبى" (يو٤: ١٩). قالت ذلك معترفة بخطئها.

ولما تكلم السيد المسيح معها عن السجود لله بالروح والحق، وعدم التقيد بجبل السامرة ولا جبل صهيون فى السجود للآب، أرادت أن تجد مرجعاً يتفق فيه اليهود والسامريون. فقالت له: "أنا أعلم أن مسيا الذى يقال له المسيح يأتى. فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شئ" (يو٤: ٢٥).

كان بالنسبة لها مجيء السيد المسيح هو الحل لجميع مشاكلها الروحية والفكرية وقد اشتاقت بالفعل أن تعرف من محدثها الذى لم تكن تعرفه، أن يخبرها متى يأتى المسيا المنتظر.

عند هذه النقطة كشف لها السيد المسيح عن شخصيته الحقيقية، وقال لها: "أنا الذى أكلمك هو" (يو٤: ٢٦).

فتركت المرأة جرتّها إلى جوار البئر، وذهبت إلى أهل السامرة لتدعوهم لرؤية السيد المسيح. وآمن الكثيرون بسبب كلامها– ثم بالأكثر بسبب رؤيتهم **للمسيا مشتهى الأجيال.**

٨. فى معاملاته مع الخطاة

جاء السيد المسيح لكى يحمل خطايا آخرين، ويشفع فى المذنبين ولذلك كان لطيفاً جداً فى معاملاته مع الخطاة. ودائماً كان يقول: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى.. لأنى لم آت لأدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة" (مت٩: ١٢، ١٣).

ومع إنه كان حازماً مع المستكبرين، وقساة القلوب، ورافضى التوبة، والمرائين، والمنافقين، ومع الذين يعتبرون أن التقوى تجارة.. إلا أنه كان رقيقاً، متواضعاً، مترفقاً، طويل الأناة مع المنكسرين، والضعفاء، والمنسحقين، والمأسورين، والمشتاقين إلى التوبة والخلاص.. مثلما قال: "روح الرب علىَّ لأنه مسحنى، لأبشر المساكين. أرسلنى لأشفى المنكسرى القلوب، لأنادى للمأسورين بالإطلاق، وللعمى بالبصر، وأرسل المنسحقين فى الحرية وأكرز بسنة الرب المقبولة" (لو٤: ١٨، ١٩).

محبة الخطاة

من أجل محبته للخطاة، ورغبته فى خلاصهم، احتمل الكثير من التعيير الذى أثاره ضده الكتبة والفريسيون ورؤساء اليهود. إذ اتهموه بأنه محب للعشارين والخطاة، وأنه دخل ليمكث فى بيت إنسان خاطئ.

وفى قبوله لتوبة المرأة الخاطئة التى غسلت رجليه بدموعها قالوا: "لوكان هذا نبياً لعلم من هذه الامرأة التى تلمسه وما هى إنها خاطئة" (لو٧: ٣٩).

وفى النهاية حينما عُلّق على الصليب حاملاً خطايا كثيرين، كانوا يعيّرونه قائلين: "خلّص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها" (مت٢٧: ٤٢)

السيد المسيح فى اتضاع عجيب تعامل مع الخطاة، بل وحمل تعييرات كان المفروض أن يحملوها هم فحملها عوضاً عنهم راضياً مختارًا..

فى لقائه مع السامرية

بادرها قائلاً: "أعطينى لأشرب" (يو ٤: ٧)، مُظهراً نفسه كالمحتاج مع أنه **هو ينبوع الماء الحى..**

وحينما "أجابت المرأة وقالت: ليس لى زوج، قال لها يسوع: حسناً قلت ليس لى زوج.. هذا قلتِ بالصدق" (يو ٤: ١٧، ١٨)، مادحاً صدقها فى هذا الأمر، كاشفاً لها أعماق حياتها "لأنه كان لكِ خمسة أزواج والذى لكِ الآن ليس هو زوجك" (يو ٤: ١٨). فقالت المرأة: "يا سيد أرى أنك نبى" (يو ٤: ١٩).

فبمنتهى الاتضاع والحرص على مشاعرها، اقتادها إلى الاعتراف، وإلى التوبة، وإلى المناداة باسمه بين أهل مدينتها.

مع اللص اليمين

كان اللصان اللذان صُلبا مع السيد المسيح يعيرانه قائلين: "إن كنت أنت المسيح فخلّص نفسك وإيانا" (لو٢٣: ٣٩).

وفيما كان السيد المسيح يدفع ثمن خطية اللص المذنب، احتمل تعييراته، وكان يصلّى من أجل خلاصه وتوبته.

وعلى مدى ساعات الصلب كان اللص يراقب السيد المسيح ويستمع لكلماته، وكيف كان يهتم بغيره..

سمعه وهو ينادى الآب طالباً المغفرة لصالبيه "يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو٢٣: ٣٤).

رأى صبره ووداعته واحتماله لتعييرات اليهود، إذ لم يرد بكلمة واحدة على ما وجِّه إليه من شتائم وإهانات.

ربما فكّر اللص اليمين فى نفسه قائلاً (لاشك فى أن يسوع المصلوب يؤدى رسالة يدفع فيها ثمن خطايا آخرين، وهو برئ من كل خطية لأن الذى استطاع أن يقيم لعازر من الموت، لا يعسر عليه أن يُسكت هؤلاء المجدفين عليه).

لهذا بدأ اللص اليمين يوبّخ زميله الآخر: "أَوَلاَ أنت تخاف الله، إذ أنت تحت هذا الحكم بعينه. أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا. وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس فى محله" (لو٢٣: ٤٠، ٤١). ثم استطرد معلناً إيمانه بألوهية السيد المسيح الذى احتمل كل هذا من أجلنا: "اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك. فقال له يسوع الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس" (لو٢٣: ٤٢، ٤٣).

أى أن السيد المسيح قد وعد اللص بأن يذهب إلى مكان انتظار أرواح الأبرار، تمهيداً لدخوله إلى الملكوت فى اليوم الأخير.

فى اتضاعه المعهود لم يؤاخذ السيد المسيح اللص على تجاديفه السابقة وتعييراته له. بل حتى لم يعاتبه.. واكتفى بما أظهره من حب وإخلاص، ورغبة صادقة فى السلوك فى طريق الحق، وإيمان برسالة السيد المسيح كفادى ومخلص وملك للمفديين.

وهكذا نرى السيد المسيح فى اتضاعه، وقد حمل خطايا كثيرين وشفع فى المذنبين ووبخهم برقته ووداعته العجيبة حتى تحولوا من خطاة إلى قديسين.

مع المرأة الخاطئة

سأل السيد المسيح مضيفه سمعان الفريسى "كان لمداين مديونان، على الواحد خمسمئة دينار، وعلى الآخر خمسون. وإذ لم يكن لهما ما يوفيان، سامحهما جميعاً. فقل أيهما يكون أكثر حباً له. فأجاب سمعان وقال: أظن الذى سامحه بالأكثر. فقال له بصواب حكمت" (لو٧: ٤١-٤٣).

إن الغفران الذى قدّمه السيد المسيح للمؤمنين به هو غفران مدفوع الثمن.

والثمن هو دم المسيح. لهذا قال معلمنا بولس الرسول: "وأنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتريتم **بثمن** فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (١كو٦: ١٩، ٢٠).

وقال معلمنا بطرس الرسول: "عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى.. بل **بدم كريم** كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح" (١بط١: ١٨، ١٩).

إن البشر لم يكن بمقدورهم أن **يوفوا الدين** الذى عليهم لله بدون تجسد ابن الله الوحيد الذى هو وحده قادر أن يوفى الدين، وهو نفسه الله الظاهر فى الجسد الذى صالحنا مع أبيه السماوى.

وعن عدم مقدرة البشر منفردين عن الله بأنفسهم أن يوفوا الدين، قال السيد المسيح فى هذا المثل: "**وإذ لم يكن لهما ما يوفيان**" (لو٧: ٤٢).

لقد أوفى السيد المسيح الدين الذى علينا واشترانا وصرنا ندين له بهذا الحب العجيب، أى أنه قد اجتذبنا بمحبته **وغفرانه المدفوع الثمن،** فصرنا نحبه وتزداد محبتنا له كلما تأمّلنا فى آلامه لأجلنا.

وقال السيد المسيح لسمعان عن المرأة الخاطئة التى غسلت رجليه بدموعها ومسحتهما بالطيب وانهمكت فى تقبيل قدميه "**من أجل ذلك أقول لك: قد غُفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً. والذى يُغفر له قليل يحب قليلاً**" (لو٧: ٤٧).

إن الغفران المدفوع الثمن فى المفهوم المسيحى هو الذى يجعلنا نحب الرب كثيراً. كما أنه هو الذى يجعلنا نكره الخطية، لأنها تسببت فى آلام فادينا وموته على الصليب.

كيف ننسى هذا الحب العجيب الذى يبكتنا على كل خطية اقترفناها أو نقترفها، ويجعلنا نشعر بالاشمئزاز من الخطية، ويجعلها تبدو خاطئة جداً.

إن الخاطئ الذى يتأمل فى جراحات المخلّص الوديع يشعر بأنه لا يطيق نفسه، ولا يتصور أنه من الممكن أن يخون هذا الحب الكبير. لهذا قال السيد المسيح: "إن كان أحد يأتى إلىّ ولا **يبغض** أباه وأمه وامرأته وأولاده وإخوته وأخواته حتى **نفسه** أيضاً فلا يقدر أن يكون لى تلميذاً" (لو ١٤: ٢٦).

وما معنى أن يبغض الإنسان نفسه، إلا أن يبغض كل تصرف تميل إليه نفسه فى أنانيته لإرضاء شهواتها.

هذه هى فلسفة تعاليم السيد المسيح فى قوله: "من أراد أن يخلّص نفسه يهلكها، ومن يُهلك نفسه من أجلى يجدها" (مت١٦: ٢٥).

من أهلك نفسه من أجل المسيح سوف يجدها، لأنه سوف يتحرر من سلطان الخطية والموت الأبدى، وبهذا سوف يرث الحياة الأبدية ويجد نفسه فى الأبدية والسعادة الحقيقة فى حرية مجد أولاد الله.

الإيمان بالسيد المسيح بأنه هو ابن الله الحى والإيمان بموته المحيى وقيامته من الأموات يؤهل الإنسان أن ينال سر العماد المقدس لأن "الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أى المؤمنون باسمه" (يو ١: ١٢).

وبالميلاد الفوقانى ينال المؤمن الحق فى أن ينال سر المسحة المقدسة ويصير مسكناً للروح القدس الذى يثبّته فى حالة البنوة لله ويمنحه ثمارًا لازمة للخلاص، كما يمنحه مواهباً لبنيان الكنيسة.

وبالميلاد الفوقانى أيضاً يؤهَّل الإنسان للاتحاد بالحياة الأبدية فى المسيح بالتناول من جسده المقدس ودمه الكريم فى سر الإفخارستيا، الذى يعطيه ثباتاً فى المسيح ويؤهّله لشركة الحياة الأبدية. ومن خلال سر التوبة والاعتراف يؤهل لتجديد مفاعيل العماد المقدس فى الاتحاد بالمسيح بشبه موته وقيامته من الأموات فى سر الإفخارستيا (التناول).

إن العطايا الروحية التى ينالها المؤمن بالمسيح تمنحه قوة للانتصار على محاربات الشيطان، والتمتع بحياة القداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب. وفى كل ذلك يضع المؤمن أمام عينيه صلب المخلص وجراحاته وآلامه.

لأن الصليب هو سلاح الغلبة. وهو مصدر كل العطايا والنعم التى يمنحها الروح القدس للمؤمنين بالمسيح، الذين يتمتعون بغفران مدفوع الثمن، يمنحه لهم الروح القدس باستحقاقات دم المسيح الفادى والمخلص العجيب.

٩. الحوار فى أسلوب السيد المسيح

كان السيد المسيح يستخدم دائماً أسلوب الإقناع فى توصيل الحقائق الإلهية والسامية للناس.

وكثيراً ما تعرض للسخرية من مقاوميه، كما أنهم كانوا يحاولون أن يصطادوه بكلمة ليضعوه فى مأزق فى علاقته بالحكام، أو فى موقفه من شرائع الناموس..

ولكنه كان باستمرار يستخدم أسلوب الحوار المقنع.. لم يستخدم الغضب، ولم يكن عنيفاً فى الرد على مقاوميه، أو الذين يسخرون منه.. ولكنه أحياناً كان يحذرهم من نتائج تمسّكهم بالخطأ.

كُتب عن السيد المسيح: "الذى لم يفعل خطية، ولا وُجد فى فمه مكر. **الذى إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً، وإذ تألم لم يكن يُهدد**، بل كان يُسلّم لمن يقضى بعدلٍ. الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة، لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبر" (١بط٢: ٢٢-٢٤).

ولنا بعض من الأمثلة عن أهمية الحوار فى خدمة السيد المسيح:

١- فى إخراجه للشياطين

"وكان يخرج شيطاناً. وكان ذلك أخرس. فلما أُخرِجَ الشيطان تكلم الأخرس فتعجب الجموع وأما قوم منهم فقالوا ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين. وآخرون طلبوا منه آية من السماء يجربونه. فعلم أفكارهم وقال لهم كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب. وبيت منقسم على بيت يسقط. فإن كان الشيطان أيضاً ينقسم على ذاته، فكيف تثبت مملكته؟! لأنكم تقولون إنى ببعلزبول أخرج الشياطين. فإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين، فأبناؤكم بمن يخرجون؟ لذلك هم يكونون قضاتكم. ولكن إن كنت بإصبع الله أخرج الشياطين، فقد أقبل عليكم ملكوت الله" (لو١١: ١٤-٢٠).

اتهم اليهود السيد المسيح بأن به شيطاناً، بل تجاسروا أكثر واتهموه بأن به بعلزبول. وواجه السيد المسيح هذا الاتهام بأسلوب الحوار الهادئ الموضوعى، وذلك بالرغم من تجاسرهم الكائن ضد كلمة الله المتجسد. ونكرانهم لجميله فى شفاء أخيهم الأخرس الذى أذله الشيطان وعذبه.

قدّم السيد المسيح دليلين على استحالة عمله بواسطة بعلزبول رئيس الشياطين:

الدليل الأول: هو أن بعلزبول لا يعمل ضد مملكته وسلطانه فى البشر، ولا يخرج شياطينه من البشر وإلا تكون مملكته قد انقسمت على ذاتها. لا نتصور قائداً حربياً يطرد جنوده من المواقع التى استولوا عليها بمشقة واستعمروها.

الدليل الثانى: أنه لو كان يعمل بواسطة بعلزبول رئيس الشياطين -ولهذا فمعه سلطان الرئاسة فى مواجهة الشياطين الأقل قدرة- فبمن يخرج تلاميذ المسيح الشياطين التى أخرجوها؟!.

كان اليهود يريدون تصوير السيد المسيح، وكأنه يعمل بقوة بعلزبول الساكن فيه.. ففند السيد المسيح ادعائهم بالمنطق والحجة القوية. مُظهراً لهم أن الرسل يكونون قضاة لهم، لأنهم سوف يدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر.

وبعدما أثبت السيد المسيح استحالة أن يكون بعلزبول هو الذى يخرج الشياطين، قدّم الحقيقة الإلهية الساطعة، وهى أنه بإصبع الله يخرج الشياطين، مؤكداً أن ملكوت الله قد أقبل على بنى البشر مُحرراً إياهم من سلطان إبليس جاعلاً إياهم مسكناً للروح القدس بعد إتمام الفداء على الصليب.

وهكذا نقل السيد المسيح الحوار إلى إعلان قصد الله فى تجسد الكلمة الأزلى، ليسحق الشيطان ويحرر البشرية من سيطرته وسلطانه.

٢- فى حواره حول القيامة

حضر قوم من الصدوقيين الذين يقاومون أمر القيامة، وسألوه بمثلٍ عن امرأة مات رجلها دون أن تنجب أولاداً فتزوجها أخوه حسب ناموس موسى ليقيم اسم الميت على ميراثه، ولكنه مات أيضاً دون أن ينجب وهكذا حتى تزوجها سبعة إخوة وماتوا وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً ففى القيامة لمن تكون زوجة؟.

لقد رد على مكيدتهم بإقناع وباتضاع، هؤلاء الذين حاولوا بذكائهم أن يوقعوه فى مأزق، ليثبتوا أنه لا توجد قيامة للأموات.

وبمنتهى الحكمة أجابهم السيد المسيح مُظهِراً أن "أبناء هذا الدهر يُزوِّجون ويُزَوَّجون، ولكن الذين حُسبوا أهلاً للحصول على ذلك الدهر والقيامة من الأموات لا يزوِّجون ولا يزوَّجون إذ لا يستطيعون أن يموتوا أيضاً لأنهم مثل الملائكة وهم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة. وأما أن الموتى يقومون فقد دلّ عليه موسى أيضاً فى أمر العليقة كما يقول الرب إله ابراهيم وإله إسحق وإله يعقوب، وليس هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء" (لو٢٠: ٣٤-٣٨).

شرح السيد المسيح طبيعة حياة القيامة، باعتبارها حياة روحانية مثل حياة الملائكة الذين لا يتزوجون لأنهم لا يحتاجون إلى نسل، إذ لا يمنعهم الموت عن استمرار رسالتهم وحياتهم. أما البشر فى هذا الزمان الحاضر فإن استمرار الجنس البشرى يقتضى أن ينجبوا نسلاً قبل موتهم..

وقدّم السيد المسيح دليلاً كتابياً عن قيامة الموتى بأن الرب إله أحياء، مؤكداً بذلك خلود الروح الإنسانية وبقاءها حتى بعد انفصالها المؤقت عن الجسد.

٣- بأى سلطان تفعل هذا ؟ (مت٢١: ٢٣)

"ولما جاء إلى الهيكل تقدّم إليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وهو يُعلِّم قائلين: **بأى سلطان تفعل هذا؟ ومن أعطاك هذا السلطان؟** فأجاب يسوع وقال لهم: وأنا أيضاً أسألكم كلمة واحدة، فإن قلتم لى عنها أقول لكم أنا أيضاً بأى سلطان أفعل هذا، معمودية يوحنا من أين كانت، من السماء أم من الناس؟ ففكروا فى أنفسهم قائلين: إن قلنا من السماء، يقول لنا فلماذا لم تؤمنوا به؟ وإن قلنا من الناس نخاف من الشعب، لأن يوحنا عند الجميع مثل نبى. فأجابوا يسوع وقالوا: لا نعلم. فقال لهم هو أيضاً: "ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا" (مت٢١: ٢٣-٢٧).

كان رؤساء اليهود يريدون أن يقولوا أن السيد المسيح لم يكن لديه سلطان من الله فى تعليم الشعب فى الهيكل. وأراد السيد المسيح أن يرد على ذلك، بأنهم هم الذين يقاومون عمل الله والمرسلين منه. وأعطاهم مثلاً بيوحنا المعمدان،

وكيف لم يتجاوبوا مع إرساليته القوية كآخر أنبياء العهد القديم، والذى جاء ليعد الطريق أمام السيد المسيح، وشهد له أنه هو حمل الله، وابن الله والمسيا المخلص. وأعلن شهادته هذه على الملأ. كما أعلن أنه أثناء عماده للسيد المسيح قد رأى الروح القدس نازلاً من السماء، ومستقراً عليه بهيئة جسمية مثل حمامة.

سألهم عن معمودية يوحنا وإرساليته هل كانت من الله؟ فاحتاروا فى الإجابة. ولم يمكنهم أن ينكروا علانية أنه كان مُرسلاً من الله. فقالوا: "لا نعلم".

وهنا أظهر السيد المسيح ارتباكهم وعدم يقينيتهم، بل وعدم اعترافهم بالحقيقة التى قبلها الشعب بشأن إرسالية يوحنا المعمدان.. ولذلك قال لهم هو أيضاً: ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا.

إن للحوار الهادئ المتأنى قوة وتأثيراً أشد من العنف والقساوة فى التعبير. وإن لم يقنع المقاومين، فعلى الأقل، يستطيع أن يقنع من يستمعون إلى الحوار من الشعب.

٤- التوبيخ

قرب نهاية خدمته على الأرض، والتى استمرت لعدة سنوات، بدأ السيد المسيح فى توبيخ الكتبة والفريسيين على ريائهم، وبدأ يكشف ما فى حياتهم من خداع، وذلك بعد أن تجاهلوا كل ما قدّمه لهم من وسائل الإقناع وتمسكوا بأخطائهم.

كما أنه أخرج من الهيكل الذين كانوا يبيعون ويشترون فيه، لأن الهيكل هو بيت الرب الذى دعى بيت الصلاة لجميع الأمم، وهم جعلوه مغارة لصوص (انظر مت٢١: ١٣).

استخدم السيد المسيح الحزم والتوبيخ بعد أن استنفذ كل وسائل الإقناع الهادئة مع مثل هؤلاء الناس.. ولكنهم تآمروا عليه نتيجة لهذا الحزم وذلك التوبيخ، إذ حنقوا عليه ليقتلوه، مع أنه لم يؤذ واحداً منهم على الإطلاق بل قدّم الحب والخير للجميع.

لم يكن ممكناً أن يسكت عليهم أكثر من ذلك، لئلا يُظن أنه سكت خوفاً على سلامته وحياته.. كما كان ينبغى أن يُظهر السيد القدوس عدم رضائه على ما يسلكون فيه من شر ورياء.

ولكنه فى توبيخه للكتبة والفريسيين، كان أيضاً يستخدم أسلوب الإقناع، مُقدماً البراهين الكتابية والمنطقية، ومحققاً ما قيل عنه من نبوات فى الكتب المقدسة، مثل ما قيل بإشعياء النبى:

"**هوذا فتاى الذى اخترته. حبيبى الذى سرت به نفسى. أضع روحى عليه فيخبر الأمم بالحق. لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ. حتى يخرج الحق إلى النصرة. وعلى اسمه يكون رجاء الأمم" (مت١٢: ١٨-٢١).**

١٠. حديث السيد المسيح مع نيقوديموس

بعد أن أكّد السيد المسيح لنيقوديموس أهمية الولادة الثانية فى المعمودية من الماء والروح لكى يقدر الإنسان أن يدخل ويعاين ملكوت الله لأن "المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح" (يو٣: ٦). بدأ نيقوديموس يتساءل ويقول: "كيف يمكن أن يكون هذا؟" (يو٣: ٩).

أجاب السيد المسيح وقال له: "أنت معلم إسرائيل ولست تعلم هذا؟! **الحق الحق أقول لك: إننا إنما نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا، ولستم تقبلون شهادتنا**، إن كنتُ قلتُ لكم الأرضيات ولستم تؤمنون، فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات؟! وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء. ابن الإنسان الذى هو فى السماء" (يو٣: ١٠-١٣).

حضن الآب

والمقصود بالسماء هنا التى لم يصعد إليها أحد سوى السيد المسيح أى حضن الآب السماوى وليس أى سماء أخرى. لأن إيليا النبى صعد إلى السماء وأخنوخ النبى صعد إلى السماء. ولكن السيد المسيح قال ليس أحد صعد إلى السماء إلا ابن الإنسان **الذى هو فى السماء**.

ومن المعلوم أن ابن الإنسان أى السيد المسيح كان على الأرض -بحسب الجسد- وهو يكلّم نيقوديموس، ولكنه بحسب لاهوته كان يملأ الوجود كله. لذلك قال القديس يوحنا الإنجيلى: "الله لم يره أحد قط، الإله الوحيد الجنس **الذى هو فى حضن الآب** هو خبّر" (يو١: ١٨). وهذا معناه أن السيد المسيح باعتباره كلمة الله المتجسد قد أظهر لنا نور الآب حينما ظهر فى الجسد **وكان هو نفسه -بحسب لاهوته- فى حضن أبيه أثناء ظهوره متجسداً على الأرض.**

وقال معلمنا بولس الرسول: "عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد" (١تى٣: ١٦) أى أن الله الكلمة "هو صورة الله غير المنظور" (كو١: ١٥)، ومن رأى الصورة الحقيقية يكون قد رأى الأصل. لذلك قال القديس يوحنا الإنجيلى: "الله لم يره أحد قط، الإله الوحيد الجنس.. **هو خبّر**" بمعنى أنه هو الذى أعلن لنا الآب بظهوره فى الجسد.

ونلاحظ أن السيد المسيح قد ربط بين حديثه عن السماء -بمعنى حضن الآب- وبين حديثه عن السماويات والشهادة التى ذكرها وذلك فى (يو٣: ١٠-١٣) كما أوردنا سابقاً.

الذين يشهدون فى السماء

من هم الذين يشهدون فى السماء؟ لقد ذكر السيد المسيح الشهادة عن السماويات، فقال: "الحق الحق أقول لك: إننا إنما **نتكلم** بما نعلم و**نشهد** بما رأينا، ولستم تقبلون **شهادتنا**" (يو٣: ١١). وواضح أن الحديث هنا هو بصيغة الجمع. ونظراً لأنه يتكلم عن الشهادة التى تخص الابن الوحيد الجنس (يو٣: ١٦) فى حضن الآب (يو١: ١٨)، لذلك فالمقصود بالجمع هنا هو **الآب والابن والروح القدس**، أى أن **الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة الآب والكلمة والروح القدس**. وهذا هو نفس ما أورده القديس يوحنا الرسول فى رسالته الأولى فقال: "والروح هو الذى يشهد.. فإن

الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد" (١يو٥: ٦، ٧). "إن كنا نقبل شهادة الناس، فشهادة الله أعظم، لأن هذه هى شهادة الله التى قد شهد بها عن ابنه" (١يو٥: ٩).

ومن المؤكد أن ما أورده يوحنا الرسول فى إنجيله، هو نفس ما أورده فى رسالته الأولى. لأن الكاتب واحد والفكرة التى شرحها فى إنجيله بالتفصيل أوردها فى رسالته بالاختصار. ولتوضيح ذلك نقول أن القديس يوحنا قد أورد فى إنجيله ما يثبت أن الشهود للابن المتجسد هم: **الآب عن ابنه، والابن عن نفسه، والروح القدس عن الابن..**

وهذه بعض الآيات التى تثبت ذلك فى إنجيل يوحنا:

شهادة الآب

قال السيد المسيح لليهود: "**والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى.** لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته، وليست لكم كلمته ثابتة فيكم، لأن الذى أرسله هو لستم أنتم تؤمنون به" (يو٥: ٣٧، ٣٨).

وكان قد أشار إلى شهادة الآب عنه بقوله: "إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقاً. **الذى يشهد لى هو آخر**، وأنا أعلم أن شهادته التى يشهدها لى هى حق. أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق. وأنا لا أقبل شهادة من إنسان.. لى شهادة أعظم من يوحنا" (يو٥: ٣١-٣٤، ٣٦). وقال أيضاً لليهود: "وإن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق، لأنى أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب.. وأيضاً فى ناموسكم مكتوب إن شهادة رجلين حق: أنا هو الشاهد لنفسى، **ويشهد لى الآب الذى أرسلنى**" (يو٨: ١٤، ١٧، ١٨).

شهادة الابن

كما أوردنا فى الآية السابقة مباشرة قال السيد المسيح: "**أنا هو الشاهد لنفسى**" (يو٨: ١٨).

كذلك شرح القديس يوحنا المعمدان أهمية شهادة السيد المسيح وأورد ذلك القديس يوحنا الرسول فى إنجيله "أجاب يوحنا وقال.. **الذى يأتى من السماء** هو فوق الجميع، **وما رآه وسمعه به يشهد**، وشهادته ليس أحد يقبلها. ومن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق، لأن الذى أرسله الله يتكلم بكلام الله" (يو٣: ٢٧، ٣١-٣٤).

ومن الواضح هنا أن القديس يوحنا المعمدان قد ربط فى حديثه بين شهادة المسيح على الأرض وبين ما يجرى فى السماء "الذى يأتى من السماء.. ما رآه وسمعه به يشهد". أى أن شهادة الآب فى السماء، هى نفسها شهادة الابن بما سمعه من الآب.

شهادة الروح القدس

"ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق **فهو يشهد لى**" **(يو١٥: ٢٦)**. وشهادة الروح القدس هى نفسها شهادة الآب لأن السيد المسيح قال: "متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه **بل كل ما يسمع يتكلم به**" (يو١٦: ١٣).

فالروح القدس يشهد بما سمعه من الآب عن ابنه الوحيد الجنس وليس المقصود أن الروح القدس يقل عن الآب فى المجد والكرامة لأنه لا يتكلم من نفسه. ولكن المقصود أن الشهادة للابن: {أصلها فى الآب وتتحقق من خلال الابن فى الروح القدس} كما شرح آباء الكنيسة الكبار. وذلك لأن الثالوث واحد فى الجوهر وليس فيه انفصال لأحد الأقانيم.

التجسد والفداء

لقد كشف السيد المسيح فى حديثه مع نيقوديموس عن أمور هامة جداً خاصة بالتجسد والفداء والثالوث القدوس.

ففيما يخص حقيقة التجسد الإلهى بقصد الفداء، قال السيد المسيح: "لأنه هكذا أحب الله العالم **حتى بذل ابنه الوحيد الجنس لكى** لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦).

كيف بذل الله ابنه الوحيد ؟

إن الابن الوحيد هو كلمة الله المولود من الآب قبل كل الدهور. ولم يكن ممكناً لابن الله الوحيد أن يموت نيابة عن البشر دون أن يتجسد، وذلك لأن اللاهوت بحسب طبيعته هو غير مائت وغير قابل للألم. أما وقد صار له طبيعة بشرية كاملة، فقد أمكن أن يتألم وأن يموت الله الكلمة بحسب إمكانيات طبيعته البشرية.

وقد شرح القديس أثناسيوس الرسولى ذلك فى كتاب تجسد الكلمة– الفصل التاسع– الفقرات رقم ١، ٢ فقال:

[وإذ رأى "الكلمة" أن فساد البشرية لا يمكن أن يبطل إلا بالموت كشرط لازم. وأنه يستحيل أن يتحمل "الكلمة" الموت لأنه غير مائت ولأنه ابن الآب. لهذا أخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت حتى باتحاده "بالكلمة" الذى هو فوق الكل، يكون جديراً أن يموت نيابة عن الكل. وحتى يبقى فى عدم فساد بسبب "الكلمة" الذى أتى ليحل فيه وحتى يتحرر الجميع من الفساد، فيما بعد، بنعمة القيامة من الأموات. وإذ قدّم للموت ذلك الجسد، الذى أخذه لنفسه، كمحرقة وذبيحة خالية من كل شائبة، فقد رفع حكم الموت فوراً عن جميع من ناب عنهم، إذ قدّم عنهم جسداً مماثلاً لأجسادهم. ولأن كلمة الله متعال فوق الكل. فقد لاق به بطبيعة الحال أن يوفى الدين بموته وذلك بتقديم هيكله وآنيته البشرية فداءً عن الجميع].

إذن لقد تجسد كلمة الله لكى يصير بالإمكان أن يموت على الصليب فداءً عن البشرية. وبهذا يتحقق قول السيد المسيح: "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد الجنس" (يو٣: ١٦).

فذبيحة الصليب هى ذبيحة الابن الوحيد، وقيمتها غير محدودة عند الله الآب. لهذا كانت كافية لسداد دين البشرية، ولترضية الآب السماوى، ولإعلان قداسة الله الكاملة فى رفضه لخطايا البشرية، ولإظهار حب الله الكامل فى افتدائه لنا "الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم" (٢كو٥: ١٩).

الله هو المخلّص

لقد سبق الرب فوعد فى العهد القديم بأنه هو المخلّص الوحيد بقوله: "أنا أنا الرب **وليس غيرى مخلّص**.. وأنا الله" (إش٤٣: ١١، ١٢).

لهذا رنمت القديسة مريم العذراء فى العهد الجديد قائلة: "وتبتهج روحى **بالله مخلّصى**" (لو١: ٤٧).

وقال القديس بطرس الرسول عن السيد المسيح: "**ليس بأحد غيره الخلاص**" (أع٤: ١٢).

وتنبأ إشعياء النبى قائلاً: "**هوذا الله خلاصى** فاطمئن ولا أرتعب. لأن ياه يهوه قوتى وترنيمتى وقد صار لى خلاصاً" (إش١٢: ٢). **بمعنى أن الرب ليس فقط هو المخلّص كما ورد فى (إش٤٣: ١١)، بل هو الخلاص نفسه** "**يهوه.. صار لى خلاصاً**" (إش١٢: ٢). ويمكننا أن نقارن بين هذا القول، وبين قول القديس يوحنا الإنجيلى "**والكلمة صار جسداً**" (يو١: ١٤) لكى نفهم أن يهوه هو الله الكلمة الذى تجسد وصار خلاصاً لأجلنا. وقال عنه سمعان الشيخ: "الآن يا سيدى تطلق عبدك بسلام حسب قولك لأن عينى قد أبصرتا **خلاصك** الذى أعددته قدام جميع الشعوب، نوراً تجلى للأمم، ومجداً لشعبك إسرائيل" (لو٢: ٢٩-٣٢).

إن الرب يسوع المسيح **هو المخلّص وهو الخلاص، هو الفادى وهو الفدية**، هو الكاهن وهو الذبيحة، هو الهيكل وهو القربان، هو الراعى وهو الحمل. لهذا دُعى اسمه "عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام" (إش٩: ٦).

الرب هو عجيب فى محبته، عجيب فى خيريته، عجيب فى قداسته، عجيب فى حكمته، عجيب فى إخلائه لنفسه وتجسده، عجيب فى تواضعه، عجيب فى إصراره واحتماله للخطاة، عجيب فى مغفرته، عجيب فى حزمه ومواجهته للشر، عجيب فى ضعفه حينما تألم فى جسم بشريته لأنه أظهر بالضعف ما هو أقوى من القوة، وعجيب فى قوته حينما قام منتصراً من الأموات.

كان الرب عجيباً فى كل تدبير الخلاص الذى أكمل بكل فطنة، وتعجب منه القديسون فى كل عظم صنيعه معهم. وهذا العجب هو مصدر كثير من الإعجاب فى حياتهم وأفئدتهم وفى حناجرهم.

الحية المرفوعة

قال السيد المسيح فى شرحه لنيقوديموس: "وكما رفع موسى الحيّة فى البرية، هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الانسان. لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٤، ١٥).

كان نيقوديموس من قيادات اليهود فى ذلك الزمان ومعلّم لإسرائيل (انظر يو٣: ١٠). وكان ينبغى أن يربط له السيد المسيح ما ورد فى التوراة برسالة الإنجيل وعمل الفداء والخلاص.

بدأ السيد المسيح يشرح لنيقوديموس مغزى الحيّة التى رفعها موسى فى البرية حينما أخطأ الشعب إلى الله، وأطلق عليهم الحيّات السامة فلدغتهم وقتلت منهم الآلاف، وصرخ موسى إلى الرب فأمره بأن يعمل حيّة نحاسية ويرفعها على سارية، وكل من لدغته الحيّات وينظر إلى هذه الحية النحاسية يبرأ من لدغ الحيّات.

إن إبليس هو الملقّب بلقب "الحية القديمة"، لأنه فى الفردوس اختفى فى الحية التى هى أحيل حيوانات البرية وأسقط آدم مع حواء، وبهذا دخل الموت إلى العالم.

وبذلك أصبحت الحيّة رمزاً لغواية إبليس ورمزاً للخطية والموت.

وحينما جاء السيد المسيح إلى العالم لأجل خلاص البشرية، ليحمل خطايا جميع من ناب عنهم ولكى يموت عوضاً عنهم ويرفع عنهم الدين، فإنه قد سمّر خطايانا على الخشبة. أى أن الحية المرفوعة فى البرية هى إشارة واضحة إلى الخطايا التى حملها السيد المسيح فوق الصليب مسمّراً إياها بالخشبة.

لقد صعد السيد المسيح إلى الصليب حاملاً الحية مسمّراً إياها بالصليب، ثم نزل من على الصليب بعد قبوله الموت فداءً عنا تاركاً الحية مسمّرة هناك.

فكل من ينظر إلى الصليب يرى الخطية وهى مدانة "فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية **دان الخطية فى الجسد**" (رو٨: ٣). **كل من ينظر إلى الصليب ويؤمن بأن الرب المسيح قد دفع عنه دين خطاياه يستحق أن يبرأ من سم الحيّات، أى أن يبرأ من خطاياه فى المعمودية أو فى سرى الاعتراف والتناول إذا كان من الذين قد نالوا العماد بالمسيح.**

إن العجيب فى الأمر أن ترمز الحية المرفوعة إلى صليب السيد المسيح الذى كان هو نفسه بلا خطية وحده. ولكن هكذا يقول الكتاب إن الله قد "جعل الذى لم يعرف خطية؛ خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه" (٢كو٥: ٢١). أى أن الرب المسيح قد أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له. أخذ الخطايا وحملها وحمل عارها لكى نلبس نحن بره "لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح" (غل٣: ٢٧).

صارت الحيّة المرفوعة ترمز إلى المسيح المصلوب.. وصارت عصا الرعاية فى البرية –التى تحوّلت فى يد موسى إلى حيّة وابتلعت حيّات سحرة فرعون– هى نفسها الوسيلة التى ضرب بها موسى البحر الأحمر وشق مياهه لعبور المفديين. **ولهذا يحمل الأسقف عصا الرعاية فى صورة حيّة نحاسية مرفوعة ترمز إلى صليب المسيح حيث قَتَل السيدُ الموتَ بموته مسمراً خطايانا بالصليب.**

لقد أشهر السيد المسيح الشيطان وأدان الخطية بالصليب "إذ جرّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهارًا ظافراً بهم فيه (أى فى الصليب)" (كو٢: ١٥).

إن ارتفاع السيد المسيح على الصليب هو إعلان للجميع أنه هو الطريق المؤدى إلى السماء وهو إعلان للجميع أن الخطية قد دينت، وأن اللعنة قد أزيلت، وأن الموت قد مات.

ما أجمل اللحن الذى يُقال فى **قداس القديس يوحنا ذهبى الفم** عن الرب المسيح وموته المحيى على الصليب:

[عندما انحدرت إلى الموت أيها الحياة الذى لا يموت. حينئذ أمت الجحيم ببرق لاهوتك. وعندما أقمت الأموات من تحت الثرى، صرخ نحوك جميع القوات السماويين: أيها المسيح الإله معطى الحياة، المجد لك].

إن قيامة السيد المسيح من الأموات، هى استعلان لحقيقة أنه قد داس الموت بالموت. أى أن الموت الذى سحقه السيد المسيح بموته على الصليب لم يكن ممكناً أن يمسكه لأنه قد انهزم منه، حتى أن النبى تغنى قائلاً: "أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية. ابتلع الموت إلى غلبة" (انظر هو١٣: ١٤، ١كو١٥: ٥٥، ٥٤).

إن كان السيد المسيح قد قبِل الموت بنعمة الله نيابة عنّا، فإنه قد انتصر لنا.. ولهذا صرخ فى لحظة موته على الصليب "يا أبتاه فى يديك أستودع روحى" (لو٢٣: ٤٦). إنها صرخة الانتصار نيابة عن الإنسان الذى غاب طويلاً عن يدى الآب، إذ كان تحت سلطان موت الخطية كما أوضح معلمنا بولس الرسول عما فعله الرب المسيح للبشرية المفتداه "فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس. ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية" (عب٢: ١٤، ١٥).

كما أن **القديس أثناسيوس الرسولى** قد عبّر عن هذه الحقائق بكلماته الرائعة فى كتاب "**تجسّد الكلمة**" كما يلى:

[وهكذا إذ أخذ من أجسادنا جسداً مماثلاً لطبيعتنا، وإذ كان الجميع تحت قصاص فساد الموت، فقد بذل جسده للموت **عوضاً عن الجميع**، وقدّمه للآب. كل هذا فعله شفقة منه علينا، وذلك (أولاً) لكى يبطل الناموس الذى كان يقضى بهلاك البشر، إذ مات الكل فيه، لأن سلطانه قد أكمل فى جسد الرب ولا يعود ينشب أظفاره فى البشر **الذين ناب عنهم**. (ثانياً) لكى يعيد البشر إلى عدم الفساد بعد أن انحدروا إلى الفساد، ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيامة، وينقذهم من الموت (يبيد الموت عنهم)، كإنقاذ القش من النار] (الفصل الثامن– الفقرة رقم ٤).

يطلب ويخلص ما قد هلك

قال السيد المسيح لنيقوديموس: "لأنه لم يُرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، **بل ليخلُص به العالم**" (يو٣: ١٧).

أتى السيد المسيح فى مجيئه الأول لخلاص العالم. وسوف يأتى فى مجيئه الثانى ليدين العالم. فحديثه مع نيقوديموس أن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلُص به العالم، مقصود به المجيء الأول للسيد المسيح وليس المجيء الثانى، هذا من ناحية خصوصية المجيء وليس شموليته.

ولكن الحديث أيضاً له شمولية عن تأثير إرسال الابن الوحيد إلى العالم. بمعنى أن الهدف الأصلى من إرساله ليس لإدانة العالم بل لخلاصه. ففى الإطار العام يكون الهدف هو الخلاص والفداء.

فالغضب الإلهى كان سيمكث على العالم لو لم يرسل الله ابنه الوحيد لإتمام الخلاص والفداء. وهذا واضح من كلام القديس يوحنا المعمدان الذى سجله إنجيل القديس يوحنا "**الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله**" (يو٣: ٣٦).

أى أن السيد المسيح قد جاء ليرفع الغضب الإلهى **الكائن بالفعل** ضد جميع البشر منذ سقوط الإنسان ومعصيته وفساد طبيعته.

وقد أكّد القديس بولس الرسول فساد الطبيعة البشرية بقوله: "كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا **وفسدوا** معاً. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد" (رو٣: ١٠-١٢).

وقال أيضاً عن وراثة الخطية الأصلية وحكم الموت: "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع" (رو٥: ١٢).

وقال معلمنا داود النبى: "لأنى هأنذا بالآثام حبل بى وبالخطايا ولدتنى أمى" (مز٥٠: ٥). أى أن الإنسان قد حُبل به وارثاً الخطية الأصلية وولد بها من بطن أمه. كما أنه قد ورث فساد الطبيعة.

وفى المقابل يتحرر الإنسان من الخطية الأصلية كما أنه ينال الطبيعة الجديدة فى المسيح بالمعمودية. كقول معلمنا بولس الرسول "لأننا كنا نحن أيضاً قبلاً أغبياء، غير طائعين، ضالين، مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة، عائشين فى الخبث والحسد، ممقوتين، مبغضين بعضنا بعضاً. ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال فى بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلَّصنا **بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس،** الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا. حتى إذا تبررنا بنعمته، **نصير ورثة** حسب رجاء الحياة الأبدية" (تى٣: ٣-٧).

فكما يرث الإنسان الخطية الأصلية والموت وفساد الطبيعة بولادته الجسدية من آدم هكذا يرث البر والحياة. وتجديد الطبيعة بالمسيح "لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح سيحيا الجميع" (١كو١٥: ٢٢).

وقال السيد المسيح عن مجيئه إلى العالم: "أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل" (يو١٠: ١٠). أى أنه "**قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك**" (لو١٩: ١٠).

ما هى الدينونة ؟

أكمل السيد المسيح حديثه مع نيقوديموس حول الدينونة فقال: "**وهذه هى الدينونة إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة**" (يو٣: ١٩).

كانت البشرية غارقة فى الظلمة وظلال الموت. وقال إشعياء النبى: "ولكن لا يكون ظلام للتى عليها ضيق. كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالى يكرم الأخير طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم. الشعب السالك فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً، الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور" (إش٩: ١، ٢).

ليست المشكلة أن يجلس الإنسان فى أرض ظلال الموت منتظراً النور. بل المشكلة فى أن يبغض النور ويُسَّرْ بالظلام.

فالذين انتظروا مجيء المخلّص –كما قال يعقوب أب الآباء قبل موته مباشرة "لخلاصك انتظرت يا رب" (تك٤٩: ١٨)– ذهب الرب إليهم فى ظلمة الجحيم، فى بيت السجن وبشرهم بالخلاص وأخرجهم من هناك. الذين رقدوا على رجاء الخلاص وصلت إليهم بشارة الخلاص بعد رقادهم..

ولكن الذين يحبون الظلمة أكثر من النور لا يمكنهم أن ينالوا الخلاص سواء كانوا قد رقدوا قبل مجيء المخلّص وإتمام الفداء، أو عاينوا المسيح الرب أو جاءوا بعد مجيئه إلى العالم وصعوده إلى السماوات.

الدينونة تنبع من واقع ميول الإنسان ورغباته. فهو الذى يحدد مصيره بما يشتاق إليه. كما قال السيد المسيح: "حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً" (مت٦: ٢١).

الدينونة هى فى رفض محبة الخير.. فى رفض محبة الله.. فى رفض عطية النعمة والخلاص والتجديد.. فى رفض معانقة النور والإلتحاف به.. فى تفضيل حياة الخطية على حياة البر.. فى مقاومة عمل الروح القدس داخل القلب.. فى الفرح بالشر والابتهاج به وكراهية النور الذى يبعثه الله فى حياة الإنسان "لأن كل من يعمل السيآت يبغض النور، ولا يأتى إلى النور لئلا توبخ أعماله. وأما من يفعل الحق فيقبل إلى النور، لكى تظهر أعماله أنها بالله معمولة" (يو٣: ٢٠، ٢١).

إن مجيء المسيح نور العالم هو فرصة لتحرير من يريد الحرية، ولن ينتفع منه شيئاً رافضى الحق والنور والحياة ممن أحبوا الظلمة أكثر من النور.

١١. السيد المسيح ومواجهته لليهود

أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق

قال السيد المسيح لليهود: "أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم" (يو٨: ٢٣).

من المعروف طبعاً أن السيد المسيح قد اتخذ من العذراء مريم طبيعة بشرية كاملة جسداً وروحاً بلا خطية وبدون زرع بشر. ولكن **هذه الطبيعة البشرية التى اتخذها لم تنزل من السماء** بل تم تكوينها من العذراء مريم بالكامل، بفعل الروح القدس.

فلماذا يقول السيد المسيح لليهود: "أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق"؟

السبب الأول فى ذلك: **أن السيد المسيح لم يكن ناسوتاً فقط، بل كان ناسوتاً متحداً باللاهوت**، ومعلوم طبعاً أن الابن الوحيد هو مولود من الآب قبل كل الدهور بحسب لاهوته. ولذلك قال لليهود: "**الحق أقول لكم: قبل أن يكون**

إبراهيم أنا كائن" (يو٨: ٥٨). وبالطبع فإن شخص السيد المسيح كائن قبل كل الدهور بلاهوته. وهو حينما تجسد، لم يتخذ شخصاً من البشر ليسكن فيه، بل هو هو نفسه **بنفس شخصه** قد اتخذ طبيعة بشرية وصار إنساناً لأجل خلاصنا.

لذلك فحينما يقول كلمة "**أنا**" فإنه يتكلم عن شخصه الواحد الوحيد كقول القديس أثناسيوس [لقد جاء كلمة الله فى شخصه الخاص

[The Word of God came in His own Person

وهذا الشخص الواحد الوحيد مرتبط أولاً وقبل كل شئ بطبيعته الإلهية، وحتى حينما أتى وتجسد من مريم العذراء فإنه ظل هو ابن الله الوحيد، كما نقول فى التسبحة {**لم يزل إلهاً؛ أتى وصار ابن بشر؛ لكنه هو الإله الحقيقى؛ أتى وخلصنا**} (ثيئوطوكية الخميس). وقال القديس بولس الرسول: "وبالإجماع عظيم هو سر التقوى **الله ظهر فى الجسد**" (١تى٣: ١٦).

والسبب الثانى هو: كون اليهود يحبون العالم ويتمسكون به، فإنه يجعلهم من أسفل لهذا قال السيد المسيح عن تلاميذه القديسين: "**ليسوا من العالم، كما أنى أنا لست من العالم**" (يو١٧: ١٦). وقال لهم: "لو كنتم من العالم، لكان العالم يحب خاصته. ولكن **لأنكم لستم من العالم**، بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم" (يو١٥: ١٩).

فبالرغم من ولادة التلاميذ من أبوين بحسب الجسد إلا أنهم بولادتهم الثانية من فوق سوف ينطبق عليهم قول السيد المسيح أن "المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح" (يو٣: ٦). وليس معنى ذلك الكلام أن تلاميذ المسيح سوف يفقدون أجسادهم بالميلاد الفوقانى، ولكن سوف **يسلكون بالروح وتكون اشتياقاتهم روحية سمائية غير خاضعة لشهوات الجسد الباطلة.**

لذلك قال معلمنا بولس الرسول: "إذاً لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع **السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح**.. فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون، ولكن الذين حسب الروح، فبما للروح يهتمون. لأن اهتمام الجسد هو موت، ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام" (رو٨: ١، ٥، ٦).

لقد قدّم السيد المسيح نفسه قدوة للوضع المثالى لحياة الإنسان. وطالب تلاميذه أن يتبعوا أثر خطواته حاملين الصليب منكرين ذواتهم ليتمكنوا من السلوك بحسب الروح بمعونة من الروح القدس، وبهذا يتأهلون لميراث ملكوت السماوات.

وقد شرح القديس يوحنا الإنجيلى أيضاً هذا المفهوم بقوله: "أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أى المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله" (يو١: ١٢، ١٣).

بالطبع فإن القديس يوحنا يتكلم عن الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس، وذلك بالنسبة للمؤمنين بالمسيح. وهذا على سبيل عطية النعمة.

أما بالنسبة للسيد المسيح شخصياً فقد ولد من العذراء مباشرة كابن لله، كما قال الملاك للعذراء مريم "القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو١: ٣٥).

والسيد المسيح باعتباره الله الكلمة له ميلاد واحد بحسب إنسانيته وهو ميلاده من العذراء مريم. ولكن له ميلاد آخر **ينفرد به وحده** وهو ميلاده بحسب لاهوته من الآب قبل كل الدهور. لذلك دُعى السيد المسيح "ابن الله **الوحيد**" وليس "ابن الله" فقط.

وقد قال السيد المسيح فى حديثه مع نيقوديموس عن الفداء: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل **ابنه الوحيد الجنس** لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦).

إن بنوة السيد المسيح للآب السماوى هى بنوة طبيعية، أما بنوتنا نحن فهى بالتبنى على سبيل النعمة. وحينما ولد السيد المسيح من العذراء مريم فقط، ظل هو الابن الوحيد الذى لم يولد من العذراء مريم آخر سواه فى تجسده الفريد باعتباره الله الكلمة المتجسد الذى نمجده فى كل رفع بخور وقداس فى صلواتنا الكهنوتية قائلين: {يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد بأقنوم واحد نسجد له ونمجده} (الأرباع الخشوعية التى يقولها الكاهن بين الخورس الأول والثانى فى رفع البخور).

" فتشوا الكتب " (يو٥: ٣٩)

حدثت مواجهات كثيرة بين السيد المسيح واليهود، لخّصها القديس يوحنا الإنجيلى فى عبارته المشهورة "**إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله**" (يو١: ١١).

وقال السيد المسيح عن موقف اليهود الرافضين له: "**هذه هى الدينونة إن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة**" (يو٣: ١٩). أى أن رفض اليهود لرسالة السيد المسيح كان نابعاً أساساً من محبتهم للمال أو محبتهم للعالم، أو محبتهم لذواتهم، أو محبتهم للشهوات الجسدية، أو لغرورهم أو لكبرياء قلوبهم، أو لمحبتهم للسلطة، أو محبتهم للمجد العالمى، أو لرغبتهم فى إثبات بر أنفسهم، أو لرغبتهم فى مملكة أرضية ترضى تطلعاتهم الزمنية، أو لعدم اكتراثهم بحاجتهم للخلاص من عبودية الشيطان والخطية، أو لعدم إيمانهم بالقيامة من الأموات أو بالحياة الأبدية، أو من بعض أو كل هذه الأسباب مجتمعة.

لهذا قال السيد المسيح لليهود: "**أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا**. ذاك كان قتالاً للناس من البدء" (يو٨: ٤٤).

كان اليهود يتكلمون على أنهم أبناء إبراهيم، ويتكلمون على أن موسى هو نبيهم وعلى الأسفار المقدسة التى كتبها لهم؛ أى على التوراة وباقى أسفار العهد القديم التى كتبها الأنبياء. بل كانوا يتكلمون على أن الله هو أباهم الواحد.

وقد رد السيد المسيح على كل هذه الأشياء موضحاً لهم أنها كلها كان المفروض أن تقودهم إلى الإيمان به وبرسالته، ولهذا فأنها ستشهد ضدهم لأنهم لم يؤمنوا به.

فحينما قالوا للسيد المسيح إن إبراهيم هو أبوهم، رد عليهم بقوله: "**لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم**" (يو٨: ٣٩).

وحينما قالوا له: "لنا أب واحد وهو الله" (يو٨: ٤١). رد عليهم بقوله "**لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى**" (يو٨: ٤٢).

وبالنسبة لاتكال اليهود على أن لديهم التوراة وباقى الأسفار الإلهية، ويفتخرون بذلك قال لهم السيد المسيح: "**فتشوا الكتب** لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهى التى تشهد لى. ولا تريدون أن تأتوا إلىّ لتكون لكم حياة" (يو٥: ٣٩، ٤٠).

ونظراً لافتخارهم بأن نبيهم موسى الذى استلم الوصايا العشر وكتب التوراة أى الشريعة الإلهية، قال لهم السيد المسيح: "لا تظنوا أنى أشكوكم إلى الآب. يوجد الذى يشكوكم وهو موسى، الذى عليه رجاؤكم. لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى. لأنه هو كتب عنى. فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك، فكيف تصدقون كلامى؟" (يو٥: ٤٥-٤٧).

وقال لهم أيضاً: "أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس، لماذا تطلبون أن تقتلونى؟!" (يو٧: ١٩).

معرفة اليهود لله

ظن اليهود أنهم يعرفون الله وأنه هو إلههم ولكن السيد المسيح أظهر لهم أنهم كاذبون لأنهم رفضوا رسالته والإيمان بأن الله قد أرسله. ولهذا قال لهم:

"لستم تعرفوننى أنا ولا أبى. **لو عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً**" (يو٨: ١٩).

"**إن لم تؤمنوا** أنى **أنا هو** تموتون فى خطاياكم" (يو٨: ٢٤).

"متى رفعتم ابن الإنسان حينئذ **تفهمون** أنى **أنا هو**" (يو٨: ٢٨).

"من نفسى لم آت، بل الذى أرسلنى هو حق الذى أنتم **لستم تعرفونه**، أنا أعرفه لأنى منه وهو أرسلنى" (يو٧: ٢٨، ٢٩).

"أبى هو الذى يمجدنى **الذى تقولون أنتم إنه إلهكم ولستم تعرفونه، أما أنا فأعرفه. وإن قلت إنى لست أعرفه أكون مثلكم كاذباً**" (يو٨: ٥٤، ٥٥).

من هذا يتضح أن السيد المسيح قد أكّد مرارًا لليهود أنهم كاذبون فى ادعائهم أنهم يعرفون الله ويعبدونه. لأن من يرفض إرسالية السيد المسيح يكون قد رفض الله وهو واهم فى الإدعاء بأنه يعرف الله ويعبده.

ولكن هذا الكلام لم ينطبق على اليهود الذين آمنوا بالسيد المسيح بل قال لهم: "إنكم إن ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى، وتعرفون الحق، والحق يحرركم" (يو٨: ٣١، ٣٢).

رغبة اليهود فى قتل السيد المسيح

أراد السيد المسيح أن يبين لليهود الفرق بينهم وبين إبراهيم الذى يفتخرون بأنه أبوهم فقال لهم: "**أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح**" (يو٨: ٥٦). فقال له اليهود: "ليس لك خمسون سنة بعد أفرأيت إبراهيم؟" (يو٨: ٥٧). أجابهم يسوع: "الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم **أنا كائن**" (يو٨: ٥٨). "فرفعوا حجارة ليرجموه أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازًا فى وسطهم ومضى هكذا" (يو٨: ٥٩).

وقد ظلت المواجهات بين السيد المسيح واليهود مستمرة حتى وصلت إلى ذروتها، حينما أقام لعازر من الأموات وفى أحداث الأسبوع السابق لصلبه وبالفعل تآمروا عليه وصلبوه، ولكنه نقض تآمرهم بانتصاره الساحق على الموت بقيامته حياً من الأموات وصعوده إلى السماوات وإرساله الروح القدس لكى يشهد الرسل بقيامته ببرهان الروح والقوة.

١٢ . التعليم عن الاتضاع فى خدمة السيد المسيح

كما سلك السيد المسيح فى اتضاع فائق وإخلاء ذات؛ هكذا علّم عن الاتضاع فى خدمته، إلى أن أتى إلى غسل الأرجل والآلام والصليب حيث رأينا الاتضاع يتألّق فوق قمة الجلجثة. ولهذا نستمع إلى تعاليم السيد المسيح باعتباره قد عمل وعلّم "جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به" (أع١: ١).

المتكآت الأولى

دُعى السيد المسيح إلى بيت أحد رؤساء الفريسيين فى يوم السبت ليأكل. ولاحظ كيف اختار المدعوون المتكآت الأولى، وتسابقوا متنافسين عليها.

لاحظ كيف ينهزم الإنسان داخلياً، حينما يسعى للتفوق على غيره، متجاهلاً مشاعر الآخرين، وبلا أى نفع يجنيه سوى محبته للظهور وإثبات الوجود الذى بلا ثمرة.

فقال للمدعوين مثلاً: "متى دعيت من أحد إلى عرس فلا تتكئ فى المتكأ الأول، لعلَّ أكرم منك يكون قد دُعى منه. فيأتى الذى دعاك وإياه ويقول لك أعطِ مكاناً لهذا. فحينئذٍ تبتدئ بخجل تأخذ الموضع الأخير. بل متى دعيت فاذهب واتكئ فى الموضع الأخير، حتى إذا جاء الذى دعاك يقول لك: يا صديق ارتفع إلى فوق. حينئذ يكون لك مجد أمام المتكئين معك. **لأن كل من يرفع نفسه يتضع، ومَن يضع نفسه يرتفع**" **(لو١٤: ٨-١١).**

بالرغم من بساطة المثل، إلا أنه ممتلئ بالحكمة، ويتميز بالتصوير الدقيق للمعنى الذى قصده السيد المسيح.

الإنسان المتضع يجد سهولة كبيرة فى أن يجلس فى المتكأ الأخير، أى فى الموضع الأخير. بل يعتبر أن هذا هو مكانه الطبيعى، وأنه لا يستحق مكاناً أفضل منه. كما أنه يفرح بتقديم غيره على نفسه "**مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة**" (رو١٢: ١٠). حاسبين البعض أفضل من أنفسهم.

المثل الذى أعطاه السيد المسيح، أوضح بأجلى صورة كيف أن محب الكرامة يعرّض نفسه لمواقف يسئ بها إلى نفسه وكرامته. **وكيف أن الكرامة الحقيقية هى فى الهروب من الكرامة.**

محب الكرامة يتعب دائماً إذا لم يحصل على رغباته، ويتعب من إهمال الآخرين له.

محب الكرامة يتعب إذا لم يمدحه أحد، ويتعب إذا مُدح غيره.

محب الكرامة يستجدى المديح من الناس، فإذا لم يمدحه أحد يبدأ هو فى مديح نفسه، وفى الحديث عما يراه فى أعماله من أسباب العظمة ودواعى الشكر والمديح. مع أن الكتاب يقول: "ليمدحك الغريب لا فمك، الأجنبى لا شفتاك" (أم٢٧: ٢).

كل هذه المعانى نستطيع أن نتعلمها من المثل الذى قاله السيد المسيح. ونتعلم أيضاً أن من يهرب من الكرامة، تجرى خلفه وترشد جميع الناس إليه. فالناس بطبيعتهم يميلون إلى الإنسان المتضع، ويرتاحون للتعامل معه. لأنهم يشعرون بتحرره من الأنانية، والانحصار حول الذات، وأنه يقدّم الآخرين على نفسه مقدّراً إياهم، وشاعراً بأنهم أفضل منه.

المتضع يحبه الناس، والمتعالى يثير فيهم مشاعر الرفض وعدم الارتياح.

المتضع يشبه منحدراً متسعاً تجتمع إليه المياه وتملأه. والمتعالى يشبه قمة أو نتوءًا عالياً لا تستقر فوقه المياه، بل تتركه سريعاً منحدرة إلى أسفل. هكذا تملأ النعمة الإلهية قلوب المتضعين.

هناك من يحب الظهور فيظهر كبرياءه، وهناك من يختفى فيتألق اتضاعه ويجتذب إليه الجميع.

محبة المتكأ الأخير تحتاج إلى اقتناع داخلى، وتحتاج إلى تدريب، وتحتاج إلى يقظة روحية وعين ساهرة متطلعة نحو إشراق الملكوت على النفس، حيث ترى فى المسيح فرحها وسعادتها التى تغنيها عن كل مجد زائل وخادع.

سباق المظاهر

تكلّم السيد المسيح موجهاً تعليمه إلى الفريسى الذى دعاه: "إذا صنعت غذاءً أو عشاءً، فلا تدعُ أصدقاءك، ولا إخوتك، ولا أقربائك، ولا الجيران الأغنياء. لئلا يدعوك هم أيضاً فتكون لك مكافأة. بل إذا صنعت ضيافة فادع المساكين، الجدع، العرج، العمى. فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافوك. لأنك تكافى فى قيامة الأبرار" (لو١٤: ١٢-١٤).

تصوّر رئيس الفريسيين الذى استضاف السيد المسيح ليأكل فى منزله، أن السيد المسيح سوف يفرح بكبار القوم والأغنياء والشخصيات المرموقة التى توافدت على البيت لحضور الوليمة.

ولكن السيد المسيح فى تواضعه كان يميل بالأكثر إلى مجالسة الفقراء والبسطاء، والمساكين.

لم يسترح الرب لتنافس المدعوين على المتكآت الأولى ومشاعر العظمة التى ملأت قلوبهم. كما لم يكن شخصياً تهمه الأمجاد العالمية ولا مجيء هؤلاء الأغنياء لمشاهدته، بل كان يهتم بغنى النفس فى المحبة والتواضع و"زينة الروح الوديع الهادئ" (١بط٣: ٤).

كل إنسان مثل ذلك الرجل يصنع وليمة، يفتخر بمن دعاهم من الأغنياء، ويبذل قصارى جهده لتظهر وليمته متفوقة على غيره من الأقران. وبهذا تنتشر مظاهر البذخ والترف فى الولائم وفى مناسبات الأفراح وغيرها. ويتسابق الناس فى دعوة الأغنياء الذين يتبادلون معهم إقامة مثل هذه الحفلات والولائم. وذلك فى الوقت الذى يعانى فيه الفقراء من العوز والجوع.

ولا يقيم مثل هذا الشخص مائدة بهدف إرضاء الله، بل هدفه الوحيد هو إرضاء الغرور، وإرضاء البشر، وتبادل المتعة والمنفعة.

لابد لكل عمل يعمله الإنسان أن يكون بدافع الخير والمحبة، ولخير المجتمع الذى يعيش فيه ولبناء ملكوت الله. ليتمجد الله فى كل شئ.

وينبغى أن يجعل الإنسان له هدفاً مقدساً لكل عمل يقوم به.

المحبة الباذلة

المتضع يستطيع أن يسلك فى المحبة بلا عائق. فالكبرياء تصنع حجاباً على عينى الإنسان فلا يبصر حلاوة المحبة وجمالها الفائق الاتضاع.

كثير من الناس يشفقون على حال الفقراء، ويتمنون أن يخدموهم، ولكن خدمة المساكين تحتاج إلى من ينزل إلى مستواهم، ويشاركهم ما هم فيه من معاناة وعوز.

وقد قدّم السيد المسيح نصيحة ثمينة للرجل الذى دعاه، ولكل من سمعوا تعليمه الممتلئ بالحكمة الإلهية "**إذا صنعت ضيافة فادع المساكين، الجدع، العرج، العمى. فيكون لك الطوبى**" (لو١٤: ١٣، ١٤).

ألم يتنازل السيد الرب نفسه حينما تجسد إلى ذُلنا وتواضعنا، ليرفعنا إليه، لنتمتع بمجده فى ملكوته السماوى، ولنجلس معه على مائدته فى ملكوته.

هل نحن كنا أحسن حالاً من هؤلاء المساكين الجدع والعرج والعمى، حينما كنا مستعبدين لإبليس وللموت قبل أن يخلصنا السيد المسيح من خطايانا، ويصالحنا مع الله أبيه؟!

إن ما طالب به السيد المسيح فى مسألة الوليمة هو شئ يسير، وصورة مصغّرة جداً لما فعله هو معنا حينما دعانا إلى التمتع بمجده.

أليست محبته هى التى جعلته يحتمل الذل والهوان، فى اتضاع كبير، ليحررنا من مذلتنا وعبوديتنا المُرة، وليفتح أعين قلوبنا بعد العمى، وليحرك طاقات طبيعتنا بعد العجز الكامل والبؤس والضياع؟!.

حقاً إن المحبة تتشح بالاتضاع، والاتضاع يرافق المحبة، فاتحاً الطريق أمامها حتى تكمل عملها بفرح ومسرة.

١٣ . التعليم عن الوداعة وعدم مقاومة الشر فى خدمة السيد المسيح

قيل عن السيد المسيح بفم إشعياء النبى:

"هوذا فتاى الذى اخترته، حبيبى الذى سرت به نفسى. أضع روحى عليه فيخبر الأمم بالحق، **لا يخاصم، ولا يصيح، ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته.** قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ. حتى يُخرج الحق إلى النصرة، وعلى اسمه يكون رجاء الأمم" (مت١٢: ١٨-٢١).

لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته.

المقصود بالخصام هنا، الجدال المصحوب بالغضب، والصياح، والكراهية، والكلمات الجارحة، والذى يؤدى إلى العداوة المتبادلة.

لهذا أوصى معلمنا بولس الرسول: "فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان، رافعين أيادى طاهرة، **بدون غضب ولا جدال**" (١تى٢: ٨).

كان السيد المسيح يدافع عن الحق فى وداعة عجيبة. لم يكن يهدد أو يتوعد، بل كان يثق فى قوة الحق فى ذاته.. لأن الحق يهدر مثل الرعد فى قلوب المقاومين.

وقد واجه السيد المسيح مواقف كثيرة تدعو إلى الغضب، واحتمل الكثير من الإهانات. ولكنه كان يواجهها بالاحتمال، ويجاوب بطريقة الإقناع الهادئ، كما ذكرنا من قبل عن أسلوبه فى الحوار.

كان السيد المسيح يدعو تلاميذه أن يتعلموا من أسلوبه هذا ويقول لهم: "**احملوا نيرى عليكم، وتعلّموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت١١: ٢٩).**

وبنفس هذه الروح أوصى بولس الرسول تلميذه الأسقف تيموثاوس أن يتجنب الخصومات فى دفاعه عن الحق فقال: "**والمباحثات الغبية والسخيفة اجتنبها، عالماً أنها تولد خصومات. وعبد الرب لا يجب أن يخاصم، بل يكون مترفقاً**

بالجميع، صالحاً للتعليم. صبوراً على المشقات. مؤدِّباً بالوداعة المقاومين، عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق. فيستفيقوا من فخ إبليس. إذ قد اقتنصهم لإرادته" (٢تى٢: ٢٣-٢٦).

بالطبع يجب أن يدافع الأسقف عن الحق، ويجب أن يؤدِّب المقاومين، ويجب أن يعزل العضو الفاسد، لئلا يؤثر على بقية الأعضاء. لأن "خميرة صغيرة تخمر العجين كله" (١كو٥: ٦).

ولكن ما صنعه السيد المسيح، وما أوضحه بولس الرسول، هو أن أسلوب الدفاع، وأسلوب التأديب، ينبغى أن يكون فى إطار الوداعة، وبروح الاتضاع التى تليق بالراعى.

الصراع الحقيقى هو مع إبليس، وليس مع الخطاة، أو مع المقاومين. والراعى الحكيم يهدف إلى تخليص الذين اصطادهم إبليس لإرادته. وهذا لا يتم بالدخول فى عداوة مع من يرغب الراعى فى تخليصهم.. بل بترفقه بهم، وصلاته من أجلهم، ومحاولته إقناعهم، وأحياناً بتأديبه لهم بروح الوداعة. كما لا يجب التفريط فى باقى الرعية، وحمايتهم من التأثير الضار.

أسلوب الصياح والتهديد والدخول فى المعارك الكلامية الصاخبة، لا يتناسب مع اتضاع السيد المسيح كخادم للخلاص.

لهذا قيل عنه "لا يخاصم، ولا يصيح، ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته" (مت١٢: ١٩).

" قصبة مرضوضة لا يقصف " (مت١٢: ٢٠)

بترفقه بالخطاة، وبترفقه بالمقاومين، كان يطيل أناته عليهم، لعله يقتادهم إلى التوبة.

لهذا قيل عنه "قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ، حتى يُخرج الحق إلى النصرة" (مت١٢: ٢٠).

كم من نفوس خلّصها السيد المسيح بترفقه وطول أناته، مثل زكا العشار، والمرأة السامرية، واللص اليمين، ومثل قائد المئة الذى صلب السيد المسيح، والذى اعترف بألوهيته بعد الصلب مباشرة بقوله: "حقا كان هذا الإنسان ابن الله" (مر١٥: ٣٩). وكثيرون غيرهم ممن ذكرت أسماؤهم فى الأناجيل أو كانوا فى وسط الجموع الصاخبة التى صرخت: اصلبه اصلبه..

هذه الفتائل المدخنة هذه القصبات المرضوضة كان السبب فى وصولها إلى معرفة الحق أو فى تحررها من سلطان الخطية، هو وداعة السيد المسيح واتضاعه فى خدمته لها.

عدم مقاومة الشر

قال السيد المسيح: "**لا تقاوموا الشر**. بل من لطمك علىخدك الأيمن فحوِّل له الآخر أيضاً" (مت٥: ٣٩). وقال: "من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك لـه الرداء أيضـاً" (مت٥: ٤٠)، ولـيس المقصود بكلمـة لا تقـاوموا الشر أن لا نقاوم الخطية فالكتاب يقول: "**قاوموا إبليس فيهرب منكم**" (يع٤: ٧)، فمقاومة الشر بمعنى مقاومة الخطية.. ليس هو

ما قصده السيد المسيح بقوله لا تقاوموا الشر، بل كان **يقصد بالشر المشاجرة والعدوان مع الآخرين**. وقد قال الكتاب أيضاً: "إن جاع عدوك فأطعمه وإن عطش فاسقه لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه، **لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير**" (رو١٢: ٢٠، ٢١). والرب يجازيك لأنه مكتوب: "لى النقمة أنا أجازى يقول الرب" (رو١٢: ١٩).

ويدعونا أيضاً بطرس الرسول أن نتشبه بالسيد المسيح "الذى إذ شُتِم لم يكن يَشتم عوضاً وإذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضى بعدل" (١بط٢: ٢٣). عندما شُتِم السيد المسيح لم يكن يَشتم عوضاً بل سلّم لله الآب. ونتيجة لذلك عندما قام من الأموات كل الذين شتموه صاروا فى خزى وخجل. لأن الذى شتموه قد انتصر على الموت، والذى قالوا عنه أنه مجدِّف ومضل أُعلن لهم أنه هو رئيس الحياة وقدوس القديسين، من خلال انتصاره على الموت وقيامته المجيدة.. فالذى شَتَم هو الذى صار مخزياً وليس الذى شُتِم.

وبهذا قدّم لنا السيد المسيح تطبيقاً عملياً فى حياته لِما علّم به تلاميذه والجموع.

اغلب بالمحبة وروح الوداعة

لقد احتمل السيد المسيح الخزى فى لحظات الآلام والصلب، لكن بعد هذا تحول كل ذلك إلى مجد.. فعندما قال السيد المسيح: "**لا تقاوموا الشر**" كان يعلم أن هذا الكلام هو من أجل منفعتنا. لأن من يقاوم الشر فالشر يؤذيه.. وعندما قال السيد المسيح: "أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم" (مت٥: ٤٤) **كان يقصد أننا نغلب أعداءنا بالمحبة**، لأن الذى يغلب عدوك هو محبتك أكثر من عداوتك وكراهيتك.

الإنسان الذى يستخدم العنف هو إنسان لا يستحق أن يكون مسيحياً. بل تكون نتيجة عنفه؛ أذيته هو أكثر مما يستطيع أن يؤذى غيره. فالعنف لا يعطيه نصرة أو مجد كما يتصور إنما يسبب له أذية أكثر مما يتوقع. فوصايا السيد المسيح ليست لتقييدنا كما يفتكر البعض، أو يقول أن الوصية صعبة. لكن الحقيقة أن السيد المسيح يسعى لأجل منفعتنا، لأنك إن فعلت ذلك ينجيك من الشر الذى يمكن أن يؤذى روحك.

اغلب الشر بالخير

"لا يغلبنك الشر بل **اغلب الشر بالخير**" (رو١٢: ٢١)، فإذا قدّمت محبة للذى يخاصمك، تغلبه بمحبتك وتكون أنت الذى انتصرت. **لكن بدلاً من أن تنتصر بقوة السلاح تنتصر بقوة الخير وقوة الحب الساكن فيك. وإذ يأمرنا السيد المسيح بهذا لا يدعونا أن نكون جبناء أو أن نخاف، فهو الذى قال: "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر" (لو١٢: ٤)، وهو الذى شجّع أولاده أن يصيروا شهداء كالشهيدة دميانة والأربعين عذراء.. أين الجبن هنا؟!**

الإنسان المسيحى مستعد أن يواجه الأباطرة والحكام وينال إكليل الشهادة إذا طُلب منه أن يتنازل عن مسيحيته، كما طُلب من القديسة دميانة أن تبخر للأصنام أو تسجد لها ولكنها **دفعت والدها مرقس والى البرلس إلى أن يصير شهيداً، بل وصارت هى أيضاً أميرة بين الشهيدات.**

مفهوم الشجاعة فى المسيحية

المسيحية لا تدعو الإنسان إلى الخوف، أو إلى الجبن، بل تدعوه أن يكون قوياً شجاعاً، ولكن الشجاعة ليست أن يحمل سلاحاً، ولا يطمئن لشئ يحميه إلا السلاح. فيبدو فى الظاهر أنه شجاع لكنه فى الحقيقة من الداخل لا يجد سلاماً أو طمأنينة.

أما القديسون فيشعرون دائماً بعدم خوف.. **لماذا؟** لأن "**ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم**" (مز٣٣: ٧). الإنسان القديس أو الإنسان المؤمن، بل الإنسان المسيحى الحقيقى، يشعر أن الملائكة تحرسه، ويشعر أن أرواح القديسين تحرسه وتشفع من أجله. فيشعر بالطمأنينة ويصدّق كلمات السيد المسيح الذى قال: "بل شعور رؤوسكم أيضاً جميعها محصاة" (لو١٢: ٧)، و"شعرة من رؤوسكم لا تهلك" (لو٢١: ١٨)، بذلك يشعر أنه ليس بحاجة إلى أن يرخِّص سلاحاً كى يحميه. فاستخدام السلاح هو إلقاء وقود على النار، بينما الكتاب المقدس يقول "لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير" (رو١٢: ٢١).. أفضل سلاح تستخدمه هو سلاح المحبة، سلاح الوداعة.. السيد المسيح قال: "**طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض**" (مت٥: ٥).

الودعاء يرثون الأرض

ما معنى أنهم يرثون الأرض؟ الإنسان الوديع يكون محبوباً من جيرانه، ومحبوباً من أهله وبحبه هذا يستطيع أن يرث الأرض، لأن كل الناس صاروا مِلكاً له. وإذ يحبه الناس يصيرون مِلكاً له أى يملك على قلوبهم، فأنت تملك جارك وتملك بيته وتملك حقله وتملك كل شئ فيه.. وكيف ذلك؟ لأنه يحبك وإذا أحبك فأنت تملك كل شئ.. البغضة تجعل الإنسان منبوذاً مكروهاً غير مرغوب فيه. هكذا فإن كل من يكره يخسر، بينما ينجح كل من يحب.

أعظم سلاح يستخدمه الإنسان لكى يغلب عدوه هو سلاح الحب وليس سلاح الكراهية.. ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم: [أفضل وسيلة تتخلص فيها من عدوك هى أن تحول هذا العدو إلى صديق] وبذلك تكون قد تخلّصت منه –ليس بالقضاء عليه، أو بقتله، أو أذيته– لكن تخلّصت منه كعدو إذ حولته إلى صديق، وصار هذا الصديق يحبك فلم يعد عدواً على الإطلاق. كما أنك تكون قد كسبت صديقاً جديداً وهكذا يتزايد عدد الذين يحبونك.

١٤. التعليم عن العطاء فى خدمة السيد المسيح

مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ

هذه العبارة الجميلة قالها الرب يسوع المسيح أثناء خدمته على الأرض، ولكن لم يكتبها الإنجيليون الأربعة بل ذكرها القديس بولس الرسول إذ قال: "متذكرين كلمات الرب يسوع المسيح أنه قال: **مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ**" (أع٢٠: ٣٥).

وهذه العبارة بالصورة التى دونت بها؛ تدل على أن الأناجيل الأربعة لم تذكر كل كلام السيد المسيح، ولكن كان هناك تقليداً شفاهياً تناقله التلاميذ وصار مشهوراً بينهم.

ومن المعلوم طبعاً أنه لم يكن من السهل تدوين كل كلمة قالها السيد المسيح على مدى ثلاث سنين وأربعة أشهر. ولكن الأناجيل ذكرت أقوالاً منتقاة بحسب حكمة إلهية فى إلهام كُتَّاب الأناجيل لتدوين ما كتبوه فى أناجيلهم الأربعة.

وبالنسبة لمعجزات السيد المسيح فهى أيضاً لم تسجل كلها فى الأناجيل الأربعة. ولذلك قال القديس يوحنا فى الأصحاح قبل الأخير من إنجيله: "وآيات أُخر كثيرة صنعَ يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب" (يو٢٠: ٣٠). وكذلك قال فى الأصحاح الأخير: "وأشياء أُخر كثيرة صنعها يسوع إن كُتبت واحدةً واحدةً فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة" (يو٢١: ٢٥). لقد أرشد الروح القدس كُتّاب الأناجيل فى اختيار ما ذكروه من المعجزات لحكمة إلهية معينة.

حول العطاء

لقد أوصى السيد المسيح فى تعاليمه بعدم محبة المال. وأوضح أنه من العسير أن يخدم الإنسان الله والمال. وكذلك أوصى بالعطاء بلا حدود فى قوله: "**من سألك فاعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده**" (مت٥: ٤٢). وكذلك فى قوله: "**من سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين**" (مت ٥: ٤١). وأوصى بالعطاء بلا مقابل فقال "**أقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً**" (لو٦: ٣٥).

ووعد السيد المسيح بمجازاة من يتنازل عن ممتلكاته فقال: "كل من ترك بيوتاً أو.. أو حقولاً من أجل اسمى يأخذ مئه ضعف ويرث الحياة الأبدية" (مت ١٩: ٢٩).

وقيل عن السيد المسيح إنه يحب المعطى المسرور "**المعطى المسرور يحبه الله**" (٢كو٩: ٧).

وفى قول السيد المسيح: "**مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ**" (أع٢٠: ٣٥) تحذير من الأنانية، ومن محبة النصيب الأعظم، ومن محبة العالم كقول القديس يوحنا الرسول: "إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب" (١يو٢: ١٥). وكذلك فى قول السيد المسيح ترغيب فى العطاء الذى يجلب السعادة الروحية للمعطى إذ أنه يتشبه بالله فى عطائه. **الله** الذى وهب الخليقة نعمة الوجود، والذى منح الإنسان نعمة العقل والنطق والخلود، والذى يفتح يمينه ويشبع كل حى غنى من رضاه، والذى سعى فى طلب الضال وتعب من أجل خلاصه، ومنحه نعمة النجاة، ويقوده بروح قدسه حتى يحصل على الحياة.

حقاً إن من يعطى بمحبة وسرور وسخاء يصير شبيهاً بالله.

بولس الرسول وكلمات الرب

إن بولس الرسول لم يكن قد آمن بالسيد المسيح حينما صعد السيد المسيح إلى السماء. وبهذا لا يكون قد استمع بنفسه إلى تعاليمه الإلهية أثناء وجوده على الأرض. ولكنه كان بالطبع يصغى بشغف –بعد أن آمن– لكل ما حكاه الذين عاصروا هذه التعاليم. وقد تأثر كثيراً حينما سمع هذه العبارة نقلاً عن السيد المسيح أنه "مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ". عاش بولس الرسول بهذا المنهج وقال: "حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتها هاتان اليدان" (أع٢٠: ٣٤).

وقال أيضاً: "**فضة أو ذهب أو لباس أحد لم أشته**" (أع٢٠: ٣٣).

كان معلمنا بولس الرسول كم وينبوع من العطاء الذى لا يتوقف وكان يقول عن نفسه وعن الآباء الرسل: "كفقراء ونحن نغنى كثيرين. كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ" (٢كو٦: ١٠).

كان لا يبخل بمحبته على أحد.. بل كان عجيباً فى محبته حينما قال لأهل كورنثوس "كلما أحبكم أكثر أُحَب أقل" (٢كو١٢: ١٥). أى أنه كلما زاد فى محبته لهم كانت محبته المتزايدة تُقابَل بحب أقل منهم، لأنهم لم يدركوا أبعاد هذه المحبة التى كانت تتجه أحياناً نحو النصح، وأحياناً نحو التأديب، من أجل خيرهم وخلاص أنفسهم. ولكنه على العموم لم يكن يبالى بردود الفعل فى مقابل محبته، لأنها محبة لم يمكنها إلا أن تحب، ولا تتوقف عن الحب.

هناك أشخاصٌ يتوقفون عن المحبة إذا لم تُقابَل محبتهم بالعرفان. ولكن حتى الحب ينطبق عليه كلمات الرب يسوع التى قالها "**مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ**". ألم يكن هو أيضاً الذى قال: "إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم، أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك؟!.. فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السماوات هو كامل" (مت٥: ٤٦–٤٨).

فلسَي الأرملة

إنها قصة عجيبة حدثت فى وجود الرب يسوع فى الهيكل: جاءت أرملة فقيرة وألقت فلسين قيمتهما ربع. فدعا تلاميذه وقال لهم: "الحق أقول لكم إن هذه الأرملة الفقيرة قد ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا فى الخزانة. لأن الجميع من فضلتهم ألقوا، وأما هذه فمن إعوازها ألقت كل ما عندها، كل معيشتها" (مر١٢: ٤٢– ٤٤)

والأسئلة التى قد تتبادر إلى الذهن عند قراءة هذه الواقعة المؤثرة هى كما يلى:

أولاً: كيف تتبرع أرملة فقيرة فى خزانة بيت الرب **وهى تحتاج** إلى مساعدة؟!

ثانياً: كيف تتبرع **بكل** ما عندها، **كل** معيشتها. مع أن الناموس طالبها بالعشور فقط؟!

ثالثاً: لماذا سمح السيد المسيح لهذه الأرملة أن تفعل ذلك، ثم تخرج وليس معها ما تقتات به وهى أرملة فقيرة؟!

رابعاً: لماذا لم يأمر تلاميذه بمنحها مبلغاً من المال لمساعدتها بعد أن صارت لا تملك شيئاً بل "ألقت كل ما عندها، كل معيشتها" (مر١٢: ٤٤)؟

إن القصة قد بدأت هكذا: "جلس يسوع تجاه الخزانة ونظر كيف يلقى الجمع نحاساً فى الخزانة. وكان أغنياء كثيرون يلقون كثيراً فجاءت أرملة فقيرة وألقت فلسين قيمتهما ربع" (مر١٢: ٤١، ٤٢).

أراد السيد المسيح أن يلقن تلاميذه درساً فى العطاء، وأن يعطيهم فكرة عن مقاييسه التى تختلف عن مقاييس عامة البشر.

أراد أن يفهموا أن قيمة عمل الإنسان فى نظره لا تتوقف على حجم هذا العمل، ولكن على المشاعر والدوافع التى تقترن به، **وأن كل فضيلة تخلو من الحب والاتضاع لا تحسب فضيلة عند الله.**

لاشك أن هذه الأرملة قد امتلأ قلبها بمحبة الله ولهذا أعطت كل ما عندها، كل معيشتها. وبالفعل عاشت الوصية التى تقول "تحب الرب إلهك من **كل** قلبك ومن **كل** نفسك ومن **كل** فكرك" (مت٢٢: ٣٧).

وفى تواضعها لم تخجل من أن تضع قدر ضئيل جداً من المال فى وسط الأغنياء الذين يملكون الكثير ووضعوا نقوداً كثيرة. لقد عرَّضتْ نفسها لسخرية واحتقار الآخرين، ولكن دافع الحب عندها جعلها تقدم أقصى ما عندها حتى ولو بدا ضئيلاً فى أعين الآخرين.

لقد عاشت هذه المرأة الوصية بغض النظر عن حالتها الشخصية، فبالرغم من فقرها الشديد، إلا أنها أرادت أن تنال بركة العطاء وتقديم العشور؛ ولكن ماذا تكون عشورها؟!.. ربما لا توجد عُملة متاحة من النقود تساوى عُشر الفلسين وحتى لو وُجدت فإنها أرادت أن تقدم تكريماً لرب الجنود يتخطى الحد الأدنى للعطاء وهو العشور.. لذلك "**ألقت كل ما عندها، كل معيشتها**" (مر١٢: ٤٤)، ولسان حالها يقول: {اقبل يا رب تقدمتى المتواضعة التى لا تليق بجلالك.. ولكن هذا هو كل ما عندى}.

موقف السيد المسيح

كان عطاء هذه المرأة عظيماً جداً فى عينى الرب لذلك لم يعترضها ولم يمنعها ولم يجرح مشاعرها بأن يمنحها صدقة فى ذلك التوقيت بالذات..

كانت الملائكة تسبح بتسابيح البركة وكان المشهد عظيماً اهتزت له أعتاب السماء على مثال سلم يعقوب حاضراً بملائكته الأطهار صاعدين ونازلين وسجّل الإنجيل المقدس هذا المشهد العجيب ليكون عبرة للكنيسة فى جميع الأجيال.

إنها أنشودة حب ابتهج لها قلب السيد المسيح وأراد أن يلفت أنظار تلاميذه ليقفوا مبهورين أمام هذا المشهد العظيم الذى كان حضوره فيه هو مصدر جلاله وعظمته.

وخرجت الأرملة الفقيرة بكل وقار القداسة، محاطة بجماهير الملائكة الذين اجتذبهم حب هذه المرأة وتواضعها.

إن هذه الأرملة الفقيرة التى كانت غنية بمحبتها وتواضعها هى رمز للكنيسة التى ترملت بعد خروجها من الفردوس وقال لها الرب بفم إشعياء النبى: "لا تخافى لأنك لا تخزين. ولا تخجلى لأنك لا تستحين. فإنك تنسين خزى صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد. لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل إله كل الأرض يُدعى. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب، وكزوجة الصبا إذا رذلت قال إلهك. لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك. بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة، وبإحسان أبدى أرحمك قال وليّك الرب" (إش٥٤: ٤-٨).

لاشك أن الرب قد أحسن كثيراً إلى هذه المرأة الأرملة الفقيرة بعد خروجها من الهيكل وتولاها بعنايته بعد أن قدّمت له كل ما عندها.. كل معيشتها.

وهكذا أيضاً الكنيسة من خلال القديسة مريم العذراء قد قدّمت كل ما عندها بكل الحب والاتضاع، جسداً وروحاً إنسانياً عاقلاً اتخذه الرب ناسوتاً كاملاً من العذراء مريم ليدخل به مع البشرية فى عهد جديد. **وكان الجسد والروح الإنسانى اللذين اتخذهما الرب هو ما يرمز إليه فلسَي الأرملة اللذان لهما أعظم قيمة فى عينى الرب** "ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا فى الخزانة" (مر١٢: ٤٣).

وهكذا نسمع الرب يقول هذه الأنشودة الشعرية بفم إشعياء النبى: "أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية: هأنذا أبنى بالإثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك وأجعل شُرفك ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيراً" (إش٥٤: ١١- ١٣).

بعد ميلاد الرب البتولى من العذراء مريم بفعل الروح القدس، صار السيد المسيح هو **كل** ما عندها، **كل** معيشتها. وليس للعذراء مريم فقط بل للكنيسة كلها، **كان السيد المسيح هو كل ما عندها، كل معيشتها** كما نقول فى أوشية الإنجيل {**لأنك أنت هو حياتنا كلنا**}.

وجاء يوم الفداء وقدّمت العذراء مريم راضيةً على الصليب ابنها الوحيد ناسوتياً، وقدّمت الكنيسة كل ما عندها، كل معيشتها فى خزانة الرب.. وقَبِلَ الآب تقدمة البشرية إليه، التى هى نفسها عطية الآب للبشرية.. وكانت أعظم تقدمة.. وكان سلم يعقوب.. وكان رضى الآب.

١٥ . تعليم السيد المسيح عن الإيمان فى مواجهة المحن والتجارب

السفينة والعواصف

من المناظر التى تدعو إلى التأمل فى خدمة السيد المسيح.. ذلك المشهد العجيب، الرب يسوع وحده على قمة الجبل يصلى أغلب الليل، وتلاميذه جميعاً فى البحر راكبين السفينة وهى معذبة من الأمواج.

كان السيد المسيح قد أشبع الجموع من الخمس أرغفة والسمكتين، وكان تلاميذه سعداء بهذه المعجزة، ورفعوا ما فضل من الكسر اثنتى عشر قفة مملوءة.

"وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع. وبعدما صرف الجموع، صعد إلى الجبل منفرداً ليصلى. ولما صار المساء كان هناك وحده.. وفى الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر" (مت١٤: ٢٢-٢٥).

ويقول معلمنا مرقس الإنجيلى عن نفس هذه الواقعة إن الرب يسوع وهو على الجبل يصلى "رآهم معذبين فى الجذف لأن الريح كانت ضدهم" (مر٦: ٤٨).

هذه السفينة تمثِّل الكنيسة، لأنها كانت تحمل جميع التلاميذ فى ذلك الوقت (الاثنى عشر تلميذاً "الذين دعاهم أيضاً رسلاً"). وقد آثر الرب أن يتركهم معذبين من الأمواج قرابة الليل كله فى وسط البحر، ولم يذهب إليهم إلا فى الهزيع الرابع من الليل. تركهم يواجهون المصاعب فى وسط العاصفة.. ولكن كان فى تأخير السيد المسيح بركات جزيلة لهم وللكنيسة فى كل زمان ومكان. كان يسندهم ويحملهم بصلواته. وما أمجد وما أغنى هذه الصلوات التى ذخرها الرب لكنيسته.

لماذا يصلى

لم تكن **صلاة** السيد المسيح هى لمجرد واقعة السفينة فى تلك الليلة؛ بل كانت من أجل الكنيسة بكل ما سيواجهها من مصاعب، وعواصف عبر العصور، خاصة فى عصور الاضطهاد والاستشهاد حين تصبح الأمواج ثقيلة والريح مضادة بقوة..

كيف صمد الشهداء فى عصور الاستشهاد المريرة؟ وكيف تحمَّلوا العذابات التى تفوق عقل البشر؟ إنها أحداث خارقة للطبيعة. ولكنها حدثت بالفعل. وخرجت الكنيسة منها قوية منتصرة مكللة بالبهاء، تماماً مثل عريسها الذى تمجّد بعد أن تألم.

لاشك أن السيد المسيح فى تلك الليلة قد طلب من أجل هذه الآلاف من الشهداء واحداً واحداً باسمه، **وقد استغرق هذا الأمر وقتاً طويلاً فى مناجاته مع الآب.**

إن السيد المسيح لم ينس فى ليلة آلامه أن يطلب من أجل بطرس قبل أن يواجه المحنة والتجربة فى بيت رئيس الكهنة وقال له: "سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة. ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك" (لو٢٢: ٣١، ٣٢).

كذلك هناك صعوبات أخرى واجهتها الكنيسة مثل صراعها ضد الأريوسية، وصراعها ضد النسطورية وسائر الهرطقات. وكان السيد المسيح يعرف كل ما ستواجهه كنيسته المحبوبة من صعوبات. ولهذا فقد **صلى** من أجلها لكى تصمد بقوة وثبات فى وسط العواصف العتيدة.

ولكن الأمر لا يتعلق فقط بالصعوبات التى ستواجهها الكنيسة وما يلزم للتلاميذ أن يتدربوا عليه فى مواجهة هذه الصعوبات. كان هناك أمر آخر يشغل السيد المسيح فى صلاته. **وهو إعلان الإيمان ببنوته لله فى قلوب التلاميذ.**

يقول معلمنا مرقس الإنجيلى إن السيد المسيح بعد أن وصل إلى التلاميذ ماشياً على الماء: "فصعد إليهم إلى السفينة، فسكنت الريح، فبهتوا وتعجبوا فى أنفسهم جداً إلى الغاية. لأنهم لم يفهموا بالأرغفة إذ كانت قلوبهم غليظة" (مر٦: ٥١، ٥٢).

كان من العجيب أن معجزة إشباع الجموع لم تكن كافية لكى يفهم التلاميذ حقيقة السيد المسيح. لهذا **صلى** السيد المسيح لكى يعلن الآب فى قلوبهم ذلك الحق الذى لا يستطيع العالم أن يعرفه أو يفهمه، إذ "ليس أحد يعرف من هو الابن إلا الآب، ولا من هو الآب إلا الابن، ومن أراد الابن أن يعلن له" (لو١٠: ٢٢). **إن معرفة الابن هى حياة أبدية.. وهى أعظم إعلان يمنحه الله للإنسان.. لكل من يقبل.**

بعد أن دخل السيد المسيح إلى السفينة، اعترف التلاميذ بألوهيته حسبما دوّن القديس متى فى إنجيله: "**الذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله**" (مت١٤: ٣٣).

ألم يكن هذا الاعتراف الواضح من التلاميذ جديراً بأن يقضى الليل كله على الجبل مصلياً من أجلهم؟!

ولم تكن هذه الصلاة هى من أجل إيمان التلاميذ فقط، بل من أجل أن يفتح الآب قلوب وأذهان الملايين الذين سوف يؤمنون به على مر العصور والأجيال.

هل يستحيل على الرب شئ؟!

ترك السيد المسيح التلاميذ طوال الليل، يواجهون العاصفة وأمواج البحر الهائج، وجاء إليهم ماشياً على البحر.. وفى مشيه على الماء كان يريد أن يعطيهم درساً ذا أهمية كبيرة، وهو أنه لا يوجد شئ مستحيل عند الرب.

ربما مكثوا الليل كله يقولون فيما بينهم: {ليته كان معنا فى السفينة، لو كان معنا ما لحق بنا هذا الشئ الذى صار الآن}.

لكن السيد المسيح أراد أن يعلّمهم أنه يستطيع أن يتخطى كل الفواصل والعوائق، يستطيع أن يمشى على الماء، وليس ذلك فقط، بل يستطيع أن يمنح تلاميذه هذه الإمكانية أيضاً أن يسيروا مثله على الماء. فحينما طلب منه بطرس ذلك، أجابه إلى طلبه تحقيقاً لقوله الإلهى: "من يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضاً" (يو ١٤: ١٢).

السيد المسيح يعمل الأعمال الفائقة للطبيعة بقدرته الإلهية الخاصة، أما تلاميذه فيعملونها بنعمة منه. مهما كثرت أعمال التلاميذ والقديسين، فكلها بعطية من صاحب القدرة ومانح السلطان والمواهب.

يا رب نجنى

كتب القديس متى الإنجيلى عن وقائع لقاء السيد المسيح مع تلاميذه فى وسط البحر فقال: "فلما أبصره التلاميذ ماشياً على البحر اضطربوا قائلين إنه خيال. ومن الخوف صرخوا. فللوقت كلمهم يسوع قائلاً: تشجّعوا، أنا هو، لا تخافوا. فأجابه بطرس وقال: يا سيد إن كنت أنت هو فمرنى أن آتى إليك على الماء. فقال: تعال. فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتى إلى يسوع. ولكن لما رأى الريح شديدة خاف. وإذ ابتدأ يغرق، **صرخ قائلاً: "يا رب نجنى"**. ففى الحال مد يسوع يده وأمسك به وقال له: يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟ ولما دخلا السفينة سكنت الريح والذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين: بالحقيقة أنت ابن الله" (مت١٤: ٢٦-٣٣).

فى وسط الريح الشديدة ابتدأ بطرس يغرق، **فصرخ قائلاً: "يا رب نجنى"**.

لم يكن هناك مجالاً للحديث.. أو للحوار.. أو للتفكير.. بل كان الصراخ هو الحل الوحيد. هناك مواقف لا يناسبها إلا الصراخ إلى الله فى الصلاة.

كقول المرتل "من الأعماق **صرخت** إليك يا رب" (مز١٢٩: ١).

أو قوله "بصوتى إلى الرب **صرخت**، بصوتى إلى الرب تضرعت، أسكب أمامه توسلى" (مز١٤١: ١، ٢).

أو كصلاة يونان من بطن الحوت "دعوت من ضيقى الرب فاستجابنى. **صرخت** من جوف الهاوية فسمعت صوتى" (يون٢: ٢).

هذا النوع من الصراخ ينطبق عليه (كما ذكر قداسة البابا شنودة الثالث) قول الشاعر

صوتى عِلى مثل صرخة غريق　　　بينده لقارب نجاة...
بيصرخ بيصرخ بكل قواه　　　لـلـحيـــــاة

لقد صرخ بطرس، وفى الحال مد الرب يده وانتشله.

فهل نصرخ نحن إلى الرب حينما ندخل فى مأزق أو تجربة؟ أم صلاتنا تكون سطحية وليست من أعماق القلب؟!

هناك فرق بين إنسان يطلب من الله أن يكون معه، مجرد طِلبة. وآخر فى استغاثة حارة يصرخ إليه ليتدخل سريعاً وبكل قوة.

الله يريد الذين يصرخون إليه فى وقت التجربة.. صراخ من القلب.. صراخ بدموع.. لذلك قال الرب: "ادعنى فى يوم الضيق أنقذك فتمجدنى" (مز ٥٠: ١٥).

كثيراً ما تكون صلواتنا ضعيفة، ربما حتى لا تصل إلى سقف حجرة الصلاة. تكون صلاة كمن يؤدى واجب عليه وليس أكثر..!!

الله يريد من يصرخ إليه.. ومن يتعلق به ويقول: "**لا أطلقك إن لم تباركنى**" (تك٣٢: ٢٦).

أليس هو الرب الذى قال: "لأنه علىّ اتكّل فأنجيه، أستره لأنه عرف اسمى. يدعونى فاستجيب له، معه أنا فى الشدة. فأنقذه وأمجده وطول الأيام أشبعه، وأريه خلاصى" (مز ٩٠: ١٤-١٦)؟!.

إن الرب أحياناً يتركنا فى ضيقة معينة، فى مأزق، أو فى شدة. لكى يعلّمنا كيف نصرخ إليه فى الصلاة. وعندما نصرخ إليه يستجيب. فنشعر بقيمة الصلاة وأهميتها وفاعليتها. كما نشعر بأهمية أن تكون لنا علاقة به.. نشعر بأهمية طلبنا إليه، وأيضاً بأهمية حضوره ووجوده فى وسطنا.

نحن ربما لا نشعر بأهمية الماء إلا إذا وُجدنا فى صحراء جرداء ليس فيها ماء.

وربما لا نشعر بأهمية الهواء الذى نتنفسه إلا إذا وُجدنا فى موضع تحت الأرض يخلو من الأكسجين. مثل الوجود فى منجم مثلاً، أو فى نفق انقطعت عنه التهوية..

الإنسان أحياناً لا يعرف قيمة الشئ إلا إذا لم يجده.

فالتلاميذ عرفوا قيمة وجود السيد المسيح فى وسطهم عندما تأخر فى المجيء إليهم، لدرجة أنهم عندما أبصروه ماشياً على الماء ظنوه خيالاً. مثلما يقول الإنسان أحياناً (أنا فى حلم واللا فى علم؟!).

إن الرب مستعد أن يفعل أكثر كثيراً مما نطلب أو نفتكر.. ولكن يلزمنا أن نشعر حقيقةً بحاجتنا إليه.. أن نصرخ من أعماق قلوبنا ونناديه.. أن نظل نكافح الأمواج منتظرين مجيئه حتى ولو فى الهزيع الرابع من الليل.. ماشياً على البحر.. متخطياً كل الحواجز الطبيعية.. منتهراً البحر والرياح.. مانحاً سلامه العجيب لكل من ينتظر عمله وحضوره وعطية محبته التى تفوق كل وصف وتصديق.

يا معلم أما يهمك أننا نـهلك؟!

عبارة قالها التلاميذ للسيد المسيح عندما كان معهم، نائماً فى مؤخرة السفينة فى وسط البحر، وهاج البحر بشدة حتى كادت السفينة أن تغرق، فذهبوا إليه وأيقظوه قائلين له: "**يا معلم أما يهمك أننا نـهلك**" (مر٤: ٣٨).

لقد وبخ السيد المسيح التلاميذ وقال لهم: "ما بالكم خائفين هكذا، كيف لا إيمان لكم؟" (مر٤: ٤٠).

فلماذا وبخهم؟ مع أنه سبق أن أوصاهم قائلاً "اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم" (مت٧: ٧) وقال أيضاً عن أهمية الصلاة: "أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهارًا وليلاً وهو متمهل عليهم؟ أقول لكم إنه ينصفهم سريعاً" (لو١٨: ٧، ٨).

لم تكن المشكلة فى أنهم التجأوا إلى السيد المسيح، الذى قام وانتهر البحر والريح حتى صار هدوء عظيم. ولكن المشكلة كانت فى الخوف العظيم الذى انتاب التلاميذ بالرغم من وجود السيد المسيح معهم فى السفينة، كما أن المشكلة كانت فى عبارتهم القاسية "**أما يهمك أننا نـهلك؟**" (مر٤: ٣٨).

لقد شخَّص السيد المسيح السبب فى هذه الأخطاء التى وقعوا فيها بقوله: "ما بالكم خائفين هكذا، كيف لا إيمان لكم؟!" (مر٤: ٤٠).

الخوف لا يتفق مع الإيمان

الإنسان المؤمن لا يخاف بل يقول مع المرنم: "الرب نورى وخلاصى **ممن أخاف**" (مز٢٦: ١)، "إن سرت فى وادى ظل الموت **فلا أخاف شراً لأنك معى**" (مز٢٢: ٤). ويقول أيضاً "تقدمت فرأيت الرب أمامى فى كل حين **لأنـه عن يمينى لكى لا أتزعزع**" (مز١٥: ٨)

إنه يثق فى عناية الرب وفى حفظه وقدرته غير المحدودة. ويثق فى مواعيد الرب؛ أن شعرة من رؤوسكم لا تهلك إلا بإذنه، وأن من تعلق به ينجيه كقوله فى المزمور "لأنه **تعلق بى أنجيه**، أستره لأنه عرف اسمى، يدعونى فأستجيب له، **معه أنا فى الشدة، فأنقذه** وأمجده وطول الأيام أشبعه، وأريه خلاصى" (مز٩٠: ١٤-١٦).

ينبغى أن ندرّب أنفسنا على الثقة وعدم الخوف من العالم كما أوصانا الرب "فى العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم" (يو١٦: ٣٣).

إن الإيمان بالرب ليس هو مجرد الإيمان بالثالوث القدوس الإله الواحد المثلث الأقانيم، وبتجسد أقنوم الابن الوحيد وبصلبه وموته وقيامته وصعوده إلى السماء وباقى الأمور العقائدية المختصة بالإيمان. ولكن يلزم أن يكون لهذا الإيمان ثمر فى حياة الإنسان.

وهذا الثمر يمنحه الروح القدس للإنسان المؤمن الذى يجاهد فى شركة الروح القدس "وأما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف" (غل ٥: ٢٢، ٢٣).

إذن الإيمان أيضاً هو من ثمر الروح القدس. والمقصود هنا حياة الإيمان أى السلوك بالإيمان. **الإيمان الذى يحرر الإنسان من الخوف من العالم، والخوف من المرض، والخوف من الموت، والخوف من الآلام والضيقات، والخوف من البشر وما يفعلون. وهذا كله يدل على الإيمان بقدرة الله.**

لذلك قال معلمنا بولس الرسول: "بدون ايمان لا يمكن إرضاؤه لأنه يجب أن الذى يأتى إلى الله يؤمن بأنه موجود، وأنه يجازى الذين يطلبونه" (عب١١: ٦).

عتاب المحبة

إن الرب يسمح لنا فى الصلاة أن نعاتبه أو أن نتضرع إليه فى محبة وثقة، مثلما نقول فى المزمور الكبير: "**كلّت عيناى من انتظار أقوالك قائلتين: متى تعزينى؟**.. كم هى أيام عبدك؟ متى تُجرى لى حكماً على الذين يضطهدوننى؟.. كادوا يفنوننى على الأرض" (مز١١٨: ٨٢-٨٧).

أو مثلما نقول: "**إلى متى يا رب تنسانى** إلى الانقضاء حتى متى تصرف وجهك عنى؟ إلى متى أردد هذه المشورات فى نفسى وهذه الأوجاع فى قلبى كل يوم. إلى متى يرتفع عدوى علىّ. انظر واستجب لى يا ربى وإلهى. أنر عينى لئلا أنام نوم الموت. لئلا يقول عدوى إنى قد قويت عليه" (مز١٢: ١-٤).

ولكن التلاميذ فى تلك الواقعة تخطوا الحدود اللائقة فى التخاطب مع الرب بقولهم "أما يهمك أننا نهلك؟!".

كيف يُقال هذا لمن أخلى نفسه من المجد المنظور إذ أخذ شكل العبد، واحتمل الكثير من أجل كنيسته وقبِل الموت فداءً عنا.

كيف يُقال له "أما يهمك؟"

لقد تعمّد السيد المسيح أن ينام فى وسط العاصفة، لكى يكشف للتلاميذ ما فيهم من ضعف ولكى يقودهم إلى إصلاح عيوبهم.

إن مجرد وجود السيد المسيح فى السفينة، يكفى لكى يطمئنوا لأنه بحسب لاهوته "لا ينعس ولا ينام حارس إسرائيل" (مز١٢٠: ٤).

لقد ظن التلاميذ أن السيد فى نومه بحسب الجسد، لا يدرى بما يجرى حوله-وهو العالِم بكل الأشياء بحسب لاهوته.

وقد غاب عن ذهن التلاميذ أيضاً هذا الإيمان إلى جوار ما أصابهم من الخوف.

ليتهم قالوا له فى ضراعة:

قم سكّت البحر طارداً هذى البلية

وأشفق على البيعة فى كل حرب خفية

واملأ القلب سلاماً فإن نعمتك قوية

من وحى شعر قداسة البابا شنودة الثالث-أطال الرب حياة قداسته-عن قيامة السيد المسيح.

١٦ . تعليم السيد المسيح عن الجهاد الروحى

الحواس الخمس

الخمس عذارى فى مثل العرس تشير إلى حواس الإنسان.

فكما أن للإنسان حواساً جسدية، هكذا لديه حواس روحية مُناظرة لها.

وبالصوم والصلاة يتفرغ الإنسان لكى تتمو فيه قوة الحواس الروحية، وتمتلئ آنيته من زيت النعمة وفعل الروح القدس ومحبة الله الغنية.

فى الصوم والصلاة والتأمل فى كلام الله بقيادة الروح القدس، تنمو روحيات الإنسان، ويتقوى بالروح، ويصير الروح قادراً أن يقود الجسد.

وكما قال الكتاب "إن عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون" (رو٨: ١٣).

وكما قال **قداسة البابا شنودة الثالث:** إن روح الإنسان تقود الجسد، وروح الله يقود روح الإنسان، فمن له شركة الروح القدس يستطيع أن يحيا بالروح، وينقاد بالروح، وتتقدس مسيرة حياته وأفعال جسده.

فحينما يأكل الإنسان طعام الجسد -منقادًا بالروح- فإنه يأكل لمجد الله "إذا كنتم تأكلون، أو تشربون، أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شئ لمجد الله" (١كو١٠: ٣١).

لذلك فبعدما أكمل إبليس كل تجربة، وأكمل السيد المسيح صومه عنا معلماً إيانا.. "إذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه" (مت٤: ١١).. وأنهى صومه بطعام أعدته له الملائكة.. فيا له من منظر رائع يفوق العقول!!.

وقال السيد المسيح: "المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح" (يو٣: ٦).

فالإنسان الجسدانى تقوى عنده الحواس الجسدية وتقود حياته، والإنسان الروحانى تقوى عنده الحواس الروحية وتقود حياته.

فحاسة السمع الروحية مثلاً تجعل الإنسان قادراً على سماع صوت الله بوضوح، مثلما قال السيد المسيح: "والخراف تسمع صوته" (يو١٠: ٣).

وقال أيضاً: "كل من هو من الحق يسمع صوتى" (يو١٨: ٣٧).

وعن ذلك يقول المزمور: "إنى أسمع ما يتكلم به الرب الإله لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولقديسيه وللذين رجعوا إليه من كل قلوبهم" (مز٨٤: ٨). الإنسان الروحى يسمع صوت الإله واضحاً فى حياته. يسمع وصايا السيد المسيح ويفهمها. يسمع صوت الروح وينقاد لهذا الصوت فى داخله لأن "الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو٨: ١٤).

نأخذ مثلاً التليفون اللاسلكى، لكل جهاز مدى للاستقبال، لا يستطيع بعده أن يلتقط موجات الإرسال. فكلما قويت حاسة السمع الروحية فى الإنسان كلما ازداد صوت الله وضوحاً فى عقله، وقلبه، وحياته.

وجهاز التليفون اللاسلكى يحتاج إلى شحن للبطاريات لكى يكون قادراً على استقبال الموجات اللاسلكية، هكذا أيضاً يحتاج الإنسان الروحى إلى شحنة روحية، بأن يمتلئ من الروح القدس لكى يصير له القدرة على الاستماع إلى صوت الله.

والامتلاء من الروح القدس يتم بممارسة الوسائط الروحية مثل ممارسة التوبة والاعتراف والتناول من الأسرار المقدسة. وكذلك ممارسة الجهادات الروحية باتضاع مثل الصوم والصلاة واحتمال الضيق والمشقات والآلام، مثلما قال القديس بطرس الرسول: "كما اشتركتم فى آلام المسيح افرحوا. لكى تفرحوا فى استعلان مجده أيضاً مبتهجين. إن عُيّرتم باسم المسيح فطوبى لكم **لأن روح المجد والله يحل عليكم**" (١بط٤: ١٣، ١٤).

إن من يحتمل الآلام من أجل المسيح يصير أهلاً لأن يحل عليه "روح المجد والله".

ممارسة الحياة الروحية والمواظبة على العبادة بحرارة والصلوات المتواصلة من قلب خاشع تؤهّل الإنسان للامتلاء من الروح القدس.

قراءة الأسفار المقدسة بروح الصلاة والتأمل والشوق الحار لمعرفة الله تؤهّل الإنسان للامتلاء من الروح القدس. لهذا نقف بخشوع فى الكنيسة أثناء قراءة الإنجيل المقدس لكى نؤهّل لهذا الامتلاء، وتغتذى أرواحنا بكلمات الإنجيل وتتقوّى حاسة السمع الروحية فينا.

كيف توجد الحواس الروحية فى الإنسان؟

هذا الأمر شرحه السيد المسيح لنيقوديموس حينما قال له: "إن كان أحد لا يولد من فوق (من الماء والروح) لا يقدر أن يرى (يدخل) ملكوت الله" (يو٣: ٣، ٥). بمعنى أن الروح القدس يخلق فينا فى المعمودية حواساً خمس روحية تؤهلنا لميراث الحياة الأبدية. ومن ضمن هذه الحواس الخمس الروحية حاسة النظر التى يمكن للإنسان بها أن يعاين ملكوت الله. لهذا قال معلمنا بولس الرسول: "إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة" (٢كو٥: ١٧). إن الروح القدس يخلق فينا بالفعل هذه الحواس وينميها بعد ذلك بوسائط النعمة الروحية.

العذارى الحكيمات

الحواس الخمس الروحية المنيرة ترمز إلى مصابيح الخمس عذارى الحكيمات. والآنية الممتلئة من الزيت ترمز إلى امتلاء قلب الإنسان من الروح القدس. حيث ينير الروح القدس الحواس. مثلما قال السيد المسيح: "إن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيّراً" (مت٦: ٢٢). فالحواس التى يعمل فيها الروح القدس تجعل الجسد مقدساً منيراً خالياً من شوائب الخطية وظلمتها.

لذلك قيل عن الأبرار: "حينئذٍ يضئ الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم" (مت١٣: ٤٣).

اليد اليمنى لها خمسة أصابع، وأصحاب الحواس الخمس الروحية المنيرة سوف يكون نصيبهم عن يمين الملك المسيح. إذ يقيم الخراف عن يمينه.

واليد اليسرى لها خمسة أصابع، وأصحاب الحواس الخمس المظلمة سوف يكون نصيبهم عن يسار الملك المسيح. إذ يقيم الجداء عن يساره.

هذه الحواس الخمس عموماً هى البصر، والسمع، والشم، واللمس، والتذوق.

١- حاسة **البصر الروحية** يستطيع الإنسان الروحى أن يعاين بها ملكوت الله.

٢- وحاسة **السمع الروحية** يستطيع الإنسان الروحى أن يستمع بها إلى صوت الله، وإلى تسابيح السمائيين.

٣- وحاسة **الشم الروحية** يستطيع الإنسان الروحى أن يستنشق بها ويشم رائحة المسيح الذكية، ورائحة حياة القداسة كقول سفر النشيد عن السيد المسيح "لرائحة أدهانك الطيبة، اسمك دهن مهراق. لذلك أحبتك العذارى" (نش١: ٣). وأيضاً "مادام الملك فى مجلسه أفاح ناردينى رائحته" (نش١: ١٢). هذه الرائحة الذكية تملأ نفس الإنسان الروحى بالنشوة الروحية وتتزايد محبته للسيد المسيح وتأسره هذه المحبة. فما أجمل تعبير رائحة الناردين الخالص الكثير الثمن عن رائحة موت السيد المسيح، التى هى رائحة الحياة، لأنها رائحة الحب. وحيث يكون الحب فهناك الحياة لأن "**الله محبة**". وقد صدق الفيلسوف الفرنسى الذى قال: **[أن نحب معناها أن نوجد]**. بمعنى أنه **لا معنى للوجود بدون المحبة.**

كان قبول السيد المسيح للناردين من المرأة ساكبة الطيب، هو قبول لموته بدافع الحب. لهذا قال: "إنها ليوم تكفينى قد حفظته" (يو١٢: ٧). إنه قبول للموت من منطلق الحياة. **أى هو موت مُحيى، ورائحة حياة لحياة فى الذين يخلصون.**

٤- وحاسة **اللمس الروحية** يستطيع الإنسان الروحى أن يتلامس بها مع عمل الله وحضوره فى حياته.

إن المرأة نازفة الدم قد قالت فى نفسها: "إن مسست ولو ثيابه شفيت" (مر٥: ٢٨). لذلك فالإنسان الذى يتلامس مع الحق الذى فى المسيح ويدرك الحد الفاصل بين النور والظلمة، يكون كمن لمس هُدب ثوبه، فينال الشفاء.

إن لمسة بسيطة من يد السيد المسيح الشافية تستطيع أن تنزع الخطية مثلما طهر الأبرص حينما مد السيد المسيح يده ولمسه وقال "أريد فاطهر" (مت٨: ٣) فللوقت طهر برصه وشفى.

هناك لمسات كثيرة يعملها الله فى حياة الإنسان ويحسها الإنسان الروحى. ويقول مع عروس النشيد: "شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى" (نش٢: ٦، ٨: ٣). **إن من يتلامس مع الله يصير الرب له سنداً قوياً فى حياته كما قيل عن هذه العروس "من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها؟"** (نش٨: ٥).

٥- وحاسة **التذوق الروحية** يستطيع الإنسان الروحى أن يتذوق بها حلاوة الحياة مع الله.

يقول الكتاب "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" (مز٣٣: ٨).

وتقول عروس النشيد "كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبى بين البنين، تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقى" (نش٢: ٣).

هذه المذاقة الروحية جعلت كثير من القديسين ينسون كل مسرات العالم ومشتهياته، **لأن مذاقة حب السيد المسيح كانت أشهى من كل أطياب العالم.**

فى هذه العشرة العجيبة دخلت عروس النشيد، واستغرقتها مشاعر الحب حتى نسيت كل ما عداه وأنشدت قائلة "ليقبلنى بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر" (نش١: ٢).

وكلما أعطى الإنسان نفسه الفرصة ليتذوق حلاوة المسيح، كلما زادت أشواق الحياة معه.

الباب الضيق

قال السيد المسيح: "ادخلوا من الباب الضيّق. لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدّى إلى الهلاك. وكثيرون هم الذين يدخلون منه. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدّى إلى الحياة. وقليلون هم الذين يجدونه" (مت٧: ١٣، ١٤).

لقد رسم السيد المسيح بحياته طريق الأمجاد، وبعدما تألّم على الصليب قال لتلاميذه: "كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده" (لو٢٤: ٢٦).

وكان دائماً يردد أن من أراد أن يتبعه فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعه (انظر لو٩: ٢٣).

التلمذة للمسيح تحتم حمل الصليب. وبدون الصليب تصير المسيحية كالعروس بلا عريس.

والحياة مع المسيح فيها شركة الآلام مع المسيح كقول معلمنا بولس الرسول: "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته" (فى٣: ١٠). وقال أيضاً: "كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً" (٢كو١: ٥)

من أراد أن يلتقى مع المسيح فلن يمكنه أن يلتقى به إلا فى طريق الصليب، فى طريق الآلام، فى الطريق الكرب، ومن الباب الضيّق.

ولكن من يدخل إلى هذا الطريق، يجد هناك تعزيات كثيرة.. فكثيرون يحاولون تخيّل شكل السيد المسيح، وصورته البهية ويتمنون اللقاء به ليهنأوا بهذا اللقاء. ويوجد من هو مستعد أن يضحّى بكل غالٍ ونفيس فى سبيل أن يرى السيد المسيح ويلتقى به.

ولكن السيد المسيح رسم لنا طريقة الالتقاء به.. هناك فى درب الصليب. إذ لا يمكن أن نلتقى مع المسيح بدون صليبه.. لأن صليبه هو قوة الله للخلاص.

الصليب هو سر القوة والنصرة على الخطية، وعلى محاربات الشيطان. والصليب هو علامة حب الله لنا، وهو أيضاً علامة المصالحة بإتمام الفداء وإيفاء الدين. فقبول الصليب هو قبول لمحبة الله ودخول إلى شركة الحب معه.

إن مجد المحبة هو أن تتألم من أجل من تحب. كما أن مجد الينبوع هو أن يسقى ويروى ويغسل.

فى درب الصليب تبدأ النفس فى الدخول إلى شركة العرس الروحى. وتبدأ فى تذوّق حلاوة المحبة المتبادلة بين المسيح والعروس.

حينما قال بولس الرسول: "كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً" (٢كو١: ٥). كان يقصد أن **الكنز المخفى لاكتشاف وتذوّق حلاوة الحياة مع المسيح هى من خلال قبول التألّم مع من أحبنا وسلّم نفسه كفارة عن خطايانا.**

تطبيقات عملية

١- الخدمة الصعبة

الخدمة السهلة يتهافت عليها كثيرون، ولكنهم فى هذا النوع من الخدمة لن يتلامسوا مع قوة المسيح التى تعمل فى الخدمة، والتى تعين الآنية الخزفية.

ولكن من يقبل الدخول إلى **الخدمة الصعبة**، أو الخدمة الشاقة فهناك يختبر عمل الله فى الخدمة. ويبتدئ الرب يُظهر هذا العمل فيتمجد الله، ويشعر الناس بحضور الرب وعمله.. فتدخل الخدمة إلى أعماق نفوس الناس.

لهذا قال السيد المسيح: "إن كان أحد يخدمنى فليتبعنى، وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمى. وإن كان أحد يخدمنى يكرمه الآب" (يو١٢: ٢٦).

المسألة تبدأ **بقبول الصليب**.. ويتبع ذلك عمل الآب فى الخدمة بصورة تفوق قدرات الإنسان الخادم البشرية. وهذه هى الكرامة الحقيقية التى لا يتوقعها الإنسان ولكنه يعايشها ويختبرها ويتعزى.

٢- التضحية والعطاء بسخاء

يستدعى قبول صليب التجرّد والزهد والفقر الاختيارى. كما كان القديس الأنبا أبرام أسقف الفيوم يصنع فى خدمته؛ وفى المقابل كان الرب يتمجّد ويغمر الخدمة ببركات كثيرة وأموال طائلة لأن "الأمين فى القليل أمين أيضاً فى الكثير" (لو١٦: ١٠). يضاف إلى ذلك أن القديس الأنبا أبرام لشدة عطفه وحنانه لمساعدة المرضى والمحتاجين، قد منحه الرب موهبة الشفاء وصنع المعجزات. حقاً قال السيد المسيح: "**ليس أحد ترك.. لأجلى.. إلا ويأخذ مئة ضعف**" (مر١٠: ٢٩-٣٠).

٣- الشهادة للحق

جاء السيد المسيح إلى العالم ليشهد للحق. وقال: "كل من هو من الحق يسمع صوتى" (يو١٨: ٣٧). وقد بذل حياته ثمناً لشهادته للحق.

وفى وسط عالم يموج بالمتغيرات والصعوبات تكون الشهادة للحق ذات ثمن باهظ. مثلما حدث مع أرميا النبى الذى كانت رسالته لتوبيخ شعبه فى زمانه داعياً إياهم للتوبة –كما أوضح لنا **قداسة البابا شنودة الثالث أطال الرب حياته.** واحتمل أرميا النبى الكثير من أجل رسالته الصعبة، وهو الإنسان الوديع الباكى الذى كان يميل إلى البُعد عن المشاكل ولكن كانت إرادة الله له أن يتحمل هذه الأعباء التى تفوق طاقته.

٤- الجهاد ضد الخطية

يقول معلمنا بولس الرسول: "لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية. وقد نسيتم الوعظ الذى يخاطبكم كبنين: يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب ولا تخُر إذا وبخك" (عب١٢: ٤، ٥).

إن الجهاد ضد الخطية هو من لوازم حياة التلمذة الحقيقية للمسيح. لهذا قال الكتاب "أما المتنعمة فقد ماتت وهى حية" (١تى٥: ٦).

لا يمكن أن يجتمع النور والظلمة معاً.. لهذا فالتوبة هى بداية الطريق إلى الله كقول السيد المسيح فى دعوته: "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات" (مت٤: ١٧).

فى وسط جهادات الحياة الروحية يختبر الإنسان عمل الروح القدس وهو يقوده إلى موكب النصرة.. ليفرح فى وسط صفوف الأبرار.

ولكن دائماً يلزمنا أن نجاهد وأن "نحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله يسوع" (عب١٢: ١، ٢).

مع العريس

وهكذا نرى فى كل جوانب الحياة مع الله أن اللقاء مع المسيح يلزمه معانقة وقبول الصليب. وأن من يهرب من الضيقة يهرب من الله؛ لأنه يفقد فرصة اللقاء معه، فى وسط الضيقة يحمله ويعزّيه. كقول السيد المسيح لعروس النشيد عن عشرته معها فى طريق الألم المؤدّى إلى حلاوة التعزية: "قد دخلتُ جنتى يا أختى العروس. قطفتُ مُرّى مع طيبى. أكلتُ شهدى مع عسلى. شربتُ خمرى مع لبنى. كلوا أيها الأصحاب اشربوا واسكروا أيها الأحباء" (نش٥: ١).

١٧ . شهادة السيد المسيح للكتاب المقدس

اهتم السيد المسيح بالكتب المقدسة وشهد لها فى مواضع ومناسبات عديدة. وشهادة السيد المسيح لهذه الكتب لم تكن شيئاً جديداً لأنها قد حفظت عبر الأجيال السابقة لظهوره فى الجسد وبالطبع كان هو أيضاً حافظها بعنايته الإلهية.

مكتوب

أول شئ نقرأ عنه فى الإنجيل المقدس عن استخدام السيد المسيح لآيات واضحة من الأسفار المقدسة هو رده القاطع بعدما جاع أخيراً فى التجربة على الجبل حينما قال له إبليس: "إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً" (مت٤: ٣). وكان الرد: "**مكتوب** ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (مت٤: ٤).

وحتى حينما حاول إبليس أن يلجأ إلى الخداع بالاستناد إلى آيات من الكتاب المقدس رد عليه السيد المسيح بآيات أخرى تكشف مكر إبليس وخداعه. وكان إبليس قد أخذه إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له: "إن كنت ابن الله فأطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب: أنه يوصى ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكى لا تصدِم بحجر رجلك" (مت٤: ٦). فرد عليه السيد المسيح وقال له: "**مكتوب أيضاً:** لا تجرب الرب إلهك" (مت٤: ٧). وبهذا أوضح السيد المسيح كيفية استخدام الآيات بطريقة سليمة وفى موضعها الصحيح.

فى كل ذلك أكّد السيد المسيح أهمية الاستناد إلى كلام الله الموجود فى الأسفار المقدسة لمواجهة حروب إبليس. والعجيب أنه فيما استند إبليس إلى آيات الكتاب المقدس. فإنه قد حرك بمكره بعض الناس خاصة فى هذه الأزمنة الأخيرة للتشكيك فى الوحى الإلهى وفى أسفار الكتاب تحت اسم نقد الكتاب المقدس Bible Criticism. لأن الشيطان له وسائل وطرق كثيرة فى خداع الناس وتضليلهم.

شهادة السيد المسيح للمزامير

أشار السيد المسيح إلى أن المزامير قد كتبت بوحى من الروح القدس، وأن كاتبها هو القديس داود النبى والملك. وكان ذلك "فيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون فى المسيح. ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف **يدعوه داود بالروح** رباً قائلاً: قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فإن كان داود يدعوه رباً، فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتّة" (مت٢٢: ٤١-٤٦).

على الصليب

أراد السيد المسيح أن يلفت نظر المحيطين به إلى ما ورد عن صلبه من نبوات واضحة **فى سفر المزامير** فقال: "إلهى إلهى لماذا تركتنى" (مت٢٧: ٤٦).

وهو بهذا قد استخدم بداية المزمور الثانى والعشرين الذى يقول: "**إلهى إلهى لماذا تركتنى** بعيداً عن خلاصى عن كلام زفيرى.. كل الذين يروننى يستهزئون بى يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين: اتكل على الرب فلينجّه. لينقذه لأنه سر به.. أحاطت بى ثيران كثيرة، أقوياء باشان اكتنفتنى. فغروا علىّ أفواههم كأسد مفترس مزمجر.. يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى وإلى تراب الموت تضعنى. لأنه قد أحاطت بى كلاب. جماعة من الأشرار اكتنفتنى. ثقبوا يدىّ ورجلىّ. أحصى كل عظامى وهم ينظرون ويتفرسون فىّ. يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون" (مز٢٢: ١، ٧، ٨، ١٢، ١٣، ١٥-١٨).

إنه وصف عجيب لأحداث صلب السيد المسيح امتلأ به هذا المزمور ويعتبر **ترديد السيد المسيح للعبارة الأولى فيه إشارة وشهادة لما يحويه المزمور من نبوات دقيقة وواضحة عن الصلب** بما فى ذلك تعييرات اليهود للسيد المسيح بقولهم: "قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده" (مت ٢٧: ٤٣). وتسمير الجند له على الصليب ثاقبين يديه ورجليه بالمسامير واقتسامهم ثيابه بينهم وإلقائهم القرعة على لباسه "ولما صلبوه، اقتسموا ثيابه مقترعين عليها. **لكى يتم ما قيل بالنبى** اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة" (مت ٢٧: ٣٥).

وهنا نرى شهادة من القديس متى الإنجيلى لما ورد فى نفس المزمور وأن ما حدث فى اقتسام ثياب السيد المسيح وإلقاء القرعة على لباسه هو إتمام للنبوة الواردة فيه.

وقد دعى السيد المسيح "ابن داود" (مت٢١: ٩)، ودعيت مملكته "مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب" (مر١١: ١٠).

وعلى جبل التجلى التقى الناموس والأنبياء مع صاحب المزامير الحقيقى وهو السيد المسيح فكان موسى ممثلاً للناموس، وإيليا ممثلاً للأنبياء، أما المزامير فقد تحققت فى شخص ابن داود.

بل أن هوشع النبى يعطى لقب داود للسيد المسيح فى قوله: "لأن بنى إسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك، وبلا رئيس، وبلا ذبيحة، وبلا تمثال، وبلا أفود وترافيم. بعد ذلك يعود بنو إسرائيل **ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويفزعون إلى الرب وإلى جوده فى آخر الأيام**" (هو٣: ٤، ٥).

ومن الواضح هنا أن عبارة "يطلبون داود ملكهم فى آخر الأيام" هى كناية عن عودة بنى إسرائيل إلى السيد المسيح بعد رفضهم له وعدم اعترافهم بملكه الذى قال عنه الملاك جبرائيل للسيدة العذراء "ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه.. ولا يكون لملكه نهاية" (لو ١: ٣٢، ٣٣).

إن من يتغنى بالمزامير فإنما يتغنى بحياة السيد المسيح، أو يتغنى بعمل السيد المسيح فى حياة الإنسان.

للمسيح تُقدَّم الصلاة، وبالمسيح تقدم الصلاة، وفى المسيح تقدم الصلاة. وعليه ينطبق قول المزمور "أما أنا فصلاة" (مز ١٠٩: ٤).

لقد كان السيد المسيح هو الكاهن وهو الذبيحة وهو المُصعد وهو الصعيدة {هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة عن خلاص جنسنا فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة}.

ما أجمل أن يكون السيد المسيح هو أنشودة حياتنا: نشدو به ونشدو بحبه ونتذوقه جديداً فى كل يوم.

مع التلاميذ بعد القيامة

حينما ظهر السيد المسيح لتلاميذه وهم مجتمعين بعد القيامة "قال لهم: هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى **ناموس موسى والأنبياء والمزامير** حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب. وقال لهم **هكذا هو مكتوب** وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث" (لو ٢٤: ٤٤-٤٦)، وبهذا أوضح السيد المسيح أن ما ورد من نبوات فى سفر المزامير هو مكتوب بوحى من الله لهذا كان ينبغى أن يتم جميع ما هو مكتوب فى أسفار العهد القديم بما فى ذلك سفر المزامير.

وكان فى حديثه مع تلميذى عمواس بعد القيامة قد "ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسّر لهما الأمور المختصة به فى **جميع الكتب**" (لو ٢٤: ٢٧).

فتح ذهنهم ليفهموا الكتب

ورد فى نص قانون الإيمان الأرثوذكسى [قام من الأموات فى اليوم الثالث **كما فى الكتب**] وهذا النص مأخوذ مما ورد فى كلام السيد المسيح لتلاميذه بعد القيامة كما ذكرنا سالفاً ومستند على ما ورد فى الكتب المقدسة التى كتبت قبل مجيء السيد المسيح إلى العالم.

ولكن الأمر الهام جداً هو أن السيد المسيح قد فتح ذهن التلاميذ ليفهموا الكتب. بمعنى أنه لم يكتفِ فقط بما شرحه وأوضحه لهم من معانى النبوات المختصة به فى جميع الكتب، بل فتح ذهنهم ليفهموا الكتب.

ما أروع هذا الأمر أن يُرفع البرقع الذى وضعه موسى على وجهه رمزاً لأن الأسرار الإلهية التى لم يستطع عامة البشر أن يفهموها قد أصبحت واضحة ومعلنة وجلية فى العهد الجديد.

وقد شرح معلمنا بولس الرسول هذا الأمر مبيناً السبب فى أن شعب إسرائيل حتى اليوم لا يفهمون الكتب أى أسفار العهد القديم كما فهمها تلاميذ المسيح فقال: "فإذ لنا رجاء مثل هذا نستعمل مجاهرة كثيرة. وليس كما كان موسى يضع برقعاً على وجهه لكى لا ينظر بنو إسرائيل إلى نهاية الزائل. بل أغلظت أذهانهم، لأنه **حتى اليوم** ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باقٍ غير منكشف، الذى يبطل فى المسيح. لكن حتى اليوم حين يُقرأ موسى، البرقع موضوع على قلبهم. ولكن عندما يرجع إلى الرب يرفع البرقع" (٢كو٣: ١٢-١٦).

إن شعب إسرائيل لسبب قساوة قلوبهم وعدم توبتهم حتى الآن، لا يقدرون أن يفهموا أسفار الكتاب المقدس العهد القديم الموجودة بين أيديهم والتى يقرأونها باستمرار فى مجامعهم.

ولكن وجود هذه الأسفار فى أيديهم بنفس النصوص الموجودة فى أيدينا هى شهادة لصحة هذه الأسفار المقدسة واستمراريتها عبر الأجيال.

سمعتم أنه قيل للقدماء

فى الموعظة على الجبل انطلق السيد المسيح بكثير من وصايا العهد القديم إلى كمالها فى العهد الجديد كما سبق فقال: "لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل" (مت٥: ١٧).

وفى حديثه عن كمال الوصايا القديمة اقتبس من الكتب المقدسة.

وفى قوله "**قيل للقدماء**" إشارة إلى أن كلامه التالى لذلك؛ هو وصايا العهد الجديد.

وقد ورد فى كلام وتعليم السيد المسيح اقتباسات أخرى من العهد القديم وكلام كثير عن العهد القديم مثل أحاديثه عن أب الآباء إبراهيم وعن موسى النبى وعما ورد فى سفر دانيال عن نهاية العالم..

السيف الماضى ذو الحدين

ورد فى سفر الرؤيا عن السيد المسيح قوله عن نفسه: "هذا يقوله **الذى له السيف الماضى ذو الحدّين**" (رؤ٢: ١٢).

وذلك كما رآه يوحنا الرسول "**وسيف ماض ذو حدّين يخرج من فمه**" (رؤ١: ١٦).

فما معنى أن السيد المسيح هو الذى له السيف ذو الحدين أو أن سيفاً ماضياً ذا حدين يخرج من فمه؟

إن خروج السيف من فم السيد المسيح يشير إلى الكلام والوصايا والإعلانات والإنذارات التى نطق بها السيد الرب أثناء خدمته على الأرض، أو فى كلامه الذى سمعه يوحنا فى رؤياه بعد صعود السيد المسيح إلى السماء، أو عموماً فى كل ما تكلم به الرسل والأنبياء.

وقد ورد فى فاتحة سفر الرؤيا العبارات التالية: "إعلان يسوع المسيح الذى أعطاه إياه الله ليُرى عبيده ما لابد أن يكون عن قريب وبيّنه مرسلاً بيد ملاكه لعبده يوحنا الذى شهد **بكلمة الله وبشهادة يسوع المسيح** بكل ما رآه" (رؤ١: ١، ٢).

وقد ربط القديس بولس الرسول كلمة الله بالسيف ذى الحدين فى قوله "لأن **كلمة الله حيّة وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين** وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميّزة أفكار القلب ونياته" (عب٤: ١٢).

إذن فهناك إصرار فى الكتاب المقدس فى أكثر من موضع على **الربط بين كلمة الله وبين السيف الماضى ذى الحدين.**

والسر فى ذلك أن السيف الماضى ذا الحدين يستطيع أن يخترق الأجساد لا أن يقطع منها فقط.

أى أنه يدخل إلى عمق العمق بلا عائق. أما السيف غير الماضى أى غير المسنون أو غير الحاد وكذلك السيف ذو الحد الواحد فإما أنه لا يدخل إلى العمق أو أنه يعمل بحد واحد فقط؛ فيقطع الأجزاء الظاهرة كالرقبة واليدين والرجلين ولكنه لا يدخل مخترقاً إلى العمق.

لهذا قال معلمنا بولس الرسول عن كلمة الله أنها حيّة وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته.

بمعنى أن كلمة الله تستطيع أن تخترق كيان الإنسان نفسياً وروحياً. وتستطيع أن تكشف الخبايا الداخلية فى قلب الإنسان ونواياه.

هناك فرق بين كلام البشر وكلام الله. كلام البشر قد يؤثر فى العاطفة وقد يقنع العقل بدرجات متفاوتة ولكنه لا يستطيع أن يخترق إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ويميز أفكار القلب ونياته.

لهذا فهناك فرق بين عظة تعتمد على مهارة الواعظ وفصاحته، وبين عظة تعتمد على أقوال الكتاب المقدس التى هى أنفاس الله.

العظة المشبعة حقاً هى التى تحوى كثير من الآيات المأخوذة من الكتاب المقدس، والتى تدخل إلى قلوب السامعين، إذ يشعروا أن الرب يكلمهم بكلامه الذى يطهر القلب ويمنح قوة للسامعين ويصل إلى أعماق قلوبهم ويوقظ ويهذب ضمائرهم، حتى يُنخسوا فى قلوبهم مثلما نُخست قلوب اليهود فى يوم الخمسين ثم آمنوا واعتمدوا وقبلوا عطية الروح القدس.

إن قراءة الإنجيل فى صلوات الكنيسة هى عنصر هام فى العبادة الليتورجية، وفى إتمام الأسرار المقدسة. ويقترن بذلك قراءات من رسائل القديس بولس الرسول، ومن الرسائل الجامعة، ومن سفر أعمال الرسل. كما إن قراءة الإنجيل يسبقها أجزاء من المزامير المقدسة.

بالإضافة إلى ذلك يُقرأ سفر الرؤيا بكامله فى طقس أبوغالمسيس بعد قراءة تسابيح الأنبياء. وتُقرأ أجزاء كثيرة من أسفار العهد القديم طوال الصوم الكبير، وفى طقس أسبوع الآلام، وفى طقس اللقان فى عيد الغطاس وفى خميس العهد وفى عيد الآباء الرسل.

كما أن تسبحة نصف الليل تحوى أجزاء من الكتب المقدسة مثل تسبحة عبور البحر الأحمر من سفر الخروج لموسى النبى والمزامير ١٤٨و١٤٩و١٥٠.

أما المزمور ١٥١ فيُقرأ فى بداية سهرة ليلة السبت الكبير. كما أن سفر المزامير يقرأ بكامله فى نهاية طقس الجمعة العظيمة. كما أن مراثى أرميا تقرأ فى الجمعة العظيمة فى بداية صلوات الساعة الثانية عشر.

بهذا نرى أمثلة لاهتمام الكنيسة بقراءة كلمة الله فى طقوسها، كما أنها بذلك تدعو الجميع أن يتعمّقوا فى دراسة الكتب المقدسة كقول المزمور الكبير "**لأن شهاداتك هى درسى، وحقوقك هى مشوراتى**" (مز ١١٨: ٢٤).

من أمثلة السيف ذى الحدين: قول المزمور أن "**الرحمة والحق تلاقيا**" (مز٨٤: ١٠) أى أن **كلمة الله تجمع الرحمة مع الحق.** فهى ذات حدين وليس حد واحد. أما البشر فقد يميلون أحياناً إلى الرحمة **فقط** أو إلى العدل **فقط** فى كلامهم أو فى حكمهم على الأمور.

وصيته هى حياة أبدية

قال السيد المسيح عن الآب "**وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية**" (يو١٢: ٥٠).

لذلك لا نعجب أن المزمور الكبير (مز١١٨) يتجه نحو اشتهاء وصايا الله والطلب الحار المتكرر فى كل قطعة (ق.)، بأن يساعدنا الله على حفظ وصاياه. مثل قول المرنم:

- "أنت أمرت أن تحفظ **وصاياك** جداً، فياليت طرقى تستقيم إلى حفظ **حقوقك**" (ق. ١).
- "من كل قلبى طلبتك، فلا تبعدنى عن **وصاياك**" (ق. ٢).
- "اشتاقت نفسى إلى اشتهاء **أحكامك** فى كل حين" (ق. ٣).
- "فى طريق **وصاياك** سعيت عندما وسّعت قلبى" (ق. ٤).
- "ضع لى يا رب ناموساً فى طريق **حقوقك،** فأتبعه كل حين" (ق. ٥).
- "فهّمنى فأبحث عن **ناموسك،** وأحفظه بكل قلبى" (ق. ٥).
- "إهدنى فى سبيل **وصاياك،** فإنى إياها هويت" (ق. ٥).
- "ها قد اشتهيت **وصاياك،** فأحينى بعدلك" (ق. ٥).
- "لهجت **بوصاياك** التى أحببتها جداً، وتأملت **فرائضك**" (ق. ٦).
- "**حقوقك** كانت لى مزامير فى موضع مسكنى. ذكرت فى الليل اسمك يا رب، وحفظت **شريعتك.** هذا صار لى لأنى طلبت **حقوقك**" (ق. ٧).
- "حظى أنت يا رب فقلت: أن أحفظ **وصاياك**" (ق. ٨).
- "فى نصف الليل نهضت لأشكرك على **أحكام عدلك..** من رحمتك يا رب امتلأت الأرض فعلمنى **عدلك**" (ق. ٨).

❖ "صالح أنت يا رب، فبصلاحك علّمنى **حقوقك**. كثر على ظُلم المتكبرين، وأنا بكل قلبى أبحث عن **وصاياك**" (ق. ٩)

❖ "يداك صنعتانى وجبلتانى، فهّمنى فأتعلم **وصاياك**" (ق. ١٠)

❖ "حسب رحمتك أحينى فأحفظ **شهادات فمك**" (ق. ١١).

❖ "إلى الدهر لا أنسى **وصاياك**، لأنك بها أحييتنى يا رب" (ق. ١٢).

❖ "**ورثت شهاداتك** إلى الأبد، لأنها بهجة قلبى. عطّفت قلبى لأصنع **برّك** إلى الأبد، من أجل المكافأة" (ق. ١٤).

❖ "اصنع مع عبدك حسب رحمتك، و**حقوقك** علمنى. عبدك أنا فهمنى فأعرف **شهاداتك**" (ق. ١٦).

❖ "لأجل هذا أحببت **وصاياك** أفضل من الذهب والجوهر" (ق. ١٦).

❖ "أضئ بوجهك على عبدك، وعلمنى **حقوقك**" (ق. ١٧).

❖ "عادلة هى **شهاداتك** إلى الأبد، فهمنى فأحيا" (ق. ١٨).

❖ "صرخت من كل قلبى فاستجب لى يا رب، إنى أبتغى **حقوقك**" (ق. ١٩)

❖ "سبقت عيناى وقت السَحر لألهج فى جميع **أقوالك**، فاسمع صوتى يا رب كرحمتك وبحسب **أحكامك** أحينى" (ق. ١٩).

❖ "رأفتك كثيرة جداً يا رب، فحسب **أحكامك** أحينى" (ق. ٢٠).

❖ "أبتهج أنا **بكلامك** كمن وجد غنائم كثيرة" (ق. ٢١).

❖ "فلتدنُ وسيلتى قدامك يا رب **كقولك** فهمنى. لتدخل طلبتى إلى حضرتك، ككلمتك أحينى" (ق. ٢٢).

كذلك فإن المزمور الكبير (١١٨) يحوى الكثير من النصوص التى يطلب فيها المرنم الخلاص من خلال حفظ وصايا الله أو من خلال مواعيده. ومن أمثلة ذلك:

❖ "لتأت علىّ رحمتك يا رب و**خلاصك كقولك**" (ق. ٦).

❖ "فلتأت علىّ رحمتك لتعزينى، **نظير قولك لعبدك**. ولتأتنى رأفتك فأحيا. فإن **ناموسك** هو درسى" (ق. ١٠)

❖ "تاقت نفسى إلى **خلاصك**، وعلى **كلامك** توكلّت. كلّت عيناى من انتظار **أقوالك** قائلتين متى تُعزينى" (ق. ١١).

❖ "لو لم تكن **شريعتك** تلاوتى، لهلكت حينئذ فى مذلتى. وإلى الدهر لا أنسى **وصاياك**، لأنك بها أحييتنى، يا رب. لك أنا **فخلصنى**" (ق. ١٢).

❖ "أعنى **فأخلص**، وأدرس فى **وصاياك** كل حين" (ق. ١٥).

❖ "عيناى قد ذبلتا من انتظار **خلاصك**، **وقول عدلك**" (ق. ١٦).

- "صرخت إليك **فخلِّصنى،** لأحفظ **شهاداتك**" (ق. ١٩).
- "انظر إلى تواضعى وأنقذنى، فإنى لم أنس **ناموسك،** أحكم لى فى دعواى ونجنى من أجل كلامك أحينى. بعيد هو **الخلاص** من الخطاة، لأنهم لم يطلبوا **حقوقك**" (ق. ٢٠).
- "توقعت **خلاصك** يا رب، **ووصاياك** حفظتها" (ق. ٢١).
- "لتكن يدك **لخلاصى،** لأننى أشتهيت **وصاياك.** اشتقت إلى **خلاصك** يا رب **وناموسك** هو لهجى" (ق. ٢٢).

تقريباً لا تخلو جملة من المزمور الكبير من الإشارة إلى وصايا الله بعبارات: وصاياك، شهاداتك، حقوقك، كلامك، شهادات فمك، قولك، أحكامك، أقوالك، فرائضك، عدلك، برّك. حقاً إنه مزمور حفظ الوصية والسلوك فيها لأنها حياة أبدية كما قال السيد المسيح.

ومن المؤكد أن ما أورده يوحنا الرسول فى إنجيله، هو نفس ما أورده فى رسالته الأولى. لأن الكاتب واحد والفكرة التى شرحها فى إنجيله بالتفصيل أوردها فى رسالته بالاختصار. ولتوضيح ذلك نقول أن القديس يوحنا قد أورد فى إنجيله ما يثبت أن الشهود للابن المتجسد هم: **الآب عن ابنه، والابن عن نفسه، والروح القدس عن الابن..**

وهذه بعض الآيات التى تثبت ذلك فى إنجيل يوحنا:

شهادة الآب

قال السيد المسيح لليهود: "**والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى.** لم تسمعوا صوته قط، ولا أبصرتم هيئته، وليست لكم كلمته ثابتة فيكم، لأن الذى أرسله هو لستم أنتم تؤمنون به" (يو٥: ٣٧، ٣٨).

وكان قد أشار إلى شهادة الآب عنه بقوله: "إن كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليست حقاً. **الذى يشهد لى هو آخر**، وأنا أعلم أن شهادته التى يشهدها لى هى حق. أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق. وأنا لا أقبل شهادة من إنسان.. لى شهادة أعظم من يوحنا" (يو٥: ٣١-٣٤، ٣٦). وقال أيضاً لليهود: "وإن كنت أشهد لنفسى فشهادتى حق، لأنى أعلم من أين أتيت وإلى أين أذهب.. وأيضاً فى ناموسكم مكتوب إن شهادة رجلين حق: أنا هو الشاهد لنفسى، **ويشهد لى الآب الذى أرسلنى**" (يو٨: ١٤، ١٧، ١٨).

شهادة الابن

كما أوردنا فى الآية السابقة مباشرة قال السيد المسيح: "**أنا هو الشاهد لنفسى**" (يو٨: ١٨).

كذلك شرح القديس يوحنا المعمدان أهمية شهادة السيد المسيح وأورد ذلك القديس يوحنا الرسول فى إنجيله "أجاب يوحنا وقال.. **الذى يأتى من السماء** هو فوق الجميع، **وما رآه وسمعه به يشهد**، وشهادته ليس أحد يقبلها. ومن قبل شهادته فقد ختم أن الله صادق، لأن الذى أرسله الله يتكلم بكلام الله" (يو٣: ٢٧، ٣١-٣٤).

ومن الواضح هنا أن القديس يوحنا المعمدان قد ربط فى حديثه بين شهادة المسيح على الأرض وبين ما يجرى فى السماء "الذى يأتى من السماء.. ما رآه وسمعه به يشهد". أى أن شهادة الآب فى السماء، هى نفسها شهادة الابن بما سمعه من الآب.

شهادة الروح القدس

"ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق **فهو يشهد لى**" (يو١٥: ٢٦). وشهادة الروح القدس هى نفسها شهادة الآب لأن السيد المسيح قال: "متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه **بل كل ما يسمع يتكلم به**" (يو١٦: ١٣).

فالروح القدس يشهد بما سمعه من الآب عن ابنه الوحيد الجنس وليس المقصود أن الروح القدس يقل عن الآب فى المجد والكرامة لأنه لا يتكلم من نفسه. ولكن المقصود أن الشهادة للابن: {أصلها فى الآب وتتحقق من خلال الابن فى الروح القدس} كما شرح آباء الكنيسة الكبار. وذلك لأن الثالوث واحد فى الجوهر وليس فيه انفصال لأحد الأقانيم.

التجسد والفداء

لقد كشف السيد المسيح فى حديثه مع نيقوديموس عن أمور هامة جداً خاصة بالتجسد والفداء والثالوث القدوس.

ففيما يخص حقيقة التجسد الإلهى بقصد الفداء، قال السيد المسيح: "لأنه هكذا أحب الله العالم **حتى بذل ابنه الوحيد الجنس لكى** لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦).

كيف بذل الله ابنه الوحيد ؟

إن الابن الوحيد هو كلمة الله المولود من الآب قبل كل الدهور. ولم يكن ممكناً لابن الله الوحيد أن يموت نيابة عن البشر دون أن يتجسد، وذلك لأن اللاهوت بحسب طبيعته هو غير مائت وغير قابل للألم. أما وقد صار له طبيعة بشرية كاملة، فقد أمكن أن يتألم وأن يموت الله الكلمة بحسب إمكانيات طبيعته البشرية.

وقد شرح القديس أثناسيوس الرسولى ذلك فى كتاب تجسد الكلمة- الفصل التاسع- الفقرات رقم ١، ٢ فقال:

[وإذ رأى "الكلمة" أن فساد البشرية لا يمكن أن يبطل إلا بالموت كشرط لازم. وأنه يستحيل أن يتحمل "الكلمة" الموت لأنه غير مائت ولأنه ابن الآب. لهذا أخذ لنفسه جسداً قابلاً للموت حتى باتحاده "بالكلمة" الذى هو فوق الكل، يكون جديراً أن يموت نيابة عن الكل. وحتى يبقى فى عدم فساد بسبب "الكلمة" الذى أتى ليحل فيه وحتى يتحرر الجميع من الفساد، فيما بعد، بنعمة القيامة من الأموات. وإذ قدّم للموت ذلك الجسد، الذى أخذه لنفسه، كمحرقة وذبيحة خالية من كل شائبة، فقد رفع حكم الموت فوراً عن جميع من ناب عنهم، إذ قدّم عنهم جسداً مماثلاً لأجسادهم. ولأن كلمة الله متعال فوق الكل. فقد لاق به بطبيعة الحال أن يوفى الدين بموته وذلك بتقديم هيكله وآنيته البشرية فداءً عن الجميع].

إذن لقد تجسد كلمة الله لكى يصير بالإمكان أن يموت على الصليب فداءً عن البشرية. وبهذا يتحقق قول السيد المسيح: "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد الجنس" (يو٣: ١٦).

فذبيحة الصليب هى ذبيحة الابن الوحيد، وقيمتها غير محدودة عند الله الآب. لهذا كانت كافية لسداد دين البشرية، ولترضية الآب السماوى، ولإعلان قداسة الله الكاملة فى رفضه لخطايا البشرية، ولإظهار حب الله الكامل فى افتدائه لنا "الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم" (٢كو٥: ١٩).

الله هو المخلّص

لقد سبق الرب فوعد فى العهد القديم بأنه هو المخلّص الوحيد بقوله: "أنا أنا الرب **وليس غيرى مخلّص**.. وأنا الله" (إش٤٣: ١١، ١٢).

لهذا رنمت القديسة مريم العذراء فى العهد الجديد قائلة: "وتبتهج روحى **بالله مخلّصى**" (لو١: ٤٧).

وقال القديس بطرس الرسول عن السيد المسيح: "**ليس بأحد غيره الخلاص**" (أع٤: ١٢).

وتنبأ إشعياء النبى قائلاً: "**هوذا الله خلاصى** فاطمئن ولا أرتعب. لأن ياه يهوه قوتى وترنيمتى وقد صار لى خلاصاً" (إش١٢: ٢). **بمعنى أن الرب ليس فقط هو المخلّص كما ورد فى (إش٤٣: ١١)، بل هو الخلاص نفسه** "**يهوه.. صار لى خلاصاً**" (إش١٢: ٢). ويمكننا أن نقارن بين هذا القول، وبين قول القديس يوحنا الإنجيلى "**والكلمة صار جسداً**" (يو١: ١٤) لكى نفهم أن يهوه هو الله الكلمة الذى تجسد وصار خلاصاً لأجلنا. وقال عنه سمعان الشيخ: "الآن يا سيدى تطلق عبدك بسلام حسب قولك لأن عينى قد أبصرتا **خلاصك** الذى أعددته قدام جميع الشعوب، نوراً تجلى للأمم، ومجداً لشعبك إسرائيل" (لو٢: ٢٩-٣٢).

إن الرب يسوع المسيح **هو المخلّص وهو الخلاص، هو الفادى وهو الفدية**، هو الكاهن وهو الذبيحة، هو الهيكل وهو القربان، هو الراعى وهو الحمل. لهذا دُعى اسمه "عجيباً مشيراً إلهاً قديراً أباً أبدياً رئيس السلام" (إش٩: ٦).

الرب هو عجيب فى محبته، عجيب فى خيريته، عجيب فى قداسته، عجيب فى حكمته، عجيب فى إخلائه لنفسه وتجسده، عجيب فى تواضعه، عجيب فى إصراره واحتماله للخطاة، عجيب فى مغفرته، عجيب فى حزمه ومواجهته للشر، عجيب فى ضعفه حينما تألم فى جسم بشريته لأنه أظهر بالضعف ما هو أقوى من القوة، وعجيب فى قوته حينما قام منتصراً من الأموات.

كان الرب عجيباً فى كل تدبير الخلاص الذى أكمل بكل فطنة، وتعجب منه القديسون فى كل عظم صنيعه معهم. وهذا العجب هو مصدر كثير من الإعجاب فى حياتهم وأفئدتهم وفى حناجرهم.

الحية المرفوعة

قال السيد المسيح فى شرحه لنيقوديموس: "وكما رفع موسى الحيّة فى البرية، هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الانسان. لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٤، ١٥).

كان نيقوديموس من قيادات اليهود فى ذلك الزمان ومعلّم لإسرائيل (انظر يو٣: ١٠). وكان ينبغى أن يربط له السيد المسيح ما ورد فى التوراة برسالة الإنجيل وعمل الفداء والخلاص.

بدأ السيد المسيح يشرح لنيقوديموس مغزى الحيّة التى رفعها موسى فى البرية حينما أخطأ الشعب إلى الله، وأطلق عليهم الحيّات السامة فلدغتهم وقتلت منهم الآلاف، وصرخ موسى إلى الرب فأمره بأن يعمل حيّة نحاسية ويرفعها على سارية، وكل من لدغته الحيّات وينظر إلى هذه الحية النحاسية يبرأ من لدغ الحيّات.

إن إبليس هو الملقّب بلقب "الحية القديمة"، لأنه فى الفردوس اختفى فى الحية التى هى أحيل حيوانات البرية وأسقط آدم مع حواء، وبهذا دخل الموت إلى العالم.

وبذلك أصبحت الحيّة رمزاً لغواية إبليس ورمزاً للخطية والموت.

وحينما جاء السيد المسيح إلى العالم لأجل خلاص البشرية، ليحمل خطايا جميع من ناب عنهم ولكى يموت عوضاً عنهم ويرفع عنهم الدين، فإنه قد سمّر خطايانا على الخشبة. أى أن الحية المرفوعة فى البرية هى إشارة واضحة إلى الخطايا التى حملها السيد المسيح فوق الصليب مسمّراً إياها بالخشبة.

لقد صعد السيد المسيح إلى الصليب حاملاً الحية مسمّراً إياها بالصليب، ثم نزل من على الصليب بعد قبوله الموت فداءً عنا تاركاً الحية مسمّرة هناك.

فكل من ينظر إلى الصليب يرى الخطية وهى مدانة "فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية ولأجل الخطية **دان الخطية فى الجسد**" (رو٨: ٣). **كل من ينظر إلى الصليب ويؤمن بأن الرب المسيح قد دفع عنه دين خطاياه يستحق أن يبرأ من سم الحيّات، أى أن يبرأ من خطاياه فى المعمودية أو فى سرى الاعتراف والتناول إذا كان من الذين قد نالوا العماد بالمسيح.**

إن العجيب فى الأمر أن ترمز الحية المرفوعة إلى صليب السيد المسيح الذى كان هو نفسه بلا خطية وحده. ولكن هكذا يقول الكتاب إن الله قد "جعل الذى لم يعرف خطية؛ خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه" (٢كو٥: ٢١). أى أن الرب المسيح قد أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له. أخذ الخطايا وحملها وحمل عارها لكى نلبس نحن بره "لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح" (غل٣: ٢٧).

صارت الحيّة المرفوعة ترمز إلى المسيح المصلوب.. وصارت عصا الرعاية فى البرية –التى تحوّلت فى يد موسى إلى حيّة وابتلعت حيّات سحرة فرعون– هى نفسها الوسيلة التى ضرب بها موسى البحر الأحمر وشق مياهه لعبور المفديين. **ولهذا يحمل الأسقف عصا الرعاية فى صورة حيّة نحاسية مرفوعة ترمز إلى صليب المسيح حيث قَتل السيدُ الموتَ بموته مسمراً خطايانا بالصليب.**

لقد أشهر السيد المسيح الشيطان وأدان الخطية بالصليب "إذ جرّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهارًا ظافراً بهم فيه (أى فى الصليب)" (كو٢: ١٥).

إن ارتفاع السيد المسيح على الصليب هو إعلان للجميع أنه هو الطريق المؤدى إلى السماء وهو إعلان للجميع أن الخطية قد دينت، وأن اللعنة قد أزيلت، وأن الموت قد مات.

ما أجمل اللحن الذى يُقال فى **قداس القديس يوحنا ذهبى الفم** عن الرب المسيح وموته المحيى على الصليب:

[عندما انحدرت إلى الموت أيها الحياة الذى لا يموت. حينئذ أمت الجحيم ببرق لاهوتك. وعندما أقمت الأموات من تحت الثرى، صرخ نحوك جميع القوات السماويين: أيها المسيح الإله معطى الحياة، المجد لك].

إن قيامة السيد المسيح من الأموات، هى استعلان لحقيقة أنه قد داس الموت بالموت. أى أن الموت الذى سحقه السيد المسيح بموته على الصليب لم يكن ممكناً أن يمسكه لأنه قد انهزم منه، حتى أن النبى تغنى قائلاً: "أين شوكتك يا موت؟ أين غلبتك يا هاوية. ابتلع الموت إلى غلبة" (انظر هو١٣: ١٤، ١كو١٥: ٥٥، ٥٤).

إن كان السيد المسيح قد قبِل الموت بنعمة الله نيابة عنّا، فإنه قد انتصر لنا.. ولهذا صرخ فى لحظة موته على الصليب "يا أبتاه فى يديك أستودع روحى" (لو٢٣: ٤٦). إنها صرخة الانتصار نيابة عن الإنسان الذى غاب طويلاً عن يدى الآب، إذ كان تحت سلطان موت الخطية كما أوضح معلمنا بولس الرسول عما فعله الرب المسيح للبشرية المفتداه "فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس. ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية" (عب٢: ١٤، ١٥).

كما أن **القديس أثناسيوس الرسولى** قد عبّر عن هذه الحقائق بكلماته الرائعة فى كتاب "**تجسّد الكلمة**" كما يلى:

[وهكذا إذ أخذ من أجسادنا جسداً مماثلاً لطبيعتنا، وإذ كان الجميع تحت قصاص فساد الموت، فقد بذل جسده للموت **عوضاً عن الجميع**، وقدّمه للآب. كل هذا فعله شفقة منه علينا، وذلك (أولاً) لكى يبطل الناموس الذى كان يقضى بهلاك البشر، إذ مات الكل فيه، لأن سلطانه قد أكمل فى جسد الرب ولا يعود ينشب أظفاره فى البشر **الذين ناب عنهم**. (ثانياً) لكى يعيد البشر إلى عدم الفساد بعد أن انحدروا إلى الفساد، ويحييهم من الموت بجسده وبنعمة القيامة، وينقذهم من الموت (يبيد الموت عنهم)، كإنقاذ القش من النار] (الفصل الثامن– الفقرة رقم ٤).

يطلب ويخلص ما قد هلك

قال السيد المسيح لنيقوديموس: "لأنه لم يُرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، **بل ليخلُص به العالم**" (يو٣: ١٧).

أتى السيد المسيح فى مجيئه الأول لخلاص العالم. وسوف يأتى فى مجيئه الثانى ليدين العالم. فحديثه مع نيقوديموس أن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلُص به العالم، مقصود به المجيء الأول للسيد المسيح وليس المجيء الثانى، هذا من ناحية خصوصية المجيء وليس شموليته.

ولكن الحديث أيضاً له شمولية عن تأثير إرسال الابن الوحيد إلى العالم. بمعنى أن الهدف الأصلى من إرساله ليس لإدانة العالم بل لخلاصه. ففى الإطار العام يكون الهدف هو الخلاص والفداء.

فالغضب الإلهى كان سيمكث على العالم لو لم يرسل الله ابنه الوحيد لإتمام الخلاص والفداء. وهذا واضح من كلام القديس يوحنا المعمدان الذى سجله إنجيل القديس يوحنا "**الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله**" (يو٣: ٣٦).

أى أن السيد المسيح قد جاء ليرفع الغضب الإلهى **الكائن بالفعل** ضد جميع البشر منذ سقوط الإنسان ومعصيته وفساد طبيعته.

وقد أكّد القديس بولس الرسول فساد الطبيعة البشرية بقوله: "كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد. ليس من يفهم. ليس من يطلب الله. الجميع زاغوا **وفسدوا** معاً. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد" (رو٣: ١٠-١٢).

وقال أيضاً عن وراثة الخطية الأصلية وحكم الموت: "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع" (رو٥: ١٢).

وقال معلمنا داود النبى: "لأنى هأنذا بالآثام حبل بى وبالخطايا ولدتنى أمى" (مز٥٠: ٥). أى أن الإنسان قد حُبل به وارثاً الخطية الأصلية وولد بها من بطن أمه. كما أنه قد ورث فساد الطبيعة.

وفى المقابل يتحرر الإنسان من الخطية الأصلية كما أنه ينال الطبيعة الجديدة فى المسيح بالمعمودية. كقول معلمنا بولس الرسول "لأننا كنا نحن أيضاً قبلاً أغبياء، غير طائعين، ضالين، مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة، عائشين فى الخبث والحسد، ممقوتين، مبغضين بعضنا بعضاً. ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال فى بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلَّصنا **بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس،** الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا. حتى إذا تبررنا بنعمته، **نصير ورثة** حسب رجاء الحياة الأبدية" (تى٣: ٣-٧).

فكما يرث الإنسان الخطية الأصلية والموت وفساد الطبيعة بولادته الجسدية من آدم هكذا يرث البر والحياة. وتجديد الطبيعة بالمسيح "لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح سيحيا الجميع" (١كو١٥: ٢٢).

وقال السيد المسيح عن مجيئه إلى العالم: "أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل" (يو١٠: ١٠). أى أنه "**قد جاء لكى يطلب ويخلص ما قد هلك**" (لو١٩: ١٠).

ما هى الدينونة ؟

أكمل السيد المسيح حديثه مع نيقوديموس حول الدينونة فقال: "**وهذه هى الدينونة إن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة**" (يو٣: ١٩).

كانت البشرية غارقة فى الظلمة وظلال الموت. وقال إشعياء النبى: "ولكن لا يكون ظلام للتى عليها ضيق. كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالى يكرم الأخير طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم. الشعب السالك فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً، الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور" (إش٩: ١، ٢).

ليست المشكلة أن يجلس الإنسان فى أرض ظلال الموت منتظراً النور. بل المشكلة فى أن يبغض النور ويُسَرّ بالظلام.

فالذين انتظروا مجيء المخلّص –كما قال يعقوب أب الآباء قبل موته مباشرة "لخلاصك انتظرت يا رب" (تك٤٩: ١٨)– ذهب الرب إليهم فى ظلمة الجحيم، فى بيت السجن وبشرهم بالخلاص وأخرجهم من هناك. الذين رقدوا على رجاء الخلاص وصلت إليهم بشارة الخلاص بعد رقادهم..

ولكن الذين يحبون الظلمة أكثر من النور لا يمكنهم أن ينالوا الخلاص سواء كانوا قد رقدوا قبل مجيء المخلّص وإتمام الفداء، أو عاينوا المسيح الرب أو جاءوا بعد مجيئه إلى العالم وصعوده إلى السماوات.

الدينونة تنبع من واقع ميول الإنسان ورغباته. فهو الذى يحدد مصيره بما يشتاق إليه. كما قال السيد المسيح: "حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً" (مت٦: ٢١).

الدينونة هى فى رفض محبة الخير.. فى رفض محبة الله.. فى رفض عطية النعمة والخلاص والتجديد.. فى رفض معانقة النور والإلتحاف به.. فى تفضيل حياة الخطية على حياة البر.. فى مقاومة عمل الروح القدس داخل القلب.. فى الفرح بالشر والابتهاج به وكراهية النور الذى يبعثه الله فى حياة الإنسان "لأن كل من يعمل السيآت يبغض النور، ولا يأتى إلى النور لئلا توبخ أعماله. وأما من يفعل الحق فيقبل إلى النور، لكى تظهر أعماله أنها بالله معمولة" (يو٣: ٢٠، ٢١).

إن مجيء المسيح نور العالم هو فرصة لتحرير من يريد الحرية، ولن ينتفع منه شيئاً رافضى الحق والنور والحياة ممن أحبوا الظلمة أكثر من النور.

ك– السيد المسيح ومواجهته للهيود

أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق

قال السيد المسيح لليهود: "أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم، أما أنا فلست من هذا العالم" (يو٨: ٢٣).

من المعروف طبعاً أن السيد المسيح قد اتخذ من العذراء مريم طبيعة بشرية كاملة جسداً وروحاً بلا خطية وبدون زرع بشر. ولكن **هذه الطبيعة البشرية التى اتخذها لم تنزل من السماء** بل تم تكوينها من العذراء مريم بالكامل، بفعل الروح القدس.

فلماذا يقول السيد المسيح لليهود: "أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق"؟

السبب الأول فى ذلك: **أن السيد المسيح لم يكن ناسوتاً فقط، بل كان ناسوتاً متحداً باللاهوت**، ومعلوم طبعاً أن الابن الوحيد هو مولود من الآب قبل كل الدهور بحسب لاهوته. ولذلك قال لليهود: "**الحق أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم أنا كائن**" (يو٨: ٥٨). وبالطبع فإن شخص السيد المسيح كائن قبل كل الدهور بلاهوته. وهو حينما تجسد،

لم يتخذ شخصاً من البشر ليسكن فيه، بل هو هو نفسه **بنفس شخصه** قد اتخذ طبيعة بشرية وصار إنساناً لأجل خلاصنا.

لذلك فحينما يقول كلمة "**أنا**" فإنه يتكلم عن شخصه الواحد الوحيد كقول القديس أثناسيوس [لقد جاء كلمة الله فى شخصه الخاص

The Word of God came in His own Person]

وهذا الشخص الواحد الوحيد مرتبط أولاً وقبل كل شئ بطبيعته الإلهية، وحتى حينما أتى وتجسد من مريم العذراء فإنه ظل هو ابن الله الوحيد، كما نقول فى التسبحة {**لم يزل إلهاً؛ أتى وصار ابن بشر؛ لكنه هو الإله الحقيقى؛ أتى وخلصنا**} (ثيئوطوكية الخميس). وقال القديس بولس الرسول: "وبالإجماع عظيم هو سر التقوى **الله ظهر فى الجسد**" (١تى٣: ١٦).

والسبب الثانى هو: كون اليهود يحبون العالم ويتمسكون به، فإنه يجعلهم من أسفل لهذا قال السيد المسيح عن تلاميذه القديسين: "**ليسوا من العالم، كما أنى أنا لست من العالم**" (يو١٧: ١٦). وقال لهم: "لو كنتم من العالم، لكان العالم يحب خاصته. ولكن **لأنكم لستم من العالم**، بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم" (يو١٥: ١٩).

فبالرغم من ولادة التلاميذ من أبوين بحسب الجسد إلا أنهم بولادتهم الثانية من فوق سوف ينطبق عليهم قول السيد المسيح أن "المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح" (يو٣: ٦). وليس معنى ذلك الكلام أن تلاميذ المسيح سوف يفقدون أجسادهم بالميلاد الفوقانى، ولكن سوف **يسلكون بالروح وتكون اشتياقاتهم روحية سمائية غير خاضعة لشهوات الجسد الباطلة.**

لذلك قال معلمنا بولس الرسول: "إذاً لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم فى المسيح يسوع **السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح**.. فإن الذين هم حسب الجسد فبما للجسد يهتمون، ولكن الذين حسب الروح، فبما للروح يهتمون. لأن اهتمام الجسد هو موت، ولكن اهتمام الروح هو حياة وسلام" (رو٨: ١، ٥، ٦).

لقد قدّم السيد المسيح نفسه قدوة للوضع المثالى لحياة الإنسان. وطالب تلاميذه أن يتبعوا أثر خطواته حاملين الصليب منكرين ذواتهم ليتمكنوا من السلوك بحسب الروح بمعونة من الروح القدس، وبهذا يتأهلون لميراث ملكوت السماوات.

وقد شرح القديس يوحنا الإنجيلى أيضاً هذا المفهوم بقوله: "أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أى المؤمنون باسمه. الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من الله" (يو١: ١٢، ١٣).

بالطبع فإن القديس يوحنا يتكلم عن الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس، وذلك بالنسبة للمؤمنين بالمسيح. وهذا على سبيل عطية النعمة.

أما بالنسبة للسيد المسيح شخصياً فقد ولد من العذراء مباشرة كابن لله، كما قال الملاك للعذراء مريم "القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو ١: ٣٥).

والسيد المسيح باعتباره الله الكلمة له ميلاد واحد بحسب إنسانيته وهو ميلاده من العذراء مريم. ولكن له ميلاد آخر **ينفرد به وحده** وهو ميلاده بحسب لاهوته من الآب قبل كل الدهور. لذلك دُعى السيد المسيح "ابن الله **الوحيد**" وليس "ابن الله" فقط.

وقد قال السيد المسيح فى حديثه مع نيقوديموس عن الفداء: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل **ابنه الوحيد الجنس** لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦).

إن بنوة السيد المسيح للآب السماوى هى بنوة طبيعية، أما بنوتنا نحن فهى بالتبنى على سبيل النعمة. وحينما ولد السيد المسيح من العذراء مريم فقط، ظل هو الابن الوحيد الذى لم يولد من العذراء مريم آخر سواه فى تجسده الفريد باعتباره الله الكلمة المتجسد الذى نمجده فى كل رفع بخور وقداس فى صلواتنا الكهنوتية قائلين: {يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد بأقنوم واحد نسجد له ونمجده} (الأرباع الخشوعية التى يقولها الكاهن بين الخورس الأول والثانى فى رفع البخور).

" فتشوا الكتب " (يو٥: ٣٩)

حدثت مواجهات كثيرة بين السيد المسيح واليهود، لخّصها القديس يوحنا الإنجيلى فى عبارته المشهورة "**إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله**" (يو١: ١١).

وقال السيد المسيح عن موقف اليهود الرافضين له: "**هذه هى الدينونة إن النور قد جاء إلى العالم، وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة**" (يو٣: ١٩). أى أن رفض اليهود لرسالة السيد المسيح كان نابعاً أساساً من محبتهم للمال أو محبتهم للعالم، أو محبتهم لذواتهم، أو محبتهم للشهوات الجسدية، أو لغرورهم أو لكبرياء قلوبهم، أو لمحبتهم للسلطة، أو محبتهم للمجد العالمى، أو لرغبتهم فى إثبات بر أنفسهم، أو لرغبتهم فى مملكة أرضية ترضى تطلعاتهم الزمنية، أو لعدم اكتراثهم بحاجتهم للخلاص من عبودية الشيطان والخطية، أو لعدم إيمانهم بالقيامة من الأموات أو بالحياة الأبدية، أو من بعض أو كل هذه الأسباب مجتمعة.

لهذا قال السيد المسيح لليهود: "**أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا**. ذاك كان قتالاً للناس من البدء" (يو٨: ٤٤).

كان اليهود يتكلمون على أنهم أبناء إبراهيم، ويتكلمون على أن موسى هو نبيهم وعلى الأسفار المقدسة التى كتبها لهم؛ أى على التوراة وباقى أسفار العهد القديم التى كتبها الأنبياء. بل كانوا يتكلمون على أن الله هو أباهم الواحد.

وقد رد السيد المسيح على كل هذه الأشياء موضحاً لهم أنها كلها كان المفروض أن تقودهم إلى الإيمان به وبرسالته، ولهذا فأنها ستشهد ضدهم لأنهم لم يؤمنوا به.

فحينما قالوا للسيد المسيح إن إبراهيم هو أبوهم، رد عليهم بقوله: "**لو كنتم أولاد إبراهيم لكنتم تعملون أعمال إبراهيم**" (يو٨: ٣٩).

وحينما قالوا له: "لنا أب واحد وهو الله" (يو٨: ٤١). رد عليهم بقوله "**لو كان الله أباكم لكنتم تحبوننى**" (يو٨: ٤٢).

وبالنسبة لاتكال اليهود على أن لديهم التوراة وباقى الأسفار الإلهية، ويفتخرون بذلك قال لهم السيد المسيح: "**فتشوا الكتب** لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهى التى تشهد لى. ولا تريدون أن تأتوا إلىّ لتكون لكم حياة" (يو٥: ٣٩، ٤٠).

ونظراً لافتخارهم بأن نبيهم موسى الذى استلم الوصايا العشر وكتب التوراة أى الشريعة الإلهية، قال لهم السيد المسيح: "لا تظنوا أنى أشكوكم إلى الآب. يوجد الذى يشكوكم وهو موسى، الذى عليه رجاؤكم. لأنكم لو كنتم تصدقون موسى لكنتم تصدقوننى. لأنه هو كتب عنى. فإن كنتم لستم تصدقون كتب ذاك، فكيف تصدقون كلامى؟" (يو٥: ٤٥-٤٧).

وقال لهم أيضاً: "أليس موسى قد أعطاكم الناموس وليس أحد منكم يعمل الناموس، لماذا تطلبون أن تقتلونى؟!" (يو٧: ١٩).

معرفة اليهود لله

ظن اليهود أنهم يعرفون الله وأنه هو إلههم ولكن السيد المسيح أظهر لهم أنهم كاذبون لأنهم رفضوا رسالته والإيمان بأن الله قد أرسله. ولهذا قال لهم:

"لستم تعرفوننى أنا ولا أبى. **لو عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً**" (يو٨: ١٩).

"**إن لم تؤمنوا** أنى **أنا هو** تموتون فى خطاياكم" (يو٨: ٢٤).

"متى رفعتم ابن الإنسان حينئذ **تفهمون** أنى **أنا هو**" (يو٨: ٢٨).

"من نفسى لم آت، بل الذى أرسلنى هو حق الذى أنتم **لستم تعرفونه**، أنا أعرفه لأنى منه وهو أرسلنى" (يو٧: ٢٨، ٢٩).

"أبى هو الذى يمجدنى **الذى تقولون أنتم إنه إلهكم ولستم تعرفونه، أما أنا فأعرفه. وإن قلت إنى لست أعرفه أكون مثلكم كاذباً**" (يو٨: ٥٤، ٥٥).

من هذا يتضح أن السيد المسيح قد أكّد مرارًا لليهود أنهم كاذبون فى ادعائهم أنهم يعرفون الله ويعبدونه. لأن من يرفض إرسالية السيد المسيح يكون قد رفض الله وهو واهم فى الإدعاء بأنه يعرف الله ويعبده.

ولكن هذا الكلام لم ينطبق على اليهود الذين آمنوا بالسيد المسيح بل قال لهم: "إنكم إن ثبتم فى كلامى فبالحقيقة تكونون تلاميذى، وتعرفون الحق، والحق يحرركم" (يو٨: ٣١، ٣٢).

رغبة اليهود فى قتل السيد المسيح

أراد السيد المسيح أن يبين لليهود الفرق بينهم وبين إبراهيم الذى يفتخرون بأنه أبوهم فقال لهم: "**أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح**" (يو٨: ٥٦). فقال له اليهود: "ليس لك خمسون سنة بعد أفرأيت إبراهيم؟" (يو٨: ٥٧). أجابهم يسوع: "الحق الحق أقول لكم قبل أن يكون إبراهيم **أنا كائن**" (يو٨: ٥٨). "فرفعوا حجارة ليرجموه أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازًا فى وسطهم ومضى هكذا" (يو٨: ٥٩).

وقد ظلت المواجهات بين السيد المسيح واليهود مستمرة حتى وصلت إلى ذروتها، حينما أقام لعازر من الأموات وفى أحداث الأسبوع السابق لصلبه وبالفعل تآمروا عليه وصلبوه، ولكنه نقض تآمرهم بانتصاره الساحق على الموت بقيامته حياً من الأموات وصعوده إلى السماوات وإرساله الروح القدس لكى يشهد الرسل بقيامته ببرهان الروح والقوة.

ل- التعليم عن الاتضاع فى الخدمة السيد المسيح

كما سلك السيد المسيح فى اتضاع فائق وإخلاء ذات؛ هكذا علّم عن الاتضاع فى خدمته، إلى أن أتى إلى غسل الأرجل والآلام والصليب حيث رأينا الاتضاع يتألّق فوق قمة الجلجثة. ولهذا نستمع إلى تعاليم السيد المسيح باعتباره قد عمل وعلّم "جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به" (أع١: ١).

المتكآت الأولى

دُعى السيد المسيح إلى بيت أحد رؤساء الفريسيين فى يوم السبت ليأكل. ولاحظ كيف اختار المدعوون المتكآت الأولى، وتسابقوا متنافسين عليها.

لاحظ كيف ينهزم الإنسان داخلياً، حينما يسعى للتفوق على غيره، متجاهلاً مشاعر الآخرين، وبلا أى نفع يجنيه سوى محبته للظهور وإثبات الوجود الذى بلا ثمرة.

فقال للمدعوين مثلاً: "متى دعيت من أحد إلى عرس فلا تتكئ فى المتكأ الأول، لعلَّ أكرم منك يكون قد دُعى منه. فيأتى الذى دعاك وإياه ويقول لك أعطِ مكاناً لهذا. فحينئذٍ تبتدئ بخجل تأخذ الموضع الأخير. بل متى دعيت فاذهب واتكئ فى الموضع الأخير، حتى إذا جاء الذى دعاك يقول لك: يا صديق ارتفع إلى فوق. حينئذ يكون لك مجد أمام المتكئين معك. **لأن كل من يرفع نفسه يتضع، ومَن يضع نفسه يرتفع" (لو١٤: ٨-١١)**.

بالرغم من بساطة المثل، إلا أنه ممتلئ بالحكمة، ويتميز بالتصوير الدقيق للمعنى الذى قصده السيد المسيح.

الإنسان المتضع يجد سهولة كبيرة فى أن يجلس فى المتكأ الأخير، أى فى الموضع الأخير. بل يعتبر أن هذا هو مكانه الطبيعى، وأنه لا يستحق مكاناً أفضل منه. كما أنه يفرح بتقديم غيره على نفسه "**مقدمين بعضكم بعضاً فى الكرامة**" (رو١٢: ١٠). حاسبين البعض أفضل من أنفسهم.

المثل الذى أعطاه السيد المسيح، أوضح بأجلى صورة كيف أن محب الكرامة يعرّض نفسه لمواقف يسئ بها إلى نفسه وكرامته. **وكيف أن الكرامة الحقيقية هى فى الهروب من الكرامة.**

محب الكرامة يتعب دائماً إذا لم يحصل على رغباته، ويتعب من إهمال الآخرين له.

محب الكرامة يتعب إذا لم يمدحه أحد، ويتعب إذا مُدح غيره.

محب الكرامة يستجدى المديح من الناس، فإذا لم يمدحه أحد يبدأ هو فى مديح نفسه، وفى الحديث عما يراه فى أعماله من أسباب العظمة ودواعى الشكر والمديح. مع أن الكتاب يقول: "ليمدحك الغريب لا فمك، الأجنبى لا شفتاك" (أم٢٧: ٢).

كل هذه المعانى نستطيع أن نتعلمها من المثل الذى قاله السيد المسيح. ونتعلم أيضاً أن من يهرب من الكرامة، تجرى خلفه وترشد جميع الناس إليه. فالناس بطبيعتهم يميلون إلى الإنسان المتضع، ويرتاحون للتعامل معه. لأنهم يشعرون بتحرره من الأنانية، والانحصار حول الذات، وأنه يقدّم الآخرين على نفسه مقدّراً إياهم، وشاعراً بأنهم أفضل منه.

المتضع يحبه الناس، والمتعالى يثير فيهم مشاعر الرفض وعدم الارتياح.

المتضع يشبه منحدراً متسعاً تجتمع إليه المياه وتملأه. والمتعالى يشبه قمة أو نتوءًا عالياً لا تستقر فوقه المياه، بل تتركه سريعاً منحدرة إلى أسفل. هكذا تملأ النعمة الإلهية قلوب المتضعين.

هناك من يحب الظهور فيظهر كبرياءه، وهناك من يختفى فيتألق اتضاعه ويجتذب إليه الجميع.

محبة المتكأ الأخير تحتاج إلى اقتناع داخلى، وتحتاج إلى تدريب، وتحتاج إلى يقظة روحية وعين ساهرة متطلعة نحو إشراق الملكوت على النفس، حيث ترى فى المسيح فرحها وسعادتها التى تغنيها عن كل مجد زائل وخادع.

سباق المظاهر

تكلّم السيد المسيح موجهاً تعليمه إلى الفريسى الذى دعاه: "إذا صنعت غذاءً أو عشاءً، فلا تدعُ أصدقاءك، ولا إخوتك، ولا أقربائك، ولا الجيران الأغنياء. لئلا يدعوك هم أيضاً فتكون لك مكافأة. بل إذا صنعت ضيافة فادع المساكين، الجدع، العرج، العمى. فيكون لك الطوبى إذ ليس لهم حتى يكافوك. لأنك تكافى فى قيامة الأبرار" (لو١٤: ١٢-١٤).

تصوّر رئيس الفريسيين الذى استضاف السيد المسيح ليأكل فى منزله، أن السيد المسيح سوف يفرح بكبار القوم والأغنياء والشخصيات المرموقة التى توافدت على البيت لحضور الوليمة.

ولكن السيد المسيح فى تواضعه كان يميل بالأكثر إلى مجالسة الفقراء والبسطاء، والمساكين.

لم يسترح الرب لتنافس المدعوين على المتكآت الأولى ومشاعر العظمة التى ملأت قلوبهم. كما لم يكن شخصياً تهمه الأمجاد العالمية ولا مجيء هؤلاء الأغنياء لمشاهدته، بل كان يهتم بغنى النفس فى المحبة والتواضع و"زينة الروح الوديع الهادئ" (١بط٣: ٤).

كل إنسان مثل ذلك الرجل يصنع وليمة، يفتخر بمن دعاهم من الأغنياء، ويبذل قصارى جهده لتظهر وليمته متفوقة على غيره من الأقران. وبهذا تنتشر مظاهر البذخ والترف فى الولائم وفى مناسبات الأفراح وغيرها. ويتسابق الناس فى دعوة الأغنياء الذين يتبادلون معهم إقامة مثل هذه الحفلات والولائم. وذلك فى الوقت الذى يعانى فيه الفقراء من العوز والجوع.

ولا يقيم مثل هذا الشخص مائدة بهدف إرضاء الله، بل هدفه الوحيد هو إرضاء الغرور، وإرضاء البشر، وتبادل المتعة والمنفعة.

لابد لكل عمل يعمله الإنسان أن يكون بدافع الخير والمحبة، ولخير المجتمع الذى يعيش فيه ولبناء ملكوت الله. ليتمجد الله فى كل شئ.

وينبغى أن يجعل الإنسان له هدفاً مقدساً لكل عمل يقوم به.

المحبة الباذلة

المتضع يستطيع أن يسلك فى المحبة بلا عائق. فالكبرياء تصنع حجاباً على عينى الإنسان فلا يبصر حلاوة المحبة وجمالها الفائق الاتضاع.

كثير من الناس يشفقون على حال الفقراء، ويتمنون أن يخدموهم، ولكن خدمة المساكين تحتاج إلى من ينزل إلى مستواهم، ويشاركهم ما هم فيه من معاناة وعوز.

وقد قدّم السيد المسيح نصيحة ثمينة للرجل الذى دعاه، ولكل من سمعوا تعليمه الممتلئ بالحكمة الإلهية "**إذا صنعت ضيافة فادع المساكين، الجدع، العرج، العمى. فيكون لك الطوبى**" (لو١٤: ١٣، ١٤).

ألم يتنازل السيد الرب نفسه حينما تجسد إلى ذُلنا وتواضعنا، ليرفعنا إليه، لنتمتع بمجده فى ملكوته السماوى، ولنجلس معه على مائدته فى ملكوته.

هل نحن كنا أحسن حالاً من هؤلاء المساكين الجدع والعرج والعمى، حينما كنا مستعبدين لإبليس وللموت قبل أن يخلصنا السيد المسيح من خطايانا، ويصالحنا مع الله أبيه؟!

إن ما طالب به السيد المسيح فى مسألة الوليمة هو شئ يسير، وصورة مصغّرة جداً لما فعله هو معنا حينما دعانا إلى التمتع بمجده.

أليست محبته هى التى جعلته يحتمل الذل والهوان، فى اتضاع كبير، ليحررنا من مذلتنا وعبوديتنا المُرة، وليفتح أعين قلوبنا بعد العمى، وليحرك طاقات طبيعتنا بعد العجز الكامل والبؤس والضياع؟!.

حقاً إن المحبة تتشح بالاتضاع، والاتضاع يرافق المحبة، فاتحاً الطريق أمامها حتى تكمل عملها بفرح ومسرة.

م- التعليم عن الوداعة وعدم مقاومة الشر فى خدمة السيد المسيح

قيل عن السيد المسيح بفم إشعياء النبى: "هوذا فتاى الذى اخترته، حبيبى الذى سرت به نفسى. أضع روحى عليه فيخبر الأمم بالحق، **لا يخاصم، ولا يصيح، ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته.** قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ. حتى يُخرج الحق إلى النصرة، وعلى اسمه يكون رجاء الأمم" (مت١٢: ١٨-٢١).

لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته.

المقصود بالخصام هنا، الجدال المصحوب بالغضب، والصياح، والكراهية، والكلمات الجارحة، والذى يؤدى إلى العداوة المتبادلة.

لهذا أوصى معلمنا بولس الرسول: "فأريد أن يصلى الرجال فى كل مكان، رافعين أيادى طاهرة، **بدون غضب ولا جدال**" (١تى٢: ٨).

كان السيد المسيح يدافع عن الحق فى وداعة عجيبة. لم يكن يهدد أو يتوعد، بل كان يثق فى قوة الحق فى ذاته.. لأن الحق يهدر مثل الرعد فى قلوب المقاومين.

وقد واجه السيد المسيح مواقف كثيرة تدعو إلى الغضب، واحتمل الكثير من الإهانات. ولكنه كان يواجهها بالاحتمال، ويجاوب بطريقة الإقناع الهادئ، كما ذكرنا من قبل عن أسلوبه فى الحوار.

كان السيد المسيح يدعو تلاميذه أن يتعلموا من أسلوبه هذا ويقول لهم: "**احملوا نيرى عليكم، وتعلّموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت١١: ٢٩).**

وبنفس هذه الروح أوصى بولس الرسول تلميذه الأسقف تيموثاوس أن يتجنب الخصومات فى دفاعه عن الحق فقال: "**والمباحثات الغبية والسخيفة اجتنبها، عالماً أنها تولد خصومات. وعبد الرب لا يجب أن يخاصم، بل يكون مترفقاً بالجميع، صالحاً للتعليم. صبوراً على المشقات. مؤدِّباً بالوداعة المقاومين، عسى أن يعطيهم الله توبة لمعرفة الحق. فيستفيقوا من فخ إبليس. إذ قد اقتنصهم لإرادته" (٢تى٢: ٢٣-٢٦).**

بالطبع يجب أن يدافع الأسقف عن الحق، ويجب أن يؤدِّب المقاومين، ويجب أن يعزل العضو الفاسد، لئلا يؤثر على بقية الأعضاء. لأن "خميرة صغيرة تخمر العجين كله" (١كو٥: ٦).

ولكن ما صنعه السيد المسيح، وما أوضحه بولس الرسول، هو أن أسلوب الدفاع، وأسلوب التأديب، ينبغى أن يكون فى إطار الوداعة، وبروح الاتضاع التى تليق بالراعى.

الصراع الحقيقى هو مع إبليس، وليس مع الخطاة، أو مع المقاومين. والراعى الحكيم يهدف إلى تخليص الذين اصطادهم إبليس لإرادته. وهذا لا يتم بالدخول فى عداوة مع من يرغب الراعى فى تخليصهم.. بل بترفقه بهم، وصلاته من أجلهم، ومحاولته إقناعهم، وأحياناً بتأديبه لهم بروح الوداعة. كما لا يجب التفريط فى باقى الرعية، وحمايتهم من التأثير الضار.

أسلوب الصياح والتهديد والدخول فى المعارك الكلامية الصاخبة، لا يتناسب مع اتضاع السيد المسيح كخادم للخلاص.

لهذا قيل عنه "لا يخاصم، ولا يصيح، ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته" (مت١٢: ١٩).

" قصبة مرضوضة لا يقصف " (مت١٢: ٢٠)

بترفقه بالخطاة، وبترفقه بالمقاومين، كان يطيل أناته عليهم، لعله يقتادهم إلى التوبة.

لهذا قيل عنه "قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ، حتى يُخرج الحق إلى النصرة" (مت١٢: ٢٠).

كم من نفوس خلّصها السيد المسيح بترفقه وطول أناته، مثل زكا العشار، والمرأة السامرية، واللص اليمين، ومثل قائد المئة الذى صلب السيد المسيح، والذى اعترف بألوهيته بعد الصلب مباشرة بقوله: "حقا كان هذا الإنسان ابن الله" (مر١٥: ٣٩). وكثيرون غيرهم ممن ذكرت أسماؤهم فى الأناجيل أو كانوا فى وسط الجموع الصاخبة التى صرخت: اصلبه اصلبه..

هذه الفتائل المدخنة هذه القصبات المرضوضة كان السبب فى وصولها إلى معرفة الحق أو فى تحررها من سلطان الخطية، هو وداعة السيد المسيح واتضاعه فى خدمته لها.

عدم مقاومة الشر

قال السيد المسيح: "**لا تقاوموا الشر**. بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً" (مت٥: ٣٩). وقال: "من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً" (مت٥: ٤٠)، وليس المقصود بكلمة لا تقاوموا الشر أن لا نقاوم الخطية فالكتاب يقول: "**قاوموا إبليس فيهرب منكم**" (يع٤: ٧)، فمقاومة الشر بمعنى مقاومة الخطية.. ليس هو ما قصده السيد المسيح بقوله لا تقاوموا الشر، بل كان **يقصد بالشر المشاجرة والعدوان مع الآخرين**. وقد قال الكتاب أيضاً: "إن جاع عدوك فأطعمه وإن عطش فاسقه لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه، **لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير**" (رو١٢: ٢٠، ٢١). والرب يجازيك لأنه مكتوب: "لى النقمة أنا أجازى يقول الرب" (رو١٢: ١٩).

ويدعونا أيضاً بطرس الرسول أن نتشبه بالسيد المسيح "الذى إذ شُتِم لم يكن يَشتم عوضاً وإذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضى بعدل" (١بط٢: ٢٣). عندما شُتِم السيد المسيح لم يكن يَشتم عوضاً بل سلّم لله الآب. ونتيجة

لذلك عندما قام من الأموات كل الذين شتموه صاروا فى خزى وخجل. لأن الذى شتموه قد انتصر على الموت، والذى قالوا عنه أنه مجدِّف ومضل أُعلن لهم أنه هو رئيس الحياة وقدوس القديسين، من خلال انتصاره على الموت وقيامته المجيدة.. فالذى شَتَم هو الذى صار مخزياً وليس الذى شُتِم.

وبهذا قدّم لنا السيد المسيح تطبيقاً عملياً فى حياته لِما علّم به تلاميذه والجموع.

اغلب بالمحبة وروح الوداعة

لقد احتمل السيد المسيح الخزى فى لحظات الآلام والصلب، لكن بعد هذا تحول كل ذلك إلى مجد.. فعندما قال السيد المسيح: "**لا تقاوموا الشر**" كان يعلم أن هذا الكلام هو من أجل منفعتنا. لأن من يقاوم الشر فالشر يؤذيه.. وعندما قال السيد المسيح: "أحبوا أعداءكم، باركوا لاعنيكم" (مت٥: ٤٤) **كان يقصد أننا نغلب أعداءنا بالمحبة**، لأن الذى يغلب عدوك هو محبتك أكثر من عداوتك وكراهيتك.

الإنسان الذى يستخدم العنف هو إنسان لا يستحق أن يكون مسيحياً. بل تكون نتيجة عنفه؛ أذيته هو أكثر مما يستطيع أن يؤذى غيره. فالعنف لا يعطيه نصرة أو مجد كما يتصور إنما يسبب له أذية أكثر مما يتوقع. فوصايا السيد المسيح ليست لتقييدنا كما يفتكر البعض، أو يقول أن الوصية صعبة. لكن الحقيقة أن السيد المسيح يسعى لأجل منفعتنا، لأنك إن فعلت ذلك ينجيك من الشر الذى يمكن أن يؤذى روحك.

اغلب الشر بالخير

"لا يغلبنك الشر بل **اغلب الشر بالخير**" (رو١٢: ٢١)، فإذا قدّمت محبة للذى يخاصمك، تغلبه بمحبتك وتكون أنت الذى انتصرت. **لكن بدلاً من أن تنتصر بقوة السلاح تنتصر بقوة الخير وقوة الحب الساكن فيك. وإذ يأمرنا السيد المسيح بهذا لا يدعونا أن نكون جبناء أو أن نخاف، فهو الذى قال: "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد وبعد ذلك ليس لهم ما يفعلون أكثر" (لو١٢: ٤)، وهو الذى شجّع أولاده أن يصيروا شهداء كالشهيدة دميانة والأربعين عذراء.. أين الجبن هنا؟!**

الإنسان المسيحى مستعد أن يواجه الأباطرة والحكام وينال إكليل الشهادة إذا طُلب منه أن يتنازل عن مسيحيته، كما طُلب من القديسة دميانة أن تبخر للأصنام أو تسجد لها ولكنها **دفعت والدها مرقس والى البرلس إلى أن يصير شهيداً، بل وصارت هى أيضاً أميرة بين الشهيدات.**

مفهوم الشجاعة فى المسيحية

المسيحية لا تدعو الإنسان إلى الخوف، أو إلى الجبن، بل تدعوه أن يكون قوياً شجاعاً، ولكن الشجاعة ليست أن يحمل سلاحاً، ولا يطمئن لشئ يحميه إلا السلاح. فيبدو فى الظاهر أنه شجاع لكنه فى الحقيقة من الداخل لا يجد سلاماً أو طمأنينة.

أما القديسون فيشعرون دائماً بعدم خوف.. **لماذا؟** لأن "**ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم**" (مز٣٣: ٧). الإنسان القديس أو الإنسان المؤمن، بل الإنسان المسيحى الحقيقى، يشعر أن الملائكة تحرسه، ويشعر أن أرواح القديسين تحرسه وتشفع من أجله. فيشعر بالطمأنينة ويصدّق كلمات السيد المسيح الذى قال: "بل شعور رؤوسكم أيضاً جميعها محصاة" (لو١٢: ٧)، و"شعرة من رؤوسكم لا تهلك" (لو٢١: ١٨)، بذلك يشعر أنه ليس بحاجة إلى أن يرخِّص سلاحاً كى يحميه. فاستخدام السلاح هو إلقاء وقود على النار، بينما الكتاب المقدس يقول "لا يغلبنك الشر بل اغلب الشر بالخير" (رو١٢: ٢١).. أفضل سلاح تستخدمه هو سلاح المحبة، سلاح الوداعة.. السيد المسيح قال: "**طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض**" (مت٥: ٥).

الودعاء يرثون الأرض

ما معنى أنهم يرثون الأرض؟ الإنسان الوديع يكون محبوباً من جيرانه، ومحبوباً من أهله وبحبه هذا يستطيع أن يرث الأرض، لأن كل الناس صاروا مِلكاً له. وإذ يحبه الناس يصيرون مِلكاً له أى يملك على قلوبهم، فأنت تملك جارك وتملك بيته وتملك حقله وتملك كل شئ فيه.. وكيف ذلك؟ لأنه يحبك وإذا أحبك فأنت تملك كل شئ.. البغضة تجعل الإنسان منبوذاً مكروهاً غير مرغوب فيه. هكذا فإن كل من يكره يخسر، بينما ينجح كل من يحب.

أعظم سلاح يستخدمه الإنسان لكى يغلب عدوه هو سلاح الحب وليس سلاح الكراهية.. ويقول القديس يوحنا ذهبى الفم: [أفضل وسيلة تتخلص فيها من عدوك هى أن تحول هذا العدو إلى صديق] وبذلك تكون قد تخلّصت منه –ليس بالقضاء عليه، أو بقتله، أو أذيته– لكن تخلّصت منه كعدو إذ حولته إلى صديق، وصار هذا الصديق يحبك فلم يعد عدواً على الإطلاق. كما أنك تكون قد كسبت صديقاً جديداً وهكذا يتزايد عدد الذين يحبونك.

ن- تعليم السيد المسيح عن العطاء

مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ

هذه العبارة الجميلة قالها الرب يسوع المسيح أثناء خدمته على الأرض، ولكن لم يكتبها الإنجيليون الأربعة بل ذكرها القديس بولس الرسول إذ قال: "متذكرين كلمات الرب يسوع المسيح أنه قال: **مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ**" (أع٢٠: ٣٥).

وهذه العبارة بالصورة التى دونت بها؛ تدل على أن الأناجيل الأربعة لم تذكر كل كلام السيد المسيح، ولكن كان هناك تقليداً شفاهياً تناقله التلاميذ وصار مشهوراً بينهم.

ومن المعلوم طبعاً أنه لم يكن من السهل تدوين كل كلمة قالها السيد المسيح على مدى ثلاث سنين وأربعة أشهر. ولكن الأناجيل ذكرت أقوالاً منتقاة بحسب حكمة إلهية فى إلهام كُتَّاب الأناجيل لتدوين ما كتبوه فى أناجيلهم الأربعة. وبالنسبة لمعجزات السيد المسيح فهى أيضاً لم تسجل كلها فى الأناجيل الأربعة. ولذلك قال القديس يوحنا فى الأصحاح قبل الأخير من إنجيله: "وآيات أُخر كثيرة صنعَ يسوع قدام تلاميذه لم تكتب فى هذا الكتاب" (يو ٢٠: ٣٠). وكذلك قال فى الأصحاح الأخير: "وأشياء أُخر كثيرة صنعها يسوع إن كُتبت واحدةً واحدةً فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة" (يو ٢١: ٢٥). لقد أرشد الروح القدس كُتّاب الأناجيل فى اختيار ما ذكروه من المعجزات لحكمة إلهية معينة.

حول العطاء

لقد أوصى السيد المسيح فى تعاليمه بعدم محبة المال. وأوضح أنه من العسير أن يخدم الإنسان الله والمال. وكذلك أوصى بالعطاء بلا حدود فى قوله: "**من سألك فاعطه، ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده**" (مت٥: ٤٢). وكذلك فى قوله: "**من سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين**" (مت ٥: ٤١). وأوصى بالعطاء بلا مقابل فقال "**أقرضوا وأنتم لا ترجون شيئاً**" (لو٦: ٣٥).

ووعد السيد المسيح بمجازاة من يتنازل عن ممتلكاته فقال: "كل من ترك بيوتاً أو.. أو حقولاً من أجل اسمى يأخذ مئه ضعف ويرث الحياة الأبدية" (مت ١٩: ٢٩).

وقيل عن السيد المسيح إنه يحب المعطى المسرور "**المعطى المسرور يحبه الله**" (٢كو٩: ٧).

وفى قول السيد المسيح: "**مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ**" (أع٢٠: ٣٥) تحذير من الأنانية، ومن محبة النصيب الأعظم، ومن محبة العالم كقول القديس يوحنا الرسول: "إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب" (١يو٢: ١٥). وكذلك فى قول السيد المسيح ترغيب فى العطاء الذى يجلب السعادة الروحية للمعطى إذ أنه يتشبه بالله فى عطائه. الله الذى وهب الخليقة نعمة الوجود، والذى منح الإنسان نعمة العقل والنطق والخلود، والذى يفتح يمينه ويشبع كل حى غنى من رضاه، والذى سعى فى طلب الضال وتعب من أجل خلاصه، ومنحه نعمة النجاة، ويقوده بروح قدسه حتى يحصل على الحياة.

حقاً إن من يعطى بمحبة وسرور وسخاء يصير شبيهاً بالله.

بولس الرسول وكلمات الرب

إن بولس الرسول لم يكن قد آمن بالسيد المسيح حينما صعد السيد المسيح إلى السماء. وبهذا لا يكون قد استمع بنفسه إلى تعاليمه الإلهية أثناء وجوده على الأرض. ولكنه كان بالطبع يصغى بشغف –بعد أن آمن– لكل ما حكاه الذين عاصروا هذه التعاليم. وقد تأثر كثيراً حينما سمع هذه العبارة نقلاً عن السيد المسيح أنه "مغبوط هو

العطاء أكثر من الأخذ". عاش بولس الرسول بهذا المنهج وقال: "حاجاتى وحاجات الذين معى خدمتها هاتان اليدان" (أع٢٠: ٣٤).

وقال أيضاً: "**فضة أو ذهب أو لباس أحد لم أشته**" (أع٢٠: ٣٣).

كان معلمنا بولس الرسول كم وينبوع من العطاء الذى لا يتوقف وكان يقول عن نفسه وعن الآباء الرسل: "كفقراء ونحن نغنى كثيرين. كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ" (٢كو٦: ١٠).

كان لا يبخل بمحبته على أحد.. بل كان عجيباً فى محبته حينما قال لأهل كورنثوس "كلما أحبكم أكثر أُحَب أقل" (٢كو١٢: ١٥). أى أنه كلما زاد فى محبته لهم كانت محبته المتزايدة تُقابَل بحب أقل منهم، لأنهم لم يدركوا أبعاد هذه المحبة التى كانت تتجه أحياناً نحو النصح، وأحياناً نحو التأديب، من أجل خيرهم وخلاص أنفسهم. ولكنه على العموم لم يكن يبالى ببرودة الفعل فى مقابل محبته، لأنها محبة لم يمكنها إلا أن تحب، ولا تتوقف عن الحب.

هناك أشخاصٌ يتوقفون عن المحبة إذا لم تُقابَل محبتهم بالعرفان. ولكن حتى الحب ينطبق عليه كلمات الرب يسوع التى قالها "**مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ**". ألم يكن هو أيضاً الذى قال: "إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم، أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك؟!.. فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السماوات هو كامل" (مت٥: ٤٦-٤٨).

فلسَي الأرملة

إنها قصة عجيبة حدثت فى وجود الرب يسوع فى الهيكل: جاءت أرملة فقيرة وألقت فلسين قيمتهما ربع. فدعا تلاميذه وقال لهم: "الحق أقول لكم إن هذه الأرملة الفقيرة قد ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا فى الخزانة. لأن الجميع من فضلتهم ألقوا، وأما هذه فمن إعوازها ألقت كل ما عندها، كل معيشتها" (مر١٢: ٤٢- ٤٤)

والأسئلة التى قد تتبادر إلى الذهن عند قراءة هذه الواقعة المؤثرة هى كما يلى:

أولاً: كيف تتبرع أرملة فقيرة فى خزانة بيت الرب **وهى تحتاج** إلى مساعدة؟!

ثانياً: كيف تتبرع **بكل** ما عندها، **كل** معيشتها. مع أن الناموس طالبها بالعشور فقط؟!

ثالثاً: لماذا سمح السيد المسيح لهذه الأرملة أن تفعل ذلك، ثم تخرج وليس معها ما تقتات به وهى أرملة فقيرة؟!

رابعاً: لماذا لم يأمر تلاميذه بمنحها مبلغاً من المال لمساعدتها بعد أن صارت لا تملك شيئاً بل "ألقت كل ما عندها، كل معيشتها" (مر١٢: ٤٤)؟

إن القصة قد بدأت هكذا: "جلس يسوع تجاه الخزانة ونظر كيف يلقى الجمع نحاساً فى الخزانة. وكان أغنياء كثيرون يلقون كثيراً فجاءت أرملة فقيرة وألقت فلسين قيمتهما ربع" (مر١٢: ٤١، ٤٢).

أراد السيد المسيح أن يلقن تلاميذه درساً فى العطاء، وأن يعطيهم فكرة عن مقاييسه التى تختلف عن مقاييس عامة البشر.

أراد أن يفهموا أن قيمة عمل الإنسان فى نظره لا تتوقف على حجم هذا العمل، ولكن على المشاعر والدوافع التى تقترن به، **وأن كل فضيلة تخلو من الحب والاتضاع لا تحسب فضيلة عند الله.**

لاشك أن هذه الأرملة قد امتلأ قلبها بمحبة الله ولهذا أعطت كل ما عندها، كل معيشتها. وبالفعل عاشت الوصية التى تقول "تحب الرب إلهك من **كل** قلبك ومن **كل** نفسك ومن **كل** فكرك" (مت٢٢: ٣٧).

وفى تواضعها لم تخجل من أن تضع قدر ضئيل جداً من المال فى وسط الأغنياء الذين يملكون الكثير ووضعوا نقوداً كثيرة. لقد عرَّضتْ نفسها لسخرية واحتقار الآخرين، ولكن دافع الحب عندها جعلها تقدم أقصى ما عندها حتى ولو بدا ضئيلاً فى أعين الآخرين.

لقد عاشت هذه المرأة الوصية بغض النظر عن حالتها الشخصية، فبالرغم من فقرها الشديد، إلا أنها أرادت أن تنال بركة العطاء وتقديم العشور؛ ولكن ماذا تكون عشورها؟!.. ربما لا توجد عُملة متاحة من النقود تساوى عُشر الفلسين حتى لو وُجدت فإنها أرادت أن تقدم تكريماً لرب الجنود يتخطى الحد الأدنى للعطاء وهو العشور.. لذلك "**ألقت كل ما عندها، كل معيشتها**" (مر١٢: ٤٤)، ولسان حالها يقول: {اقبل يا رب تقدمتى المتواضعة التى لا تليق بجلالك.. ولكن هذا هو كل ما عندى}.

موقف السيد المسيح

كان عطاء هذه المرأة عظيماً جداً فى عينى الرب لذلك لم يعترضها ولم يمنعها ولم يجرح مشاعرها بأن يمنحها صدقة فى ذلك التوقيت بالذات..

كانت الملائكة تسبح بتسابيح البركة وكان المشهد عظيماً اهتزت له أعتاب السماء على مثال سلم يعقوب حاضراً بملائكته الأطهار صاعدين ونازلين وسجّل الإنجيل المقدس هذا المشهد العجيب ليكون عبرة للكنيسة فى جميع الأجيال.

إنها أنشودة حب ابتهج لها قلب السيد المسيح وأراد أن يلفت أنظار تلاميذه ليقفوا مبهورين أمام هذا المشهد العظيم الذى كان حضوره فيه هو مصدر جلاله وعظمته.

وخرجت الأرملة الفقيرة بكل وقار القداسة، محاطة بجماهير الملائكة الذين اجتذبهم حب هذه المرأة وتواضعها.

إن هذه الأرملة الفقيرة التى كانت غنية بمحبتها وتواضعها هى رمز للكنيسة التى ترملت بعد خروجها من الفردوس وقال لها الرب بفم إشعياء النبى: "لا تخافى لأنك لا تخزين. ولا تخجلى لأنك لا تستحين. فإنك تنسين خزى صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد. لأن بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس إسرائيل إله كل الأرض يُدعى. لأنه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب، وكزوجة الصبا إذا رذلت قال إلهك. لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك. بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة، وبإحسان أبدى أرحمك قال وليّك الرب" (إش٥٤: ٤-٨).

لاشك أن الرب قد أحسن كثيراً إلى هذه المرأة الأرملة الفقيرة بعد خروجها من الهيكل وتولاها بعنايته بعد أن قدّمت له كل ما عندها.. كل معيشتها.

وهكذا أيضاً الكنيسة من خلال القديسة مريم العذراء قد قدّمت كل ما عندها بكل الحب والاتضاع، جسداً وروحاً إنسانياً عاقلاً اتخذه الرب ناسوتاً كاملاً من العذراء مريم ليدخل به مع البشرية فى عهد جديد. **وكان الجسد والروح الإنسانى اللذين اتخذهما الرب هو ما يرمز إليه فلسَي الأرملة اللذان لهما أعظم قيمة فى عينى الرب** "ألقت أكثر من جميع الذين ألقوا فى الخزانة" (مر١٢: ٤٣).

وهكذا نسمع الرب يقول هذه الأنشودة الشعرية بفم إشعياء النبى: "أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية: هأنذا أبنى بالإثمد حجارتك وبالياقوت الأزرق أؤسسك وأجعل شُرفك ياقوتاً وأبوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيراً" (إش٥٤: ١١- ١٣).

بعد ميلاد الرب البتولى من العذراء مريم بفعل الروح القدس، صار السيد المسيح هو **كل** ما عندها، **كل** معيشتها. وليس للعذراء مريم فقط بل للكنيسة كلها، **كان السيد المسيح هو كل ما عندها، كل معيشتها** كما نقول فى أوشية الإنجيل {**لأنك أنت هو حياتنا كلنا**}.

وجاء يوم الفداء وقدّمت العذراء مريم راضيةً على الصليب ابنها الوحيد ناسوتياً، وقدّمت الكنيسة كل ما عندها، كل معيشتها فى خزانة الرب.. وقَبِلَ الآب تقدمة البشرية إليه، التى هى نفسها عطية الآب للبشرية.. وكانت أعظم تقدمة.. وكان سلم يعقوب.. وكان رضى الآب.

س- تعليم السيد المسيح عن الإيمان فى مواجهة المحن والتجارب

السفينة والعواصف

من المناظر التى تدعو إلى التأمل فى خدمة السيد المسيح.. ذلك المشهد العجيب، الرب يسوع وحده على قمة الجبل يصلى أغلب الليل، وتلاميذه جميعاً فى البحر راكبين السفينة وهى معذبة من الأمواج.

كان السيد المسيح قد أشبع الجموع من الخمس أرغفة والسمكتين، وكان تلاميذه سعداء بهذه المعجزة، ورفعوا ما فضل من الكسر اثنتى عشر قفة مملوءة.

"وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه إلى العبر حتى يصرف الجموع. وبعدما صرف الجموع، صعد إلى الجبل منفرداً ليصلى. ولما صار المساء كان هناك وحده.. وفى الهزيع الرابع من الليل مضى إليهم يسوع ماشياً على البحر" (مت١٤: ٢٢-٢٥).

ويقول معلمنا مرقس الإنجيلى عن نفس هذه الواقعة إن الرب يسوع وهو على الجبل يصلى "رآهم معذبين فى الجذف لأن الريح كانت ضدهم" (مر٦: ٤٨).

هذه السفينة تمثِّل الكنيسة، لأنها كانت تحمل جميع التلاميذ فى ذلك الوقت (الاثنى عشر تلميذاً "الذين دعاهم أيضاً رسلاً"). وقد آثر الرب أن يتركهم معذبين من الأمواج قرابة الليل كله فى وسط البحر، ولم يذهب إليهم إلا فى الهزيع الرابع من الليل. تركهم يواجهون المصاعب فى وسط العاصفة.. ولكن كان فى تأخير السيد المسيح بركات جزيلة لهم وللكنيسة فى كل زمان ومكان. كان يسندهم ويحملهم بصلواته. وما أمجد وما أغنى هذه الصلوات التى ذخرها الرب لكنيسته.

لماذا يصلى

لم تكن **صلاة** السيد المسيح هى لمجرد واقعة السفينة فى تلك الليلة؛ بل كانت من أجل الكنيسة بكل ما سيواجهها من مصاعب، وعواصف عبر العصور، خاصة فى عصور الاضطهاد والاستشهاد حين تصبح الأمواج ثقيلة والريح مضادة بقوة..

كيف صمد الشهداء فى عصور الاستشهاد المريرة؟ وكيف تحمَّلوا العذابات التى تفوق عقل البشر؟ إنها أحداث خارقة للطبيعة. ولكنها حدثت بالفعل. وخرجت الكنيسة منها قوية منتصرة مكللة بالبهاء، تماماً مثل عريسها الذى تمجّد بعد أن تألم.

لاشك أن السيد المسيح فى تلك الليلة قد طلب من أجل هذه الآلاف من الشهداء واحداً واحداً باسمه، **وقد استغرق هذا الأمر وقتاً طويلاً فى مناجاته مع الآب.**

إن السيد المسيح لم ينس فى ليلة آلامه أن يطلب من أجل بطرس قبل أن يواجه المحنة والتجربة فى بيت رئيس الكهنة وقال له: "سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة. ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك" (لو٢٢: ٣١، ٣٢).

كذلك هناك صعوبات أخرى واجهتها الكنيسة مثل صراعها ضد الأريوسية، وصراعها ضد النسطورية وسائر الهرطقات. وكان السيد المسيح يعرف كل ما ستواجهه كنيسته المحبوبة من صعوبات. ولهذا فقد **صلى** من أجلها لكى تصمد بقوة وثبات فى وسط العواصف العتيدة.

ولكن الأمر لا يتعلق فقط بالصعوبات التى ستواجهها الكنيسة وما يلزم للتلاميذ أن يتدربوا عليه فى مواجهة هذه الصعوبات. كان هناك أمر آخر يشغل السيد المسيح فى صلاته. **وهو إعلان الإيمان ببنوته لله فى قلوب التلاميذ.**

يقول معلمنا مرقس الإنجيلى إن السيد المسيح بعد أن وصل إلى التلاميذ ماشياً على الماء: "فصعد إليهم إلى السفينة، فسكنت الريح، فبهتوا وتعجبوا فى أنفسهم جداً إلى الغاية. لأنهم لم يفهموا بالأرغفة إذ كانت قلوبهم غليظة" (مر٦: ٥١، ٥٢).

كان من العجيب أن معجزة إشباع الجموع لم تكن كافية لكى يفهم التلاميذ حقيقة السيد المسيح. لهذا **صلى** السيد المسيح لكى يعلن الآب فى قلوبهم ذلك الحق الذى لا يستطيع العالم أن يعرفه أو يفهمه، إذ "ليس أحد يعرف من هو

الابن إلا الآب، ولا من هو الآب إلا الابن، ومن أراد الابن أن يعلن له" (لو١٠: ٢٢). **إن معرفة الابن هى حياة أبدية.. وهى أعظم إعلان يمنحه الله للإنسان.. لكل من يقبل.**

بعد أن دخل السيد المسيح إلى السفينة، اعترف التلاميذ بألوهيته حسبما دوّن القديس متى فى إنجيله: "**الذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله**" (مت١٤: ٣٣).

ألم يكن هذا الاعتراف الواضح من التلاميذ جديراً بأن يقضى الليل كله على الجبل مصلياً من أجلهم؟!

ولم تكن هذه الصلاة هى من أجل إيمان التلاميذ فقط، بل من أجل أن يفتح الآب قلوب وأذهان الملايين الذين سوف يؤمنون به على مر العصور والأجيال.

هل يستحيل على الرب شئ؟!

ترك السيد المسيح التلاميذ طوال الليل، يواجهون العاصفة وأمواج البحر الهائج، وجاء إليهم ماشياً على البحر.. وفى مشيه على الماء كان يريد أن يعطيهم درساً ذا أهمية كبيرة، وهو أنه لا يوجد شئ مستحيل عند الرب.

ربما مكثوا الليل كله يقولون فيما بينهم: {ليته كان معنا فى السفينة، لو كان معنا ما لحق بنا هذا الشئ الذى صار الآن}.

لكن السيد المسيح أراد أن يعلِّمهم أنه يستطيع أن يتخطى كل الفواصل والعوائق، يستطيع أن يمشى على الماء، وليس ذلك فقط، بل يستطيع أن يمنح تلاميذه هذه الإمكانية أيضاً أن يسيروا مثله على الماء. فحينما طلب منه بطرس ذلك، أجابه إلى طلبه تحقيقاً لقوله الإلهى: "من يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضاً" (يو١٤: ١٢).

السيد المسيح يعمل الأعمال الفائقة للطبيعة بقدرته الإلهية الخاصة، أما تلاميذه فيعملونها بنعمة منه. مهما كثرت أعمال التلاميذ والقديسين، فكلها بعطية من صاحب القدرة ومانح السلطان والمواهب.

يا رب نجنى

كتب القديس متى الإنجيلى عن وقائع لقاء السيد المسيح مع تلاميذه فى وسط البحر فقال: "فلما أبصره التلاميذ ماشياً على البحر اضطربوا قائلين إنه خيال. ومن الخوف صرخوا. فللوقت كلمهم يسوع قائلاً: تشجّعوا، أنا هو، لا تخافوا. فأجابه بطرس وقال: يا سيد إن كنت أنت هو فمرنى أن آتى إليك على الماء. فقال: تعال. فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتى إلى يسوع. ولكن لما رأى الريح شديدة خاف. وإذ ابتدأ يغرق، **صرخ قائلاً:** "**يا رب نجنى**". ففى الحال مد يسوع يده وأمسك به وقال له: يا قليل الإيمان، لماذا شككت؟ ولما دخلا السفينة سكنت الريح والذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين: بالحقيقة أنت ابن الله" (مت١٤: ٢٦-٣٣).

فى وسط الريح الشديدة ابتدأ بطرس يغرق، **فصرخ قائلاً:** "**يا رب نجنى**".

لم يكن هناك مجالاً للحديث.. أو للحوار.. أو للتفكير.. بل كان الصراخ هو الحل الوحيد. هناك مواقف لا يناسبها إلا الصراخ إلى الله فى الصلاة.

كقول المرتل "من الأعماق **صرخت** إليك يا رب" (مز١٢٩: ١).

أو قوله "بصوتى إلى الرب **صرخت**، بصوتى إلى الرب تضرعت، أسكب أمامه توسلى" (مز١٤١: ١، ٢).

أو كصلاة يونان من بطن الحوت "دعوت من ضيقى الرب فاستجابنى. **صرخت** من جوف الهاوية فسمعت صوتى" (يون٢: ٢).

هذا النوع من الصراخ ينطبق عليه (كما ذكر قداسة البابا شنودة الثالث) قول الشاعر

صوتى عِلى مثل صرخة غريق   بينده لقارب نجاة...

بيصرخ بيصرخ بكل قواه   لــلحيـــــاة

لقد صرخ بطرس، وفى الحال مد الرب يده وانتشله.

فهل نصرخ نحن إلى الرب حينما ندخل فى مأزق أو تجربة؟ أم صلاتنا تكون سطحية وليست من أعماق القلب؟!

هناك فرق بين إنسان يطلب من الله أن يكون معه، مجرد طِلبة. وآخر فى استغاثة حارة يصرخ إليه ليتدخل سريعاً وبكل قوة.

الله يريد الذين يصرخون إليه فى وقت التجربة.. صراخ من القلب.. صراخ بدموع.. لذلك قال الرب: "ادعنى فى يوم الضيق أنقذك فتمجدنى" (مز٥٠: ١٥).

كثيراً ما تكون صلواتنا ضعيفة، ربما حتى لا تصل إلى سقف حجرة الصلاة. تكون صلاة كمن يؤدى واجب عليه وليس أكثر..!!

الله يريد من يصرخ إليه.. ومن يتعلق به ويقول: "**لا أطلقك إن لم تباركنى**" (تك٣٢: ٢٦).

أليس هو الرب الذى قال: "لأنه علىّ اتكّل فأنجيه، أستره لأنه عرف اسمى. يدعونى فاستجيب له، معه أنا فى الشدة. فأنقذه وأمجده وطول الأيام أشبعه، وأريه خلاصى" (مز٩٠: ١٤-١٦)؟!.

إن الرب أحياناً يتركنا فى ضيقة معينة، فى مأزق، أو فى شدة. لكى يعلِّمنا كيف نصرخ إليه فى الصلاة. وعندما نصرخ إليه يستجيب. فنشعر بقيمة الصلاة وأهميتها وفاعليتها. كما نشعر بأهمية أن تكون لنا علاقة به.. نشعر بأهمية طلبنا إليه، وأيضاً بأهمية حضوره ووجوده فى وسطنا.

نحن ربما لا نشعر بأهمية الماء إلا إذا وُجدنا فى صحراء جرداء ليس فيها ماء.
وربما لا نشعر بأهمية الهواء الذى نتنفسه إلا إذا وُجدنا فى موضع تحت الأرض يخلو من الأكسجين. مثل الوجود فى منجم مثلاً، أو فى نفق انقطعت عنه التهوية..
الإنسان أحياناً لا يعرف قيمة الشئ إلا إذا لم يجده.
فالتلاميذ عرفوا قيمة وجود السيد المسيح فى وسطهم عندما تأخر فى المجيء إليهم، لدرجة أنهم عندما أبصروه ماشياً على الماء ظنوه خيالاً. مثلما يقول الإنسان أحياناً (أنا فى حلم واللا فى علم؟!).

إن الرب مستعد أن يفعل أكثر كثيراً مما نطلب أو نفتكر.. ولكن يلزمنا أن نشعر حقيقةً بحاجتنا إليه.. أن نصرخ من أعماق قلوبنا ونناديه.. أن نظل نكافح الأمواج منتظرين مجيئه حتى ولو فى الهزيع الرابع من الليل.. ماشياً على البحر.. متخطياً كل الحواجز الطبيعية.. منتهراً البحر والرياح.. مانحاً سلامه العجيب لكل من ينتظر عمله وحضوره وعطية محبته التى تفوق كل وصف وتصديق.
يا معلم أما يهمك أننا نهلك؟!
عبارة قالها التلاميذ للسيد المسيح عندما كان معهم، نائماً فى مؤخرة السفينة فى وسط البحر، وهاج البحر بشدة حتى كادت السفينة أن تغرق، فذهبوا إليه وأيقظوه قائلين له: "**يا معلم أما يهمك أننا نهلك**" (مر٤: ٣٨).
لقد وبخ السيد المسيح التلاميذ وقال لهم: "ما بالكم خائفين هكذا، كيف لا إيمان لكم؟" (مر٤: ٤٠).
فلماذا وبخهم؟ مع أنه سبق أن أوصاهم قائلاً "اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم" (مت٧: ٧) وقال أيضاً عن أهمية الصلاة: "أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين إليه نهارًا وليلاً وهو متمهل عليهم؟ أقول لكم إنه ينصفهم سريعاً" (لو١٨: ٧، ٨).
لم تكن المشكلة فى أنهم التجأوا إلى السيد المسيح، الذى قام وانتهر البحر والريح حتى صار هدوء عظيم. ولكن المشكلة كانت فى الخوف العظيم الذى انتاب التلاميذ بالرغم من وجود السيد المسيح معهم فى السفينة، كما أن المشكلة كانت فى عبارتهم القاسية "**أما يهمك أننا نهلك؟**" (مر٤: ٣٨).
لقد شخَّص السيد المسيح السبب فى هذه الأخطاء التى وقعوا فيها بقوله: "ما بالكم خائفين هكذا، كيف لا إيمان لكم؟!" (مر٤: ٤٠).

الخوف لا يتفق مع الإيمان

الإنسان المؤمن لا يخاف بل يقول مع المرنم: "الرب نورى وخلاصى **ممن أخاف**" (مز٢٦: ١)، "إن سرت فى وادى ظل الموت **فلا أخاف شراً لأنك معى**" (مز٢٢: ٤). ويقول أيضاً "تقدمت فرأيت الرب أمامى فى كل حين **لأنه عن يمينى لكى لا أتزعزع**" (مز١٥: ٨)

إنه يثق فى عناية الرب وفى حفظه وقدرته غير المحدودة. ويثق فى مواعيد الرب؛ أن شعرة من رؤوسكم لا تهلك إلا بإذنه، وأن من تعلق به ينجيه كقوله فى المزمور "لأنه **تعلق بى أنجيه**، أستره لأنه عرف اسمى، يدعونى فأستجيب له، **معه أنا فى الشدة، فأنقذه** وأمجده وطول الأيام أشبعه، وأريه خلاصى" (مز٩٠: ١٤-١٦).

ينبغى أن ندرّب أنفسنا على الثقة وعدم الخوف من العالم كما أوصانا الرب "فى العالم سيكون لكم ضيق ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم" (يو١٦: ٣٣).

إن الإيمان بالرب ليس هو مجرد الإيمان بالثالوث القدوس الإله الواحد المثلث الأقانيم، وبتجسد أقنوم الابن الوحيد وبصلبه وموته وقيامته وصعوده إلى السماء وباقى الأمور العقائدية المختصة بالإيمان. ولكن يلزم أن يكون لهذا الإيمان ثمر فى حياة الإنسان.

وهذا الثمر يمنحه الروح القدس للإنسان المؤمن الذى يجاهد فى شركة الروح القدس "وأما ثمر الروح فهو محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف" (غل ٥: ٢٢، ٢٣).

إذن الإيمان أيضاً هو من ثمر الروح القدس. والمقصود هنا حياة الإيمان أى السلوك بالإيمان. **الإيمان الذى يحرر الإنسان من الخوف من العالم، والخوف من المرض، والخوف من الموت، والخوف من الآلام والضيقات، والخوف من البشر وما يفعلون. وهذا كله يدل على الإيمان بقدرة الله.**

لذلك قال معلمنا بولس الرسول: "بدون ايمان لا يمكن إرضاؤه لأنه يجب أن الذى يأتى إلى الله يؤمن بأنه موجود، وأنه يجازى الذين يطلبونه" (عب١١: ٦).

عتاب المحبة

إن الرب يسمح لنا فى الصلاة أن نعاتبه أو أن نتضرع إليه فى محبة وثقة، مثلما نقول فى المزمور الكبير: "**كلّت عيناى من انتظار أقوالك قائلتين: متى تعزينى؟**.. كم هى أيام عبدك؟ متى تُجرى لى حكماً على الذين يضطهدوننى؟.. كادوا يفنوننى على الأرض" (مز١١٨: ٨٢-٨٧).

أو مثلما نقول: "**إلى متى يا رب تنسانى** إلى الانقضاء حتى متى تصرف وجهك عنى؟ إلى متى أردد هذه المشورات فى نفسى وهذه الأوجاع فى قلبى كل يوم. إلى متى يرتفع عدوى علىّ. انظر واستجب لى يا ربى وإلهى. أنر عينى لئلا أنام نوم الموت. لئلا يقول عدوى إنى قد قويت عليه" (مز١٢: ١-٤).

ولكن التلاميذ فى تلك الواقعة تخطوا الحدود اللائقة فى التخاطب مع الرب بقولهم "أما يهمك أننا نهلك؟!".

كيف يُقال هذا لمن أخلى نفسه من المجد المنظور إذ أخذ شكل العبد، واحتمل الكثير من أجل كنيسته وقبِل الموت فداءً عنا.

كيف يُقال له "أما يهمك؟"

لقد تعمّد السيد المسيح أن ينام فى وسط العاصفة، لكى يكشف للتلاميذ ما فيهم من ضعف ولكى يقودهم إلى إصلاح عيوبهم.

إن مجرد وجود السيد المسيح فى السفينة، يكفى لكى يطمئنوا لأنه بحسب لاهوته "لا ينعس ولا ينام حارس إسرائيل" (مز ١٢٠: ٤).

لقد ظن التلاميذ أن السيد فى نومه بحسب الجسد، لا يدرى بما يجرى حوله–وهو العالِم بكل الأشياء بحسب لاهوته. وقد غاب عن ذهن التلاميذ أيضاً هذا الإيمان إلى جوار ما أصابهم من الخوف.

ليتهم قالوا له فى ضراعة:

قم سكّت البحر طارداً هذى البلية

وأشفق على البيعة فى كل حرب خفية

واملأ القلب سلاماً فإن نعمتك قوية

من وحى شعر قداسة البابا شنودة الثالث–أطال الرب حياة قداسته–عن قيامة السيد المسيح.

ع– تعليم السيد المسيح عن الجهاد الروحى

الحواس الخمس

الخمس عذارى فى مثل العرس تشير إلى حواس الإنسان.

فكما أن للإنسان حواساً جسدية، هكذا لديه حواس روحية مُناظرة لها.

وبالصوم والصلاة يتفرغ الإنسان لكى تنمو فيه قوة الحواس الروحية، وتمتلئ آنيته من زيت النعمة وفعل الروح القدس ومحبة الله الغنية.

فى الصوم والصلاة والتأمل فى كلام الله بقيادة الروح القدس، تنمو روحيات الإنسان، ويتقوى بالروح، ويصير الروح قادراً أن يقود الجسد.

وكما قال الكتاب "إن عشتم حسب الجسد فستموتون، ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون" (رو٨: ١٣).

وكما قال **قداسة البابا شنودة الثالث:** إن روح الإنسان تقود الجسد، وروح الله يقود روح الإنسان، فمن له شركة الروح القدس يستطيع أن يحيا بالروح، وينقاد بالروح، وتتقدس مسيرة حياته وأفعال جسده.

فحينما يأكل الإنسان طعام الجسد –منقادًا بالروح– فإنه يأكل لمجد الله "إذا كنتم تأكلون، أو تشربون، أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شئ لمجد الله" (١كو١٠: ٣١).

لذلك فبعدما أكمل إبليس كل تجربة، وأكمل السيد المسيح صومه عنا معلماً إيانا.. "إذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه" (مت٤: ١١).. وأنهى صومه بطعام أعدته له الملائكة.. فيا له من منظر رائع يفوق العقول!!.

وقال السيد المسيح: "المولود من الجسد جسد هو، والمولود من الروح هو روح" (يو٣: ٦).

فالإنسان الجسدانى تقوى عنده الحواس الجسدية وتقود حياته، والإنسان الروحانى تقوى عنده الحواس الروحية وتقود حياته.

فحاسة السمع الروحية مثلاً تجعل الإنسان قادراً على سماع صوت الله بوضوح، مثلما قال السيد المسيح: "والخراف تسمع صوته" (يو١٠: ٣).

وقال أيضاً: "كل من هو من الحق يسمع صوتى" (يو١٨: ٣٧).

وعن ذلك يقول المزمور: "إنى أسمع ما يتكلم به الرب الإله لأنه يتكلم بالسلام لشعبه ولقديسيه وللذين رجعوا إليه من كل قلوبهم" (مز٨٤: ٨). الإنسان الروحى يسمع صوت الإله واضحاً فى حياته. يسمع وصايا السيد المسيح ويفهمها. يسمع صوت الروح وينقاد لهذا الصوت فى داخله لأن "الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو٨: ١٤).

نأخذ مثلاً التليفون اللاسلكى، لكل جهاز مدى للاستقبال، لا يستطيع بعده أن يلتقط موجات الإرسال. فكلما قويت حاسة السمع الروحية فى الإنسان كلما ازداد صوت الله وضوحاً فى عقله، وقلبه، وحياته.

وجهاز التليفون اللاسلكى يحتاج إلى شحن للبطاريات لكى يكون قادراً على استقبال الموجات اللاسلكية، هكذا أيضاً يحتاج الإنسان الروحى إلى شحنة روحية، بأن يمتلئ من الروح القدس لكى يصير له القدرة على الاستماع إلى صوت الله.

والامتلاء من الروح القدس يتم بممارسة الوسائط الروحية مثل ممارسة التوبة والاعتراف والتناول من الأسرار المقدسة. وكذلك ممارسة الجهادات الروحية باتضاع مثل الصوم والصلاة واحتمال الضيق والمشقات والآلام، مثلما قال القديس بطرس الرسول: "كما اشتركتم فى آلام المسيح افرحوا. لكى تفرحوا فى استعلان مجده أيضاً مبتهجين. إن عُيِّرتم باسم المسيح فطوبى لكم **لأن روح المجد والله يحل عليكم**" (١بط٤: ١٣، ١٤).

إن من يحتمل الآلام من أجل المسيح يصير أهلاً لأن يحل عليه "روح المجد والله".

ممارسة الحياة الروحية والمواظبة على العبادة بحرارة والصلوات المتواصلة من قلب خاشع تؤهّل الإنسان للامتلاء من الروح القدس.

قراءة الأسفار المقدسة بروح الصلاة والتأمل والشوق الحار لمعرفة الله تؤهّل الإنسان للامتلاء من الروح القدس. لهذا نقف بخشوع فى الكنيسة أثناء قراءة الإنجيل المقدس لكى نؤهّل لهذا الامتلاء، وتغتذى أرواحنا بكلمات الإنجيل وتتقوّى حاسة السمع الروحية فينا.

كيف توجد الحواس الروحية فى الإنسان؟

هذا الأمر شرحه السيد المسيح لنيقوديموس حينما قال له: "إن كان أحد لا يولد من فوق (من الماء والروح) لا يقدر أن يرى (يدخل) ملكوت الله" (يو٣: ٣، ٥). بمعنى أن الروح القدس يخلق فينا فى المعمودية حواساً خمس روحية تؤهلنا لميراث الحياة الأبدية. ومن ضمن هذه الحواس الخمس الروحية حاسة النظر التى يمكن للإنسان بها أن يعاين ملكوت الله. لهذا قال معلمنا بولس الرسول: "إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة" (٢كو٥: ١٧). إن الروح القدس يخلق فينا بالفعل هذه الحواس وينميها بعد ذلك بوسائط النعمة الروحية.

العذارى الحكيمات

الحواس الخمس الروحية المنيرة ترمز إلى مصابيح الخمس عذارى الحكيمات. والآنية الممتلئة من الزيت ترمز إلى امتلاء قلب الإنسان من الروح القدس. حيث ينير الروح القدس الحواس. مثلما قال السيد المسيح: "إن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيّراً" (مت٦: ٢٢). فالحواس التى يعمل فيها الروح القدس تجعل الجسد مقدساً منيراً خالياً من شوائب الخطية وظلمتها.

لذلك قيل عن الأبرار: "حينئذٍ يضئ الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم" (مت١٣: ٤٣).

اليد اليمنى لها خمسة أصابع، وأصحاب الحواس الخمس الروحية المنيرة سوف يكون نصيبهم عن يمين الملك المسيح. إذ يقيم الخراف عن يمينه.

واليد اليسرى لها خمسة أصابع، وأصحاب الحواس الخمس المظلمة سوف يكون نصيبهم عن يسار الملك المسيح. إذ يقيم الجداء عن يساره.

هذه الحواس الخمس عموماً هى البصر، والسمع، والشم، واللمس، والتذوق.

١- حاسة **البصر الروحية** يستطيع الإنسان الروحى أن يعاين بها ملكوت الله.

٢- وحاسة **السمع الروحية** يستطيع الإنسان الروحى أن يستمع بها إلى صوت الله، وإلى تسابيح السمائيين.

٣- وحاسة **الشم الروحية** يستطيع الإنسان الروحى أن يستنشق بها ويشم رائحة المسيح الذكية، ورائحة حياة القداسة كقول سفر النشيد عن السيد المسيح "لرائحة أدهانك الطيبة، اسمك دهن مهراق. لذلك أحبتك العذارى" (نش١: ٣).

وأيضاً "مادام الملك فى مجلسه أفاح ناردينى رائحته" (نش١: ١٢). هذه الرائحة الذكية تملأ نفس الإنسان الروحى بالنشوة الروحية وتتزايد محبته للسيد المسيح وتأسره هذه المحبة. فما أجمل تعبير رائحة الناردين الخالص الكثير الثمن عن رائحة موت السيد المسيح، التى هى رائحة الحياة، لأنها رائحة الحب. وحيث يكون الحب فهناك الحياة لأن "**الله محبة**". وقد صدق الفيلسوف الفرنسى الذى قال: **[أن نحب معناها أن نوجد]**. بمعنى أنه **لا معنى للوجود بدون المحبة.**

كان قبول السيد المسيح للناردين من المرأة ساكبة الطيب، هو قبول لموته بدافع الحب. لهذا قال: "إنها ليوم تكفينى قد حفظته" (يو١٢: ٧). إنه قبول للموت من منطلق الحياة. **أى هو موت مُحيى، ورائحة حياة لحياة فى الذين يخلصون.**

٤- وحاسة **اللمس الروحية** يستطيع الإنسان الروحى أن يتلامس بها مع عمل الله وحضوره فى حياته.

إن المرأة نازفة الدم قد قالت فى نفسها: "إن مسست ولو ثيابه شفيت" (مر٥: ٢٨). لذلك فالإنسان الذى يتلامس مع الحق الذى فى المسيح ويدرك الحد الفاصل بين النور والظلمة، يكون كمن لمس هُدب ثوبه، فينال الشفاء.

إن لمسة بسيطة من يد السيد المسيح الشافية تستطيع أن تنزع الخطية مثلما طهر الأبرص حينما مد السيد المسيح يده ولمسه وقال "أريد فاطهر" (مت٨: ٣) فللوقت طهر برصه وشفى.

هناك لمسات كثيرة يعملها الله فى حياة الإنسان ويحسها الإنسان الروحى. ويقول مع عروس النشيد: "شماله تحت رأسى ويمينه تعانقنى" (نش٢: ٦، ٨: ٣). **إن من يتلامس مع الله يصير الرب له سنداً قوياً فى حياته كما قيل عن هذه العروس "من هذه الطالعة من البرية مستندة على حبيبها؟"** (نش٨: ٥).

٥- وحاسة **التذوق الروحية** يستطيع الإنسان الروحى أن يتذوق بها حلاوة الحياة مع الله.

يقول الكتاب "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" (مز٣٣: ٨).

وتقول عروس النشيد "كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبى بين البنين، تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقى" (نش٢: ٣).

هذه المذاقة الروحية جعلت كثير من القديسين ينسون كل مسرات العالم ومشتهياته، **لأن مذاقة حب السيد المسيح كانت أشهى من كل أطياب العالم.**

فى هذه العشرة العجيبة دخلت عروس النشيد، واستغرقتها مشاعر الحب حتى نسيت كل ما عداه وأنشدت قائلة "ليقبلنى بقبلات فمه لأن حبك أطيب من الخمر" (نش١: ٢).

وكلما أعطى الإنسان نفسه الفرصة ليتذوق حلاوة المسيح، كلما زادت أشواق الحياة معه.

الباب الضيق

قال السيد المسيح: "ادخلوا من الباب الضيّق. لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدّى إلى الهلاك. وكثيرون هم الذين يدخلون منه. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدّى إلى الحياة. وقليلون هم الذين يجدونه" (مت٧: ١٣، ١٤).

لقد رسم السيد المسيح بحياته طريق الأمجاد، وبعدما تألّم على الصليب قال لتلاميذه: "كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده" (لو٢٤: ٢٦).

وكان دائماً يردد أن من أراد أن يتبعه فلينكر نفسه ويحمل صليبه كل يوم ويتبعه (انظر لو٩: ٢٣).

التلمذة للمسيح تحتم حمل الصليب. وبدون الصليب تصير المسيحية كالعروس بلا عريس.

والحياة مع المسيح فيها شركة الآلام مع المسيح كقول معلمنا بولس الرسول: "لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبهاً بموته" (فى٣: ١٠). وقال أيضاً: "كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً" (٢كو١: ٥)

من أراد أن يلتقى مع المسيح فلن يمكنه أن يلتقى به إلا فى طريق الصليب، فى طريق الآلام، فى الطريق الكرب، ومن الباب الضيّق.

ولكن من يدخل إلى هذا الطريق، يجد هناك تعزيات كثيرة.. فكثيرون يحاولون تخيّل شكل السيد المسيح، وصورته البهية ويتمنون اللقاء به ليهنأوا بهذا اللقاء. ويوجد من هو مستعد أن يضحّى بكل غالٍ ونفيس فى سبيل أن يرى السيد المسيح ويلتقى به.

ولكن السيد المسيح رسم لنا طريقة الالتقاء به.. هناك فى درب الصليب. إذ لا يمكن أن نلتقى مع المسيح بدون صليبه.. لأن صليبه هو قوة الله للخلاص.

الصليب هو سر القوة والنصرة على الخطية، وعلى محاربات الشيطان. والصليب هو علامة حب الله لنا، وهو أيضاً علامة المصالحة بإتمام الفداء وإيفاء الدين. فقبول الصليب هو قبول لمحبة الله ودخول إلى شركة الحب معه.

إن مجد المحبة هو أن تتألم من أجل من تحب. كما أن مجد الينبوع هو أن يسقى ويروى ويغسل.

فى درب الصليب تبدأ النفس فى الدخول إلى شركة العرس الروحى. وتبدأ فى تذوّق حلاوة المحبة المتبادلة بين المسيح والعروس.

حينما قال بولس الرسول: "كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً" (٢كو١: ٥). كان يقصد أن **الكنز المخفى لاكتشاف وتذوّق حلاوة الحياة مع المسيح هى من خلال قبول التألّم مع من أحبنا وسلّم نفسه كفارة عن خطايانا.**

تطبيقات عملية

١- الخدمة الصعبة

الخدمة السهلة يتهافت عليها كثيرون، ولكنهم فى هذا النوع من الخدمة لن يتلامسوا مع قوة المسيح التى تعمل فى الخدمة، والتى تعين الآنية الخزفية.

ولكن من يقبل الدخول إلى **الخدمة الصعبة**، أو الخدمة الشاقة فهناك يختبر عمل الله فى الخدمة. ويبتدئ الرب يُظهر هذا العمل فيتمجد الله، ويشعر الناس بحضور الرب وعمله.. فتدخل الخدمة إلى أعماق نفوس الناس.

لهذا قال السيد المسيح: "إن كان أحد يخدمنى فليتبعنى، وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمى. وإن كان أحد يخدمنى يكرمه الآب" (يو١٢: ٢٦).

المسألة تبدأ **بقبول الصليب**.. ويتبع ذلك عمل الآب فى الخدمة بصورة تفوق قدرات الإنسان الخادم البشرية. وهذه هى الكرامة الحقيقية التى لا يتوقعها الإنسان ولكنه يعايشها ويختبرها ويتعزى.

٢- التضحية والعطاء بسخاء

يستدعى قبول صليب التجرّد والزهد والفقر الاختيارى. كما كان القديس الأنبا أبرام أسقف الفيوم يصنع فى خدمته؛ وفى المقابل كان الرب يتمجّد ويغمر الخدمة ببركات كثيرة وأموال طائلة لأن "الأمين فى القليل أمين أيضاً فى الكثير" (لو١٦: ١٠). يضاف إلى ذلك أن القديس الأنبا أبرام لشدة عطفه وحنانه لمساعدة المرضى والمحتاجين، قد منحه الرب موهبة الشفاء وصنع المعجزات. حقاً قال السيد المسيح: "**ليس أحد ترك.. لأجلى.. إلا ويأخذ مئة ضعف**" (مر١٠: ٢٩-٣٠).

٣- الشهادة للحق

جاء السيد المسيح إلى العالم ليشهد للحق. وقال: "كل من هو من الحق يسمع صوتى" (يو١٨: ٣٧). وقد بذل حياته ثمناً لشهادته للحق.

وفى وسط عالم يموج بالمتغيرات والصعوبات تكون الشهادة للحق ذات ثمن باهظ. مثلما حدث مع أرميا النبى الذى كانت رسالته لتوبيخ شعبه فى زمانه داعياً إياهم للتوبة -كما أوضح لنا **قداسة البابا شنودة الثالث أطال الرب حياته.**

واحتمل أرميا النبى الكثير من أجل رسالته الصعبة، وهو الإنسان الوديع الباكى الذى كان يميل إلى البُعد عن المشاكل ولكن كانت إرادة الله له أن يتحمل هذه الأعباء التى تفوق طاقته.

٤- الجهاد ضد الخطية

يقول معلمنا بولس الرسول: "لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية. وقد نسيتم الوعظ الذى يخاطبكم كبنين: يا ابنى لا تحتقر تأديب الرب ولا تخُر إذا وبخك" (عب١٢: ٤، ٥).
إن الجهاد ضد الخطية هو من لوازم حياة التلمذة الحقيقية للمسيح. لهذا قال الكتاب "أما المتنعمة فقد ماتت وهى حية" (١تى٥: ٦).

لا يمكن أن يجتمع النور والظلمة معاً.. لهذا فالتوبة هى بداية الطريق إلى الله كقول السيد المسيح فى دعوته: "توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات" (مت٤: ١٧).
فى وسط جهادات الحياة الروحية يختبر الإنسان عمل الروح القدس وهو يقوده إلى موكب النصرة.. ليفرح فى وسط صفوف الأبرار.
ولكن دائماً يلزمنا أن نجاهد وأن "نحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمّله يسوع" (عب١٢: ١، ٢).

مع العريس

وهكذا نرى فى كل جوانب الحياة مع الله أن اللقاء مع المسيح يلزمه معانقة وقبول الصليب. وأن من يهرب من الضيقة يهرب من الله؛ لأنه يفقد فرصة اللقاء معه، فى وسط الضيقة يحمله ويعزّيه. كقول السيد المسيح لعروس النشيد عن عشرته معها فى طريق الألم المؤدّى إلى حلاوة التعزية: "قد دخلتُ جنتى يا أختى العروس. قطفتُ مُرّى مع طيبى. أكلتُ شهدى مع عسلى. شربتُ خمرى مع لبنى. كلوا أيها الأصحاب اشربوا واسكروا أيها الأحباء" (نش٥: ١).

ف- شهادة السيد المسيح للأسفار المقدسة

اهتم السيد المسيح بالكتب المقدسة وشهد لها فى مواضع ومناسبات عديدة. وشهادة السيد المسيح لهذه الكتب لم تكن شيئاً جديداً لأنها قد حفظت عبر الأجيال السابقة لظهوره فى الجسد وبالطبع كان هو أيضاً حافظها بعنايته الإلهية.

مكتوب

أول شئ نقرأ عنه فى الإنجيل المقدس عن استخدام السيد المسيح لآيات واضحة من الأسفار المقدسة هو رده القاطع بعدما جاع أخيراً فى التجربة على الجبل حينما قال له إبليس: "إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً" (مت٤: ٣). وكان الرد: "**مكتوب** ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (مت٤: ٤).

وحتى حينما حاول إبليس أن يلجأ إلى الخداع بالاستناد إلى آيات من الكتاب المقدس رد عليه السيد المسيح بآيات أخرى تكشف مكر إبليس وخداعه. وكان إبليس قد أخذه إلى المدينة المقدسة وأوقفه على جناح الهيكل وقال له: "إن كنت ابن الله فأطرح نفسك إلى أسفل، لأنه مكتوب: أنه يوصى ملائكته بك، فعلى أياديهم يحملونك لكى لا تصدِم بحجر رجلك" **(مت٤: ٦)**. فرد عليه السيد المسيح وقال له: "**مكتوب أيضاً**: لا تجرب الرب إلهك" **(مت٤: ٧)**. وبهذا أوضح السيد المسيح كيفية استخدام الآيات بطريقة سليمة وفى موضعها الصحيح.

فى كل ذلك أكّد السيد المسيح أهمية الاستناد إلى كلام الله الموجود فى الأسفار المقدسة لمواجهة حروب إبليس. والعجيب أنه فيما استند إبليس إلى آيات الكتاب المقدس. فإنه قد حرك بمكره بعض الناس خاصة فى هذه الأزمنة الأخيرة للتشكيك فى الوحى الإلهى وفى أسفار الكتاب تحت اسم نقد الكتاب المقدس Bible Criticism. لأن الشيطان له وسائل وطرق كثيرة فى خداع الناس وتضليلهم.

شهادة السيد المسيح للمزامير

أشار السيد المسيح إلى أن المزامير قد كتبت بوحى من الروح القدس، وأن كاتبها هو القديس داود النبى والملك. وكان ذلك "فيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلاً: ماذا تظنون فى المسيح. ابن من هو؟ قالوا له: ابن داود. قال لهم: فكيف **يدعوه داود بالروح** رباً قائلاً: قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. فإن كان داود يدعوه رباً، فكيف يكون ابنه؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتّة" (مت٢٢: ٤١-٤٦).

على الصليب

أراد السيد المسيح أن يلفت نظر المحيطين به إلى ما ورد عن صلبه من نبوات واضحة **فى سفر المزامير** فقال: "إلهى إلهى لماذا تركتنى" (مت٢٧: ٤٦).

وهو بهذا قد استخدم بداية المزمور الثانى والعشرين الذى يقول: "**إلهى إلهى لماذا تركتنى** بعيداً عن خلاصى عن كلام زفيرى.. كل الذين يروننى يستهزئون بى يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين: اتكل على الرب فلينجّه. لينقذه لأنه سر به.. أحاطت بى ثيران كثيرة، أقوياء باشان اكتنفتنى. فغروا علىّ أفواههم كأسد مفترس مزمجر.. يبست مثل شقفة قوتى ولصق لسانى بحنكى وإلى تراب الموت تضعنى. لأنه قد أحاطت بى كلاب. جماعة من الأشرار اكتنفتنى. ثقبوا يدىّ ورجلىّ. أحصى كل عظامى وهم ينظرون ويتفرسون فىّ. يقسمون ثيابى بينهم وعلى لباسى يقترعون" (مز٢٢: ١، ٧، ٨، ١٢، ١٣، ١٥-١٨).

إنه وصف عجيب لأحداث صلب السيد المسيح امتلأ به هذا المزمور ويعتبر **ترديد السيد المسيح للعبارة الأولى فيه إشارة وشهادة لما يحويه المزمور من نبوات دقيقة وواضحة عن الصلب** بما فى ذلك تعييرات اليهود للسيد المسيح

بقولهم: "قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده" (مت ٢٧: ٤٣). وتسمير الجند له على الصليب ثاقبين يديه ورجليه بالمسامير واقتسامهم ثيابه بينهم وإلقائهم القرعة على لباسه "ولما صلبوه، اقتسموا ثيابه مقترعين عليها. **لكى يتم ما قيل بالنبى** اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة" (مت ٢٧: ٣٥).

وهنا نرى شهادة من القديس متى الإنجيلى لما ورد فى نفس المزمور وأن ما حدث فى اقتسام ثياب السيد المسيح وإلقاء القرعة على لباسه هو إتمام للنبوة الواردة فيه.

وقد دعى السيد المسيح "ابن داود" (مت٢١: ٩)، ودعيت مملكته "مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب" (مر١١: ١٠).

وعلى جبل التجلى التقى الناموس والأنبياء مع صاحب المزامير الحقيقى وهو السيد المسيح فكان موسى ممثلاً للناموس، وإيليا ممثلاً للأنبياء، أما المزامير فقد تحققت فى شخص ابن داود.

بل أن هوشع النبى يعطى لقب داود للسيد المسيح فى قوله: "لأن بنى إسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك، وبلا رئيس، وبلا ذبيحة، وبلا تمثال، وبلا أفود وترافيم. بعد ذلك يعود بنو إسرائيل **ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويفزعون إلى الرب وإلى جوده فى آخر الأيام**" (هو٣: ٤، ٥).

ومن الواضح هنا أن عبارة "يطلبون داود ملكهم فى آخر الأيام" هى كناية عن عودة بنى إسرائيل إلى السيد المسيح بعد رفضهم له وعدم اعترافهم بملكه الذى قال عنه الملاك جبرائيل للسيدة العذراء "ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه.. ولا يكون لملكه نهاية" (لو١: ٣٢، ٣٣).

إن من يتغنى بالمزامير فإنما يتغنى بحياة السيد المسيح، أو يتغنى بعمل السيد المسيح فى حياة الإنسان.

للمسيح تُقدَّم الصلاة، وبالمسيح تقدم الصلاة، وفى المسيح تقدم الصلاة. وعليه ينطبق قول المزمور "أما أنا فصلاة" (مز١٠٩: ٤).

لقد كان السيد المسيح هو الكاهن وهو الذبيحة وهو المُصعد وهو الصعيدة {هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة عن خلاص جنسنا فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة}.

ما أجمل أن يكون السيد المسيح هو أنشودة حياتنا: نشدو به ونشدو بحبه ونتذوقه جديداً فى كل يوم.

مع التلاميذ بعد القيامة

حينما ظهر السيد المسيح لتلاميذه وهم مجتمعين بعد القيامة "قال لهم: هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى **ناموس موسى والأنبياء والمزامير** حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب. وقال لهم **هكذا هو مكتوب** وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى اليوم الثالث" (لو٢٤: ٤٤-٤٦)، وبهذا أوضح السيد المسيح أن ما ورد من نبوات فى سفر المزامير هو مكتوب بوحى من الله لهذا كان ينبغى أن يتم جميع ما هو مكتوب فى أسفار العهد القديم بما فى ذلك سفر المزامير.

وكان فى حديثه مع تلميذى عمواس بعد القيامة قد "ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسّر لهما الأمور المختصة به فى **جميع الكتب**" (لو ٢٤: ٢٧).

فتح ذهنهم ليفهموا الكتب

ورد فى نص قانون الإيمان الأرثوذكسى [قام من الأموات فى اليوم الثالث **كما فى الكتب**] وهذا النص مأخوذ مما ورد فى كلام السيد المسيح لتلاميذه بعد القيامة كما ذكرنا سالفاً ومستند على ما ورد فى الكتب المقدسة التى كتبت قبل مجيء السيد المسيح إلى العالم.

ولكن الأمر الهام جداً هو أن السيد المسيح قد فتح ذهن التلاميذ ليفهموا الكتب. بمعنى أنه لم يكتفِ فقط بما شرحه وأوضحه لهم من معانى النبوات المختصة به فى جميع الكتب، بل فتح ذهنهم ليفهموا الكتب.

ما أروع هذا الأمر أن يُرفع البرقع الذى وضعه موسى على وجهه رمزاً لأن الأسرار الإلهية التى لم يستطع عامة البشر أن يفهموها قد أصبحت واضحة ومعلنة وجلية فى العهد الجديد.

وقد شرح معلمنا بولس الرسول هذا الأمر مبيناً السبب فى أن شعب إسرائيل حتى اليوم لا يفهمون الكتب أى أسفار العهد القديم كما فهمها تلاميذ المسيح فقال: "فإذ لنا رجاء مثل هذا نستعمل مجاهرة كثيرة. وليس كما كان موسى يضع برقعاً على وجهه لكى لا ينظر بنو إسرائيل إلى نهاية الزائل. بل أغلظت أذهانهم، لأنه **حتى اليوم** ذلك البرقع نفسه عند قراءة العهد العتيق باقٍ غير منكشف، الذى يبطل فى المسيح. لكن حتى اليوم حين يُقرأ موسى، البرقع موضوع على قلبهم. ولكن عندما يرجع إلى الرب يرفع البرقع" (٢كو٣: ١٢-١٦).

إن شعب إسرائيل لسبب قساوة قلوبهم وعدم توبتهم حتى الآن، لا يقدرون أن يفهموا أسفار الكتاب المقدس العهد القديم الموجودة بين أيديهم والتى يقرأونها باستمرار فى مجامعهم.

ولكن وجود هذه الأسفار فى أيديهم بنفس النصوص الموجودة فى أيدينا هى شهادة لصحة هذه الأسفار المقدسة واستمراريتها عبر الأجيال.

سمعتم أنه قيل للقدماء

فى الموعظة على الجبل انطلق السيد المسيح بكثير من وصايا العهد القديم إلى كمالها فى العهد الجديد كما سبق فقال: "لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل" (مت٥: ١٧).

وفى حديثه عن كمال الوصايا القديمة اقتبس من الكتب المقدسة.

وفى قوله "**قيل للقدماء**" إشارة إلى أن كلامه التالى لذلك؛ هو وصايا العهد الجديد.

وقد ورد فى كلام وتعليم السيد المسيح اقتباسات أخرى من العهد القديم وكلام كثير عن العهد القديم مثل أحاديثه عن أب الآباء إبراهيم وعن موسى النبى وعما ورد فى سفر دانيال عن نهاية العالم..

السيف الماضى ذو الحدين

ورد فى سفر الرؤيا عن السيد المسيح قوله عن نفسه: "هذا يقوله **الذى له السيف الماضى ذو الحدّين**" (رؤ٢: ١٢).

وذلك كما رآه يوحنا الرسول "**وسيف ماض ذو حدّين يخرج من فمه**" (رؤ١: ١٦).

فما معنى أن السيد المسيح هو الذى له السيف ذو الحدين أو أن سيفاً ماضياً ذا حدين يخرج من فمه؟

إن خروج السيف من فم السيد المسيح يشير إلى الكلام والوصايا والإعلانات والإنذارات التى نطق بها السيد الرب أثناء خدمته على الأرض، أو فى كلامه الذى سمعه يوحنا فى رؤياه بعد صعود السيد المسيح إلى السماء، أو عموماً فى كل ما تكلم به الرسل والأنبياء.

وقد ورد فى فاتحة سفر الرؤيا العبارات التالية: "إعلان يسوع المسيح الذى أعطاه إياه الله ليُرى عبيده ما لابد أن يكون عن قريب وبيّنه مرسلاً بيد ملاكه لعبده يوحنا الذى شهد **بكلمة الله وبشهادة يسوع المسيح** بكل ما رآه" (رؤ١: ١، ٢).

وقد ربط القديس بولس الرسول كلمة الله بالسيف ذى الحدين فى قوله "لأن **كلمة الله حيّة وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين** وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميّزة أفكار القلب ونياته" (عب٤: ١٢).

إذن فهناك إصرار فى الكتاب المقدس فى أكثر من موضع على **الربط بين كلمة الله وبين السيف الماضى ذى الحدين**.

والسر فى ذلك أن السيف الماضى ذا الحدين يستطيع أن يخترق الأجساد لا أن يقطع منها فقط.

أى أنه يدخل إلى عمق العمق بلا عائق. أما السيف غير الماضى أى غير المسنون أو غير الحاد وكذلك السيف ذو الحد الواحد فإما أنه لا يدخل إلى العمق أو أنه يعمل بحد واحد فقط؛ فيقطع الأجزاء الظاهرة كالرقبة واليدين والرجلين ولكنه لا يدخل مخترقاً إلى العمق.

لهذا قال معلمنا بولس الرسول عن كلمة الله أنها حيّة وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ومميزة أفكار القلب ونياته.

بمعنى أن كلمة الله تستطيع أن تخترق كيان الإنسان نفسياً وروحياً. وتستطيع أن تكشف الخبايا الداخلية فى قلب الإنسان ونواياه.

هناك فرق بين كلام البشر وكلام الله. كلام البشر قد يؤثر فى العاطفة وقد يقنع العقل بدرجات متفاوتة ولكنه لا يستطيع أن يخترق إلى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ ويميز أفكار القلب ونياته.

لهذا فهناك فرق بين عظة تعتمد على مهارة الواعظ وفصاحته، وبين عظة تعتمد على أقوال الكتاب المقدس التى هى أنفاس الله.

العظة المشبعة حقاً هى التى تحوى كثير من الآيات المأخوذة من الكتاب المقدس، والتى تدخل إلى قلوب السامعين، إذ يشعروا أن الرب يكلمهم بكلامه الذى يطهر القلب ويمنح قوة للسامعين ويصل إلى أعماق قلوبهم ويوقظ ويهذب ضمائرهم، حتى يُنخسوا فى قلوبهم مثلما نُخست قلوب اليهود فى يوم الخمسين ثم آمنوا واعتمدوا وقبلوا عطية الروح القدس.

إن قراءة الإنجيل فى صلوات الكنيسة هى عنصر هام فى العبادة الليتورجية، وفى إتمام الأسرار المقدسة. ويقترن بذلك قراءات من رسائل القديس بولس الرسول، ومن الرسائل الجامعة، ومن سفر أعمال الرسل. كما إن قراءة الإنجيل يسبقها أجزاء من المزامير المقدسة.

بالإضافة إلى ذلك يُقرأ سفر الرؤيا بكامله فى طقس أبوغالمسيس بعد قراءة تسابيح الأنبياء. وتُقرأ أجزاء كثيرة من أسفار العهد القديم طوال الصوم الكبير، وفى طقس أسبوع الآلام، وفى طقس اللقان فى عيد الغطاس وفى خميس العهد وفى عيد الآباء الرسل.

كما أن تسبحة نصف الليل تحوى أجزاء من الكتب المقدسة مثل تسبحة عبور البحر الأحمر من سفر الخروج لموسى النبى والمزامير ١٤٨و١٤٩و١٥٠.

أما المزمور ١٥١ فيُقرأ فى بداية سهرة ليلة السبت الكبير. كما أن سفر المزامير يقرأ بكامله فى نهاية طقس الجمعة العظيمة. كما أن مراثى أرميا تقرأ فى الجمعة العظيمة فى بداية صلوات الساعة الثانية عشر.

بهذا نرى أمثلة لاهتمام الكنيسة بقراءة كلمة الله فى طقوسها، كما أنها بذلك تدعو الجميع أن يتعمّقوا فى دراسة الكتب المقدسة كقول المزمور الكبير "**لأن شهاداتك هى درسى، وحقوقك هى مشوراتى**" (مز ١١٨: ٢٤).

من أمثلة السيف ذى الحدين: قول المزمور أن "**الرحمة والحق تلاقيا**" (مز٨٤: ١٠) أى أن **كلمة الله تجمع الرحمة مع الحق.** فهى ذات حدين وليس حد واحد. أما البشر فقد يميلون أحياناً إلى الرحمة **فقط** أو إلى العدل **فقط** فى كلامهم أو فى حكمهم على الأمور.

وصيته هى حياة أبدية

قال السيد المسيح عن الآب "**وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية**" (يو١٢: ٥٠).

لذلك لا نعجب أن المزمور الكبير (مز١١٨) يتجه نحو اشتهاء وصايا الله والطلب الحار المتكرر فى كل قطعة (ق.)، بأن يساعدنا الله على حفظ وصاياه. مثل قول المرنم:

- "أنت أمرت أن تحفظ **وصاياك** جداً، فياليت طرقى تستقيم إلى حفظ **حقوقك**" (ق. ١).
- "من كل قلبى طلبتك، فلا تبعدنى عن **وصاياك**" (ق. ٢).
- "اشتاقت نفسى إلى اشتهاء **أحكامك** فى كل حين" (ق. ٣).

- "فى طريق **وصاياك** سعيت عندما وسّعت قلبى" (ق. ٤).
- "ضع لى يا رب ناموساً فى طريق **حقوقك**، فأتبعه كل حين" (ق. ٥).
- "فهّمنى فأبحث عن **ناموسك**، وأحفظه بكل قلبى" (ق. ٥).
- "إهدنى فى سبيل **وصاياك**، فإنى إياها هويت" (ق. ٥).
- "ها قد اشتهيت **وصاياك**، فأحينى بعدلك" (ق. ٥).
- "لهجت **بوصاياك** التى أحببتها جداً، وتأملت **فرائضك**" (ق. ٦).
- "**حقوقك** كانت لى مزامير فى موضع مسكنى. ذكرت فى الليل اسمك يا رب، وحفظت **شريعتك**. هذا صار لى لأنى طلبت **حقوقك**" (ق. ٧).
- "حظى أنت يا رب فقلت: أن أحفظ **وصاياك**" (ق. ٨).
- "فى نصف الليل نهضت لأشكرك على **أحكام عدلك**.. من رحمتك يا رب امتلأت الأرض فعلمنى **عدلك**" (ق. ٨).
- "صالح أنت يا رب، فبصلاحك علّمنى **حقوقك**. كثر على ظُلم المتكبرين، وأنا بكل قلبى أبحث عن **وصاياك**" (ق. ٩)
- "يداك صنعتانى وجبلتانى، فهّمنى فأتعلم **وصاياك**" (ق. ١٠)
- "حسب رحمتك أحينى فأحفظ **شهادات فمك**" (ق. ١١).
- "إلى الدهر لا أنسى **وصاياك**، لأنك بها أحييتنى يا رب" (ق. ١٢).
- "**ورثت شهاداتك** إلى الأبد، لأنها بهجة قلبى. عطّفت قلبى لأصنع **برّك** إلى الأبد، من أجل المكافأة" (ق. ١٤).
- "اصنع مع عبدك حسب رحمتك، و**حقوقك** علمنى. عبدك أنا فهمنى فأعرف **شهاداتك**" (ق. ١٦).
- "لأجل هذا أحببت **وصاياك** أفضل من الذهب والجوهر" (ق. ١٦).
- "أضئ بوجهك على عبدك، وعلمنى **حقوقك**" (ق. ١٧).
- "عادلة هى **شهاداتك** إلى الأبد، فهمنى فأحيا" (ق. ١٨).
- "صرخت من كل قلبى فاستجب لى يا رب، إنى أبتغى **حقوقك**" (ق. ١٩)
- "سبقت عيناى وقت السَحر لألهج فى جميع **أقوالك**، فاسمع صوتى يا رب كرحمتك وبحسب **أحكامك** أحينى" (ق. ١٩).
- "رأفتك كثيرة جداً يا رب، فحسب **أحكامك** أحينى" (ق. ٢٠).
- "أبتهج أنا **بكلامك** كمن وجد غنائم كثيرة" (ق. ٢١).
- "فلتدنُ وسيلتى قدامك يا رب **كقولك** فهمنى. لتدخل طلبتى إلى حضرتك، ككلمتك أحينى" (ق. ٢٢).

كذلك فإن المزمور الكبير (١١٨) يحوى الكثير من النصوص التى يطلب فيها المرنم الخلاص من خلال حفظ وصايا الله أو من خلال مواعيده. ومن أمثلة ذلك:

- "لتأت علىّ رحمتك يا رب و**خلاصك كقولك**" (ق. ٦).
- "فلتأت علىّ رحمتك لتعزينى، **نظير قولك لعبدك**. ولتأتنى رأفتك فأحيا. فإن **ناموسك** هو درسى" (ق. ١٠)
- "تاقت نفسى إلى **خلاصك**، وعلى **كلامك** توكلّت. كلّت عيناى من انتظار **أقوالك** قائلتين متى تُعزينى" (ق. ١١).
- "لو لم تكن **شريعتك** تلاوتى، لهلكت حينئذ فى مذلتى. وإلى الدهر لا أنسى **وصاياك**، لأنك بها أحييتنى، يا رب. لك أنا **فخلصنى**" (ق. ١٢).
- "أعنى **فأخلص**، وأدرس فى **وصاياك** كل حين" (ق. ١٥).
- "عيناى قد ذبلتا من انتظار **خلاصك**، **وقول عدلك**" (ق. ١٦).
- "صرخت إليك **فخلِّصنى**، لأحفظ **شهاداتك**" (ق. ١٩).
- "انظر إلى تواضعى وأنقذنى، فإنى لم أنس **ناموسك**، أحكم لى فى دعواى ونجنى من أجل كلامك أحينى. بعيد هو **الخلاص** من الخطاة، لأنهم لم يطلبوا **حقوقك**" (ق. ٢٠).
- "توقعت **خلاصك** يا رب، **ووصاياك** حفظتها" (ق. ٢١).
- "لتكن يدك **لخلاصى**، لأننى أشتهيت **وصاياك**. اشتقت إلى **خلاصك** يا رب **وناموسك** هو لهجى" (ق. ٢٢).

تقريباً لا تخلو جملة من المزمور الكبير من الإشارة إلى وصايا الله بعبارات: وصاياك، شهاداتك، حقوقك، كلامك، شهادات فمك، قولك، أحكامك، أقوالك، فرائضك، عدلك، برّك. حقاً إنه مزمور حفظ الوصية والسلوك فيها لأنها حياة أبدية كما قال السيد المسيح.

الباب الخامس
الموعظة على الجبل

١. التطويبات
٢. أنتم ملح الأرض – أنتم نور العالم
٣. وصايا الكمال لشريعة العهد الجديد
٤. الصدقة والعطاء والصلاة
٥. صلاة أبانا الذى فى السماوات
٦. الصوم – لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض
٧. سراج الجسد هو العين...
٨. لا يقدر أحد أن يخدم سيدين..
٩. عناية الله بنا والاتكال عليه
١٠. لا تدينوا لكى لا تدانوا..
١١. لا تعطوا القدس للكلاب..
١٢. اسألوا تعطوا – محبة القريب
١٣. الباب الضيق – الباب الواسع
١٤. الاحتراس من الأنبياء الكذبة
١٥. ختام الموعظة على الجبل

كتب معلمنا متى الإنجيلى عن تعاليم السيد المسيح فى الموعظة على الجبل وقال: "**ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل، فلما جلس تقدّم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلّمهم قائلاً: طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات**" (مت٥: ١-٣).

اختار السيد المسيح أن يصعد إلى الجبل لكى يعلّم تلاميذه والجموع بأقوال روحانية سامية جداً.. صعد إلى الجبل، لكى يرتفع بأنظارهم وعقولهم نحو السماء بعيداً عن الأرضيات، واهتمامات العالم الباطلة.

وكما أعطى الرب شريعته لموسى قديماً على جبل حوريب فى برية سيناء.. هكذا أعطى السيد المسيح شريعة العهد الجديد على جبال أورشليم.

وفى حديثه عن الشريعة كان يقارن بين القديم والجديد.. "سمعتم أنه قيل للقدماء.. أما أنا فأقول لكم.." (مت٥: ٢١، ٢٢، ٢٧، ٢٨، ٣٣، ٣٤).

الجبل وحياة الصلاة

الجبل فى مفهوم الكتاب المقدس يعطينا فكرة عن سمو الله وعظمته وعدم تغيره، ويعطينا إحساساً بالخشوع أمام رهبة الجبل المرتفع الكبير.

وقد استخدم السيد المسيح الجبال فى صومه وتجربته على الجبل وفى موعظته، وفى تجلّيه أما أعين تلاميذه بعد أن أخذهم على انفراد إلى الجبل ليصلّى، وفى صلبه على جبل الجلجثة، وفى صعوده بعد القيامة.

لهذا يقول المزمور "أساساته **فى الجبال المقدسة**، يُحب الرب أبواب صهيون أفضل من جميع مساكن يعقوب" (مز٨٦: ١).

على جبل التجلى ظهر مع السيد المسيح موسى وإيليا محاطين بمجد الابن الوحيد.. والثلاثة؛ أى موسى وإيليا والسيد المسيح هم جميعاً من رجال الجبل، والبرية، والصوم الأربعينى على الجبل والصلاة.

الجبل يشير إلى حياة الصلاة.. ومن أراد أن يفهم وصايا الله المقدسة، ينبغى أن يصلّى ويرفع نفسه وعقله إلى الله مردداً مع المرنم "رفعت عينى إلى الجبال من حيث يأتى عونى. معونتى من عند الرب" (مز١٢٠: ١، ٢).

ينبغى أن يطلب الإنسان معرفة شرائع الله وأحكامه ووصاياه، ويفهمها ويحفظها مثل قول المرنم: "**اكشف عن عينى**، فأتأمل عجائب من ناموسك، غريب أنا فى الأرض، **فلا تخف عنى وصاياك.** اشتاقت نفسى إلى اشتهاء أحكامك فى كل حين" (مز١١٨: ق. ٣). وقوله أيضاً "**ضع لى يا رب ناموساً** فى طريق حقوقك، فأتبعه كل حين. **فهمنى فأبحث عن ناموسك، وأحفظه بكل قلبى. اهدنى فى سبيل وصاياك** فإنى إياها هويت. أمل قلبى إلى شهاداتك، لا إلى الظلم" (مز١١٨: ق. ٥).

إن الإنسان يصلى لكى يكشف له الرب وصاياه، ويصلى أيضاً مردداً وصاياه مثل قول المزمور: "ولهجت بوصاياك التى أحببتها جداً، ورفعت يدى إلى وصاياك التى وددتها جداً، وتأملت فرائضك" (مز١١٨: ق. ٦).

وقوله: "حقوقك كانت لى مزامير فى موضع مسكنى" (مز١١٨: ق. ٧). وكذلك قوله: "فى نصف الليل نهضت لأشكرك على أحكام عدلك" (مز١١٨: ق. ٨).

وإذ يدرك الإنسان صلاح الله وخيريته يدعوه أن يتفضل ويعلّمه وصاياه بهذه الخيرية وهذا الصلاح فيقول: "صالح أنت يا رب، **فبصلاحك** علمنى حقوقك" (مز١١٨: ق. ٩).

وإذ يتأمل فى قدرة الله كخالق، فى خلقته العجيبة للإنسان العاقل يتوسّل بقوله: "**يداك صنعتانى وجبلتانى،** فهّمنى فأتعلّم وصاياك" (مز١١٨ : ق. ١٠). إن كنت يا رب قد صنعتنى كخالق فليس عسيراً عليك أن تقود ذهنى وروحى إلى فهم وصاياك فى عمقها وروعتها وجلالها.

إن الوصية الإلهية لا حدود لمعانيها وأبعادها. لهذا يحتاج الإنسان إلى عمل الله لكى يفهمها.. وعن اتساع الوصية الإلهية يقول المرنم: "لكل تمام رأيت منتهى، أما وصاياك فواسعة جداً" (مز١١٨ : ق. ١٢).

وفى حروبه الروحية مع الشياطين يشعر أن الوصية تحميه ويقول: "**كثُر علىَّ ظُلم المتكبرين، وأنا بكل قلبى أبحث عن وصاياك**" (مز١١٨: ق. ٩). ويقول أيضاً: "**وليخز المتكبرون،** لأنهم خالفوا الشرع علىّ ظلماً. وأنا كنت مثابراً على وصاياك" (مز١١٨ : ق. ١٠).

وفى مواعيد الله وكلامه يجد رجاء للخلاص فيتضرع بقوله "تاقت نفسى إلى خلاصك، وعلى **كلامك** توكلت. كلّت عيناى من انتظار أقوالك قائلتين متى تعزينى؟.. كم هى أيام عبدك؟ متى تجرى لى حكماً على الذين يضطهدوننى؟.. حسب رحمتك أحينى، فأحفظ شهادات فمك" (مز١١٨ : ق.١١).

من الأمور الجميلة والنافعة جداً أن يمزج الإنسان كلام الله بصلاته، وأن يصلّى لكى يعمل كلام الله فيه.. إنها مدرسة الصلاة التى نتعلمها من هذا المزمور الكبير..

فلما جلس

"ولما رأى الجموع صعد إلى الجبل. **فلما جلس** تقدم إليه تلاميذه. ففتح فاه وعلمهم قائلاً.." (مت٥: ١، ٢).

يقول سفر نشيد الأناشيد "مادام الملك فى **مجلسه** أفاح ناردينى رائحته" (نش١: ١٢). حينما **جلس** السيد المسيح فاحت رائحة الطيب من تعاليمه السامية.. إنها رائحة المسيح الذكية.. لأنه عمل وعلّم كما سجل معلمنا لوقا البشير فى سفر أعمال الرسل: "جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلّم به" (أع١: ١).

كذلك قيل عن السيد المسيح فى المزمور "**كرسيك** يا الله إلى دهر الدهور، قضيب الاستقامة هو قضيب ملكك" (مز٤٤: ٦).

حينما جلس السيد المسيح فإنه جلس على **كرسى التعليم** الربانى.. وكرسيه ثابت إلى أبد الدهور.

قال السيد المسيح عن تعليم موسى النبى: "على **كرسى موسى** جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا" (مت٢٣: ٢، ٣).

والأسقف فى الكنيسة يجلس على كرسيه ومن أبرز مهام الأسقف: التعليم، لهذا قيل "**يجب أن يكون الأسقف بلا لوم.. صالحاً للتعليم**" (اتى٣: ٢). قيل أيضاً "يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله. ملازماً للكلمة الصادقة التى بحسب التعليم لكى يكون قادراً أن يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناقضين" (تى١: ٧، ٩).

ولأن تعليم السيد المسيح هو الحق والاستقامة لهذا قيل عنه: "العدل والحق قاعدة كرسيه" (مز٩٧: ٢). وقيل أيضاً له "قضيب الاستقامة هو قضيب ملكك" (مز٤٤: ٦).

لما جلس السيد المسيح على الجبل تقدم إليه تلاميذه ليستمعوا إلى أقواله الإلهية الممتلئة نعمة وحياة.. كانوا مثل الأرض المتعطشة إلى مياة الأمطار.. وكانوا كالخراف التى يوردها الرب إلى مياه الراحة فتتقدم لتشرب وترتوى كقول السيد المسيح: "إن عطش أحد فليقبل إلىّ ويشرب" (يو٧: ٣٧).

على جبل سيناء تراءى مجد الرب "وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخن" (خر٢٠: ١٨). ولم يحتمل الشعب سماع صوته إذ ارتعبوا، وقالوا لموسى: "تكلم أنت معنا فنسمع، ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت" (خر٢٠: ١٩). ولكن حينما جاء السيد المسيح متجسداً، وقد أخلى نفسه، وأخفى مجده، وظهر فى الهيئة كإنسان.. تقدّم إليه التلاميذ فى ألفة ومحبة وطمأنينة. وهكذا استطاع الإنسان أن يقترب إلى الله بدون خوف ولا رعب، ولكن فى مودة ومهابة وخشوع مع طمأنينة فى أحضان الله المحب.

ففتح فاه وعلمهم

حينما فتح السيد المسيح فاه، انفتحت ينابيع الحكمة والحياة إلى أسماع البشر. وقيل عنه فى المزمور "**انسكبت النعمة على شفتيك**" (مز٤٤: ٢). كان السيد المسيح بالنسبة لتلاميذه مثل شجرة التفاح المثمرة. وقالت عنه عروس النشيد: "كالتفاح بين شجر الوعر كذلك حبيبى بين البنين. **تحت ظله اشتهيت أن أجلس وثمرته حلوة لحلقى**" (نش٢: ٣).

"**تقدّم إليه تلاميذه ففتح فاه وعلّمهم**".. حقاً لقد تذوق التلاميذ حلاوة تعاليم السيد المسيح. تعاليماً لم يجسر أحد أن ينطق بها من قبل.. لأنها تعاليم شريعة الكمال التى لا يستطيع أن يقبلها إلا المدعوون إلى نعمة الخلاص والتجديد، بالإيمان بذبيحة الابن الوحيد وشركة الموت والقيامة مع المسيح.

ونظراً لأن الكنيسة باعتبارها عروس المسيح تنطق نفس كلامه وشريعته وتعاليمه السامية، قال الرب لها فى سفر النشيد: "شفتاكِ يا عروس تقطران شهداً. تحت لسانك عسل ولبن" (نش٤: ١١). أى أن كلام الكنيسة حلو مثل كلام السيد المسيح.

فكما قيل للعريس: "انسكبت النعمة على شفتيك"، هكذا قيل للعروس "شفتاك يا عروس تقطران شهداً". إن الكنيسة لا يمكنها أن تُعلِّم تعليماً آخر بخلاف تعليم السيد المسيح.

وقد وعد السيد المسيح أن يرسل مواهب الروح القدس إلى الكنيسة لكى يأتى تعليمها موافقاً للحق الإلهى. وذلك لأن الروح القدس هو روح الحق الذى من عند الآب ينبثق. وعن هذا الوعد الذى تحقق فى يوم الخمسين قالت العروس: "استيقظى يا ريح الشمال وتعالى يا ريح الجنوب هبى على جنتى فتقطر أطيابها. ليأتِ حبيبى إلى جنته ويأكل ثمره النفيس" (نش٤: ١٦).

١-التطوبيات

بدأ السيد المسيح تعليمه المقدس بمجموعة رائعة من التطوبيات يغبط فيها الذين يسلكون بحسب قيادة الروح القدس ويتمتعون بعطاياه الغنية. وشرح السيد المسيح فى هذه التطوبيات كيف يسلك الإنسان فى طريق الله حتى يصل إلى سعادة الملكوت بالرغم مما قد يعترض طريقه من صعوبات وآلام وأحزان.

كان جميلاً أن يبدأ السيد المسيح تعاليمه وتقديم شرائع الكمال التى للعهد الجديد بتطويب أولئك الذين سوف يقبلون شرائعه بفرح ومسرة ويسلكون فيها بشغف وطاعة ومحبة.

لم يذكر السيد المسيح فى بداية حديثه الويلات واللعنات التى تصيب الأشرار والخطاة إنما بدأه بالتطوبيات. لأن الأصل فى علاقة الإنسان بالله هو أن الإنسان قد خلق على صورة الله ومثاله.. خلقه الرب ليحيا ويتمتع بحلاوة الشركة معه.. خلقه سعيداً **طوباوياً** ليحيا فى الفردوس ويتنعم بخيراته ويحيا فى عشرة مقدسة مع الخالق العظيم.

طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات

وكما يبدأ المزمور الكبير الذى يتحدث كله عن وصايا الرب وأحكامه بالتطويب بعبارة "**طوباهم** الذين بلا عيب فى الطريق.. **طوباهم** الذين يفحصون عن شهاداته ومن كل قلوبهم يطلبونه" (مز١١٨: ١، ٢)، هكذا أيضاً بدأ السيد المسيح وصاياه **بالتطوبيات** وقال: "**طوبى** للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السماوات" (مت٥: ٣). وكأن الموعظة على الجبل هى السجل العملى لما سبق أن أنبأ عنه المزمور الكبير بقوله "**طوباهم** الذين يفحصون عن شهاداته ومن كل قلوبهم يطلبونه".

وقد اختار السيد المسيح أن يبدأ تطويباته الإلهية بتطويب المساكين بالروح.. لأن أساس كل فضيلة مقبولة عند الله هو الاتضاع والمسكنة بالروح. أو بمعنى آخر إن أى فضيلة تخلو من الاتضاع؛ لا تحسب فضيلة على الإطلاق.

أراد السيد المسيح أن يحارب الكبرياء التى كانت سبباً فى سقوط الإنسان ومعصيته، لهذا طوّب المسكنة بالروح قبل أن يطوّب باقى الفضائل مثل فضيلة الصبر على الأحزان أو فضيلة الشوق إلى البر أو فضيلة الرحمة.. إلخ.

المسكنة بالروح

المسكنة بالروح؛ مقصود بها الاتضاع الحقيقى النابع من الروح. أى ليس الاتضاع الظاهرى فى الجسد. لأن هناك من يتواضعون بأجسادهم –مثل أن يلبسوا الثياب الرثة أو المهلهلة– ولكنهم يستكبرون فى قلوبهم. الاتضاع الحقيقى هو الذى ينبع من القلب حيث ينسحق الإنسان أمام الله شاعراً بضعفه واحتياجه.

السيد المسيح ينطوى كلامه على تحذير من المسكنة التى ليست بالروح لأنها تضر أكثر مما تفيد. أى أن المسكنة تبدأ بالروح، ثم تؤثر على سلوك الإنسان فيتواضع أيضاً جسده مع روحه. وبهذا يزهد فى الأمور العالمية والمظاهر الخارجية بطريقة نابعة من القلب وليست تظاهراً أو تمثيلاً أو طلباً لمديح الناس.

المسكنة بالروح معناها أن يشعر الإنسان بفقره الشديد واحتياجه إلى الله. يشعر بالبؤس والعوز مثل أى مسكين يطلب صدقة. وهو بهذا يطلب إحساناً إلى روحه من قِبل الله القادر أن يعطى بسخاء ولا يعيّر.

لو عاش الإنسان كمسكين طوال حياته، فسيشعر بالاحتياج ولا يستغنى عن إنعامات الله وإحساناته.

وقد حذّر الرب فى سفر الرؤيا من الإحساس بالاكتفاء والاستغناء فقال لملاك كنيسة اللاودكيين: "هكذا لأنك فاتر ولست بارداً ولا حاراً، أنا مزمع أن أتقيأك من فمى. **لأنك تقول إنى أنا غنى وقد استغنيت ولا حاجة لى إلى شئ، ولست تعلم أنك أنت الشقى والبَئِس وفقير وأعمى وعريان**" (رؤ٣: ١٦، ١٧).

من يشعر أنه بائس يكون غنياً بالنعمة فى نظر الله، ومن يشعر أنه غنى هو بائس فى نظر الله.

إن الله يقاوم المستكبرين ويرفع المتضعين كقول السيدة العذراء فى تسبحتها: "أنزل الأعزاء عن الكراسى ورفع المتضعين، أشبع الجياع خيرات وصرف الأغنياء فارغين" (لو١: ٥٢، ٥٣).

ليتنا نسلك فى طريق المسكنة بالروح، لأنه هو الطريق الآمن المؤدى إلى ملكوت السماوات.

طوبى للحزانى لأنهم يتعزون

"**طوبى للحزانى لأنهم يتعزون. طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض..**" (مت٥: ٤، ٥) فى هذا التطويب كشف السيد المسيح بُعداً عميقاً من أبعاد الحياة المسيحية. وهو أن **الصليب هو طريق المجد.**

الحزن المقصود فى هذا التطويب هو نوع من التعبير عن المحبة نحو الله أو نحو الآخرين.

فمن يحزن على خطاياه مثلاً فقد بدأ طريق التوبة والرجوع إلى الله. لأن "الحزن الذى بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة" (٢كو٧: ١٠).

ومن يحتمل الأحزان، يشارك السيد المسيح فى أحزانه بدلاً من أن يقول له الرب: "انتظرت من يحزن معى فلم أجد" (انظر مز٦٩: ٢٠).

ربما تقترن الأحزان بالآلام وعن هذا يقول معلمنا بولس الرسول "إن كنا نتألم معه لكى نتمجد معه أيضاً" (رو٨: ١٧).

الحزن واحتمال الآلام من أجل الرب هى من الوسائل الفعّالة للامتلاء من الروح القدس.

لهذا يقول معلمنا بطرس الرسول: "إن عُيرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم" (١بط٤: ١٤). **والامتلاء بالروح القدس يمنح التعزية فى الحزن.**

الحزن مع المسيح هو أحد وسائل الالتقاء بالمسيح، لهذا فهو يؤدى إلى تعزيات روحية جزيلة.

مع المسيح يكتشف الإنسان الكثير من أسرار الحياة الروحية والحياة الإلهية.. أى يعرف الله ومقاصده الإلهية بصورة أعمق بكثير.

لاشك أن إبراهيم أب الآباء قد عرف الكثير عن الله وتدابيره ومقاصده حينما وضع إسحق على المذبح ليذبحه كمحرقة للرب حسب أمر الله له. هناك فهم إبراهيم حب ومقاصد الله الآب فى بذل ابنه الوحيد الجنس من أجل خلاص البشرية.

لهذا قال السيد المسيح: "أبوكم إبراهيم تهلل بأن يرى يومى فرأى وفرح" (يو٨: ٥٦).

وكيف رأى إبراهيم يوم السيد المسيح إلا عندما شارك بمشاعره المقاصد الإلهية فى تقديم ذبيحة الابن الوحيد.

إن الحزن الذى طوّبه السيد المسيح هو حزن المحبة التى تبذل نفسها وبلا حدود. والتى لا تستطيع أن تتجاهل الآخر، لأن الصليب هو منهجها المؤدى إلى مجد القيامة.

الحزن الذى طوّبه السيد المسيح هو التخلى عن أفراح العالم الباطلة والزائلة لكى يفرح الإنسان بالرب. لهذا قال الكتاب إن "الذهاب إلى بيت النوح خير من الذهاب إلى بيت الوليمة" (جا٧: ٢).

والحزن الذى طوّبه هو التعب من أجل ملكوت الله. مثل التعب فى الخدمة والتعب فى الجهاد الروحى واحتمال كل أنواع المعاناة من أجل الرب.

ألم يقل الكتاب إن "الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج" (مز١٢٥: ٥).

إن التعب هو علامة الجدية والالتزام وتقدير المسئولية سواء فى الزراعة أو فى الجهاد الروحى أو فى خدمة ملكوت الله.

لهذا وضع قداسة البابا شنودة الثالث منهجاً للرعاة فى الخدمة هو شعاره المشهور [إذا تعبنا فى الخدمة يستريح الشعب، وإذا استرحنا نحن يتعب الشعب].

الأحزان تفيد الإنسان

قال الآباء القديسون [إن كنا خطاة **فبالأحزان نؤدّب**. وإن كنا قديسين **فبالأحزان نُختبر**].

لا ينبغى أن يتذمر الإنسان لسبب ما يصيبه من أحزان. بل ينبغى أن يشكر الرب عليها لأنها لفائدته ومنفعته.

إن الحزن هو الطريق إلى التعزية ولهذا فمن يرفض الحزن يرفض ما تجلبه الأحزان من تعزيات [والذى يهرب من الضيقة يهرب من الله] كما قال الآباء.

التعزية التى يجلبها الحزن هى راحة حقيقية ومتعة غير زائلة كقول المرنم للرب فى المزمور "**عند كثرة همومى فى داخلى؛ تعزياتك تلذذ نفسى**" (مز٩٤: ١٩).

إن الإنسان الحزين هو موضع اهتمام الرب وانشغاله "كإنسان تعزّيه أمه" (إش٦٦: ١٣).

هكذا يعمل الرب فى تعزية كل إنسان حزين متكل على الله وملتصق بالرب المصلوب.

حزنكم يتحول إلى فرح

ليست المسيحية دعوة إلى الكآبة ولكنها دعوة إلى الفرح الذى لا يستطيع العالم أن ينزعه.

وقد أكدّ السيد المسيح هذه الحقيقة بقوله للتلاميذ قبيل الصليب: "إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح، **أنتم ستحزنون ولكن حزنكم يتحول إلى فرح**" (يو١٦: ٢٠).

وقال لهم أيضاً: "المرأة وهى تلِد تحزن لأن ساعتها قد جاءت، ولكنها متى ولدت الطفل لا تعود تذكر الشدة لسبب الفرح لأنه قد وُلد إنسان فى العالم" (يو١٦: ٢١).

وكان السيد المسيح بكلامه هذا يقصد ما سوف يصيبهم من أحزان بصفة عامة، وما سوف يحزنون به لسبب صلبه بصفة خاصة، ولهذا استطرد قائلاً: "أنتم كذلك عندكم الآن حزن. ولكنى سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم ولا ينزع أحد فرحكم منكم" (يو١٦: ٢٢).

وكان يقصد أنهم بعد أحزان الصليب سوف يرون الرب بعد قيامته ويفرحون فرحاً لا يستطيع العالم أن ينزعه.

إن أفراح القيامة تعقب دائماً أحزان الصليب. ومن يحزن مع المسيح لابد أن يفرح ويتعزى، ويفرح فى الأبدية حيث لا حزن ولا دموع حيث "يمسح كل دمعة من عيونهم" (رؤ٢١: ٤).

هناك أفراح من يد الرب ينالها الإنسان فى حياته على الأرض ويتعزى بها. وهناك أفراح أخرى مجيدة ينتظرها الإنسان فى الحياة الأبدية. ولهذا يقول الكتاب "فرحين فى الرجاء" (رو١٢: ١٢).

إن الروح القدس يمنح رجاءً للإنسان المؤمن، وهذا الرجاء يعزيه فى وسط أحزانه. لهذا يقول الكتاب "لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم" (١تس٤: ١٣).

"أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة هذه الثلاثة، ولكن أعظمهن المحبة" (١كو١٣: ١٣).

طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض

كانت الوداعة من الصفات المميزة فى حياة السيد المسيح فى خدمته. وكان يدعو تلاميذه لاقتناء هذه الفضيلة. فقال لهم: "تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت١١: ٢٩).

الوداعة وتواضع القلب لا يمكن فصلهما عن بعضهما البعض، وذلك فى المفهوم السليم لحياة الفضيلة.. كل وديع حقيقى هو متواضع القلب، وكل متواضع قلب حقيقى هو وديع.

فهناك من يتصرف خارجياً بأسلوب وديع، ولكن قلبه فى الداخل غير متضع. وربما تمدحه أفكاره بصورة تقود إلى العظمة الداخلية.. ولهذا فوداعته ليست حقيقية.

وهناك من الجانب الآخر من يفتكر أن قلبه متضع، ولكنه لا يسلك بوداعة، فاتضاعه ليس حقيقياً.

فالوداعة الكاملة هى وداعة المتواضعين فى قلوبهم، كما أن الاتضاع القلبى الكامل هو الذى يتشح بالوداعة ويتحلى بها.

الإنسان الوديع يكون مريحاً فى معاملاته، محبوباً من الناس.. ومحبوباً من الله.

لهذا قال الآب عن السيد المسيح فى سفر إشعياء: "هوذا فتاى الذى اخترته، حبيبى الذى سُرت به نفسى.. لا يخاصم، ولا يصيح، ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته. قصبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ" (مت١٢: ١٨-٢٠ ، انظر إش٤٢: ١-٣).

ونفس الكلمات نطق بها الآب السماوى أثناء عماد السيد المسيح: "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت" (مت٣: ١٧). فكلمة "**ابنى**" التى وردت فى الإنجيل هى نفسها كلمة "**فتاى**" التى وردت فى سفر إشعياء.

وقد سر الآب به لأنه "**لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته**" **وكلها علامات الوداعة.**

وقد جاء السيد المسيح إلى العالم معلِّماً للوداعة، بعد أن فقدت البشرية الصورة الجميلة التى خلقهم عليها "على صورة الله.. ذكراً وأنثى خلقهم" (تك١: ٢٧).

بدأ العنف يدخل إلى العالم بعد سقوط الإنسان. وقام قايين على أخيه الصديق هابيل وقتله. وبدأت الحروب والمخاصمات والكراهية تنتشر فى العالم. وفقد الإنسان صورته الهادئة الوديعة التى خلقه الله ليحياها.

وتفاقم العنف فى حياة الإنسان حتى أصبح أحياناً يتلذذ بتعذيب أخيه الإنسان.. وصار الأباطرة ومن حولهم يتمتعون برؤية المصارعة الدموية فى حلبات المصارعة. وأحياناً كان الإنسان يتغنى ويعزف الألحان على صوت أنين الآخرين وعذاباتهم.

كانت البشرية فى أشد الاحتياج لرؤية ذلك الوديع المتواضع القلب.. الذى بالرغم من قوته وقدرته الإلهية، لم يستخدم العنف فى رسالته على الأرض.

كان السيد المسيح ذا طلعة بهية مهابة، ولكنه كان وديعاً بصورة تفوق الوصف. وقد كُتِبَ عنه: "ظُلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه" (إش٥٣: ٧).

حينما كُلل بالشوك، وحينما جردوه من ثيابه ومدوه للجلد بالسياط، وحينما سخروا منه ولطموه قائلين تنبأ من لطمك، وحينما وضعوا عليه خشبة الصليب وخرج وهو حامل صليبه، وحينما مدوه على الصليب وسمروا يديه ورجليه، وحينما استهزأوا به وهو معلّق على الصليب وفغروا عليه أفواههم.. فى كل هذا كان وديعاً مسالماً مثل الحمل فلم يفتح فاه،

بل كان يشفع أمام الآب من أجل خلاص العالم، ومغفرة خطايا البشرية بما فى ذلك صالبيه، لكى يعلن أن الطريق إلى المغفرة بالتوبة مفتوح أمام الجميع بقوة الدم الزكى الذى سفك على الصليب.

فهو بحق قد صار كاهناً لأنه غفر خطايا كثيرين وشفع فى المذنبين، مدعواً من الله رئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكى صادق.

كان مجيء السيد المسيح إلى العالم هو نقطة تحول من العنف إلى الوداعة، ومن الكراهية إلى المحبة، ومن العداوة إلى المصالحة والسلام.

ميراث الأرض

ما الذى قصده السيد المسيح بقوله إن **الودعاء يرثون الأرض؟**

إن الإنسان الوديع إذ يكتسب محبة الآخرين فإنه يملك قلوبهم وهذا هو ميراث للأرض.. بل إن ذكراه تبقى إلى الأبد. وتحيا فى قلوب الذين يسمعون بسيرته. مثل سير القديسين التى هى شهية وحلوة ومحبوبة من الناس، حتى إنهم يطلقون أسماءهم على الكنائس والأديرة ويتسمون بأسمائهم.

كذلك فإن كرازة الودعاء تستطيع أن تجتذب الكثيرين من الظلمة إلى النور ومن عدم الإيمان إلى الإيمان الحقيقى ليتمتعوا بخيرات الحياة الأبدية. وقد أوصى الرسول بالوداعة فى عمل الكرازة حينما قال: "مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى **فيكم بوداعة** وخوف" (١بط٣: ١٥). وحينما يخلص البعض بكرازة الودعاء فإن الودعاء يكونون قد ورثوا الأرض. ونفس هذه العبارة قالها الآب للسيد المسيح كمخلص للأمم: "اسألنى فأعطيك **الأمم ميراثك**" (مز٢: ٨).

والودعاء الذين يتشبهون بالسيد المسيح ويستحقون أن ينالوا قيامة الأبرار يرثون الأرض أيضاً.

فالإنسان حينما أخطأ قال له الرب: "لأنك تراب وإلى تراب تعود" (تك٣: ١٩) بمعنى أن الأرض هى التى ترث الإنسان عند موته.

ولكن السيد المسيح إذ انتصر على الموت وصار باكورة الراقدين "فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضاً معه" (١تس٤: ١٤)، وبهذا يعود الجسد الذى ابتلعته الأرض إلى الحياة مرة أخرى.. الروح تأخذ جسدها معها إلى حياة أبدية وبهذا يكون الإنسان البار الذى سلك بالروح، قد استطاع أن يأخذ جسده المأخوذ منها أو المدفون فيها.. أخذه معه إلى ملكوت السماوات.

أيضا يشير كلام السيد المسيح عن ميراث الأرض إلى الأرض الجديدة كقول الكتاب فى سفر الرؤيا "**رأيت سماءً جديدة وأرضاً جديدة، لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا**" (رؤ٢١: ١). **هذه الأرض الجديدة هى ميراث للأبرار للحياة الأبدية**. وعن مثل هذه الأرض تكلّم السيد المسيح لأن الأرض الحالية سوف تزول.

طوبى للجياع والعطاش إلى البر، فإنهم يشبعون

بعد أن طوب السيد المسيح الودعاء قال: "**طوبى للجياع والعطاش إلى البر، فإنهم يُشبعون**" (مت٥: ٦).
ونريد أن نشرح معنى الجوع والعطش المقصود ومعنى البر الذى قصده السيد المسيح بكلامه.

الجوع والعطش

الإنسان الجسدانى، الذى يهتم باحتياجات جسده فقط، يشعر بالجوع والعطش الجسدانى ويسعى باستمرار لإشباع هذا الجسد بكل الوسائل. ولكنه لا يشعر بأن روحه هى أيضاً تحتاج إلى الغذاء والشراب الروحى. ولهذا فهو يترك روحه بلا غذاء ولا شراب، وتضعف الروح ويضعف تأثيرها على الجسد وتفقد قدرتها على قيادته.

فالسيد المسيح بقوله: "**طوبى للجياع والعطاش إلى البر**"، فإنه يمدح ويغبط ويطوّب أولئك الذين يشعرون بأهمية الجانب الروحى فى حياتهم، فلا ينشغلون باحتياجات الجسد عن احتياجات الروح. ولذلك فهم يمارسون الصوم مع الصلاة لكى تأخذ الروح فرصتها وغذاءها.

الروح تغتذى بكلام الله، وترتوى من مياه النعمة، أى من سكيب الروح القدس. وتشتاق دائماً أن تنال نصيبها لتحيا وتنمو فى معرفة الله وفى محبته. وهذا هو معنى الجوع والعطش إلى البر الذى فى المسيح.

معنى البر

البر المقصود فى كلام السيد المسيح، هو بر الله فى المسيح يسوع.. فليس هناك بر حقيقى بدون المسيح.

ويتضح ذلك من كلام القديس بولس الرسول "**بر الله** بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون" (رو٣: ٢٢)، "الفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة.. ليكون **باراً ويبرر** من هو من الإيمان بيسوع" (رو٣: ٢٤-٢٦).

فلا يوجد بر إلا بالإيمان بالمسيح.. أما أى بر آخر فيه اتكال على الذات فهو يعطل البر الذى فى الإيمان. مثلما قيل على اليهود الذين إذ أرادوا أن يثبتوا بر أنفسهم لم يدركوا البر الحقيقى. وهذا شرحه أيضاً القديس بولس الرسول بقوله: "إن الأمم الذين لم يسعوا فى أثر ناموس البر أدركوا البر. **البر الذى بالإيمان**. ولكن إسرائيل وهو يسعى فى **أثر ناموس البر**، لم يدرك ناموس البر. لماذا؟ لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان، بل كأنه بأعمال الناموس" (رو٩: ٣٠-٣٢).

فالإنسان الذى يسعى لإثبات بر نفسه -بعيداً عن الإيمان بالمسيح- يفقد فرصة التمتع ببر المسيح.

وقد لقب السيد المسيح بلقب "**البار**"، مثلما قال بطرس الرسول عنه لليهود بعد معجزة شفاء الأعرج عند باب الهيكل: "أنتم أنكرتم القدوس **البار** وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل. ورئيس الحياة قتلتموه، الذى أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك" (أع٣: ١٤، ١٥). وكذلك القديس اسطفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء قال نفس اللقب عن السيد

المسيح أمام مجمع اليهود: "أى الأنبياء لم يضطهده أباؤكم وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا **بمجيء البار** الذى أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه" (أع٧: ٥٢).

كذلك حنانيا أسقف دمشق الذى عمّد بولس الرسول قال له وقت عماده: "إله آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته **وتبصر البار** وتسمع صوتاً من فمه" (أع٢٢: ١٤)، وكان السيد المسيح قد ظهر لشاول الطرسوسى الذى هو بولس الرسول وتكلم معه وهو فى طريقه إلى دمشق.

وقد ورد هذا اللقب عن السيد المسيح أيضاً فى كتب العهد القديم وذلك فى نبوة أرميا النبى فى قوله: "ها أيام تأتى يقول الرب وأقيم لداود غصن بر فيملك ملك وينجح ويُجرى حقاً وعدلاً فى الأرض فى أيامه يخلص يهوذا ويسكن إسرائيل آمناً. وهذا هو اسمه الذى يدعونه به **الرب برنا**" (أر٢٣: ٥، ٦). ومن الواضح أن هذا اللقب هو من ألقاب الله "**الرب برنا**" وذلك لأن السيد المسيح هو الله الظاهر فى الجسد، أى الله الكلمة المتجسد.

فإذا كان السيد المسيح هو "**الرب برنا**"، **فإن من يشتاق إلى البر – يشتاق إلى السيد المسيح.**

فالإنسان الذى يجوع ويعطش إلى البر، هو يجوع ويعطش إلى المسيح "**البار**" وإلى النعمة التى يمنحها للمؤمنين باسمه القدوس.. ومن يجوع إلى المسيح هو من يسعى ليغتذى بجسده المقدس حسبما قال "أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء.. فمن يأكلنى فهو يحيا بى" (يو٦: ٥١، ٥٧).

من يجوع ويعطش إلى البر، هو من يسعى للامتلاء بالروح القدس من خلال وسائط النعمة التى رتبها السيد المسيح فى كنيسته المجيدة. فالامتلاء بالروح القدس هو ما قال عنه السيد المسيح: "من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى. قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه" (يو٧: ٣٨، ٣٩).

فإنهم يشبعون

إن عطايا الله تنتظر من يريدها.. مثلما قال الآباء: [الفضيلة تريدك أن تريدها]. الجوع إلى البر يؤدى إلى الشبع.

والعطش إلى البر يؤدى إلى الارتواء كقول الرب للمرأة السامرية عن الماء المادى "من يشرب من هذا الماء يعطش أيضاً ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد" (يو٤: ١٣، ١٤).

الله يمنح عطاياه لمن يرغب فيها.. لمن يشعر بقيمتها فيضحى للحصول عليها.. لمن يعرف أن كنوز العالم كله لا تساويها.. لأنها هى العطية الفائقة والعظمى..

طوبى للرحماء فإنهم يرحمون

بعد أن طوّب السيد المسيح الجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون قال "**طوبى للرحماء فإنهم يرحمون**" (مت٥: ٧).

الرحمة

الرحمة صفة من صفات الله الرحيم كما هو مكتوب عنه: "الرب الرب **إله رحيم** ورؤوف، بطئ الغضب وكثير الإحسان والوفاء" (خر٣٤: ٦).

"**الرب رحيم** ورؤوف طويل الروح وكثير الرحمة. لا يحاكم إلى الأبد ولا يحقد إلى الدهر. لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا. لأنه مثل ارتفاع السماوات فوق الأرض قويت رحمته على خائفيه. كبعد المشرق عن المغرب أبعد عنّا معاصينا. كما يترأف الأب على البنين يترأف الرب على خائفيه" (مز١٠٣: ٨-١٣).

"لأن الرب إلهك **إله رحيم** لا يتركك ولا يهملك ولا ينسى عهد أبائك الذى أقسم لهم عليه" (تث٤: ٣١).

"وأنت أيها الرب الإله، أنت رؤوف **ورحيم**. أنت طويل الروح وكثير الرحمة وصادق. انظر إلىّ وارحمنى. اعط عزّة لعبدك، وخلِّص ابن أمتك" (مز٨٥: ١٥، ١٦).

"**الرب رحيمٌ** وصدّيقٌ، **وإلهنا يرحم**. الذى يحفظ الأطفال هو الرب. اتضعت فخلصنى" (مز١١٤: ٥، ٦).

"جلال وبهاء عمله، وعدله دائم إلى أبد الأبد. ذكر جميع عجائبه. **رحيم هو الرب** ورؤوف" (مز١١٠: ٣، ٤).

"نور أشرق فى الظلمة للمستقمين. **رحيمٌ الرب الله** ورؤوف وبار" (مز١١١: ٤).

"الرب حنان **ورحيم** طويل الروح وكثير الرحمة. الرب صالح للكل ومراحمه على كل أعماله" (مز١٤٥: ٨، ٩).

"من ثم كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل شئ لكى يكون **رحيماً** ورئيس كهنة أميناً فيما لله حتى يكفر خطايا الشعب" (عب٢: ١٧).

والرحمة عند الله لا تتعارض مع عدله وحقه، لأن الله رحيم فى عدله وعادل فى رحمته. فصفات الله كلٌّ لا يتجزأ. ونحن نتكلم عنها على سبيل التفاصيل وليس على سبيل الفصل، كما قال **قداسة البابا شنودة الثالث** -أطال الرب حياة قداسته.

لهذا كما أوردنا قول المزمور "**عدله** دائم إلى الأبد.. **رحيم** هو الرب ورؤوف" (مز١١٠: ٣، ٤).

وقيل أيضاً عن الخلاص العجيب الذى صنعه الرب على الصليب، "لأن خلاصه قريب من جميع خائفيه. ليسكن المجد فى أرضنا. **الرحمة والحق تلاقيا**. والعدل والسلام تلاثما. الحق من الأرض أشرق، والعدل من السماء تطلع" (مز٨٤: ٩-١١).

وعن تلازم الرحمة والحق قيل "لا تدع **الرحمة والحق** يتركانك. تقلدهما على عنقك. أكتبهما على لوح قلبك فتجد نعمة وفطنة صالحة فى أعين الله والناس" (أم٣: ٣، ٤). وقيل أيضاً "أما يضل مخترعو الشر. أما **الرحمة والحق** فيهديان مخترعى الخير" (أم١٤: ٢٢). وأيضاً "**بالرحمة والحق** يستر الإثم وفى مخافة الرب الحيدان عن الشر" (أم١٦: ٦). وعن الملك قيل "**الرحمة والحق** يحفظان الملك وكرسيه يُسند بالرحمة" (أم٢٠: ٢٨)، وكذلك قيل عن تلازم العدل والرحمة "التابع **العدل والرحمة** يجد حياة حظاً وكرامة" (أم٢١: ٢١).

وهذه نصيحة ثمينة يقدّمها الكتاب: "قد أخبرك أيها الإنسان ما هو صالح. وماذا يطلبه منك الرب إلا أن **تصنع الحق وتحب الرحمة** وتسلك متواضعاً مع إلهك" (مي ٦: ٨).

فكما أن الرحمة هى صفة من صفات الله، ينبغى أيضاً أن يتصف بها أولاده كما قال السيد المسيح: "فكونوا **رحماء** كما أن أباكم أيضاً **رحيم**" (لو٦: ٣٦).

الرحمة تقترن بالعطف والحنان والرأفة وطول الروح وتدل على المحبة وطيبة القلب.

ونحن فى صلواتنا الكنسية نطلب الرحمة باستمرار قائلين: [**يا رب ارحم** أو كيرياليسون]. كذلك عندما نتذكر الدينونة الأبدية نصرخ قائلين: [**كرحمتك يا رب** ولا كخطايانا].

الرحمة تطرد القساوة من القلب، وتجعل الإنسان مستحقاً لمراحم الرب الكثيرة والفائقة.

وينبغى أن يتدرب الإنسان على ممارسة أعمال الرحمة المتنوعة متذكراً تطويب الرب للرحماء. ولا يمكن أن ينتظر الإنسان أن يعامله الرب برحمة إن لم يرحم غيره ويرحم المساكين والضعفاء {فإنه ليس رحمة فى الدينونة لمن لم يستعمل الرحمة} (قطع نصف الليل–الخدمة الثالثة).

مثل السامرى الصالح

سأل رجل ناموسى السيد المسيح: "من هو قريبى؟" فحكى له السيد المسيح قصة السامرى الصالح الذى صادف رجلاً يهودياً "كان نازلاً من أورشليم إلى أريحا فوقع بين لصوص فعرّوه وجرّحوه، ومضوا وتركوه بين حيٍّ وميت.. ولكن سامرياً مسافراً جاء إليه ولما **رآه تحنن**. فتقدم وضمد جراحاته وصب عليها زيتاً وخمراً وأركبه على دابته وأتى به إلى فندق واعتنى به".. وسأل السيد المسيح الرجل الناموسى عمن صادفوا الرجل المجروح "أى هؤلاء.. ترى صار قريباً للذى وقع بين اللصوص؟ فقال (الناموسى): **الذى صنع معه الرحمة**. فقال له يسوع: اذهب أنت أيضاً واصنع هكذا" (انظر لو١٠: ٢٩–٣٧).

وقد أشار الكتاب إلى أهمية الرحمة بالمساكين لكى ينال الإنسان رحمة وغفراناً عن خطاياه لسبب ممارسته للرحمة ودخوله فى مراحم الرب.

فقيل فى سفر دانيال للملك بلطشاصر "لذلك أيها الملك فلتكن مشورتى مقبولة لديك **وفارق خطاياك بالبر وآثامك بالرحمة للمساكين** لعله يطال اطمئنانك" (دا٤: ٢٧). وبالطبع من المفهوم أن غفران الخطايا يلزمه توبة ولكن التوبة لا تصير مقبولة إذا كان القلب قاسياً وغير رحيم، لأن الرب يستخدم الرحمة مع القلوب الرحيمة.

الرحمة بالمساكين

فى الصوم الكبير المقدس تبدأ قراءات الكنيسة فى أحد الرفاع بفصل من الإنجيل عن الصلاة والصدقة والصوم، يبرز فيه أهمية اقتران الصوم بالصلاة وبالرحمة بالمحتاجين والمتضايقين.
ولذلك ترتل الكنيسة فى ألحان الصوم الكبير طوال الصوم الكلمات التالية:

طوبى للرحماء على المساكين	فإن الرحمة تحل عليهم
والمسيح يرحمهم فى يوم الدين	ويحل بروح قدسه فيهم

هناك أناساً يصومون أصواماً عنيفة ولا يتذكّرون أن الصوم هو فرصة لمشاركة المساكين وللتحنن عليهم. **الصوم يقترن بالمسكنة والاتضاع والتوبة والصلاة والرحمة** لهذا قال الرب فى سفر إشعياء: "أليس هذا صوماً أختاره؟.. أليس أن تكسر للجائع خبزك. وأن تُدخل المساكين التائهين إلى بيتك. إذا رأيت عرياناً أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك" (إش٥٨: ٦، ٧).
من الواضح أن الصوم المقبول من الله هو الذى يقترن بالرحمة على الضعفاء والمساكين. وقد وردت إنذارات فى الكتاب المقدس للأغنياء الذين لا يستعملون الرحمة مع المحتاجين مثل قول يعقوب الرسول: "هلّم الآن أيها الأغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة. غناكم قد تهرأ وثيابكم قد أكلها العث. ذهبكم وفضتكم قد صدئا، وصدأهما يكون شهادة عليكم. ويأكل لحومكم كنار. قد كنزتم فى الأيام الأخيرة. هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة منكم تصرخ وصياح الحصادين قد دخل إلى أذنى رب الجنود. قد ترفهتم على الأرض وتنعمتم، وربيتم قلوبكم كما فى يوم الذبح" (يع٥: ١-٥).
ما أصدق قول داود النبى فى كلام النشيد الذى قال للرب: "**مع الرحيم تكون رحيماً. مع الرجل الكامل تكون كاملاً. مع الطاهر تكون طاهراً**، ومع الأعوج تكون ملتوياً. وتخلص الشعب البائس وعيناك على المترفعين فتضعهم" (٢صم٢٢: ٢٦-٢٨).

طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله

بعد أن طوّب السيد المسيح الرحماء قال: "**طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله**" (مت٥: ٨).

نقاوة القلب

النقاوة هى عطية من الله يمنحها لمن يطلبها بلجاجة، يجاهد من أجل الحصول عليها. ففى صلاة المزمور الخمسين يتضرع المرنم "قلباً نقياً اخلق فىّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدد فى أحشائى" (مز٥٠: ١٠).

والكتاب يقول: "إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة" (٢كو٥: ١٧)، الله يخلق للإنسان قلباً جديداً بالولادة الجديدة فى المعمودية، ويلزم أن يجاهد الإنسان ليحفظ لهذا القلب نقاءه بعدما استنار بالنعمة وصار أهلاً لفهم الأسرار والمقاصد الإلهية.

نقاوة القلب هى خلوه من الشر، ومن نوازع الشر، ومن محبة الخطية، ومن الميل إليها. ولن يصل القلب إلى هذه الحالة إلا إذا امتلأ من محبة الله، ومحبة البر.. أى إذا امتلأ من الروح القدس.

فليست نقاوة القلب هى فقط خلوه من محبة الخطية والميل إليها، بل من الناحية الإيجابية ينبغى أن يمتلئ القلب من محبة الله وبالتالى من محبة البر.

كان القديس الأنبا أبرآم أسقف الفيوم يظل طوال الليل يردد هذه العبارة فى صلاته: "قلباً نقياً اخلق فىّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدد فى أحشائى" إدراكاً منه لأهمية نقاوة القلب فى السعى نحو ملكوت السماوات.

وقد مدح الكتاب أيضاً نقاوة القلب فى المزمور بقوله: "من يصعد إلى جبل الرب، أو من يقوم فى موضع قدسه. الطاهر اليدين، النقى القلب" (مز٢٣: ٣، ٤).

وحينما أوصى الرب قائلاً: "**فوق كل تحفظ احفظ قلبك، لأن منه مخارج الحياة**" (أم٤: ٢٣)، كان يقصد أن يحفظ الإنسان قلبه نقياً وطاهراً، لأن منه مخارج الحياة.

والحواس هى أبواب القلب. فلكى يحفظ الإنسان قلبه الداخلى، ينبغى أن يحفظ حواسه الخارجية. لهذا قال السيد المسيح: "سراج الجسد هو العين. فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً. وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً، فإن كان النور الذى فيك ظلاماً، فالظلام كم يكون؟" (مت٦: ٢٢، ٢٣). والعين هى إحدى الحواس الخمس فى الإنسان.

ويلزم لاقتناء نقاوة القلب أن يقتنى الإنسان نقاوة الحواس. وأن يحفظ حواسه الجسدية من العثرات والشرور.. وأن يمتلئ بالروح القدس وتتقوى حواسه الروحية وتنمو، وتصير قادرة على التطلع نحو السماويات.

يعاينون الله

الأنقياء القلب يعاينون الله، يعاينونه بأعين قلوبهم.. لأن حواسهم الروحية قد استنارت بالنعمة.

يعاينونه بالإيمان وقد وعد السيد المسيح قائلاً: "الذى عنده وصاياى ويحفظها، فهو الذى يحبنى. والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه **وأظهر له ذاتى**" (يو١٤: ٢١).

الذين يولدون من الماء والروح بالميلاد الفوقانى، قال عنهم السيد المسيح إنهم هم الذين يدخلون ملكوت السماوات **ويعاينونه** (انظر يو٣: ٥).

فالميلاد الفوقانى هو الذى يجدد طبيعة الإنسان، ويمنحه نقاوة القلب حتى يؤهل لمعاينة مجد الله وملكوته السماوى.. يؤهل لمعاينة السيد المسيح فى مجده.

أنقياء القلب يعاينون الله، لأنهم سوف يعاينون السيد المسيح فى مجده، ويتمتعون برؤيته إلى أبد الدهور.

القلب النقى لا يشتهى شراً، بل يشتهى معرفة الله. ولا يحمل ضغينة أو كراهية، بل يمتلئ بالحب. شهوته دائماً هى الخير مثل قول الكتاب "شهوة الأبرار خير فقط" (أم١١: ٢٣).

إن تطويب السيد المسيح لأنقياء القلب، يدعونا للسعى نحو النقاوة التى تؤهلنا أن نراه بالإيمان. وأن نراه فى مجده..

طوبى لصانعى السلام

بعد أن طوّب السيد المسيح أنقياء القلب قال التطويب السابع: "**طوبى لصانعى السلام، لأنهم أبناء الله يدعون**" (مت٥: ٩).

دُعى السيد المسيح "**رئيس السلام**" (إش٩: ٦)، و"**ملك السلام**" (عب٧: ٢). وقيل عنه: "لنمو رياسته **وللسلام لا نهاية**" (إش٩: ٧).

وسبب هذه التسمية أن السيد المسيح قد صالحنا مع الله أبيه بدم صليبه مثلما كتب معلمنا بولس الرسول للأمم "أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين، صرتم قريبين بدم المسيح. **لأنه هو سلامنا** الذى جعل الاثنين واحداً، ونقض حائط السياج المتوسط أى العداوة. مبطلاً بجسده ناموس الوصايا فى فرائض. لكى يخلق الاثنين فى نفسه إنساناً واحداً جديداً صانعاً سلاماً. ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به" (أف٢: ١٣-١٦).

فكما صالح السيد المسيح الإنسان مع الله، صالح الإنسان مع أخيه الإنسان. وأعطى تلاميذه من الرسل القديسين خدمة المصالحة بحسب قصد الآب السماوى وتدبيره. وقد أشار القديس بولس الرسول إلى ذلك فقال: "**ولكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح، وأعطانا خدمة المصالحة. أى أن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه غير حاسب لهم خطاياهم، وواضعاً فينا كلمة المصالحة. إذاً نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله" (٢كو٥: ١٨-٢٠).**

فبعدما قدّم السيد المسيح ذبيحة الفداء على الصليب، وقام من الأموات وظهر للأحد عشر وهم مجتمعون فى عشية يوم أحد القيامة قال لهم: "**سلام لكم**. ولما قال هذا أراهم يديه وجنبه. ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب. فقال لهم يسوع أيضاً **سلام لكم**. كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا. ولما قال هذا نفخ وقال لهم: اقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه تغفر له، ومن أمسكتم خطاياه أمسكت" (يو٢٠: ١٩-٢٣). لقد **بشرهم بالسلام**، وأعطاهم السلطان أن ينشروه لكل من يرغب.

وبهذا حقق السيد المسيح وعده لتلاميذه بأن يمنحهم عطية السلام الفائقة للطبيعة إذ قال: "**سلاماً أترك لكم. سلامى أعطيكم**" (يو ١٤: ٢٧).

عطية السلام

عطية السلام التى منحها "رئيس السلام" لتلاميذه هى عطية فائقة للعقل.. لهذا قال معلمنا بولس الرسول لأهل فيليبى: "**وسلام الله الذى يفوق كل عقل**، يحفظ قلوبكم وأفكاركم فى المسيح يسوع" (فى٤: ٧).

إن **عطية السلام هى عطية إلهية** يمنحها الآب السماوى باستحقاقات دم ابنه الوحيد بواسطة الروح القدس.

لهذا فإن **السلام هو من ثمار الروح القدس** فى حياة المؤمنين كقول الكتاب: "**وأما ثمر الروح، فهو محبة فرح سلام..**" (غل٥: ٢٢).

من يمتلئ من الروح القدس يمتلئ من السلام، ويستطيع أن يصنع السلام ويستحق أن يُدعى ضمن أبناء الله، ويستحق التطويب.

كانت إرسالية السيد المسيح إلى العالم هى إرسالية صلح وسلام، ومن أراد أن يتشبه بابن الله ينبغى أن يكون من صنّاع السلام.. السلام المبنى على الحق كقول المزمور "العدل والسلام تلاثما" (مز ٨٤: ١٠).

وقد أوصى بولس الرسول باتباع السلام فقال: "**اتبعوا السلام** مع الجميع، والقداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب" (عب١٢: ١٤).

كما أوضح يعقوب الرسول أهمية السلام كعلامة للحكمة الممنوحة من الله "أما الحكمة التى من فوق فهى أولاً طاهرة، **ثم مسالمة**، مترفقة، مذعنة، مملوءة رحمة وأثمارًا صالحة، عديمة الريب والرياء. **وثمر البر يزرع فى السلام من الذين يفعلون السلام" (يع٣: ١٧، ١٨).**

الذى يزرع الخصومات بين الإخوة المتحابين يصير مكروهاً من الله. كقول الكتاب "هذه الستة يبغضها الرب. وسبعة هى مكرهة نفسه. عيون متعالية، لسان كاذب، أيدٍ سافكة دماً بريئاً، قلب ينشئ أفكارًا رديئة، أرجل سريعة الجريان إلى السوء، شاهد زور يفوه بالأكاذيب، **وزارع خصومات بين إخوة**" (أم٦: ١٦-١٩).

ولكى يتحاشى الإنسان تهييج الخصام يحتاج إلى اقتناء الاتضاع والبعد عن الغضب لأن الكتاب يقول "المنتفخ النفس يهيج الخصام" (أم٢٨: ٢٥) وأيضا "الغضوب يهيج الخصام" (أم٢٩: ٢٢).

كان الرسل صانعى سلام وكانوا دائماً يطلبون السلام للتلاميذ "لتكثر لكم النعمة والسلام" (١بط١: ٢، ٢بط١: ٢).

لقد نشروا سلام المسيح على الأرض..

طوبى للمطرودين من أجل البر

فى التطويب الثامن قال السيد المسيح: "**طوبى للمطرودين من أجل البر لأن لهم ملكوت السماوات**" (مت٥: ١٠). وردت كلمة "**المطرودين من أجل البر**" بمعنى "**المضطهدين من أجل البر**". فالطرد هو مظهر من مظاهر الاضطهاد. والمطاردة أيضاً مظهر مشابه من مظاهر الاضطهاد.

المولود أعمى الذى شفاه السيد المسيح طرده اليهود خارج المجمع لأنه دافع عن الذى شفاه وشهد للحق. وقد تعرض للشتم ثم طردوه خارجاً. فوجده يسوع وأعطاه المزيد من النعمة والبركة بأن أعلن له أنه هو ابن الله. فآمن الرجل بالمسيح وسجد له.

لقد كافأه السيد المسيح على ما تعرض له من تحقيقات وتعييرات انتهت بطرده من الجماعة، فمنحه أعظم عطية فى الوجود وهى: **معرفة ابن الله الوحيد والإيمان به**.. هذا هو الطريق المؤدى إلى الحياة الأبدية.

وعندما قُتل إسطفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء خارج مدينة أورشليم، حدث اضطهاد على الكنيسة فى أورشليم فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة. وبدأت الكنيسة تنتشر خارج أورشليم (انظر سفر أعمال الرسل الأصحاح الثامن).

إن احتمال الآلام والاضطهادات من أجل السيد المسيح هو شرف يناله الإنسان. لذلك فإن الآباء الرسل حينما ألقى كهنة اليهود القبض عليهم ووضعوهم فى الحبس العام وفتح لهم ملاك الرب أبواب السجن ليلاً وأخرجهم وقال لهم امضوا وقفوا فى الهيكل وكلموا الشعب بجميع كلمات تلك الحياة. فدخلوا الهيكل نحو الفجر وطفقوا يعلمون، فقبضوا عليهم مرة أخرى وانتهروهم وتشاوروا على قتلهم. ولما ردهم غمالائيل عن ذلك دعوهم "وجلدوهم وأوصوهم أن لا يتكلموا باسم يسوع ثم أطلقوهم. **وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع لأنـهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه**. وكانوا لا يزالون كل يوم فى الهيكل وفى البيوت معلمين ومبشرين بيسوع المسيح" (أع٥: ٤٠-٤٢).

لقد اعتبر الرسل الإهانة والجلد من أجل اسم السيد المسيح هو شرف لا يستحقونه وفرحوا أنهم حسبوا مستحقين لذلك.. هذه هى النظرة المسيحية الأصيلة لاحتمال الاضطهادات من أجل المسيح.

المحبة تختبر بالآلام

إن المحبة تختبر بالألم. فالمحبة الحقيقية هى التى تتألم من أجل من تحب.

السيد المسيح أظهر محبته لنا حينما تألم عنا.. حينما احتمل الجلد عوضاً عن الخطاة. وقال عن ذلك القديس بطرس الرسول: "**الذى بجلدته شفيتم**" (١بط٢: ٢٤).

وليس هناك حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه من أجل أحبائه.. هكذا وضع السيد المسيح نفسه عن خرافه، حسب قوله المبارك: "وأنا أضع نفسى عن الخراف" (يو١٠: ١٥).

القديسون يعتبرون الألم فرصة ثمينة تتاح لهم ليعبروا عن محبتهم لفاديهم المسيح وعِرفانهم بفضله وجميله فى موته بعدما تألم ليخلّصهم من الهلاك الأبدى.

إن الكنيسة تبادل عريسها المسيح محبته وتفرح بأن تتألم من أجله. وتقهر الشيطان بشركتها مع المسيح؛ كقول بولس الرسول: "لأعرفه وقوة قيامته **وشركة آلامه** متشبهاً بموته" (فى٣: ١٠)، وقوله: "**من أجلك نُمات كل النهار** قد حسبنا مثل غنم للذبح.. يعظم انتصارنا بالذى أحبنا" (رو٨: ٣٦، ٣٧). وقيل عن الشهداء "**وهم غلبوه (أى الشيطان) بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت**" (رؤ١٢: ١١).

إن الشيطان يتذكر هزيمته بالصليب حينما يرى المسيحيين وهم يحتملون الآلام فى شركة المحبة الحقيقية مع المصلوب. أولئك الذين آمنوا بقوة الدم الإلهى فى هزيمة الشيطان وتحطيم سلطته، يغلبون الشيطان وهم متحدون بالدم المقدس فى سر الإفخارستيا، ومؤمنون بفاعليته، ويشهدون للمسيح بكلمة الشهادة.. بكلمة الحق.. ببشرى الخلاص بالصليب والقيامة.

إن إيمان الشهداء بالقيامة إيماناً حقيقياً - جعلهم يستخفون بالموت.. وإيمانهم بالحياة الأبدية وما فيها من سعادة لا تقاس بآلام هذا الزمان الحاضر- جعلهم يستعذبون الآلام إعلاناً عن محبتهم للملك المسيح.

كانت دماؤهم هى التى روت بذار الإيمان فى حياة الكثيرين. لأن حبة الحنطة التى وقعت فى الأرض وماتت لا يمكن أن تذهب إلى لا شئ ولكنها تأتى بالثمر الكثير.

لقد انتشرت المسيحية بدماء الشهداء الذين قبلوا الآلام والموت بكل فرح فى محبتهم للسيد المسيح.

لهذا كله قال القديس يعقوب الرسول: "**احسبوه كل فرح يا إخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة. عالمين أن إمتحان إيمانكم ينشئ صبراً**" (يع١: ٢، ٣).

إن امتحان الإيمان هو امتحان لمدى اقتران الإيمان بالمحبة. فالإيمان الذى يخلو من المحبة لا يعتبر إيماناً بل هو ميت.

المحبة تمتحن بالآلام وتظهر فى الصبر.. المحبة التى "تحتمل كل شئ.. وتصبر على كل شئ" (١كو١٣: ٧). وقد حذّر السيد المسيح تلاميذه ليستعدوا للصعاب التى ستواجههم. فقال لهم فى ليلة آلامه: "إن كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم.. اذكروا الكلام الذى قلته لكم ليس عبد أعظم من سيده. إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم، وإن كانوا قد حفظوا كلامى فسيحفظون كلامكم. لكنهم إنما يفعلون بكم هذا كله من أجل اسمى لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى" (يو١٥: ١٨، ٢٠، ٢١).

كذلك الآباء الرسل حذّروا المؤمنين من التعجب مما يصيبهم من آلام، مثل قول الرسول بطرس: "أيها الأحباء لا تستغربوا البلوى المحرقة التى بينكم حادثة.. كأنه قد أصابكم أمر غريب. بل كما اشتركتم فى آلام المسيح افرحوا، لكى تفرحوا فى استعلان مجده أيضاً مبتهجين. إن عيرتم باسم المسيح فطوبى لكم لأن روح المجد والله يحل عليكم" (١بط٤: ١٢-١٤).

والرسول هنا يشير إلى حقيقتين:

الأولى: إن من يشترك مع المسيح فى الآلام سيتمتع بمجده.

والثانية: إن احتمال الآلام والتعييرات من أجل اسم المسيح يؤدى إلى الامتلاء من الروح القدس "روح المجد والله يحل عليكم".

طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم

الأقاويل الكاذبَة

فى التطويب التاسع قال السيد المسيح: "**طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين، افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السماوات، فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم**" (مت٥: ١١، ١٢).

قد يفرح الإنسان باحتمال الآلام والطرد من أجل السيد المسيح كما شرحنا. ولكن الأمر الأكثر صعوبة هو أن يفرح بأن تُقال عليه كل كلمة شريرة من أجل السيد المسيح كذباً وافتراءً.

ربما يقلق الإنسان الروحى إذا قيل عليه كلام افتراء خشية أن يسبب ذلك عثرة للآخرين. خاصة إذا كان هذا الإنسان خادماً للمسيح، مطالباً بأن يعتنى بأمور حسنة قدام جميع الناس، وأن يكون هو نفسه قدوة فى الأعمال الصالحة لمنفعة الذين يخدمهم.

هنا تكمن الصعوبة فى أن يفرح بأن تقال عليه أقاويل شريرة قد تسئ إلى سمعته وتشوه صورته، وتهدم ما بناه فى الخدمة من أجل السيد المسيح.

والعجيب هنا أن السيد المسيح هو نفسه الذى يمنح التطويب لمن يتعرض لهذا الحال المثير للحيرة والاضطراب.

ما هى أسباب الفرح

نحتاج هنا إلى مناقشة أسباب الفرح فى مثل هذه الظروف:

أولاً: السيد المسيح قال: "افرحوا وتهللوا **لأن أجركم عظيم فى السماوات**". من أسباب الفرح أن لهذا الأمر أجراً عظيماً فى ملكوت السماوات.

ثانياً: اختبار شركة الآلام والأمجاد مع المسيح:

إن السيد المسيح قد احتمل التعييرات على الصليب، ونسبت إليه اتهامات باطلة كثيرة، واختار له اليهود الموت صلباً. "لأن المعلق (على الخشبة) ملعون من الله" (تث٢١: ٢٣) حسب الشريعة اليهودية. وبهذا يُثبتون عليه أنه ملعون من الله، وبالتالى لا يستحق التقدير كمرسل من الآب إلى العالم كما كان يقول عن نفسه.

احتمل السيد المسيح كل سخرية اليهود، واستهزائهم، وكذلك هزء وسخرية الجند الرومان الذين كانوا يسخرون منه حينما سمعوا أن المؤمنين قد لقبوه "ملك اليهود".

وقد سبق دواد النبى فتنبأ فى المزمور عن سخرية اليهود من السيد المسيح فقال: "أنا.. عار عند البشر ومحتقر الشعب. كل الذين يروننى يستهزئون بى. يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين: اتكل على الرب فلينجه. لينقذه لأنه سُرّ به" (مز٢٢: ٦-٨).

ولكن داود عاد وتنبأ فى نفس المزمور عن قيامة السيد المسيح فقال: "أخبر باسمك إخوتى فى وسط الجماعة أسبحك.. لأن للرب المُلك وهو المتسلط على الأمم" (مز ٢٢: ٢٢، ٢٨).

وقد سجل معلمنا متى الإنجيلى تعييرات اليهود للسيد المسيح فقال: "وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين: "يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام، خلّص نفسك. إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا: خلّص آخرين، وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها. إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به. قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده. لأنه قال أنا ابن الله" (مت٢٧: ٣٩-٤٣).

ولما قام السيد المسيح وصار الرسل يبشرون بقيامته شعر اليهود أن قيامة السيد المسيح قد بددت كل مؤامراتهم. وظهر بر المسيح، لأن الآب أقامه من الأموات، ناقضاً أوجاع الموت. لهذا طلب رؤساء اليهود بإلحاح من الآباء الرسل أن لا يكرزوا بقيامة السيد المسيح وقالوا لهم: "تريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان" (أع٥: ٢٨). بمعنى أن القيامة حينما تتأكد حقيقتها فإنها تظهر أن الرب يسوع قد حكم عليه بالموت ظلماً، وأن على اليهود دم برئ سوف يطالبهم الله به.

لذلك قال معلمنا بطرس الرسول: "يسوع الناصرى رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات صنعها الله بيده فى وسطكم كما أنتم أيضاً تعلمون. هذا أخذتموه مسلّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه. الذى أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يمسك منه" (أع٢: ٢٢-٢٤).

إذن فجميع الادعاءات الباطلة التى نطق بها اليهود ضد السيد المسيح، قد أزالتها القيامة المجيدة.

الإيمان بعمل الله وقدرته

إن من يؤمن بعمل الله وقدرته، يمكن أن يفرح إذا قيلت ضده افتراءات ومزاعم كاذبة.. **لأن الله قادر أن يرد على هذه الافتراءات.**

إن الرب له طريقة عجيبة فى الدفاع عن سُمعة قديسيه ومختاريه.. لذلك لا ينبغى أن يقلق أحد فى وسط أعاصير الاتهامات الباطلة.. لأن الرب سوف يقاتل عنه.. ولن يسمح بأن تصير هناك عثرة إن كان هو بريئاً من هذه الاتهامات.

حتى لو اضطرت الظروف الإنسان أن يصمت.. أو ألا يدافع عن نفسه.. فإن الرب سوف يدافع عنه، ويريه كيف يستطيع أن يتمجد سلاح البر ذات اليمين وذات اليسار.

٢-أنتم ملح الأرض

بعد انتهاء التطوبيات قال السيد المسيح لتلاميذه: "**أنتم ملح الأرض، ولكن إن فسد الملح فبماذا يملّح؟!** لا يصلح بعد لشئ إلا لأن يُطرح خارجاً ويُداس من الناس" (مت٥: ١٣).

الملح هو الذى يعطى للطعام مذاقه.. كما أنه يستخدم فى حفظ الأطعمة من الفساد. وبعض أنواع الأملاح تستخدم لتسميد الأراضى الزراعية.

حينما يقول السيد المسيح: "**أنتم ملح الأرض**" **يقصد أن المسيحى الحقيقى هو الذى يعطى لحياة البشر مذاقتها.** فبالرغم من أن كميته تكون قليلة إلا أنه يملح طعاماً كثيراً. هكذا يستطيع تلميذ الرب بقدوته الصالحة أن يؤثر فى حياة الكثيرين ويجتذبهم إلى الحياة مع الله. كما أنه يمنع الفساد الروحى عن كثير من البشر، كقول الكتاب "**من رد خاطئاً عن ضلال طريقه، يخلص نفساً من الموت ويستر كثرة من الخطايا**" (يع٥: ٢٠).

ولعلنا نذكر قصة سدوم وعمورة حينما قال الله لإبراهيم أنه لو وُجد فى المدينة عشرة من الأبرار، لما أهلك من أجل العشرة (انظر تك١٨: ٣٢).

إن مجرد وجود إنسان قديس فى وسط أناس كثيرين، يمنع بلايا ومصائب كثيرة، ويمنع غضب الله من أن يحل على المكان بسبب شرور بعض الموجودين فيه.

إن وُجد مثل هذا القديس يعطى أملاً أن ينصلح شأن ذلك المكان، وأن يعود الأشرار عن خطاياهم بالتوبة لسبب سيرة هذا القديس التى تهز مشاعرهم وتوبّخ خطاياهم.

ومن خصائص الملح الذى يوضع فى الطعام، أنه يذوب ويتلاشى ويختفى، ولكنه يؤثر تأثيراً قوياً فى هذا الطعام. هكذا أولاد الله فى هذا العالم؛ يخفون ذواتهم ويبذلون أنفسهم من أجل مجد الله وخلاص الناس. ولكن بالرغم من إخفائهم لذواتهم إلا أن تأثيرهم يكون قوياً.. وبالرغم من بذل أنفسهم إلا أنهم لا يضيعون، بل على العكس كما قال السيد المسيح "من وجد حياته يضيعها، ومن أضاع حياته من أجلى يجدها" (مت١٠: ٣٩).

إن الذات هى أكبر معطل لعمل الله فى حياة الإنسان تعطّل خلاص الإنسان وتعطّل عمل الله فيه. بينما يتمجد الله كثيراً من خلال النفس المبذولة، كما تمجد من خلال ذبيحة ابنه الوحيد على الصليب الذى تألم من أجل خلاصنا، وبعدما قام من الأموات قال لتلاميذه: "كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده" (لو٢٤: ٢٦).

الإنسان المسيحى الحقيقى عليه مسئولية كبيرة تجاه خلاص الآخرين والمحافظة عليهم من الفساد الموجود فى العالم. لهذا قال السيد المسيح لتلاميذه: "أنتم ملح الأرض، ولكن إن فسد الملح فبماذا يملح؟!" (مت٥: ١٣).

فساد الملح

المفروض أن يكون الملح هو الحافظ للطعام من الفساد.

المفروض أن يكون الخدام هم الحافظين للمخدومين من الفساد.

المفروض أن يكون الوعّاظ هم أنفسهم قدوة للآخرين فى أفعالهم قبل أقوالهم.

المفروض فى الكهنة أن يمارسوا حياة التوبة والقداسة، وأن يقودوا غيرهم فى هذا الطريق.

المفروض فى الإنسان المسيحى عموماً أن يكون سبب بركة وخلاص وحفظ للعالم من الشرور والفساد.

فإذا فسد الملح فكيف يحفظ غيره من فساد الخطية؟

إن شجرة ردية لا تقدر أن تصنع أثمارًا طيبة كما قال السيد المسيح: "هل يجتنون من الشوك عنباً، أو من الحسك تيناً؟!" (مت٧: ١٦).

قبل أن نسعى لخلاص الآخرين، علينا أن نعتنى بخلاص أنفسنا. وقبل أن ندعو الآخرين للتوبة، علينا أن نقود أنفسنا فى حياة التوبة، كقول معلمنا بولس الرسول: "أقمع جسدى وأستعبده حتى بعدما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسى مرفوضاً" (١كو٩: ٢٧).

يُطرح خارجاً ويُداس من الناس

"إن فسد الملح فبماذا يُملّح؟ لا يصلُح بعد لشئ إلا **لأن يُطرح خارجاً ويُداس من الناس**" (مت٥: ١٣).

إنه موقف خطير، وموقف مهين أن يفسد الملح الذى كان المفترض فيه أن يحفظ غيره من الفساد.

الذى يقول للناس لا تكذبوا، أيكذب؟!

والذى يقول للناس لا تسرقوا، أيسرق؟!

والذى يقول للناس عيشوا بالقداسة، أيدنّس هو المقدسات؟!.

إن من يتبع السيد المسيح فكما سلك ذاك، ينبغى أن يسلك هو أيضاً وإلا صار موضع هزء وسخرية وازدراء من الآخرين. لأنه فيما هو يدّعى أنه يخدم المسيح، فإن الاسم الحسن يجدف عليه بسببه. علينا أن نلاحظ أنفسنا باستمرار لكى نكون ملحاً جيداً فى هذه الأرض.

أنتم نور العالم

بعد أن قال السيد المسيح لتلاميذة "أنتم ملح الأرض.. " أكمل قائلاً: "**أنتم نور العالم**. لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل. ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال، بل على المنارة، فيضئ لجميع الذين فى البيت. فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السماوات" (مت٥: ١٤-١٦).

العالم يحتاج إلى النور. وحينما كان السيد المسيح فى حياته على الأرض قال: "ما دمت فى العالم فأنا نور العالم" (يو٩: ٥).

ولأن السيد المسيح كان سوف يصعد إلى السماء من حيث أتى، قال لتلاميذه: "أنتم نور العالم" **أى أنهم سوف يعكسون نور السيد المسيح بحياتهم المقدسة.**

السيد المسيح هو النور الحقيقى كما كُتب فى الإنجيل "كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم" (يو١: ٩). **أى أن الرب يسوع المسيح باعتباره الله الكلمة الظاهر فى الجسد يملك شخصياً هذا النور - إذ هو والآب بنفس الجوهر الإلهى الواحد- لذلك فهو النور الحقيقى.**

كما قال **قداسة البابا شنودة الثالث** - أطال الرب حياته- إن الفرق بين السيد المسيح وبين تلاميذه من حيث أنه هو نور العالم، والتلاميذ هم نور العالم، **أن التلاميذ يعكسون نور المسيح. أما المسيح فهو نور فى ذاته ولا يعكس نوراً خارجياً**.. لهذا دعى بلقب "**النور الحقيقى**". وقيل عن الله أنه نور "**الله نور وليس فيه ظلمة**" (١يو١: ٥). **فحينما يُقال عن السيد المسيح أنه هو النور الحقيقى فذلك لأنه هو الله الكلمة وهو الحق.** وكتب معلمنا بولس الرسول عن السيد المسيح أنه هو "بهاء مجد الله الآب" (انظرعب١: ٣).

كذلك قال القديس يوحنا فى إنجيله عن الرب يسوع المسيح: "رأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمةً وحقاً" (يو١: ١٤).

بين النور والظلمة

منذ بداية خلق العالم "فصل الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهارًا، والظلمة دعاها ليلاً" (تك١: ٤، ٥). قبل خلق النور المادى "كانت الأرض خرِبة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه" (تك١: ٢).

"وقال الله: ليكن نور فكان نور. ورأى الله النور أنه حسن. وفصل الله بين النور والظلمة.." (تك١: ٣، ٤).

باستمرار الله يريد أن يفصل بين النور والظلمة، وبالأكثر فى الأمور الروحية . لهذا قال الرب بفم إشعياء النبى: "ويل للقائلين للشر خيراً، وللخير شراً. الجاعلين الظلام نوراً ، والنور ظلاماً. الجاعلين المر حلواً ، والحلو مراً" (إش٥: ٢٠).

وقال معلمنا بولس الرسول: "لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين.. لأنه أية شركة للنور مع الظلمة" (٢كو٦: ١٤).

النور يشير إلى معرفة الحق، والظلمة تشير إلى الجهل به.

لهذا قال السيد المسيح: "من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة، بل يكون له نور الحياة" (يو٨: ١٢).

وقيل فى سفر الحكمة "أما الجاهل فيسلك فى الظلام" (جا٢: ١٤).

النور يشير إلى الحياة، والظلمة تشير إلى الموت.

لهذا قيل عن السيد المسيح: "أبطل الموت وأنار الحياة" (٢تى١: ١٠).

النور يشير إلى سلطان الله، والظلمة تشير إلى سلطان إبليس.

مثلما كلّم السيد المسيح شاول الطرسوسى (أى بولس الرسول) عندما ظهر له فى نور من السماء أفضل من لمعان الشمس قائلاً: "قم وقف على رجليك لأنى لهذا ظهرت لك لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به. منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم. لتفتح عيونهم **كى يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله.** حتى ينالوا بالإيمان بى غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين" (أع٢٦: ١٦-١٨).

النور يشير إلى ملكوت السماوات، والظلمة تشير إلى موضع الهلاك الأبدى.

مثلما قيل عن أورشليم السمائية: "**والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها.** لأن مجد الله قد أنارها والخروف سراجها" (رؤ٢١: ٢٣). وقيل عن الهلاك الأبدى: "والعبد البطال **اطرحوه إلى الظلمة الخارجية.** هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (مت٢٥: ٣٠).

النور يشير إلى حياة القداسة، والظلمة تشير إلى حياة الخطية. مثلما قال السيد المسيح: "وهذه هى الدينونه أن النور قد جاء إلى العالم وأحب الناس الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة. لأن كل من يعمل السيآت يبغض النور، ولا يأتى إلى النور لئلا توبخ أعماله. وأما من يفعل الحق، فيُقبل إلى النور لكى تظهر أعماله أنها بالله معمولة" (يو٣: ١٩-٢١).

النور يشير إلى الفرح والرجاء، والظلمة تشير إلى الخوف والحزن واليأس وقطع الرجاء.. لذلك يقول المرنم: "نور أشرق للصديقين، وفرح للمستقيمى القلوب. افرحوا أيها الصديقون بالرب" (مز٩٦: ١١، ١٢). فالنور والفرح متلازمان. أما عن الأشرار وطريقهم فيقول النبى: "لأن الأنبياء والكهنة تنجسوا جميعاً، بل فى بيتى وجدت شرهم يقول الرب. لذلك يكون طريقهم لهم كمزالق فى ظلام دامس، فيطردون ويسقطون فيها. لأنى أجلب عليهم شراً سنة عقابهم يقول الرب" (أر٢٣: ١١، ١٢).

لا يمكن إخفاء النور

العالم يحتاج إلى النور. وأولاد الله مطلوب منهم أن يكونوا نوراً للعالم، هذه هى رسالتهم التى طلبها منهم السيد المسيح. والنور يضئ فى الظلمة، كلما زادت الحاجة إلى النور. لذلك فكلما زادت خطايا البشر فى جيل من الأجيال، كلما ازدادت الحاجة إلى قديسين ينيرون فى وسط هذا الجيل. كقول القديس بولس الرسول: "لكى تكونوا بلا لوم وبسطاء، أولادًا لله بلا عيب، فى وسط جيل معوج وملتوٍ، **تضيئون بينهم كأنوار فى العالم**" (فى٢: ١٥).

إن مصباحاً واحداً يستطيع أن يضئ حجرة بأكملها.. هكذا يستطيع قديس واحد أن ينير مدينة بأكملها

ومهما حاول القديس أن يخفى قداسته، فإنه لا يستطيع كقول المزمور عن عمل الرب أنه "يُخرج مثل النور برك" (مز٣٧: ٦).

لهذا قال السيد المسيح: "لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل. ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال، بل على المنارة فيضئ لجميع الذين فى البيت. فليضئ نوركم هكذا قدام الناس" (مت٥: ١٤-١٦). إن النور إذا وضع داخل مصباح من الزجاج فإنه لا يحتجب، هكذا مهما حاول القديس إخفاء فضائله فإنها تتكشف بزيادة إذ يشتد نور المسيح فى حياته من خلال فضيلة الاتضاع، وتزداد شفافيته مثل الزجاج الشفاف، لسبب البساطة التى فى المسيح.

ما جئت لأنقض بل لأكمل

بعد أن عدّد السيد المسيح التطويبات الرائعة ودعوته لتلاميذه أن يكونوا ملحاً للأرض ونوراً للعالم، انتقل فى موعظته الخالدة إلى مجال آخر من التعليم: وهو شرح **علاقة وصايا العهد الجديد بوصايا العهد القديم**، وعلاقة ما كتبه الأنبياء فى العهد القديم بما سوف يُكتب فى الأناجيل المقدسة وباقى أسفار العهد الجديد فقال: "**لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمل**" (مت٥: ١٧).

الله هو هو نفسه الذى أعطى شريعة العهد القديم وشريعة العهد الجديد.. الذى تكلم مع موسى على جبل سيناء هو نفسه الذى تكلم مع التلاميذ فى الموعظة على الجبل.. الله لم يتغيّر على الإطلاق، ولكن حال الإنسان هو الذى تغيّر بمجيء المخلص. كقول إشعياء النبى "الشعب السالك فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً" (إش٩: ٢).

لم يقصد السيد المسيح أن ينقض شريعة العهد القديم، بل احتفظ بكل جوهرها.. لهذا قال بفمه الإلهى: "ما جئت لأنقض بل لأكمّل" (مت٥: ١٧).

ففى وصية "لا تزن" (خر٢٠: ١٤، تث٥: ١٨) التى قيلت للقدماء، لم يكتف السيد المسيح بعدم الزنى الفعلى بل قال: "كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه" (مت٥: ٢٨).

أى أن الإنسان ينبغى أن يتحرر من الخطية من الداخل، وليس من الخارج فقط. لأن السيد المسيح قد جاء ليحرر الإنسان من سبى الخطية، ومن عبودية الشيطان وتأثيراته. وقال للجميع: "إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا" (يو٨: ٣٦).

الحرية الكاملة من الخطية داخلياً وخارجياً يلزمها عطية النعمة التى منحها الله لأولاده فى العهد الجديد.

شريعة الكمال

وصايا العهد الجديد هى كمال الوصية، ولذلك تطلق الكنيسة على السيد المسيح {مشرع شريعة الكمال وواضع ناموس الأفضال}.

❖ إن وصية عدم الزنى الفعلى؛ تطوّرت إلى **عدم الزنا لا بالفعل ولا بالفكر.**

❖ ووصية عدم القتل؛ تطوّرت إلى **وصية عدم الغضب وعدم الكراهية فى القلب.**

❖ ووصية عدم الحنث بالقسم؛ تطوّرت إلى **وصية عدم القسم على الإطلاق.**

❖ ووصية محبة القريب وبغض العدو؛ تطوّرت **إلى وصية محبة الأعداء، والإحسان إليهم، والصلاة من أجل خلاصهم من الهلاك الأبدى وعبودية الشيطان. واتسع مفهوم القريب إلى كل إنسان فى البشرية، وانحصر مفهوم بغضة العدو فى بغضة الشيطان والشر بصفة عامة.**

❖ ووصية من طلق امرأته (لأى سبب) فليعطها كتاب طلاق؛ تطوّرت إلى **عدم السماح بالطلاق بين زوجين مسيحيين إلا لعلة الزنا.. ولا زواج للمطلقين لخطئهم.**

لقد عاشت البشرية فى ظل شريعة الناموس وهى شريعة الجسد أو شريعة العبودية زمناً طويلاً حتى جاء السيد المسيح وأعطى **شريعة البنوة التى هى شريعة الكمال.** وإلا فما فائدة تجسد ابن الله الوحيد ومجيئه إلى العالم وصلبه وموته وقيامته وإرساله الروح القدس لتولد الكنيسة فى يوم الخمسين؟!

البعض ينتقدون شريعة العهد القديم. ولكن هذا النقد غير لائق. لأن الإنسان لم يكن يحتمل أن يحيا حسب شريعة الكمال بدون الفداء، والميلاد الفوقانى، ومعونة الروح القدس وعمله فى أسرار الكنيسة السبعة.

الوصية مقدسة؛ ولكن الإنسان لم يكن بإمكانه أن ينفذ أكثر مما ورد فى شريعة موسى قبل إتمام الفداء.

ربما توجد لمحات أو تجليات فى ظروف خاصة أشارت إلى حياة العهد الجديد مثل امتناع داود الملك الممسوح عن قتل شاول الملك المرفوض، الذى كان يطارده بغية قتله؛ لأنه قال: "حاشا لى من قِبل الرب أن أمد يدى إلى مسيح الرب" (١صم٢٦: ١١). ولكن داود النبى فى موقف آخر قتل قائداً مخلِصاً من قواده فى الجيش هو "أوريا الحثى" فى محاولة منه لإخفاء خطيته مع بتشبع زوجة أوريا (انظر ٢صم ١١).

لم يكن من الممكن أن يُطالب الله البشر من أبنائه بحياة الكمال وبوصايا الكمال إلا فى عهد النعمة والمصالحة والخلاص والتجديد.

كيف يطالب الله الإنسان بمحبة الأعداء، قبل أن يمنحه قلباً جديداً نقياً مؤيداً بقوة الروح القدس الذى يمنح الإنسان المتمتع بالخليقة الجديدة ثمرة المحبة. لأن "ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح إيمان" (غل٥: ٢٢).

إن ثمرة المحبة التى يمنحها الروح القدس للإنسان هى ثمرة فائقة للطبيعة بقدرات فائقة لا يقوى عليها البشر العاديون. ولكن ينالها المؤمنون الذين يقبلون الروح القدس بعد التجديد بحميم الميلاد الجديد.

تجديد الروح القدس

تكلّم معلمنا بولس الرسول عن حالة الإنسان فى العهد الجديد الذى يؤمن إيماناً حقيقياً بالمسيح وينال العماد المقدس بواسطة الكنيسة وينقاد بالروح القدس، متحرراً من الإنسان العتيق الذى ولد به بحسب الجسد من أبويه؛ فقال فى رسالته إلى تلميذه الأسقف تيطس: "ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال فى بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته **خلصنا بغُسْل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس** الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا" (تى٣: ٤-٦).

هذا هو السر فى وصايا العهد الجديد: إن الإنسان بنيله البنوه لله والتجديد بالميلاد الفوقانى، وبثباته فى المسيح بوسائط النعمة، يستطيع أن يسلك فى شريعة الكمال المسيحى. ويتحقق فيه قول السيد المسيح: "كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السماوات هو كامل" (مت٥ : ٤٨). وكذلك قول معلمنا بطرس الرسول: "نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضا قديسين فى كل سيرة" (١بط١: ١٥).

إن الرب لم يتغيّر بين العهد القديم والعهد الجديد. ولكن الإنسان هو الذى تغيّر **وهكذا كان يلزم أن تأتى الوصية فى كمالها بعد حدوث التغيير لأن "المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح" (يو٣: ٦).**

فى العهد القديم كان الناموس والكهنوت اللاوى والذبائح الحيوانية، وفى العهد الجديد جاءت وصايا الكمال والكهنوت المسيحى والذبيحة الكاملة لابن الله الوحيد "فإن الناموس يقيم أناساً بهم ضعف رؤساء كهنة. وأما كلمة القسم التى بعد الناموس فتقيم ابناً مكملاً إلى الأبد" (عب٧: ٢٨).

إله العهدين

البعض يتصورون أن إله العهد القديم يختلف عن إله العهد الجديد. ولكن الله لم يتغيّر، وهذا هو السبب فى الوصول بالإنسان إلى وصايا الكمال التى للعهد الجديد.

الفرق بين شريعة العهد القديم وشريعة العهد الجديد يجعلنا نشعر بقيمة الفداء والتجديد الذى أجراه السيد المسيح بموته المحيى، وبإرساله للروح القدس حسب وعد الآب لخلاص المؤمنين.

لم يكن من الممكن أن يطالب الله الإنسان بأكثر مما طلبه منه فى شريعة العهد القديم مثل وصية "تحب قريبك وتبغض عدوك" (مت٥: ٤٣). لأن محبة القريب فى حد ذاتها لم تكن سهلة على الإنسان الذى عاش فى العداوة مع الله ومع نفسه ومع أخيه الإنسان.

هذه العداوة القديمة التى سببتها الخطية قد هدمها السيد المسيح بصليبه المحيى مثل قول الكتاب "ويصالح الاثنين فى جسد واحد مع الله بالصليب قاتلاً العداوة به" (أف٢: ١٦).

لم يكن الإنسان أيضاً فى العهد القديم يملك سيف الروح الذى قال عنه السيد المسيح "أُعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها" (لو٢١: ١٥) وقال أيضاً: "لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم" (مت١٠: ٢٠). ولذلك كان أسلوب الإنسان المتعبد لله فى مقاومته لحروب الوثنيين يختلف فى العهد القديم عنه فى العهد الجديد.

الله لم يتغيّر، ولكن حال الإنسان هو الذى تغيّر بمصالحته مع الله وبتجديده "بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس" (تى٣: ٥).

الناموس والأنبياء

قال السيد المسيح لتلاميذه بعد الصلب والقيامة: "لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى **ناموس موسى والأنبياء** والمزامير" (لو٢٤: ٤٤)

وبهذا أوضح الرب أهمية أسفار العهد القديم، وأنها موحى بها من الله، وأنها كلام إلهى، كل ما فيه صدق ولابد أن يتحقق.

وعندما ظهر لتلاميذه بعد القيامة "حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب" (لو٢٤: ٤٥).

إن كتب العهد القديم فى شهادتها للسيد المسيح وكل ما يخص رسالته الخلاصية هى من أعظم الأدلة على صدق الديانة المسيحية.. لأن الله قد سبق فأنبأ بفم أنبيائه القديسين عن "الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء الذين تنبأوا عن النعمة التى لأجلكم باحثين أى وقت أو ما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها. الذين أُعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التى أُخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشّروكم فى الروح القدس المرسل من السماء" (١بط١: ١٠-١٢).

لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة

بعد أن أوضح السيد المسيح أنه لم يأت لينقض الناموس أو الأنبياء، وأنه ما جاء لينقض بل ليكمل. أكد هذه الحقيقة بقوله:

"فإنى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل" (مت٥: ١٨).

ورد فى إنجيل القديس يوحنا قوله أن "الناموس بموسى أعطى وأما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يو١: ١٧).

استلم موسى النبى الوصايا العشر المكتوبة بأصبع الله على لوحين من حجارة.

وأعطاه الرب تعاليم أخرى كثيرة تظهر قداسة الله ومقاصده وتدابيره من نحو البشر. وكانت الوصايا والتعاليم المعبّرة عن المقاصد الإلهية هى بإلهام من الروح القدس. وهذا الإلهام هو أمر فائق للطبيعة يتجاوز قدرات الإنسان الطبيعية، ويتجاوز اعتبارات الزمان والمكان "لم تأتِ نبوة قط بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس" (٢بط١: ٢١).

وكانت الكلمات الموحى بها من الله تحمل فى طياتها مسائل غاية فى الدقة والإتقان. وبالرغم من أن كتبة الأسفار المقدسة قد استخدموا اللغة التى يفهمونها، والمعرفة التى تلقونها.. إلا أن الروح القدس قد أوحى بما سجلوه من كلمات فى اللغات الأصلية للكتب المقدسة لكى تعبر تعبيراً دقيقاً عن مقاصد الله.

لذلك فكل كلمة، وكل حرف، وكل نقطة لها مغزاها ومعناها الكبير. خاصة عند كتابة أسفار بلغة يتغير فيها المعنى بتغيير النقاط التى فوق أو تحت الحروف. وهذا معروف فى اللغة العبرية، كما هو معروف فى اللغة العربية.

ومن أمثلة أهمية دقة التعبير فى الكتاب المقدس، ما أشار إليه القديس بولس الرسول فى قوله: "وأما المواعيد فقيلت فى إبراهيم وفى نسله. لا يقول وفى الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد. وفى نسلك الذى هو المسيح" (غل٣: ١٦). هنا يشير معلمنا بولس الرسول إلى وعد الله لإبراهيم المدون فى سفر التكوين "ويتبارك **فى نسلك** جميع أمم الأرض" (تك٢٢: ١٨). ومن الواضح أن الكلمة كما وردت فى النص الأصلى بصيغة المفرد "**نسلك**" وليس فى صيغة الجمع "**الأنسال**". ويؤكد القديس بولس أن المقصود هو شخص السيد المسيح على وجه التحديد وليس كل نسل إبراهيم.

كذلك فى نبوة إشعياء النبى "ها **العذراء** تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل" (إش٧: ١٤). وردت الكلمة فى النص العبرى لتعنى "**عذراء**" وليس مجرد "**فتاة**" أو "شابة". والكلمة مقصودة لتشير إلى الحبل البتولى بدون زرع بشر للسيدة العذراء فى السيد المسيح كقول الملاك ليوسف خطيبها: "أن الذى حُبل به فيها هو من الروح القدس" (مت١: ٢٠).

وبالرغم من غرابة التعبير فى وقت كتابته فى زمن إشعياء النبى إلا أن الروح القدس قد قصد ذلك بصورة مؤكّدة.

لقد تحققت جميع أقوال الله فى الكتب المقدسة، وكان الناموس ضرورياً للتمهيد لمجيء السيد المسيح كقول القديس بولس: "إذاً قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح لكى نتبرر بالإيمان" (غل٣: ٢٤).

فعلاً لم تتحطم الأقوال التى أعلن بها الله مقاصده فى الناموس ولذلك قال السيد المسيح: "إلى أن تزول السماء والأرض، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس **حتى يكون الكل**" (مت٥: ١٨).

أى سوف تتحقق كل أقوال الناموس ولن تزول حتى تتحقق. فعبارة "**حتى يكون الكل**" تُعنى **حتى يتحقق كل ما قيل فى الناموس،** وكل ما أشار إليه الناموس من رموز تشير إلى مجيء السيد المسيح وعمله فى خلاص البشرية حتى نهاية الدهر.

لم يكن عبثاً على الإطلاق ما دوّنه موسى فى أسفاره الخمسة وسوف تظل أقوال الله مصدراً للإلهام على مدى الأجيال.

وها نحن نقف فى إنبهار أمام كلمات داود النبى والملك "اكشف عن عينى فأرى عجائب من شريعتك.. طريق وصاياك فهمنى فأناجى بعجائبك.. دربنى فى سبيل وصاياك لأنى به سررت.. أتلذذ بوصاياك التى أحببت. وأرفع يدى إلى وصاياك التى وددت وأناجى بفرائضك.. شريعة فمك خير لى من ألوف ذهب وفضة.. **لكل كمال رأيت حداً. أما وصيتك فواسعة جداً**" (مز١١٨).

من نقض إحدى هذه الوصايا

بعد أن تكلّم السيد المسيح عن شريعة الكمال المسيحية فى ضوء شريعة العهد القديم التى شهدت للمسيح ومهدت لمجيئه ولشريعته الكاملة قال: "**فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا يُدعى أصغر فى ملكوت السماوات.** وأما من عمل وعلّم فهذا يُدعى عظيماً فى ملكوت السماوات. فإنى أقول لكم إنكم **إن لم يزِد بركم على الكتبة والفريسيين، لن تدخلوا ملكوت السماوات**" (مت٥: ١٩، ٢٠).

ما هو بر الكتبة والفريسيين؟

يقول معلمنا بولس الرسول عن مثل هؤلاء: "لأنهم إذ كان يجهلون بر الله، ويطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم لم يخضعوا لبر الله لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن" (رو١٠: ٣، ٤).

أى أن الكتبة والفريسيين قد أرادوا أن يثبتوا بر أنفسهم بممارسة بعض الأمور الشكلية فى الناموس ولم يبحثوا عن قصد الله الحقيقى من الوصية كقول بولس الرسول أيضاً: "وأما غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء، الأمور التى إذ زاغ قوم عنها انحرفوا إلى كلام باطل يريدون أن يكونوا معلمى الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون ولا ما يقررونه" (١تى١: ٥-٧). باسم الناموس صلب الكتبة والفريسيون السيد المسيح لأنهم زاغوا عن الحق ولم يفهموا الوصية.

لذلك وبّخ بطرس الرسول اليهود على قساوة قلوبهم واندفاعهم وراء مشورة المرائين فقال: "ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل ورئيس الحياة قتلتموه الذى أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك" (أع٣: ١٤، ١٥).

وقد وبّخ السيد المسيح الكتبة والفريسيين المرائين الذى يطيلون الصلوات للتباهى ويعشرون الشبث والنعنع.. وفى نفس الوقت يأكلون بيوت الأرامل وتركوا عنهم أثقل الناموس الرحمة والحق والإيمان (انظر مت٢٣: ٢٣).

كذلك وبَخ القديس بولس الرسول أمثال هؤلاء فقال: "هوذا أنت تسمى يهودياً وتتكل على الناموس وتفتخر بالله، وتعرف مشيئته، وتميز الأمور المتخالفة متعلماً من الناموس، **وتثق أنك قائد للعميان ونور للذين فى الظلمة، ومهذّب للأغبياء، ومعلّم للأطفال، ولك صورة العلم والحق فى الناموس. فأنت إذاً الذى تعلّم غيرك ألست تعلّم نفسك.** الذى تكرز أن لا يُسرق، أتسرق؟ الذى تقول أن لا يُزنى، أتزنى؟ الذى تستكره الأوثان، أتسرق الهياكل؟ الذى تفتخر بالناموس، أبتعدى الناموس تُهين الله؟ لأن اسم الله يُجدّف عليه بسببكم بين الأمم كما هو مكتوب" (رو٢: ١٧-٢٤).

لهذا قال السيد المسيح لتلاميذه: "**إن لم يزِد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السماوات**" (مت٥: ٢٠).

أى أنه ينبغى أن يسلكوا الوصية الإلهية بحسب غايتها الحقيقية وهى المحبة لله وللقريب من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء. وحتماً، يكون هذا الإيمان هو فى المسيح الذى أعلن لنا محبة الله وقداسته وصالحنا مع الله أبيه لنسلك فى القداسة والوصية الإلهية بكل حرص وبلا لوم.

عن هذا المعنى قال معلمنا بولس الرسول: "وأما الآن فقد ظهر بر الله بدون الناموس، مشهوداً له من الناموس والأنبياء. بر الله بالإيمان بيسوع المسيح إلى كل وعلى كل الذين يؤمنون" (رو٣: ٢١، ٢٢). لم يفرق الله بين اليهود والأمم فى دعوة الجميع إلى الخلاص بالإيمان والتوبة والمعمودية والثبات فى المسيح.

أما عن قول السيد المسيح: "من نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلّم الناس هكذا" (مت٥: ١٩). فهو يقصد أن الكتبة والفريسيين كما سبق أن شرحنا كانوا ينقضون الوصايا فى الخفاء أو العلن. وفى نفس الوقت يعلمون الناس حفظ الوصية. فمثل هؤلاء يسلكون فى الرياء ويكونون محتقرين وليس لهم موضع فى ملكوت السماوات. "وأما من عمل وعلّم فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السماوات" (مت٥: ١٩).

٣-وصايا الكمال لشريعة العهد الجديد

بعد أن تكلّم السيد المسيح عن أهمية الناموس والأنبياء فى التمهيد للعهد الجديد، بحيث يكمل كل شئ ورد فى العهد القديم بالعهد الجديد. وعن أهمية حفظ جميع الوصايا بالفعل والقول. وتخطى بر الكتبة والفريسيين بقبول بر الله فى المسيح يسوع.. بدأ -له المجد- ينطق بوصايا الكمال التى لشريعة العهد الجديد.

جاءت الموعظة على الجبل مثل خطاب العرش، من صاحب كرسى التعليم الأعظم المذخّر فيه كل كنوز الحكمة والمعرفة والعلم.

وجاءت الموعظة على الجبل لتشهد لروعة وسمو صاحب الرسالة وواضع شريعة الكمال. ولا يفوتنا أن نلاحظ قوله المتكرر "**وأما أنا فأقول لكم**". لأنه هو صاحب الشريعة ومعطيها.

لا تقتل

قال السيد المسيح: "قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل. ومن قتل يكون مستوجب الحكم. وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم. ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع. ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم" (مت٥: ٢١، ٢٢).

لم يعد القتل فى شريعة الكمال هو القتل المادى المحسوس فقط، بل امتد إلى القتل الأدبى والمعنوى. وكذلك القتل الجزئى. وقد شرح **قداسة البابا شنودة الثالث** –أطال الرب حياة قداسته– ذلك بالتفصيل حينما تكلم عن وصية لا تقتل فى تفسيره للوصايا العشر. وجاء شرح قداسة البابا بصورة عميقة جداً فى مفهوم الوصايا وأبعادها كقول المرنم: "لكل تمام رأيت منتهى أما وصاياك فواسعة جداً" (مز١١٨: ٩٦).

يقول الكتاب فى العهد الجديد "**كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس**" (١يو٣: ١٥).

البغضة والكراهية لا تتفق مع نقاوة القلب "والقداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب" (عب١٢: ١٤).

والبغضة تقود إلى الغضب، أما المحبة فتقود إلى الوئام. لذلك قال السيد المسيح: "من يغضب على أخيه **باطلاً** يكون مستوجب الحكم"

هناك غضب مقدس لازم وضرورى فى مواجهة الشرور داخل الكنيسة. له وقته ولا ينبغى أن يستخدم لغير ضرورة حقيقية وبالدرجة التى تتناسب مع ذنب المخطئ. لكى يشعر بخطئه إن لم ينفع معه النصح الهادئ.

وهذا النوع من الغضب قد يكون بالتوبيخ الممتزج بالمحبة، أو بالتأديب المباشر أو غير المباشر. وله أساليبه التى تتوشح بالحكمة والوداعة والتصرف الحسن.

ليس عن الغضب المقدس تكلّم السيد المسيح، بل عن الغضب الباطل أى الذى ليس من صاحب سلطان، أو ليس له ما يبرره، وليس بهدف وأسلوب صالح مقدس.

الغضب الباطل بأساليبه المتنوعة، هو نوع من القتل الجزئى أو الأدبى أو المعنوى.

ويزداد الأمر سوءًا إن اقترن هذا الغضب بالتجريح أو الشتيمة. لأن القتل الأدبى والمعنوى فى هذه الحالة يكون أشد تأثيراً فى نفسية المغضوب عليه.

قد يستغل الإنسان سلطته أو قدرته أو سطوته، ويهاجم الآخرين موجهاً إليهم الإهانات. وهو بهذا يكون مستوجباً للحكم أو المجمع أو قد يصل الأمر إلى نار جهنم التى يكون مستحقاً لها إذا قال لأخيه "يا أحمق".

لم يسمح السيد المسيح بأن يهان الإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله. وارتفع بقيمة الإنسان جداً. وأوضح أن كل ما هو ضد المحبة فهو ضد الله لأن "الله محبة"، ولذلك فإن مجرد كلمة "**رقا**" التى تدل على عدم الاحترام ولم ترقَ إلى مستوى الشتيمة فقد نهى عنها السيد المسيح وقال: "من قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع" (مت٥: ٢٢).

العلاج من الجذور

جاء السيد المسيح ليعالج الخطية من جذورها. من الداخل. فالقتل هو النتيجة النهائية للغضب والسخط والمشاحنات والكراهية.

لذلك لا يكفى أن يمتنع الإنسان عن القتل المنظور، ولكن ينبغى أن يسلك فى المحبة، ويبتعد عن القتل غير المنظور.

لا يكفى حتى أن يبتعد عن العنف الخارجى، بل ينبغى أن يبتعد عن العنف الداخلى مثل الغيظ المكتوم والحقد والرغبة فى الانتقام أو التشفى.

إن الوصية الأولى والعظمى عند الله هى محبة الله من كل القلب، والوصية الثانية مثلها محبة القريب كالنفس. وقال السيد المسيح بهذا يكمل الناموس والأنبياء.

كانت وصايا اللوح الأول من لوحى الوصايا العشر هى **وصايا محبة الله.**

وكانت وصايا اللوح الثانى هى **وصايا محبة القريب.**

المجموعة الأولى عددها أربعة لأنها **تشير إلى عرش الله يحمله الأربعة أحياء غير المتجسدين. وتشير إلى الصليب بأذرعه الأربعة باعتباره العرش.**

والمجموعة الثانية عددها ستة لأنها **تشير إلى كمال العمل، وإلى أن السيد المسيح قد صلب فى اليوم السادس وفى الساعة السادسة ليظهر لنا كيف تكون المحبة.**

وحينما نسلك فى محبة الله الذى افتدانا، ونتشبه به ونحب القريب، بهذا تكمل المحبة.

فبإجماع الوصايا الأربع مع الوصايا الست يكمل العدد عشرة، أى نصل إلى الكمال العددى الذى يشير إلى كمال الوصية.

إن قدمت قربانك إلى المذبح

بعد أن تحدّث السيد المسيح عن لزوم البعد عن الغضب الباطل أو إهانة الآخرين، أكمل حديثه الخالد قائلاً: "**فإن قدّمت قربانك إلى المذبح، وهناك تذكّرت أن لأخيك شيئاً عليك. فاترك هناك قربانك قدام المذبح، واذهب أولاً اصطلح مع أخيك. وحينئذ تعال وقدّم قربانك**" (مت٥: ٢٣، ٢٤).

قبل أن يصلّى الكاهن القداس الإلهى يبدأ أولاً بصلاة الصلح. ليذكّرنا بأن السلام الكامل والمحبة والقبلة الطاهرة الرسولية هى أساس هام فى تقديم ذبيحة الشكر لله والتمتع ببركات الخلاص.

والكنيسة تدعونا دائما إلى المصالحة. فخدمة الكنيسة هى خدمة المصالحة: المصالحة بين الإنسان والله، والمصالحة بين الإنسان وأخيه الإنسان. لكى تكمُل المحبة حسب الوصية المقدسة.

المحبة هى أساس الفضيلة

كما شرحنا سابقاً فإن محبة الله ومحبة القريب تكملان إحداهما الأخرى وبهذا يكمل الناموس والأنبياء.

وفى حديث السيد المسيح فى الموعظة على الجبل عن القربان المقبول أمام الله، يعود ليؤكّد أهمية أن تتكامل المحبة للقريب مع المحبة لله.

عن هذا تكلّم القديس يوحنا الرسول فقال: "إن قال أحد إنى أحب الله، وأبغض أخاه فهو كاذب. لأن من لا يحب أخاه الذى أبصره، كيف يقدر أن يحب الله الذى لم يبصره؟!" (١يو٤: ٢٠).

الله لا يحب العبادة التى يخدع الإنسان فيها نفسه، فيظن أنه يقدّم قرباناً لله، بينما هو يجرح وصية المحبة للقريب. إنها فى نظره عبادة شكلية أو عبادة غير مقبولة. فالله لا يقبل رشوة على حساب ظلم البشر المخلوقين على صورة الله ومثاله. لهذا دعانا السيد المسيح أن نصطلح مع إخوتنا ليصير قرباننا مقبولاً أمام الله.

وقد وبّخ الرب شعب إسرائيل توبيخاً شديداً على فم نبيه إشعياء لأنهم يقدّمون العبادة والقرابين لله بينما هو يرى المظالم والشرور التى يرتكبونها فى حق إخوتهم من البشر. وقد تبدو كلمات الرب كأنها قاسية، ولكنها فى الحقيقة لتوبيخهم لعلهم يرجعون عن شرورهم التى تزعج قلب الله المحب القدوس.

توبيخات الرب لشعب إسرائيل

"لماذا لى كثرة ذبائحكم يقول الرب. اتخمت من محرقات كباش وشحم مسمّنات. وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أُسر. حينما تأتون لتظهروا أمامى من طلب هذا من أيديكم أن تدوسوا دورى؟! لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لى. رأس الشهر والسبت ونداء المحفل" (إش١: ١١-١٣).

وقد أوضح الرب السبب فى أنه لم يسر بذبائحهم ومحرقاتهم. وكيف صار بخورهم مكرهة له وأصوامهم لم يعد يطيقها، وأبغض أعيادهم فقال: "لست أطيق الإثم والاعتكاف. رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسى. صارت علىّ

ثقلاً، مللت حملها. فحين تبسطون أيديكم أستر عينى عنكم. وإن كثَّرتم الصلوة لا أسمع. **أيديكم ملآنة دماً**. اغتسلوا تنقّوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينى. كُفُّوا عن فعل الشر. تعلّموا فعل الخير" (إش١: ١٣-١٧).

وشرح الرب أمثلة من المظالم التى كره تقدماتهم وعبادتهم بسببها داعياً إياهم إلى إصلاح مواقفهم بشأنها فقال: "اطلبوا الحق، انصفوا المظلوم، اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة. هلمَّ نتحاجج يقول الرب. إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيض كالثلج. إن كانت حمراء كالدودى تصير كالصوف. إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض. وإن أبيتم وتمرّدتم تؤكلون بالسيف لأن فم الرب تكلّم" (إش١: ١٧-٢٠).

ولكن شعب إسرائيل تمادى فى خطاياه حتى أنهم صلبوا البار القدوس الذى تجسّد من العذراء لأجل خلاص العالم. وجّهوا إليه سهام كراهيتهم لأنه وبّخهم على خطاياهم مثلما وبّخهم من قبل على فم إشعياء النبى.

وقد ذكر الرب مرثاة على مدينة أورشليم التى صار القتل فيها شيئاً عادياً، حتى انتهى الأمر إلى صلب السيد المسيح نفسه. فقال بفم إشعياء النبى: "كيف صارت القرية الأمينة زانية؟!! ملآنة حقاً، كان العدل يبيت فيها. وأما الآن فالقاتلون" (إش١: ٢١).

حقاً قال معلمنا بولس الرسول: "وأما غاية الوصية فهى المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء" (١تى١: ٥).

العبادة المقبولة

قال الرب عن الصوم كجزء من العبادة: "أليس هذا صوماً أختاره: حَلّ قيود الشر. فك عقد النير وإطلاق المسحوقين أحرارًا وقطع كل نير. أليس أن تُكسر للجائع خبزك، وأن تُدخل المساكين التائهين إلى بيتك. إذا رأيت عرياناً أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك. حينئذ ينفجر مثل الصبح نورك.. حينئذ تدعو فيُجيب الرب. تستغيث فيقول هأنذا" (إش ٥٨: ٦-٩).

الصوم يصير مقبولاً حينما يقترن بأعمال الرحمة والمحبة والتوبة. وهكذا أيضاً كل ذبيحة وتقدمة وقربان يصير مقبولاً حينما تراعى وصية المحبة.

كن مراضياً لخصمك

بعدما أكدّ السيد المسيح أهمية الالتزام بوصية المحبة ليكون القربان مقبولاً أمام الله، قال: "**كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه فى الطريق. لئلا يسلمك الخصم إلى القاضى، ويسلمك القاضى إلى الشرطى فتلقى فى السجن. الحق أقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الأخير**" (مت٥: ٢٥، ٢٦).

من الممكن أن تفسرّ عبارة "كن مراضياً لخصمك" على أساس أن الإنسان يجب أن يذهب ويصطلح مع أخيه إن تذكر أن لأخيه شيئاً عليه، لأن قربانه وعلاقته مع الله بصفة عامة لا يمكن أن تكون مقبولة إلا إذا أصلح ما أخطأ

به أولاً مثلما فعل زكا الذى كان رئيساً للعشارين، وحينما دخل السيد المسيح بيته وقلبه وحياته، وقف وقال: "ها أنا يا رب أعطى نصف أموالى للمساكين، وإن كنت قد وشيت بأحدٍ أرد أربعة أضعاف" (لو١٩: ٨). وهنا قال السيد المسيح: "اليوم حصل خلاص لهذا البيت إذ هو أيضاً ابن إبراهيم" (لو١٩: ٩). أى أن علاقة زكا بالسيد المسيح قد ارتبطت بإصلاحه لما أخطأ به فى حق الآخرين ورد ما لهم عنده فى صورة أربعة أضعاف ما ظلمهم فيه من قبل.

ولكن يمكننا أن نفسّر عبارة "**كن مراضياً لخصمك**" بصورة أوسع من مفهوم أن الخصم هو الأخ الذى نخطئ فى حقه، إلى مفهوم أن **الخصم هو ضمير الإنسان المنقاد بروح الله** أى الضمير الذى يقوم الروح القدس بتوجيهه فى الاتجاه السليم.

فالضمير يختصم الإنسان حينما يخطئ، ويشعر أن قلبه يضربه، وأفكاره تخاصمه، بمعنى أن ضميره يوبخه حينما يخطئ بأية صورة: سواء فى حق الله أو فى حق القريب.

عن هذا المعنى قال القديس يوحنا الرسول فى رسالته الأولى: "يا أولادى لا نحب بالكلام ولا باللسان، بل بالعمل والحق. وبهذا نعرف أننا من الحق **ونسكّن قلوبنا قدامه. لأنه إن لامتنا قلوبنا** فالله أعظم من قلوبنا ويعلم كل شئ" (١يو٣: ١٨، ١٩).

فالقديس يوحنا يقصد أننا إن لم ننفذ وصايا المحبة مثل الرحمة بإخوة الرب المحتاجين أو أى جانب من جوانب المحبة لله والقريب فإن قلوبنا سوف تلومنا. ولا نستطيع أن نشعر بسلام قلبى أمام الله. وحينما تلومنا قلوبنا أى ضمائرنا فإن الله يعلم ذلك وهو الفاحص القلوب والكلى ولا يختفى عنه شئ. وسوف يحاسب الله الإنسان عن كل عناد مع ضميره أو مع صوت الروح القدس فى داخله إن كان ضميره ليس قادراً أن يشعر وأن يفهم الحق أو الصواب.

وقد أوضح القديس بولس هذه الحقيقة بقوله: "الذين يظهرون عمل الناموس مكتوباً فى قلوبهم شاهداً أيضاً ضميرهم وأفكارهم فيما بينها مشتكية أو محتجة. فى اليوم الذى فيه يدين الله سرائر الناس حسب إنجيلى بيسوع المسيح" (رو٢: ١٥، ١٦).

والإنسان حينما لا يلومه قلبه –إذ يسلك بإرشاد الروح القدس– تصير له دالة أمام الله. فيستجيب الله لطلباته وتُقبل قرابينه. كقول المرنم: "لتستقم صلاتى كالبخور قدامك. ليكن رفع يدى كذبيحة مسائية" (مز١٤٠: ٢).

وقد أكد القديس يوحنا الرسول أهمية أن يشعر الإنسان بسلام قلبه إزاء تصرفاته فى ضوء مشورة الروح القدس الذى ينقى قلبه وضميره من الشوائب والتأثيرات الخارجية. وفى هذه الحالة تصير صلاته مقبولة أمام الله فقال: "أيها الأحباء إن لم تلمنا قلوبنا فلنا ثقة من نحو الله، ومهما سألنا ننال منه لأننا نحفظ وصاياه ونعمل الأعمال المرضية أمامه. وهذه هى وصيته أن نؤمن باسم ابنه يسوع المسيح ونحب بعضنا بعضاً كما أعطانا وصية. ومن يحفظ وصاياه يثبت فيه وهو فيه **وبهذا نعرف أنه يثبت فينا من الروح الذى أعطانا**" (١يو٣: ٢١-٢٤).

إن الروح القدس يقودنا إلى الإيمان بالمسيح بقبول محبة الله المعلنة فى الصليب وإلى محبة القريب. أى إلى حفظ وصايا محبة الله ومحبة القريب التى بها يكمل الناموس والأنبياء.

ما بين الروح القدس والضمير

الضمير بالطبع ليس هو الروح القدس. بل كما شرح قداسة البابا شنودة الثالث- أطال الرب حياته- فإن الضمير هو المحكمة التى تحاكم الإنسان وتحاسبه على تصرفاته. وهو جزء من طبيعة الإنسان.. وضعه الله فى الإنسان ليراجع الإنسان ويحاسبه كما ذكرنا..

ولكن الضمير كمحكمة يستلم قواعد أو قوانين يسلك بمقتضاها. فإذا استلم قوانين غير سليمة، فإن أحكامه فى ضوء هذه القواعد والقوانين لا تكون سليمة بناءً على ذلك. ولهذا فإن الضمير من الممكن أن يخطئ فى أحكامه، كما أنه يتأثر بالعوامل التربوية والتأثيرات الخارجية.

أما الروح القدس فإنه يرشد إلى جميع الحق (انظر يو١٦: ١٣). والروح القدس لا يمكن أن يخطئ. وهو يمكنه أن يصحح للضمير ما استلمه من قواعد بعيدة عن الحق الإلهى. لهذا قال السيد المسيح لشاول الطرسوسى قبل أن يصير بولس الرسول: "شاول شاول لماذا تضطهدنى.. صعب عليك أن ترفس مناخس" (أع٩: ٤، ٥).

كان شاول الطرسوسى يضطهد الكنيسة بجهل. ولهذا تدخل الله ليصحح له ولضميره ما كان يعتقد أنه صواب وهو خطأ وهو اضطهاد تلاميذ الرب يسوع المسيح. وقد استجاب بولس لنداء السيد المسيح ولم يرفس مناخس ضميره الذى استنار بالنعمة الإلهية.

من الجانب الآخر نرى بيلاطس البنطى وهو يحاكم السيد المسيح إذ لم يجد فيه علة واحدة للموت وعلم أن رؤساء اليهود قد أسلموه حسداً.. وأثناء المحاكمة أرسلت إليه امرأته تقول: "إياك وذلك البار لأنى تألمت اليوم كثيراً فى حلم من أجله" (مت٢٧: ١٩). جاء إليه الإنذار أن يقتل البار وهو حاكم بإطلاقه، ولكنه خالف ضميره بعد الإنذار وحكم عليه بالموت صلباً إرضاءً لليهود، وخوفاً على منصبه ولن يجديه على الإطلاق أن أحضر ماءً وغسل يديه أمام الجميع قائلاً: "إنى برئ من دم هذا البار" (مت٢٧: ٢٥). كانت خطية اليهود أعظم من بيلاطس. ولكن بيلاطس لم يتبرر بغسل يديه لأنه لم يحكم بالحق والصواب. وإذ رفض الحق الأصغر لم يحدثه السيد المسيح عن الحق الأعظم حينما تساءل قائلاً: "ما هو الحق" (يو١٨: ٣٨). كان الحق ماثلاً أمامه فى شخص السيد المسيح ولكنه لم يتمكن من قبوله لأن قلبه كان مائلاً بعيداً عن الحق. لهذا قال السيد المسيح "كل من هو من الحق يسمع صوتى" (يو١٨: ٣٧).

القاضى والشرطى والسجن

القاضى هو الله ديان الجميع، والشرطى هو أحد الملائكة أجناد العلى، والسجن هو موضع الدينونة للأشرار.

وطالما أن الإنسان لم يصطلح مع الله قبل الدينونة بالتوبة فلن يستطيع أن يوفى الدين الذى عليه. وسيقع فى دينونة أبدية كما قال السيد المسيح عن الذين عن اليسار "اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته.. فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى، والأبرار إلى حياة أبدية" (مت٢٥: ٤١، ٤٦).

إن دم المسيح هو الذى يفى ديون الإنسان الروحية. وبدون التوبة والاغتسال بدم المسيح فإنه لن يوفى الفلس الأخير، بل يقع فى دينونة أبدية، كقول السيد المسيح: "إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لو١٣: ٣).

قيل للقدماء لا تزن، وأما أنا أقول لكم...

أوضح السيد المسيح أنه جاء ليصل بالوصية إلى كمالها فقال: "**قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن، وأما أنا أقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه**" (مت٥: ٢٧، ٢٨).

التحرر من الخطية

عالج السيد المسيح الخطية من جذورها. لأن خطية الزنا لا تبدأ بممارسة فعل الزنا، بل تبدأ بنظرة الاشتهاء أو بقبول أى حاسة من حواس الإنسان لما يثير الشهوة مثل حاسة اللمس أو الشم أو السمع.. وهكذا.

لذلك قال القديس يعقوب الرسول: "كل واحد يجرب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتاً" (يع١: ١٤، ١٥).

فالمرحلة الأولى هى انجذاب الإنسان نحو الشهوة، والمرحلة الثانية هى استقرار الشهوة ونموها فى فكر وقلب الإنسان، والمرحلة الثالثة هى ممارسة الخطية بالفعل بكل ما يمكن أن ينتج عنها من نتائج مدمرة قد يصعب إصلاحها.

اعتبر السيد المسيح أن قبول الشهوة الجنسية فى داخل القلب هو نوع من أنواع الزنا وكسر للوصية..

فالإنسان لكى يصل إلى حياة القداسة، لا يكفيه أن يمتنع عن فعل الخطية، بل ينبغى أن يكره الخطية من عمق قلبه لسبب محبته القوية لله، وشدة التصاقه به.

وقال السيد المسيح: "سراج الجسد هو العين. فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً. وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً" (مت٦: ٢٢، ٢٣). الحواس هى الأبواب التى تدخل منها الشهوات إلى القلب. لذلك حذّر السيد المسيح من عدم الاحتراس فى حفظ الحواس طاهرة ونقية. كما أن القلب من الداخل ينبغى أن يقاوم كل تأثير قادم من خارج الحواس، مما قد يؤثر فى كيان الإنسان إن تجاوب مع هذا التأثير.

خطورة خطية الزنا

حذّر الكتاب المقدس من خطية الزنا فى مواضع كثيرة موضحاً أنها تدخل إلى الكيان الجسدى للإنسان وتدمّره.

فقال معلمنا بولس الرسول: "اهربوا من الزنا.كل خطية يفعلها الإنسان هى خارجة عن الجسد، لكن الذى يزنى يخطئ إلى جسده. أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم" (١كو٦: ١٨، ١٩).

والقديس بولس بهذا يضع كل الخطايا فى جانب، وخطية الزنا فى جانب آخر باعتبار أن الخطايا الأخرى التى يفعلها الإنسان هى خارجة عن الجسد. أما الذى يزنى يخطئ إلى جسده، ويهين الأعضاء التى تقدست بدم المسيح وصارت ملكاً له. ولهذا قال: "ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح. أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية. حاشا. أم لستم تعلمون أن من التصق بزانية هو جسد واحد. لأنه يقول يكون الاثنان جسداً واحداً. وأما من التصق بالرب فهو روح واحد"(١كو٦: ١٥-١٧).

ولعل كلام معلمنا بولس الرسول يوضح الفرق بين الزنا فى الفكر والزنا بالفعل. فلا ينبغى أن يقول شاب أننى طالما نظرت بشهوة نحو امرأة فيمكننى أن أفعل الشر معها لأن الخطية واحدة فى كلتا الحالتين!!.. ولكن ليس الأمر هكذا. الشهوة فى القلب نحو امرأة هى خطية زنا كما قال السيد المسيح. أما الذى يمارس الفعل فيقع فى متاعب كثيرة وقد يصعب عليه الخروج منها. فخطية الفعل لها نتائجها الخطيرة داخل كيان الإنسان. وتحتاج إلى جهادات كثيرة للتخلص من آثارها. كذلك قد تنتج عنها أمور أخرى تؤثر على سمعة الإنسان وأوضاعه الاجتماعية. مثل الطلاق بالنسبة للمتزوجين واحتمالات الإنجاب لغير المتزوجين.. وهكذا. هذا إلى جوار ما يمكن أن يصيب جسد الإنسان من أمراض فتاكة أو قاتلة.. فيالها من خطية مدمِّرة لحياة الإنسان.

ومقاومة هذه الخطية يحتاج إلى سهر واتضاع وانسحاق قلب. فالكتاب يقول عن هذه الخطية المريعة أنها "طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء. طرق الهاوية بيتها، هابطة إلى خدور الموت" (أم٧: ٢٦، ٢٧).

لهذا يحذّر **قداسة البابا شنودة الثالث** كل إنسان لكى يتضع فى قلبه ويحترس من هذه الخطية بأن يردد فى قلبه هذه العبارة قائلاً لنفسه [أنا لست أقوى من شمشون، ولا أطهر من داود، ولا أحكم من سليمان] فكل هؤلاء أسقطتهم خطية الزنا أو أغوتهم الشهوة نحو النساء بالرغم من قوة شمشون وطهارة داود وحكمة سليمان.

وقد ورد فى سفر الأمثال تحذيرات قوية من خطية الزنا نورد منها ما يلى:

"يا ابنى اصغ إلى حكمتى. أمل أذنك إلى فهمى. لحفظ التدابير ولتحفظ شفتاك معرفة. لأن شفتى المرأة الأجنبية تقطران عسلاً وحنكها أنعم من الزيت. لكن عاقبتها مُرة كالأسفنتين. حادة كسيف ذى حدين. قدماها تنحدران إلى الموت، خطواتها تتمسك بالهاوية. لئلا تتأمل طريق الحياة. تمايلت خطواتها ولا تشعر" (أم٥: ١-٦).

"رأيت بين الجهال لاحظت بين البنين غلاماً عديم الفهم. عابراً فى الشارع عند زاويتها وصاعداً فى طريق بيتها.. وإذا بامرأة استقبلته فى زى زانية وخبيثة القلب.. فأمسكته وقبلته. أوقحت وجهها وقالت له.. بالديباج فرشت سريرى.. عطرت فراشى بمر وعود وقرفة. هلم نرتو وداً إلى الصباح، نتلذذ بالحب.. أغوته بكثرة فنونها بملث شفتيها طوحته. ذهب وراءها لوقته كثور يذهب إلى الذبح أو كالغبى إلى قيد القصاص. حتى يشق سهم كبده. كطير يسرع إلى الفخ ولا يدرى أنه لنفسه" (أم٧: ٧-٢٣).

الهروب من الخطية

كما هرب يوسف الصديق من امرأة سيده فوطيفار. هكذا قال معلمنا بولس الرسول: "**اهربوا من الزنا**" (١كو٦: ١٨). وقال لتلميذه تيموثاوس: "**أما الشهوات الشبابية فاهرب منها**" (٢تى٢: ٢٢).

هذه الخطية أفضل وسيلة لمحاربتها هو الهروب منها بدءًا من إغلاق جفون العين بسرعة عن أى منظر يقود إلى الشهوة. مع صلاة القلب السرية {يا ربى يسوع المسيح خلّصنى} التى يرددها الإنسان فيجد النجاة..

سمو وصايا العهد الجديد

ليست القداسة فقط هى فى الامتناع عن ممارسة الشر بصورة يراها الناس أو يلمسونها.. بل هى الامتناع عن اشتهاء الشر أو التفكير فيه. بمعنى أن النقاوة الحقيقية تنبع من قلب الإنسان وتنعكس على أفعاله المنظورة.

كما أن القداسة تمتد إلى ما هو أبعد من مجرد الامتناع عن ممارسة الخطية بالفعل أو بالفكر.. لأن القداسة تستدعى كراهية الخطية بالانطلاق إلى الجانب الإيجابى فى التمتع بمحبة البر، **أى بمحبة الله التى تطرد من القلب محبة الخطية.**

فالإنسان سيعيش فى صراع مستمر مع رغبة الخطية وجاذبيتها، طالما هو لم يمتلئ من **محبة الله التى تطهر القلب، وتصل به إلى النقاوة الحقيقية فى كره الخطية والتحرر من سلطانها**، والتمتع بحرية الحياة الحقيقية فى المسيح.

وبما أن الإنسان قد امتلأ قلبه من محبة الله، فإنه يستطيع أن يضبط الجسد بمؤازرة النعمة، وأن يحتقر الشهوات الدنسة، وأن يضحى فى سبيل ذلك بكل ما يتعارض مع الحياة الطاهرة النقية.

اقلعها وألقها عنك

بعد أن نبّه السيد المسيح إلى أهمية طهارة العين وبعدها عن الاشتهاء الذى يدنس القلب وكل كيان الإنسان، بدأ يضع فاصلاً بين النور والظلمة فقال: "فإن كانت عينك اليمنى تعثرك **فاقلعها وألقها عنك**. لأنه خير لك أن يهلك

أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم. وإن كانت يدك اليمنى تعثرك **فاقطعها وألقها عنك**. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم" (مت٥: ٢٩، ٣٠) .

كلام السيد المسيح يدل على أنه لا تساهل مع الخطية.. فالذى يحب الله لا يتساهل مع الخطأ مهما كانت التضحيات المطلوبة.

هناك من الشهداء من فضّلوا الموت على أن يفقدوا عفتهم، ومن القديسين والقديسات من فقدوا أعضاءً من جسدهم ليحفظوا طهارته.

إحدى القديسات كانت جميلة العينين جداً، فولع أحد الشباب بمحبتها وصار يحوم حولها. فسألته: ما الذى أولع قلبك هكذا؟ فقال لها: عيناك سحرتانى. وكانت جالسة تعمل بمغزل. فأخذته لتوها وأخرجت إحدى عينيها وطرحتها أمام ذلك الشاب المفتون بجمالها وقالت له: هذه عيناى التى سحرتك فخذها إن كنت تريد. فأصيب الشاب بصدمة عارمة وصار يبكى نادماً مانعاً إياها من أن تقلع عينها الأخرى بسببه. وخرج منه شيطان الزنا ولم يعد يفكر فى هذه القديسة بالشر مرة أخرى.. **هذه القديسة تعطينا مثلاً عن قوة تنفيذ الوصية وتأثيرها على قهر حروب الشياطين.**

إن كان الإنسان يجد عثرة فى إحدى المجلات الخليعة فبدلاً من أن يقلع عينه أليس من الأفضل أن يمزق هذه المجلة ويلقيها عنه؟!

إن كان الشاب يجد عثرة فى صداقته مع زميل أو زميلة فى الدراسة، فبدلاً من أن يقلع عينه أو يقطع يده أليس من الأفضل أن يقطع علاقته بهذا الزميل أو هذه الزميلة؟!

إن كان الإنسان يجد عثرة فى ذهابه إلى أحد الأماكن. فبدلاً من أن يقطع رجله ويلقيها عنه، أليس من الأفضل أن يقطع رجله عن الذهاب إلى هذا المكان المعثر.. أى أن يمنع نفسه قطعياً من الذهاب إلى هناك!

إن الوصية تتطلب من الإنسان حزماً فى تطبيقها لأن الرسول بولس يقول: "لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية" (عب١٢: ٤). فبما أن الإنسان مطالب بالجهاد حتى الدم ليحفظ طهارته، أليس الأجدر به أن يمتنع عن كل ما يمكن أن يعثره بدلاً من تقطيع الأعضاء منعاً للعثرات.

إن الوصية فى قوتها وحزمها تعلن أنه لا حلول وسط بين النور والظلمة، وأنه لا توجد شركة للبر مع الإثم.. وأن القداسة هى الاختيار الوحيد لطريق الملكوت. فلا يتعلل الإنسان بعلل فى الخطايا مع الناس فاعلى الإثم، بل يسلك فى طريق الاستقامة ناظراً إلى رئيس الإيمان ومكمله. لأنه ليس أحد وهو يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله.

لا تفاوض ولا مهادنة مع الخطية، بل الموقف حازم وشجاع، مع تضحيات تستخف بالجسد ورغباته، وبالعالم الحاضر وضغوطه وتأثيراته. وأمامنا قصة يوسف الصديق الذى أحكمت الخطية حلقاتها حوله من كل جانب، وكان

الجو مهيأ والظروف ضاغطة من قِبل امرأة سيده فوطيفار. ولكنه ترك لها ثوبه الذى أمسكت به، وهرب بكل إصرار قائلاً: "كيف أصنع هذه الشر العظيم وأخطئ إلى الله" (تك٣٩: ٩).

كتاب الطلاق

بعد الحديث عن العفة فى نظرة الرجل نحو المرأة، والبعد عن الشهوة التى تدنس الحواس، بدأ السيد المسيح يتكلم عن شريعة الزواج فى المسيحية "**وقيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق. وأما أنا فأقول لكم إن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزنى، ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى**" (مت٥: ٣١، ٣٢).

يبدو أن شريعة العهد القديم قد أوصت الرجل أن يمنح زوجته كتاب طلاق إذا أراد أن يطلقها، لكى يثبت بدليل قاطع أنه قد طلقها، وأصبح من حقها أن تتزوج بغيره بعد مدة مناسبة.

وذلك لئلا يعود فيدعى أنه لم يطلقها ويتهمها بالزنى مع رجلها الجديد ويضعها تحت حكم الشريعة الموسوية التى تعاقب بالقتل من كانت متزوجة وأخطأت بالزنى مع رجل آخر.

كذلك فإن كتاب الطلاق كان يمنع حدوث مشاكل بشأن نسب الأطفال الذين يولدون منها عندما يصعب إثبات موعد انفصال زوجته عنه. ولكن كتاب الطلاق يحدد التاريخ.

ومن جهة أخرى فإن الكتابة تستغرق جهداً ووقتاً أكثر من الكلام، كما يحتاج إلى شهود يوقعون عليه. وكل ذلك يعطى للزوج فرصة لمراجعة نفسه قبل أن يدخل الطلاق فى حيز التنفيذ.

كان من حق الرجل أن يعيد امرأته بعد تطليقها بعقد زواج جديد طالما أنها لم تتزوج برجل آخر. وقد منعت الشريعة الموسوية بحزم أن يستعيد الرجل زوجته إذا تزوجت برجل آخر ثم طلقها هذا الزوج الجديد أو مات، وقال الرب فى ذلك: "إذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها، فإن لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شئ وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها وأطلقها من بيته. ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر. فإن أبغضها الرجل الأخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه إلى يدها، وأطلقها من بيته أو إذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها له زوجة. لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تتجست. لأن ذلك رجس لدى الرب. فلا تجلب خطية على الأرض التى يعطيك الرب إلهك نصيباً" (تث٢٤: ١-٤).

كان قصد الرب فى ذلك أنه لا يجوز أن يعطى الرجل زوجته لرجل آخر عن طريق تطليقها، ثم يعود ويأخذها مرة أخرى لتصير له زوجة. إما أن يحفظ زوجته لنفسه قبل أن يطلقها أو قبل أن يأخذها رجل آخر لنفسه، وإما أن يفقدها إلى الأبد كزوجة، لأنه لم يكن أميناً عليها فى حفظها من الارتباط بأزواج آخرين ولم تعد تحل له.

الرب فى علاقته بالبشر قيل عنه: "إن كنا غير أمناء فهو يبقى أميناً لن يقدر أن ينكر نفسه" (٢تى٢: ١٣). إنه "يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تى٢: ٤). وقال: "من يقبل إلىّ لا أُخرجه خارجاً" (يو٦: ٣٧)

و"الذين أعطيتنى حفظتهم ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب" (يو١٧: ١٢). أى أن الرب لا يفرط فى شعبه طالما أن شعبه متمسك به.

من أجل قساوة قلوبكم

سألوا السيد المسيح "لماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق"؟! (مت١٩: ٧). فأجابهم قائلاً: "**إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم. ولكن من البدء لم يكن هكذا.** وأقول لكم إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى. والذى يتزوج بمطلقة يزنى" (مت١٩: ٨، ٩).

حينما شرح السيد المسيح سبب منع الطلاق إلا لعلة الزنى فى شريعة العهد الجديد تكلم عن قصد الله فى تكوين الأسرة فى بداية الخليقة. وقال عن الطلاق الذى سمح به موسى "من البدء لم يكن هكذا" بل شرح باستفاضة أكثر حينما سأله الفريسيون: "هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب؟ فأجاب وقال لهم: أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى؟ وقال: من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد. فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان" (مت١٩: ٣-٦).

لقد تزايدت القساوة فى قلب الإنسان حتى أن الرب سمح للرجل أن يطلق امرأته خوفاً عليها من شدة قسوة الرجل الذى ربما يصل به الأمر أن يقتلها إذا كرهها كراهية شديدة.. أو ربما تقتل هى نفسها تخلصاً من قساوة رجلها.. أو قد تتعرض للغواية من رجل آخر يمنحها الحب والحنان فى مقابل القسوة التى يعاملها بها زوجها.

كل ذلك فى إطار الحياة تحت الناموس الموسوى فى العهد القديم. وبدون النعمة الفائقة التى ينالها المؤمنون بالمسيح فى العهد الجديد، والتى تجعل الإنسان قادراً على التحمل حتى إلى الاستشهاد من أجل محبته للفادى الذى اشتراه بدمه ومنحه سلطاناً لحياة البنوة، ومعونة من الروح القدس الساكن فيه.

سمات العهد القديم

بدأت العداوة فى العهد القديم بين الإنسان وأخيه الإنسان بمجرد السقوط فى الخطية - حين فسدت الطبيعة البشرية فى آدم وحواء.

نرى الله يبحث عن الإنسان -والإنسان يهرب خائفاً من وجه الرب الذى أحبه- والسبب فى ذلك هو العداوة التى نشأت بين الإنسان الذى سقط والله القدوس الرافض للشر والخطية..

"وسمعا صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار. فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله فى وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال له: أين أنت؟. فقال: سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت. فقال: من أعلمك أنك عريان؟ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها؟ فقال آدم: **المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فأكلت.** فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذى فعلتِ؟ فقالت المرأة: الحية غرّتنى فأكلت" (تك٣: ٨-١٣).

هنا نرى بداية التباعد بين الرجل وزوجته.. إنه يضع اللوم عليها محاولاً أن يتهرب من مسئوليته كزوج وكقائد للأسرة.

أين المحبة الزوجية التى تبذل وتعطى؟. أين صورة المسيح –آدم الجديد– الذى حمل خطايا الكنيسة ودفع ثمنها واضعاً نفسه عنها؟ "أنا أضع نفسى عن الخراف" (يو ١٠: ١٥).

من هنا نرى التباين بين الصورة فى الحياة العائلية بين آدم الأول وآدم الثانى. وتزايدت العداوة بين الإنسان وأخيه الإنسان وقام قايين على أخيه البار هابيل وقتله، ولماذا قتله؟ لأن أعماله كانت شريرة وأعمال أخيه كانت بارة.

وحتى مع عدم وجود القتل الواضح. وُجدت الكراهية أو وُجدت الأنانية ومحبة الذات فى حياة البشر. وانتشرت المنازعات والخصومات والمظالم. ودخلت هذه الأمور داخل البيوت. فلم يعد هناك سلاماً دائماً بين الإنسان وأخيه الإنسان. لم يكن من الممكن أن يلزم الله الناس بشريعة العهد الجديد ويطالبهم بمحبة الأعداء وبالتنازل عن الحق الشخصى إرضاءً للغير وكسباً لمحبتهم.. وهى الوصايا التى تميز بها العهد الجديد عن العهد القديم.

وهو يسود عليك

قال الرب لحواء بعد أن أغوت رجلها للأكل من الشجرة: "إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك" (تك٣: ١٦).

اتسم العهد القديم بسيادة الرجل على المرأة بصورة جعلت المساواة بينهما ضرباً من الخيال. فهو الذى يخطب المرأة وهو الذى يطلّقها. ويمكن أن يتزوج بنساء أخريات عليها. أى لا تكون هى وحدها زوجة. كان ذلك كله رمزاً وإشارة لحالة البشرية التى سقطت تحت حكم الدينونة لسبب الخطية، وأصبحت تحت القصاص، وتحت لعنة الناموس.

وحينما كانت الأمة اليهودية تتزايد فى خطاياها، كان الرب يقول للشعب: "حاكموا أمكم" (هو٢: ٢)، "أين كتاب طلاق أمكم التى طلقتها" (إش٥٠: ١).

لم يكن العهد القديم عهداً ثابتاً، لأن العهد كان يُنقض باستمرار من جانب البشر. لذلك قال الله على فم نبيه أرميا: "ها أيام تأتى يقول الرب وأقطع مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا **عهداً جديداً. ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى فرفضتهم يقول الرب.** بل هذا هو العهد الذى أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب. أجعل شريعتى فى داخلهم، وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لى شعباً" (أر ٣١: ٣١-٣٣).

كانت طبيعة العهد القديم هى عهد يحدث فيه طلاق بين الرجل والمرأة، كما بين الله والجماعة. ولكن العهد الجديد قال عنه الرب: "عهداً جديداً؛ ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم.. حين نقضوا عهدى فرفضتهم". هذا العهد الجديد هو عهد لا يُنقض.

سمات العهد الجديد

فى العهد الجديد أظهر الله حبه للبشرية بالفداء العجيب الذى صنعه بذبيحة الابن الوحيد على الصليب. وزالت العداوة القديمة التى سببتها الخطية. صارت الكنيسة عروساً للمسيح وقد اشتراها بدمه الغالى الثمين.

لم تعد علاقة الشعب بالله علاقة العبيد بسيدهم، بل علاقة الأبناء بأبيهم السماوى. وزالت العداوة بين الله والإنسان وبين الإنسان وأخيه الإنسان. وملك الرب بمحبته على قلوب الذين آمنوا بخلاصه ومحبته.

ولهذا صارت صورة المسيح والكنيسة هى المثال الذى تُبنى عليه الأسرة المسيحية. وقال معلمنا بولس الرسول: "أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب. لأن الرجل هو رأس المرأة، كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو مخلص الجسد، ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن فى كل شئ. أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة، وأسلم نفسه لأجلها. لكى يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة.. كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم.. من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. هذا السر عظيم، ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة، وأما أنتم الأفراد فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه، وأما المرأة فلتهَب رجلها" (أف٥: ٢٢-٣٣).

أصبح الرجل مطالباً بأن يحب زوجته على مثال محبة المسيح للكنيسة، والزوجة تخضع لرجلها مثل خضوع الكنيسة للمسيح.

لم تعد هناك قساوة ولا محبة الذات. بل بمعونة الروح القدس الذى يعمل فى المؤمنين ويعمل أيضاً فى سر الزيجة الكنسى المقدس، أصبح من الممكن أن يضحى الزوج بنفسه من أجل محبته لزوجته على مثال السيد المسيح.. ويضحى براحته.. ويضحى برغباته الشخصية.. ويضحى بمصالحه الذاتية.. كل ذلك حباً فى زوجته وسعياً لإرضائها وإسعادها ولكن ليس على حساب المبادئ المسيحية والوصايا الإلهية.

أما خضوع المرأة لرجلها فليس لأنه يرغب فى إذلالها، بل لأن الله يقود الأسرة من خلاله. مثل قيادة الكنيسة مثلاً بواسطة الأب الأسقف فى إيبارشيته. أو قيادة حياة الإنسان الروحية بواسطة أب اعترافه. إنها قيادة بتكليف من الله من أجل خير الأسرة وسلامتها وليس لإرضاء نوازع الزوج فى حب السيادة والسيطرة.

ونظراً لأن العهد الجديد هو عهد أبدى بين الله والكنيسة. هكذا صار الزواج المسيحى الكنسى عهداً لا ينفصم مدى الحياة: "فالذى جمعه الله لا يفرقه إنسان" (مت١٩: ٦، مر١٠: ٩).

صار من حق المرأة أن تُكرَّم من الرجل وأن تتمتع بكامل حقوقها. ولم يعد من حق الرجل أن يطلقها إلا فى حالة الخيانة الزوجية. وللمرأة نفس الحق فى أن تطلق رجلها لنفس السبب. وصار من حق المرأة أن يكون لها رجلها الخاص، فليس للرجل أن يتخذ أكثر من زوجة بدليل قول السيد المسيح: "من طلق امرأته إلا بسبب الزنى وتزوج بأخرى يزنى" (مت١٩: ٩).

فزنى الرجل هنا سببه أنه تزوج بغير امرأته التى مازالت مرتبطة به طالما لم تخونه مع آخر (انظر كتاب شريعة الزوجة الواحدة فى المسيحية لصاحب القداسة **البابا شنودة الثالث** -أطال الرب حياته).

لا تحلفو البتة

انتقل السيد المسيح من شريعة عدم الطلاق إلا لعلة الزنى فى العهد الجديد إلى شريعة عدم القسم فى العهد الجديد فقال: "**أيضاً سمعتم أنه قيل للقدماء: لا تحنث، بل أوف للرب أقسامك.وأما أنا فأقول لكم: لا تحلفوا البتة لا بالسماء لأنها كرسى الله، ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه، ولا بأروشليم لأنها مدينة الملك العظيم. ولا تحلف برأسك، لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء، بل ليكن كلامكم نعم نعم، لا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير**" (مت٥: ٣٣-٣٧).

شرح السيد المسيح سبب منع القسم فى شريعة العهد الجديد. وهو أن الذى يقسم بشئ ينبغى أن يملك ما يقسم به. مثل أن يقسم إنسان قائلاً: [وحياة عينى] أى أنه يضع عينيه بقسم فى مقابل تنفيذ ما قد وعد به أو تأكيد صحة ما يحكيه. وتكون النتيجة أنه لو أراد تنفيذ القسم عليه أن يقلع عينيه إذا لم يفِ بوعده أو إذا ظهر كذبه فيما حكاه.

لا أحد يملك عينيه كقول الرسول: "إنكم لستم لأنفسكم، لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (١كو٦: ١٩، ٢٠). لقد اشترانا السيد المسيح بدمه وصارت أجسادنا وأرواحنا ملكاً له، كمفتداه بثمن كريم.. ليس من حق الإنسان أن يقسم برأسه ولا بعينيه ولا بشعرة واحدة من رأسه، ولا أن يقسم برحمة والده أو والدته التى لا يملكها، ولا بالسماء التى هى كرسى الله ولا بالأرض التى هى موطئ قدميه.

الله وحده هو الذى يملك ذاته بالكامل، يملك جوهره ويملك طبيعته، ويملك وجوده إذ لم يوجده أحد مثل المخلوقات التى خلقها الله وقيل عنها "للرب الأرض وملؤها، المسكونة وجميع الساكنين فيها" (مز٢٣: ١).

لهذا فعندما أوشك إبراهيم على تقديم ابنه إسحق ذبيحة خاطبه الرب وقال: "**بذاتى أقسمت يقول الرب**.. إنى أباركك مباركةً وأكثر نسلك تكثيراً" (تك٢٢: ١٦، ١٧).

عن هذه الواقعة الهائلة قال معلمنا بولس الرسول إن الرب "إذ لم يكن له أعظم يقسم به أقسم بنفسه" (عب٦: ١٣). أعظم شئ فى الوجود هو الله نفسه -لذلك أقسم الرب بنفسه أن يبارك إبراهيم هو ونسله لكى يتأكد الوعد بالخلاص بقسم. وبالفعل أوفى الرب وعده وبذل الرب يسوع المسيح نفسه عن الخراف كقوله المبارك "أنا أضع نفسى عن الخراف" (يو١٠: ١٥). وقوله أيضاً: "ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم بل ليخدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت٢٠: ٢٨). حتى الناسوت الذى أخذه السيد المسيح من السيدة العذراء بفعل الروح القدس جاعلاً إياه واحداً مع لاهوته، هو ملك للسيد المسيح كقول القديس كيرلس الكبير عن الله الكلمة أنه:

أخذ طبيعتنا جاعلاً إياها خاصة به

كان من حق السيد الرب يسوع المسيح أن يبذل نفسه فدية عن كثيرين وقال عن نفسه أن له سلطان عليها وقال: "لأنى أضع نفسى لآخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها منى، بل أضعها أنا من ذاتى. لى سلطان أن أضعها ولى سلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبِلتها من أبى" (يو ١٠: ١٧، ١٨).

لقد سمح الرب بالقسم فى العهد القديم لشعبه ليقسموا باسمه هو وليس باسم الآلهة الأخرى الوثنية. وأوصاهم أن لا ينطقوا باسم الرب إلههم باطلاً. وأن لا يحنثوا فى أقسامهم بل يوفوا للرب الأقسام.

وكم من أقسام لم يتمكن الإنسان من الوفاء بها ونتج عنها مشاكل كبيرة فى علاقته مع الله وفى علاقته مع الناس.

وكم من أقسام تسرع أصحابها فى القسم بها وندموا عليها ووقعوا فى ورطة مثلما أقسم شاول الملك أن يقتل الجندى فى جيشه الذى يذوق شيئاً من الطعام قبل المساء حتى يكون قد انتصر على أعدائه. ولم يسمع ابنه يوناثان بهذا القسم وكان الجنود فى إعياء شديد. واستطاع يوناثان أن يصنع خلاصاً عظيماً فى ذلك اليوم بمعونة من الرب، وبعدما ارتشف كمية من العسل الأبيض البرى. وأراد شاول أن يقتل يوناثان ابنه فافتداه الشعب وطلبوا أن تُقدم ذبائح للرب لأن يوناثان ابنه لم يكن يعلم بقسم والده. وقَبِل الرب الذبيحة ونجا يوناثان من الموت.

إن القسم يضع الإنسان فى تورط شديد ولا حاجة إليه على الإطلاق. وحتى القانون المصرى فى المادة ١٢٨ من قانون المرافعات يسمح للإنسان أن يعتذر فى المحكمة عن أداء القسم حسبما تكون شريعة دينه. يمكنه فقط أن يعطى وعداً للقاضى أن يقول الحق. وبهذا ينفذ قول السيد المسيح: "لا تحلفوا البتة".

لا تقاوموا الشر

بعد أن منع السيد المسيح القَسَم (الحلف) فى العهد الجديد إذ كانت الوصية فى القديم "لا تحنث بل أوف للرب أقسامك".. قال لتلاميذه: "سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن. وأما أنا فأقول لكم **لا تقاوموا الشر**، بل من لطمك على خدك الأيمن **فحوّل له الآخر أيضاً**. ومن أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً. من سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين" (مت٥: ٣٨-٤١).

أراد السيد المسيح أن يمنع تلاميذه من استخدام العنف. فالذى يزرع الشر والعنف هو إبليس. وكان منهج السيد المسيح أن يقاوم العنف بالمحبة والوداعة. أى أنه انتصر على أعدائه بالوداعة وليس بالعنف.

عن تصرف السيد المسيح شخصياً قال معلمنا بطرس الرسول: "إن المسيح أيضاً تألم لأجلنا **تاركاً لنا مثالاً لكى تتبعوا خطواته**. الذى لم يفعل خطية ولا وُجد فى فمه مكر. الذى إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً، وإذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلّم لمن يقضى بعدل. الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبر. الذى بجلدته شفيتم" (١بط٢: ٢١-٢٤).

ليس من الصواب أن نقول أن السيد المسيح كان ينبغى أن يحتمل الآلام والظلم لأنه هو المخلّص ونحن ليس علينا أن نتمثل بـه. بل بـالعكس قال القديس بطرس الرسول: "تاركاً لنا مثالاً لكى **تتبعوا خطواتـه**". فإلى جوار أن السيد المسيح قد حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة لكى يوفى دين الخطية ويقودنا إلى التوبة والموت عن الخطايا فى المعمودية، فإنه من الجانب الآخر يعطينا مثالاً فى كيفية احتمال الظلم والعنف الواقع علينا من الآخرين.
وقال بطرس الرسول: "لأنـه أى مجد هو إن كنتم تُلطمون مخطئين فتصبرون. **بل إن كنتم تتألمون عاملين الخير فتصبرون فهذا فضل عند الله. لأنكم لهذا دعيتم**" (١بط٢: ٢٠، ٢١).
وقال أيضاً: "لأن هذا فضل إن كان أحد **من أجل ضمير نحو الله يحتمل أحزاناً متألماً بالظلم**" (٢بط٢: ١٩).
وفى تسليم أمر الإنسان لله، فإن الله لا ينسى لـه احتمالـه وصبره كما قيل عن السيد المسيح "كان يسلّم لمن يقضى بعدل" (١بط٢: ٢٣). ومعنى ذلك أن الله الآب قد قَبِل ذبيحة الخلاص التى أكملها ابنـه الوحيد الذى تجسد، إلى جوار أنه قد أظهر عدله فى القضاء حينما أقامه من الأموات ناقضاً أوجاع الموت. فإن كان المسيح –لـه المجد– قد مات من أجل خطايا آخرين –البار من أجل الأثمة – إلا أنـه أقيم فى مجد عظيم من أجل بره الشخصى ومن أجل طاعته الكاملة لله أبيه. وكنائب عن البشرية أرضى قلب الآب السماوى بطاعته الفريدة.
كانت القيامة هى أبلغ رد على الظلم الذى وقع على السيد المسيح. هذه القيامة أربكت أعداءه وبددت مؤامراتهم وفضحت افتراءاتهم عليه. "لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومَن على الأرض ومَن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فى٢: ٩–١١).
حينما يطالبنا السيد المسيح أن لا نقاوم الشر فليس معنى ذلك أن الشر هو الذى ينتصر فى النهاية، بل لابد أن ينتصر الخير مهما بدا للشر أنه قد انتصر. ولكن المسألة هى أن لا يجرفنا تيار الشر إلى العنف المتبادل فنقع فى العنف ونفقد المحبة نحو الآخرين. لهذا قال الكتاب: "**لا يغلبنك الشر، بل اغلب الشر بالخير**، فإن جاع عدوك فأطعمه، وإن عطش فاسقه. لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه" (رو١٢: ٢١، ٢٠).

حول له الآخر أيضاً

يقف كثير من الناس متحيرين أو مبهورين أمام هذه الوصية "من لطمك على خدك الأيمن **فحوّل لـه الآخر أيضاً**" (مت٥: ٣٩)!! إنها إحدى وصايا الكمال التى علّم بها السيد المسيح.
أحد الرهبان القديسين طلبه رجل ليشترى منه زنابيل وعندما قرع الراهب الباب فتحت لـه ابنة الرجل وكان بها روح نجس والراهب لا يعلم. وعندما أبصرته لطمته على خده، فحول الخد الآخر وللوقت صرعها الروح النجس وخرج منها

وهو يولول صارخاً: [آه هزمتنى باتضاعك وتنفيذ وصية إلهك].. لقد خرج الروح النجس من الفتاة دون أن يعلم الراهب أن بها روحاً نجساً، ودون أن يصلى عليها لإخراج الشيطان..!!

هذه هى قوة الوصية الخالدة.. وهكذا هزم السيد المسيح الشيطان حينما أراد أن يعبر بطبيعتنا البشرية من الموت إلى الحياة.

تحويل الخد الآخر ليس هو نوع من الضعف أو الخنوع، ولكنه هو دواء الكراهية والعنف. هو قوة الاحتمال وهو روعة الوصية التى تألقت معانيها على الصليب حينما صلى السيد المسيح من أجل صالبيه.

تحويل الخد الآخر فى القلب من الداخل أهم من تحويله فى المظهر الخارجى أى أن الغفران القلبى هو الخد الآخر الخفى الذى ينبغى أن يسبق الخد الآخر الظاهر لئلا نحول الخد الآخر وقلبنا يمتلئ بالغضب أو عدم الغفران..!!

أيتها الوصية الخالدة ما أروع معانيك؟! ليتنا نسبر أغوارك..!

أحبوا أعدائكم

قال السيد المسيح فى تعاليمه الإلهية: "سمعتم أنه قيل (للقدماء) تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم: **أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطرودكم**" (مت٥: ٤٣، ٤٤).

لم يكن من الممكن إعطاء هذه الوصية فى العهد القديم. لأن الإنسان المولود حسب الجسد لا يمكنه أن يسلك بحسب الروح بأسلوب يفوق طاقة الطبيعة البشرية التى ورثها عن أبيه آدم بعد السقوط.

محبة العدو هى مسألة فائقة للطبيعة البشرية التى سقطت ولم يعد بإمكانها أن تأكل من شجرة الحياة التى فى وسط فردوس الله. شجرة الحياة هى شجرة الحب.. الحب الفائق الممنوح من الله ليحيا به الإنسان فى شركة المحبة مع الله كلى المحبة.

لهذا وضع القديس يوحنا الرسول محبة الإخوة كعلامة للولادة والانتقال من الموت إلى الحياة بالولادة من الله فقال: "نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة" (١يو٣: ١٤). قال بولس الرسول: "لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" (رو٥: ٥).

كذلك قال عن ثمار الروح القدس فى حياة الإنسان المولود من الله: "أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام.." (غل٥: ٢٢).

تحب قريبك

أقصى شئ كان من الممكن أن يطالَب به الإنسان فى العهد القديم هو محبة القريب وليس العدو.

ومع هذا لم يتمكن الكثيرون من تطبيق وصية محبة القريب، وحدثت خصومات ومنازعات بين كثيرين من الإخوة والأقرباء فى العهد القديم. بل كثرت المظالم بين الأقرباء حتى كان الرب يوبخ شعبه كثيراً على انتشار الظلم بينهم. (انظر إش١).

من هو القريب عند السيد المسيح ؟

وحينما جاء السيد المسيح أعطانا شريعة الكمال التى تتناسب مع الطبيعة الجديدة التى ينالها الإنسان بولادته من الله فى المعمودية بعد الإيمان بالمسيح كقول الكتاب "أما كل الذين قبلوه **فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله** – أى المؤمنون باسمه– الذين ولدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد، ولا مشيئة رجل بل من الله" (يو١: ١٢، ١٣).

فى مَثل السامرى أوضح السيد المسيح أن القريب هو كل إنسان مهما كانت هويته. وأن المحبة مطلوبة للجميع. وأن صنع الخير هو للجميع.

وفى الموعظة على الجبل أوضح السيد المسيح أن المحبة ينبغى أن تقدّم ليس للقريب فقط، بل وللعدو أيضاً.

ليس أن نحب محبة نظرية للعدو، بل محبة عملية. إذ قال: "أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم. وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطرودكم" (مت٥: ٤٤).

وهنا نرى فى تعليم السيد المسيح أن محبة العدو لا تتوقف عند احتمال إساءاته وعدم الإساءة إليه بالمثل، بل تتخطى ذلك كثيراً:

١– **باركوا لاعنيكم:** فى مقابل اللعنة ينبغى أن نبارك من يلعننا. وبهذا نقهر الشيطان الذى يريد أن ينشر اللعنة. أما أولاد الله فينشرون البركة والحب.

٢– **أحسنوا إلى مبغضيكم:** فى مقابل البغضة والإساءة ينبغى أن نقدم عمل المحبة والإحسان، نمنح مبغضينا الطعام إن جاعوا، والشراب إن عطشوا، والدواء إن مرضوا، والعلاج إن تعرضت حياتهم للخطر فى المستشفيات مثلاً.. نقدّم أيضاً لهم النصائح لفائدتهم إذا احتاجوا إلى نصيحة وسنحت الفرصة لنصحهم.. وهكذا.

٣– **وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطرودكم:** الأعداء يحتاجون إلى صلوات القديسين لعل الله ينير قلوبهم بمعرفة الحق. إن المحبة هى الدواء الذى يشفى من تملأ الكراهية قلبه. والصلاة بدافع الحب لها قوة عظيمة فى طرد شياطين الكراهية من قلوب المبغضين.

كثير من القساة لانت قلوبهم حينما علموا بصلوات القديسين الذين تعذبوا منهم. مثل والى أنصنا الذى آمن وصار راهباً حينما علم بصلوات القديس أسقف أنصنا من أجله بعد انقضاء زمان الاضطهاد. مع أن هذا الأسقف قد نالته

شدائد كثيرة على يد هذا الوالى. كذلك أريانوس والى أنصنا السابق له، آمن بالمسيح وصار شهيداً لسبب محبة أحد الشهداء له أثناء تعذيبه حينما أصاب نشاب عين الوالى وأبرأها له هذا القديس. ونالا كلاهما إكليل الشهادة فيما بعد.

هذه هى روعة وصية السيد المسيح التى تحوّل العدو إلى صديق محب. فبالرغم من صعوبتها البادية لأول وهلة، إلا أنها مملوءة بالفرح والنصرة.

وهذا يذكرنا بالنصيحة التى يرددها **قداسة البابا شنودة الثالث**-أطال الله حياته- عن قول القديس يوحنا ذهبى الفم:

[إن أفضل طريقة يتخلص بها الإنسان من عدوه، هو أن يحول هذا العدو إلى صديق].

ويعجبنى أيضاً قول الشاعر المستوحى من وصية السيد المسيح بمحبة الأعداء:

كن كالنخيل عن الأحقاد مرتفعاً تُلقى بحجر فتُعطى أطيب الثمر

ترك الرداء

قال السيد المسيح: "من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك **فاترك له الرداء أيضاً، ومن سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين**" (مت٥: ٤٠، ٤١).

تكلمنا عن الخد الآخر، وكيف ينبغى أن تقترن إدارة الخد الآخر لمن يلطمنا بالغفران القلبى الداخلى.. بل أن الخد الآخر فى الداخل أهم من التظاهر بإدارة الخد الآخر مع وجود حقد وغيظ داخلى.

هكذا أيضاً، فإن قول السيد المسيح إن من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك، فأعطه الرداء أيضاً، معناه أن يتسامح الإنسان مع من اغتصب حقوقه.. فلا ينبغى أن يحقد عليه، أو ينتقم منه. أن يوجد لديه الاستعداد الداخلى للتخلى والترك والبعد عن العنف والعداوة. إن من يترك الثوب راضياً، يمكنه أن يترك الرداء أيضاً.

فالإيمان بالحياة الأبدية والجزاء الأخروى يجعل من السهل على الإنسان أن يتنازل عن حقوقه ومكاسبه وممتلكاته الأرضية، عن طيب خاطر من أجل السيد المسيح. فالأمور الأرضية وقتية وزائلة، أما الأمور الأبدية فلن تزول كقول الرسول: "غير ناظرين إلى الأشياء التى تُرى، بل إلى التى لا ترى. لأن التى تُرى وقتية وأما التى لا تُرى فأبدية" (٢كو٤: ١٨).

كذلك فإن الإيمان يغمر الإنسان بفيض من الإحساس بعناية الرب به، وأنه سيعوض أضعافاً عن كل ما يتخلى عنه تنفيذاً لوصية المسيح. أليس الرب نفسه هو الذى قال: "ليس أحد ترك.. لأجلى.. إلا ويأخذ مئه ضعف الآن فى هذا الزمان.. وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية" (مر١٠: ٢٩، ٣٠، انظر (مت١٩: ٢٩، لو١٨: ٣٠).

تعويض المئة ضعف الذى تكلّم الرب عنه لا يوجد صك مادى لضمانه.. ولكن الإيمان بصدق وعود السيد المسيح هو أقوى صك يستند إليه المؤمن فى اتكاله على الرب وعلى عنايته.

غير المؤمن فى نظره الدينار الذى فى حوزته هو المضمون، أما المؤمن ففى نظره أن المئة دينار التى وعد بها الرب هى المضمونة.. فالمشكلة الحقيقية هى أن الإنسان أحياناً يجد صعوبة فى الثقة بأمور لا تُحس ولا تُرى.

لهذا قيل فى تعريف الإيمان "أما الإيمان، فهو الثقة بما يُرجى، والإيقان بأمور لا تُرى" (عب١١: ١).
إن تنفيذ الوصية هو فرصة لمعايشة عمل الله الإعجازى بقوة الإيمان. أما الذى يهرب من تنفيذ الوصية فإنه يخسر هذا الاختبار الفائق العظيم الذى يختبره أهل الإيمان. لهذا قال الله: "أما البار فبالإيمان يحيا وإن ارتد لا تسر به نفسى" (عب١٠: ٣٨). كذلك قال الرسول: "يجب أن الذى يأتى إلى الله يؤمن بأنه موجود وأنه يجازى الذين يطلبونه" (عب١١: ٦).

الميل الثانى

عادة يشعر الناس بالاستياء إذا حاول أحد تسخيرهم فى خدمة أو عمل ما. ولكن السيد المسيح ينصح تلاميذه بأن يفرحوا بخدمة الآخرين بغير مقابل.. وهذا هو مغزى السخرة. أى أن يفعل الإنسان شيئاً، ولا ينال أجراً ممن سخره.

إن الإنسان الذى ينتظر المكافأة من الله، لا يعنيه فى شئ مكافأة الناس له. بل يعتبرها فرصة ثمينة أن يتعب من أجل راحة الآخرين، دون أن ينتظر منهم المقابل.. كقول الرسول: "لا بخدمة العين كمن يرضى الناس، بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب" (أف٦: ٦).

ولسبب الفرح الملازم للخدمة المجانية، فإن تلاميذ الرب مستعدون للتسخير فى الميل الثانى، ناظرين إلى الأجر الصالح السماوى. إنهم يدخرون لأنفسهم أجراً سمائياً غير ناظرين إلى الأرضيات بل إلى السماويات.

إن خدمة الميل الثانى هى برهان التحرر من محبة الذات.. وهى برهان الفرح بالخدمة دون مقابل، بل هى فرصة العطاء فى الخدمة، والمعطى المسرور يحبه الرب.

الميل الأول يكون بناء على طلب الآخرين.. أما الميل الثانى فهو بمبادرة اختيارية تجعل لخدمة الميل الثانى قيمة ومعنى حقيقياً.

الميل الثانى لا يكون فى الخدمة فقط، بل فى فضيلة الاحتمال بصفة عامة. والسيد المسيح يدعونا إلى طول الأناة والصبر فى التعامل مع الآخرين. لهذا قال بطرس الرسول: "قدموا فى إيمانكم **فضيلة**، وفى الفضيلة **معرفة**، وفى المعرفة **تعففاً**، وفى التعفف **صبراً**، وفى الصبر **تقوى**، وفى التقوى **مودة أخوية**، وفى المودة الأخوية **محبة**" (٢بط١: ٥-٧) .

الفضيلة هى ما يفضل أو يزيد.. أى هى الميل الثانى فى كل معاملات الإنسان مع الله ومع الناس. وقد أوضح معلمنا بطرس ارتباط الفضيلة بالصبر والمحبة.. المحبة التى تحتمل كل شئ، وتصبر على كل شئ، وترجو كل شئ.

الميل الثانى فى العلاقة مع الله هو عدم الاكتفاء بتقديم العشور فقط، لأن الإنسان بكامله هو لله.

والميل الثانى فى العلاقة مع الله هو عدم الاكتفاء بالامتناع عن الخطية فقط، بل الحرص على محبة البر وممارسة الفضيلة.

الميل الثانى فى العلاقة مع الله هو عدم الاكتفاء باهتمام الإنسان بخلاص نفسه فقط، بل الإهتمام بخلاص الآخرين، على الأقل عن طريق الصلاة من أجلهم بحرارة.

من سألك فأعطه

قال السيد المسيح فى تعليمه: "**من سألك فأعطه ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده**" (مت٥: ٤٢) .

حينما سقط الإنسان بدأ التحول فى إحساسه بقيمة الوجود مع الله وحياة الشركة معه، إلى الرغبة فى امتلاك الأمور العالمية المنظورة. كان الإنسان فى الفردوس لا يشعر بالرغبة فى الامتلاك لأن الرب كان هو نصيبه وفى عطاياه الكفاية والشبع.

لم يشعر أنه سوف يحتاج، وبالتالى لم يفكر فى اكتناز الأموال أو المقتنيات بل كانت الحياة تسرى بصورتها الطبيعية.. فكل شئ فى الطبيعة المحيطة به خاضع له، وفى خدمته. وكان يشعر بالاكتفاء، وكوكيل على الخليقة المنظورة كان يعمل فى الجنة ليحافظ على جمال الطبيعة ورونقها.

لم يكن هناك صراع بين الإنسان وأخيه الإنسان، لا على المال ولا على الأرض ولا على خيراتها.. ففى الأرض متسع للجميع، والخير هو للجميع كل حسب احتياجه.. هكذا كان ينبغى أن يعيش الإنسان فى ظل حب الله ورعايته.

وقد أراد السيد المسيح أن يعالج هذه الحالة المأساوية فى حياة الإنسان، بتجريده من حب الاقتناء إلى الإتجاه بالحب نحو الآخرين، والرغبة فى سد احتياجهم.

جاء كلمة الله متجسداً لكى يحرر الإنسان من محبة العالم ولكى يرفع بصيرته نحو السمائيات ولكى يعيد الإنسان إلى الصورة التى خلق عليها .

ولهذا قال: "**من سألك فأعطه**".. لأن ما يملكه الإنسان على الأرض هو ملك للرب، وهو وسيلة لتنمية علاقات الحب بين البشر.

الله يسمح أحياناً للبعض بالاحتياج، ويسمح للبعض الآخر بالغنى وهنا تكمن القوة الدافعة لممارسة الحب بالعطاء.

الله قادر أن يغنى الفقراء من عنده مباشرة. ولكنه يريد أن يرى تصرف الأغنياء كوكلاء على نعمة الله المتنوعة.

هناك إنسان غنى فى الأموال، وإنسان آخر غنى فى الإيمان، وآخر غنى فى المواهب.. وكل إنسان عليه أن يعطى مما أنعم به الرب عليه من العطايا والمواهب المتنوعة.

الكل يشكلون معاً جسداً واحداً فى المسيح.. وفى الجسد الواحد يتكامل الأعضاء معاً.

إن الفم هو الذى يمنح الطعام لباقى أعضاء الجسد. ولكن باقى الأعضاء ضرورية للفم لاستمرار حياته وقدرته على أداء واجبه. لو احتفظ الفم بالطعام داخله فلن يصل الغذاء إلى الدم وإلى القلب وإلى الأعصاب والعضلات والمخ وبالتالى فلن يمكن للفم أن يعمل ولا أن يعيش.

لهذا قال الرب فى سفر الأمثال: "محتكر الحنطة يلعنه الشعب" (أم ١١: ٢٦). وقال أيضاً: "النفس السخية تسمن والمُروى هو أيضاً يُروى" (أم١١: ٢٥).

كلما أعطى الإنسان، كلما إزداد الخير بين يديه. وكلما أعطى بسرور كلما زادت غبطة الرب به لأن "المعطى المسرور يحبه الله" (٢كو٩: ٧).

إن إحساس البنوة لله يجعل الإنسان يتصرف كابن فى بيت أبيه.. يتصرف بالخير نحو إخوته، عالماً أن أبيه سوف يغبطه إن أحسن معاملة إخوته واعتنى بهم.

إن حالة التشرذم والتمزق بين البشر التى أنشأتها الخطية؛ قد جاء السيد المسيح ليزيلها ويعالجها بحيث يكون الجميع واحد، تربطهم مشاعر المحبة الصادقة على مثال المحبة بين أقانيم الثالوث القدوس.

عبارة "**من سألك فأعطه**" لا تعنى أن يعطى الإنسان لغير المحتاج الذى يحاول استغلال هذه الوصية بطريقة خاطئة، بل ينبغى أن يكون العطاء بحكمة ولمن هو محتاج بالحقيقة. ومن الممكن مساعدة من لا نعرف حقيقة أمره مساعدة مؤقتة إلى أن يتم فحص احتياجه بالكامل.

كذلك فإن عبارة "**من سألك فأعطه**" لا تعنى أن يعطى الإنسان لغيره ما يؤذى به نفسه. مثل من يأخذ نقوداً ليتعاطى مواد مُسكِرة أو مواد مخدرة أو يسلك فى طريق الخلاعة أو ما يشبه ذلك. فى هذه الحالة العطاء يكون على صورة نصيحة للإنسان الراغب فى الانحراف ليتراجع عن شره، أو مجهودات لعلاجه من الإدمان أو السلوك فى طريق الشر أو الخطية.

من أراد أن يقترض منك فلا ترده

الإنسان حينما يطلب قرضاً من المال فإنه يكون فى أزمة مالية عارضة. ربما هو ليس فقيراً بالمعنى المطلق للكلمة. ولكنه يحتاج إلى مساعدة مؤقتة حتى يعبر من مأزق يتعرض له. مثل صاحب محل مهدد بالإفلاس إن لم يسدد بعض الضرائب الطارئة عليه، أو مثل إنسان أراد أن يزوج ابنته فى موعد قريب، وليس معه ما يكفى فى الوقت الحاضر ولكن يمكنه تقسيط المبلغ أو تجميعه فى فسحة من الوقت. أو مثل من لديه مشروع تجارى ويحتاج إلى رأس مال لتشغيل المشروع كأن يوجد لديه محل فارغ من البضاعة ويحتاج إلى بضائع تملأ المحل ويبدأ فى الحصول على دخل يسدد به القرض الذى أخذه.

كثير من الناس لا يقبلون المساعدة على هيئة صدقة، بل يرغبون فى الاقتراض على أن يسددوا فيما بعد. لا ينبغى جرح كرامتهم برفض إقراضهم ما يحتاجون إليه إن كان ضرورياً لحياتهم.

تنطبق هذه القاعدة أحياناً على بعض الأشخاص الذين يحتاجون إلى علاج طبى مكلف فوق طاقتهم الحاضرة ولكنهم على استعداد لسداد ما يقترضونه لهذا السبب.

لهذا أوصى السيد المسيح بعدم رد من أراد أن يقترض ممن هو قادر على الإقراض.

قد يذهب القرض ولا يعود لوفاة المقترض المريض، أو لفشل فى مشروع بطريقة خارجة عن إرادته. فى هذه الحالة فالرب يعوض من أقرضه لأن من يقرض المحتاج يُقرض الرب، ولا داعى للخوف فى مثل هذه الحالات لأن الرب صادق فى مواعيده أن من يترك لأجله ولأجل الإنجيل فسوف يعوضه الرب مئة ضعف فى هذا الزمان، وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية.

أبناء أبيكم الذى فى السماوات

بعد أن تكلم السيد المسيح عن محبة الأعداء والإحسان إلى المبغضين والصلاة من أجل المسيئين قال: "**لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماوات.** فإنه يشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويمطر على الأبرار والظالمين. لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم فأى أجر لكم، أليس العشارون أيضاً يفعلون ذلك. وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا. **فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السماوات هو كامل**" **(مت٥: ٤٥-٤٨).**

يقول معلمنا يوحنا الرسول: "انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله"(١يو٣: ١).

إنه شرف عظيم إذ ارتضى الله أن ندعى أولاداً له:

أولاً: لأننا كنا ساقطين فى الخطية وفى قبضة الموت والهلاك الأبدى، وقد افتدانا بنعمته.

وثانياً: لأننا نحن خليقة الله، والبنوة هنا ليست بالجوهر والطبيعة، بل بالتبنى. فما أعظم الفارق بين الخالق والمخلوق.. ولولا أن الله فى خيريته وصلاحه قد أعطانا نعمة الوجود، لما كنا موجودين على الإطلاق.

هذه البنوة التى أنعم الله بها علينا هى تعبير عن محبته الفائقة الوصف والمعرفة. ومن واجبنا أن نقدّرها حق قدرها.

هذه البنوة الفائقة التى لا يمكن وصفها تستدعى من جانبنا سلوكاً يتناسب مع كرامتها لئلا نحسب غير مستحقين لها لسبب تقصيرنا وإهمالنا وعدم مبالاتنا.

العبارة التى نطق بها السيد المسيح هى دعوة لنا لننتبه إلى قيمة البنوة لله "لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماوات" (مت٥: ١٦).

وقد سبق أن كرر السيد المسيح هذا المعنى فى موعظته على الجبل حينما قال: "فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السماوات" (مت٥: ١٦).

وقد عبر القديس بولس الرسول عن هذه الحقائق فى أنشودة جميلة فى فاتحة رسالته إلى أهل أفسس فقال: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم

لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة. **إذ سبق فعيننا للتبنى** بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته. **لمدح مجد نعمته** التى أنعم بها علينا فى المحبوب" (أف١: ٣-٦).

لقد اختارنا الله الآب فى المسيح قبل تأسيس العالم، وسبق فعيننا للتبنى، لمدح مجد نعمته.

فمن الواضح فى كلام القديس بولس الرسول أن الاختيار الإلهى والتعيين للتبنى بسابق علم الله قبل تأسيس العالم هو: **أولاً**: فى المسيح. **وثانياً**: لمدح مجد نعمته.

فالهدف من الاختيار السابق والتعيين للتبنى هو **لمجد الله**.

وعاد القديس بولس يؤكد هذه الحقيقة فى نفس الرسالة بقوله: "لأننا نحن عمله مخلوقين فى المسيح يسوع لأعمال صالحة قد سبق الله فأعدّها لكى نسلك فيها" (أف٢: ١٠).

عبارة "**لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السماوات**" معناها أننا إن أردنا أن نثبت فى نعمة البنوة، ينبغى علينا أن نحفظ هذه الوصايا السامية فى محبة الأعداء، والإحسان إلى المبغضين، والصلاة من أجل المسيئين. هذه الوصايا كما ذكرنا قبلاً هى أمور فائقة للطبيعة العادية لسائر البشر العاديين، ولكنها ممكنة جداً بل ولازمة وضرورية بالنسبة لأولاد الله، وهى السمة التى تميزهم وبدونها لا يكونوا قد حققوا قصد الله من وجودهم لتمجيده ولمدح مجد نعمته.

يشرق شمسه على الأشرار والصالحين

تلاميذ المسيح لا يعرفون الكراهية ولا التعصب. لذلك يقدمون الخير للجميع متشبهين بأبيهم السماوى. وقد أراد السيد المسيح أن يوضح أن الآب السماوى لا يقدّم الخير للناس بحسب قداستهم، ولكن بحسب خيريته ورغبته فى إعلان أبوته للجميع.

الكل يتمتعون بخيرات الله، حتى الذين يجدفون عليه، والذين ينكرون وجوده.. وهو يفعل هذا بطول أناته العجيب لعله يقتادهم إلى التوبة وإلى معرفته والرجوع إليه لأنه "يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تى٢: ٤).

إن الله لا يشاء موت الخاطئ مثلما يرجع وتحيا نفسه، كما قال الرب: "هل مسرة أسر بموت الشرير يقول السيد الرب. ألا برجوعه عن طرقه فيحيا"(حز١٨: ٢٣). ولهذا يمنح الخيرات للأشرار لعله يخجلهم بصلاحه ومحبته فيتوبون. ولكن إن لم يرجعوا ويتوبوا فإن الخير الذى منحه لهم الله سوف يكون سبب دينونته لهم فيما بعد.

وقد دعانا السيد المسيح أن نتمثل بالآب فى منح الخير والعطايا للجميع.. حتى الأشرار ولكن طبعاً هذا لا يتضمن الأمور المقدسة الخاصة بالحياة الأبدية مثل التناول من جسد الرب ودمه، فهذا لا يجوز إلا للتائبين إذ هو عربون الأبدية. أما باقى الأمور الخاصة بالحياة الدنيوية فلا ينبغى أن نفرق فيها بين إنسان وآخر.

السلام على الآخرين

فى مسألة التعامل مع الآخرين قال السيد المسيح أيضاً: "**وإن سلمتم على إخوتكم فقط فأى فضل تصنعون أليس العشارون أيضاً يفعلون هكذا**" (مت٥: ٤٧).

الأمر يتعلق بعدم قصر السلام على المقربين أو المسيحيين فقط، بل يمتد إلى الجميع. ولكن هناك استثناء أشار إليه بولس الرسول بالنسبة لمن يسلكون فى الكنيسة بلا ترتيب فقال: "إن كان أحد لا يطيع كلامنا بالرسالة فسِموا هذا ولا تخالطوه لكى يخجل. ولكن لا تحسبوه كعدو بل أنذروه **كأخ**" (٢تس٣: ١٤، ١٥). والقديس بولس الرسول يقصد فى هذا الإخوة فى الكنيسة الذين لا يطيعون النظام الكنسى أو الوصية الإلهية.

فكونوا أنتم كاملين

السيد المسيح يدعونا إلى الكمال متشبهين بالآب السماوى. ولكن هذا الكمال هو نسبى وليس كمال مطلق مثل كمالات الله.

قال السيد المسيح: "**فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السماوات هو كامل**" (مت٥: ٤٨). والمزمور يقول: "طوباهم الكاملين طريقاً" (مز١١٨: ١). وبطرس الرسول يقول: "نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة" (١بط١: ١٥).

إن الدعوة إلى الكمال هى دعوة مفتوحة لكى ينطلق الإنسان بلا حدود من كمال إلى كمال، ومن درجة فى الفضيلة إلى درجة أعلى منها. ولكن عليه دائماً أن يتذكر شعار بولس الرسول: "**أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام.. ليس أنى قد نلت أو صرت كاملاً، ولكنى أسعى لعلى أدرك الذى لأجله أدركنى أيضاً المسيح**" (فى٣: ١٣، ١٢).

إن من يريد أن يعيش حياة الكمال عليه أن يشعر باستمرار إلى احتياجه إلى الكمال، وبعدم الرضا عما هو فيه. وإنه محتاج دائماً إلى عطية النعمة التى تسعى به إلى طريق الكاملين.

الصدقة والعطاء

قال السيد المسيح: "احترزوا من أن تصنعوا صدقتكم قدام الناس لكى ينظروكم. وإلا فليس لكم أجر عند أبيكم الذى فى السماوات. فمتى صنعت صدقة فلا تصوّت قدامك بالبوق كما يفعل المراؤون فى المجامع وفى الأزقة لكى يمجدوا من الناس. الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك. لكى تكون صدقتك فى الخفاء. فأبوك الذى يرى فى الخفاء هو يجازيك علانية" (مت٦: ١-٤).

سلامة الهدف

أوضح السيد المسيح أن الفضيلة لا تكون صحيحة إلا إذا كان هدفها صحيحاً. **وكما قال قداسة البابا شنودة الثالث؛ أطال الرب حياته: [إن كل فضيلة إن لم تمتزج بالحب والاتضاع لا تحسب فضيلة على الإطلاق].**

ففى ممارسة فضيلة الصدقة والعطاء ينبغى أن يكون **الهدف هو محبة الله والقريب المحتاج**، كما ينبغى أن تمارس هذه الفضيلة **بروح التواضع** وإنكار الذات، لأن "الله يقاوم المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (يع٤: ٦).

لذلك حذّر السيد المسيح من أن يفقد الإنسان أجره، إذا مارس العطاء بدافع حب الظهور أمام الناس لكى يمدحوه.. إنه بهذا يكون قد استوفى أجره من مديح الناس. ولكنه يكون قد أضاع المكافأة السمائية وهى الأهم بكثير. ولو استمر الحال هكذا فما الذى ينتفع به الإنسان إن أضاع كل عمل الخير الذى عمله بسبب بحثه عن مديح الناس؟.
هل مديح الناس سوف يدخله إلى ملكوت السماوات؟! بالطبع لا.. بل بالعكس ربما يعطله عن ذلك. فإلى جوار إنه قد أضاع أجره، يكون معرضاً للسقوط فى الغرور والكبرياء. ومعروف أن الكتاب قد قال "قبل الكسر الكبرياء، وقبل السقوط تشامخ الروح" (أم١٦: ١٨).

لا تعرّف شمالك ما تفعل يمينك

شدد السيد المسيح على أهمية الخفاء فى ممارسة فضيلة العطاء فقال: "وأما أنت **فمتى صنعت صدقة فلا تعرّف شمالك ما تفعل يمينك**" (مت٦: ٣) وقد قصد السيد المسيح بهذا القول أن يبذل الإنسان قصارى جهده فى إخفاء العطاء الذى يمنحه للمحتاجين.. أن يكون العطاء فى الخفاء إلى أقصى درجة، فلا يعرف به أقرب المقربين إليه.. بل لا تعرّف قلبك ما تفعله يدك.. وذلك لأن القلب يقع فى الناحية اليسرى (الشمال) من صدر الإنسان. ومعنى ذلك أن يفعل الإنسان الخير ولا تمدحه أفكاره فيصير قلبه راضياً عن نفسه.. بل المفروض أن ينسى الخير الذى فعله ويتطلع نحو الخير الذى لم يفعله.. وما أكثره!!

أحياناً يتبرع بعض الناس من أموالهم بدون حساب. أى أن المعطى هو نفسه لا يعرف قيمة المبلغ الذى أعطاه. مثل أن يأخذ كمية من النقود بالبركة ويمنحها لشخص محتاج أو أن تأتيه بركة مالية من الرب فلا يعدها (أى لا يحصيها)، ثم يقوم بتوزيعها على من هو محتاج دون أن يعرف مقدارها.

وأمثال هؤلاء الناس، لا تعرف شمالهم ما تفعل يمينهم.

كان القديس الأنبا ابرآم أسقف الفيوم، يقبل التبرعات تحت الوسادة، ثم إذا أتاه محتاج يطلب مساعدة يقول له أن يأخذ ما يحتاجه من تحت الوسادة. أو يأخذ كل ما تحت الوسادة معتبراً أن البركة الموجودة قد أرسلها الرب لهذا الإنسان.

كان القديس الأنبا ابرآم رحيماً جداً بالفقراء دون أن تمدحه أفكاره، أو يمدحه قلبه لهذا السبب، بل كان يتزايد فى عمل الخير باستمرار. وكان الرب يرسل له البركات بغزارة حسب قول الكتاب "النفس السخية هى تسمّن، والمروى هو أيضاً يُروى" (أم١١: ٢٥).

كذلك كان القديس الأنبا صرابامون أسقف المنوفية الملقب بأبى طرحة يضع شالاً على وجهه لإخفاء معالمه، ثم يذهب ليلاً إلى منازل المحتاجين ويضع أمام الباب ما يحتاجون إليه ويقرع على الباب ويسرع بالانصراف قبل أن يراه أحد أو يتعرف عليه أحد. ولسبب ذلك أسموه "أبو طرحة" أى من يضع على وجهه ثوباً لإخفائه أثناء مساعدته للمحتاجين.

كان هؤلاء القديسون فى منتهى الحكمة لأنهم لم يطلبوا مجداً من الناس. بل **كان الله هو شهوة قلوبهم والعمل على مرضاته هو مسرتهم، ومحبة الآخرين هى دافعهم إلى صنع الخير.**

لم يطلبوا من الناس تعويضاً عن عطاياهم سواء بالمديح أو بالمعونة ولكن الرب كان يحرك قلوب الكثيرين ليقدموا لهم العطايا لمزيد من صنع الخير والتوزيع "لأنه بذبائح مثل هذه يُسر الله" (عب١٣: ١٦).

لم يهتم هؤلاء القديسون كثيراً بإقامة الأبنية الفخمة، ولكنهم تركوا سيرة عطرة ومنحهم الرب مواهب الشفاء وصنع المعجزات حسب قوله المبارك: "إن كان أحد يخدمنى فليتبعنى. وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمى. وإن كان أحد يخدمنى يكرمه الآب" (يو١٢: ٢٦).

من أراد أن يخدم السيد المسيح يتبعه فى طريق الصليب والجلجثة وإنكار الذات. وفى هذا الطريق وبهذه الخدمة الباذلة يمنح الآب الكرامة الحقيقية لخدام ابن محبته المتضعين الذين يطلبون مرضاته ولا هدف لهم إلا خدمة الرب فى تواضع ومحبة حقيقيين.

الصلاة

أكمل السيد المسيح تعليمه لتلاميذه قائلاً: "ومتى صليت فلا تكن كالمرائين. فإنهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس. الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم. **وأما أنت فمتى صليت، فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك، وصلِ إلى أبيك الذى فى الخفاء. فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية**". (مت٦: ٥، ٦).

كما قدّم السيد المسيح تعليماً عميقاً عن الصدقة المقبولة، هكذا تكلم عن الصلاة المقبولة أمام الله.

صلاة فى اتضاع

أول شرط قدمه السيد المسيح للصلاة المقبولة، أنها هى الصلاة التى لا تبحث عن مديح الناس ولا حب الظهور، ولا تستجدى إطراءهم.. الصلاة المقترنة بمشاعر الانسحاق والتواضع لأن "**الذبيحة لله روح منسحق، القلب المنكسر والمتواضع لا يرذله الله**" (مز٥٠: ١٧).

على الإنسان المصلى أن يختار بين أمرين: إما أن يوجه اهتمامه وصلاته إلى الرب، أو أن يوجه هذه الأمور نحو الناس.. ولا يقدر إنسان أن يخدم سيدين..

لهذا قال معلمنا يعقوب الرسول: "رجل ذو رأيين هو متقلقل فى جميع طرقه. وليفتخر الأخ المتضع بارتفاعه" (يع١: ٨، ٩).

وينطبق على الإنسان المنقسم فى قلبه قول يعقوب الرسول أيضاً: "فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئاً من عند الرب" (يع١: ٧).

الإنسان الذى يصلى ليظهر أمام الناس أنه رجل صلاة وعبادة، يأخذ أجره مديحاً من الناس ويفقد أجره السماوى.. إلى جوار أن صلاته لا تكون مستجابة لأنها لم تقدّم بقلب خالص أمام الله. يضاف إلى ذلك أن يكون قد خسر فضيلة الاتضاع وبدأ قلبه يرتفع.. وهذا منتهى الخطورة على حياته الروحية ومحاربته للشياطين. أما المنكسر القلب فقيل عنه: "وليفتخر الأخ المتضع بارتفاعه" (يع١: ٩).

ينبغى أن يُذكِّر الإنسان نفسه بهذه الأمور كلما راودته أفكار السبح الباطل.. لأن شيطان الكبرياء وحب الظهور لا يكُف عن محاربة الإنسان بقصد تدمير برج الفضائل التى تعب فى بنائها بالتعب والسهر والجهاد الروحى.

ادخل إلى مخدعك وأغلق بابك

الصلاة هى وسيلة النمو فى المحبة والعلاقة مع الله.. المخدع الحقيقى فى الصلاة هو مخدع القلب. وإغلاق الباب هو إغلاق أبواب الفكر والحواس الخارجية والانحصار فى الحديث مع الله.

الدخول إلى المخدع فى المنزل يساعد على الدخول إلى مخدع القلب الداخلى، وإغلاق باب حجرة الصلاة يساعد على إغلاق أبواب الفكر والحواس عن المشاغل الخارجية.

فإلى جوار أن الصلاة السرية بعيداً عن أنظار الآخرين تبرهن على عدم الرياء والتظاهر بالتقوى، فإنها أيضاً تساعد على التركيز فى الصلاة.

أما فى الصلوات العامة فى القداسات وسائر الصلوات الطقسية فالمطلوب فيها هو الانحصار داخل القلب وعدم الانشغال بما يفعله الآخرون.

المهم فى كل الأحوال أن يدخل الإنسان إلى العمق فى صلاته ويصلى بفكره وبمشاعره ويشعر أن الملك قد أدخله إلى حجاله كقول عروس النشيد (انظر نش١: ٤).

الدخول إلى المخدع هو الدخول إلى حجال الملك والتمتع بالعشرة معه وتذوق حلاوة عربون ملكوت السماوات.

الصلاة هى السلم الروحانى الذى يرفع الإنسان من الأرض إلى السماء وهى شركة مع الملائكة السمائيين فى حياة التسبيح، وهى الطريق الواضح للامتلاء من الروح القدس وتقديس الحواس.

الروح القدس يرافق المصلى فى صلاته "الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها" (رو٨: ٢٦).. الروح القدس ينير قلب الإنسان وفكره وحواسه ويفتح أذنيه ليسمع صوت الله من خلال الصلاة.

ليست الصلاة حديثاً من طرف واحد ولكنها حديث من طرفين..

فالإنسان يقف أمام الله ويتكلم معه وفى نفس الوقت يقول مع المرنم: "إنى أسمع ما يتكلم به الرب الإله، فإنه يتكلم بالسلام لشعبه ولقديسيه وللذين رجعوا إليه بكل قلوبهم" (مز٨٤: ٨).

الصلاة بالمزامير تعطينا فكرة عن هذا النوع من الحوار؛ يقول المصلى للرب: "**أنت هو ناصرى وملجأى. إلهى فأتكل عليه**". ويقول الرب للمصلى فى نفس المزمور: "**لأنه علىَّ اتكل فأنجيه. أستره لأنه عرف اسمى. يدعونى فاستجيب له. معه أنا فى الشدة، فأنقذه وأمجده. وطول الأيام أشبعه وأريه خلاصى**" **(مز٩٠: ١٤، ١٥).**

صلى إلى أبيك

الصلاة فى المسيحية هى علاقة حب بين ابن وأبيه السماوى. فيها الدالة وفيها المهابة والاحترام اللائق من الابن نحو أبيه. وقد أوصى السيد المسيح تلاميذه حينما علّمهم الصلاة أن يدعوا الله **أباً** ويقولوا: "**أبانا** الذى فى السماوات" (مت٦: ٩).

يجازيك علانية

الإنسان الذى يقدم العبادة لله فى الخفاء سوف ينمو فى العلاقة مع الله ويستحق الجزاء الأخروى لأنه لم يأخذ أجره على الأرض.

الذى يصلى فى الخفاء بعيداً عن الرياء وحب الظهور، يجازيه الآب علانية فى الحياة الأبدية لأنه قد انتفع من صلاته ومن عبادته ومن عشرته مع الله، وامتلأ من الروح القدس.

الصلاة الربية

قال السيد المسيح لتلاميذه: "**صلوا أنتم هكذا: أبانا الذى فى السماوات..**" (مت٦ : ٩).

إنه شرف عظيم أن يتجه الإنسان نحو الله أبو ربنا يسوع المسيح ويدعوه أباً.

مفهوم البنوة لله

إن السيد المسيح هو ابن الله الوحيد الجنس.. أى الوحيد الذى له نفس جوهر الآب وطبيعته وذلك فى ولادته الأزلية من الآب قبل كل الدهور. فبنوة السيد المسيح للآب هى بالطبيعة وهو الوحيد الفريد فى ولادته بهذه الصورة من الآب.

ولكن السيد المسيح أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له: أى أخذ البنوة للإنسان بالتجسد فصار ابناً للإنسان بولادته من العذراء مريم وأعطانا أن نصير أولاداً لله **بالتبنى** بولادتنا الجديدة فى المعمودية.

الرب يسوع المسيح هو ابن الله **بالطبيعة** من حيث لاهوته أما نحن فبعد أن كنا أبناء للجسد صرنا أولاداً لله **بالتبنى،** ونلنا طبيعة جديدة تمتلئ من بر المسيح كقول الكتاب: "إن كان أحد فى المسيح **فهو خليقة جديدة**" (٢كو٥: ١٧). ومعنى ذلك أن الطبيعة الجديدة التى نلناها فى المعمودية هى أيضاً طبيعة مخلوقة، ولكنها تكتسى ببر السيد المسيح "لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح" (غل ٣: ٢٧).

فلكى يدعو الإنسان الله أباً له؛ ينبغى أن يتحلى بالفضائل الروحية، وأن يكتسب الطبيعة الجديدة، وأن يسلك فى وصايا الله بالطاعة والمحبة، وأن يحيا بالإيمان، وأن يكون نوراً فى العالم، وملحاً للأرض.. لهذا قال السيد المسيح لتلاميذه: "كونوا أنتم كاملين كما أن أباكم الذى فى السماوات هو كامل" (مت٥: ٤٨).

وقال يوحنا الرسول: "انظروا أية محبة أعطانا **الآب** حتى ندعى أولاد الله" (١يو٣: ١).

إنها عطية فائقة ينبغى أن نعرف مقدارها.. وحينما نصلى نطلب من الله أن يمنحنا الاستحقاق أن ندعوه أباً لنا.

ففى صلاة القداس الإلهى يقول الكاهن: **[طهّر نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا وقلوبنا وعيوننا وأفكارنا وأفهامنا ونياتنا.** لكى بقلب طاهر ونفس مستنيرة، ووجه غير مخزى، وإيمان بلا رياء، ومحبة كاملة، ورجاء ثابت نجسر بدالة بغير خوف أن ندعوك يا الله الآب القدوس الذى فى السماوات، ونقول: أبانا الذى فى السماوات..] (القداس الباسيلى).

فلكى نجسر أن ندعو الله الآب أباً لنا نطلب منه أن يطهر نفوسنا وأجسادنا وأرواحنا وقلوبنا وأفكارنا وأفهامنا ونياتنا.. أى أن يطهر فينا كل شئ فى الداخل والخارج.. ولكى نطلب بدون خوف فينبغى أن يكون ذلك بقلب طاهر ونفس مستنيرة ووجه غير مخزى، وإيمان بلا رياء، ومحبة كاملة ورجاء ثابت.. كل هذه الصفات الرائعة نحتاج إليها لكى تكون لنا دالة ولكى نجسر أن ندعو الله الآب ونقول له: "**يا أبانا**..".

كم من مرة يصلى فيها المرء الصلاة الربية دون أن ينتبه إلى خطورة مناداة الله الآب بهذا النداء بدون الاستعداد الكافى واللائق. وها هو صوته يعاتبنا قائلاً: "إن كنت أنا أباً فأين كرامتى؟!" (ملا ١: ٦).

أبوة الله وحنانه

إن السيد المسيح بدعوته لنا أن نصلى ونقول: "**أبانا** الذى فى السماوات.." يقصد أن يذكرنا بقداسة الله، وما يليق به من كرامة، كما أنه يريد أن يذكرنا بأبوته لنا. أى أن الله الآب قد أحبنا وينبغى أن تقوم علاقتنا معه على الثقة والمحبة.

كان الإنسان يشعر أنه يتعامل مع الله كعبد يخشاه ويتقيه، ولكن ليس كابن يشعر بمحبته وعنايته وأبوته وحنانه.

لهذا قال السيد المسيح: "لأنه هكذا أحب الله العالم **حتى بذل ابنه الوحيد الجنس** لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦).

أى إلى هذه الدرجة.. إلى هذا المقدار وصلت محبة الله أن يقدم أغلى ما عنده من أجل خلاص الإنسان.

وهكذا قال الرب لشعبه فى نشيد الكرمة: "ماذا يُصنع أيضاً لكرمى وأنا لم أصنعه له ؟!!" (إش٥: ٤).

لقد فعل الرب من أجلنا أكثر مما نطلب وأكثر مما نفتكر.. وقد بيّن محبته إذ ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا.

كان السيد المسيح يؤكد باستمرار لتلاميذه أبوة الله الآب لهم ويكشف لهم محبته مثلما قال: "الآب نفسه يحبكم، لأنكم قد أحببتمونى، وآمنتم أنى من عند الله خرجت" (يو١٦ :٢٧).

وفى مناجاته مع الآب قبل الصلب فى ليلة آلامه قال له: "أنا أظهرت **اسمك** للناس الذين أعطيتنى من العالم.. وعرفتهم **اسمك** وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم" (يو١٧: ٦، ٢٦).

إن اسم "**الآب**" لم يكن معروفاً ولا مستخدماً بنفس الصورة التى أبرزها السيد المسيح.. إذ جعله مثل أنشودة جميلة يتغنى بها ويكررها باستمرار. وهكذا دعانا أن نردد هذا الاسم الحسن والمحبوب ونقول: "**أيها الآب أبانا**".

أبانا الذى فى السموات

يلفت نظرنا أن السيد المسيح قد وجهنا أن نصلى إلى الآب باعتباره أنه فى السماوات، وذلك بالرغم من أن الرب كائن فى كل مكان. وتتضح كينونة الرب فى كل مكان فى مواضع كثيرة فى الكتاب المقدس، ولكن السماوات لها وضعها ومعناها الخاص من الناحية الروحية.

الرب كائن فى كل مكان

إن الرب لا تحده أرض ولا سماء، مجده ملء السماوات والأرض. لهذا قال المرنم: "**أين أذهب من روحك، ومن وجهك أين أهرب**. إن صعدت إلى السماوات فأنت هناك. وإن فرشت فى الهاوية فها أنت. إن أخذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحر، فهناك أيضاً تهدينى يدك وتمسكنى يمينك" (مز١٣٩: ٧-١٠).

إن المرنم يتكلم عن وجود الإله المثلث الأقانيم الآب والابن والروح القدس فى كل مكان.

كذلك قال الرب فى سفر أرميا: "إذا اختبأ إنسان فى أماكن مستترة أفما أراه أنا يقول الرب؟ أما أملأ أنا السماوات والأرض يقول الرب؟" (أر٢٣: ٢٤).

وقال السيد المسيح: "السماء كرسى الله. والأرض موطئ قدميه" (انظر مت٥: ٣٤، ٣٥).

وكتب معلمنا بولس الرسول عن تدبير الخلاص الذى قصده الله فى نفسه "لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شئ فى المسيح. ما فى السماوات وما على الأرض" (أف١: ١٠). وهو يعنى بذلك أن الله يجمع فى المسيح جميع القديسين من الملائكة والبشر الموجودين فى السماء وعلى الأرض. وذلك لأن المسيح حاضر فى كل مكان، كما وعد تلاميذه: "حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى، فهناك أكون فى وسطهم" (مت١٨: ٢٠).

وفى سفر الرؤيا قال السيد المسيح: "هذا يقوله ابن الله الذى له عينان كلهيب نار ورجلاه مثل النحاس النقى.. فستعرف جميع الكنائس أنى أنا هو الفاحص الكلى والقلوب وسأعطى كل واحد منكم بحسب أعماله" (رؤ٢: ١٨، ٢٣). وهذا يوضح أن عينى الرب تبصران كل شئ فى الوجود ولا يخفى عليه حتى ما فى داخل قلب الإنسان.

السماوات

مع أن الرب كائن فى كل مكان، إلا أنه مكتوب أنه ساكن فى السماوات أو فى الأعالى كقول المرنم: "الرب عال فوق كل الأمم. **فوق السماوات مجده.** من مثل الرب إلهنا **الساكن فى الأعالى**، والناظر إلى المتواضعين، فى السماء و على الأرض" (مز ١١٢: ٤-٦).

كذلك قيل فى المزمور "الرب فى السماوات ثبت كرسيه ومملكته على الكل تسود" (مز١٠٣: ١٩).

وقيل أيضاً: "**السماوات سماوات للرب.** أما الأرض فأعطاها لبنى آدم" (مز١١٥: ١٦). وهذا الأمر له مدلولاته الروحية كما سوف نرى.

وعن **تجسد ابن الله الكلمة** قيل فى المزمور: "**طأطأ السماوات ونزل** وضباب تحت رجليه. وركب على كَروب وطار وهف على أجنحة الرياح" (مز١٨: ٩، ١٠).

وعن **بناء هيكل سليمان** الذى بناه مسكناً للرب قال: "هل يسكن الله حقاً على الأرض؟ **هوذا السماوات وسماء السماوات لا تسعك** فكم بالأقل هذا البيت الذى بنيت" (١مل٨: ٢٧).

وفى **إشارة إلى أن الرب هو خالق جميع الأشياء فى السماء وعلى الأرض** ورد فى سفر الأمثال "**من صعد إلى السماوات ونزل.** من جمع الريح فى حفنتيه. من صَر المياه فى ثوب. من ثبّت جميع أطراف الأرض. ما اسمه، وما اسم ابنه إن عرفت؟" (أم٣٠: ٤). ولا تخفى هنا الإشارة الواضحة إلى ابن الله الوحيد الذى كل شئ به كان وبغيره لم يكن شئ مما كان.

وعن **ارتفاع مجد الرب فوق السماوات** قيل فى المزمور: "أيها الرب ربنا ما أعجب اسمك فى الأرض كلها، لأنه **قد ارتفع عِظَم جلالك فوق السماوات**" (مز٨: ١).

والرب يرتفع فوق السماوات كما قيل أيضاً فى المزمور: "**اللهم ارتفع على السماوات.** وليرتفع مجدك على سائر الأرض" (مز٥٦: ٥).

إن كلمة السماوات هى جمع كلمة سماء، وهى مشتقة من الفعل سما أى ارتفع إلى فوق. والتسامى والسمو يشير إلى الارتفاع أو التفوق فى الخواص أو القيم أو المبادئ أو السلوك.

وبالرغم من أن الرب حاضر فى كل مكان، إلا أنه يسكن فى السماوات، بل ويعلو فوق السماوات لأنه مَن مثل الرب فى قداسته وصلاحه ومحبته وكل صفاته الإلهية؟!.

إن الرب لا يتعالى على الخليقة، ولكنه بحكم طبيعته المتفوقة فى كل شئ يسمو عليها ويجتذبها نحو السمو والرفعة والقداسة. لهذا اختار الرب أن يسكن فى الأعالى.. لأن من الأعالى يكون مجده كما قيل فى المزمور "قد ارتفع عِظَم جلالك فوق السماوات" (مز٨: ١).

لقد أراد الشيطان أن يرفع كرسيه فوق كواكب الله وأن يصير مثل العلى وأن يجلس على جبل الاجتماع فى أقاصى الشمال (انظر إش١٤: ١٣، ١٤). ولكنه كان ينبغى أنه يفهم أنه لا يوجد مثل الله فى القداسة والحق والمحبة. وأنه هو مصدر الحياة للخليقة كلها. فالله لا يفرض نفسه على أحد، ولكن الخليقة بدونه تفقد قيمة وجودها، لأنها هى أصلاً قد خلقت لتشهد لمجده وصلاحه ومحبته وتتمتع بالوجود فى حضرته حيث تستمد منه الحياه.

أراد السيد المسيح أن يجتذب عقولنا وأفكارنا نحو السماويات. لهذا علمنا أن نصلى ونقول: "**أبانا الذى فى السماوات..**".

ومَن كان أبوه فى السماوات فإن اشتياقاته تكون سمائية. ويفرح إذا افتكر أنه سوف يذهب إلى السماء. وإن انتقل أحد الأحباء فلا يحزن كالباقين الذين لا رجاء لهم، لأنه يؤمن أن الذين يحبون الله سوف يجتمعون معاً فى الفردوس بعد خروجهم من الجسد. ويجتمعون معاً فى ملكوت السماوات بعد مجيء السيد المسيح ليحيوا فى أمجاده الأبدية.

مَن كان أبوه فى السماوات فإنه يحمل صورة أبيه السماوى ويسلك بطريقة سمائية كقول بولس الرسول: "سيرتنا نحن هى فى السماوات" (فى٣: ٢٠).

إن عبارة "أبانا الذى فى السماوات.." فى بداية الصلاة الربية هى دعوة لنا لكى نرفع عقولنا وأفكارنا إلى كل ما هو سمائى وكل ما هو مجيد ولا ننشغل بالأرضيات أو بأباطيل هذا العالم الزائلة.

إذا رفعنا قلوبنا وعقولنا فى الصلاة نحو أبينا السماوى، فلا يليق إطلاقاً أن نحب العالم. لأن "محبة العالم عداوة لله" (يع٤: ٤).. وهذه هى بداية الصلاة اللائقة والمقبولة أن نشعر بأبوة الله، وننطلق نحوه بمشاعر الحب والتقدير فى السماويات.

ليتقدس اسمك

أول طِلبة فى الصلاة الربية بعد مخاطبة الآب السماوى هى هذه الطِلبة، ومعناها:

ليتقدس اسمك: فى نظرنا وفى أفكارنا.

فى أفواهنا.

فى حياتنا.

فى نظر الآخرين.

من النصوص الموجودة فى الكتاب المقدس يمكننا أن نلمس أهمية هذه الطلبة.

فقد قال الله فى العهد القديم: "وتكونون قديسين لأنى أنا **قدوس**" (لا١١: ٤٤). وقيل عنه: "ليس **قدوس** مثل الرب" (١صم٢: ٢)، "فإن الرب إلهنا **قدوس**" (مز٩٨: ٩).

وقيل فى العهد الجديد "نظير **القدوس** الذى دعاكم. كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة" (١بط١: ١٥)، "لأن القدير صنع بى عظائم و**اسمه قدوس**" (لو١: ٤٩).

كلمة "**قدوس**" **قيلت عن الآب وعن الابن وعن الروح القدس، وقيلت فى الثلاث تقديسات** (Trisagion) التى تسبح بها الملائكة الثالوث القدوس أو أى أقنوم من الأقانيم الثلاثة.

قيل عن **الآب**: "**أيها الآب القدوس**" (يو١٧: ١١).

وقيل عن **الابن**: "لذلك أيضاً **القدوس** المولود منك يدعى **ابن الله**" (لو١: ٣٥).

وقيل عن **الروح القدس**: "**روح الموعد القدوس**" (أف١: ١٣).

ليتقدس اسمك فى نظرنا وفى أفكارنا

ينبغى أن نرى الله كقدوس ونفتكر فيه كقدوس. القداسة هى من صميم طبيعته وجوهره.

الله كقدوس يحب القداسة، ويكره الشر ويرفضه. ولهذا كان ينبغى التكفير عن الخطية، لإعلان قداسة الله للخليقة كلها.

لا مغفرة بدون إعلان سخط الله وغضبه ضد الخطية.

لا مغفرة على حساب قداسة الله الكاملة والمطلقة.

لهذا ففى الصليب أعلن الله محبته غير المحدودة، وأعلن أيضاً قداسته غير المحدودة فى رفضه للشر وغضبه على الخطية.

لقد نقل الآب الخطية ليحملها ابنه الوحيد الذى تجسد من أجل خلاصنا، ويوفى الدين ويكفر عن خطايا كثيرين.

هذا الابن الوحيد المتجسد حامل خطايا العالم تألم "وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شئ" (رؤ١٩: ١٥).

وتحاور معه إشعياء النبى قائلاً: "من ذا الآتى من أدوم بثياب حُمر من بصرة، هذا البهى بملابسه المتعظم بكثرة قوته" (إش٦٣: ١). فسأله النبى: "ما بال لباسك محمر، وثيابك كدائس المعصرة؟" (إش٦٣: ٢). فأجابه مؤكداً: "قد دست المعصرة وحدى، ومن الشعوب لم يكن معى أحد" (إش٦٣: ٣).

وقيل عن السيد المسيح أيضاً: "هو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين" (إش٥٣: ١٢). وأنه "بمعرفته يبرر كثيرين، وآثامهم هو يحملها" (إش٥٣: ١١). وقال الآب عنه إنه "ضُرب من أجل ذنب شعبى" (إش٥٣: ٨).

وقيل عنه أيضاً: "مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا. كلنا كغنم ضللنا. ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا" (إش٥٣: ٥، ٦).

لقد مات البار عوضاً عن الخطاة لأنه حمل آثامهم و"أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن. إن جعل نفسه ذبيحة إثم" (إش٥٣: ١٠).

لقد ظهرت قداسة الله فى أجلى معانيها على الصليب، حينما اتقدت نار المحرقة فى الذبيحة بكاملها، وهذا الغضب الإلهى ضد الخطية قد زال حينما أوفى الابن المتجسد دين الخطية كاملاً، لأن الله هو "قدوس".

إننا حينما نصلى ونقول للآب: "**ليتقدس اسمك**"، نعيش بأفكارنا هذه الحقيقة أن الله قدوس رافض للشر والخطية، وأن "إلهنا نار آكلة" (انظر تث٤: ٢٤). وأن الملائكة تحجب وجوهها وأرجلها من بهائه وقداسته، حينما تقترب منه بالصلاة والتسبيح.

وحينما نصلى ونرتفع إلى الله بأفكارنا، نتذكر الآية التى تقول: "القداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب" (عب١٢: ١٤). لأن الله قدوس. ومن أراد أن يقترب إليه، فينبغى أن تتقدس أفكاره وحواسه ومشاعره.

ليتقدس اسمك فى أفواهنا

أو لتتقدس أفواهنا حينما نذكر اسمك لأنه قدوس.

ليتقدس اسمك في أفواهنا لأن شفاهنا ينبغى أن تنطق بمجدك وقداستك وتسبحك كقدوس.

نصلى فى القداس الباسيلى إلى الآب ونقول: {**قدوس قدوس قدوس**} بالحقيقة أيها الرب إلهنا الذى جبلنا وخلقنا ووضعنا فى فردوس النعيم..

ويرتل الشمامسة فى القداس أيضاً قائلين: [الشاروبيم يسجدون لك والسارافيم يمجدونك، صارخين قائلين **قدوس قدوس قدوس** رب الصباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس].

ليتقدس اسمك فى حياتنا

حينما نحيا كقديسين يتقدس اسمك.

قال السيد المسيح لتلاميذه عن حياة الكمال: "لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السماوات" (مت٥: ١٦).

إذا أردنا أن يتقدس اسم الله، ينبغى أن نحيا كقديسين.

كيف يفهم الناس قداسة الله، إلا من خلال رؤيتهم لحياة القديسين.

لهذا قال الرسول: "أنتم رسالة المسيح المقروءة من جميع الناس" (انظر ٢كو٣: ٢، ٣).

"لأننا رائحة المسيح الذكية" (٢كو٢: ١٥).

"أنتم نور العالم" (مت٥: ١٤).

حينما يتقدس اسمك يا رب فى نظرنا وأفكارنا، وحينما يتقدس فى أفواهنا، وحينما يتقدس فى حياتنا.. حينئذ يتقدس فى نظر الآخرين.

لهذا يقول معلمنا بطرس الرسول: "**قدسوا الرب الإله فى قلوبكم**، مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذى فيكم بوداعة وخوف" (١بط٣: ١٥).

ليأت ملكوتك

ما هو ملكوت الله؟

الملكوت هو الدخول فى ملكية الله وأن يملك الرب على الإنسان، أن يكون الله هو الملك وهو المالك.

إن سكنى الروح القدس فى الإنسان هو وجود لملكوت الله فى داخله.

وولادة الإنسان من الماء والروح فى المعمودية هو دخول فى ملكية الله. هذه الولادة الجديدة تتم باستحقاقات دم المسيح. ولهذا قال الكتاب "قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله" (١كو ٦: ٢٠).

لقد اشترانا السيد المسيح بذبيحته الإلهية على الصليب وصرنا ملكاً له ولأبيه الصالح والروح القدس.. دخلنا فى ملكية الله حينما اشتركنا مع المسيح فى صلبه وقيامته فى المعمودية. صرنا أعضاء فى جسده المقدس، وتحقق فينا قول الرسول: "ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسيح.. وأنكم لستم لأنفسكم" (١كو ٦: ١٥، ١٩).

وفى سر الميرون صرنا هيكلاً للروح القدس. أخذنا المسحة المقدسة وختمنا بروح الموعد القدوس. وهذا الختم هو علامة للملكية وعلامة لسكنى الله فى داخلنا، كقول بولس الرسول: "أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم" (١كو٣: ١٦).

ملكوت الله وملكوت السماوات

إن قداسة البابا شنودة الثالث . أطال الرب حياته . يلفت الأنظار باستمرار إلى الفرق بين عبارة "**ملكوت الله**" وعبارة "**ملكوت السماوات**".

عبارة "**ملكوت الله**" أعم وأشمل من عبارة "**ملكوت السماوات**". ملكوت الله يبدأ منذ الآن ويستمر إلى الأبد فى ملكوت السماوات لوارثى الملكوت. كما أن ملكوت الله يخص حياة الإنسان ويشير أيضاً إلى جماعة القديسين فى السماء وعلى الأرض.

لهذا قال السيد المسيح: "لا يأتى **ملكوت الله** بمراقبة.. لأن ها **ملكوت الله** داخلكم" (لو١٧: ٢٠، ٢١).

أى أن ملكوت الله ينشأ أولاً فى داخل الإنسان. ولا ينبغى أن يبحث عنه خارجاً عنه.

الإنسان الذى يملك الله على قلبه وحياته هو الذى يمكنه أن يدخل إلى ملكوت السماوات. أى أن دخول ملكوت الله إلى قلب الإنسان، هو شرط دخول الإنسان إلى ملكوت السماوات. فى ملكوت السماوات يوجد الله الواحد المثلث الأقانيم، وعرشه وملائكته وقديسيه، الذين ينعكس عليهم مجده ويظهر فيهم مجد ملكوته، فيصيرون هم أنفسهم جزءًا من ملكوت السماوات. أى أن الأمجاد السماوية يتألق فيها القديسون بمجد عظيم، كما قال السيد المسيح: "حينئذ يضئ الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم" (مت ١٣: ٤٣).

لو تخيلنا ملكوت السماوات مثل حديقة روحانية فإن القديسين هم الأزهار والورود التى تزين هذه الحديقة.

ولو تخيلناه مثل كنيسة مجيدة، فإن القديسين يكونون مثل المصابيح المنتشرة فى صحن هذه الكنيسة. أو مثل "النجف" المنير الذى تتجمع فيه اللمبات المضيئة ببريق جميل فى مجموعات تشبه جوقات الملائكة القديسين يسبحون الله صاحب المجد والجلال والبهاء غير الموصوف.

إذن فملكوت الله هو فى السماء وعلى الأرض، الآن وفى الدهر الآتى، فى داخل الإنسان وفى داخل غيره من البشر، ويشمل البشر والملائكة. أما ملكوت السماوات فهو فى السماء فى حياة الدهر الآتى، ويدخله المستعدون لمجيء العريس.

لهذا قال السيد المسيح: "يشبه ملكوت **السماوات** عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن لاستقبال العريس. خمس منهن كن حكيمات، وخمس جاهلات.. والمستعدات دخلن معه إلى العرس، وأغلق الباب" (مت٢٥: ١، ٢، ١٠).

حياة الاستعداد

يلاحظ فى مثل الخمس عذارى أن المستعدات هن اللاتى ملأن آنيتهن من الزيت.

هذا الزيت يشير إلى عمل الروح القدس وسكنى الروح القدس فى الإنسان. لهذا نصلى ونقول: "**ليأت ملكوتك**". أى **ليملك روحك القدوس على قلبى وحياتى. لتملأ محبة المسيح هذا القلب** "لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" (رو٥: ٥).

إذا امتلأ القلب من محبة المسيح، فمعنى ذلك أنه ممتلىء من الروح القدس.. وهذا هو الاستعداد المطلوب للدخول إلى العرس. إن من يستعد داخلياً لاستقبال العريس، سيطلب مجيء الرب بثقة وفرح. **وهنا تمتد طلبته "ليأت ملكوتك" لتعنى أيضاً استعلان ملكوت السماوات.** ولهذا تصلى الكنيسة فى قانون الإيمان وتقول {وننتظر قيامة الأموات، وحياة الدهر الآتى آمين }.

ينبغى أن ننتظر ملكوت السماوات كما هو مكتوب: "السماوات التى منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح. الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (فى ٣: ٢٠، ٢١).

ولكن هذا لا يعنى أن ننشغل بموعد المجيء الثانى للسيد المسيح لأنه قال لتلاميذه: "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه" (أع١: ٧).

الطلبة من أجل الآخرين

كما نصلى من أجل أن يملك الله على حياتنا، ينبغى أن نصلى ليملك الله على كل قلب.. نصلى من أجل انتشار ملكوت الله.

كان السيد المسيح يردد منذ بداية خدمته: "قد كمل الزمان، واقترب **ملكوت الله** فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر١: ١٤).

ونحن حينما نطلب إلى الآب السماوى ونقول "**ليأت ملكوتك**" فإننا نصلى من أجل بشارة الإنجيل، أن تكون مقبولة فى قلب كل إنسان.

إن ملكوت الله قريب من كل إنسان كما قال السيد المسيح. ولكن ليس كل إنسان قريب من ملكوت الله.. لأن قبول الملكوت يلزمه التوبة والإيمان ببشارة الخلاص.

ونحن نصلى فى الصلاة الربية من أجل جميع البشر لكى يجد ملكوت الله مكاناً فى قلوبهم.

حينما قال أغريباس الملك للقديس بولس الرسول الذى وقف أمامه والقيود فى يديه "بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً. فقال بولس الرسول: **كنت أصلى إلى الله أنه بقليل وبكثير ليس أنت فقط بل أيضاً جميع الذين يسمعوننى اليوم** يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود" (أع٢٦: ٢٨، ٢٩).

لتكن مشيئتك، كما فى السماء، كذلك على الأرض

نأتى الآن إلى الطلبة الثالثة فى الصلاة الربية، وهى: "**لتكن مشيئتك، كما فى السماء، كذلك على الأرض**" (مت ٦: ١٠).

ليس هناك أنفع ولا أحكم ولا أجمل من مشيئة الله..

الله القدوس المحب للخير وصانع الخيرات..

الله العارف بكل شئ.. الذى يعرف الأمور قبل كونها..

الذى لا يحده مكان ولا زمان، فهذا "الكائن والذى كان والذى يأتى القادر على كل شئ" (رؤ١: ٨).

الضابط الكل (بانطوكراتور)..

"الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران" (يع ١: ١٧).

الذى ليس فيه ظلمة البتة..

الأمين فى مواعيده، والقادر على تحقيقها..

المعين، والمدبر، والحكيم، والرؤوف، والعادل..

الذى ما أبعد أحكامه عن الفحص، وطرقه عن الاستقصاء..

الله هو الجدير بأن نثق فى مشيئته، ونقبلها، ونسلك بمقتضاها.. بل أن تصير مشيئته هى شهوة تشتاق قلوبنا إلى تحقيقها، ونجد مسرتنا فيها.

مفهوم الطاعة

إن الطاعة لله ليست نوعاً من إلغاء وجود الإنسان أو إلغاء إرادته الخاصة.. ولكنها لتأكيد هذا الوجود، ولتزكية هذه الإرادة. فالطاعة تحتاج إلى إرادة قوية تقدر أن تطيع، وتُقدِّر قيمة الطاعة..

فمثلاً الطالب الذى يطيع من يدرِّسه فى تحصيل الدرس وعمل الواجبات ويثابر فى الاستذكار، هو الذى يتقدّم فى المعرفة ويحصل على أعلى الدرجات ويصلح للرسالة التى يعد لها نفسه.

وقائد السيارة الذى يلتزم بقواعد القيادة السليمة، يضمن سلامته هو وسيارته، ويضمن سلامة الآخرين، ويصل إلى مقصده ويتمم مسعاه.

الوصية الإلهية هدفها خير الإنسان وحفظه من العطب والفساد الذى تسببه الخطية. كما أن هدفها هو تمجيد الإنسان ومكافأته على هذه الطاعة، مع ما تجلبه الطاعة من خير وبركة وخلاص.

من وجد حياته يضيعها

قال السيد المسيح: "**من وجد حياته يضيعها**، ومن أضاع حياته من أجلى يجدها" (مت١٠: ٣٩) والمقصود بهذه العبارة أن من يسلك حسب أهدافه الخاصة بعيداً عن مشيئة الله فسوف يضيع نفسه.

الإنسان فى سعيه لتحقيق ذاته وتحقيق وجوده يخرب نفسه.. وفى سعيه لتحقيق مشيئة الله يحفظ نفسه لحياة أبدية..

الله هو مصدر الوجود، ومصدر الحياة. فهو الذى "به نحيا ونتحرك ونوجد" (أع ١٧: ٢٨). فلا معنى للوجود بدون الله، ولا معنى للحياة بدونه.

الله لا يفرض وجوده فى حياتنا.. ولكننا نحن المحتاجين إلى هذا الوجود.

تماماً مثلما لا يفرض الماء وجوده علينا.. بل نحن المحتاجين إلى الماء لكى نحيا به.

وعندما يبعد الإنسان عن الله يحزن الله على البشرية ويقول: "تركونى أنا ينبوع المياه الحية، لينقروا لأنفسهم آبارًا آبارًا مشققة لا تضبط ماء" (أر٢: ١٣). وقال السيد المسيح: "إن عطش أحد فليقبل إلىّ" (يو٧: ٣٧). وقال أيضاً عن الماء المادى: "من يشرب هذا الماء يعطش أيضاً" (يو٤: ١٣). وقال عن ماء الحياة الأبدية: "ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد" (يو٤: ١٤).

مشيئة الله فى السماء

إن الملائكة فى السماء يطيعون الله طاعة كاملة كقول المزمور "سبحوه يا جميع ملائكته الصانعين كلمته" (انظر مز١٠٣ : ٢٠).

أما الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم وسلكوا فى عدم الطاعة فقد سقطوا من السماء، كما قال السيد المسيح: "رأيت الشيطان ساقطاً مثل البرق من السماء" (لو١٠: ١٨).

الجميل فى السماء أن **الكل هناك يصنعون مشيئة الله فى انسجام عجيب**.. إنها **سيمفونية الطاعة تعزفها الصفوف السمائية** مثلما يسبحون الله بأفواههم، فهم يمجدونه بطاعتهم العجيبة.. إنه **لحن الطاعة الذى تسمعه آذان القديسين**.. وما الألحان والموسيقى إلا إيقاع متناغم على أوتار أو آلات.. هذا ربما يكون مما لم تسمع به أذن.

إننا نصلى لكى تكون مشيئة الله نافذة على الأرض فى حياتنا كما هى نافذة فى السماء.

خبزنا الذى للغد، أعطنا اليوم

هذه هى الطلبة الرابعة فى الصلاة الربية. ويلاحظ أن الطلبات الثلاث الأولى هى طلبات روحية خاصة بالله "ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك، كما فى السماء كذلك على الأرض" (مت٦: ٩-١٠). وكذلك الطلبات التالية لطلبة "**خبزنا الذى للغد، أعطنا اليوم**" هى أيضاً طلبات روحية: "واغفر لنا ذنوبنا.. ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير".. إلخ.

فالصلاة الربية كلها طلبات روحية وليس من العقول أن نطلب الخبز الجسدى فى وسط هذه الطلبات الروحية. لأن السيد المسيح قال: "اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية" (يو٦: ٢٧).. وقال أيضاً عن الطلبات المادية أو الجسدية "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم" (مت٦: ٣٣).

وقد فهمت كنيستنا القبطية منذ البداية معنى ترجمة هذه الفقرة من الصلاة الربية بأنها تعنى "خبزنا الآتى" Pen wik `nte rac; أو "خبزنا الذى للغد" أى خبز الحياة الأبدية الذى هو بالدرجة الأولى جسد الرب ودمه فى سر القربان المقدس أو غذاء الروح بصفة عامة من ممارسات النعمة وعطايا الروح القدس والشبع من كلام الله.

معنى كلمة "إيبى أوسيون"

إن الكلمة اليونانية "إيبى أوسيون evpiou,sion" التى وردت كصفة لكلمة الخبز اليونانية "أرتون a;rton" وردت فى العهد الجديد مرتين فقط (فى مت٦: ١١، لو١١: ٣) ويمكن أن تعنى هذه الصفة أحد المعانى التالية:

١- الجوهرى أو الضرورى للوجود والحياة.

٢- الذى للغد - التالى - القادم - الآتى.

٣- بمعنى الكافى لليوم الحاضر، أى يكفى من يوم لآخر.

ونلاحظ الآتى:

١- إن بعض الكنائس أو الطوائف المسيحية تصلى "خبزنا الجوهرى" والبعض "خبزنا الآتى أو الذى للغد" والبعض "خبزنا كفافنا".

٢- إن هناك معنى مشترك بين جميع هذه الصيغ، وهو أن هذا الخبز هو الخبز الضرورى للحياة واللازم لحياتنا ووجودنا. وقد وجد هذا المعنى فى قواميس اللغة اليونانية مثل قاموس افستراتيادو المسمى "قاموس العهد الجديد" الأسكندرية سنة ١٩١٠م.

٣- اتفقت اللجنة اللاهوتية التابعة لقسم الإيمان والوحدة بمجلس كنائس الشرق الأوسط بعد دراسة مستفيضة على مدى عدة سنوات على اختيار عبارة موحدة تجمع كل المعانى السالفة وهى: "خبزنا الضرورى للحياة" وذلك لتوحيد استخدام الترجمة العربية للصلاة الربية أثناء الاجتماعات المسكونية فى الشرق الأوسط.

ارتباط الخبز بالحياة

قال السيد المسيح: "**أنا هو الخبز الحى** الذى نزل من السماء" (يو٦: ٥١) "لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم" (يو٦: ٣٣).

وقال أيضاً: "**من يأكلنى فهو يحيا بى**" (يو٦: ٥٧). وقال: "**والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم**" (يو٦: ٥١).

ومن المعلوم أن المسيح هو الحياة إذ قال: "أنا هو الطريق والحق **والحياة**" (يو١٤: ٦) وقال " أنا هو القيامة **والحياة**" (يو١١: ٢٥).

وبهذ نرى أن السيد المسيح قد أطلق على نفسه لقب "**الخبز**" (يو٦: ٣٣)، ولقب "**الخبز الحى**" (يو٦: ٥١) ولقب "**الحياة**" (يو١٤: ٦، ١١: ٢٥).

وفى التعبير الدارج يسمى الناس الخبز "عيش". وكلمة عيش مثلها كلمة "عِيشة" بكسر العين تعنى "الحياة". فالناس أيضاً يطلقون لقب الحياة على الخبز. ولكن السيد المسيح قال مردداً ما ورد فى توراة موسى "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (مت٤: ٤، انظر تث٨: ٣).

إن السيد المسيح قد أوضح بهذا أنه كما يحتاج الجسد إلى الخبز المادى لكى يعيش أو لكى يحيا، هكذا تحتاج الروح إلى الخبز الروحى لكى تحيا، ولكى تنمو وتقوى. فينبغى ألاّ يهمل الإنسان غذاء الروح فى سعيه وراء غذاء الجسد. لذلك قال "ليس بالخبز **وحده**" أى هناك نوعان من الغذاء.

وبكل تأكيد فإن غذاء الروح هو المسيح كما قال معلمنا بولس الرسول: "**لى الحياة هى المسيح**" (فى١: ٢١).

المسيح هو الذى "**به نحيا** ونتحرك ونوجد" (أع١٧: ٢٨) لا حياة على الإطلاق بدونه.. ولا نصرة على عوامل الخطية والموت بدونه.. ولا تحرر من الهلاك الأبدى بدونه.. ولا حياة قداسة ونعمة بدونه. إنه حياتنا كلنا وخلاصنا كلنا ورجاؤنا كلنا وقيامتنا كلنا.

إنه القيامة والحياة. لهذا قال: "من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير" (يو٦: ٥٤).
وقال: "من يأكلنى فهو يحيا بى" (يو٦: ٥٧).

ليتك يا رب تفتح قلوبنا وتنير أفهامنا حتى ندرك قوة الحياة الأبدية المذخرة لنا فيك يا قدوس.

واغفر لنا ذنوبنا

أهمية الصلاة الربية إنها هى تلك التى علّمها السيد المسيح لتلاميذه. وهنا نرى أن **الرب يدعونا إلى ممارسة التوبة باستمرار، وإلى طلب المغفرة فى كل يوم.**

قال معلمنا يوحنا الرسول: "إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا. **إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا** ويطهرنا من كل إثم. إن قلنا إننا لم نخطئ نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا" (١يو١: ٨-١٠).

إن الإنسان الذى يشعر أنه بار وبلا خطية، يكون قد سقط فى خطيئة الكبرياء. لهذا يلزمنا أن نحاسب أنفسنا على خطايانا ونبكّت أنفسنا باستمرار ونطلب المغفرة بلجاجة ومن عمق القلب.

ولكن معلمنا يوحنا الرسول أكمل كلامه قائلاً: "يا أولادى أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا" (١يو٢: ١). وهو يقصد أن لا يستغل أحد كلامه السابق "إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وليس الحق فينا" لكى يستحل لنفسه الخطأ بدعوى أن البشر تحت الضعف أو تحت الآلام، ومعرضين للخطأ. لذلك قال: "لكى لا تخطئوا". ثم أكمل قائلاً: "وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط، بل لخطايا كل العالم أيضاً" (١يو٢: ١، ٢).

إن الكنيسة هى مؤسسة إلهية للشفاء من الخطية وآثارها فى حياة الإنسان. وفى القداس الإلهى يصلى الجميع قائلين: {كرحمتك يا رب ولا كخطايانا}.

إن طلب المغفرة شئ ضرورى ولازم لخلاص الإنسان. لأن مغفرة الخطايا فى المسيحية تقترن بالشفاء، بفعل الروح القدس المطهِّر وبدم المسيح المحيى. **فبعد نيل الحِل للغفران فى سر الاعتراف؛ يؤهَّل الإنسان للتناول من جسد الرب ودمه. وفى التناول يبرأ من آثار الخطية المدمرة فيكتمل الغفران.**

إن الغفران فى نظر الله ليس هو مجرد الخلاص من الغضب الإلهى الذى تسببه الخطية، بل هو أيضاً الشفاء من الخطيئة وآثارها. ففى الغفران يتم وفاء الدين من جانب، كما يتم منح الحياة الأبدية من جانب آخر. وكلا الأمران لازم للمغفرة والمصالحة الحقيقية.

لذلك جاءت طِلبة "اغفر لنا خطايانا" مباشرة بعد طِلبة "خبزنا الآتى أعطنا اليوم". لأننا **لن ننال الغفران والشفاء الكاملين إلاّ من خلال التناول من جسد الرب ودمه الأقدسين.**

لهذا يقول الأب الكاهن فى الاعتراف الأخير فى القداس الإلهى عن ذبيحة القربان المقدس: {**يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لكل من يتناول منه**}.

الفرق بين القداسة والعصمة

المسيحية تدعو إلى حياة القداسة ولكنها لا تؤمن بعصمة القديسين الشخصية. توجد عصمة للوحى الإلهى الذى اقتبلته الكنيسة الجامعة. ولكن لا توجد عصمة للأفراد ولا للقديسين.. إن التحرر الكامل من إمكانية الخطية سوف يصل إليه الإنسان حينما يتكلل بالبر فى حياة الدهر الآتى بعد أن يغلب حروب الشيطان فى هذا الدهر الحاضر.

الكل مدعو إلى حياة القداسة "أكتب إليكم هذا لكى لا تخطئوا" (١يو٢: ١).

ولكن ليس هناك افتراض مسبّق بالعصمة من الخطية "وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب" (١يو٢: ١).

كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية

تقف أمامنا هذه العبارة للقديس يوحنا الرسول، وقد يفهم منها البعض أن أولاد الله القديسين معصومون من الخطية. ولكن لنتأمل أولاً ما قاله القديس يوحنا فى ضوء ما سبق أن ذكره فى نفس الرسالة وشرحناه سابقاً: "أيها الأولاد لا يضلكم أحد. من يفعل البر فهو بار كما أن ذاك بار. من يفعل الخطية فهو من إبليس لأن إبليس من البدء يخطئ. لأجل هذا أظهر ابن الله لكى ينقض أعمال إبليس. كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية لأن زرعه يثبت فيه ولا يستطيع أن يخطئ لأنه مولود من الله. بهذا أولاد الله ظاهرون وأولاد إبليس. كل من لا يفعل البر فليس من الله" (١يو٣: ٧-١٠).

إن القديس يوحنا هنا يقارن بين من يسلك فى طريق الظلمة أى فى طريق إبليس، ومن يسلك فى حياة النور والبر والقداسة.. أى فى طريق الله.

لا يستطيع أحد أن يدّعى أنه مولود من الله أى أنه ابن الله وفى نفس الوقت يعيش فى حياة الخطية بلا توبة وبلا تلمذة للسيد المسيح وإنما يعيش مستسلماً لحياة الشر والخطيئة.

لا يمكن أن يجتمع النور مع الظلمة. ولا يؤهل لدخول الملكوت من يحيا فى الشر ويكره حياة البر والقداسة.

إن المسيحية تفقد محتواها الحقيقى بدون حياة القداسة. فمن يفعل البر فهو تلميذ للرب ومن يفعل الخطية فهو تلميذ لإبليس. ولا يمكن الجمع بين المسيح وإبليس فى آنٍ واحد. ولا ينبغى أن يشعر من يخطئ أنه يستطيع أن يخطئ وهو متمتع بحالة البنوة لله.

ففى حالة الخطية يحتاج الإنسان أن يعود إلى حالة البنوة من خلال وسائط النعمة بالتوبة والاعتراف والتناول.

أثناء التمتع بحالة البنوة لا يستطيع الإنسان أن يخطئ لأن زرع الله ثابت فيه. أما حينما يخطئ فإنه يكون قد تخلّى عن قوة البنوة وتخلّى عن أسلحة البنوة لله التى تمنعه من أن يخطئ.

فى حالة الخطية لا يكون الإنسان ثابتاً فى بنوته.. ويحتاج إلى تجديد قوة البنوة فى حياته بوسائط النعمة وبالثبات فى المسيح.. حالة الثبات فى المسيح هى التى تمنع الخطية. وكل إنسان مطالب بأن يثبت فى المسيح لكى لا يخطئ. ولكن إن أخطأ فليتب.

طلب المغفرة

"**واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا" (مت٦: ١٢).**

تكلّمنا عن طلب المغفرة فى الصلاة، انطلاقاً من شعور الإنسان بضعفه وخطاياه واحتياجه للمغفرة.

إن من يقرع صدره طالباً المغفرة فى توبة وانسحاق مثل العشار، هو الذى تُقبل صلاته أمام الرب.. أما المتعالى الذى يفخر بأنه قد ضمن الخلاص، وأنه قد داس على الشيطان تحت الأقدام (مثلما يفعل الخمسينيون وأصحاب بدعة الخلاص فى لحظة وأمثالهم)، فإن صلاته لا تكون مقبولة أمام الرب. بل تتخلى عنه النعمة بغروره، ويكون عُرضة للسقوط فى أية لحظة. بل بالفعل يكون بعيداً عن ملكوت الله، لأن "يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (يع٤: ٦).

هكذا عاش الآباء القديسون يبكون وينوحون على خطاياهم، ويتسابقون فى طلب المغفرة والرحمة، بالرغم من حياة السمو والقداسة التى عاشوا فيها.

بل إنهم كلما اقتربوا من الله أكثر، كلما شعروا بضعفاتهم وتقصيرات محبتهم، وزادوا انسحاقاً وطلباً للمغفرة. وكان ذلك دافعاً لهم للتزايد فى حياة "القداسة التى بدونها لن يرى أحد الرب" (عب١٢: ١٤).

كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا

لا تعنى هذه العبارة فقط أننا سوف نغفر فى المستقبل، أو نغفر للمسيئين والمذنبين إلينا فى الوقت الحاضر.

بل تعنى أيضاً إننا قد غفرنا فعلاً لمن أذنبوا إلينا، وذلك قبل أن نتقدم إلى الصلاة.

إن العبارة كما وردت فى النص اليونانى من الممكن أن تعطى معنى "كما غفرنا نحن للمذنبين إلينا".

ولذلك فبعد انتهاء نص الصلاة الربانية قال السيد المسيح لتلاميذه: "إن غفرتم للناس زلاتهم، يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى. وإن لم تغفروا للناس زلاتهم، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم" (مت٦: ١٤، ١٥).. **إن شرط مغفرة الآب لنا، هو أن نغفر نحن لمن أساء إلينا وذلك قبل أن نطلب المغفرة.**

يُحكَى عن القديس الأنبا إبرام أسقف الفيوم أن فريقين متخاصمين قد أتيا ليحتكما إليه. وبعد مناقشات طويلة لم يتمكن من مصالحتهم بأية حال. فاقترح عليهم أن يقفوا للصلاة. وعند تلاوة الصلاة الربانية قالها القديس بصوت

مسموع. وعندما وصل إلى عبارة "واغفر لنا ذنوبنا.."، قال: "ولا تغفر لنا ذنوبنا، كما لا نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا". فاستوقفه أحد المشتركون فى الصلاة ليصحح له القول حسب نص الصلاة الأصلى. فرد القديس وقال: {يا أبنائى إننا يجب أن لا نكذب على الرب فى صلواتنا ونطلب المغفرة قائلين: "كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا" ونحن فى الحقيقة لم نغفر.. بل ينبغى أن نقول الصدق لكى لا نخدع أنفسنا ونتصور أن الرب قد قبل صلاتنا}.

وقد أوضح القديس بهذا أنه أراد أن يوبخهم على قساوة قلوبهم.

وهنا ندم المتخاصمون وطلبوا من الأسقف القديس الحِل والبركة والسماح، إذ قبلوا أن يتصالحوا جميعاً. وهنا ردد معهم القديس الصلاة الربانية بحسب نصها الصحيح..

إن السيد المسيح يريدنا أن نتشبه بأبيه السمائى فى صفحه وغفرانه للتائبين الحقيقيين، مهما كانت جسامة خطاياهم. فكما نرتاح نحن لمغفرة الآب لنا، هكذا ينبغى أن نريح الآخرين بمغفرتنا لهم.

وإن كان الرب قد قال: "كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم" (مت٧: ١٢) فإن هذا بالحرى ينطبق على أن كل ما نريد أن يفعله الله معنا ينبغى أن نفعله نحن مع الآخرين. وذلك لأن مديونيتنا نحن لله فى خطايانا هى أبلغ بكثير من مديونية الآخرين لنا فى إساءاتهم.

وقد شرح السيد المسيح مثل العبد الذى لم يترك الدين لأخيه بعد أن ترك له سيده الدين الذى عليه. وقال إن سيده حينما علم بذلك، أمر بإلقائه فى السجن إيفاءً لما عليه..

ولكننا ينبغى فى مسألة المغفرة أن لا نفرط فى حقوق الرب، أو أن نستهين بالمقدسات. فالذى يسلك بأسلوب غير تائب، أو يكون عثرة للآخرين، ينبغى أن تحرس الكنيسة القطيع منه لئلا يكون سبباً فى هلاك غيره.

ولا تدخلنا فى تجربة

هناك نوعان من التجارب:

١- التجارب بمعنى إغراءات الخطية ومحارباتها الشريرة.

٢- التجارب بمعنى الضيقات والآلام.

وقد سميت التجارب هكذا لأنها فى كلتا الحالتين اختبار لمدى قدرة الإنسان على التصدى لها أو احتمالها: فإن اجتازها بسلام يكون قد نجح فى الإمتحان، وإن لم يحتملها يكون قد رسب فى الإمتحان.

والتجارب يقوم بها الشيطان المجرّب فى كلتا الحالتين وغالباً ما يبدأ بالنوع الأول فإن فشل نتيجة التصاق الإنسان بالرب فى حياته الروحية، فإنه يتجه إلى النوع الثانى انتقاماً من فشله الأول ورغبة منه فى تطويع الإنسان أو إضعاف مقاومته حينما يعاود الكرة ويعود إلى تجارب النوع الأول لعله يفلح فى هذه المرة.. وهكذا.

حينما كان الشيطان يفشل فى إخضاع القديسين لعبادته من خلال الأوثان المحرمة، فإنه كان يصب انتقامه على أجساد هؤلاء القديسين بآلام مروّعة لإضعاف عزيمتهم فى مقاومته بقصد إخضاعهم لعبادة الأوثان بالسجود أو بالتبخير لها.

المقصود فى الصلاة الربانية

المقصود بعبارة "لا تدخلنا فى تجربة، لكن نجنا من الشرير" (مت٦: ١٣) فى الصلاة الربانية **هو تجارب النوع الأول**. أى تجارب الخطية وليس تجارب الآلام والضيقات.

وهذا يتضح من قول معلمنا يعقوب الرسول: "احسبوه كل فرح يا إخوتى حينما تقعون فى **تجارب** متنوعة، عالمين أن امتحان إيمانكم ينشئ صبراً" (يع١: ٢، ٣). ومن الواضح أن المقصود بالتجارب فى قول يعقوب الرسول ليس هو تجارب الخطية بل تجارب الضيقات والآلام خاصة من أجل الرب. وقد أوضح الرسول أن تجارب الضيقات هى امتحان للإيمان إن كان إيماناً ثابتاً وحقيقياً أم لا. فكل ضيقة هى امتحان لثبات الإنسان فى محبته لله. ولذلك أكمل يعقوب الرسول كلامه بقوله: "طوبى للرجل الذى يحتمل **التجربة** لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذى وعد به الرب للذين يحبونه" (يع١: ١٢).

ولكن الرسول يفرق بين نوعى التجارب التى ذكرناها فينتقل مباشرة للحديث عن التجارب الشريرة ويقول: "لا يقل أحد إذا جُرِّب إنى أُجرَّب من قِبل الله. لأن الله غير مجرَّب بالشرور وهو لا يجرِّب أحداً. ولكن كل واحد يجرَّب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتاً" (يع١: ١٣-١٥).

إن كل شئ يتم بسماح من الله أى أنه يسمح للشيطان المجرِّب أن يجرِّب البشر بنوعي التجارب: أى بالضيقات وأيضاً بالتجارب الشريرة. ولكن الله نفسه لا يجرِّب الإنسان بالتجارب الشريرة. ولا يشاء أن يسقط أحد فى الخطية. ولا أن يهلك أحد من الناس بل "يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون" (١تى٢: ٤). وهو لا يشاء موت الخاطئ مثل أن يرجع وتحيا نفسه كقول الرب: "إنى لا أسر بموت الشرير، بل بأن يرجع الشرير عن طريقه ويحيا" (حز٣٣: ١١). أى أنه لا يسر بموت الخطاة، ولكن فى الوقت نفسه لا يمنع الشيطان من امتحان البشر لكى تثبت قداستهم وكراهيتهم للخطية، ورفضهم لإطاعة الشيطان والانسياق للأهواء والشهوات الشريرة والدنسة.

لهذا قال يعقوب الرسول عن سقوط الخطية: "لا يقل أحد إذا جرِّب إنى أجرب من قبل الله" (يع١: ١٣). لا يحتج الإنسان قائلاً إن الله هو الذى رتب لى السقوط، أو دبر لى الخطية، أو جعلها سهلة أمامى، أو حلوة فى نظرى.. بل إن الشيطان هو الذى يجعل الخطية جميلة وشهية فى نظر الإنسان.. وهو الذى يقترح على الإنسان فكرة التمتع بالخطية وكسر وصايا الله أو نسيانها. هو الذى يحاول إقناع الإنسان بالتعدى على الوصية المقدسة، وهو الذى يجتذب فكر الإنسان بعيداً عن محبة الله، وبعيداً عن مصلحته الأبدية.

ويقول الرسول أيضاً إن الخطية تمر بمراحل فى كيان الإنسان "كل واحد يجرّب إذا انجذب وانخدع من شهوته. ثم الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتاً" (يع١: ١٤، ١٥). الخطية تبدأ بفكرة معروضة على الإنسان فإذا لم يرفضها فإنها تجتذبه بطريقة خادعة إرضاءً للشهوة. فإذا تفاعل الإنسان مع الشهوة، تسرى فى كيانه عوامل اللذة والدنس حتى يسكر بسحرها ونشوتها. وبسريان تأثيرات الشهوة فى كيان الإنسان يبدأ فى ممارسة الخطية إرضاءً لشهوته. وكلما توغل فى الخطية كلما اشتعلت الشهوة بزيادة حتى يصل إلى إكمال فعل الخطية دون أن يتراجع فيكون السقوط المميت.

إن هناك شيطاناً اسمه شيطان تكميل الفعل. فحينما يبدأ قلب الإنسان يضربه بسبب شروعه فى ارتكاب الخطية، يأتى شيطان تكميل الفعل ليدفعه إلى عدم التراجع. وأحياناً يقول له ما فائدة التراجع وقد أغضبت الرب لسبب شروعك فى ارتكاب الخطية؟ ولماذا تحرم نفسك من اكتمال لذة الخطية وقد حُسِبت عليك خطية.. إن التراجع لن يفيدك فى شئ. أكمِل الخطية وبعد ذلك يأتى التفكير فى التوبة.. وهكذا يظل يلح عليه حتى يتجاسر على تكميل فعل الخطية التى "إذا كملت تنتج موتاً" (يع١: ١٥).

كما أن الإنسان ينبغى أن يحترس تماماً من شيطان الفكر والإغراء، فإنه ينبغى أن يحترس وبقوة من شيطان تكميل الفعل.

إن التراجع عن الشهوة أسهل من التراجع عن الخطية. والتراجع عن الخطية قبل اكتمالها أفضل بكثير من الوقوع فيها. لأن اكتمال الخطية ينشئ الاعتياد عليها ويجعل طريق التوبة صعباً محفوفاً بالمخاطر.

وهناك شيطان آخر ينبغى الاحتراس منه وهو شيطان اليأس، الذى بعدما يسقط الإنسان فى الخطية يأتيه ليثير فيه مشاعر اليأس وقطع الرجاء.

فقبل السقوط يقول الشيطان للإنسان: إن الخطية هى حلوة وجميلة ومن حقك، ولا ضرر فى ارتكابها. وبعد السقوط يقول له: ها قد أضعت نفسك فى الخطية وانفصلت عن الله.. وهو لن يقبل رجوعك إليه ولا أمل فى قبوله لك، ولا أمل فى قدرتك على ترك الخطية وليس أمامك إلا الاستمرار فيها أو الاستمرار فى البعد عن الله.

إن حيل الشيطان كثيرة ومتنوعة. وفخاخه لا يستطيع أن يفلت منها إلا المتواضعون كما قيل للقديس أنطونيوس فى البرية.

لكن نجنا من الشرير

هناك أناس لا يتصورون أن هناك حرباً من الشيطان ضد أولاد الله. ولكن كلمات السيد المسيح التى علمنا إياها فى الصلاة الربانية تظهر خطورة الموقف ووطأة الحروب الشيطانية فقال الرب متى صليتم فقولوا هكذا.. "**ولا تدخلنا فى تجربة، لكن نجنا من الشرير**" (مت٦: ١٣).

إن الصلاة الربانية تحوى أهم الطلبات وأخطرها بالنسبة لخلاص الإنسان. لذلك علينا أن ندرك أهمية ترديد هذه الطلبة "لا تدخلنا فى تجربة، لكن نجنا من الشرير" نطلبها بحرارة.. ومن عمق القلب.. بصراخ.. بلجاجة.. بدموع.. إنها صرخة غريق يطلب من الرب النجاة. كما ذكر **قداسة البابا شنودة الثالث -أطال الرب حياة قداسته-** قول الشاعر:

صوتى عِلى مثل صرخة غريق　　　بيصرخ بيصرخ بيصرخ

بيصـرخ بكل قــواه　　　للحيـــــاة

إن أهمية هذه الطلبة تؤكدها كلمات معلمنا بطرس الرسول: "اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو. فقاوموه راسخين فى الإيمان" (١بط٥: ٨، ٩).

إننا نحتاج من الناحية الروحية أن يحارب الرب عنا.. وأن يدفع جحافل قوات الظلمة (أى الشياطين) بقوته الإلهية.. لهذا ينبغى أن نطلب معونته باستمرار.. وبدون هذه المعونة وهذه القوة.. فلن يمكننا أن نغلب. ولكننا حينما نتسلح بقوة الرب مجاهدين، حينئذ تكون الغلبة ونترنم قائلين: "الرب قوتى ونشيدى. وقد صار خلاصى. هذا إلهى فأمجده. إله أبى فأرفعه. الرب رجل الحرب. الرب اسمه.. يمينك يا رب معتزة بالقدرة. يمينك يا رب تحطم العدو" (خر١٥: ٢، ٣، ٦).

بالمسيح يسوع ربنا

لم ترد هذه العبارة فى الصلاة الربانية كما نطق بها السيد المسيح فى وقتها، وكما سجلتها الأناجيل على فمه المبارك. لأنه من ناحية هو الذى علّمها لتلاميذه، فلا يمكن -والحال هكذا- أن يقول هو عن نفسه "بالمسيح يسوع ربنا".

ومن الجانب الآخر فإن صياغة صلوات الكنيسة التى سيترتب عليها إتمام الفداء قد ارتبط بأحداث الفداء. وفى ليلة آلامه بدأ السيد المسيح يوضح لتلاميذه كيف ينبغى تقديم الصلوات للآب السماوى بعد إتمام الفداء على أساس أنها ينبغى أن تقدم باسمه "فأنتم كذلك عندكم الآن حزن. ولكنى سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم، ولا ينزع أحد فرحكم منكم. وفى ذلك اليوم لا تسألوننى شيئاً. الحق الحق أقول لكم: **إن كل ما طلبتم من الآب باسمى يعطيكم. إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمى.** اطلبوا تأخذوا، ليكون فرحكم كاملاً.. **فى ذلك اليوم تطلبون باسمى**" (يو١٦: ٢٢-٢٤، ٢٦)

وقد أوضح السيد المسيح بذلك أنهم لم يكونوا بعد قد صلّوا الصلاة الربانية باسمه فقال لهم: "إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمى. اطلبوا تأخذوا، ليكون فرحكم كاملاً.. **فى ذلك اليوم تطلبون باسمى**".

فمن غير اللائق إطلاقاً تقديم الطلبات للآب السماوى بعد إتمام الفداء دون أن تكون باسم الرب يسوع المسيح. فكل صلاة نصليها تسبقها الصلاة الربانية ونردد فيها هذه العبارة الخالدة "**بالمسيح يسوع ربنا**".

لقد شجع السيد المسيح تلاميذه أن يوجهوا الصلاة الربانية إلى الآب مباشرة. ولكن من يستطيع أن يصلى إلى الآب بدالة البنوة إن لم يطلب **باسم الابن الوحيد الفادى والمخلص يسوع المسيح؟!**.

لذلك قال معلمنا بولس الرسول: "إذ لم تأخذوا روح العبودية أيضاً للخوف، بل أخذتم روح التبنى الذى به نصرخ يا أبا الآب (أى أيها الآب أبانا)" (رو٨: ١٥). إن المصالحة التى صنعها السيد المسيح قد أعطتنا دالة البنوة.

لهذا وضعت الكنيسة عبارة "**بالمسيح يسوع ربنا**" كما تسلّمت ذلك من الآباء الرسل فى الصلاة الربانية. ومما يؤكد أيضاً هذه الحقيقة أن الآباء الرسل كانوا يستخدمون اسم الرب يسوع المسيح فى صنع المعجزات، وفى الكرازة بالإنجيل، وفى التعميد، وفى طلب المعجزات من الله الآب، وفى كتابة رسائلهم إلى الكنائس والمؤمنين -كما فى كتابة الأناجيل بطبيعة الحال- **وصارت قاعدة لا يمكن التغاضى عنها أن هذا الاسم قد صار هو عنوان كل شئ فى المسيحية**، تردده الكنيسة فى الصلاة الربانية، وعند قراءة الإنجيل، وفى كل صلواتها الليتورجية وتسابيحها، ويردده القديسون بلا فتور، ويهزمون به كل قوة العدو. فما أجمل ترديد صلاة **{يا ربى يسوع المسيح خلصنى}**.

ولكى نوضح أهمية اسم الرب يسوع المسيح فى حياة الكنيسة فى عصر الرسل نقدم الأمثلة التالية على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر:

أولاً: فى معجزة شفاء الأعرج من بطن أمه قال بطرس الرسول: "ليس لى فضة ولا ذهب ولكن الذى لى فإياه أعطيك **باسم يسوع المسيح الناصرى** قم وامشِ" (أع٣: ٦).

ثم قال للشعب: "إن إله إبراهيم وإسحق ويعقوب، إله آبائنا مَجَّد **فتاه يسوع**، الذى أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس، وهو حاكم بإطلاقه.. الذى أقامه الله من الأموات، ونحن شهود لذلك. **وبالإيمان باسمه** شدّد **اسمه** هذا الذى تنظرونه وتعرفونه، والإيمان الذى بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم" (أع٣: ١٣، ١٥، ١٦).

ويلاحظ أنه باسم يسوع المسيح قد تم الشفاء بحسب نطق بطرس الرسول، وأيضاً بالإيمان بهذا الاسم. **أى بالنطق والإيمان بالاسم القدوس معاً**.

ثانياً: فى معمودية يوم الخمسين بعد عظة بطرس الرسول للجموع المحتشدة، إذ "نخسوا فى قلوبهم، وقالوا لبطرس ولسائر الرسل: ماذا نصنع أيها الرجال الأخوة؟ فقال لهم بطرس: توبوا وليعتمد كل واحد منكم على **اسم يسوع المسيح** لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس. لأن الموعد هو لكم ولأولادكم ولكل الذين على بُعد، كل من يدعوه الرب إلهنا" (أع٢: ٣٧-٣٩).

ومن الواضح هنا أن المعمودية تتم حسب وصية الرب يسوع المسيح على اسم الآب والابن والروح القدس. والابن الذى على اسمه تتم المعمودية مع الآب والروح القدس هو الرب يسوع المسيح. فالمعمودية على اسم المسيح هى معمودية العهد الجديد على اسم الثالوث القدوس، بالإيمان بيسوع المسيح أنه هو ابن الله مخلّص العالم.

ثالثاً: فى كرازة الرسل كان اسم يسوع هو محور كرازتهم فقال بطرس لرؤساء الكهنة وعشيرتهم وكتبتهم فى أورشليم بعد شفاء الأعرج: "فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب إسرائيل، أنه **باسم يسوع المسيح الناصرى**، الذى صلبتموه أنتم، الذى أقامه الله من الأموات، بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً.. وليس بأحد غيره الخلاص **لأن ليس اسم آخر تحت السماء** قد أعطى بين الناس، به ينبغى أن نخلص" (أع٤: ١٠، ١٢).
وكان اليهود ورؤساؤهم يفزعون كثيراً من اسم الرب يسوع وقال رئيس الكهنة للآباء الرسل: "أما أوصيناكم وصية أن لا تعلِّموا **بهذا الاسم؟** وها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم.. فأجاب بطرس والرسل وقالوا: ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس" (أع٥: ٢٨، ٢٩).
وبعد ذلك جلدوا الآباء الرسل "وأوصوهم أن لا يتكلموا **باسم يسوع**، ثم أطلقوهم. وأما هم فذهبوا فرحين من أمام المجمع، لأنهم حُسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه. وكانوا لا يزالون كل يوم فى الهيكل وفى البيوت معلمين ومبشرين **بيسوع المسيح**" (أع٥: ٤٠-٤٢).
وهكذا كان قد حدث أيضاً مع بطرس ويوحنا بعد شفاء الأعرج باسم الرب يسوع المسيح "بينما هما يخاطبان الشعب، أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون، متضجرين من تعليمهما الشعب، وندائهما فى يسوع بالقيامة من الأموات.. جعلوا يسألونهما بأية قوة **وبأى اسم** صنعتما أنتما هذا" (أع٤: ١، ٢، ٧) وقرروا أن يهددوهما "أن لا يكلما أحداً من الناس فيما بعد **بهذا الاسم** فدعوهما وأوصوهما أن لا ينطقا البتة، ولا يعلما **باسم يسوع**" (أع٤: ١٧، ١٨).

رابعاً: حينما صلى الآباء الرسل ورفعوا صوتاً بنفس واحدة إلى الله طالبين أن يؤيد خدمتهم الكرازية بالمعجزات؛ قالوا: "ولتجر آيات وعجائب **باسم فتاك القدوس يسوع**. ولما صلوا تزعزع المكان الذى كانوا مجتمعين فيه، وامتلأ الجميع من الروح القدس، وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة" (أع٤: ٣٠، ٣١). فمن الواضح أهمية إتمام المعجزات **باسم الرب يسوع المسيح** حينما نطلبها من الآب السماوى.

خامساً: حينما وعد السيد المسيح تلاميذه قبيل صعوده بأن **ترافق المعجزات عملهم الكرازى** قال لهم: "وهذه الآيات تتبع المؤمنين: يخرجون الشياطين **باسمى**" (مر١٦: ١٧).

وليس هذا فقط بل إن الرسل قد اختبروا قوة الاسم الحسن القدوس أى اسم الرب يسوع المسيح أثناء وجوده معهم على الأرض بالجسد كما سجّل معلمنا لوقا الإنجيلى "فرجع السبعون بفرح قائلين: يا رب، حتى الشياطين تخضع لنا **باسمك**" (لو١٠: ١٧). شعر الرسل بقوة هذا الاسم وفاعليته واختبروها عملياً.

وحدث بينما كان بولس الرسول وسيلا ولوقا الإنجيلى وبعض المؤمنين ذاهبين إلى الصلاة فى فيلبى أن جارية بها روح عرافة استقبلتهم وكانت تكسب مواليها مكسباً كثيراً بعرافتها. هذه اتبعت بولس ومن معه و"صرخت قائلة: هؤلاء الناس هم عبيد الله العلى، الذين ينادون لكم بطريق الخلاص. وكانت تفعل هذا أياماً كثيرة. فضجر بولس والتفت إلى الروح وقال: أنا آمرك **باسم يسوع المسيح** أن تخرج منها. فخرج فى تلك الساعة" (أع١٦: ١٧، ١٨).

سادساً: فى الإيمان بكرازة الرسل كان اسم يسوع هو المحور الرئيسى للإيمان. مثلما حدث مع وزير كنداكة ملكة الحبشة حينما آمن وطلب العماد وقال له فيلبس: "إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز. فأجاب وقال: **أنا أُومِنُ أن يسوع المسيح هو ابن الله**.. فنزلا كلاهما إلى الماء.. فعمده" (أع٨: ٣٧، ٣٨).

وحينما بشر فيلبس هذا الرجل من سفر إشعياء؛ يقول سفر الأعمال "ففتح فيلبس فاه وابتدأ من هذا الكتاب فبشره **بيسوع**" (أع٨: ٣٥). فالإيمان بيسوع أنه هو ابن الله قد بنى على كرازة المبشرين بهذا الاسم.

بل إن السيد المسيح نفسه بعد صعوده إلى السماء قد أعلن اسمه لشاول الطرسوسى حينما ظهر له بمجد عظيم فى الطريق إلى دمشق وقال شاول: "من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا **يسوع** الذى أنت تضطهده، صعب عليك أن ترفس مناخس" (أع٩: ٥).

وكتب بولس الرسول "إن اعترفت بفمك بالرب **يسوع**، وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الأموات خلصتَ. لأن القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص" (رو١٠: ٩، ١٠).

(you will be saved – N.King James V.)

أى أن الإيمان بأن يسوع هو المسيح ابن الله الحى يقودنا إلى الخلاص بالمعمودية وتنفيذ باقى وصايا الرب التى للعهد الجديد.

عن هذا أيضاً كتب يوحنا الرسول فى إنجيله "لتؤمنوا أن يسوع هو المسيح ابن الله، ولكى تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه" (يو٢٠: ٣١).

سابعاً: فى كتابات الآباء الرسل كان اسم يسوع يتصدر رسائلهم بصورة واضحة ففى رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية يقول: "بولس رسول لا من الناس ولا بإنسان، بل **بيسوع المسيح** والله الآب الذى أقامه من الأموات" (غل١: ١).

وفى رسالته إلى أهل أفسس يقول: "بولس، رسول **يسوع المسيح** بمشيئة الله، إلى القديسين الذين فى أفسس، والمؤمنين **فى المسيح يسوع** نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب **يسوع المسيح**" (أف١: ١، ٢). ففى فاتحة الرسالة ذكر اسم يسوع ثلاث مرات.

وهكذا كتب يعقوب الرسول: "يعقوب عبد الله **والرب يسوع المسيح** يهدى السلام إلى الاثنى عشر سبطاً الذين فى الشتات" (يع١: ١).

وبطرس الرسول: "بطرس، رسول **يسوع المسيح**، إلى المتغربين من شتات بنتس وغلاطية وكبدوكية وأسيا وبيثينية. المختارين بمقتضى علم الله الآب السابق، فى تقديس الروح للطاعة ورش دم **يسوع المسيح** لتكثر لكم النعمة والسلام" (١بط١، ٢).

ويوحنا الرسول: "الذى كان من البدء، الذى سمعناه، الذى رأيناه بعيوننا، الذى شاهدناه ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة.. الذى رأيناه وسمعناه نخبركم به، لكى يكون لكم أيضاً شركة معنا. وأما شركتنا نحن فهى مع الآب ومع ابنه **يسوع المسيح**" (١يو١: ١، ٣).

ويهوذا الرسول: "يهوذا عبد يسوع المسيح، وأخو يعقوب، إلى المدعوين المقدسين فى الله الآب، والمحفوظين **ليسوع المسيح**، لتكثر لكم الرحمة والسلام والمحبة" (يه١، ٢).

وفى الأناجيل: "كتاب ميلاد **يسوع المسيح**" (مت١: ١)، "بدء إنجيل **يسوع المسيح**" (مر١: ١)، وبالنسبة لإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا فقد تكلما عن يسوع المسيح فى فاتحة إنجيليهما بلقب "**الكلمة**" أى كلمة الله **(اللوغوس)** ثم أوردا اسم الرب يسوع المسيح مرارًا عديدة فى الإنجيل نفسه.

معنى اسم يسوع

قال الملاك ليوسف عن خطيبته العذراء مريم: "فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (مت١: ٢١).

اسم "**يسوع**" باللغة العبرية هو "يهوشع" بمعنى "**يهوه خلّص**" كما هو مكتوب فى سفر إشعياء: "**هوذا الله خلاصى** فأطمئن ولا أرتعب لأن "ياه" يهوه قوتى وترنيمتى وقد صار لى خلاصاً" (إش١٢: ٢).

وحينما ظهر الابن الكلمة فى صورة نار مشتعلة فى عليقة وهى لا تحترق فى برية سيناء لموسى النبى، وسأله موسى النبى ما اسمك؟ قال له: "هكذا تقول لبنى إسرائيل يهوه إله آبائكم، إله إبراهيم وإله إسحق، وإله يعقوب أرسلنى إليكم هذا **اسمى** إلى الأبد وهذا ذكرى إلى دور فدور" (خر٣: ١٥).

لذلك قال السيد المسيح لتلاميذه: "تكونون لى شهوداً" (أع١: ٨). كما قال الرب فى العهد القديم: "أنا أنا الرب وليس غيرى مخلص.. وأنتم شهودى يقول الرب، وأنا الله" (إش٤٣: ١١، ١٢).

فمن يشهد ليسوع؛ يشهد ليهوه المخلص. أما شهود يهوه الذين "ينكرون الرب الذى اشتراهم، يجلبون على أنفسهم هلاكاً سريعاً" (٢بط:٢: ١)، إنهم ينتحلون لأنفسهم هذا الاسم "شهود يهوه" بينما هم "منكرو يهوه" لأنهم ينكرون أنه هو المخلِّص.

ما أجمل أن ننادى بهذا الاسم الحسن مثلما نقول فى التسبحة (يوم السبت):

{اسمك حلو ومبارك فى أفواه قديسيك؛ يا ربى يسوع المسيح مخلصى الصالح}.

لهذا وضعت الكنيسة عبارة "**بالمسيح يسوع ربنا**" فى الصلاة الربانية **لكى تكون مقبولة أمام الله الآب**.. وبعد ذلك نكمل الصلاة الربانية للآب قائلين: {لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين}.

لأن لك الملك

فى نهاية الصلاة الربانية، وردت هذه العبارة "**لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين**" **(مت٦: ١٣)**.

عندما رفض شعب إسرائيل أن يملك الله عليهم، تضايق صموئيل النبى لأنهم طلبوا ملكاً يملك عليهم مثل باقى الشعوب. وصلّى صموئيل إلى الرب "فقال الرب لصموئيل: اسمع لصوت الشعب فى كل ما يقولون لك. لأنهم لم يرفضوك أنت، بل إياى رفضوا حتى لا أملك عليهم" (١صم٨: ٧).

عبارة "**لأن لك المُلك**" التى نقولها للرب فى الصلاة الربانية؛ نعترف بمُلكه الحقيقى، وبأننا فى ملكيته؛ لأنه هو خالق كل الأشياء وحافظها بقدرته الإلهية، كما أنه قد خلّصنا من خطايانا ومن الهلاك الأبدى بذبيحة ابنه الوحيد يسوع المسيح الذى اشترانا لأبيه.

عبارة "**لك المُلك**" فيها اعتراف بالحقيقة التى كثيراً ما يتجاهلها البشر. ولذلك قال صموئيل النبى لكل اسرائيل بعد أن أقام عليهم شاول بن قيس ملكاً: "هأنذا قد سمعت لصوتكم فى كل ما قلتم لى وملّكت عليكم ملكاً.. أما هو حصاد الحنطة اليوم؟ فإنى أدعو الرب فيعطى رعوداً ومطراً فتعلمون وترون أنه عظيم شرّكم الذى عملتموه فى عينى الرب بطلبكم لأنفسكم ملكاً. فدعا صموئيل الرب فأعطى رعوداً ومطراً فى ذلك اليوم. وخاف جميع الشعب الرب وصموئيل جداً. وقال جميع الشعب لصموئيل: صلّ عن عبيدك إلى الرب إلهك حتى لا نموت. لأننا قد أضفنا إلى جميع خطايانا شراً بطلبنا لأنفسنا ملكاً. فقال صموئيل للشعب: لا تخافوا.. لا يترك الرب شعبه من أجل اسمه العظيم.. وإن فعلتم شراً فإنكم تهلكون أنتم وملككم جميعاً" (١صم١٢: ١، ١٧-٢٠، ٢٢، ٢٥).

ثم بعد أن بدأ شاول الملك بداية حسنة، استكبر قلبه وتعالى على الرب، فرفضه وأقام داود الملك عوضاً عنه.. ومن نسل داود حسب الجسد جاء السيد المسيح ابن الله الوحيد لخلاص العالم.

وقال الملاك جبرائيل للعذراء مريم عن ابنها الرب يسوع المسيح: "ابن العلى يُدعى. ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه. **ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد. ولا يكون لملكه نهاية**" (لو١: ٣٢، ٣٣).

ها قد طلب الشعب ملكاً أرضياً، رافضين أن يملك الله عليهم، وقد أخطأوا فى ذلك. ولكن الرب حوَّل مسار المُلك الأرضى مرةً أخرى إلى المُلك السمائى؛ فاستبدل شاول بداود، **ثم جاء المسيح ليجلس على عرش داود وهو فى نفس الوقت الرب المالك فى السماء.** وقال السيد المسيح: "مملكتى ليست من هذا العالم" (يو١٨: ٣٦).

أما العرش المقصود الذى ملك عليه فكان هو خشبة الصليب؛ لأنه قال قبل صلبه: "وأنا إن ارتفعت عن الأرض، أجذب إلىّ الجميع. قال هذا مشيراً إلى أية ميتةٍ كان مزمعاً أن يموت" (يو١٢: ٣٢، ٣٣)؛ أى مشيراً إلى ارتفاعه عن الأرض بتسمير جسده المحيى على خشبة الصليب المقدسة.

وقال أيضاً لليهود: "متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذٍ تفهمون أنى أنا هو" (يو٨: ٢٨). أى أن العالم سوف يكتشف أن المصلوب هو يهوه المخلص.. هو ملك اليهود.. هو ملك إسرائيل.. هو الملك المرفوض من الأشرار، ولكنه هو الملك الحقيقى الذى يملك على قلوب الأبرار.

حقاً إن الرب قد ملك على خشبة وكان عنوان علته مكتوباً فوق رأسه باللغات العبرانية واليونانية واللاتينية "**يسوع الناصرى ملك اليهود**" (انظر مت٢٧: ٣٧ ، مر١٥: ٢٦ ، لو٢٣: ٣٨ ، يو١٩:١٩).

إن السيد المسيح ليس هو فقط ملك اليهود بل إن "له على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب **ملك الملوك ورب الأرباب**" (رؤ١٩: ١٦). تماماً مثل أبيه الصالح "المبارك العزيز الوحيد **ملك الملوك ورب الأرباب،** الذى وحده له عدم الموت، ساكناً فى نور لا يُدنى منه. الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه. الذى له الكرامة والقدرة الأبدية آمين" (١تى٦: ١٥، ١٦).

مُلك الآب هو مُلك للابن

إن مُلك الآب هو مُلكٌ للابن، وملكوت الآب هو ملكوت الابن ولهذا دُعى ملكوت الله "ملكوت ابن محبته" **(كو١: ١٣).**

كذلك فإن **مجد الآب هو مجد الابن،** لأن الابن هو "**بهاء مجده**" (عب١: ٣)**، وجوهر الآب غير المنقسم هو نفسه جوهر الابن،** ولا يوجد اختلاف فى صفات الجوهر الإلهى بين الآب والابن والروح القدس، بل هم متساوون فى المجد والربوبية والكرامة، مع كون الآب والد وباثق، والابن مولود من الآب، والروح القدس منبثق من الآب.

ولسبب أن مجد الآب هو نفسه مجد الابن، لهذا قال السيد المسيح: "إن ابن الإنسان سوف يأتى فى **مجد أبيه** مع ملائكته" (مت١٦: ٢٧). وقال أيضاً عن مجيئه الثانى: "متى جاء ابن الإنسان **فى مجده** وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذٍ يجلس على كرسى مجده" (مت٢٥: ٣١). ولا فرق أن يقول "**فى مجده**" أو "**فى مجد أبيه**" لأن **المجد الإلهى مجد واحد..**

فمجد الابن هو مجد الآب، وتمجيد الابن هو تمجيد للآب، ولذلك فالذوكصا أى "**التمجيد**" فى ليتورجية الكنيسة الأرثوذكسية توجّه بصورة متواترة فى الصلوات إلى **الثالوث القدوس الواحد المساوى: الآب، والابن، والروح القدس؛** بقولنا: Do{a Patri ke Uiw ke `Agi`w Pna?ti {ذوكصا باترى كى إيو كى أجيو بنيفماتى} **أى {المجد للآب والابن والروح القدس}**. إن أفواهنا تتقدس بتمجيد الثالوث القدوس، وفى شهر كيهك نردد بكل تبجيل **{قلبى ولسانى للثالوث يُسبحان: أيها الثالوث المقدس ارحمنا}.**

لك القوة

تحدثنا عن عبارة "لك المُلك" التى وردت فى نهاية الصلاة الربية، ونأتى الآن إلى عبارة "**والقوة**".. شئ جميل أن نعترف بقوة الله، فنقول: "**لك القوة**". **فهو القوى ومصدر كل قوة فى الوجود. هو القادر على كل شئ** (Almighty). **وهو أقوى الأقوياء، ولا شئ فى الوجود يتفوق على قوته.**

الله قوى فى قدرته.. قوى فى حكمته.. قوى فى محبته.. قوى فى غضبه ضد الشر والخطية.. قوى فى مقاومة مملكة الظلمة الروحية.. قوى فى خلاصه.. قوى فى نعمته.. قوى فى حفظه وعنايته.. قوى فى تدبيره وفطنته..

لذلك يقول المزمور "صوت الرب على المياه. إله المجد أرعد. الرب على المياه الكثيرة. صوت الرب بقوة. صوت الرب بجلال عظيم. صوت الرب يحطم الأرز. الرب يكسر أرز لبنان ويسحقها مثل عجل لبنان. والمحبوب مثل ابن وحيد القرن. صوت الرب يقطع لهيب النار. صوت الرب يزلزل القفر. الرب يزلزل برية قادش" (مز٢٨: ٣-٨).

ويقول فى مزمور آخر "تقلد سيفك على فخذك **أيها القوى** بجلالك وجمالك. استله وانجح وأملك. من أجل الحق والدعة والعدل. وتهديك بالعجب يمينك. نبلك مسنونة فى قلب أعداء الملك أيها الجبار. الشعوب تحتك يسقطون. كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. قضيب الاستقامة هو قضيب ملكك" (مز٤٤: ٣-٦).

الذى يؤمن ويعترف بقوة الله، لا يخاف من أى قوة أخرى ظالمة أو غاشمة فى الوجود. لا يخاف ولا حتى من الموت، لأن الله قد سحق سلطان الموت بقوة عجيبة فى تجسد ابنه الوحيد الجنس لأجل خلاصنا.

لهذا تسبّح الكنيسة الابن الواحد من الثالوث القدوس فى تسبحة الثلاثة تقديسات (Trisagion) وتقول: {قدوس الله قدوس **القوى** قدوس الحى الذى لا يموت الذى صلب عنا ارحمنا}.

وفى يوم الجمعة العظيمة من البصخة المقدسة تسبح الكنيسة الابن الوحيد الجنس الذى تجسّد لأجل خلاصنا، وتضيف إلى تسبحة {**لك القوة** والمجد والبركة والعزة..} عبارة {**قوتى** وتسبحتى هو الرب وصار لى خلاصاً مقدساً}. **وهى مقتبسة من نبوة إشعياء النبى: "هوذا الله خلاصى فأطمئن ولا أرتعب لأن ياه يهوه قوتى وترنيمتى وقد صار لى خلاصاً" (إش١٢: ٢).**

إننا ننسب القوة للثالوث القدوس: ننسبها إلى **الآب** فى الصلاة الربانية ونقول: "لأن لك الملك **والقوة**..". وننسبها إلى **الابن** فى تسابيح البصخة المقدسة ونقول: "لك **القوة** والمجد..". وننسبها إلى **الروح القدس** ونسمّيه "**روح القوة**"

(٢تى١: ٧، انظر إش١١: ٢)، وورد فى سفر ميخا النبى "لكننى أنا ملآن **قوة روح الرب** وحقاً وبأساً لأخبر يعقوب بذنبه وإسرائيل بخطيته" (مى٣: ٨).

كذلك قال السيد المسيح لتلاميذه: "لكنكم ستنالون **قوة** متى حل الروح القدس عليكم" (أع١: ٨).

وقيل عن السيد المسيح: "أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس، وكان يقتاد بالروح فى البرية أربعين يوماً.. ورجع يسوع **بقوة الروح** إلى الجليل" (لو٤: ١، ٢، ١٤). وتحققت فيه نبوة إشعياء النبى: "ويخرج قضيب من جذع يسى وينبت غصن من أصوله. ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة **والقوة**، روح المعرفة ومخافة الرب" (إش١١: ١، ٢). حينما أخلى الابن الكلمة نفسه آخذاً صورة عبد وإذ وجد فى الهيئة كإنسان فقد قبل مسحة الروح القدس-إنسانياً- ليستعلن أنه هو المسيا المنتظر الذى يحمل خطايا العالم لإتمام الفداء.

إن القوة التى تصدر من الثالوث القدوس هى نفسها قوة الآب وقوة الابن وقوة الروح القدس. لها أصلها فى الآب وتتحقق بواسطة الابن فى الروح القدس، لأن للأقانيم الثلاثة قدرة إلهية واحدة وقوة واحدة هى قوة الجوهر الإلهى الواحد للثالوث القدوس المساوى.

إننا حينما نعترف للرب فى الصلاة الربانية بأن له "**القوة**" فإننا نتقوى بالروح. لأن الرب يمنحنا القوة بنعمته.

الرب هو قوى وهو يعمل بقوة بواسطتنا. إن أدركنا سر القوة، كما أدركه بولس الرسول وقال: "حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى" (٢كو١٢: ١٠) "أستطيع كل شئ فى المسيح **الذى يقوينى**" (فى٤: ١٣).

إن إلهنا القوى لا يحرمنا من القوة إذا تركناه ليملك على قلوبنا. لذلك قال السيد المسيح: "الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا **ملكوت الله قد أتى بقوة**" (مر٩: ١).

هذه القوة التى يمنحها لنا السيد المسيح هى قوة الروح القدس. وملكوت الله الذى أتى بقوة هو سكنى الروح القدس فى المؤمنين بالمسيح حسب وعده ووعد الآب "ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم" (أع١: ٨).

وقد أوصى معلمنا بولس الرسول كثيراً بأهمية أن يتسلح الإنسان بقوة الله فى حياته الداخلية لكى ينتصر على الشيطان فقال: "**متقوين بكل قوة**، بحسب قدرة مجده لكل صبر وطول أناة بفرح" (كو١: ١١)، "لكى يعطيكم بحسب غنى مجده أن **تتأيدوا بالقوة** بروحه فى الإنسان الباطن" (أف٣: ١٦)، "**أخيراً يا إخوتى تقووا فى الرب وفى شدة قوته. البسوا سلاح الله الكامل لكى تقدروا أن تثبتوا ضد مكايد إبليس**" (أف٦: ١٠، ١١).

حينما يدرك الإنسان مقدار ضعف إمكانياته الشخصية وشدة احتياجه إلى قوة الله، فإن الله يعمل فيه بقوة. حينما يتضع أمام الله.. حينما يحتمل الضيقات من أجل الله.. حينما لا يحسب نفسه شيئاً.. حينئذ تكون القوة. وهذا ما شرحه بولس الرسول عن معنى الضعف الشخصى ومعنى قوة المسيح العاملة فيه إذ قال: "ولئلا أرتفع بفرط الإعلانات أعطيت شوكة فى الجسد. ملاك الشيطان ليلطمنى لئلا أرتفع. من جهة هذا تضرعت إلى الرب ثلاث مرات أن يفارقنى فقال لى: **تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل.** فبكل سرور أفتخر بالحرى فى ضعفاتى لكى

تحل عليّ **قوة المسيح**. لذلك أُسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح. لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى" (٢كو١٢: ٧-١٠).

فهو يقصد أنه حينما يكون ضعيفاً بالجسد لسبب المرض أو الاضطهادات فحينئذ يكون قوياً بالروح القدس الذى يعمل فيه. وحينما لا يتكل على إمكانياته البشرية فحينئذ يرى عمل الله الفائق. ولكنه فى ذلك يقدّم نفسه فى طاعة وخضوع لمشيئة الله الذى يعمل فيه بقوة شديدة.

ما أجمل لحن التوزيع فى الكنيسة فى نهاية القداس الإلهى الذى هو المزمور المائة والخمسين "سبحوا الله فى جميع قديسيه.. فى جلد **قوته**.. على مقدرته.. ككثرة عظمته.." (مز١٥٠: ١، ٢). **إن الكنيسة تشدو بقوة الرب، وتتقوى فى الرب وفى شدة قوته،** لأنه هو "الرب العزيز القدير، الرب **القوى** فى الحروب" (مز٢٣: ٨).

لك المجد

نأتى الآن إلى ختام الصلاة الربانية فى إطار تعليم السيد المسيح فى الموعظة على الجبل، الجملة الأخيرة تحتوى ثلاث كلمات وهى: **الملك والقوة والمجد**، فكما نخاطب الآب السماوى قائلين "**لك الملك**".. نقول أيضاً "**والقوة**" ثم نختم قائلين "**والمجد**" وكل ذلك "**إلى الأبد آمين**".

حينما ننسب إليه المُلك؛ معناها أننا نعترف بملكه على حياتنا وعلى كل الخليقة، ولهذا نسلّم حياتنا له. وحينما ننسب إليه القوة؛ معناها أننا نثق فى قدرته على نصرتنا وخلاصنا طالما أننا قد سلّمنا حياتنا له داخلين إلى معرفة قوته الإلهية. وحينما ننسب إليه المجد فإننا فى اختبارنا لقوته وفاعليتها نمجده ونسبحه.

إن تمجيد اسم الله هو عمل الملائكة والقديسين الدائم غير المنقطع. بل إن وجود الخليقة هو لمجد الله. كذلك فإن خلاص البشرية هو لمدح **مجد** نعمته أو لمدح **مجده**، كما قال معلمنا بولس الرسول: "لنكون لمدح مجده" (أف١: ١٢) أنظر أيضاً (أف١: ٦، أف١: ١٤، أف١: ١٨).

وفى الرؤيا السماوية قال القديس يوحنا: "وحينما تعطى الأحياء (الأربعة) **مجداً** وكرامةً وشكراً للجالس على العرش الحى إلى أبد الآبدين. يخر الأربعة والعشرون قسيساً قدام الجالس على العرش ويسجدون للحى إلى أبد الآبدين، ويطرحون أكاليلهم أمام العرش قائلين: أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ المجد والكرامة والقدرة لأنك أنت خلقت كل الأشياء وهى بإرادتك كائنة وخلقت" (رؤ٤: ٩-١١).

بعد ذلك سمعهم القديس يوحنا يترنمون ترنيمة جديدة عن خلاص الرب، ثم قال: "ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والأحياء (الأربعة) والقسوس، وكان عددهم ربواتِ ربواتٍ (أى مئات الملايين)، وألوفَ ألوفٍ (أى ملايين). قائلين بصوت عظيم: مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ القدرة، والغنى، والحكمة، والقوة، والكرامة، **والمجد**، والبركة. وكل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر، كل ما فيها سمعتها قائلة:

للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة **والمجد** والسلطان إلى أبد الآبدين. وكانت الأحياء الأربعة تقول آمين، والقسوس الأربعة والعشرون خروا وسجدوا للحى إلى أبد الآبدين" (رؤ٥: ١١-١٤).

فالترنيمة الأولى كانت لأن الرب قد خلق جميع الأشياء فسمعهم يقولون: "أنت مستحق أيها الرب أن تأخذ **المجد**".

والترنيمة الجديدة هى لأن الرب قد خلّص البشر بابنه الوحيد فسمع يوحنا السمائيين يقولون: "مستحق هو الخروف المذبوح أن يأخذ **المجد**". وانضمت إليهم كل الخليقة قائلة: "للجالس على العرش وللخروف البركة والكرامة **والمجد** والسلطان إلى أبد الآبدين".

لهذا فالكنيسة تهتم دائماً بترديد **التمجيد** للثالوث القدوس فى كل صلاة حيث أن تمجيد الله هو عمل أساسى للقديسين سواء فى حياتهم أو تسابيحهم وصلواتهم.

بعد كل أول قطعة من صلوات الأجبية (الساعات) نردد: { Do{a Patri ke Uiw ke `Agi`w Pna?ti ذوكصا باترى كى إيو كى أجيو بنيفماتى} أى {**المجد** للآب والابن والروح القدس} وبعد القطعة الثانية أو الثالثة نقول { Ke nun ke `a``i ke ictouc `e`wnac twn `e`wnwn `amhn كى نين كى أإى كى يستوس إأوناس تون إأونون آمين} أى {الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين}.

كذلك **بعد الرشومات الثلاثة الأولى** التى تقال جهراً عند تقديم الحمل باسم الآب والابن والروح القدس، يرد الشعب باللحن "**المجد** للآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين".

وفى **تسبحة الثلاث تقديسات** (Trisagion) حينما نردد: {قدوس الله قدوس القوى قدوس الحى الذى لا يموت.. } ثلاث مرات نختمها بالقول: {**المجد** للآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين}. ويُقال هذا اللحن بالطريقة العادية وبالطريقة الحزاينى فى مناسبات الحزن.

وفى **لحن القيامة المجيدة:** {المسيح قام من الأموات، بالموت داس الموت ووهب الحياة للذين فى القبور. **المجد** للآب والابن والروح القدس الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين آمين}.

وفى **تسبحة صلاة باكر** نقول: {فلنسبح مع الملائكة قائلين: **المجد** لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة}.

وهى العبارة التى رددتها الملائكة فى السماء عند ميلاد السيد المسيح ويقولها الكاهن فى القداس الباسيلى أثناء صلاة الصلح.

وفى **القداس الغريغورى** عند بداية الأنافورا يصلى الكاهن: {مستحق ومستوجب، مستحق ومستوجب، مستحق ومستوجب؛ مستحق بالحقيقة وعادل أن نسبحك ونباركك ونخدمك ونسجد لك **ونمجدك**.. أنت الذى السلاطين تنطق

بمجدك ..} فى هذا القداس توجه الصلوات إلى الابن الوحيد مخلص العالم ولكننا نفهم أن تمجيد أحد الأقانيم الثلاثة هو تمجيد الله الواحد المثلث الأقانيم.

ما أجمل أن نمجد الله فى صلواتنا وأن تتلذذ أفواهنا بتمجيده. إننا حينما نمجده تتقدس أفواهنا وتبتهج قلوبنا بمشاركة السمائيين فى إرسال تماجيد البركة إلى فوق إليه. وبهذا يتحقق الهدف من وجودنا وهو تمجيد اسم الله.

إلى الأبد أمين

نحن دائماً نربط الذوكصا **(التمجيد)** للثالوث وبين عبارة [الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين، آمين]. أى أننا نلتزم بتمجيده الآن **وإلى الأبد**. لا نتوقف عن تسبيحه وتمجيده إلى أبد الدهور. نذكّر أنفسنا بأن التمجيد سيستمر فى الأبدية وهو عمل القديسين فى الأبدية، يسبحون الرب من أجل محبته ويمجدونه لأجل رحمته غير الموصوفة مثلما نردد فى تسابيح الثلاث فتية فى شهر كيهك: {سبحوه **مجدوه** زيدوه علواً إلى الأبد رحمته. فهو المسبّح **والممجد** والمتعالى على الأدهار وإلى الأبد رحمته}.

إذا كان ملك الله الآب وقوته ومجده هو إلى الأبد، فلماذا يبحث الإنسان عن أى مصدر آخر للوجود أو السعادة أو الخلود غير الله.

إن خلود الإنسان فى الحياة الأبدية يتوقف على ارتباطه بهذا الإله الذى مُلكه وقوته ومجده إلى الأبد .

لهذا قال السيد المسيح للآب: "وهذه هى **الحياة الأبدية** أن يعرفوك أنت الإله الحقيقى وحدك ويسوع المسيح الذى أرسلته" (يو١٧: ٣).

إن تبعية أى إله آخر غير حقيقى لاشك أنها ستحرم الإنسان من الحياة الأبدية. فهناك الآلهة الوثنية وعبادتها التى هى عبادة الشياطين. وهناك الطمع ومحبة المال الذى هو عبادة الأوثان المحرّمة. وهناك عبادة الذات التى تحرم الإنسان من التمتع بحياة الشركة مع الله وملائكته ومع غيره من البشر.

إن الإله الحقيقى وحده فى وسط الآلهة الأخرى الغريبة هو إله إبراهيم الذى أعلن عن نفسه لمختاريه ودخل معهم فى عهد وميثاق.

أى هو إله الإعلان وإله العهد والوعد بالخلاص. هو الإله الذى هكذا أحب العالم "حتى بذل ابنه الوحيد الجنس لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له **الحياة الأبدية**" (يو٣: ١٦).

إن معرفة الإله الحقيقى يجب أن ترتبط برفض الآلهة الأخرى الغريبة، كما يجب أن ترتبط بالإيمان بابنه الوحيد الجنس يسوع المسيح الذى أرسله من أجل خلاص العالم.

لهذا قال معلمنا بولس الرسول: "فمن جهة أكل ما ذبح للأوثان، نعلم أن ليس وثنٌ فى العالم، وأن ليس إلهٌ آخر إلاّ واحداً. لأنه وإن وُجد ما يسمى آلهة، سواء كان فى السماء أو على الأرض، كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون.

لكن لنا **إلهٌ واحدٌ**: الآب الذى منه جميع الأشياء، ونحن له. **وربٌ واحدٌ**: يسوع المسيح، الذى به جميع الأشياء، ونحن به" (١كو٨: ٤-٦).

فالآب هو الإله الواحد مع ابنه الوحيد الجنس والروح القدس، بين الآلهة الوثنية. والابن يسوع المسيح هو الرب الواحد مع أبيه الصالح والروح القدس، بين الأرباب الوثنية.

وقد قيل فى سفر التثنية "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا **ربٌ واحدٌ**" (تث٦: ٤).

فإذا قيل "لنا.. ربٌ واحدٌ يسوع المسيح" فهذا معناه أن هذا الرب هو ما قيل عنه لإسرائيل "الرب إلهنا ربٌ واحدٌ" وهو الإله الحقيقى الذى أمر الرب موسى بعبادته وحده.

إن معرفة هذه الحقائق أى أن الآب القدوس مع ابنه الوحيد الجنس والروح القدس هو الإله الحقيقى، وأن الله قد بذل ابنه الوحيد الجنس على الصليب عن حياة العالم.. هذه هى الحياة الأبدية التى يتمتع بها كل من يؤمن ويسلك فى وصايا السيد المسيح ومحبته على الدوام.

الحياة الأبدية كانت عند الآب وأظهرت لنا "بظهور مخلصنا يسوع المسيح الذى أبطل الموت وأنار الحياة والخلود" (٢تى١: ١٠).

هذه الحياة الأبدية نذكِّر أنفسنا بها كلما ذكرنا فى الصلاة الربانية هذه العبارة "**لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين**".

ليتنا نتمسك برجاء الحياة الأبدية.. ونسعى دائماً لتمجيد المالك إلى الأبد آمين.

متى صمتم

بعد أن علّم تلاميذه الصلاة، قال السيد المسيح فى الموعظة على الجبل: "ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين. فإنهم يغيّرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين. الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صمت، فادهن رأسك واغسل وجهك. لكى لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذى فى الخفاء. فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك علانية." (مت٦: ١٦-١٨).

الصوم هو أحد وسائل العبادة وتنشيط الحياة الروحية وضبط الجسد.

هو ذبيحة حب لله إذا اقترن بالصلاة والعبادة بالروح والحق.

هو فرصة لتغذية الروح، كما أن الأكل هو وسيلة لتغذية الجسد.

عن هذا قال السيد المسيح: "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (مت٤: ٤).

فالروح تحتاج إلى غذاء روحى وإلى تغذية تماماً مثلما يحتاج الجسد إلى الخبز وسائر أنواع الطعام الجسدى. لو اهتم الإنسان بتغذية جسده فقط، فسوف تبقى الروح بلا غذاء، إلى أن يتمرد الجسد عليها، فلا تستطيع الروح أن تضبطه أو تسيطر عليه.

كما أن **الصوم** هو فرصة للتذلل أمام الله بمشاعر التوبة والحزن على الخطية.. هو فرصة لمحاسبة النفس ومراجعتها فى حضرة الله فى الصلاة، وفى ممارسة سر التوبة والإعتراف مع أب الإعتراف الذى هو وكيل لأسرار الله.

لهذا **ينبغى أن يقترن الصوم بمشاعر الاتضاع.** الأمر الذى يستدعى عدم التباهى بالصوم.. لهذا حذَّر السيد المسيح من تعبيس الوجه بهدف إظهار الصوم للآخرين.

الإنسان ينبغى أن يحتفظ بمشاعر الانسحاق الداخلى فى سرية بينه وبين الله، وأمام أب الاعتراف. أما فى مواجهة الناس فينبغى أن يكون بشوشاً لا معبساً. وينبغى أن يخفى صومه على قدر الإمكان ويتحاشى أى مشاعر للتباهى فى داخل نفسه.

الصائم يقدِّم صومه لله لا للناس. فإن قدَّمه للناس يكون قد استوفى أجره من الناس. أما إذا قدَّمه إلى الله مقترناً بمشاعر الانسحاق فحينئذ يكون مقبولاً.

مشاركة المحتاجين

الصوم أيضاً فرصة لمشاركة المحتاجين والمعوزين. لهذا قال السيد الرب: "أليس هذا صوماً أختاره؟! حل قيود الشر. فك عقد النير وإطلاق المسحوقين أحرارًا وقطع كل نير. أليس أن تكسر للجائع خبزك. وأن تدخل المساكين التائهين إلى بيتك. إذا رأيت عرياناً أن تكسوه وأن لا تتغاضى عن لحمك" (إش٥٨: ٦، ٧).

المفروض فى الصوم أنه يساعد فى تحرير الإنسان من الاهتمام بجسده. وكنتيجة طبيعية لذلك، فى اهتمام الروح، وفى تطلعه للأبدية؛ فإنه ينطلق خارج الأنا نحو الآخر بالحب. فيتعلّم العطاء.

الصوم كذبيحة حب يأخذ دليلاً على شرعيته حينما يقترن بالرحمة بالمساكين.

إن الإنسان يتوقف بإرادته عن التنعم بأمور العالم الحاضرة، لكى يدخل إلى شركة المعاناة مع المساكين والمعوزين.. فيقدم لهم الخبز والكساء وسائر احتياجاتهم.

إننا نرى كيف افتقر السيد المسيح وهو غنى لكى يمنحنا الغنى وميراث الحياة الأبدية.

لهذا تتغنى الكنيسة فى تسابيحها وتقول عن المخلص {هو أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له} (تسبحة نصف الليل- ثيئوطوكية يوم الجمعة).

وفى الصوم فرصة للتشبه به، حينما يعطى الإنسان من خبزه للجوعان أثناء اختباره لجوع الصائم، وحينما يعطى من ملبسه للعريان أثناء اختباره لمذلة لابسى المسوح، إذا أُتيحت له فرصة لبس المسوح فى الخفاء.

الإيجابية فى الصوم

الذى يشعر بثقل الصوم يكون قد اكتفى بالصوم وحده، ولكن هناك لذة روحية فى الصوم تفوق لذة التنعم بالطعام الجسدى.

فى تذوق هذه اللذة الروحية فى الصلاة: فى السجود بانسحاق (الميطانيات).. فى مشاعر التوبة.. فى الارتفاع بالروح نحو السمائيات.. فى القراءات الروحية فى الخلوة وإحساس الوجود مع الله.. فى ضبط الجسد.. فى التحرر من محاربات الشياطين.. فى قوة الروح وحرارة العبادة.. فى كل ذلك يشعر الإنسان بلذة تعوضه عن تعب الجسد، وتعوضه عن خسارة التلذذ بالأطعمة الشهية.

هذه اللذة الروحية بدونها لن ينتفع الإنسان من صومه شيئاً ويكون كمن يلاكم الهواء.

أراد السيد المسيح بقوله عن الصوم فى الخفاء بعيداً عن مشاعر التباهى بالصوم؛ أن يلفت نظرنا إلى أن الآب السماوى الذى يرى فى الخفاء هو يجازى الإنسان ويكافئه. **وما أجملها مكافأة حينما يتلذذ الإنسان بالحياة مع الله كعربون للأبدية**، حيث لا أكل ولا شرب جسدانى، بل غذاء الروح لكل من الروح والجسد الروحانى الذى يستطيع أن يحيا فى ملكوت السماوات.

لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض

واصل السيد المسيح تعاليمه السامية، فتحدث عن علاقة قلب الإنسان بالكنز الخاص به، فكلما كنز على الأرض ارتبط بالأرض، وكلما كنز فى السماء ارتبط بالسماء. لذلك قال: "**لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض** حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون ويسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون. **لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً**" (مت٦: ١٩-٢١).

الإنسان الحكيم هو الذى يجعل كنزه فى السماء لأن هذا سوف يساعده على الاشتياق للسماء، ويجعل ارتباطه بالأرض ضعيفاً. فلا يخشى الموت، بل يفرح بانطلاقه من هذا العالم، ويضحى بما يملكه هنا على الأرض، من أجل محبته للمسيح، مقدماً الحب للجميع.. أى أنه يعطى بسخاء للمحتاجين ولا يبخل عليهم.. ولا يكترث بزيادة ممتلكاته، بل على العكس يفرح بأن يبيع ممتلكاته ويعطى صدقة كما أوصى السيد المسيح: "لا تخف أيها القطيع الصغير لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت. **بيعوا ما لكم وأعطوا صدقة.** اعملوا لكم أكياساً لا تفنى **وكنزاً لا يفنَدُ فى السماوات**" (لو١٢: ٣٢، ٣٣).

إن أفضل وسيلة لتحويل الأموال إلى السماء هو توزيعها على المحتاجين لأن من يقرض المسكين يقرض الرب.

كذلك قال السيد المسيح لبطرس حينما قال له: "ها نحن قد تركنا كل شئ وتبعناك" (مت١٩: ٢٧، مر١٠: ٢٨) "ليس أحد ترك بيتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً لأجلى ولأجل الإنجيل، إلا ويأخذ مئة ضعف الآن فى هذا الزمان.. وفى الدهر الآتى الحياة الأبدية" (مر١٠: ٢٩، ٣٠). بمعنى أن **الترك لا يتعلق فقط بالأموال والممتلكات**، ولكنه يتعلق أيضاً بالارتباط العائلى وكل ما يشغل الإنسان عن الحياة مع السيد المسيح وتبعيته وخدمته، خاصة فيما يتعلق بالكرازة بالإنجيل والسعى من أجل خلاص الآخرين.

لهذا كان معلمنا بولس الرسول يتذكر كنزه فى السماء، من خلال محبته لمخدوميه الذين ولدهم فى المسيح فيقول: "ألستم أنتم عملى فى الرب" (١كو٩: ١).. "يا سرورى وإكليلى" (فى٤: ١).

بمعنى أن الذين قام بخدمتهم سيكونون هم أنفسهم أكاليل له فى المجد السمائى، ولن ينسى له الرب تعبه وعمله من أجل انتشار الإنجيل. ومن أجل رعايته للمخدومين. لهذا قال أيضاً: "لأن من هو رجاؤنا وفرحنا وإكليل افتخارنا. أم لستم أنتم أيضاً أمام ربنا يسوع المسيح فى مجيئه. لأنكم أنتم مجدنا وفرحنا" (١تس٢: ١٩، ٢٠).

وفى تحذيره لنا من أن نكنز كنوزاً على الأرض، أوضح السيد المسيح أن الكنوز الأرضية تتعرض للسوس والصدأ أو تتعرض للنقب والسرقة. ومن الممكن أن تضيع. كما أنها تصير عبئاً على حياة مالكها وتسبب له الكثير من الأحزان فى حال فقدانه لها.

لهذا فإن أفضل طريقة للمحافظة على أموال الإنسان، أن يضعها بين يدى الرب.. أن ينقلها إلى السماء.. أن ينقذها من الضياع.. أن يتاجر ويربح بها لحساب الملكوت السمائى.. أن لا يدفنها فى الأرض. ومهما حاول الإنسان أن يحافظ على أمواله، فلن يقدر أن يأخذها معه بعد الوفاة، مثلما قال **قداسة البابا شنودة الثالث** أطال الرب حياته فى قصيدته المشهورة:

وسأهدم فى المخازن ثم أبنى　　　وأجمع فضتى وأضم تبرى
وأغرس لى فراديساً كبـارًا　　　بأطياب وأطيار وزهـر
وماذا بعد هذا ليت شعرى؟!　　　**سأترك كل أموالى لغيرى**
وأفنى مثلما يفنى فقـير　　　وأرقد مثله فى شبر أرض

وقد أكّد السيد المسيح على أهمية إعداد الإنسان نفسه لميراث ملكوت السماوات مضحياً بكل غالٍ وثمين "ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه، أو ماذا يعطى الإنسان فداءً عن نفسه" (مت١٦: ٢٦).

المسألة تحتاج من الإنسان أن يتبصر فى مصيره الأبدى.. وما يمكن أن تشكله الكنوز الأرضية من معوقات لخلاص نفسه.. وفى نفس الوقت ما يمثله الميراث الأبدى والحياة السمائية من سعادة حقيقية غير زائلة.

يحتاج الأمر إلى تذوق حلاوة الحياة مع الله والشركة مع ملائكته وقديسيه.. يحتاج إلى ممارسة الصلاة والتسبيح كوسيلة لتذوق الحياة السمائية.. إلى اختبار حياة الإيمان والاتكال على الله، والغنى الكبير لمن يسلك بالإيمان.. كيف تتدفق الخيرات بين يديه وهو لا يملك شيئاً. مثلما قال معلمنا بولس الرسول: "**كفقراء ونحن نغنى كثيرين. كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ**" (٢كو٦: ١٠).

أولاد الله يتركون كل شئ، وهم يملكون كل شئ لأن "للرب الأرض وملؤها، المسكونة وجميع الساكنين فيها" (مز٢٣: ١). يتركون كل شئ لأن كنوزهم هى فى السماء، ويملكون كل شئ لأنهم يحيون بالإيمان، وكل شئ مستطاع للمؤمن. فلا يعسر عليه شئ.. مثلما عاش القديس الأنبا ابرآم أسقف الفيوم بخزانة خاوية وكانت الأموال تجرى بين يديه. وأكثر من هذا كانت المواهب والمعجزات الفائقة للطبيعة تجرى على يديه نفعنا الرب ببركة صلواته آمين.

سراج الجسد هو العين

أكمل السيد المسيح تعاليمه السامية فقال: "**سراج الجسد هو العين، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً**. وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً. فإن كان النور الذى فيك ظلاماً، فالظلام كم يكون؟!" (مت٦: ٢٢، ٢٣).

العين البسيطة

وقد أورد السيد المسيح هذا التعليم بعد كلامه مباشرة عن أهمية عدم تكوين كنوز على الأرض بل فى السماء، ثم أضاف بعد الكلام عن العين البسيطة كلامه عن عدم الارتباك فى خدمة سيدين وهما الله والمال، لأنه لا يقدر أحد أن يخدم سيدين.

وبهذا نفهم أن السيد المسيح قد ربط بين العين البسيطة وبين عدم الطمع، والبعد عن محبة العالم الناتجة عن شهوة العين. وهذا ما تؤكده كلمات القديس يوحنا الرسول فى رسالته الأولى: "لا تحبوا العالم، ولا الأشياء التى فى العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. **لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة** ليس من الآب بل من العالم. والعالم يمضى وشهوته وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد" (١يو٢: ١٥-١٧).

إن العين مثل باقى الحواس الخمس هى منفذ للأفكار التى تتولد منها الرغبات والشهوات. وبساطة النظرة معناها التعفف فى النظر بالبعد عن الاشتهاء.

بساطة النظر هى أن يرى الإنسان ما يشير إلى الله فى كل ما يراه، ولا يرى شيئاً سواه. فالبساطة هى عدم التركيب. وحينما تتداخل محبة العالم مع محبة الله؛ تفقد النظرة بساطتها لأنها تكون مركبة وليست بسيطة.

وكيف يرى الإنسان الله فى كل ما يراه؟ إن هذا يتحقق حينما تملأ محبة الله قلب الإنسان أى حينما يحب الله من **كل** قلبه ومن **كل** فكره. ومن المعلوم أن "محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" (رو٥: ٥). هناك معونة إلهية من الروح القدس تمنحنا إمكانية النمو فى محبة الله باستمرار.

فالذى يؤمن بالمسيح كمخلّص، وينال الولادة الجديدة بالمعمودية ويتأهل لانسكاب وسكنى الروح القدس فى داخله، يصير قادراً بمعونة الروح القدس على الانطلاق فى محبة الله نحو الكمال، لكى يصل إلى المحبة الكاملة التى تحدّث عنها القديس يوحنا الرسول بقوله: "لا خوف فى المحبة، بل **المحبة** الكاملة تطرح الخوف إلى خارج. لأن الخوف له عذاب، وأما من خاف فلم يتكمل فى المحبة. نحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً" (١يو٤: ١٨، ١٩). وقد أوضح الرسول أن هذه المحبة تنشأ من عمل الروح القدس فينا بسبب إيماننا بالمسيح فقال: "بهذا نعرف أننا نثبت فيه وهو فينا، أنه قد أعطانا من روحه. ونحن قد نظرنا ونشهد أن الآب قد أرسل الابن مخلّصاً للعالم. من اعترف أن يسوع هو ابن الله؛ فالله يثبت فيه وهو فى الله. ونحن قد عرفنا وصدقنا **المحبة** التى لله فينا. **الله محبة ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه**" (١يو٤: ١٣-١٦).

الإنسان الذى يحب الله يستطيع أن يدرك قدرة الله فى كل أعماله: يراه بعينى قلبه فى جمال وإتقان الخليقة، ويراه فى بذله ومحبته على الصليب، ويراه فى تدبير العالم وحفظه.

حينما يرى الذهب لا تتحول نظرته إلى شهوة اقتناء المادة، بل يرى فيه ما يشير إلى صفات الله الذى لا يتغير وتكون هذه هى النظرة البسيطة.

وحينما يرى امرأة لا يتأمل فى مفاتن جسدها، بل يرى عطية الله لآدم إذ خلق له معيناً نظيره، وبالمرأة أمكن أن يأتى المسيح من نسلها لخلاص العالم. فيرى فى المرأة العذراء مريم فى طهارتها، فى عفتها، فى أمومتها وهى قد صارت سماء ثانية حينما حملت الله الكلمة فى أحشائها، وبهذا يستطيع أن يرى المسيح بعينى قلبه مولوداً من امرأة فى ميلاد طاهر عذراوى.

وهكذا يستطيع الإنسان بنظرته البسيطة أن يدرك الله فى كل ما يراه. ويتحقق فيه قول السيد المسيح: "طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (مت٥: ٨). ومثل هذا الإنسان يتأهّل لرؤية السيد المسيح فى مجد ملكوته الأبدى.

جسدك كله يكون نيراً

العين البسيطة تحرر الإنسان من محبة العالم وشهوته، وبهذا لا تتحرك فى الإنسان عوامل الظلمة الروحية. بمعنى أن المشاعر الدنسة والأطماع لا تجد طريقها إلى قلب الإنسان ولا تحرك غرائزه الجسدية. فيحتفظ الإنسان بالمشاعر الروحية النورانية التى تسرى وتملأ كيانه حتى يرتفع نحو السمائيات وينعم بشركة الحياة الروحية مع الله وقديسيه.

وكما أن الشهوات العالمية تقترن بملذات الجسد، هكذا فإن الرغبات الروحية تقترن بلذة الروح التى تتمتع بالله ويصير هو مصدر شبعها وفرحها وسرورها.

إن خبرة الحياة الروحية هى مسألة لا يمكن التعبير عنها بالكلمات العادية، بل هى عطية لا ينطق بها يختبرها أناس الله القديسون، ولسان حالهم يقول "ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب" (مز٣٣: ٨).

الإنسان الذى يريد أن يتذوق الحياة مع الله عليه أن يحرص على حفظ حواسه ومشاعره.. يطلب معونة الروح القدس بلجاجة وينمو فى محبة الله، ويجاهد فى طريق الحياة الروحية: بالصوم.. بالسهر فى الصلاة .. بالتسبيح.. بالبعد عن مغريات العالم.. بإنكار الذات.. باحتمال المشقات.. بحرارة الروح فى العبادة.. وكلما زادت محبته، كلما زادت مذاقته.. وكلما زادت مذاقته، كلما زادت محبته. وهكذا "من مجد إلى مجد كما من الرب الروح" (٢كو٣: ١٨).

لا يقدر أحد أن يخدم سيدين

أكمل السيد المسيح تعليمه على الجبل وقال: "لا يقدر أحد أن يخدم سيدين. لأنه إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر. لا تقدرون أن تخدموا الله والمال" (مت ٦: ٢٤).

من هذا الكلام نفهم أن كل إنسان مسيحى مطالب بأن يخدم الله بحسب المواهب الممنوحة له من الله.

هناك أنواع من الخدمة الرسمية فى الكنيسة كخدمة درجات الكهنوت المتعددة. وهناك تكليف من الكنيسة لبعض الأفراد بخدمات معينة مثل الخدمات التى لا يلزمها درجة كهنوتية، وإنما فى مجال بعض الأنشطة العامة فى حياة الكنيسة.

وهناك خدمة الإنسان المسيحى بصفة عامة سواء فى محبته للآخرين، أو فى تقديم قدوة صالحة لهم، أو فى الاستعداد لمجاوبة كل من يسأله عن سبب الرجاء الذى فيه (انظر ١بط٣: ١٥).. وعموماً فى تنفيذ وصايا السيد المسيح الذى قال على سبيل المثال: "من سخرك ميلاً واحداً فاذهب معه اثنين" (مت٥: ٤١).

لا يمكن لتلاميذ الرب أن يخدموه خدمة مقبولة حقيقية إن كانت حياتهم مرتبطة بخدمة المال ومحبته. لأن السيد المسيح قال عن خدمة الله وخدمة المال: "إما أن يبغض الواحد ويحب الآخر. أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر" (مت ٦: ٢٤).

ولهذا أيضاً قيل أن "محبة العالم عداوة لله" (يع٤: ٤). فليس من الممكن لمن تسكن محبة العالم فى قلبه أن يخدم الله ويلتصق به.

ربما يدخل الإنسان فى صراع بين انشغاله بالأمور الدنيوية مع جمع المال وسماع أخباره، وبين المواظبة على الصلاة وقراءة الأسفار المقدسة. ومن الواضح أن الناس كثيراً ما تشغلهم هذه الأمور الدنيوية عن العبادة الروحية، فتصير حياتهم فاترة ويدخل إليها كثير من الأخطاء والشرور. ويعطون الرب القليل من وقتهم واهتمامهم وتبرد محبته فى قلوبهم. وهناك العديد من خدام مدارس التربية الكنسية تركوا خدمتهم بعد تخرجهم من الجامعة.

الذى يريد أن تزداد محبة الله فى قلبه عليه أن يطرد محبة العالم ويقاومها.. عليه أن يتفكر فى الهدف الذى يتجه نحوه. هل يتجه نحو الإلهيات والسمائيات، أم يتجه نحو الأرضيات والأمور الزمنية؟!

إن خدمة الله لا تقتصر على خدمة الناس فقط، بل يدخل ضمنها خدمة التسبيح والصلاة والشكر. مثل خدمة الملائكة الذين يسبحون الرب بغير فتور، وينشغلون به وبجماله وبتمجيده، فيمتلئون فرحاً "لا يُنطق به ومجيد" (١بط١: ٨)..

الخدام الرسميون

إن كان من غير اللائق أن ينشغل المسيحى العادى عن خدمة الرب بخدمة المال، فكم بالأولى يكون الأمر بالنسبة للخدام الرسميين وخاصة المكرسين منهم الذين صاروا نصيباً للرب وتم إفرازهم لخدمته. لقد حذّر معلمنا بولس الرسول تلميذه تيموثاوس فى هذا الشأن وقال: "فاشترك أنت فى احتمال المشقات كجندى صالح ليسوع المسيح. **ليس أحد وهو يتجند يرتبك بأعمال الحياة لكى يرضى من جنّده**" (٢تى٢: ٣، ٤).

إن الارتباك بأمور هذه الحياة لا يليق بخدام السيد المسيح الذين تجندوا للخدمة. فمن صارت رسالته فى الحياة خدمة الكلمة والكرازة بالإنجيل أو رعاية القطيع، لا يليق به أن يحتقر هذه الرسالة السامية وينسى نذوره أو تعهداته أمام الرب فى يوم تكريسه ويرتد إلى الانشغال بأمور العالم.

ربما يتصور بعض رجال الكهنوت أن الانشغال بالعمل الاجتماعى والأنشطة والإداريات وأعمال التعمير الخاصة بالكنيسة هو داخل إطار خدمة الله. ولكن ينبغى أن يتذكر الخادم المكرس للخدمة أن فى أولويات رسالته خدمة الكلمة والصلاة. وفى أوليات خدمته أن يهتم بالخدمة الروحية مثل الافتقاد، وأن يهتم بكل أحد من أجل خلاصه. مع الاستعانة بأشخاص متخصصين لأداء الأعمال الإدارية الأخرى والاكتفاء بالإشراف العام ومتابعة الأنشطة وصبغها بالصبغة الروحية.

خادم الله لابد أن تصطبغ خدمته بالناحية الروحية. فلا ينسى نفسه فى وسط مشاغل الخدمة الكثيرة لئلا يتحول إلى ما يشبه موظف فى الكنيسة.

وربما يلاحظ الناس أن كلامه يبتعد كثيراً عن المجال الروحى لأنه "من فضلة القلب يتكلم الفم" (مت١٢: ٣٤). وبهذا تفقد خدمته تأثيرها على المخدومين.

ولكن هناك مشكلة أكبر وهى أن يتحول الهدف من الخدمة الرسمية إلى الكسب المادى أو جمع المال. وهنا تنهار الخدمة تماماً لأن السيد المسيح قال: "**لا تقدرون أن تخدموا الله والمال**" (مت٦: ٢٤).

فالكاهن مثلاً الذى يسعى إلى اكتناز الأموال من وراء خدمته، ولا يبالى بخلاص الرعية ينطبق عليه قول الرب فى سفر حزقيال: "ويل لرعاة إسرائيل الذين كانوا يرعون أنفسهم. ألا يرعى الرعاة الغنم. تأكلون الشحم وتلبسون الصوف وتذبحون السمين ولا ترعون الغنم. المريض لم تقووه. والمجروح لم تعصبوه. والمكسور لم تجبروه. والمطرود لم تستردوه. والضال لم تطلبوه. بل بشدة وبعنف تسلطتم عليهم فتشتتت بلا راع وصارت مأكلاً لجميع وحوش الحقل وتشتتت.. ولم يكن من يسأل أو يفتش (حز٣٤: ٢-٦).

لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون

أكمل السيد المسيح تعليمه فقال: "**لذلك أقول لكم لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون.** أليست الحياة أفضل من الطعام، والجسد أفضل من اللباس؟ انظروا إلى طيور السماء: إنها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن وأبوكم السماوى يقوتها. ألستم أنتم بالحرى أفضل منها؟" (مت٦: ٢٥، ٢٦).

عناية الله بنا

أبرز السيد المسيح هنا حقيقة قوية وهى أن الله هو الذى وهب الإنسان الحياة، وهو الذى خلق له جسده بكل ما فيه من تفاصيل دقيقة فى منتهى الإتقان والإبداع مثل تكوين العين والعصب البصرى ومركز الإبصار فى المخ

والتى تمكن الإنسان من رؤية الأشياء المتحركة والمجسمة بألوانها البديعة، ويقوم بتسجيل كل ذلك فى المخ مثل شريط الفيديو. ولا توجد كاميرا فيديو فى كل العالم تستطيع أن تلتقط الصورة المتحركة بنفس الوضوح والدقة التى تعمل بها العين. وهكذا باقى أعضاء جسد الإنسان.

فإذا كان الله هو الذى خلق هذا الجسد بكل ما فيه من إتقان وإبداع ليناسب طبيعة حياة الإنسان، فلماذا يحمل الإنسان هم الحصول على الملابس التى تكسو هذا الجسد؟ ومن هنا جاءت الحكمة التى أبرزها السيد المسيح: أليس الجسد أفضل من اللباس؟

إن الملابس يستطيع الإنسان أن يصنعها لنفسه، ولكنه لا يستطيع أن يصنع لنفسه جسداً فيه كل خصائص الحياة.

هكذا أيضاً يستطيع الإنسان أن يدبّر لنفسه طعاماً ولكنه لا يستطيع أن يمنح الحياة لجسد ليس به حياة. أو أن يخلق الحياة.

لذلك جاءت الحكمة الخالدة "**أليست الحياة أفضل من الطعام؟**" **(مت٦: ٢٥) أى أن الحياة هى الأهم وهى الأصعب فى الحصول عليها.** أما الطعام فهو متوفر ومتاح، وإن كان الله هو أيضاً الذى خلقه من أجل الإنسان حينما خلق الزروع والأشجار والأسماك والطيور والحيوانات بأنواعها.

من الممكن إذا صام الإنسان عن الأكل لفترة من الزمن أن يستمر حياً. **ولكنه إذا فقد الحياة نفسها فماذا يفعل؟**

وعبارة **الحياة** لها معانى كثيرة: فهناك **حياة الجسد وهناك حياة الروح.** فبدون الروح لا يحيا الإنسان، وبدون الله لا تحيا الروح. وقد قال السيد المسيح: "**أنا هو القيامة والحياة**" (يو١١: ٢٥). وقال معلمنا بولس الرسول: "**لى الحياة هى المسيح**" (فى١: ٢١). كما قال عن الله: "**هو يعطى الجميع حياة** ونفساً وكل شئ.. لأننا **به نحيا ونتحرك ونوجد**" (أع١٧: ٢٥، ٢٨).

لقد وهب الله موسى وإيليا القدرة أن يصوما أربعين يوماً عن الطعام مثلما صام هو أيضاً أربعين يوماً على الجبل وقال للشيطان: "مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله" (مت٤: ٤). بمعنى أن كلام الله هو مصدر حياة للإنسان، أما الخبز فإنه يساعد الجسد على بذل الطاقة والاستمرار فى حفظ تكوينه سليماً. فالذى يقوت جسده ويهمل احتياج روحه للغذاء الروحانى فإنه سوف يخسر الجسد والروح كليهما فى الهلاك الأبدى.

حقاً إن الحياة أفضل من الطعام، والجسد أفضل من اللباس: **فإن كان الله قد منحنا الأفضل والأصعب فكيف لا يمنحنا الأقل والأسهل؟!** المسألة إذن تحتاج إلى حكمة وإلى إيمان.

التأمل فى الطبيعة

إن السيد المسيح يدعونا إلى التأمل فى الأشياء الموجودة فى الطبيعة مثل طيور السماء وغيرها من المخلوقات.

إن الله قد دبّر لكل الخليقة التى على الأرض وسائل إطعامها وحفظها. حتى ولو كانت خليقة غير عاقلة، تحيا فقط بالغريزة. كل نوع من الطيور أو الحيوانات يجد ما يناسبه من الطعام، ولديه من الطباع الغريزية ما يؤهله للحصول على ما يحتاج إليه.

واتخذ السيد المسيح الطيور مثالاً ننظر إليه ونتأمل فيه فقال إن الطيور "لا تزرع، ولا تحصد، ولا تجمع إلى مخازن" (مت٦: ٢٦) والله يعتنى بها ويعطيها طعامها اللازم لحفظها حية.

وقال السيد المسيح: "ألستم أنتم بالحرى أفضل منها؟" (مت٦: ٢٦) لماذا يهتم الإنسان ويدخل فى صراعات رهيبة من أجل لقمة العيش ولسبب القلق على المستقبل؟!

إن كان الإنسان له من الأهمية عند الله ما يفوق الطيور بكثير -**بدليل أن الله قد أرسل ابنه الوحيد متجسداً لأجل خلاص الإنسان- فلماذا يقلق الإنسان؟ ولماذا تهتز ثقته فى عناية الله به؟.**

إنه اختبار جميل جداً أن يشعر الإنسان بعناية الله به. مثلما كان يعتنى بالقديس الأنبا بولا السائح فى البرية ويرسل له الخبز فى منقار أحد الغربان تماماً كما حدث مع القديس إيليا النبى الذى أمر الرب أحد الغربان ليعوله وهو ساكن بجوار النهر أثناء المجاعة.

إن الإنسان الذى ينسى نفسه؛ لا ينساه الله. والإنسان الذى لا يهتم بطعامه ولباسه؛ فإن الله يرسلهما إليه حتى ولو لم يطلب.

فعلى الإنسان أن يختار أحد سبيلين: إما أن يحمل هم نفسه ويصارع من أجل لوازم حياته الأرضية، أو أن يثق فى عناية الله به دون أن يتكاسل عن العمل بل يجتهد ويعمل حسب الوصية، ولكن لا يحمل هماً بل يختبر محبة الله وعنايته المتجددة فى كل يوم بل وفى كل خطوة من حياته. لذلك قال الكتاب "أما البار فبالإيمان يحيا وإن ارتد لا تسر به نفسى" (عب١٠: ٣٨)..

ملقين كل همكم عليه

أكمل السيد المسيح تعليمه بشأن الاتكال على الآب السماوى الذى يدبر كل شئون حياة أولاده لكى لا يحملوا هموم هذا العالم مثلما قال الرسول: "**ملقين كل همكم عليه لأنه هو يعتنى بكم**" (١ بط٥: ٧). فقال السيد المسيح: "ومن منكم **إذا اهتم** يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة؟ ولماذا تهتمون باللباس؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو، لا تتعب ولا تغزل. ولكن أقول لكم إنه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها. فإن كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غداً فى التنور، يلبسه الله هكذا، أفليس بالحرى جداً يلبسكم أنتم **يا قليلى الإيمان؟**" (مت٦: ٢٧-٣٠).

يتضح من هذا التعليم أن **حمل الهموم هو من قلة الإيمان. فالذى يؤمن إيماناً حقيقياً بعناية الرب به لا يحمل هماً على الإطلاق، عالماً أن "كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله"** (رو٨: ٢٨).

ويتضح أيضاً أن السيد المسيح يريد أن يحرر الإنسان من الرغبة فى اكتناز الأمور الدنيوية خوفاً من المستقبل المجهول، لأن الله يعتنى بكل الخليقة، ويستطيع الإنسان أن يرى أمثلة واضحة لعناية الله فى المخلوقات المحيطة به مثل زنابق الحقل التى تنمو بقدرة إلهية وتكتسى بأروع الألوان حتى أن سليمان فى كل مجده لم يلبس فى مثل جمال ما تكتسى هى به. وهذه الزنابق قد خلقها الله لأجل الإنسان ليتمتع بجمالها وليأخذ منها درساً عن عناية الله وقدرته "مدركة بالمصنوعات قدرته السرمدية ولاهوته" (رو ١: ٢٠).

لذلك أكمل السيد المسيح كلامه فقال: "لا تهتموا قائلين: ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس؟ فإن هذه كلها تطلبها الأمم. لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها. لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذه كلها تزاد لكم. فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفى اليوم شره" (مت٦: ٣١-٣٤).

أراد السيد المسيح أن يميّز بين أولاد الله وأولاد العالم. فقال إن الأمم (أى فى ذلك الحين الوثنيين) يطلبون من آلهتهم الأمور المادية باستمرار. وعلاقتهم بهذه الآلهة تقوم أساساً على اهتمامهم بأجسادهم وأمورهم الدنيوية. أما أولاد الله فينبغى أن يطلبوا حياة القداسة التى تليق بهم كمخلوقين على صورة الله ومثاله. وأن يطلبوا أن يملك الله على حياتهم وقلوبهم وبهذا يتحقق ملكوت الله فى داخلهم.

إن الأمور الدنيوية الزائلة هى متاحة للجميع. لأن الله يشرق على الأبرار والأشرار بشمس النهار. ولكن الأمور الخاصة بملكوت الله لا تمنح إلا للأبرار الذين يطلبون من الله.

ما يتناسب وعظمته الإلهية

إن من يذهب إلى مطعم فاخر ليطلب طعاماً لدابته؛ يهين هذا المطعم. كذلك من يذهب إلى الله ليطلب أمور العالم الفانية؛ لا يدرك قيمة الوجود فى حضرة الله حيث ينبغى أن يطلب الأمور غير الفانية الباقية إلى الأبد. أما الأمور الفانية فإن الآب السماوى يعلم احتياجنا لها وسوف يمنحنا إياها تلقائياً ضمن عنايته بنا حتى دون أن نطلب أو نسأل. لهذا قال السيد المسيح: "اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره، وهذه كلها تزاد لكم" (مت٦: ٣٣).

لا تهتموا بما للغد

وهنا نطق السيد المسيح بحكمته المشهورة "**فلا تهتموا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفى اليوم شره**" (مت٦: ٣٤).

إن الذى يريد أن يعيش مع الله ينبغى أن يحيا مثل الأطفال الذين لا يحملون هم الغد. يكفيهم أن يسعدوا بما هم فيه من خير ونعمة.

الكبار فقط هم الذين يحملون هم الغد ويقومون بتخزين المال والطعام وبناء البيوت ويفكّرون فى مستقبلهم ومستقبل أولادهم.

الكبار فى السن فقط هم الذين يتنازعون على ميراث آبائهم حتى قبل أن يحين موعد الميراث. وقد يسيئون إلى مشاعر والديهم بشدة اهتمامهم بالمستقبل. أما الأطفال فى الأسرة فدائماً يكفيهم أن ينالوا احتياجهم الحاضر المؤقت ولا يحملون هم الغد. وأحياناً يؤنّب الكبار أطفالهم لأنهم لا يفكرون فى هموم المستقبل ومخاطره.

إن الإنسان المسيحى الذى يعيش مع الله مثل الأطفال لا يخاف من المستقبل لأنه يؤمن بالعناية الإلهية. ويكفيه أن يقضى يومه الحاضر بسلام. إنه يؤدى ما عليه من واجبات اليوم: فى العمل، فى الدراسة، فى الحياة العائلية، فى المجتمع. ولكنه لا يرتبك بهموم الغد. لأن فى كل يوم يوجد ما يكفى من المشاغل.

بالطبع ليس هناك خطأ فى أن يضع الإنسان برنامجاً لتنظيم أوقاته ومواعيده ومقابلاته وأسفاره والأعمال المطلوبة منه. ولكن الخطأ هو أن ينشغل الإنسان بما سوف يفعله فى المستقبل عوضاً عن أن يختبر معونة الله له فى الحاضر. أما عن المستقبل فيقول: إن شاء الرب وعشنا فسوف نفعل ما نويناه. والمفروض أن يشعر الإنسان بقيادة الروح القدس له فى حاضره وفى مستقبله. بمعنى أن يقوده الروح فى الطريق الحاضر متجهاً نحو المستقبل بروح التسليم والرجاء، ويفرح حينما يطلب من الآب باسم الابن الوحيد فينال عطايا الروح القدس ومعونته وإرشاده.

لا تدينوا لكى لا تدانوا

أكمل السيد المسيح تعليمه فقال: "**لا تدينوا لكى لا تدانوا، لأنكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون، وبالكيل الذى به تكيلون يُكال لكم**. ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك، وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها؟ أم كيف تقول لأخيك: دعنى أخرج القذى من عينك، وها الخشبة فى عينك؟ يا مرائى أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك" (مت٧: ١-٥).

كان من عادة اليهود فى وقت مجيء السيد المسيح أن يدينوا غيرهم ولا يحكموا على أنفسهم. وقال عنهم السيد المسيح أنهم "يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل" (مت٢٣: ٢٤) أى يدققون فى الأمور البسيطة والشكلية ويخطئون فى أمور جوهرية. وقال للفريسيين: "أيها الفريسى الأعمى نق أولاً داخل الكأس والصحفة لكى يكون خارجهما أيضاً نقياً" (مت٢٣: ٢٦) لأن الفريسيين اهتموا بأن يظهروا للناس مثل الصديقين وهم من داخل مملوءون اختطافاً وخبثاً. وقال إنهم يشبهون "قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة" (مت٢٣: ٢٧).

لذلك حارب السيد المسيح بشدة الرياء والنفاق والتمسح بمسوح القداسة مع وجود خطايا كثيرة داخل قلب الإنسان.

ومن نتائج النفاق والكبرياء أن يدين الإنسان غيره قبل أن يحكم على نفسه. أن ينتقد غيره على أخطائه، بينما هو يرتكب ما هو أشد من الخطايا والشرور، ويحاول التظاهر بحياة القداسة أمام الناس.

لذلك وضع السيد المسيح هذه القاعدة الذهبية "**بالكيل الذى به تكيلون يكال لكم**" (مت٧: ٢).. فمن أراد أن يصلح من شأن غيره، عليه أن يصلح شأن نفسه أولاً.

السيد المسيح لم يمنع الإنسان من إصلاح غيره. لأن الكتاب يقول "اعزلوا الخبيث من بينكم" (١كو٥: ١٣). وقال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس: "وبخ انتهر عظ، بكل أناة وتعليم" (٢تى ٤: ٢). وقال له أيضاً: "الذين يخطئون وبّخهم أمام الجميع لكى يكون عند الباقين خوف" (١تى٥: ٢٠). وبولس الرسول هو نفسه حكم على خاطئ كورنثوس حكماً صارماً فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس.

ولكن لا ينبغى أن يحكم الإنسان على غيره فى أمور هو نفسه يستوجب الحكم بسببها أو يفعل ما هو أفظع منها. لهذا قال السيد المسيح: "أخرج أولاً الخشبة من عينك، وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك" (مت٧: ٥). وبهذا سمح الرب للإنسان أن يخرج القذى من عين أخيه بشرط ألاّ تكون هناك خشبة فى عينه أكبر من القذى وتمنعه من الرؤية الصحيحة.

الأسقف

وبالنسبة للأسقف الذى يطالبه الرب بوعظ الناس وتوبيخهم وإرشادهم وتأديبهم، وإذا لزم الأمر الحكم عليهم بالأحكام الكنسية: ينبغى أن يكون هو نفسه ليس تحت الحكم، لهذا قال الكتاب "**يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله**" (تى١: ٧). وباعتبار الأسقف وكيل الله فهو مطالب بإعلان قداسة الله ومحبته فى آنٍ واحد.

الأسقف ينبغى أن يتحلى بفضائل الأبوة ويصالح الناس مع الله ويهتم بكل أحد ليخلصه، ولكنه فى الوقت نفسه ينبغى أن يحكم على الخطاة غير التائبين لعله يقتادهم إلى التوبة منذراً إياهم بالدينونة الأبدية التى تنتظرهم.

إنه يعلن الدينونة العتيدة من خلال منعه لغير التائبين من شركة الأسرار المقدسة ليفهموا أنهم لعدم توبتهم سوف يحرمون أيضاً من الحياة الأبدية مثلما قال السيد المسيح: "إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لو١٣: ٣). وقال لليهود: "إنكم تموتون فى خطاياكم" (يو٨: ٢٤) لأنهم كانوا يقاومون الروح القدس بمقاومتهم لتعليم ورسالة السيد المسيح.

إن الأسقف الذى لا يحاسب الخطاة فى الكنيسة يتعرض لأن يطلب الله دمهم من يديه. وحينما يصدر ضدهم الأحكام المناسبة فإنه يتبرأ من ذنبهم أمام الله. ولكن عليه أن يحرص باستمرار على قبول التائب إذا رجع دون أن يكون ذلك سبباً لإلغاء العقوبة الكنسية التى تساعده على عدم تكرار الخطية مرة أخرى. ولكن العقوبة فى حالة المنع من شركة الأسرار المقدسة ينبغى أن تحدد نهايتها بالنسبة للتائب الذى يرجع عن خطيئته. أما غير التائب فينتظر الأسقف توبته لكى يحدد له موعداً لعودته إلى ممارسة حياة الشركة.

أما بالنسبة للأفراد العاديين فإن التمييز بين ما هو صائب وما هو خطأ لا يعتبر إدانة. ولكن الإدانة تحدث حينما يحكم الإنسان على غيره بأنه لن يتوب دون أن ينتظر توبته ويصلى من أجله. كذلك التشهير بالغير يعتبر إدانة، إن لم يكن هناك داعٍ لمصلحة الجماعة فى الإعلان عن خطأ أحد الأشخاص.

فالذى يقوم بالتشهير بسمعة غيره، لن يمكنه إصلاح هذه السُمعة إذا تاب هذا الآخر ورجع عن خطيئته. لهذا فكل ما يعمله الإنسان ينبغى أن يكون صالحاً للبنيان. وكل ما يتكلم به يكون لمنفعة الآخرين أو للصالح العام للجماعة. ويتكلم مع من له سلطة الإصلاح وليس مع نفوس ضعيفة قد يعثرها هذا الكلام.

إن التسرع فى الحكم على الآخرين هو نوع من الإدانة التى قد تكون ظالمة، والحديث عن خطايا الآخرين هو نوع من الإدانة لسبب التشهير بسمعتهم. ومحاولة إصلاح الآخرين قبل إصلاح الإنسان لنفسه هو كسر لوصية السيد المسيح "**لا تدينوا لكى لا تدانوا، لأنكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون، وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم**" (مت٧: ١، ٢).

إن من يسلك فى طريق التوبة عليه أن لا ينشغل بخطايا الآخرين. ومن هو غير مسئول عليه أن يترك الحكم فى الأمور لمن هو مسئول، لأن الروح القدس أقام فى الكنيسة رعاة ومدبرين وقضاة يفصلون كلمة الحق باستقامة، ويحرسون التعليم والبيعة من الذئاب الخاطفة، ومن كل أنواع الانحراف والفساد. لهذا قال معلمنا بولس الرسول: "خطايا بعض الناس واضحة تتقدم إلى القضاء" (١تى٥: ٢٤).

لا تعطوا القدس للكلاب

أكمل السيد المسيح تعليمه قائلاً: "لا تعطوا القدس للكلاب، ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير، لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم" (مت٧: ٦).

أراد السيد المسيح أن يحذِّر تلاميذه من التفريط فى الأشياء والأمور والأسرار المقدسة. **هناك من الأمور ما ينبغى أن يحتفظ بها الإنسان ولا يبوح بها للآخرين، لكى لا يساء استخدامها.**

ومن أمثلة ذلك إذا أراد شخص ما أن يعمل الخير من أجل بعض المحتاجين، فلا ينبغى أن يكشف ذلك للجشعين والطماعين لئلا يعطلوا هذا العمل ويقاوموه.

كذلك لا ينبغى التفريط فى الأسرار المقدسة. أى لا ينبغى السماح بشركة التناول للأشخاص الذين يسلكون فى النجاسة أى للمستبيحين الذين يستهترون بقدسية الأسرار الطاهرة ولا يسلكون فى التوبة والبعد عن الشر.

لو سمحت الكنيسة للمستبيح أن يتناول من الأسرار المقدسة فسوف يستخف بالكنيسة وبكل ما فيها ويكون كأصل مرارة يتنجس به كثيرون. ويتحول هو ومن معه أضدادًا للكنيسة وتقاليدها ومقدساتها ويحاربون من يرغب فى السلوك فى مخافة الله.

هذا ما حدث فى بعض الكنائس فى الغرب التى تركت الحبل على الغارب لكل من يريد أن يتقدم إلى الأسرار المقدسة بدون استحقاق. وتطور الأمر حتى صار هناك أناساً فى هذه الكنائس يدافعون عن الأمور المخجلة والقبيحة المخالفة لتعليم الكتاب المقدس كالشذوذ الجنسى ويمدحون من يمارسها ويهاجمون من يقاومها.

فالأمر يبدأ بالتساهل فى توزيع الأسرار بدعوى الترفق بالخطاة بما فى ذلك غير التائبين، ثم يتطور إلى اعتبار أن ذلك حق مكتسب يمكن المناداة به جهراً وبلا خجل أو حياء. ثم تتسع المساحة لتشمل الدفاع عن خطايا محرَّمة وتحليل ارتكابها لمن هو فى شركة الكنيسة. ثم تحدث الكارثة فى بعض كنائس الغرب عندما يتباهى الأسقف بسيامة بعض المنحرفين أخلاقياً فى الكهنوت. وللأسف والمحزن أن ينضم إلى هؤلاء من يهاجمون الوصايا التى وردت فى الكتاب المقدس وتنهى عن هذه الانحرافات. وكذلك ينضم إليهم الداعين إلى الحركة النسائية فى الكنائس Feminist Movement الذين يطالبون بسيامة المرأة فى الدرجات الكهنوتية المتعددة، رافضين تعليم الكتاب المقدس بأن الرجل هو رأس المرأة وأنه هو المسئول عن التعليم فى الكنيسة بصفة عامة، بمعنى أن المرأة لا تعلِّم ولا تتسلط على الرجل فى الكنيسة (انظر ١تى٢: ١٢).

لئلا تدوسها بأرجلها

من عادة الناس أن تحترم المقدسات إذا احترمتها الكنيسة. وتستخف بالمقدسات إذا استخفت بها الكنيسة. لذلك قال عالى الكاهن لبنيه: "تجعلون شعب الرب يتعدون" (١صم٢: ٢٤) وقيل عن تأثيرهم على الشعب أن "الناس استهانوا تقدمة الرب" (١صم٢: ١٧) .

إذا لم يحترم الشعب المقدسات فإنهم يدوسونها بأرجلهم عوضاً عن أن يضعوها على رؤوسهم.

والمعروف أن خميرة صغيرة تخمّر العجين كله. لذلك قال الكتاب "اعزلوا الخبيث من بينكم" (١كو٥: ١٣).

ومهما تحملت الكنيسة فى سبيل إبعاد المخطئين عن شركة الكنيسة، فإنه أكرم لها أن تحتمل هجومهم عليها والتشهير بها باطلاً حتى ولو فى الصُحف، من أن تسمح لغير المستحقين بأن يدوسوا المقدسات بأرجلهم.

إن أمثال هؤلاء يمزقون أنفسهم بأنفسهم بهجومهم على كنيستهم التى تسعى إلى تقديس الجماعة بالتوبة والسلوك فى مخافة الرب. وسوف تتبدد مؤامراتهم على الكنيسة باعتبارهم خارجين عنها.

أما إذا أُعطى لهم القدس وداسوه بأرجلهم، فإنهم يلتفتون إلى الكنيسة ويمزقونها تمزيقاً حقيقياً بنشر الفساد داخل الكنيسة.

وسواء أطلق المدافعون عن هؤلاء الناس على أنفسهم أنهم جبهة الإصلاح الكنسى، أو أطلقوا على أنفسهم أى اسم آخر، فإنهم ينكشفون فى النهاية أنهم هم دعاة التسيب ودوس المقدسات داخل الكنيسة.

كيف يطلق على نفسه أنه يسعى للإصلاح من يرفض الإصلاح، ويهاجم المحاكمات الكنسية للمخطئين غير التائبين فى الكنيسة؟!

ويتساءل هؤلاء قائلين: من يحكم على توبة الإنسان؟ ونجيب على ذلك بأن الكنيسة فى كل تاريخها ومنذ العصر الرسولى قد حكمت على توبة أعضائها. لذلك قال السيد المسيح لتلاميذه من الرسل القديسين: "**من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت**" (يو ٢٠ : ٢٣)

ومن تم إمساك خطاياه عليه لعدم توبته فلا يمكن أن تطلب الكنيسة له الغفران فى الصلاة على المنتقلين. لأن من أمسكت عليه الكنيسة خطاياه فكيف تمسكها عليه وفى الوقت نفسه تطالب الله بغفرانها له. لا يمكن –كما أشار **قداسة البابا شنودة الثالث أطال الله حياته**– أن تتناقض الكنيسة مع نفسها بهذه الصورة فى صلاتها أى فى علاقتها مع الله الذى أوصاها بحفظ المقدسات.

اسألوا تعطوا

أكمل السيد المسيح تعاليمه السامية فقال: "**اسألوا تعطوا، اطلبوا تجدوا، اقرعوا يفتح لكم. لأن كل من يسأل يأخذ، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يفتح له**" (مت٧: ٧، ٨).

إنها دعوة عجيبة لنيل عطايا الآب السماوى مؤيّدة بوعد من فم ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح بأن كل من يسأل يأخذ.

الله نفسه يدعونا أن نطلب.. وذلك لأنه فى خيريته يشتاق أن يمنح خيراته وعطاياه للمؤمنين به وبقدرته ومحبته.

عادة يطلب المحتاج من القادر، فإذا كان القادر محباً للعطاء فإنه يعطيه بسرور وبلا تردد. أما ما يفوق ذلك فهو أن يسعى القادر نحو المحتاج داعياً إياه أن يطلب وبلا حدود واعداً إياه بأنه مهما سأل فسوف يأخذ!.

هكذا أحب الله العالم حتى أنه مستعد أن يعطى وبلا حدود حتى ولو بذل ابنه الوحيد الجنس لأجل خلاصنا. إنه عطاء المحبة الذى يفوق كل توقعات السائل المحتاج.

الله يريدنا لا أن نطلب الأشياء التى تفنى، بل التى لا تفنى. يريدنا أن نطلب محبته أن تعمل فينا بقوة، ويريدنا أن نطلب معرفته أن تزداد فى عقولنا وقلوبنا وأفهامنا، يريدنا أن نطلب ملكوتاً لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل، محفوظ لنا فى السماوات. يريدنا أن نطلب القوة الروحية والنصرة على الشر والخطية وكل قوات الظلمة. يريدنا أن نطلب صداقة الملائكة والقديسين. يريدنا أن نطلب ملء الروح القدس فى كل مراحل حياتنا، وقيادة الروح القدس وإرشاده ومعونته. يريدنا أن نطلب ثمار الروح القدس فى حياة الفضيلة. يريدنا أن نطلب بنياناً للكنيسة وانتشارًا لملكوته وخلاصاً لأنفس الكثيرين. يريدنا أن نطلب مواهبه وعطاياه لمنفعة الكنيسة وبنيانها. يريدنا أن نطلب نقاوة فى التعليم وأن نطلب أن يرسل فعلة إلى حصاده، لأن الحصاد كثير والفعلة قليلون. يريدنا أن نطلب من أجل أعدائنا لكى يحوّل الرب الأعداء إلى أصدقاء مثلما حوّل حياة شاول الطرسوسى بصلاة اسطفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء ليصير شاول مضطهد الكنيسة هو بولس رسول يسوع المسيح والمبشر بالإنجيل إلى الأمم. يريدنا أن نطلب لكى يعطى الرب قوة للكارزين والشاهدين لقيامة المسيح من الأموات. يريدنا أن نطلب منه معونة فى وقت الضيق لينقذنا.

كل هذه العطايا الإلهية وكثير غيرها، لا يمكننا أن نحصل عليها من العالم وبأى وسائل بشرية. أما وعد السيد المسيح فيؤكد لنا الحصول عليها حينما نسأل أو نطلب من الآب باسمه، أو منه هو شخصياً، أو من الروح القدس باسمه.

بهذا نرى **أهمية الصلاة فى حياتنا**، فى علاقتنا بالله، وفى اقتناء الفضائل، وفى خدمتنا لأجل ملكوت الله، وفى علاقتنا بالآخرين، وفى بنيان الكنيسة.

الصلاة ليست فروضاً نؤديها بلا روح أو بلا عاطفة، بل هى ضرورية لحياتنا الروحية وهى مصدر للخير والبركة والامتلاء من الروح القدس والنمو فى محبة الله.

إنها علاقة الأبناء بأبيهم السمائى.. يحيون فى بيته ويتنعمون بخيراته وهباته وعطاياه.

من يقرع يفتح له

الصلاة تحتاج إلى صبر وتحتاج إلى مواظبة.. فمن يصلى هو كمن يقرع على الباب وينتظر حتى يُفتح له.

لذلك يقول المزمور "انتظر الرب تقوَّ وليتشدد قلبك وانتظر الرب" (مز٢٦: ١٤). الله لا يغلق الباب فى وجه من يطلبه، بل على العكس قال السيد المسيح: "تعالوا إلىّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم" (مت١١: ٢٨) وقال أيضاً: "من يقبل إلىّ لا أخرجه خارجاً" (يو٦: ٣٧).

إن الله يفتح الباب فى الوقت المناسب، فلا ينبغى أن نيأس من الصلاة والطِلبة بكل حرارة، وبكل مواظبة.

الصلاة تحتاج إلى إيمان، لذلك قال السيد المسيح: "كل ما تطلبونه فى الصلاة مؤمنين تنالونه" (مت ٢١: ٢٢).

عبارة "**اقرعوا يفتح لكم**" تعطينا انطباعاً أن الصلاة ينبغى أن تمتزج بروح التضرع والصراخ إلى الله، وربما أحيانا تكون فى صورة طلب النجدة.

فالقرع على الباب يكون متناسباً مع حالة القارع واحتياجه. فمن كان فى خطر يقرع بصورة متواترة أى يقرع قرعاً سريعاً متتالياً. أما من كان يقصد زيارة حبيب أو صديق فإنه يقرع على بابه بهدوء أو بتأنٍ.

وكما طلب منا الرب أن نقرع على بابه، فإنه هو أيضاً من جانبه يقف على أبواب قلوبنا قارعاً حسب قوله: "هانذا واقف على الباب وأقرع. إن سمع أحد صوتى وفتح الباب أدخل إليه وأتعشى معه وهو معى" (رؤ٣: ٢٠). إن الرب ينتظر منا أن نفتح له حينما يقرع.. نستجيب لمحبته.. نقبل سكناه فينا.. نجعل فى داخلنا موضعاً لراحته.

ولاشك أن من يفتح قلبه للرب إذا قرع على بابه، فإن الرب هو أيضاً سيفتح له حينما يقرع على باب السماء فى صلواته. ومن لا يفتح قلبه للرب، لا يفتح له الرب إذا قرع. لذلك يقول الكتاب "**من يسد أذنيه عن صراخ المسكين، فهو أيضاً يصرخ ولا يُستجاب**" (أم٢١: ١٣). أما إذا فتح قلبه للرب ولعمل روحه القدوس فإن صلاته تكون مقبولة فى كل وقت.

عطايا الآب

أكمل السيد المسيح تعاليمه فى الموعظة على الجبل بعد أن قدَّم الدعوة لتلاميذه أن يسألوا فيعطوا.. فقال: "**أم أى إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزاً يعطيه حجراً؟ وإن سأله سمكة يعطيه حية؟ فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة، فكم بالحرى أبوكم الذى فى السماوات يهب خيرات للذين يسألونه!**" (مت٧: ٩-١١).

الثقة فى الصلاة

الصلاة هى التى تبرهن على ثقة الإنسان فى الإله الذى يعبده. إنه يثق فى قدرته، ويؤمن بوجوده وقدرته على الاستماع إلى الصلاة. ويؤمن كذلك بقدرته على استجابة الصلاة.

إن المؤمن يختبر فاعلية الصلاة فى حياته بصورة واضحة تجعله يزداد إيماناً. ولذلك يقول الرب: "أما البار فبالإيمان يحيا وإن ارتد لا تسر به نفسى" (عب١٠ : ٣٨).

الإنسان البار يعيش فى خبرة مستمرة للعمل الإلهى الفائق للطبيعة. والمعجزة بالنسبة له تعتبر شيئاً طبيعياً لأن حضور الله المستمر فى حياته يرفعه فوق مستوى العالم والمادة والمنظور "ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى بل إلى التى لا ترى لأن التى ترى وقتية وأما التى لا ترى فأبدية" (٢كو ٤: ١٨).

بالصلاة يشعر الإنسان البار أنه يحرك العالم كله، ليس بحسب مشيئته الخاصة، بل بقيادة الروح القدس له فى حياته. لذلك يقول الكتاب إن "**طلبة البار تقتدر كثيراً فى فعلها**" (يع ٥: ١٦).

إن الصلاة لا تعرف شيئاً اسمه المستحيل "**لأنه ليس شئ غير ممكن لدى الله**" (لو١: ٣٧)، ولأن "**كل شئ مستطاع للمؤمن**" (مر٩: ٢٣).

الصلاة تخرج بالإنسان من إطار التوقع البشرى إلى ما يفوق توقعات البشر. لأن الله يعطينا أكثر مما نطلب أو نفتكر.

إن نحن أهملنا الصلاة واتكلنا على أنفسنا، فإننا نعمل بقدرتنا وحدنا. أما بقوة الصلاة فإننا نضيف قوة الله إلى قوتنا. أى تزداد قدرتنا بما لا يقاس.

ولكى يؤكّد لنا السيد المسيح أن الآب السماوى سوف يمنحنا بالصلاة كل ما نحتاج إليه فى مسيرتنا نحو الأبدية، فقد قال: "أى إنسان منكم إذا سأله ابنه خبزاً يعطيه حجراً" (مت٧: ٩). وهذا برهان واضح على أن صلاة المؤمن لا يمكن أن تخيب. لأن من يدّعى ذلك يكون كمن يقول إننا أكثر براً من الله وحاشا أن يكون ذلك. لهذا قال السيد المسيح: "إن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة" (مت٧: ١١). بمعنى أن الآباء من البشر يمنحون الخيرات لأولادهم، وذلك بالرغم من الشر الموجود فى البشر. فكم بالحرى الرب القدوس الكلى الصلاح ألا يمنح خيرات للذين يسألونه؟.

فلماذا نشك فى رغبة الآب فى الاستجابة لطلباتنا؟.. ولماذا نتجاهل وجوده وقدرته ونهمل فى صلواتنا؟.. ولماذا نتجاهل محبته التى أكدّها وأعلنها لنا؟.. لماذا ولماذا يطول غيابنا؟! وهو الذى يدعونا باستمرار إلى الحياة فى شركة مقدسة معه.

أمثلة استجابة الصلاة

استخدم السيد المسيح مثلين: **الحجر فى مقابل الخبز، والحية فى مقابل السمكة.**

والحجر يرمز إلى الشيطان، أما الخبز فيرمز إلى السيد المسيح.

كما أن الحية ترمز إلى الشيطان، أما السمكة فترمز إلى السيد المسيح.

الحجر الذى استخدم فى صناعة الأصنام. وللأسف سجد البشر لهذه الأصنام الحجرية التى لا تسمع ولا تشعر ولا تحس، وكان الشيطان مخفياً فيها لكى تقدم له العبادة. ولكن هذه العبادة لم تشبع الإنسان ولم تمنحه الحياة.

أما السيد المسيح فقال عن نفسه: "أنا هو خبز الحياة" (يو٦: ٣٥).. "لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم" (يو٦: ٣٣). وأعطانا السيد المسيح جسده مأكلاً وقال: "من يأكلنى فهو يحيا بى" (يو٦: ٥٧) وقال: "والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم" (يو٦: ٥١).

فبكل تأكيد إن سألنا الآب خبزاً سمائياً فلن يعطينا حجراً، بل بالعكس كلما طلبنا فى الصلاة الربانية "خبزنا الآتى أعطِنَا اليوم" (مت ٦: ١١) فإنه يمنحنا خبز الحياة الأبدية لنحيا إلى الأبد..

ومن المعروف طبعاً أن إبليس قد لُقِّب بلقب "الحية القديمة" (رؤ١٢: ٩)، وهو الذى استخدم الحية لخداع الإنسان.

أما السيد المسيح فلقبه "**يسوع المسيح ابن الله المخلّص**"، والحروف الأولى لكلمات هذه العبارة باللغة اليونانية هى vIcqujv ومعناها "**سمكة**". لهذا استخدم المسيحيون الأُول السمكة رمزاً لهم يتعرفون به على بعضهم البعض. وأدخلوه فى النقوش الخاصة بهم كرمز للسيد المسيح.

فبكل تأكيد حينما نطلب من الآب السماوى أن يمنحنا السيد المسيح مخلصاً لحياتنا، فلن يعطينا بدلاً من ذلك الشيطان الحية القديمة الذى يقودنا فى طريق الضلال. بل إن "الرب قريب" (فى٤: ٥) على الدوام كما هو مكتوب.

محبة القريب

أكمل السيد المسيح كلامه لتلاميذه وقال: "فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم، لأن هذا هو الناموس والأنبياء" (مت٧: ١٢).

كثيراً ما ينحاز الناس إلى أنفسهم، يبررون للنفس أخطاءها، ولا يبررون نفس الخطأ للآخرين. ويطلبون للنفس حقوقها، ولا يمنحون نفس الحقوق للغير. يطلبون الرحمة والحنان لأنفسهم ويعاملون غيرهم بقسوة أو بغير حنان.. وهكذا.

ولذلك فقد وضع السيد المسيح هذه القاعدة الذهبية "كل ما تريدون أن يفعل الناس بكم، افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم". أى أن يضع الإنسان نفسه فى مكان الآخر ليحدد التصرف المناسب تجاهه كما لو كان تجاه نفسه.

فى هذا تتحقق الوصية "**أحب قريبك كنفسك**" (مت١٩: ١٩). ولهذا قال السيد المسيح أيضاً: "لأن هذا هو الناموس والأنبياء".

أمثلة من الحياة

وسوف نورد بعض أمثلة من الحياة العملية عن تطبيق هذه القاعدة الذهبية:

فالمدرس مثلاً فى المدرسة عليه أن يتذكر نوع المعاملة التى كان يتمناها حينما كان تلميذاً لكى يعامل بها تلاميذه.

والأب فى المنزل عليه أن يتذكر الأمور التى كان يطالب بها والده، لكى يعامل بها أولاده.

والمدير فى العمل عليه أن يقارن بين ما يتمناه من معاملة المسئول الأعلى منه له، ومعاملته هو لمرؤوسيه.

والضابط فى الجيش عليه أن يتذكر حينما كان فى التجنيد كيف كان يتمنى أن يعامله الضباط، لكى يعامل بذلك جنوده.

والممتحن عليه أن يتذكر ماذا كان يأمل أن يجد فى ورقة الأسئلة، لكى يراعى ذلك عند وضع الامتحان، وأيضاً عند فحص أوراق الإجابة وتقدير الدرجات ويقول لو كنت فى مكان ذلك الطالب فماذا كنت سأفعل؟ ويتذكر أيضاً مرارة الرسوب بعد جهد وعناء كبير فى الاستذكار.

والكاهن فى الكنيسة عليه أن يتذكر كم كان يود أن يزور الكاهن منزله ليفتقده ويسأل عنه. وكم كان يتمنى أن يخصص الأب الكاهن أوقاتاً مناسبة لسماع الاعترافات، وكم كان يشتاق لسماع كلمة التعليم المشبعة فى العظات. وكم كان يلتمس الأبوة والحنان والابتسامة المريحة فى معاملة كاهن كنيسته وأب اعترافه له قبل أن يصير هو كاهناً.

والأسقف أيضاً عليه أن يتذكر مكانة الأسقف فى عينيه وتأثير كلماته عليه. لكى يحافظ على هذه المكانة فى أعين الآخرين حينما صار أسقفاً. ولكى يتكلم بحساب عالماً أن كل ما يقوله يؤثر تأثيراً عميقاً فى أنفس سامعيه سلباً كان أم إيجاباً.

وعليه أيضاً أن يتذكر كم كان يتمنى أن يستمع الأسقف إلى رأى الشعب، وأن يفتح صدره لمن يبدى رأياً مخالفاً لوجهة نظره بأسلوب مهذب يليق بالبنين. وكم كان يتمنى أن يهتم الأسقف بكل أحد ليخلّصه، وأن لا يدخل فى خصومة شخصية مع أحد، وأن يكون واسع الصدر طويل الأناة رحيماً بالضعفاء والفقراء والمحتاجين.

عليه أن يتذكر الصورة المثالية التى كان يتمنى أن يراها فى الأب الأسقف، لكى يسلك هو أيضاً بمقتضاها ولا ينسى أنه فى يوم من الأيام كان واحداً من الرعية، فلا يتعالى على الشعب بل يخدمهم بكل محبة وتواضع، ويتعب من أجل راحتهم إلى جوار حراسته للقطيع من الذئاب الخاطفة ومن الناس الخداعين.

القاضى فى المحكمة عليه أن يتذكر كم كان قاسياً أن يقع ظلم عليه أو على أى أحد لكى يتأنى قبل الحكم. ولكى يعطى المتهم فرصة للدفاع عن نفسه، أو إثبات براءته. ولكى يفحص الأمر من جميع جوانبه.. الأدلة والظروف والدوافع والعوامل الخارجة عن الإرادة.. قبل أن يحدد الحكم أو نوع العقوبة.

الطبيب أيضاً عليه أن يتذكر نفسية المريض ومعاناته ويضع نفسه فى مكانه لكى يبذل أقصى جهده فى علاجه. ولا يكون هدف الطبيب هو التربح من مهنته، بل شفاء المرضى متشبهاً بالسيد المسيح الذى شفى مرضى كثيرين وحمل أوجاعنا وأسقامنا فى جسده على الصليب. لذلك فهناك من الأطباء من يعالجون مرضاهم مجاناً، بل ويصرفون لهم الدواء بلا مقابل متحملين مصاريف علاجهم بكل سرور.

كذلك **الغنى** عليه أن يضع نفسه فى مكان الفقير. أو ينزل ليرى بنفسه أحوال الفقراء ومعاناتهم. يرى كيف يسكن البعض فى عشش من الصفيح فى برد الشتاء القارس. وكيف ينامون بلا غطاء أو بلا عشاء يقرص الجوع بطونهم. وكيف يمزق المرض صدورهم لقلة الغذاء والكساء فى برد الشتاء.

المشكلة الحقيقية هى أن الغنى أحياناً تلهيه مشاغله الشخصية أو العائلية. وقد تلهيه الملاهى العالمية والحفلات والتنافس بين الأغنياء على مظاهر الغنى الكاذبة. يجتذبه حب القنية والملابس الفاخرة والقصور الفخمة، فلا يرى معاناة المساكين الذين يحتاجون إلى الفتات الساقط من مائدته.

أحياناً يتبقى من المآدب والحفلات ما يكفى لإشباع قرية بأكملها من الطعام. ولكن ربما لا يبالى أحد فى معظم الفنادق بمصير المأكولات التى تذهب مع النفايات. لذلك ينبغى أن نتذكر كيف أمر السيد المسيح تلاميذه بعد معجزة إشباع الخمسة آلاف من الخمس خبزات بأن يرفعوا الكسر لكى لا يضيع شئ. وبالفعل جمعوا اثنتى عشرة قفة مملوءة من كسر الخبز وحملوها معهم مع أن السيد المسيح كان بإمكانه أن يمنح البركة لخبزة واحدة لتصير آلافاً من الخبز بدلاً من الكسر. إنها دروس علّمها السيد المسيح لتلاميذه لتكون نوراً للأجيال تمشى على هديه فلا تضل الطريق.

وقفة مع النفس

إن كل إنسان منا يحتاج إلى وقفة مع نفسه يراجعها ليرى هل بالفعل يفعل بالناس ما يريد هو أن يفعل الناس به؟ وهل يعيش الوصية فى بساطتها كما قالها السيد المسيح فى موعظته على الجبل؟

حقاً إن جبل الموعظة يدلنا على الوصية الشامخة فى معانيها، والتى تحتاج إلى من يتفرغ من الانشغال بالأرضيات ليرتفع إلى القمم العالية فى جبل الوصية الإلهية.

الباب الضيق

أكمل السيد المسيح تعليمه على الجبل فقال: "ادخلوا من **الباب الضيق**، لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى إلى الهلاك، وكثيرون هم الذين يدخلون منه. ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى إلى الحياة، وقليلون هم الذين يجدونه" (مت٧: ١٣، ١٤).

هناك أناس يُطَمئِنون أنفسهم بمن حولهم. يقولون طالما أن كثير من معارفنا يسلكون بهذا الأسلوب فليس من المعقول أن يهلك كل هؤلاء الذين يمثلون غالبية من نعرفهم.

ولكن السيد المسيح حذّر من البداية من الاطمئنان إلى سلوك الغالبية ومحاكاتهم. لأن تنفيذ الوصية هو الذى يحدد مصير الإنسان، وليس مقدار من لا يلتزمون بها، وليس عذراً على الإطلاق أن نقول للرب أن غالبية الناس لم يلتزموا بتنفيذ وصاياك. بل إن السيد المسيح قال: "الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى، والذى يحبنى يحبه أبى، وأنا أحبه وأظهر له ذاتى" (يو١٤: ٢١).

وبالرغم من أن تنفيذ الوصية يستدعى الدخول من الباب الضيق، إلا أن **الباب الضيق يمنحنا شرف الاشتراك مع المسيح فى آلامه، كما أنه يؤهلنا لاختبار حضور المسيح فى حياتنا.**

من أراد أن يرى الرب وعمله فعليه أن يختار الباب الضيق والطريق الكرب وهناك يختبر عمل الله ومعونته.

فمثلاً من يحرص على الصلاة والسهر ويتعب فيهما، يحصد ثمر صلاته وسهره وينال نعمة من عند الرب.

ومن يجاهد بالصوم والصلاة والميطانيات، يحصد ثمرة جهاده فى اقتناء الفضائل الروحية ويمتلئ من الروح القدس.

ومن يحرص على قراءة الأسفار المقدسة بروح الخشوع والتضرع والاستماع إلى صوت الرب. يفتح الرب ذهنه ليفهم الكتب والمقاصد الإلهية ويمتلئ من الحكمة بفعل الروح القدس.

ومن يواظب على الحضور إلى الكنيسة ويشارك فى التسابيح والصلوات والقداسات ويتقرب من الأسرار المقدسة، يحصد ثمرة تعبه بالثبات فى المسيح والامتلاء من الروح القدس.

ومن يذلل نفسه فى التوبة وممارسة سر الاعتراف بروح الانسحاق والندم على الخطية والرغبة الصادقة فى حياة القداسة، يؤهل للتناول من الأسرار المقدسة وينال غفران خطاياه ويحصل على السلام القلبى بالمصالحة مع الله.

لهذا يقول المرنم: "**الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج. سيراً كانوا يسيرون وهم باكون حاملين بذارهم، ويعودون بالفرح حاملين أغمارهم**" (مز١٢٥: ٥، ٦).

الذين يتعبون فى الخدمة ويبذلون أنفسهم من أجل الآخرين بروح المحبة الصادقة، يكافئهم الرب بالمواهب الروحية، ويمنحهم الآب كرامة سمائية، ويأخذون جزاءً حسناً فى ملكوت السماوات. لأن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه. إنه لشرف عظيم أن يشترك الإنسان فى خدمة ملكوت الله وهو يشعر أنه غير مستحق لهذه الخدمة ولهذه الكرامة. وهكذا أيضاً الشهداء والمعترفين قد استحقوا كرامة عظيمة بعد الآلام التى احتملوها وصار لأسمائهم قوة للشفاء ولإخراج الشياطين. وبنيت الكنائس والأديرة على أسمائهم واستحقوا الأكاليل السمائية.

الباب الواسع

أما الباب الواسع فهو طريق إشباع الشهوات والملذات العالمية بطريقة تكسر فيها الوصايا الإلهية والقيم الروحية.

والباب الواسع هو السعى فى طلب الكرامة والعظمة بأى ثمن مهما كان ذلك على حساب المبادئ.

والباب الواسع هو السعى لاكتناز الأموال بلا داع، والنفس لا تشبع من محبة المال الذى هو مثل عبادة الأوثان المحرمة.

والباب الواسع هو الانسياق وراء رغبات الجسد الذى مصيره الفساد فى القبر وإهمال رغبات الروح التى لا يشبعها إلا الحياة مع الله والاستماع إلى كلامه المحيى.

والباب الواسع هو المناداة بحرية زائفة يصنع فيها الإنسان كل ما يشتهيه من أمور باطلة بينما هو مستعبد لخطايا وشرور كثيرة.

والباب الواسع هو تجاهل محبة القريب واحتياجاته والانعكاف على إرضاء الذات فى أنانية قاتلة. فالغنى الذى لا يشعر بمعاناة الفقراء وعوزهم وبؤسهم؛ يسلك من الباب الواسع والطريق الرحب المؤدى إلى الهلاك مثلما حدث فى مثل لعازر والغنى الذى تكلّم عنه السيد المسيح.

والباب الواسع هو تجاهل تبكيت الروح القدس للإنسان وهو يدعوه إلى التوبة ولكنه يفضل ألا يتعبه ضميره، فلا يحاسب نفسه على خطاياه ويتهرب من محاسبة النفس وتبكيت الضمير بأن يستغرق فى ملاهى العالم الباطلة ويضيع عمره وتضيع نفسه. و"**ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطى الإنسان فداءً عن نفسه؟**" (مت١٦: ٢٦).

احترزوا من الأنبياء الكذبة

بدأ السيد المسيح يحذّر تلاميذه من البدع والهرطقات التى يحاول الشيطان بها تضليل العالم فقال: "**احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة، من ثمارهم تعرفونهم.** هل يجتنون من الشوك عنباً، أو من الحسك تيناً؟ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارًا جيدة، وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارًا ردية، لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارًا ردية، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارًا جيدة. كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار. فإذاً من ثمارهم تعرفونهم" (مت٧: ١٥-٢٠).

المظاهر الخارقة للطبيعة

اعتاد عدد كبير من شعبنا أن يندفع وراء المظاهر الخارقة للطبيعة والتى قد تكون نتيجة قوى السحر أو الشعوذة أو بعمل الشيطان الذى يحاول تقليد أعمال الله الحقيقية.

وقد أورد الكتاب المقدس أمثلة لهذه الأمور. ففى سفر أيوب نرى أن الشيطان قد قام –بسماح من الله– بأعمال خارقة للطبيعة فى تخريب ممتلكات أيوب جميعها، وفى قتل كل أبنائه فى وقت واحد. استطاع أن يُنزل نارًا من السماء لحرق كل حقوله ومواشيه، وأن يهدم البيت حيث كان أبناؤه كلهم مجتمعين فقتلهم معاً.

واستطاع أكثر من ذلك –أيضاً بسماح من الله– أن يضرب جسد أيوب كله بقرح ردئ. وكان بإمكانه إمعاناً فى الخداع أن يرفع هذا القرح الردئ الذى ضربه به.

لذلك حذّر معلمنا بولس الرسول من إنسان الخطية ابن الهلاك الذى سيأتى فى بداية عصر الارتداد ويدعى أنه هو المسيح "**الذى مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم فى الهالكين**" (٢تس٢: ٩، ١٠). وسيصل الأمر إلى عبادة هذا المضل الذى سيصنع كثيراً جداً من المعجزات ويهلك الكثيرين، كما أنه سيضطهد المؤمنين الحقيقيين اضطهادًا مريعاً، ويقتل النبيين أخنوخ وإيليا فى جبال أورشليم.

لذلك فليست المعجزات وحدها هى التى تدلنا على صدق صاحب النبوة. وليست الأمور الخارقة للطبيعة وحدها هى التى تدلنا على من هو مؤيد من الله أو من يعمل روح الله بواسطته.

المسألة تحتاج إلى فحص عقيدة الشخص وما ورد عنه من نبوات سابقة وما ينادى به من تعاليم إن كانت أرثوذكسية مستقيمة أم لا. وكذلك فحص سيرته وما يعمله فى حياته الخاصة وفى علاقته بالآخرين. لهذا قال السيد المسيح: "**من ثمارهم تعرفونهم**" (مت٧: ٢٠).

فعلى سبيل المثال إذا فحصنا حركة شهود يهوه التى ظهرت سنة ١٨٧٦م فى الولايات المتحدة نرى أن مؤسسها هو "تشالز رصل" من بنسلفانيا. ولد سنة ١٨٥٤م، وكان ينتمى أولاً إلى الكنيسة البروتستانتية، وبدأ من سن ١٦ سنة ينحرف فى أفكاره، ثم تتلمذ على السبتيين عندما كان عمره ٢٤ عاماً. وقد ادعى معرفة اللغات اليونانية واللاتينية والعبرية. ثم ظهر جهله بها جميعاً. وأنه لم يتلق أى تعليم. كما أنه لم ينل أية درجة كنسية.

ادعى أن الله يوحى إليه ما يقوله فى تفسير الكتاب المقدس. ثم قال بحضور المسيح سنة ١٨٧٤، وأن الحصاد قد بدأ سنة ١٨٧٨ وأن يهوه قد أجلس المسيح على العرش سنة ١٩١٤م ليبدأ الدينونة.

رُفعت ضده بعض قضايا، منها قضية من امرأته تطالب بنفقة فى خلافه معها. وقضية من المزارعين الذين خدعهم وباع لهم ما أسماه بالقمح العجائبى (كبذور).

وقد توفى تشالز رصل سنة ١٩١٦ وخلفه القاضى رزفورد.

وقد أصدر كتباً كثيرة. وتنبأ بمجيء إبراهيم أبى الآباء، ومعه مجموعة من الأنبياء! وبنى لهم قصراً فى كاليفورنيا كلّفه ٧٥ ألف دولار وقتذاك. ولم يحضر أولئك الأنبياء فتعبت نفسيته.

وقد أصدر شهود يهوه كثيراً من الكتب والنبذات.. وأسسوا لذلك جمعية الكتب والكراريس. ثم برج المراقبة Watch Tower وترجموا مؤلفاتهم إلى عشرات اللغات (انظر مقال "فى اللاهوت المقارن – شهود يهوه – بدعة مركبة تضم العديد من البدع" مجلة الكرازة بتاريخ ١٤ مارس ١٩٩٧).

أنكر شهود يهوه السيد المسيح وانطبق عليهم قول معلمنا بطرس الرسول: "ولكن، كان أيضاً فى الشعب أنبياء كذبة. كما سيكون فيكم أيضاً معلمون كذبة، الذين يدسون بدع هلاك. و**إذ هم ينكرون الرب الذى اشتراهم**، يجلبون على أنفسهم هلاكاً سريعاً. وسيتبع كثيرون تهلكاتهم. الذين بسببهم يُجَدَّف على طريق الحق. وهم فى الطمع يتجرون بكم بأقوال مصنعة، الذين دينونتهم منذ القديم لا تتوانى وهلاكهم لا ينعس" (٢بط٢: ١-٣).

وإذا لاحظنا سيرة مؤسس هذه البدعة الشيطانية التى تنكر الرب الذى اشترانا، نرى أن حياته ممتلئة من الأضاليل والحيل، ولم يسلك لا فى الحق العقائدى، ولا فى الحق فى سلوكه مع الناس، بل كانت حياته كلها كذباً.

إيلين هوايت

يعتبر السبتيون أن السيدة إيلين هوايت Ellen G.White هى نبيتهم، صاحبة الرؤى والأحلام والإعلانات السمائية. ويضعون كتاباتها فى مرتبة الكتب المقدسة، ويعتبرون أن ما ادعته من رؤى وأحلام هى إلهام وإعلان من الله لجماعة مجيئيو اليوم السابع Seventh – day Adventists وكان ويليام ميللر William Miller المولود فى الولايات المتحدة الأمريكية فى ١٥ فبراير سنة ١٧٨٢م فى ولاية ماساتشوسيتس قد استنتج فى سنة ١٨١٨م بعد دراسة للكتاب المقدس لمدة عامين أن نهاية العالم ستكون فى سنة ١٨٤٣م، واستمر ينشر فكره حتى انتهت سنة ١٨٤٣م، ولم يأت المسيح لنهاية العالم، واستنتج أحد أتباعه ويدعى صموئيل سنو Samuel Snow أن المسيح بالحساب الأدق سوف يأتى فى يوم الكفارة العظيم فى الشهر السابع اليهودى من سنة ١٨٤٤م، وبالتحديد فى يوم ٢٢ أكتوبر، ولما لم يتحقق أيضاً مجيء السيد المسيح فى ذلك التاريخ أصيبت حركة ويليام ميللر بالإحباط الشديد، وأطلقوا على ذلك اليوم اسم "الإحباط الكبير" The Great Disappointment (انظر كتاب Seventh-Day Adventist By Antony A. Hoekema طبعة سنة ١٩٩٠م– الناشر Eerdmans Michigan).

بعد ذلك ادعت الآنسة ايلين هارمون Ellen Gould Harmon فى يناير سنة ١٨٤٥م وسنها وقتئذ ١٧ سنة أن الرب قد أراها فى حلم أن المسيح سوف يأتى فى المستقبل الفورى. ولما لم يتحقق ذلك ادعى أحد قيادات الحركة أن المسيح فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٤٤م قد انتقل من القدس السماوى إلى قدس الأقداس، وبهذا بدأ "الكفارة النهائية" للخطاة.

وفى الفترة ما بين سنة ١٨٤٠م وسنة ١٨٥٠م دخل تعليم "تقديس يوم السبت" إلى هذه الجماعة حيث أدخل هذا التعليم جوزيف باتس Joseph Bates واقنع الجماعة به وكان منتمياً إلى جماعة "معمدانيو اليوم السابع"

من قبل. وقد ادعت إيلين هارمون هوايت التى تزوجت جيمس هوايت James White Seventh-Day Baptists أنها قد رأت حلماً يؤكّد حتمية حفظ السبت اليهودى بالنسبة للمسيحيين.

وكانت إيلين هوايت قد أصيبت برمية حجر أثناء وجودها فى المدرسة فى الجانب الأيسر من جبهتها كاد يودى بحياتها، وأصاب مخها بتدمير سيئ حتى أنها لم تتمكن من استكمال دراستها الرسمية بالمدرسة، ولكنها اعتبرت رسولة من الله إلى جماعة ويليام ميللر.

وفى سنة ١٨٦١م تم تسجيل هذه الجماعة باسم كنيسة مجيئيو اليوم السابع Seventh-Day Adventist Church وتوفيت السيدة إيلين هوايت سنة ١٩١٥م عن عمر ٨٧ عام، ولكنها لم تحضر المجيء الثانى للسيد المسيح، ومع ذلك فهى مكرمة بطريقة عالية فى جماعة السبتيين. وكانت إيلين هوايت قد استبدلت أسلوب الأحلام بادعاء زيارات فى الساعة الثالثة صباحاً لملائكة كانوا يخبرونها بما ينبغى أن تكتبه. وغالباً كانت تؤكد برؤاها ما سبق أن بحثته الجماعة وأقرته من عقائد، ولكن كتاباتها احتوت على كثير من الأخطاء والمغالطات العلمية. ففى كتابها عن "الهبات الروحية" Spiritual Gifts ادعت أن السبب الرئيسى فى تدمير العالم بالطوفان كان هو التلاحم (أى التزاوج والإنجاب) بين البشر والحيوانات، وقالت أن الأنواع المختلطة التى لم يخلقها الله لم يأخذها نوح معه إلى الفلك لأنها خليط بين البشر والحيوانات، بينما أثبت العِلم استحالة التزاوج للإنجاب بين البشر والحيوانات.

وقد سببت أخطاء إيلين هوايت التعليمية مشاكل كثيرة لجماعة السبتيين. فهل تصلح أن تكون نبية؟

(كتاب Seventh-Day Adventists – False Prophets لمؤلفه Wallace D. Stattery وهو عضو سابق فى جماعة السبتيين خرج عليهم وألّف هذا الكتاب).

كيف نميز الأرواح

من المهم جداً أن نميز الأرواح هل هى من الله "لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم" (١يو ٤: ١). هؤلاء يدسون بدع هلاك. لهذا قال يوحنا الرسول: "لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح، هل هى من الله؟" (١يو ٤: ١).

ونرى مثلاً التيار الخمسينى الذى يدّعى عمل المعجزات والتكلم بالألسنة، كما نرى السبتيون وشهود يهوه والمورمون يدّسون بدع هلاك. ونرى "حركة الدهر الجديد" New Age Movement وما فيها من تعاليم خطرة جداً على المسيحية. إلى جوار ما ظهر من بدع متعددة فى تاريخ المسيحية مثل البدعة الأريوسية والبدعة النسطورية وكثير غيرها.

يلزمنا إذاً أن نعرف كيف نميز الأرواح ونتدرب على ذلك.

قال السيد المسيح: "كل من هو من الحق يسمع صوتى" (يو١٨: ٣٧). وقال أيضاً: "**أنا هو الطريق والحق والحياة**" (يو١٤: ٦).

لذلك يلزمنا أن نطلب إرشاد وقيادة روح المسيح لنا، لأنه هو "**روح الحق**" **الذى يرشدنا إلى جميع الحق** (انظر يو١٦: ١٣).

يلزمنا أن نتضع جداً أمام الله ونطلب الامتلاء من الروح القدس، ليعمل روح الله فينا، ويرشدنا إلى الحق الذى فى المسيح –بشرط أن يكون ذلك بعيداً عن روح الغرور وحب الظهور.

ويلزمنا أن نطلب بلجاجة الحكمة التى من الله، وأن نكون ثابتين فى التعليم الرسولى الآبائى، ولا يحملنا كل ريح تعليم (انظر أف٤: ١٤). ولا نعتمد على فهمنا الخاص، ولا نفرح بكل ما هو جديد ومخالف لما تعلمناه من الآباء الكبار معلمى البيعة.

لذلك قال معلمنا بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس: "وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلّموا آخرين أيضاً" (٢تى٢: ٢). وقال له أيضاً: "احفظ الوديعة الصالحة بالروح القدس الساكن فينا" (٢تى١: ١٤). ويلاحظ هنا أهمية الروح الواحد الذى يجمعنا مع الآباء الذين تسلّمنا منهم الإيمان المسلّم مرة للقديسين. **فالذين يتهمون الكنائس الأرثوذكسية المحافظة بالجمود؛ عليهم أن يتذكروا أن الثبات هو وصية رسولية (انظر ٢تى٣: ١٤ ، ٢بط١: ١٩).**

فلننظر إلى ما آل إليه حال الكنائس أو الجماعات التى لم تحفظ أرثوذكسية التعليم والتقليد الرسولى والالتزام بالكتب المقدسة، وكيف صارت حالياً تدافع عن أو تبارك زيجات الجنس المثيل وتبيح العلاقات السابقة للزواج، كما أنها تقبل خلط العقائد المسيحية بالعقائد الوثنية مثلما يحدث فى ديانة العصر الجديد New Age Religion.

ختام الموعظة على الجبل

"ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السماوات، بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السماوات" (مت٧: ٢١).

فى ختام الموعظة على الجبل أوضح السيد المسيح أن محبة الله وطاعة وصاياه والامتلاء من ثمار الروح القدس هو الذى يخلّص الإنسان.

أما المواهب الروحية مثل النبوة، وإخراج الشياطين، وصنع المعجزات فهى تمنح من الروح القدس للأفراد فى الكنيسة من أجل مجد الله وبنيان الكنيسة، ولا تعتبر دليلاً على دخول ملكوت السماوات لمن يجريها باسم الرب يسوع المسيح.

أما ثمار الروح القدس التى هى: محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف، فهى لازمة لدخول ملكوت السماوات لأنها هى علامة القداسة الحقيقية.

لهذا قال السيد المسيح: "كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم: يا رب، يا رب أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة؟ فحينئذ أصرِّح لهم: إنى لم أعرفكم قط! اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم" (مت٧: ٢٢، ٢٣).

بيت الصخر وبيت الرمل

أشار السيد المسيح فى ختام الموعظة على الجبل إلى أهمية العمل بوصاياه وليس الإعجاب بها فقط أو تجاهلها.

فالحياة المسيحية ليست هى مجرد الإيمان بالمسيح، ولا حتى الإيمان وقبول العماد باسم المسيح فقط. بل هى إلى جوار ذلك كله **الالتزام بوصاياه بروح الطاعة والإيمان.**

وابتدأ السيد المسيح يشبّه الحياة بالبيت الذى يبنيه الإنسان ليسكن فيه.

فالإنسان سيكون مسئولاً عن نوعية البناء وما سوف يتعرّض له على مر السنين.

من أراد أن يصل إلى الحياة الأبدية، عليه أن يبنى بناءً قوياً سليماً مؤسساً على الصخر. أى مؤسساً بطريقة قوية متينة وليس مبنياً بطريقة سطحية.

البناء الروحى السليم هو المؤسس على الالتزام بالوصية مهما بدت غريبة أو صعبة فى تطبيقها.

إن الله يعرف ما هو لصالحنا، أكثر مما نعرف نحن. وهو أيضاً سوف يمنحنا العون إذا اتكلنا عليه وسلكنا بالإيمان فى طاعة وصاياه.

ونظراً لأن الأمين فى القليل، أمين أيضاً فى الكثير، كما قال السيد المسيح فى (لو١٦: ١٠). لذلك فإن الله سوف يتدخل بقوة لمعونة حافظى وصاياه حينما تهب عليهم رياح التجارب العنيفة من قبل الشيطان الشرير.

إن أمانة الإنسان فى تنفيذ الوصية هى إلزام حقيقى للرب أن يتدخل لمعونة أولاده بصورة تفوق الوصف والتصور، كما حدث فى حياة الشهداء فى وسط آلامهم العجيبة التى احتملوها من أجل الشهادة للمسيح.

فمن ينفذ وصية الرب القائل: "لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً" (مت٥: ٣٩). هو الذى سيعينه الرب بصورة أقوى إذا تعرض لآلام الاستشهاد.

أما من يتجاهل الوصية، فسوف يضعف فى وقت التجربة ويعثر ويسقط ويكون سقوطه عظيماً، كما قال الرب: "كل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها، يشبه برجل جاهل، بنى بيته على الرمل. فنزل المطر، وجاءت الأنهار، وهبت الرياح، وصدمت ذلك البيت فسقط، وكان سقوطه عظيماً" (مت٧: ٢٦، ٢٧).

إن سلوك الشهيد مار جرجس فى حياة العفة التى أوصى بها السيد المسيح "كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها، فقد زنى بها فى قلبه" (مت٥: ٢٨)، هو الذى جعله يصمد أمام المرأة الخليعة التى أدخلوها إليه فى السجن لتسقطه فى

الخطية. فاجتذبها هو إلى الإيمان والتوبة. فهو سلك كشاب عادى فى حياة العفة، وعندما تعرض للإغراء الإجبارى استطاع أن يصمد بصورة مشرّفة كشاب طاهر حقيقى.

رد فعل الجموع

"فلما أكمل يسوع هذه الأقوال بُهتت الجموع من تعليمه، لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة" (مت٧: ٢٨، ٢٩).

لقد ملّ الناس الاستماع إلى تعاليم الكتبة والفريسيين التى لم تقدر أن تغيّرهم من العمق من الداخل.

أما تعليم السيد المسيح فقد حرك قلوبهم واجتذبهم نحو تنفيذ الوصية بفرح. ولذلك بهتت الجموع من تعليمه السامى الفائق للطبيعة البشرية العادية.

إنها تعاليم العهد الجديد، عهد النعمة والخلاص، عهد القداسة والتبرير، عهد حياة البنوة لله. **وهى تعاليم تحمل معها قوة تنفيذها أو هى كلمات ممسوحة بالروح القدس لتؤثر فى قلوب السامعين.**

لذلك قال المرنم فى المزمور: "انسكبت النعمة على شفتيك" (مز ٤٤: ٢).

حقاً إن الموعظة على الجبل هى خطاب العرش الخالد للسيد المسيح المعلم الأعظم وراعى الخراف العظيم.

ومهما كتبنا فى هذه التأملات فى حياة وخدمة السيد المسيح فسوف نبقى محتاجين إلى المزيد، لنعرف كيف فهم الآباء القديسون هذه الوصايا الرائعة، وغاصوا فى أعماقها وأخرجوا لنا جدداً وعتقاء من التعاليم النافعة لخلاص أنفسنا.

الباب السادس

التجلى

بعد قيامة السيد المسيح من الأموات قال لتلاميذه: "هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعد معكم أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى **ناموس موسى والأنبياء والمزامير**" (لو٢٤: ٤٤).

وقبل الصلب بأيام معدودة أراد السيد المسيح أن يؤكد لنا العلاقة الوثيقة بين ناموس موسى والأنبياء والمزامير. وأن يظهر أهمية ما تكلم به الأنبياء فى الكتب المقدسة عن تجسده وصلبه وقيامته أى عن الخلاص "**الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء.. باحثين أى وقت أو ما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها**" (١بط١: ١٠، ١١).

على جبل التجلى

- ❖ التقى الناموس والأنبياء مع ابن داود صاحب المزامير، أو مع الملك الحقيقى ابن داود الذى قال عنه الملاك: "ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية" (لو١: ٣٢، ٣٣).
- ❖ التقى موسى كاتب الناموس، وإيليا النبى العظيم مع المسيا مخلّص العالم. فما أروعه لِقاء.
- ❖ التقى مَنْ رقد ميتاً على الرجاء، ومعه مَنْ صعد حياً إلى السماء مع مَن مات وقام وصعد إلى أعلى السماوات بعد أن قهر الموت، وحرر البشر من سلطانه.
- ❖ التقى الناموس والأنبياء مع مشتهى الأجيال، فوق كل حواجز الزمان والمكان.. فى لقاء يحوطه مجد الآب.. فى سيمفونية الخلاص والفداء.. فى حديث ملئه الرجاء، عن خروج الكلمة المرسل من السماء، ليصنع خلاصاً كاملاً فى أورشليم. حسب ما ذكره القديس لوقا فى إنجيله عن واقعة التجلى إذ قال: "وإذا رجلان يتكلمان معه وهما موسى وإيليا. اللذان ظهرا بمجدٍ وتكلّما عن **خروجه** الذى كان عتيداً أن يكمله فى أورشليم" (لو٩: ٣٠، ٣١). والمقصود "بخروجه" أى أنه "خرج وهو حامل صليبه" (يو١٩: ١٧) فى طريقه من أورشليم إلى الجلجثة لإتمام الفداء. وبهذا يتضح أن الحديث الذى دار بين موسى وإيليا وبين السيد المسيح على جبل التجلى كان بشأن الصليب.

على جبل التجلى أظهر السيد المسيح كيف يمكن أن يجتمع الكل حول شخصه باعتباره الرب الفادى والمخلّص. وكيف يتقوى الجديد "الرسل" بالقديم "الأنبياء". وكيف تجتمع الأزمنة انطلاقاً نحو الأبدية بمعرفة يسوع المسيح ابن الله الوحيد.

لهذا جاء إعلان الآب من المجد الأسنى فوق الجبل عن ابنه "هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت، له اسمعوا" (مت١٧: ٥).

كل هذه الإعلانات المختصة بالفداء والأبدية أراد الرب أن يتركها لنا، ولكنه مع ذلك أوصى تلاميذه الذين عاينوا مجد التجلى قائلا: "**لا تعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات**" (مت١٧: ٩).

كان الرب يصنع الكثير لأجلنا، ولأجل ثباتنا فى الإيمان، ولكنه لم يرغب فى هذه الأمور إطلاقاً بدافع التباهى أو التظاهر.

لقد صُلب السيد المسيح على مرأى من الجميع بكل ما فى الصلب من هوان وعار. ولكنه آثر أن يقوم ويدخل إلى مجد القيامة فى هدوء ولا يراه قائماً إلا تلاميذه المؤمنون به فقط. **فكان متضعاً فى قيامته كما علّمنا قداسة البابا شنودة الثالث.**

وهكذا أيضاً لم يشاهد واقعة التجلى سوى ثلاثة من تلاميذ السيد المسيح ليكونوا شهوداً على ما جرى مثلما صاروا شهوداً للقيامة فيما بعد.

وحتى حينما اعترف بطرس والتلاميذ بألوهية السيد المسيح "أنت هو المسيح ابن الله الحى" (مت١٦: ١٦) فإن السيد المسيح قد أوصى تلاميذه: "أن لا يقولوا لأحد إنه يسوع المسيح" (مت١٦: ٢٠) "من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفى اليوم الثالث يقوم" (مت١٦: ٢١) وكأن السيد المسيح لا يرغب فى تعطيل الصليب، لأن معرفة ألوهيته سوف تتأكد بالأكثر حينما يقهر الموت بالصليب، منتصراً عليه فى قيامته المحيية.

وقد صعد السيد المسيح إلى جبل التجلى بعد ستة أيام فقط من حديثه للتلاميذ عن صلبه وآلامه، ليؤكد لهم صدق كلام الأنبياء الذين تنبأوا عن تفاصيل كثيرة تخص هذه الآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها.

فى كل ذلك كان حريصاً أن يحتفظ بأسرار أمجاده الإلهية، فلا تُعلَن للناس إلا بعد إتمامه الفداء، وذهابه إلى أبيه السماوى بتركه لهذا العالم الحاضر، الذى لم يطلب فيه مجداً من الناس لأن مجده الحقيقى هو عند الآب الذى أرسله.

عجيب أنت يا رب فى تواضعك من يقدر أن يصفه!

هل أخفى السيد المسيح مجده الإلهى؟

أخفى السيد المسيح مجده الإلهى المنظور عن غالبية الناس حتى يتم الفداء. ولذلك فحينما تجلى على الجبل، أوصى تلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنا، الذين شاهدوا منظر التجلى، أن لا يخبروا أحداً بما رأوه إلى أن يقوم من الأموات بعد إتمام فداء الصليب، وذلك لكى لا يتعطل خلاص البشرية. وقد روى القديس متى الرسول الإنجيلى هذه الواقعة كما يلى:

"أخذ يسوع بطرس ويعقوب ويوحنا أخاه وصعد بهم إلى جبل عال منفردين وتغيرت هيئته قدامهم، **وأضاء وجهه كالشمس،** وصارت ثيابه بيضاء كالنور. وإذا موسى وإيليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه فجعل بطرس يقول ليسوع: يا رب جيد أن نكون ههنا، فإن شئت نصنع هنا ثلاث مظال، لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة. وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلاً: هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت له اسمعوا. ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً. فجاء يسوع ولمسهم وقال: قوموا ولا تخافوا. فرفعوا أعينهم ولم يروا أحداً إلا يسوع وحده. وفيما هم نازلون من الجبل **أوصاهم يسوع قائلاً: لا تُعلِموا أحد بما رأيتم حتى يقوم ابن الإنسان من الأموات**" (مت١٧: ١-٩).

وكان من الضرورى لإتمام الفداء، أن يخفى حقيقة لاهوته عن الشيطان.. وأن يخفى مجده الإلهى عن عظماء هذا الدهر. لهذا قال معلمنا بولس الرسول عن الحكمة المكتومة منذ الدهور: "**التى لم يعلمها أحد من عظماء هذا الدهر. لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد**" (١كو٢: ٨).

ربما يعتقد البعض أن عدم إعلان السيد المسيح لمجده الإلهى الكامل (ملء مجده)، هو تجزئة لهذا المجد. ولكن الحقيقة أن السيد المسيح يعلن مجده بحسب مقتضيات الحال فى إتمام رسالته الخلاصية وبدرجات متفاوتة. فمثلاً حادثة التجلى سمح لثلاثة فقط من تلاميذه الرسل القديسين أن يعاينوها كما ذكرنا وهم بطرس ويعقوب ويوحنا. وأمرهم أن لا يُعلِموا أحداً بما رأوه حتى يقوم من الأموات.

وأشار القديس بطرس إلى هذه الرؤية التى كشف فيها السيد المسيح عن شعاع من مجده بحيث يحتمله هؤلاء التلاميذ "إذ عرّفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، **بل قد كنا معاينين عظمته، لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً** إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابنى الحبيب الذى أنا سررت به، ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء إذ كنا معه فى الجبل المقدس" (٢بط١: ١٦-١٨).

ملء مجد المسيح

حدثت واقعة على جبل سيناء طلب فيها موسى النبى من السيد المسيح أن **يريه ملء مجده** فقال له: إن الإنسان لا يستطيع أن يراه ويعيش، وقال له يمكنك أن ترى ورائى فقط أما وجهى فلا يُرى. **بمعنى أنه يمكنه أن يرى مستوى من مجده لا يصل إلى مجده الكامل.** وفى كل الأحوال لا يعنى تجزئة المجد الإلهى بل إعلانه للبشر بالمستوى الذى يحتملونه.

وقد روى موسى النبى فى التوراة فى سفر الخروج هذه الواقعة فى حوار بينه وبين الابن الوحيد إذ قال موسى للرب: "فإنه بماذا يُعلم أنى وجدت نعمة فى عينيك أنا وشعبك أليس بمسيرك معنا؟ فنمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. فقال الرب لموسى: هذا الأمر أيضاً الذى تكلّمت عنه أفعله لأنك وجدت نعمة فى عينى

وعرفتك باسمك. **فقال: أرنى مجدك**. فقال: أجيز كل جودتى قدامك وأنادى باسم الرب قدامك وأتراءف على من أتراءف وأرحم من أرحم. وقال: **لا تقدر أن ترى وجهى لأن الإنسان لا يرانى ويعيش**. وقال الرب: هوذا عندى مكان فتقف على الصخرة. ويكون **متى اجتاز مجدى** أنى أضعك فى نقرة من الصخرة وأسترك بيدى حتى أجتاز، ثم أرفع يدى **فتنظر ورائى وأما وجهى فلا يرى**" (خر٣٣: ١٦-٢٣).

وحينما قال الرب لموسى: "الإنسان لا يرانى ويعيش" كان بكل وضوح يتكلم **عن مجده** الكامل لأن موسى طلب من الرب كما ورد فى النص "**أرنى مجدك**" (خر٣٣: ١٨). ولهذا قال له الرب: "متى اجتاز **مجدى**.. تنظر ورائى أما وجهى فلا يرى" (خر٣٣: ٢٢، ٢٣).

إن الإنسان لا يستطيع أن يرى مجد الرب الكامل، أى ملء مجده ويعيش. لأن الملائكة نفسها تستر وجوهها من بهاء عظمة مجده، كما أن الإنسان الذى لا يزال تحت الآلام فى جسد الموت لا يمكن أن يرى مجد الله الفائق ويعيش؛ لأنه لم يأخذ جسد القيامة الروحانى الممجد. أما فى الأبدية فهناك أمجاد لا يعبر عنها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم عنها ولا نستطيع أن نحدد أبعادها لأن أسرارها لم تعلن بعد.

ليت الرب يعطينا فهماً لمعنى إخلاء السيد المسيح لنفسه حينما تجسد وأخفى مجده المنظور "**الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب مساواته لله اختلاساً، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس. وإذا وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب**" (فى٢: ٦-٨).

أخفاء المجد المنظور

حينما أخلى الابن الوحيد الجنس نفسه آخذاً صورة عبد، فإنه قد أخفى مجده المنظور. لأنه سبق أن قال لموسى فى الجبل حينما طلب أن يرى مجده الكامل: "لا تقدر أن ترى وجهى. لأن الإنسان لا يرانى ويعيش.." (خر٣٣: ٢٠-٢٣).

لقد أظهر السيد المسيح لتلاميذه بطرس ويعقوب ويوحنا شعاعاً من مجده على جبل التجلى. ولكنه أثناء نزولهم من على الجبل أوصاهم ألا يخبروا أحداً بما رأوه إلى ما بعد إتمام الفداء على الصليب وقيامته المجيدة من الأموات (انظر مت١٧: ١-٩، مر٩: ١-٩).

وحتى هذا المجد على جبل التجلى لم يكن إلاّ قدر ضئيل من مجده. لأن الإنسان قبل أن يلبس جسد القيامة الممجد لا يستطيع أن يرى المسيح فى ملء مجده ويعيش.

لقد أخفى السيد المسيح مجده فى التجسد، لكى يمكن أن يتم الفداء. وإلا لما استطاع أن يقترب منه أى إنسان، أو يمد يده عليه بالجلد والصلب وكل ما كان. وعن هذا قال معلمنا بولس الرسول: "لأن لو عرفوا لَما صلبوا رب المجد" (١كو٢: ٨).

وفى مناجاة السيد المسيح للآب فى ليلة آلامه قال له: "أيها الآب قد أتت الساعة. **مجّد** ابنك **ليمجّدك** ابنك أيضاً.. أنا **مجدّتك** على الأرض. العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته. والآن **مجّدنى** أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم" (يو١٧: ١، ٤، ٥). وقال أيضاً: "أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا لينظروا **مجدى** الذى أعطيتنى لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم" (يو١٧: ٢٤).

إذن لقد أخفى السيد المسيح مجده المنظور أثناء وجوده فى الجسد على الأرض لكى يكون من الممكن أن يتم الفداء. ولكنه أظهر قدراً من هذا المجد لبعض تلاميذه على جبل التجلى ليبرهن لهم أنه قد أخفى هذا المجد بإرادته، ولم يفقده على الإطلاق. إذ هو خاص بجوهره الإلهى الذى هو واحد فيه مع أبيه السماوى من حيث لاهوته. فالابن له نفس الجوهر مع الآب وهو مساوٍ له فى المجد الإلهى والربوبية، وممجد مع أبيه الصالح والروح القدس المساوى.

مجداً من الناس لست أقبل

لماذا قال السيد المسيح هذه العبارة فى إنجيل يوحنا (يو٥: ٤١) مع أن تمجيده هو من أهم أساسات العبادة المسيحية.

فنحن نعطى المجد (الذوكصا) للثالوث قائلين فى كل صلاة: {**المجد** للآب والابن والروح القدس}.

ويكلّمنا الكتاب المقدس عن مجد المسيح فى كثير من المواضع وعلى سبيل المثال:

"كما اشتركتم فى آلام المسيح افرحوا لكى تفرحوا فى استعلان **مجده** أيضاً مبتهجين" (١بط٤: ١٣).

"كل خليقة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض وما على البحر كل ما فيها سمعتها قائلة: للجالس على العرش وللخروف (للمسيح) البركة والكرامة **والمجد** والسلطان إلى أبد الآبدين" (رؤ٥: ١٣).

"ومتى جاء ابن الإنسان **فى مجده** وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى **مجده** ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميّز بعضهم من بعض كما يميّز الراعى الخراف من الجداء" (مت٢٥: ٣١، ٣٢).

"كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى **مجده**" (لو٢٤: ٢٦).

نوعان من المجد

هناك نوعان من المجد: **المجد الحقيقى، والمجد الباطل.**

المجد الحقيقى: هو المجد الممنوح من الله.

والمجد الباطل: هو الذى يفتعله البشر بدون أساس حقيقى.. وهو مجد زائل قال عنه السيد المسيح: "كيف تقدرون أن تؤمنوا، وأنتم تقبلون **مجداً** بعضكم من بعض، والمجد الذى من الإله الواحد لستم تطلبونه" (يو٥: ٤٤).

هذا **المجد الباطل** هو الذى قال عنه السيد المسيح: "**مجداً** من الناس لست أقبل" (يو٥: ٤١) وهو نوع المجد الذى يمنع الناس من الإيمان بالمسيح أو يمنعهم من الاعتراف بهذا الإيمان بسبب خوفهم من ضياع مجد الناس كما هو مكتوب عن السيد المسيح "ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء أيضاً غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خارج المجمع. لأنهم أحبوا **مجد الناس** أكثر من **مجد الله**" (يو١٢: ٤٢، ٤٣).

بين التجلى والصليب

كان اللقاء بين التجلى والصليب، هو مقدمة التجلى فوق الصليب.

ولكن **التجلى المنظور على جبل تابور،** كان فى الخفاء بعيداً عن أعين الناس. فلم يبصره سوى ثلاثة من التلاميذ، هم أنفسهم الذين أبصروا الجهاد فى البستان.

أما الصليب فقد رآه كثيرون. لأن موضع الجلجثة كان قريباً من أورشليم. ولكن التجلى فوق الصليب لم تلحظه إلا أعين الإيمان، وسوف يبقى الصليب تجلياً مخفياً، لا تراه إلا الأعين الأمينة فى تطلعها نحو السماء.

على الصليب تألق الحب فى أجلى معانيه.. الحب الذى يتألم بكل الفرح من أجل من يحب.. والذى يغفر بكل حب.. والذى يعطى بلا حدود، وإلى المنتهى "أحبهم إلى المنتهى" (يو١٣: ١).. الحب الذى احتمل العار، لأنه حب بلا افتخار.

وعلى الصليب تألق العدل، مُعلناً قداسة الله الكاملة، الرافضة للشر والخطية، فالله لم يشفق على ابنه حينما حمل خطايانا فى جسده، ليعلن الله رفضه للخطية فى حياة الإنسان، ولتظهر الخطية فى بشاعتها: خاطئة جداً "فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطية، ولأجل الخطية دان الخطية فى الجسد" (رو٨: ٣).

على الصليب تألق الابن فى طاعته الكاملة لأبيه السماوى، معلناً أن الطاعة هى الطريق إلى الانتصار على كل قوى الظلمة والشر الروحية.

وعلى الصليب تألق الكاهن الأعظم وهو يصلى من أجل غفران خطايا كثيرين، مقدماً الذبيحة التى بلا عيب "الذى بروح أزلى قدّم نفسه لله بلا عيب" (عب٩: ١٤).

على الصليب **تجلى الاتضاع**، الذى هو سر الغلبة الحقيقية على الشيطان.

فبالاتضاع (إخلاء الذات) صار التجسد الإلهى ممكناً للابن الوحيد الحبيب..

وبالاتضاع أخفى السيد المسيح لاهوته عن الشيطان الذى ملأ الحقد قلبه بشكل رهيب.

وبالاتضاع أرضى السيد المسيح قلب أبيه السماوى بسر عجيب.

وبالاتضاع قَبِل الآلام والتعيير وعار الصليب..

وبالاتضاع قَبِل الموت عنا ودخل القبر فى سكون مهيب..

لقد تصور إبليس فى حماقته وكبريائه أنه قد انتصر حينما عُلق السيد المسيح على الصليب، وحينما ذاق الموت.

وكان السيد المسيح قد وضع نفسه، حتى أنه قَبِل الموت فى صورة المهزوم من أعدائه.

ولكنه فى الحقيقة قد سحق الشيطان بموته، وبقوة صليبه المحيى. وداس الموت بقيامته من الأموات منتصراً.

كان الموت بالنسبة للسيد المسيح هو الطريق إلى الفداء والكفارة، والمصالحة بين الله والإنسان، ودينونة الخطية فى الجسد، وإعلان حب الله كاملاً على الصليب.. فكان فى حقيقته انتصارًا، وفى ظاهره هزيمة.

هكذا دائماً الاتضاع يسلك من خلال التخلى عن مظهر القوة، لكى يحقق جوهرها الذى يستطيع أن يتألق (يتجلى) كحق أبدى لا يزول، تفهمه عقول قد استنارت بالرب، مصدر الحق والحياة.

الباب السابع

فى الطريق إلى الصليب

ها نحن أخيراً، فى انبهار، نقترب بالتأمل من أحداث الصليب المجيدة حيث يبقى العقل هناك.. لكى تتخشع الروح وتتعبد فى حجال الملك.

مثال الطاعة

كانت خطية الشيطان هى الكبرياء، التى دفعت به إلى العصيان، والتمرد، وعدم الطاعة لله. أما السيد المسيح فمع كونه الابن الوحيد الجنس المساوى لأبيه فىكل صفات الجوهر الإلهى، فإنه أراد أن يقدم المثل والقدوة للملائكة والبشر -أى لكل خليقة عاقلة -فى الطاعة والخضوع الناشئ عن المحبة، ولهذا فقد أخلى ذاته، آخذاً صورة عبد ليمارس الطاعة كإنسان، مظهراً أن الخضوع للآب السماوى ليس فيه ضياع، بل هو المجد الحقيقى..

وبهذا أظهر السيد المسيح بطلان دعاوى الشيطان، هو ومن تبعه من الملائكة الذين سقطوا معه. ووضع الابن الوحيد ناموساً للمعرفة الحقيقية فى ملكوت الله.. جوهره التحرر من الكبرياء والغطرسة.

طريق الصليب

بدأ السيد المسيح مسيرته نحو الصليب، مثبتاً وجهه نحو أورشليم مدينة الملك العظيم.. الموضع الذى سُر الرب أن يُدعى اسمه فيه.. أورشليم التى كانت رمزاً لملكوت الله.

أظهر السيد المسيح أن الصليب والطريق إلى الملكوت هما شئ واحد، وقال لتلاميذه: "ها نحن **صاعدون إلى أورشليم** وابن الإنسان يُسلّم إلى رؤساء الكهنة والكتبة فيحكمون عليه بالموت، ويسلّمونه إلى الأمم لكى يهزأوا به، ويجلدوه، **ويصلبوه**، وفى اليوم الثالث يقوم" (مت٢٠: ١٨، ١٩). فالصعود إلى أورشليم (رمز الملكوت)، معناه الدخول فى طريق الصليب (الاتضاع، والطاعة الكاملة).

من الموت إلى الحياة

كانت خدمة الصليب هى البرهان الحقيقى على اتضاع السيد المسيح الكامل. فهو لم يقبل المحقرة والآلام فقط، بل قَبِل أيضاً أن يبدو مهزوماً أمام الموت.. مع أنه هو الذى هزم الموت الحقيقى بتواضعه.. هزم موت الخطية بطاعته الكاملة للآب.

قيل عن السيد المسيح "الذى فى أيام جسده إذ قدّم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يُخلّصه من الموت. وسُمع له من أجل تقواه" (عب٥: ٧).

حقاً لقد سمع الآب لابنه الحبيب المتجسد -كممثل للجنس البشرى- وأقامه حياً من الأموات ظافراً بالموت. وهو الذى قال بفم النبى مخاطباً الآب: "لأنك لا تترك نفسى فى الجحيم. ولا تدع قدوسك يرى فسادًا" (مز١٥: ١٠).

نحن نؤمن بالطبع أن السيد المسيح قد قام بقوة لاهوته، لأنه قال لليهود: "انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أُقيمه.. وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده" (يو٢: ١٩، ٢١).

ولكن الكتاب من جهة أخرى يؤكد دور الآب السماوى فى نصرة الابن الوحيد المتجسد على الموت، لأنه سرّ به لتواضعه وأقامه من الأموات "هذا أقامه الله" (أع٢: ٣٢).

وهنا نتذكر قول السيد المسيح: "**مهما عمل ذاك (الآب) فهذا يعمله الابن كذلك**" (**يو٥: ١٩**).

من بيت عنيا إلى الجلجثة

تبدأ أحداث الصلب بوصول السيد المسيح إلى بيت عنيا، وإقامته لعازر من الأموات، وتآمر اليهود عليه ليقتلوه، وسكب الطيب الناردين الكثير الثمن، على جسده والذى قال عنه إنه سُكِب على جسده لتكفينه، أو أنه ليوم دفنه قد حُفِظ. ودخوله أورشليم وديعاً راكباً على آتان وجحش ابن آتان كملك للسلام. ثم تناوله طعام الفصح مع تلاميذه وغسله لأرجلهم. وحديثه عن تسليم يهوذا الإسخريوطى له، وخروج يهوذا، وإعطائه جسده ودمه لتلاميذه. وجهاده وصلاته فى البستان، والقبض عليه بإيعاذ من يهوذا، ومحاكمته، وإهانته، وجلده، ووقوفه أمام بيلاطس. وخروجه حاملاً الصليب إلى الجلجثة حيث صلب بين لصين، وما أحاطه من تعييرات اليهود، واقتسام ثيابه، وتسليمه الروح فى يدى الآب بعد أن طلب الغفران لصالبيه.

أحداث بيت عنيا

بدأت أحداث الصلب بذهاب السيد المسيح إلى بيت عنيا، لإقامة لعازر من الموت.

وقد احتمل السيد المسيح -فى تواضعه- العتاب الذى وجهته إليه مرثا أخت لعازر مع أختها مريم لسبب تأخره عن الحضور إلى بيت عنيا لشفاء لعازر.

كانت الأختان قد أرسلتا إليه قائلتين فى عشم كبير: "يا سيد هوذا الذى تحبه مريض" (يو١١: ٣). "وكان يسوع يحب مرثا وأختها ولعازر. فلما سمع أنه مريض مكث حينئذ فى الموضع الذى كان فيه يومين. ثم بعد ذلك قال لتلاميذه: لنذهب إلى اليهودية أيضاً" (يو١١: ٥-٧).

تباطأ السيد المسيح فى الذهاب لشفاء لعازر، واحتمل أن يبدو مقصّراً فى واجبه نحو شخص يحبه. كما احتمل العتاب المؤثر من الأختين الحزينتين.. كل ذلك لكى تُنَفذ مشيئة الآب السماوى فى إقامة لعازر من الموت.
أبعاد الموقف

كانت معجزة إقامة لعازر من الموت هى السبب الذى جعل رؤساء كهنة اليهود والفريسيين يتآمرون فيما بينهم أن يقتلوا السيد المسيح "فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه. فلم يكن يسوع أيضاً يمشى بين اليهود علانية.. وكان فصح اليهود قريباً.. وكان أيضاً رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدروا أمراً أنه إن عرف أحد أين هو، فليدل عليه لكى يمسكوه" (يو ١١: ٥٣-٥٧).

ما أعجب اتضاع الرب المخلّص..! إذ أنه من أجل محبته لتلاميذه وللعازر، احتمل كل ذلك العناء، واحتمل أن يضطر للمشى فى الخفاء، كما لوكان خائفاً من اليهود..

بالطبع هولم يكن خائفاً منهم، ولكنه كان قد وضع فى نفسه أن لا يمسكوه قبل عيد الفصح.. لكى يُذبح فى يوم الفصح نفسه، إذ هو فصحنا الحقيقى. كذلك كان أمامه الكثير ليعمله من أجل كنيسته المحبوبة، قبل أن يسلّم نفسه لصالبيه.

لقد دفع السيد المسيح حياته ثمناً لإقامة لعازر من الموت، كما دفعها ثمناً لفداء كل أحبائه، مانحاً الحياة لكل من يؤمن بخلاصه العجيب.

لهذا يقول الكتاب "لأنكم قد اشتريتم بثمن، فمجدوا الله فى أجسادكم، وفى أرواحكم التى هى لله" (١كو٦: ٢٠).

"**لعازر حبيبنا قد نام**" (يو ١١: ١١)

فى حديث السيد المسيح مع تلاميذه عن إقامة لعازر.. **تكلّم بأسلوب غاية فى البساطة والاتضاع**. إذ قال: "**لعازر حبيبنا قد نام. لكنى أذهب لأوقظه**. فقال تلاميذه: يا سيد إن كان قد نام فهو يُشفى. وكان يسوع يقول عن موته. وهم ظنوا أنه يقول عن رقاد النوم. فقال لهم يسوع حينئذٍ علانية لعازر مات" (يو ١١: ١١-١٤).

تكلّم السيد المسيح عن إقامته للعازر من الموت بلغة بسيطة متواضعة، كأنه سوف يقيم من النوم شخصاً قد رقد. ولم يذكر للتلاميذ أن لعازر قد مات.. لم يحاول أن يتكلم بأسلوب الافتخار بعظيم الأعمال.. فالأعمال العظيمة تتكلم عن نفسها، ولا تحتاج إلى تفخيم وتعظيم.

ومن جهة أخرى، فإن السيد المسيح كان يريد أن يؤكد أن الأبرار لن يموتوا، ولكنهم سوف يرقدون، طالما أن المخلّص مانح الحياة سوف يعيدهم إلى الحياة مرة أخرى، بعد نوالهم الفداء بدمه الثمين. لهذا قال: "أنا هو القيامة والحياة" (يو ١١: ٢٥).

والكنيسة تبرز هذا المعنى فى أوشية الراقدين، وتقول فى صلواتها للرب {لأنه لا يكون موت لعبيدك بل هو انتقال}.

أفرح لأجلكم

وحينما أعلن السيد المسيح موت لعازر باللغة التى يفهمها التلاميذ، قال لهم: "أنا أفرح لأجلكم إنى لم أكن هناك، لتؤمنوا، ولكن لنذهب إليه" (يو ١١: ١٥).

كان السيد المسيح منشغلاً بإيمان التلاميذ.. لم يفكر فيما يخصه، بل فيما يخص غيره. لأن المحبة "لا تطلب ما لنفسها" (١كو١٣: ٥).

لم يصنع السيد المسيح معجزة إقامة لعازر من الموت ليرضى نفسه، بل من أجل خير التلاميذ والبشرية.. ليقود البشر إلى الإيمان بالقيامة والحياة، التى جاء ليهبها للمؤمنين بموته وقيامته وفدائه للبشرية.

خرج من عند الآب

أمام القبر، وقف ذاك الذى أخلى ذاته من أجل خلاصنا، ليصلّى إلى الآب، فى ضراعة وخشوع، وثقة واتضاع: "أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى. وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى. ولكن لأجل هذا الجمع الواقف قلت ليؤمنوا أنك أرسلتنى" (يو١١: ٤١، ٤٢).

أراد السيد المسيح أن يصلى قبل إتمام المعجزة، بصوت مسموع، ليبرز علاقته الجوهرية بالآب كمولود منه، وكيف أن الآب قد أرسله لخلاص العالم. وليؤكد أن ما سيفعله هو عطية من الآب.

لهذا قال السيد المسيح بحق فى صلاته قبل الصلب: "**أنا مجدتك** على الأرض. العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته.. **أنا أظهرت اسمك** للناس الذين أعطيتنى من العالم.. **والآن علموا أن كل ما أعطيتنى هو من عندك.. وهم قَبِلوا وعَلِموا يقيناً أنى خرجت من عندك. وآمنوا أنك أنت أرسلتنى" (يو١٧: ٤-٨).**

إن كل عطايا الآب هى عطايا الابن أيضاً، وكل عطايا الابن هى عطايا الآب.. كما قال السيد المسيح مخاطباً الآب: "كل ما هو لى فهو لك وما هو لك فهو لى" (يو١٧: ١٠).

" بكى يسوع " (يو ١١: ٣٥)

السيد المسيح فى تواضعه **بكى عند قبر لعازر،** حتى قال اليهود: "انظروا كيف كان يحبه. وقال بعض منهم: ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت" (يو١١: ٣٦، ٣٧).

لم يكتم السيد المسيح عواطفه البشرية، لأنه شابهنا فى كل شئ ماخلا الخطية وحدها. **وقد بكى** ليس فقط لتأثر عاطفته البشرية ببكاء مريم أخت لعازر والذين معها، ولكن **إشفاقاً على حياة الإنسان الذى سقط صريعاً أمام الموت الذى دخل إلى العالم بحسد إبليس.**

ظهرت محبة الله للإنسان فى بكاء السيد المسيح على موت لعازر، ورغبة الله الصادقة فى إعادة الحياة للبشر مرة أخرى. وما فعله السيد المسيح هو الترجمة المنظورة لمشاعر الرب الخفية من نحونا.

احتمل السيد المسيح فى اتضاع عجيب تهكم بعض من اليهود عليه بقولهم: "ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل هذا أيضاً لا يموت" (يو١١: ٣٧). وكان السيد المسيح قد تباطأ خصيصاً فى الحضور إلى بيت عنيا حيث كان لعازر المريض، لتظهر محبة الله للإنسان ورغبته فى إقامته من الموت.

لم يكن السيد المسيح يهتم برأى الناس وأقاويلهم، بل كان يهتم بتنفيذ مشيئة الآب السماوى.. ومن خلال الاتضاع حقق أعظم الأمجاد. فهكذا دائماً "من يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع" (مت٢٣: ١٢). هكذا علّم السيد المسيح وهكذا فعل.

لقد شاركنا السيد المسيح أحزاننا وآلامنا، وبكى معنا ومن أجلنا وعلى حالنا، كما هو مكتوب عنه: "محتقر ومخذول من الناس. رجل أوجاع ومختبر الحزن.. لكن أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها" (إش٥٣: ٣، ٤).

هنا نحس اقتراب الله الشديد من نحو الإنسان، ليس وهو يشاركه آلامه فقط (من خلال التجسد)، بل وهو يحمل عنه هذه الآلام.. لأنه هكذا يليق بالقلب الكبير أن يحمل أحزان الغير وآلامهم "لأنه لاقَ بذاك الذى من أجله الكل وبه الكل وهو آتٍ بأبناءٍ كثيرين إلى المجد، **أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام" (عب٢: ١٠).**

"ناردين خالص" (يو١٢: ٣)

اقترب الصليب "ثم قبل الفصح بستة أيام أتى يسوع إلى بيت عنيا حيث كان لعازر الميت الذى أقامه من الأموات. فصنعوا له هناك عشاء. وكانت مرثا تخدم، وأما لعازر فكان أحد المتكئين معه. فأخذت مريم مناً من طيب **ناردين خالص كثير الثمن**، ودهنت قدمى يسوع، ومسحت قدميه بشعرها. فامتلأ البيت من رائحة الطيب" (يو١٢: ١-٣).

هذه الرائحة العطرة هى رائحة موت السيد المسيح رائحة حياة لحياة فى الذين يخلصون ورائحة موت لموت فى الذين يهلكون (انظر ٢كو٢: ١٥، ١٦).

موت المسيح هو موت محيى، خالٍ من الفساد. لأنه قدوس بلا خطية. فالموت الذى ماته، قد ماته عن آخرين. وفاحت رائحة محبته بموته فداءً عنا.

لهذا قالت عروس النشيد "مادام الملك فى مجلسه، أفاح ناردينى رائحته" (نش١: ١٢).

وقالت أيضاً "لرائحة أدهانك الطيبة، اسمك دهن مهراق. لذلك أحبتك العذارى" (نش١: ٣).

لقد تصور يهوذا الإسخريوطى أن سكب الطيب على جسد السيد المسيح، هو نوع من الرفاهية، وانتقد هذا الوضع (انظر يو١٢: ٤، ٥).

ولكن السيد المسيح فى تواضعه كشف أن هذا الطيب هو لتكفينه، وهو علامة قبوله الموت ودخوله القبر بإرادته. فقبوله لتكفينه وهو حى قبل الموت، هو منتهى الاتضاع..

وقال السيد المسيح دفاعاً عن مريم التى سكبت الطيب: "**اتركوها. إنها ليوم تكفينى قد حفظته**" (يو١٢: ٧).

لقد حققت مريم أخت لعازر بمحبتها للسيد المسيح وبإرشاد من روح الله، تلك النبوءات الرائعة عن رائحة الناردين فى مجلس الملك "**أفاح ناردينى رائحته**" **(نش١: ١٢)**. وما أثمن تحقيق النبوءات فى نشر الإنجيل والبشارة المفرحة بالخلاص لكل العالم. إنه أثمن شئ فى الوجود أن يصدق البشر كلام الإنجيل.

وقد ظلت رائحة الناردين الخالص الكثير الثمن عالقة بجسد السيد المسيح حتى وهو على الصليب. لأن اسم المخلص هو دهن مهراق يجتذب بالحب إليه جميع شعوب الأرض الباحثة عن خلاص الله.

هوذا ملكك يأتيك وديعاً

تعوَّد الملوك أن يمتطوا الجياد المطهمة، أى أن يعتزوا بركوب الخيل عند دخولهم إلى مدينة ملكهم. خاصة حينما يدخل الملك دخولاً انتصارياً، ويحتفل الشعب بدخوله المنتصر..

هكذا دخل الملك المسيح إلى مدينة ملكه أورشليم فى يوم أحد الشعانين، وهو يستعد للفصح الحقيقى بتقديم نفسه ذبيحة عن حياة العالم، ليعبر المفديون من الموت إلى الحياة.

ولكنه لم يدخل راكباً على فرس أو على حصان، بل دخل راكباً على أتان وعلى جحش ابن أتان، كما هو مكتوب "ابتهجى جداً يا ابنة صهيون، اهتفى يا بنت أورشليم، هوذا ملكك يأتى إليك، **هو عادل ومنصور وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان.** وأقطع المركبة من أفرايم والفرس من أورشليم، وتُقطع قوس الحرب. ويتكلم بالسلام للأمم وسلطانه من البحر إلى البحر ومن النهر إلى أقاصى الأرض" (زك٩: ٩، ١٠).

دخل السيد المسيح راكباً على الأتان وليس الفرس، لأنه رئيس السلام لا الحرب. ولأنه ملك وديع ومتواضع القلب، فلا يهتم بمظاهر العظمة الخارجية، بل بالانتصار على العدو الحقيقى للإنسان الذى هو الموت، الذى جاء السيد المسيح ليحررنا من سلطانه.

كان الفرس يرمز إلى الحرب، مثلما قيل فى سفر الأمثال "الفرس معد ليوم الحرب. أما النصرة فمن الرب" (أم٢١: ٣١**)**. ولهذا شبه الرب النفس المجاهدة بقوة الفرس "لقد شبهتك يا حبيبتى بفرس فى مركبات فرعون" (نش١: ٩).

والسيد المسيح قد حارب الشيطان روحياً بقوة، وانتصر عليه حينما تجسد لأجل خلاصنا. ولكنه **حاربه وهو متشح بالاتضاع. فلم تكن عظمة السيد المسيح هى العظمة الظاهرة بل الخفية** "ثم رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض، والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكم ويحارب. وعيناه كلهيب نار، وعلى رأسه تيجان كثيرة، وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو. وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه كلمة الله" (رؤ١٩: ١١-١٣).

وأيضاً جنود السيد المسيح الذين يتبعونه، رآهم يوحنا الإنجيلى فى رؤياه وقال عنهم "والأجناد الذين فى السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض، لابسين بزاً أبيض ونقياً" (رؤ١٩: ١٤).
هكذا فمن الناحية المنظورة دخل السيد المسيح أورشليم راكباً على أتان وجحش ابن أتان، ولكنه من الناحية الروحية فقد كان يمتطى فرس الغلبة والانتصار على إبليس، فى أعظم معركة سجلتها البشرية، وخرجت منها منتصرة غالبة بدم الحمل كلمة الله المتجسد.

أوصنّا فى الأعالى

قال داود النبى فى المزمور: "من أفواه الأطفال والرضعان هيأت سُبحاً، من أجل أعدائك لتُسكت عدواً ومنتقماً" (مز٨: ٢).
وقد ردد الأطفال فى الهيكل تسبيحاً للرب يسوع المسيح فى يوم دخوله إلى أورشليم كملك مثلما سبحه التلاميذ والجموع "أوصنا لابن داود. مبارك الآتى باسم الرب أوصنا فى الأعالى" (مت٢١: ٩). "فلما رأى رؤساء الكهنة والكتبة العجائب التى صنع والأولاد يصرخون فى الهيكل ويقولون أوصنا لابن داود غضبوا. وقالوا له: أتسمع ما يقول هؤلاء؟ فقال لهم يسوع: نعم، أما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسبيحاً" (مت٢١: ١٥، ١٦).
فما معنى هذا التسبيح الذى تنبأ عنه داود النبى فى المزمور والذى رددته الجموع مع التلاميذ والأطفال فى يوم دخول السيد المسيح إلى مدينة أورشليم؟
إن كلمة "**أوصنا**" هى فى اللغة العبرية "**هوشعنا** □□□□□□□□□ " ومعناها "**خلّصنا**" وقد وردت أيضاً فى المزمور "يا رب **خلصنا** يا رب سهل طرقنا. مبارك الآتى باسم الرب. باركناكم من بيت الرب. الله الرب أضاء علينا. رتّبوا عيداً فى الواصلين إلى قرون المذبح" (مز١١٧: ٢٥-٢٧).
ومن كلمة "هوشعنا □□□□□□□□" جاءت تسمية أحد الشعانين. ويلاحظ أيضاً أن اسم الرب يسوع فى اللغة العبرية هو يهوشع أى "**يهوه خلّص**" كما قال الملاك: "تدعو اسمه يسوع لأنه **يخلص** شعبه من خطاياهم" (مت١: ٢١).

خلّصنا فى الأعالى

ولكن العجيب فى التسبيح الذى أودعه الروح القدس فى أفواه الأطفال فى ذلك اليوم حسب النبوة "من أفواه الأطفال والرضعان هيأت سُبحاً" (مز٨: ٢)، هو أنهم تكلموا عن **خلاص فى الأعالى** وليس على الأرض. والمقصود أنهم اعترفوا بالملك الآتى باسم الرب **ملكاً سمائياً** وليس أرضياً مثلما قال السيد المسيح لبيلاطس: "**مملكتى ليست من هذا العالم**" (يو١٨: ٣٦). فحينما هتف الجميع "مباركة مملكة أبينا داود الآتية باسم الرب" (مر١١: ١٠)، كانوا

يقصدون أن هذه المملكة هى مملكة سمائية. وهذا يختلف عما أراده ذوى النظرة المادية من اليهود أن يقيموا السيد المسيح ملكاً أرضياً.
بالإضافة إلى ذلك فإن عبارة "**خلّصنا فى الأعالى**" تعنى أن الخلاص المقصود ليس هو خلاصاً أرضياً من الاستعمار الرومانى فى ذلك الحين بل **خلاصاً سمائياً**.
"**خلصنا فى الأعالى**" تعنى أعطنا قبولاً أمام أبيك السماوى. وتعنى أعطنا مجداً وتسبيحاً فى وسط ملائكتك القديسين. أى خلّصنا من العار الذى لحق بنا بين السمائيين لسبب سقوط الجنس البشرى.

"**خلّصنا فى الأعالى**" تعنى أن يكون لنا غفرانٌ لخطايانا عند الآب السماوى، وأن يكون لنا ميراثٌ فى ملكوته الأبدى. عن هذا الغفران قال معلمنا يوحنا الرسول: "**إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب** يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً" (١يو٢: ١، ٢).

"**خلّصنا فى الأعالى**" تعنى أن نولد من فوق وأن تُكتَب أسماؤنا فى سفر الحياة الأبدية.

"**خلّصنا فى الأعالى**" تعنى أن تأتى ربوات من القوات السمائية لتساعدنا وتحارب معنا "فإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم، بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر، مع أجناد الشر الروحية فى السماويات" (أف٦: ١٢).
إن القوات الجوية والمظليين هم الذين يحسمون معارك الجيوش المتحاربة. والقوات الجوية والدفاع الجوى هم الذين يقومون بحماية سماء المعركة.
وبنفس الأسلوب نحتاج نحن إلى خلاص الله الروحى فى الأعالى فى معركتنا مع أجناد الشر الروحية فى السماويات. لذلك نهتف من أعماق قلوبنا "خلصنا فى الأعالى".

"**خلصنا فى الأعالى**" تحمل ضمناً نبوءة عن موت السيد المسيح معلقاً على خشبة الصليب أعلى الجلجثة. فهو بالفعل قد خلّصنا على قمة جبل أورشليم مدينة الله. وقال بفمه الإلهى: "أنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىّ الجميع" (يو١٢: ٣٢). وقال أيضاً لليهود: "متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أنى أنا هو" (يو٨: ٢٨).
"**خلّصنا فى الأعالى**" تحمل أيضاً نبوءة عن صعود السيد المسيح إلى السماء بعد قيامته المجيدة كما هو مكتوب فى المزمور "صعد الله بالتهليل، والرب بصوت البوق" (مز٤٦: ٥). ونبوءة عن دخوله الانتصارى كسابق لنا إلى

المقادس العلوية فى السماء "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعى أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد؟ الرب العزيز القدير، الرب القوى فى الحروب.. هذا هو ملك المجد" (مز٢٣: ٧-١٠) لقد صعد الرب وجلس عن يمين أبيه. وبهذا دخل إلى مجده. ويتغنى بذلك الكاهن فى القداس الغريغورى {أصعدت باكورتى إلى السماء}.

بالطبع لم يكن ممكناً للأطفال والتلاميذ والجموع أن ينطقوا بهذا التسبيح الفائق فى معانيه إن لم يكن هذا بوحى من الروح القدس الذى نطق على أفواههم بهذه العبارة العجيبة.

" نريد أن نرى يسوع " (يو١٢: ٢١)

دخل يسوع إلى أورشليم فى يوم أحد الشعانين "وكان الجمع الذى معه يشهد أنه دعا لعازر من القبر وأقامه من الأموات. لهذا أيضاً لاقاه الجمع لأنهم سمعوا أنه كان قد صنع هذه الآية" (يو١٢: ١٧، ١٨).

بعد ذلك جاء أناس يونانيون من الذين صعدوا ليسجدوا فى العيد "فتقدم هؤلاء إلى فيلبس الذى من بيت صيدا الجليل، وسألوه قائلين يا سيد **نريد أن نرى يسوع.** فأتى فيلبس وقال لأندراوس، ثم قال أندراوس وفيلبس ليسوع" (يو١٢: ٢١، ٢٢).

ربما فرح التلاميذ فى ذلك الحين بأن شهرة معلمهم سوف تنتشر فى العالم كله، وأنه سوف يلتقى بالحجاج الذين جاءوا من بلاد اليونان.. وكان السيد المسيح قد دخل إلى أورشليم ليقدّم نفسه ذبيحة عن حياة العالم.

لهذا أجاب السيد المسيح تلاميذه وقال لهم: "**قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان، الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت، فهى تبقى وحدها. ولكن إن ماتت، تأتى بثمر كثير**" (**يو١٢: ٢٣، ٢٤**).

لم يكن السيد المسيح يسعى نحو الشهرة، بل ثبت وجهه نحو الصليب.. هناك حيث يكون الفداء والخلاص للبشر.

لو انشغل السيد بنفسه، لما وُجدت الفرصة لينشغل بغيره، لهذا أعطى مثل حبة الحنطة التى إن ماتت فهى تأتى بثمر كثير..

لم يقبل السيد المسيح أن يبقى وحده.. لهذا مات فداءً عن كثيرين.. وأعطى جسده للتلاميذ قائلاً: "هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم" (لو٢٢: ١٩).

أعطاهم جسده المقدس الذى تألّم لأجلهم وهو حياة لهم، إذ قال: "من يأكلنى فهو يحيا بى" (يو٦: ٥٧).

بهذا أعطت حبة الحنطة نفسها للموت، فأثمرت للحياة قديسين كثيرين.

"**إن كان أحد يخدمنى فليتبعنى**" (يو١٢: ٢٦)

بعد أن تحدث السيد المسيح عن حبة الحنطة وموتها لكى تثمر، خيَّر التلاميذ بين أحد طريقين:

الأول: هو طريق الشهرة، والارتباط بمجد العالم والاستناد إلى سلطانه.

الثانى: هو طريق الصليب والموت عن العالم..

لهذا خاطبهم قائلاً: "**من يحب نفسه يهلكها، ومن يبغض نفسه فى هذا العالم، يحفظها إلى حياة أبدية. إن كان أحد يخدمنى فليتبعنى، وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمى**" **(يو١٢: ٢٥، ٢٦).**

أراد السيد المسيح لخدامه أن يسلكوا نفس الدرب الذى سلكه هو، أى طريق الصليب، مرتفعين بقلوبهم نحو الجلجثة.

لا يمكن أن تنجح الخدمة بعيداً عن الصليب: فالصبر صليب، والاحتمال صليب، والشهادة بكلمة الحق صليب، والسلوك فى طريق البر والفضيلة صليب، والطاعة والخضوع صليب، وإنكار الذات صليب، وممارسة المحبة الباذلة الحقة صليب، والسهر على الرعاية صليب..

الصليب هو العلامة، وهو الختم، وهو الجسر، وهو الملتقى، وهو سلاح الغلبة، وهو قوة الله للخلاص..

المسيحية ليس لها وجود بدون الصليب، بل هى بدون الصليب كالعُرس بلا عريس، وكالوليمة بلا ذبيح..

أهمية الصليب لخدام السيد المسيح

الصليب فى حياة خادم المسيح، هو التحرر من الأنا التى تستعبد الإنسان وتذله وتمنعه من أن يحب غيره..

الصليب هو الانفتاح على الآخرين بدافع الحب المقدس، والخروج من سجن الذات البغيض إلى حرية المحبة، التى تعرف كيف تقود غيرها نحو حياة القداسة..

الصليب هو الطريق إلى المجد الحقيقى.. وهذا يقودنا إلى تكملة حديث السيد المسيح: "**إن كان أحد يخدمنى يكرمه الآب**" **(يو١٢: ٢٦).**

الخادم الذى يتبع السيد المسيح فى طريق الصليب، يمنحه الآب السماوى الكرامة الحقيقية.

وهذه الكرامة هى **نعمة الروح القدس** الذى يمسح كلام الخادم، حتى يصير لكلامه سلطان أن يغيّر قلوب سامعيه..

الروح القدس يشفع بأنات لا ينطق بها فى صلوات الخادم، حتى تأتى صلاته إلى حضرة رب الجنود. فتكون صلاته مستجابة فى كل زمان ومكان حتى بعد تركه لهذا العالم، يستطيع أن يقدم الشفاعة التوسلية أمام الله عن كثيرين.

الروح القدس الذى يرافق كلام الخادم، ويتكلم فى قلبه، لينطق بحسب مشيئة الله، فتتحقق جميع كلماته، مثلما قيل عن صموئيل النبى "**كان الرب معه ولم يدع شيئاً من جميع كلامه يسقط إلى الأرض**" (١صم٣: ١٩).

ما أجمل أن ينال الخادم الكرامة الحقيقية من الآب السماوى، مثلما فعل السيد المسيح الذى رفض مجد الناس، واحتمل الآلام بسرور فى طاعة كاملة لله أبيه.

اختار تلاميذ السيد المسيح الأوفياء أن يتبعوا السيد المسيح كما أوصاهم، وحملوا الصليب من خلفه، وبذلوا حياتهم بفرح لأجل اسمه، فاستحقوا أكاليل المجد السماوى فى عملهم الرسولى العجيب.

ومن الجانب الآخر يحدثنا الإنجيل عن كثير من رؤساء اليهود الذين آمنوا بالسيد المسيح "غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به، لئلا يصيروا خارج المجمع. لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله" (يو١٢: ٤٢، ٤٣).

غسل الأرجل

رأينا السيد المسيح وسمعناه يتصرف باتضاع عجيب فى كل المواقف. وها نحن نراه الآن وهو يغسل أرجل تلاميذه.

كان الصليب بالنسبة للسيد المسيح، هو طريقه فى بناء الملكوت.. وكان الاتضاع هو طريقه نحو الصليب، وطريقه فى الصليب.

فقبل الصليب مباشرة، وضع السيد المسيح خدمة غسل الأرجل، كما سجلها لنا إنجيل القديس يوحنا: "أما يسوع قبل عيد الفصح، وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم إلى الآب. إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم أحبهم إلى المنتهى. فحين كان العشاء، وقد ألقى الشيطان فى قلب يهوذا سمعان الإسخريوطى أن يسلمه. يسوع وهو عالم أن الآب قد دفع كل شئ إلى يديه، وأنه من عند الله خرج، وإلى الله يمضى. **قام عن العشاء وخلع ثيابه، وأخذ منشفة واتزر بها. ثم صب ماء فى مغسل، وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان متزراً بها"** (يو١٣: ١-٥).

أراد السيد المسيح أن يوضح أن الهدف من صلبه هو غسل أرجل تلاميذه. بمعنى أن خدمة التطهير وغسل الخطايا، هى مسئوليته باعتباره الفادى والمخلص.

وقد ربط الوحى بشكل عجيب فى بشارة يوحنا بين الحب والاتضاع "إذ كان **قد أحب خاصته.. إلى المنتهى.. قام عن العشاء.. وابتدأ يغسل أرجل التلاميذ**" (يو ١٣: ١-٥).

المحبة الحقيقية تتحقق بالاتضاع.. والاتضاع يتألق بالمحبة، وكلاهما يلتقيان معاً فى بذل الذات وإنكارها.

سر التوبة والاعتراف

فى غسل الأرجل أسس السيد المسيح سر التوبة والاعتراف، الذى يسبق التناول من جسد الرب ودمه. ولكى يستفيد الإنسان من هذا السر، ينبغى أن يكون قلبه تائباً. وبهذا يتأهل للتناول باستحقاق من الجسد والدم الأقدسين. لهذا قال لبطرس وهو يغسل رجليه: "أنتم طاهرون، ولكن ليس كلكم. لأنه عرف مسلمه. لذلك قال: لستم كلكم

طاهرين" (يو١٣: ١٠، ١١). قال هذا عن يهوذا الإسخريوطى الذى كان حاضراً غسل الأرجل ولكنه لم يتناول من جسد الرب ودمه.

المثل الأعلى فى الاتضاع

وضع السيد المسيح لنا مثالاً لكى نقتفى أثر خطواته. وصنع لنا ما لا يخطر على البال. وقال للتلاميذ: "أعطيتكم مثالاً، حتى كما صنعت أنا بكم تصنعون أنتم أيضاً" (يو١٣: ١٥).

فى تواضعه العجيب انحنى وغسل أرجل تلاميذه.. وهو الذى يغطى الشاروبيم والسارافيم أرجلهم أمام بهاء عظمة مجده.

- ماذا رأيت أيها الساراف وماذا أبصرت؟.. وكيف افتكرت أيها الكاروب الممتلئ أعيناً وفهماً ومعرفة، حينما انحنى السيد المسيح نحو أرجل التلاميذ ليغسلها؟!..
- هل غطيت وجهك بجناحيك مما رأيته من المجد البهى، أم من الانسحاق؟ أم رأيت مجد التواضع باهراً يخطف العقل والبصر معاً، فهتفت قائلاً: إن السماء والأرض مملوءتان من مجدك الأقدس.
- وأنت يا سيدى يسوع المسيح: كنت تغسل أرجل تلاميذك فى وسط تسابيح الملائكة، تلك التى لم تشغلك إلى لحظة واحدة عن إتمام قصد محبتك.. مقدّماً الطاعة الكاملة لأبيك السماوى، الذى فرح قلبه بطاعتك الكاملة فى الجسد كخادم للخلاص..

"فلما كان قد غسل أرجلهم، وأخذ ثيابه واتكأ أيضاً قال لهم أتفهمون ما قد صنعت بكم. أنتم تدعوننى معلماً وسيداً، وحسناً تقولون لأنى أنا كذلك. فإن كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض" (يو١٣: ١٢-١٤).

الكاهن يغسل أرجل المعترفين فى سر التوبة والاعتراف. وهو يحتمل ضعفاتهم ويصلى عنهم، وينسحق أمام الرب بدموع لأجلهم.. وبدموع خدمته الكهنوتية يغسل أقدامهم من وسخ الخطية.

والخادم يغسل أرجل المخدومين بتعبه من أجل تطهير حياتهم.. بتعليمه.. بعظاته الممسوحة بالروح القدس. كما قال السيد المسيح: "أنتم الآن أنقياء لسبب الكلام الذى كلمتكم به" (يو١٥: ٣).

والإنسان المسيحى يغسل أرجل إخوته بتعامله معهم بمحبة واتضاع.. باحتمال ضعفاتهم.. بأن ينسب إلى نفسه خطاياهم.. لأن من يحمل خطايا غيره باتضاع ومحبة، يكون كمن ينحنى ويغسل أقدامهم.

السيد المسيح يواجهه خيانة يهوذا

كان شيئاً قاسياً جداً على قلب المخلص الرقيق الممتلئ بالحب، والممتلئ بأسمى معانى النُبل والإخلاص والوفاء، أن يواجه الخيانة من قِبَل أحد تلاميذه الأخصاء المقربين.

فى ذلك نتذكر قول الشاعر:

وظلم ذوى القُربى أشدّ غضاضةً   على النفس من وقع الحسامِ المهنَّدِ

ولكن السيد المسيح بالرغم من ذلك تعامل مع يهوذا بمنتهى الرفق، وبمنتهى الاتضاع.

@ "**أنت إنسان عديلى إلفى وصديقى" (مز٥٥: ١٣)**

عاش يهوذا مع السيد المسيح أكثر من ثلاثة أعوام متصلة، بعد أن اختاره السيد المسيح ضمن الاثنى عشر، ليكون معه، وليكون تلميذاً له، ولتصير له وظيفة رسولية. تلامس يهوذا مثل سائر التلاميذ مع السيد المسيح عن قرب، حسبما قال معلمنا يوحنا الإنجيلى؛ التلميذ الذى كان يسوع يحبه "**الذى سمعناه. الذى رأيناه بعيوننا. الذى شاهدناه ولمسته أيدينا**" (**١يو١: ١).**

استمع يهوذا إلى عظات السيد المسيح الممتلئة بالنعمة والحكمة والحياة، تلك التى شهدت لها الجموع، إذ كانوا يتعجبون من كلامه المؤثر العميق كقول المزمور عنه "انسكبت النعمة على شفتيك" (مز٤٤: ٢).

رأى يهوذا ما فى السيد المسيح من صفات روحية جميلة، تلك التى عبّر عنها القديس يوحنا فى إنجيله: "ورأينا مجده مجداً كما لوحيد من الآب، مملوءًا نعمةً وحقاً" (يو١: ١٤).

رأى معجزاته الفائقة للطبيعة، واستجابة الآب السماوى التلقائية له فى كل ما يطلبه، مثلما قال السيد المسيح مخاطباً الآب: "وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى" (يو١١: ٤٢).

رأى التفاف الناس حوله، ومحبتهم الجارفة له، وتجاوبهم مع تعليمه.. خاصة الخطاة الذين تركوا حياة الخطية.. حينما سمعوا مناداته بالتوبة لاقتراب ملكوت الله.

اختبر يهوذا عن قرب محبة السيد المسيح الفياضة نحوه ونحو الآخرين، ولمس وداعته ولطفه وعطفه وترفقه بالضعفاء.

كانت هناك عشرة وصداقة عجيبة بين السيد المسيح وتلاميذه الاثنى عشر. فكان يأكل معهم ويقيم معهم، ويأخذهم معه إلى الهيكل كما إلى الجبال والوديان، والحقول، وضفاف الأنهار والبحيرات، وفى السفن فى المياه. اصطحبهم

معه فى خلوات روحية بعيداً عن الجموع، يعلّمهم الصلاة، ويفسّر لهم الأمثال، ويقول لهم "قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السماوات" (مت١٣: ١١) كما اصطحبهم فى ترحاله؛ فى جولاته منادياً وكارزاً بملكوت الله.
بل أكثر من ذلك أعطاهم سلطاناً أن يصنعوا الأشفية والآيات والعجائب باسمه المبارك. وحتى الشياطين صارت تخضع لهم باسمه. وكان يقول لهم الأعمال التى أنا أعملها سوف تعملونها بل وأكثر منها.

@ **"الذى معه كانت تحلو لنا العشرة" (مز ٥٥: ١٤)**

أمام كل هذه العلاقة الوثيقة، والصداقة العميقة، اختلج قلب السيد المسيح فى أسى، وهو ينظر إلى خيانة التلميذ الذى باعه بثلاثين من الفضة.. بأبخس ثمن يمكن أن يُباع به إنسان.
وهنا نتذكر كلمات داود النبى فى المزمور التى كتبها بروح النبوة يصف بها مشاعر وأفكار مخلصنا الصالح وهو يواجه هذا الموقف المؤلم:
"**لأنه ليس عدوٌّ يعيّرنى فأحتمل، ليس مبغضى تعظّم علىّ فأختبئ منه. بل أنت إنسان عديلى إلفى وصديقى. الذى معه كانت تحلو لنا العشرة. إلى بيت الله كنا نذهب فى الجمهور.. ألقى يديه على مسالميه. نقض عهده. أنعم من الزبدة فمه وقلبه قتال. ألين من الزيت كلماته وهى سيوف مسلولة**" (مز٥٥: ١٢-١٤، ٢٠، ٢١).

كيف تصرف السيد المسيح باتضاع ؟
بمنتهى الحب، وطول الأناة، وبمنتهى الصبر والاتضاع تعامل السيد المسيح مع تلميذه الخائن يهوذا الإسخريوطى..
لم يكن السيد المسيح يرغب فى هلاك ذلك الصديق الذى كانت تحلو له العشرة معه..
دعنا إذن نبدأ القصة من أولها:

- كان يهوذا ميالاً نحو المال. وأراد السيد المسيح أن يعوّضه عن هذا الميل بطريقة سليمة، فسمح له أن يكون أميناً للصندوق "كان الصندوق عنده" (يو١٢: ٦).
- وبالرغم من ذلك، فقد أعمى الشيطان قلبه، وكان يسرق أموالاً من الصندوق. ولكن السيد المسيح أطال أناته عليه، ولم يفضحه فى وسط التلاميذ، مع أنه "كان سارقاً وكان الصندوق عنده، وكان يحمل ما يُلقى فيه" (يو١٢: ٦).
- وقد تطاول يهوذا بفكره وبكلامه على السيد المسيح، حينما سكبت المرأة طيباً من ناردين خالص كثير الثمن عليه، إذ قال: "لماذا هذا الإتلاف، لأنه كان يمكن أن يُباع هذا الطيب بكثير (بأكثر من ثلثمائة دينار –حسب إنجيل

معلمنا مرقس الرسول) ويعطى للفقراء" (مت٢٦: ٨، ٩، انظر مر١٤: ٥). "قال هذا ليس لأنه كان يُبالى بالفقراء. بل لأنه كان سارقاً، وكان الصندوق عنده وكان يحمل ما يلقى فيه" (يو١٢: ٦).

وبالرغم من هذا التذمر وهذا التطاول، فقد أجاب السيد المسيح باتضاع وأناة عجيبين وقال: "لماذا تزعجون المرأة، فإنها قد عملت بى عملاً حسناً.. فإنها إذ سكبت هذا الطيب على جسدى، إنما فعلت ذلك **لأجل تكفينى**" (مت٢٦: ١٠، ١٢). وأعلن الرب محبته الزكية من خلال قبوله الموت والتكفين..

لم يعيّر السيد المسيح يهوذا بأنه سارق للصندوق، ولأموال الفقراء.. بل قال: "الفقراء معكم فى كل حين. وأما أنا فلست معكم فى كل حين" (يو١٢: ٨، مت٢٦: ١١).

والعجيب أن هذا الموقف قد تكرر فى الأسبوع الأخير، مرة قبل الفصح بستة أيام (فى يوم السبت السابق للفصح)، ومرة قبل الفصح بيومين (فى يوم الأربعاء السابق للفصح). وفى المرة الثانية وصل تذمر يهوذا إلى ذروته.

كان يهوذا هو المذنب، وقام بقلب الحقائق.. ولكن السيد المسيح احتمل تطاوله عليه، وأجاب بطريقة موضوعية، دون أن يشهره أو يفضحه، وحتى لم يعاتبه فيما بعد على ما بدر منه، ولا ما هو فيه من طمع وجسارة.. بل أراد أن يعطيه الفرصة ليراجع نفسه فى ضوء الحقيقة التى كان هو أول من يعرفها.

أراد السيد المسيح أن يغلب الشر بالخير وأن يقدّم الإحسان للمسيئين إليه.. وحتى لم يحاول أن يفضحهم.. بل تركهم لعل ضمائرهم تبكتهم نتيجة لِما أظهره نحوهم من حب فى مقابل إساءتهم.

عجيب أنت يا رب فى اتضاعك، وفى احتمالك لأخطاء من أساءوا إليك يا قدوس!!

سلّم يهوذا نفسه للشيطان

فى الأسبوع الأخير أصيب التلاميذ بالقلق، لسبب ما سبق السيد المسيح فأنبأهم به، وهم صاعدون إلى أورشليم عن تسليمه إلى أيدى أناس خطاة فيجلدونه، ويصلبونه، ويقتلونه وفى اليوم الثالث يقوم (انظر مت٢٠: ١٨، ١٩)، وقبل الفصح بيومين أخبرهم بموعد صلبه (انظر مت٢٦: ١، ٢).

ولكن للأسف فقد كانت مشاعر حزن التلاميذ فى جانب، بينما كانت مشاعر يهوذا الإسخريوطى فى جانب آخر..

كانت محبة المال قد سيطرت تماماً على قلبه، وأعمى الشيطان بصيرته، وشعر أنه بصلب السيد المسيح سيفقد الصندوق الذى كان معه وسيتوقف عن الحصول على المال المسروق.

ضاعت آماله وأحلامه فى المجد والغنى والمملكة الأرضية، ولم ينظر بإيمان إلى القيامة المجيدة التى أنبأ بها السيد المسيح تلاميذه، ولا إلى الملكوت الروحى، ولا إلى ملكوت السماوات، وأمجاده الأبدية.

فقرر أن يبيع سيده ليربح من وراء موته مالاً، ويعوّض جزءًا مما سوف يفقده.

كانت الأرض والمسائل الأرضية هى شاغله، وليست الأبدية والسماويات.

ولعل فى هذا ما يبكّت السبتيين وشهود يهوه وكل أصحاب عقيدة الملكوت الأرضى للسيد المسيح.
عنيف هو الشيطان فى تأثيره على قلب من يقبل مشورته ونصائحه "وقد ألقى الشيطان فى قلب يهوذا سمعان الإسخريوطى أن يسلّمه" (يو١٣: ٢).

الشيطان يتآمر

كان للشيطان دور واضح فى التآمر على صلب السيد المسيح، وقد أخفى السيد المسيح لاهوته عن الشيطان لكى يتركه فى حماقته يتآمر ولكى يفضح شره وتآمره وعداوته لله وللإنسان بالصليب.
وقف حب الله وحكمته فى مواجهة كراهية الشيطان وحماقته. وانتصر الحب وانتصرت الحكمة، وافتضح الشيطان أمام الخليقة العاقلة من الملائكة والبشر القديسين.
عن هذا كتب معلمنا بولس الرسول مبيناً عمل السيد المسيح فى خلاصنا وفى الانتصار على الشيطان بالصليب "**إذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض الذى كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمّراً إياه بالصليب. إذ جرّد الرياسات والسلاطين أشهرهم جهارًا ظافراً بهم فيه**" (كو٢: ١٤، ١٥). والمقصود طبعاً بالرياسات والسلاطين أى الشيطان وكل قواته الشريرة كما كتب أيضاً "**فإن مصارعتنا ليست مع دمٍ ولحمٍ بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمة هذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات**" (أف٦: ١٢).
إذن لقد أشهر السيد المسيح الشيطان جهارًا وجرّده من سلطته ظافراً به فى الصليب. ولكن يلزمنا أن نفحص جانباً من مؤامرة الشيطان التى أدّت إلى صلب مخلصنا الصالح، والدور الذى لعبه فى هذه المؤامرة.

مؤامرة الخيانة

أوعز الشيطان إلى رؤساء اليهود أن يتآمروا على صلب السيد المسيح ولكن وقفت أمامهم بعض العقبات فكان الشيطان معيناً لهم فى تذليلها.
تكلّم إنجيل معلمنا لوقا البشير عن هذا الأمر فقال: "وقرب عيد الفطير الذى يُقال له الفصح. وكان رؤساء الكهنة والكتبة يطلبون كيف يقتلونه، لأنهم خافوا الشعب. **فدخل الشيطان فى يهوذا الذى يُدعى الإسخريوطى** وهو من جملة الاثنى عشر. فمضى وتكلّم مع رؤساء الكهنة وقواد الجند كيف يسلّمه إليهم. ففرحوا وعاهدوه أن يعطوه فضة. فواعدهم. وكان يطلب فرصة ليسلّمه إليهم خلواً من جمع" (لو٢٢: ١-٦).

هنا يظهر تدخل الشيطان واضحاً، حتى أنه دخل فى يهوذا الإسخريوطى حتى يُقَسِّى قلبه ويجعله يتورط فى هذه المؤامرة الشنيعة ويفرح أعداء السيد المسيح ويعدهم بتسليمه إليهم فى مكان خالٍ من الجماهير لأنه يعرف الأماكن الخاصة التى يذهب إليها مع تلاميذه.

ولكن دور الشيطان لم ينته عند هذا الحد لأنه لابد أن يكمل الطريق إلى النهاية، لئلا يتراجع يهوذا عن نيته الشريرة. لهذا استمر الشيطان يتعامل مع يهوذا فى كل مراحل المؤامرة.

ويوضح معلمنا يوحنا البشير ذلك عندما تحدث عن العشاء الأخير قبل صلب السيد المسيح حينما أكل الفصح مع تلاميذه فقال: "فحين كان العشاء، **وقد ألقى الشيطان فى قلب يهوذا سمعان الإسخريوطى أن يسلّمه**" (يو١٣: ٢).

فى هذه المرحلة كان السيد المسيح سيوجّه تحذيرات وإنذارات ليهوذا لكى لا يرتكب خطيته الفظيعة. وكان الأمر يحتاج إلى تقسية إضافية لقلبه من الشيطان لئلا يلين أمام الإنذارات المرعبة "**كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد**" (مت٢٦: ٢٤) هكذا فعل الشيطان فاستمر فى ترغيب يهوذا فى ارتكاب فعلته الشنعاء.

وعندما ابتدأ السيد المسيح يحدد من هو الذى سيسلمه كان الأمر محرجاً جداً بالنسبة ليهوذا الإسخريوطى أمام السيد المسيح وأمام التلميذ الذى كان يسوع يحبه. إذ أن يوحنا الحبيب حينما سأله: يا سيد من هو؟ "أجاب يسوع: هو ذاك الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه. فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطى. **فبعد اللقمة دخله الشيطان**.. فذاك لما أخذ اللقمة خرج للوقت وكان ليلاً" (يو١٣: ٢٦، ٢٧، ٣٠).

شئ عجيب جداً أن السيد المسيح حينما غمس لقمة الفصح اليهودى فى المرق حسب طقس الفصح وأعطاها ليهوذا ليأكلها؛ دخله الشيطان!!.

لقد خشى الشيطان أن يتراجع يهوذا أمام إنذارات السيد المسيح وأيضاً أمام موّدته كصديق لأنه أطعمه بيده الطاهرة "**ليتم الكتاب الذى يأكل معى الخبز رفع علىّ عقبه**" (يو١٣: ١٨).

لهذا لم يكتفِ الشيطان بأنه دخل فى يهوذا حينما ذهب وتواعد مع رؤساء الكهنة والكتبة أن يسلّم السيد المسيح إليهم خلواً من جمع فى مقابل ثلاثين من الفضة، ولا اكتفى الشيطان بأنه ألقى فى قلب يهوذا وقت العشاء أن يسلّم المسيح، بل دخله مرة ثانية حينما أعطاه السيد المسيح اللقمة. وحينئذ صمم يهوذا أن يتمم فعل الخيانة الرهيب. إن المشكلة ليست فى اللقمة التى أعطاها له السيد المسيح، ولكن المشكلة هى فى أنه قد فتح قلبه للشيطان ليدخل فيه مرارًا وتكرارًا وأن يضع فيه ما شاء من أفكار الطمع والتآمر والخيانة.

وهكذا فعل الشيطان أيضاً مع اليهود الذين لم يؤمنوا بالسيد المسيح كما كتب يوحنا الإنجيلى عنهم "ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به. ليتم قول إشعياء النبى الذى قاله يا رب من صدق خبرنا ولمن استعلنت ذراع الرب. لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا لأن إشعياء قال أيضاً: **قد أعمى عيونهم** وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم

ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم" (يو١٢: ٣٧-٤٠). فمن الذى أعمى عيونهم؟ إنه الشيطان الملقب بإله هذا الدهر كما كتب القديس بولس الرسول "الذين فيهم **إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين** لئلا تضئ لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذى هو صورة الله" (٢كو٤: ٤).

التآمر على تسليم السيد المسيح

كان رؤساء الكهنة يبحثون عن شخص يصير دليلاً لهم، ليلقوا القبض على السيد المسيح بعيداً عن الجموع، خوفاً من الشعب الذى استقبل السيد المسيح كملك عند دخوله إلى أورشليم فى يوم أحد الشعانين.

وقد سجّلت لنا الأناجيل هذه الأحداث كما يلى:

- "حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب إلى دار رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا. **وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع بمكر** ويقتلوه. ولكنهم قالوا ليس فى العيد لئلا يكون شغب فى الشعب" (مت٢٦: ٣، ٤).
- "وقرب عيد الفطير الذى يقال له الفصح. وكان رؤساء الكهنة والكتبة **يطلبون كيف يقتلونه. لأنهم خافوا الشعب.** فدخل الشيطان فى يهوذا.. **وكان يطلب فرصة ليسلمه إليهم خلواً من جمع**" (لو٢٢: ٣-٦).
- "وكان.. رؤساء الكهنة والفريسيون قد أصدروا أمراً أنه إن عرف أحد أين هو، **فليدل عليه لكى يمسكوه**" (يو١١: ٥٧).
- "وخرج مع تلاميذه إلى عبر وادى قدرون حيث كان بستان، دخله هو وتلاميذه. **وكان يهوذا مسلمه يعرف الموضع.** لأن يسوع اجتمع هناك كثيراً مع تلاميذه" (يو١٨: ١، ٢).

ولخّص القديس بطرس الرسول هذا الأمر بقوله المدوّن فى سفر أعمال الرسل: "كان ينبغى أن يتم هذا المكتوب الذى سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن **يهوذا الذى صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع** إذ كان معدوداً بيننا" (أع١: ١٦، ١٧).

كانت المسألة تحتاج إلى شخص يعرف جيداً تحركات السيد المسيح، ويحدد للذين يريدون أن يمسكوه المكان والزمان بعيداً عن الجموع. ولم يكن الأعداء يحلمون بأن يأتيهم واحد من تلاميذه ليكون دليلاً لهم. ولهذا فقد فرحوا جداً حينما وجدوا ضالتهم المنشودة فى شخص يهوذا الخائن.

والعجيب جداً أن قمة التصعيد فى نفسية يهوذا قد حدثت حينما ضاعت فرصته فى أن يحصل على ثمن الطيب الكثير الثمن الذى سكبته المرأة على السيد المسيح.

ولهذا فبمجرد أن نطق السيد المسيح بعبارته عن المرأة ساكبة الطيب: "الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يُخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها" (مت٢٦: ١٣). ذهب يهوذا بعدها مباشرة إلى رؤساء كهنة اليهود "حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر الذى يُدعى يهوذا الإسخريوطى إلى رؤساء الكهنة. وقال ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه إليكم. فجعلوا له ثلاثين من الفضة. ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه" (مت٢٦: ١٤-١٦).

لم يخرج يهوذا مندفعاً فقط من العلية فى ليلة العشاء الربانى من وسط التلاميذ، ولكن أيضاً فى اليوم السابق خرج من بيت سمعان الأبرص فى بيت عنيا.. وقد تركه السيد المسيح يذهب ولم يكشف تآمره لأحد مع أنه كان يعلم بكل تحركات يهوذا وبخيانته له و"بكل ما يأتى عليه" (يو١٨: ٤).

وفى العشاء الأخير

قال السيد المسيح لتلاميذه على مائدة الفصح: "**شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم.** لأنى أقول لكم إنى لا آكل منه بعد، حتى يكمل فى ملكوت الله" (لو٢٢: ١٥، ١٦).

لهذا حرص السيد المسيح جداً أن لا يعلم يهوذا بمكان إعداد الفصح وتأسيس سر العشاء الربانى، الذى أمر السيد تلاميذه أن يصنعوه لذكره إلى مجيئه الثانى، فى اليوم الأخير.

لم يرغب السيد المسيح فى أن يحرج يهوذا، أو أن يكشف أمره لباقى التلاميذ، أو أن يطرده بعيداً.. بل تركه حتى خرج مسرعاً قبيل تقديس الخبز والخمر فى سر القربان المقدس.

أخفى السيد المسيح مكان اجتماعه ليأكل الفصح مع تلاميذه عن جميع التلاميذ.. "فأرسل بطرس ويوحنا قائلاً: اذهبا وأعدا لنا الفصح لنأكل. فقالا له **أين تريد أن نعد؟** فقال لهما إذا دخلتما المدينة يستقبلكما إنسان حامل جرة ماء. اتبعاه إلى البيت حيث يدخل. وقولا لرب البيت يقول لك المعلم أين المنزل حيث آكل الفصح مع تلاميذى. فذاك يريكما علية كبيرة مفروشة، هناك أعدّا. فانطلقا ووجدا كما قال لهما. فأعدا الفصح" (لو٢٢: ٨-١٣).

حتى التلاميذ الذين أرسلهم لإعداد الفصح لم يكن معلوماً لهم المكان، وإنما أعطاهم علامة عجيبة لا يستطيع أى إنسان أن يستنتج منها شيئاً. وذهب التلميذان ووجدا كما قال لهما المعلم، وبقيا هناك حتى وصل السيد المسيح مع تلاميذه الباقين دون أن يلاحظ أحد لماذا فعل المعلم هكذا.

كان السيد المسيح يريد أن يمنح يهوذا فرصته الأخيرة ليأكل معه طعام عيد الفصح.. وأن يغسل له السيد المسيح رجليه مع باقى التلاميذ، وأن يوجه إليه التحذيرات الأخيرة، قبل أن يرتكب الخائن فعلته الشنعاء.

أراد السيد المسيح أن يؤجل خطية يهوذا إلى آخر فرصة ممكنة، فأخذه معه إلى العلية.. وغمس اللقمة بيده وأعطاه، لعله يشعر بالمودة والحب ولطف معاملة السيد المسيح له، الذى لم يحرمه من أن يأكل معه، بالرغم من تآمره عليه واتفاقه مع رؤساء الكهنة على تسليمه إليهم.

كيف لم تشعر يا يهوذا بترفق السيد المسيح بك، ورغبته الأكيدة فى خلاصك مثل الباقين، حينما قال لك إن "ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه" (مر١٤: ٢١)؟!!

بدأ السيد المسيح يوبخ يهوذا على ما أضمره فى قلبه من الشر، فقال لبطرس عند غسل الأرجل: "أنتم طاهرون ولكن ليس كلكم، لأنه عرف مسلمه. لذلك قال لستم كلكم طاهرين" (يو١٣: ١٠، ١١).

وقال أيضاً لتلاميذه ويهوذا فى وسطهم: "لست أقول عن جميعكم، أنا أعلم الذين اخترتهم. لكن ليتم الكتاب، الذى يأكل معى الخبز رفع علىَّ عقبه" (يو١٣: ١٨).

وحينما تذكر اللحظة الحاسمة، التى سوف تأتى حينما تصل خيانة يهوذا إلى قمتها، "**اضطرب بالروح، وشهد وقال الحق الحق أقول لكم إن واحداً منكم سيسلمنى**" (يو١٣: ٢١).

فى كل ذلك لم يشأ السيد المسيح أن يكشف يهوذا شخصياً لسائر التلاميذ، فقال: "واحد منكم".. وقال: "أقول لكم الآن قبل أن يكون، حتى متى كان تؤمنون أنى **أنا هو**" (يو١٣: ١٩).

كان ينبغى أن يخبرهم ليعلموا أنه سلّم نفسه للموت بإرادته وسلطانه، ولم يباغته شئ. لأن هذا هو دليل محبته، إذ بذل ذاته فداءً عن العالم. كان ينبغى أن يفهموا بعد أن يتم الفداء أنه هو الله الظاهر فى الجسد (انظر ١تى٣: ١٦).

لهذا أخبرهم ولكنه لم يعرِّض يهوذا للخطر فى وسط التلاميذ، ولم يخبرهم عن اسمه علانية، حتى "**حزنوا جداً** وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو يا رب" (مت٢٦: ٢٢). و"كان التلاميذ ينظرون بعضهم إلى بعض، وهم محتارون فى من قال عنه" (يو١٣: ٢٢).

وحتى حينما سأل يوحنا السيد المسيح سراً، لم يجبه بالاسم، لكى لا يلاحظ أحد.. بل أعطاه علامة فقط، وغالباً لم توجد فرصة لكى يخبر يوحنا أحداً بإجابة السيد المسيح قبل خروج يهوذا. لأنه خرج فوراً بعد إتمام تلك العلامة، وهذا ما أوضحه يوحنا فى إنجيله:

"وكان متكئاً فى حضن يسوع واحد من تلاميذه كان يسوع يحبه. فأومأ إليه سمعان بطرس أن يسأل من عسى أن يكون الذى قال عنه. فاتكأ ذاك على صدر يسوع، وقال له يا سيد من هو؟ أجاب يسوع هو ذاك الذى أغمس أنا اللقمة وأعطيه. فغمس اللقمة وأعطاها ليهوذا سمعان الإسخريوطى. فبعد اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة. **وأما هذا فلم يفهم أحد من المتكئين لماذا كلّمه به.** لأن قوماً إذ كان الصندوق مع

يهوذا، ظنوا أن يسوع قال له: اشتر ما نحتاج إليه للعيد، أو أن يُعطى شيئاً للفقراء. **فذاك لما أخذ اللقمه خرج للوقت.** وكان ليلاً. فلما خرج قال يسوع الآن تمجّد ابن الإنسان، وتمجّد الله فيه" (يو١٣: ٢٣-٣١).

لو كان بطرس قد علم بالأمر قبل خروج يهوذا، لما كان قد سمح له أن يخرج. ولكن المرجح أنه علم من يوحنا بعد خروج يهوذا، وبعد مرور وقت كاف لا يسمح لبطرس بتتبعه..

" ما أنت تعمله فاعمله بأكثر سرعة " (يو١٣: ٢٧)

الملاحظ هنا أن السيد المسيح قال هذه العبارة ليهوذا، على سبيل التوبيخ والإنذار للتوبة. لأن يهوذا هو الذى كان يتعجل أى فرصة مواتية، ليذهب سريعاً إلى رؤساء الكهنة الذين كانوا ينتظرون مجيئه بفارغ الصبر.

لم يقل له السيد المسيح "اذهب بسرعة لتسلمنى لليهود". ولكن قال: "**ما أنت تعمله**" تاركاً له حرية الاختيار بين أحد أمرين:

- إما أن يعمل عمل التوبة بسرعة فيتأهل للتناول من جسد الرب ودمه، إذ يترك عنه الخيانة ويبقى مع التلاميذ.
- أو أن يخرج سريعاً ويخلى المجال، ليتمكن السيد المسيح فى العلية من تأسيس سر العشاء الربانى، الذى لا يستحق يهوذا أن يشترك فيه، وبحيث يتم ذلك قبل القبض على السيد المسيح فى البستان.

وقد اختار يهوذا -كما سبق السيد المسيح وأنبأ- الخيار الثانى. وخرج للوقت لأنه كان قد سلّم قلبه بالكامل للشيطان.. وبعد خروجه ومعه شيطان قلبه، بدأ السيد المسيح فى تقديس القربان إذ قال "الآن تمجّد ابن الإنسان وتمجّد الله فيه" (يو١٣: ٣١). لم تكن لقمة الفصح اليهودى التى أعطاها السيد المسيح ليهوذا قبل خروجه هى السبب فى دخول الشيطان فيه. أما قول الكتاب "بعد اللقمة دخله الشيطان" (يو١٣: ٢٧)، فهو مرتبط بقوله السابق لهذا الأمر "وقد ألقى الشيطان فى قلب يهوذا سمعان الإسخريوطى أن يسلّمه" (يو١٣: ٢).

كان السبب الحقيقى لدخول الشيطان فى يهوذا، هو إصراره على الخيانة، بالرغم من محبة السيد المسيح وتحذيراته له. وتخلى النعمة عنه فى نهاية الأمر لأنه لم يستحقها، بل رفضها وبإصرار.. والنعمة لا تفرض وجودها على أحد..

أليس هذا هو ما حذر منه السيد المسيح من التجديف على الروح القدس؟.. وهو ما ينتج عن رفض التوبة وبإصرار إلى النهاية؟!

حسن التدبير

عامل السيد المسيح يهوذا الإسخريوطى بمنتهى الرفق والرقة، فى مقابل خيانته الشنيعة، وحتى حينما **حرمه السيد المسيح من التناول من الأسرار المقدسة،** فقد فعل ذلك بطريقة حسن التدبير، **وحسن اختيار الزمان والمكان.**
فبسابق علمه كان يعرف أن يهوذا يتحيّن الفرصة للذهاب لرؤساء الكهنة، ولا يرغب فى البقاء بعد انتهاء الفصح اليهودى، بل كان كل همه أن يعرف خط سير السيد المسيح.
أثناء الفصح اليهودى حذَّره السيد المسيح من الخيانة بقوله: "إن ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه، ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يُسلَّم ابن الإنسان. كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد" (مت٢٦: ٢٤).
كان التحذير شديداً وعميقاً ومؤثراً.. ولكن يهوذا لم يبالِ.. وحينما سأل يهوذا السيد المسيح "هل أنا هو يا سيدى" (مت٢٦: ٢٥). أجاب السيد المسيح وقال له: "أنت قلت" (مت٢٦: ٢٥).
بعد هذه التحذيرات قال السيد المسيح ليهوذا: "ما أنت تعمله، فاعمله بأكثر سرعة" (يو١٣: ٢٧). وبهذا ترك له حرية الاختيار بين البقاء والتراجع عن الخيانة، وبين الخروج الذى كان يهوذا يتعجله.
وكما رأينا، اختار يهوذا أن يخرج مسرعاً.. وهنا بدأ السيد المسيح فى تأسيس سر الشكر، وتقديس القربان والكأس التى للعهد الجديد. وذلك بعد أن خرج الذى أضمر خطية فى قلبه.
بكل هذا التدبير العجيب صنع السيد المسيح العشاء الربانى بعد خروج يهوذا.. وغالباً ظن يهوذا أن الفصح اليهودى لم يكن باقياً بعده سوى الختام والتسبيح.
كانت أقدس اللحظات قد أوشكت.. وخرج الخائن.. غير الطاهر (انظر يو١٣: ١٠، ١١)، وأصبح الجو مهيئاً ليمنح السيد المسيح أعظم عطية فى الوجود لتلاميذه.. وهو ما تقول عنه الترنيمة:

هذا عشا العريس قدّم للعروس   والوعد بالفردوس لحافظ العهد

فى بساطة واتضاع عجيبين أعطى السيد المسيح جسده لتلاميذه قائلاً: "خذوا كلوا هذا هو جسدى الذى يُبذل عنكم. اصنعوا هذا لذكرى" (لو٢٢: ١٩، انظر مت٢٦: ٢٦).
وسبق أن قال لهم: "من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىَّ وأنا فيه" (يو٦: ٥٦).
هؤلاء التلاميذ الضعفاء المساكين.. وهم قوم بسطاء وأغلبهم من الصيادين.. أعطاهم السيد المسيح سر حبه الأمين.. فى ليلة آلامه.. جسده الذى يقسم عنهم، ودمه الزكى الثمين الذى يسفك لأجل كثيرين.. وهو فرح جميع القديسين.
أعطاهم السيد المسيح عربون الحياة الأبدية، بيده الطاهرة الطوباوية، حين لم تعد للخيانة فى الحاضرين بقية.. مترفقاً بضعف الباقين الذين كانت محبتهم حقيقية، ولكنها كانت تنتظر قيامته القوية.

وهنا نتذكر ما كتبه **قداسة البابا شنودة الثالث** –أطال الرب حياة قداسته– عن القوة التى تمنحها القيامة فى أبيات ذهبية:

قم حطم الشيطان لا — تُبق لدولتـه بقـيـة

قم بشر الموتى وقل — غفرت لكم تلك الخطية

قم قـو إيمان الرعاة — ولِمّ أشـتـات الـرعيـة

واغفر لبطرس ضعفه — وامسـح دمـوع المجدلـيـة

واكشف جراحك مقنعاً — تـومـا فـريـبتـه قـويـة[٣]

[٣]) نظمت سنة ١٩٥١ م.

كانت خطية يهوذا فى خيانته هى عدم المحبة. أما باقى التلاميذ فى ضعفهم أثناء آلام السيد المسيح وصلبه، فكانت محبتهم تنتظر قوة وفاعلية الروح القدس، لكى تكون قادرة على هدم كل محاربات الشيطان..

هناك فرق بين الهزيمة والخيانة.. فالجندى الأمين فى الميدان من الممكن أن ينهزم وقتياً، ولكنه ليس من الممكن أن يخون..

مثل هذا الجندى يحتاج إلى معونة من قيادته القوية، سواء بالأجناد أو بالسلاح والعتاد. وهذا ما يفعله الله مع أولاده المخلصين الأمناء، إن انهزموا وقتياً فى ضعف، وصرخوا إليه طالبين المعونة لخلاصهم.

لماذا خان سيده

اختار السيد المسيح يهوذا الإسخريوطى وهو يعلم مسبقاً أنه سوف يخونه ويسلّمه لأعدائه من اليهود. ولكن بالرغم من ذلك فإن السيد المسيح حاول أن يثنيه عن خيانته وأنذره بعواقبها. ولكن يهوذا أصر على الخيانة ولم تنفع معه النصائح والإنذارات ولم يؤثر فيه العتاب والتوبيخ.

إن الرب يظل أميناً وفياً حتى ولو خانه أصدقاؤه. وقد تألم السيد المسيح كثيراً لسبب خيانة أحد تلاميذه له. وكان هذا من الأسباب التى جعلت **نفسه حزينة جداً حتى الموت فى ليلة آلامه.** ولكن بالرغم من ذلك فإنه قد اختار يهوذا الإسخريوطى ليكون واحداً من الاثنى عشر، ويؤدى دوره فى تسليم السيد المسيح وبهذا يصير وسيلة لتحذير كل تلاميذ الرب من الخيانة وبشاعتها.

وفى أسبوع الآلام تركِّز الكنيسة فى الخميس الكبير وقراءاته على واقعة خيانة يهوذا، وتمنع التقبيل لعدة أيام فى هذا الأسبوع المقدس استنكارًا للقبلة الغاشة التى سلّم بها يهوذا سيده ومعلمه إلى اليهود، الذين حكموا عليه بالموت وأسلموه إلى الرومان ليصلبوه.

وينبغى علينا أن نتنبه فى طقس البصخة المقدسة أن يهوذا لم يتناول من جسد الرب ودمه، بل أكل فقط من عشاء الفصح اليهودى وحينما غمس السيد المسيح اللقمة فى المرق وأعطاه، خرج للوقت. وبعدها بدأ السيد المسيح فى تقديس الخبز والخمر وتأسيس سر الإفخارستيا أى التناول المقدس. وقد سبق أن نشرت **مجلة الكرازة** مقالاً تفصيلياً بهذا الخصوص استنادًا إلى ما ورد فى الأناجيل الأربعة. كما أن **قداسة البابا شنودة الثالث** أطال الرب حياته قد نبّه مرارًا وتكرارًا أن يهوذا لم يتناول من جسد الرب ودمه. وكذلك فإن **المجمع المقدس** فى جلسته فى عيد العنصرة (يونيو ٢٠٠٢م) قد نبّه إلى تصحيح قراءات عظات قطمارس البصخة المقدسة واستبعاد العبارات التى تشير إلى تناول يهوذا من جسد الرب ودمه الأقدسين.

نبوات عن خيانة يهوذا

وردت نبوة عن يهوذا فى المزمور المائة والتاسع (مز ١٠٩: ٨) واقتبسها القديس بطرس الرسول فى حديثه عنه بعد انتحاره وعند اختيار متياس الرسول بدلاً منه والمذكور فى سفر أعمال الرسل (أع١: ٢٠) "**لتصر داره خراباً ولا يكن فيها ساكن وليأخذ وظيفته آخر**" وهذا المزمور يحوى كلاماً كثيراً عن يهوذا الإسخريوطى ويبدأ بعبارة "يا إله تسبيحى لا تسكت. لأنه قد انفتح علىّ فم الشرير وفم الغش.." (مز١٠٩ :١، ٢).

ويستطرد المزمور فيقول "فأقم أنت عليه شريراً وليقف شيطان عن يمينه. إذا حوكم فليخرج مذنباً وصلاته فلتكن خطية. لتكن أيامه قليلة ووظيفته ليأخذها آخر.. **من أجل أنه لم يذكر أن يصنع رحمة بل طرد إنساناً مسكيناً وفقيراً والمنسحق القلب ليميته. وأحب اللعنة فأتته ولم يسر بالبركة فتباعدت عنه**" (مز١٠٩: ٦–٨، ١٦، ١٧).

وهنا يكشف المزمور سر هلاك يهوذا الإسخريوطى فى عبارة "**وأحب اللعنة فأتته ولم يسر بالبركة فتباعدت عنه**" (مز١٠٩: ١٧).

أحياناً يحاول البعض أن يدافعوا عن يهوذا الإسخريوطى ويقولون إن يهوذا قد قدّم خدمة للبشرية بتسليمه السيد المسيح لليهود لكى يتم الفداء والخلاص. وأن السيد المسيح قد اختاره لهذا الغرض.

ولكن السيد المسيح أنذر يهوذا بأن الخلاص سيتم؛ من خلال خيانة يهوذا أو بدونها. ولكن ويل لمن يقوم بهذه الخيانة. وقد سجلت الأناجيل قول السيد المسيح هذا بحضور يهوذا: "**إن ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه.** ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يُسلَّم ابن الإنسان. كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد" (مت ٢٦: ٢٤).

وها هو أيضاً المزمور يوضح أن يهوذا قد "أحب اللعنة فأتته، ولم يسر بالبركة فتباعدت عنه" (مز١٠٩: ١٧).

وقد كشف المزمور بهذا مشاعر قلب يهوذا الداخلية أنه **أحب اللعنة**، ولذلك جاءته هذه اللعنة. أحب أجرة الظلم، وجاءت معها اللعنة. أحب الخيانة، وجاءت معها اللعنة. أحب مشورة الشياطين، وجاءت معها اللعنة. أحب مؤامرة الأشرار، وجاءت معها اللعنة.

كذلك فإنه **لم يسر بالبركة فتباعدت عنه.** لم يسر برفقة السيد المسيح، فتباعدت عنه البركة. لم يسر برفقة التلاميذ المخلصين، فتباعدت عنه البركة. لم يسر بحضور القداس الإلهى الأول، فتباعدت عنه البركة. لم يسر بمرافقة السيد المسيح ومشاركته فى ليلة آلامه، فتباعدت عنه البركة. لم يسر بحديث السيد المسيح عن صلبه وقيامته، فتباعدت عنه البركة. لم يسر بوظيفته الرسولية، فتباعدت عنه البركة. لم يسر بأن يصنع رحمةً بل طرد المنسحق القلب ليميته، فتباعدت عنه البركة.

ماذا نقول عنك يا يهوذا؟ لقد صرت نذيراً وتحذيراً لكل من تسول له نفسه الخيانة. لقد أحزنت قلب سيدك الذى قدّم لك الحب وصار يقول: "بدل محبتى يخاصموننى. أما أنا فصلاة. وضعوا علىّ شراً بدل خيرٍ، وبغضاً بدل حبى" (مز ١٠٩: ٤، ٥).

نهاية الخائن

بعد تسليم السيد المسيح، وصدور حكم مجمع اليهود عليه بالموت، لم يحتمل يهوذا الإسخريوطى أسلوب الرقة والمحبة التى عامله بها السيد المسيح من قبل.. ووضع الشيطان فى قلبه أن يمضى ويقتل نفسه.
وبالفعل إذ لم تكن فى قلبه محبة ولا اتضاع، لم يلجأ إلى السيد المسيح تائباً معتذراً عما بدر منه، بل مضى وشنق نفسه..

وهكذا نرى أن لطف الله وأناته الذى يقتادنا إلى التوبة، هو نفسه يصير سبب دينونة لنا، إن لم نتراجع عن خطايانا بقلوب ملؤها الحب والثقة فى الله.
عن ذلك قال معلمنا بولس الرسول: "غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك، وقلبك غير التائب، تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة" (رو٢: ٤، ٥).

كثير من الدروس نستطيع أن نتعلمها من خيانة يهوذا، وموقف الرب منه، ومعاملاته الممتلئة حنواً من نحوه، ومصيره الذى اختاره لنفسه وذهب إليه بإرادته..
أيها الرب يسوع المسيح، ليتنا نفهم شيئاً من سرك العجيب، فنتأملك بالدهش.. وتعجز كلماتنا عن أن تصف فضائلك يا ملك القديسين.
"**أرنا الآب وكفانا**" (يو١٤: ٨).

بعد العشاء الربانى، تكلّم السيد المسيح عن بيت الآب السماوى والطريق إليه. فسأله توما الرسول: "يا سيد لسنا نعلم أين تذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطريق؟" (يو١٤: ٥). فقال له يسوع: "أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتى إلى الآب إلاّ بى. لوكنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً. ومن الآن تعرفونه، وقد رأيتموه" (يو١٤: ٦، ٧).

وحينما تكلّم السيد المسيح عن معرفة التلاميذ للآب ورؤيتهم له، وهى تلك التى تحققت من خلال الابن الوحيد الله الكلمة المتجسد، بدأ فيلبس يطلب رؤية الله، متجاهلاً حضور السيد المسيح الذى قيل عنه "الله ظهر فى الجسد" (١تى٣: ١٦)، وقال متعجلاً: "**يا سيد أرنا الآب وكفانا**" (يو١٤: ٨).

جاء طلب فيلبس منافياً تماماً لكلمات السيد المسيح عن الله الآب: "ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه" (يو١٤: ٧)، ومنافياً لحضور السيد المسيح باعتباره **الله الظاهر فى الجسد** (انظر ١تى٣: ١٦).

ولكن عمانوئيل لم يغضب من هذا التجاهل لكلامه ولحضوره "الله معنا" (مت١: ٢٣) بل أجاب فى اتضاع وفى عتاب قائلاً: "أنا معكم زماناً هذه مدته ولم تعرفنى يا فيلبس؟! الذى رآنى فقد رأى الآب. فكيف تقول أنت أرنا الآب؟! ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىّ.." (يو١٤: ٩، ١٠).

ما قصده فيلبس بقوله: "أرنا الآب وكفانا" هو "أرنا **الله** وكفانا". وكأنه يجعل هناك فرقاً، أو فاصلاً بين السيد المسيح والله. أو أن الآب وحده هو الله، والسيد المسيح هو شاهد عن الله..

ولكن السيد المسيح أوضح له وللتلاميذ، أن الذى يرى المسيح فقد رأى الله الكلمة، الابن الأزلى.. والابن هو "**صورة الله غير المنظور**" **(كو١: ١٥)**. والمقصود أنه صورة **الله الآب** غير المنظور. فالذى يرى الله الكلمة الظاهر فى الجسد، يكون قد رأى الصورة الحقيقية لله الآب مثلما نقول أن الكلمة صورة العقل غير المنظور. وبهذا يكون قد رأى الله الآب. وقد قال أحد الفلاسفة: "كلّمنى فأراك".

وهذا ما عبّر عنه القديس يوحنا فى بداية إنجيله بقوله: "الله لم يره أحد قط. الإله الوحيد الجنس الذى هو فى حضن الآب هو خبّر" (يو١: ١٨).

أيقونة الثالوث

أشار قداسة البابا شنودة الثالث عدة مرات إلى الخطأ الذى أستُحدث فى القرون الأخيرة، ووقع فيه بعض الفنانين الغربيين، حينما رسموا أيقونة للثالوث القدوس، استخدمتها بعض الكنائس فى الغرب، يظهرون فيها الآب فى صورة إنسان كبير السن ذى لحية بيضاء، وعن يمينه الابن فى صورة شاب ذى لحية سوداء، والروح القدس فى هيئة حمامة بيضاء مضيئة.

وأوضح قداسته أن الابن باعتباره صورة الله الآب غير المنظور؛ فليس من الصواب أن يتم تصوير الآب بهذا الشكل! إن الآب "لم يره أحد قط" (يو١: ١٨). ولم نره إلاَّ فى ابنه الذى هو صورته.

كما أن اللحية البيضاء للآب، مع لحية سوداء للابن، قد تعطى انطباعاً بأن هناك فارقاً زمنياً فى الوجود بين الآب والابن، وهو ما ابتدعه أريوس الهرطوقى مدعياً أن الأزلية هى للآب وحده.

بينما نرى الكتاب المقدس يورد وصفاً للسيد المسيح فى السماء فى رؤيا يوحنا اللاهوتى: "وفى وسط السبع المناير شبه ابن إنسان متسربلاً بثوب إلى الرجلين، ومتمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب. **وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج.** وعيناه كلهيب نار. ورجلاه شبه النحاس النقى كأنهما محميتان فى أتون. وصوته كصوت مياه كثيرة. ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب. وسيف ماض ذو حدين يخرج من فمه ووجهه كالشمس وهى تضئ فى قوتها. فلما رأيته سقطت عند رجليه كميت فوضع يده اليمنى علىَّ قائلاً لى: لا تخف أنا هو الأول والآخر، **والحى وكنت ميتاً وها أنا حى إلى أبد الآبدين آمين.** ولى مفاتيح الهاوية والموت" (رؤ١: ١٣-١٨).

الذى رآه يوحنا هو السيد المسيح الذى مات حسب الجسد، وقام من الأموات، وصعد إلى السماوات حيث "**رفع فى المجد**" (١تى٣: ١٦).

وقد رأى يوحنا شعر رأس السيد المسيح وشعر لحيته وهما أبيضان كالصوف الأبيض كالثلج، علامة أنه قديم الأيام وأزلى مثل الآب تماماً، لأنه هو كلمة الله الذى له نفس الجوهر الذى للآب، والمولود منه قبل كل الدهور والأزمان. وليس من الممكن أن يوجد الله الآب بغير الكلمة الأزلى، إذ هو "قوة الله، وحكمة الله" (١كو١: ٢٤)، "الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين" (رو٩: ٥).

إن أجمل أيقونة للثالوث هى أيقونة عماد السيد المسيح حيث نرى السماوات مفتوحة، والروح القدس يحل على السيد المسيح بهيئة حمامة، والآب يشهد بصوته قائلاً "هذا هو ابنى الحبيب" (مت٣: ١٧).

السيد المسيح كمعلم للاهوت

لم يغضب السيد المسيح من كلام فيلبس. بل كمعلم سأله بطول أناة واتضاع: "الذى رآنى فقد رأى الآب. فكيف تقول أنت أرنا الآب ؟!" (يو١٤: ٩).

كان هدف السيد المسيح من كلامه هو أن يُصحح إيمان فيلبس وعقيدته اللاهوتية، حتى يمكنه أن يعرف الحق المؤدى إلى الحياة. فخاطبه بعدها قائلاً: "ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىّ؟" (يو١٤: ١٠).

ما أعجب السيد المسيح كمعلم للاهوت، وهو يدعو تلاميذه إلى المعتقد القويم والإيمان الحق ويقول متوسلاً فى حب واتضاع: "**صدقونى** أنى فى الآب والآب فىّ" (يو١٤: ١١).

"**لأن الآب نفسه يحبكم**" (يو١٦: ٢٧)

حينما اقتربت ساعة الصلب، بدأ السيد المسيح يكلّم تلاميذه عن أسرار عجيبة، ربما لم يكلمهم عنها من قبل. ولكن فى الوقت نفسه أشار إلى أيام آتية، يكشف لهم فيها مزيداً من الأسرار الإلهية.

قال السيد المسيح: "قد كلمتكم بهذا بأمثال، ولكن تأتى ساعة حين لا أكلمكم أيضاً بأمثال، بل أخبركم عن الآب علانية. فى ذلك اليوم تطلبون باسمى. ولست أقول لكم إنى أنا أسأل الآب من أجلكم. **لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتمونى.** وآمنتم أنى من عند الله خرجت" (يو ١٦: ٢٥-٢٧).

أراد السيد المسيح أن يشرح لتلاميذه كيف يسعى لإيجاد علاقة مباشرة بينهم وبين الآب. هذه العلاقة المباشرة لم يكن من الممكن أن توجد بدون الفداء، وإتمام المصالحة بين الإنسان والله. وتمتع الإنسان بنعمة الولادة الجديدة والبنوة لله فى المعمودية.

قبيل الصليب كان السيد المسيح منشغلاً بالعلاقة بين الله الآب والإنسان الذى تغرب عنه زمناً طويلاً.

وبدأ بكلامه يمنح التلاميذ تشوقاً لكى يتطلعوا نحو تلك الساعة، أو ذلك اليوم الذى يكلمهم فيه عن الآب علانية، بعد إتمام الفداء. ولكى يتطلعوا نحو ذلك اليوم الذى يطلبون فيه من الآب بدالة حقيقية.

أليس هذا ما نصلى به فى القداس الإلهى فى صلوات القسمة إذ نقول {لكى بقلب طاهر، ووجه غير مخزى، وإيمان بلا رياء، ومحبة كاملة.. **نجرؤ بدالة** بغير خوف، أن نصرخ نحوك أيها الآب القدوس الذى فى السماوات، ونقول: أبانا الذى فى السماوات..}.

منتهى الحب ومنتهى الاتضاع أن يقول السيد المسيح لتلاميذه "فى ذلك اليوم تطلبون باسمى. ولست أقول لكم إنى أنا أسأل الآب من أجلكم" (يو١٦: ٢٦). كان مسروراً جداً بإيجاد علاقة مباشرة بين تلاميذه وبين الآب. ولهذا استهان بكل ما كان ينتظره من آلام وخزى، فى سبيل تحقيق هذا الغرض النبيل.

حينما يصطلح الإنسان مع الآب بالتوبة وبدم السيد المسيح، تصير له الدالة أن يتخاطب مع الآب مباشرة. لذلك قال السيد المسيح: "لست أقول لكم إنى أنا أسأل الآب من أجلكم" (يو١٦: ٢٦).

ولكن "إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب، يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا" (١يو٢: ١، ٢).

غفران الخطية لا يتم إلا بشفاعة السيد المسيح الكفارية. ولهذا لا يمكن للإنسان أن يأتى إلى الآب إلا بالمسيح. والمسيح هو الذى يطلب من أجل مغفرة خطاياه..

أما باقى الطلبات التى تتبع المصالحة مع الآب وتترتب عليها، فمن الممكن أن يقدمها الإنسان للآب مباشرة باسم السيد المسيح.

لماذا يستجيب الآب ؟

شرح السيد المسيح ذلك بقوله: "**لأن الآب نفسه يحبكم. لأنكم قد أحببتمونى. وآمنتم أنى من عند الله خرجت" (يو١٦: ٢٧).**

محبة الله لنا تتحقق بمحبتنا للسيد المسيح وإيماننا به. هذا هو دليل قبولنا لمحبته ودخولنا إلى شركة الحب معه.

لهذا قال يوحنا المعمدان: "الآب يحب الابن، وقد دفع كل شئ فى يده. الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية" (يو٣: ٣٥، ٣٦).

وقال يوحنا الإنجيلى: "من اعترف أن يسوع هو ابن الله، فالله يثبت فيه وهو فى الله. ونحن قد عرفنا وصدقنا المحبة التى لله فينا. الله محبة ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه" (١يو٤: ١٥، ١٦).

وعن محبتنا لابن الله قال: "كل من يحب الوالد يحب المولود منه أيضاً" (١يو٥: ١).

جاء السيد المسيح لكى ينقل إلينا الحب الكائن بين الآب والابن منذ الأزل، أى الحب الكائن بين أقانيم الثالوث الآب والابن والروح القدس.

ولهذا قال فى مناجاته للآب قبل الصليب: "أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك. أما أنا فعرفتك. وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى. وعرفتهم اسمك وسأعرفهم، **ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به، وأكون أنا فيهم**" (**يو١٧: ٢٥، ٢٦**).

"أبى أعظم منى" (يو١٤: ٢٨)

بقدر ما أتعبت هذه الكلمات أريوس الهرطوقى، بقدر ما هى مفرحة لقلوب الودعاء والمتضعين..

قالها السيد المسيح فى بساطة واتضاع، عن حال كونه قد أخذ صورة عبد بالتجسد.. وإذ وُجد فى الهيئة كإنسان وضع ذاته.. (انظر فى٢: ٨).

فالسيد المسيح هو المثل الأعلى فى الاتضاع. وبالرغم من كونه هو أقنوم الابن الأزلى، المساوى لأبيه فى كل صفات الجوهر الإلهى، والأزلى مع الآب.. إلا أنه أخلى ذاته، آخذاً صورة عبد. ولم يكتفِ بذلك بل إذ وُجد فى الهيئة كإنسان، وضع ذاته وأطاع حتى الموت.

لهذا قدّم معلمنا بولس الرسول ما عمله السيد المسيح كمثال للاتضاع إذ قال:

"فليكن فيكم هذا الفكر الذى فى المسيح يسوع أيضاً. الذى إذ كان فى صورة الله، لم يحسب مساواته لله اختلاساً. لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس. وإذ وُجد فى الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (فى٢: ٥-٨).

إخلاء الذات : **(Kenosis)**

بهذه العبارات شرح معلمنا بولس الرسول حقيقة التجسد الإلهى.

فالابن الوحيد الأزلى إذ كان "فى صورة الله" (evn morfh|/ Qeou/ إن مورفى ثيئو) أخذ "صورة عبد" (morfh/n dou,lou مورفين دولو). هو لم يتغير عن طبيعته الإلهية، ولكنه أخلى نفسه (e`auto/n

evke,nwse هى أفتون إكينوسى): بمعنى أنه تخلّى عن أن يكون مجده الإلهى منظوراً على الأرض، حينما احتجب مجد اللاهوت فى الجسد.. إذ أخذ صورة عبد ووُجِد فى الهيئة (sch,mati سكيماتى) كإنسان.

لهذا قال السيد المسيح –حال كونه فى الجسد على الأرض– إن الآب أعظم منه..

بمعنى أنه إذ **أخلى نفسه** فإن صورة العبد هى المنظورة.. وبصعوده إلى السماء فسوف يدخل إلى مجده، أى إلى صورة الله التى أخلى نفسه منها مرحلياً أو وقتياً فى نظر من رآه فى حال تجسده على الأرض. وبهذا يدخل بجسد القيامة إلى حالة المجد التى تخص صورة الله.

لهذا قال لتلاميذه: "لوكنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أمضى إلى الآب. **لأن أبى أعظم منى**" (يو١٤: ٢٨). بمعنى أنهم ينبغى أن يفرحوا بعودته إلى السماء، حيث مجده الإلهى الأول الذى أخلى نفسه منه، إذ أخذ صورة عبد، لكى يضع نفسه ويطيع حتى الموت ويفتدى البشرية.

ويؤكد ذلك كله ما قاله السيد المسيح فى صلاته للآب قبيل الصليب: "أنا مجدتك **على الأرض**، العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته. **والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك، بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم" (يو١٧: ٤، ٥).**

أى أن رسالة السيد المسيح على الأرض كانت هى تمجيد الآب السماوى، وكان الابن قد أخلى نفسه ليتمم الفداء.

وبعد إتمام الفداء على الأرض، يصير صعوده إلى السماء هو الوسيلة التى يعلن بها الآب دخول السيد المسيح إلى مجده، حيث يظهر مع الآب فى الأقداس السماوية لأجلنا.. ويكون بهذا قد عاد إلى مجده الذى كان له قبل كون العالم، والذى لم يفقده بالتجسد بل أخفاه عن الناظرين إليه على الأرض ليتمم الفداء.

وقد عبّر القديس بولس الرسول عن هذه الحقيقة بقوله:

"**وبالإجماع عظيم هو سر التقوى: الله ظهر فى الجسد، تبرر فى الروح، تراءى لملائكة، كُرز به بين الأمم، أومن به فى العالم، رُفع فى المجد**" (١تى٣: ١٦).

فالله الظاهر فى الجسد، هو السيد المسيح الذى أخلى ذاته آخذاً صورة عبد. وهو نفسه رُفع فى المجد: لأنه "**كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده" (لو٢٤: ٢٦).**

وبهذا يتضح أن قول السيد المسيح: "**أبى أعظم منى**" يخص وجوده فى دائرة الإخلاء على الأرض. أما بعد عودته إلى مجده السماوى، فلا مجال لهذا القول على الإطلاق، إذ هو مساو لأبيه فى مجده الإلهى الأزلى.

" لم يحسب مساواته لله اختلاساً " (فى٢: ٦)

ونظراً لأن السيد المسيح لم يختلس الألوهية، ولا مساواته لله.. بل هو مولود من الآب بالطبيعة قبل كل الدهور، بنفس جوهر الآب الإلهى: **إذ له نفس الجوهر الذى للآب:**

o`mo ouvsion tw/ Patri, = هومو أوسيون تو باترى

Homo - ousion tou Patri = of the same Essence with the Father

لهذا أمكن أن يُخلى ذاته دون أن يخشى فقدان شئ من هذا الجوهر الإلهى. فمسألة الإخلاء تخص مجده الإلهى المنظور فقط، دون أن تتأثر طبيعته الإلهية أو تتغير بسبب الإتحاد الطبيعى والأقنومى بين اللاهوت والناسوت فى تجسد الكلمة.

الترجمة الإنجليزية لهذه الآية هى كما يلى حسب : King James Version

(Ph2:6). " Thought it not robbery to be equal to God"

أى لم يحسبه اختلاساً أن يكون معادلاً لله أو لم يحسب مساواته لله اختلاساً (انظر فى٢: ٦). كان إخلاء السيد المسيح لنفسه ضرورة حتمية للتجسد، وكان اتضاعه فى تجسده ضرورة حتمية لإتمام الفداء. وقد علّمنا بمثاله الصالح كيف يمكن تحقيق مقاصد الله من خلال الاتضاع، لكى ننجو نحن من سقطة الكبرياء التى لإبليس المعاند.

"**وتتركوننى وحدى**" (يو١٦: ٣٢).

فى ليلة آلام السيد المسيح؛ قال لتلاميذه: "هوذا تأتى ساعة وقد أتت الآن، تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته **وتتركوننى وحدى**، وأنا لست وحدى لأن الآب معى" (يو١٦: ٣٢).

من الأمور المؤلمة للقلب، أن يجد الإنسان نفسه وقد تخلّى عنه أصدقاؤه فى وقت الشدة والضيق..

فى ليلة آلامه فى البستان، عاتب السيد المسيح تلاميذه حينما ناموا ولم يسهروا معه حسب طلبه وقال لهم: "أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة؟!" (مت٢٦: ٤٠). وقد ورد هذا المعنى فى المزمور القائل "انتظرت رقة فلم تكن ومعزّين فلم أجد" (مز٦٩: ٢٠).

وكان السيد المسيح قد "ابتدأ يحزن ويكتئب" (مت٢٦: ٣٧) ويقول لتلاميذه: "نفسى حزينة جداً حتى الموت" (مر١٤: ٣٤).

كان من الطبيعى أن يحزن السيد المسيح على خطايا البشر جميعاً، وقد وُضعت على كاهله ليحملها عوضاً عنهم. إذ قيل عنه أنه هو "حمل الله الذى يرفع خطية العالم" (يو١: ٢٩). وقيل أيضاً "كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا" (إش٥٣: ٦).

لم يكن من السهل إطلاقاً أن يحمل البار ذنوب الخطاة، بل كان الثمن فادحاً جداً.. وكان الحزن هو التعبير الطبيعى عن المعاناة الكبيرة التى عاناها السيد المسيح لأجل خلاصنا.

"**أحزاننا حملها**" (إش٥٣: ٤)

لهذا قيل عن السيد المسيح فى آلامه، أنه "محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع ومختبر الحزن.. وكمستر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به. لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها، ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً" (إش٥٣: ٣، ٤).

وقف السيد المسيح أمام العدل الإلهى كمذنب، مستعد لتحمل العقاب ودفع الثمن. وكراعٍ صالح قال: "أنا أضع نفسى عن الخراف" (يو١٠: ١٥). وقال لتلاميذه: "ليس لأحد حب أعظم من هذا، أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو١٥: ١٣).

تحمل السيد المسيح الأحزان والأوجاع، التى ينبغى أن يتحملها الخاطئ حينما يشعر بفداحة ذنبه وجسامة خطاياه وبشاعتها. ولا يوجد مثل السيد المسيح فى إدراكه الكامل لبشاعة الخطية. هذا كله تحمله السيد المسيح، إلى جوار تحمله لآلام الجلد وإكليل الشوك والصلب، وتذوقه الموت لأجل كل واحد. وأضيف إلى ذلك ما احتمله نتيجة التعيير من البعض، والجحود أو التخلى أو الخيانة من البعض الآخر. وتم ما قيل عنه فى المزمور "عند كل أعدائى صرت عارًا، وعند جيرانى بالكُلية، ورعباً لمعارفى. الذين رأونى خارجاً هربوا عنى. نسيت من القلب مثل الميت. صرت مثل إناء متلف. لأنى سمعت مذمة من كثيرين.. تفكروا فى أخذ نفسى" (مز٣١: ١١-١٣).

لم يكن هناك من يستطيع أن يدفع ثمن خطايا البشرية سوى البار القدوس وحده، إذ جعل نفسه ذبيحة إثم. فهو الوحيد الذى يستطيع أن يتألم ويموت عوضاً عن آخرين، لأنه هو نفسه بلا خطية تستوجب الموت أو الإدانة.

"**دست المعصرة وحدى**" (إش٦٣: ٣)

وحينما قال لتلاميذه: "تتركونى وحدى"، لم يكن هذا فقط من جهة عدم قدرتهم على مساندته والسهر معه فى وقت الآلام. ولكن أيضاً لأنه لم يكن ممكناً لأى إنسان أن يحمل معه خطايا البشرية ويدفع ثمنها.. فكان السيد المسيح وحيداً فريداً "**هو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله**" (**رؤ١٩: ١٥**) موفياً العدل الإلهى حقه بالكامل.

لهذا قال بفم النبى: "**قد دست المعصرة وحدى**، ومن الشعوب لم يكن معى أحد" (إش٦٣: ٣).

لكن فى كل ذلك قال لتلاميذه: "أنا لست وحدى، لأن الآب معى" (يو١٦: ٣٢). لأن الآب والابن لا ينفصلان إطلاقاً.

أيها الآب مجد اسمك

حينما تكلم السيد المسيح مع تلاميذه عن مجيء ساعة آلامه وموته، إذ قال: "قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان" (يو١٢: ٢٣)، وقال إنه قد جاء إلى العالم لأجل هذه الساعة "لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة" (يو١٢: ٢٧)، تحوّل السيد المسيح من حديثه مع التلاميذ إلى مخاطبة الآب السماوى ورد عليه الآب من السماء كما يلى: "**أيها الآب مجد اسمك. فجاء صوت من السماء: مجدت وأمجد أيضاً**" (**يو١٢: ٢٨**).

ويلزمنا هنا أن نسأل عن علاقة قول السيد المسيح: "قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان" (يو١٢: ٢٣) بقوله للآب: "**أيها الآب مجّد اسمك**"، وما هى علاقة كل ذلك بآلام السيد المسيح وموته وقيامته من الأموات؟.

ويلزمنا أيضاً أن نسأل عن الاسم الذى قصده السيد المسيح حينما قال: "أيها الآب مجّد **اسمك**".

لقد أكّد السيد المسيح أهمية هذا الاسم الذى ردده كثيراً أى "**الآب**" لذلك ففى مناجاته قبل الصلب التى سجلها القديس يوحنا فى الأصحاح السابع عشر من إنجيله، رفع يسوع عينيه نحو السماء وقال: "**أيها الآب** قد أتت الساعة. مجّد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً" (يو١٧: ١). وفى نهاية هذه المناجاة العميقة قال: "أيها **الآب** البار إن العالم لم يعرفك. أما أنا فعرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى. **وعرفتهم اسمك** وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم" (يو١٧: ٢٥، ٢٦).

عرّفتهم اسمك

فى تكرار السيد المسيح لهذا اللقب الجميل "الآب" كشف عن حقيقة الثالوث القدوس، لأنه لا يوجد آب بغير ابن. وفى قوله للآب: "عرفتهم اسمك" يعنى أنه قد كشف هذه الحقيقة الرائعة وهى أن إله إبراهيم هو ليس مجرد إله فقط، بل هو **الآب وكلمته وروحه.**

الآب هو الأصل بغير بداية الذى منه يولد الابن قبل كل الدهور، ومنه ينبثق الروح القدس قبل كل الدهور، كما قال السيد المسيح عنه: "روح الحق الذى من عند الآب ينبثق" (يو١٥: ٢٦).

وكما شرح الآباء القديسون لا يوجد آب بغير ابن ولا ابن بغير آب ومن هنا نفهم ارتباط تمجيد الابن بتمجيد اسم الآب. لأننا حينما نرى مجد المحبة فى الفداء ونعلم أنه "هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد الجنس لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦) حينئذ ندرك أبوة الآب الحقيقية.

الآب يتمجد فى الخلاص الذى منحه للبشرية بواسطة ابنه الوحيد الجنس ربنا يسوع المسيح.

حينما تمجد ابن الله الكلمة الذى تجسد وتأنس من أجل خلاصنا وذلك بموته المحيى وقيامته من الأموات، حينئذ تمجد اسم الآب بواسطة ابنه الوحيد.

الآب هو ينبوع الحب وينبوع الحكمة وينبوع الحياة.. ونحن ندرك كل ذلك حينما ننال الحياة فى المسيح بفعل الروح القدس العامل فى الأسرار.

إن اسم "**الآب**" ليس مجرد لقب فخرى يعلن أبوة الآب للخليقة، ولكنه يعلن ما هو أعظم من ذلك بكثير. **فهو يعلن أن الله هو أبو ربنا يسوع المسيح، أى أن الآب له ابن خصوصى والأبوة فى الله ليست مستحدثة لسبب وجود الخليقة بل هى الخاصية الأقنومية للآب، والتى تعلن فى آن واحد أن الله هو ثالوث فى جوهر واحد، وجوهر واحد فى ثلاثة أقانيم غير منفصلة.**

وقد أشار القديس بولس الرسول إلى **أبوة الله بالنسبة لنا** فى فاتحة رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: "نعمة لكم وسلام **من الله أبينا** والرب يسوع المسيح" (١كو١: ٣)، وفى رسالته الثانية لأهل كورنثوس قال: "مبارك **الله أبو ربنا** يسوع المسيح" (٢كو١: ٣). وكرر نفس الأمر فى فاتحة الرسالة إلى أهل أفسس: "نعمة لكم وسلام من **الله أبينا** والرب يسوع المسيح. **مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح**" (أف١: ٢، ٣).

كذلك فى فاتحة رسالة أهل كولوسى كتب يقول: "نعمة لكم وسلام من الله أبينا والرب يسوع المسيح. **نشكر الله وأبا ربنا يسوع المسيح**" (كو١: ٢، ٣).

لذلك نلاحظ التأكيد على أبوة الله الآب للرب يسوع المسيح.. هذا هو الاسم الذى يتمجد حينما يتمجد الابن الوحيد.

أنت ابنى

وقد أوضح القديس بولس الرسول أهمية فهم هذه العلاقة بين الآب والمسيح فقال: "لأنه لمن من الملائكة قال قط: **أنت ابنى أنا اليوم ولدتك**. وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لى ابناً. وأيضاً متى أدخل البكر إلى العالم يقول: ولتسجد له كل ملائكة الله. وعن الملائكة يقول: الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار. **وأما عن الابن: كرسيك يا الله إلى دهر الدهور**" (عب١: ٥-٨).

إن القديس بولس الرسول فى اقتباسه من مزمور "**كرسيك يا الله إلى دهر الدهور**" (مز٤٤: ٦). قد أوضح أن المقصود بهذه العبارة هو **الله الابن**.

لذلك فإن تمجيد الابن هو تمجيد للآب، وتمجيد الآب هو تمجيد للابن لسبب وحدانية الجوهر الإلهى. **فمجد الآب والابن والروح القدس هو مجد إلهى واحد.**

وبهذا نفهم معنى الحوار الذى دار بين الابن والآب "أيها الآب مجد اسمك. فجاء صوت من السماء مجدت وأمجد أيضاً" (يو١٢: ٢٨) إنه وعد من الآب بتمجيد اسمه من خلال ابنه الوحيد "ليمجدك ابنك أيضاً" (يو١٧: ١). فالآب يمجد الابن ليتمجد الآب بالابن. **وهكذا يكون مجد المحبة الأزلية.**

المناجاة مع الآب فى ليلة الصلب

سجّل لنا القديس يوحنا فصلاً كاملاً عن مناجاة السيد المسيح للآب فى ليلة آلامه وصلبه، ونذكر منها العبارات التالية:

أ- " أنا مجدتك على الأرض " (يو١٧: ٤)

كيف مجّد الابن المتجسد أباه السماوى فى تجسده وظهوره فى العالم؟

عن هذا الأمر كتب القديس يوحنا فى إنجيله عن الكلمة الذى صار جسداً وحل بيننا "**رأينا مجده** مجداً كما لوحيد من الآب مملوءًا نعمةً وحقاً.. ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة. لأن الناموس بموسى أُعطى، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يو ١: ١٤، ١٦، ١٧).

إنها كلمات عجيبة قالها تلميذ الرب يوحنا الرسول: "رأينا **مجده** كما لوحيد من الآب" أى أن المجد الذى رآه التلاميذ هو ما يليق بابن الله الوحيد.

تُرى ما هو هذا المجد الذى عناه يوحنا، التلميذ الذى كان يسوع يحبه؟

هل يقصد رؤيته للسيد متجلياً على جبل طابور حينما صعد إلى الجبل ليصلى وأخذ معه بطرس ويعقوب ويوحنا "وتغيرت هيئته قدامهم، وأضاء وجهه كالشمس، وصارت ثيابه بيضاء كالنور" (مت١٧: ٢). ذلك المنظر الذى قال عنه القديس بطرس الرسول: "كنا معاينين عظمته. لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى هذا هو ابنى الحبيب الذى أنا سررت به. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء إذ كنا معه فى الجبل المقدس" (٢بط١: ١٦-١٨).

بلا شك أن هذه الرؤيا أو هذا المنظر قد ترك أثراً عميقاً فى أذهان الرسل الثلاث حينما أبصروا شعاعاً من مجد الابن الوحيد.

وقد كتب القديس بولس الرسول أن الله قد كلمنا فى ابنه، وقال عن ابن الله أنه هو "**بهاء مجده**" (عب١: ٣). باللغة الإنجليزية(Brightness of His Glory (K.J.V. أى "**لمعان مجده**"، بمعنى لمعان مجد الله الآب.

ولكن المسألة فى الحقيقة لم تكن قاصرة على منظر التجلى البديع وذلك فى ذهن القديس يوحنا الإنجيلى حينما كتب "ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب مملوءًا نعمةً وحقاً" (يو١: ١٤). لأنه من الواضح أنه قد ربط رؤيته لهذا المجد هو وغيره بما رأوه فى المسيح من ملء النعمة والحق.

إن الشيطان يستطيع أن يغير شكله إلى شبه ملاك نور، ويمكنه أن يبهر الناس بمناظر وأفعال خارقة. ولهذا فإن السيد المسيح لم يظهر مجده فقط بمنظره النورانى على جبل التجلى.. بل ظهرت ملامح هذا المجد فى كل جوانب سيرته وحياته.

وهنا نستطيع أن نميز بين المجد الزائف، والمجد الحقيقى، بين المجد الظاهرى والمجد الأصيل.

" فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً " (كو٢: ٩)

كتب معلمنا بولس الرسول عن السيد المسيح "فإنه فيه يحل كل ملء اللاهوت جسدياً " (كو٢: ٩).

لقد اتحد أقنوم الكلمة (اللوغوس) بالطبيعة البشرية الكاملة التى أخذها من العذراء مريم منذ اللحظة الأولى للتجسد. وبهذا صارت الصفات الإلهية جميعها هى من خصائص الابن المتجسد الذى تجسد بطبيعة واحدة تجمع خصائص

الطبيعتين، دون أن تتلاشى واحدة منها فى الأخرى. ولكن أمكن أن نرى كل صفات اللاهوت فى الابن المتجسد الواحد. لهذا قال السيد المسيح لتلاميذه: "الذى رآنى فقد رأى الآب" (يو١٤: ٩). وقال معلمنا بولس الرسول: "الله ظهر فى الجسد" (١تى٣: ١٦). لأن المسيح هو "صورة الله" (كو١: ١٥). وهذا يشرح قول القديس يوحنا الإنجيلى: "رأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب مملوءًا نعمةً وحقاً".

إن السيد المسيح "مملوءًا نعمةً وحقاً" ، وفيه "يحل كل ملء اللاهوت جسدياً".

رأى التلاميذ فى السيد المسيح صلاح الله، وبره، وقداسته، وخيريته، وطول أناته، ورحمته، ومحبته، وقوته، وسعيه لخلاص الناس، وما فيه من حق وعدل وحزم ورفض للشر..

تلامسوا مع وداعته ورقته وصفحه وغفرانه العجيب إلى المنتهى للخطاة التائبين من كل قلوبهم.

وتلامسوا مع عنايته بالمرضى والمعذبين وسعيه لإراحتهم، وهو يتحنن على الجموع ويشفق ويمنح الراحة للمتعبين، ويشبع الجياع فى الأماكن القفرة فى البرية.

وتلامسوا مع طول أناته معهم واحتماله لضعفاتهم كمبتدئين حتى يأتى بهم إلى القوة. واحتماله لجهلهم حتى يأتى بهم إلى المعرفة الحقة.

تلامسوا مع محبته إلى المنتهى وهو يبذل نفسه عنهم ويحتمل الآلام الرهيبة ليخلصهم من الهلاك الأبدى، كانت الجلدات على ظهر السيد المسيح هى شفاء لأوجاع خطايانا وتلذذات الخطية التى أفسدت طبيعتنا البشرية.

وتلامسوا مع سمو تعاليمه، واستمعوا إلى كلمات النعمة الخارجة من شفتيه وتؤثر فى السامعين بمنتهى القوة والعمق.. وكم كان يتكلم كمن له سلطان وليس كالكتبة.

تلامسوا مع الحق الذى فيه.. وهو الذى قال عن نفسه "أنا هو الطريق والحق والحياة". لم يظهر الحق ويعبّر عنه بصورة واضحة كما كان معلناً فى السيد المسيح. كان الحق الذى فيه أقوى من كل فعل أو كلام باطل للشيطان أو للناس الذين انساقوا وراء إبليس. ولهذا فقد شهد التلاميذ بقوة القيامة "حقاً قام" لأن القيامة كانت هى الحق الذى أشرق ليبدد كل مؤامرة الشيطان، وكل ظلم البشر الأشرار.

وتلامسوا مع الحق الذى فيه كرافض للشر والخطية فى حياة ذوى القلوب المتقسية الرافضة للتوبة. الأمر الذى تنبأ عنه يوحنا المعمدان بقوله: "والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر. فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار" (مت٣: ١٠).

تلامسوا مع قداسة الله فى شخص السيد المسيح.. الله القدوس الذى بلا خطية وحده.. وكان السيد المسيح هو الذى قال لليهود: "من منكم يبكتنى على خطية" (يو٨: ٤٦). **طهارة كاملة.. نقاوة كاملة.. سمو كامل.. صفاء عجيب.. بساطة متناهية.. قوة فى رفض الشر والصمود فى وجه الطغيان.. تحرر من الأهواء والنزعات..**

إنها أنشودة عجيبة تلك الكلمات الخالدة "**أنا مجدتك على الأرض**".. لأن مجد الآب قد ظهر فى ابنه الوحيد "ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب مملوءًا نعمةً وحقاً"..

وكان السيد المسيح فى كل ذلك يسعى دائماً لتمجيد أبيه السماوى وإظهار اسمه للناس. أى إظهار أنه "**هو الآب**" بالحقيقة. الآب الذى يتدفق الحب الأزلى بينه وبين الابن الوحيد.. الآب الذى هو أبو كل الأرواح وهو الأصل فى كل شئ وله ينبغى التمجيد مع ابنه الوحيد والروح القدس الآن وكل أوان وإلى الأبد آمين.

ب- " العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته " (يو ١٧: ٤)

كانت إرسالية الابن الوحيد إلى العالم هى بحسب تدبير الثالوث القدوس من أجل خلاص البشر وتمجيد اسم الله.

وقد قال السيد المسيح عن هذه الإرسالية بفم إشعياء النبى: "منذ وجوده أنا هناك، والآن السيد الرب أرسلنى وروحُهُ " (إش٤٨: ١٦).

كان التدبير الإلهى بمنتهى الحكمة والروعة والذكاء فى عمل الفداء.. فى إظهار قداسة الله الآب كرافض للشر.. وفى إظهار محبته كمعتنٍ بالخليقة.. وفى إظهار رحمته فى خلاص الخطاة.

كل ذلك قد كان كما قال معلمنا بولس الرسول: "لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب. الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا، حسب غنى نعمته التى أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة. إذ عرّفنا بسر مشيئته، حسب مسرته التى قصدها فى نفسه لتدبير ملء الأزمنة، ليجمع كل شئ فى المسيح ما فى السماوات وما على الأرض" (أف١: ٦-١٠).

هذا العمل الكبير، وهذا التدبير الإلهى المتقن لأجل خلاص البشرية.. وهو أمر يفوق العقول، وتنبهر له أفهام الملائكة السمائيين.. هو ما قصده السيد المسيح بقوله للآب "العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته" (يو١٧: ٤).

كان كل ما يشغل السيد المسيح فى خدمته، هو أن يصنع مشيئة الآب السماوى. وكان يقول لتلاميذه: "طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى وأتمم عمله" (يو٤: ٣٤). وقال أيضاً لليهود: "متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أنى أنا هو. ولست أفعل شيئاً من نفسى، بل أتكلم بهذا كما علمنى أبى. والذى أرسلنى هو معى، ولم يتركنى الآب وحدى. لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه" (يو٨: ٢٨، ٢٩).

وحينما استنكر اليهود قول السيد المسيح: "أنا والآب واحد" (يو١٠: ٣٠)، قال لهم: "إن كنت لست أعمل أعمال أبى، فلا تؤمنوا بى. ولكن إن كنت أعمل، فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال. لكى تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فىّ وأنا فيه" (يو١٠: ٣٧، ٣٨).

وعلى الرغم من تمايز دور كل أقنوم فى العمل، إلا أن العمل الإلهى هو واحد ومشترك، فالخلاص هو عمل الثالوث الأقدس وتدبيره، ولكن كل أقنوم كان له دوره المتمايز فى هذا العمل الواحد الكبير. فالآب بذل ابنه الوحيد إذ أرسله لخلاص العالم. والابن بذل نفسه على الصليب.. فهو الذى تجسد وصلب ومات وقام من الأموات. والروح القدس لم يكن غريباً عن الابن الكلمة المتجسد "الذى بروح أزلى قدّم نفسه لله بلا عيب" (عب٩: ١٤).

"الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه" (٢كو٥: ١٩). وبهذا تم الفداء على أكمل وجه.

حقاً لقد صنع السيد المسيح مشيئة الآب الذى أرسله "لذلك عند دخوله إلى العالم يقول ذبيحةً وقرباناً لم تُرِد، ولكن هيأت لى جسداً. بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر. ثم قلت **هانذا أجيء فى درج الكتاب مكتوب عنى لأفعل مشيئتك يا الله**" (عب١٠: ٥-٧).

لقد كان السيد المسيح فى صورة الله، ولم يحسب مساواته لله اختلاساً (انظر فى٢: ٦)، لأن جوهره هو هو نفس جوهر الآب.. ولذلك لأنه لم يختلس المساواة مع الله الآب "أخلى نفسه آخذاً صورة عبد، صائراً فى شبه الناس. وإذ وُجد فى الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (فى٢: ٧، ٨). "مع كونه ابناً تعلّم الطاعة مما تألم به" (عب ٥: ٨).

كان مجرد ظهور كلمة الله فى الجسد هو إخلاء للنفس لأنه إذ كان فى صورة الله، أخذ صورة عبد.

ولم يكتفِ بذلك.. بل إذ وُجد فى الهيئة كإنسان.. سلك بمنتهى الاتضاع خاضعاً.. مطيعاً.. وديعاً.. متواضعاً.. سُر به قلب الآب السماوى. وضع نفسه عن الخراف.. احتمل الذل والمهانة والعار عوضاً عن الخطاة.. حمل خطايا كثيرين.. وشفع فى المذنبين. مع أنه لم يعمل خطية ولم يوجد فى فمه غش، بل قدّم صورة مثالية للإنسان.. وكان قدوساً للقديسين.

لهذا قال عنه الآب فى سفر إشعياء: "هوذا عبدى الذى أعضده، مختارى الذى سُرَّت به نفسى. وضعت روحى عليه فيُخرِج الحق للأمم.. إلى الأمان يُخرج الحق.. وتنتظر الجزائر شريعته" (إش٤٢: ١-٤، انظر مت١٢: ١٨، ٢٠، ٢١).

لقد انبهرت عقول وأفهام الجميع، ممن فى السماء ومن على الأرض من كل ما صنعه الابن الوحيد، الذى صنع كل مشيئة الآب وأكمل عمله.

ج- " أنا أظهرت اسمك للناس " (يو١٧: ٦)

قال السيد المسيح للآب: "**أنا أظهرت اسمك للناس**" (يو١٧: ٦). وقال له أيضاً: "**وعرفتهم اسمك** وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم" (يو١٧: ٢٦). وهذا القول الأخير قاله عن تلاميذه القديسين الذين طلب من الآب من أجلهم لكى يكونوا معه فى مجد ملكوته.

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هنا: ما معنى أن السيد المسيح قد أظهر اسم الآب للناس؟

فى الحقيقة إن الله كان معروفاً قبل مجيء السيد المسيح فى الجسد باسم "يهوه" وهو دلالة على الكينونة، وباسم "أدوناى" بمعنى السيد، وبأسماء أخرى كثيرة كان اليهود يوقرونها بأساليب متنوعة.. ولكن كلها تشير إلى السيد الكائن القدير الذى هو الإله الحقيقى بين جميع الآلهة.

أما الاسم الذى كان يحلو للسيد المسيح أن يطلقه عليه فهو اسم "الآب" لأن السيد المسيح قد أظهر لنا معرفة الثالوث القدوس.

فالله الآب هو أبو ربنا يسوع المسيح. وليس هناك آب بدون ابن ولا ابن بدون آب.

وتعبير "**الآب**" يشرح العلاقة الأزلية القائمة على الحب بين الآب وابنه الوحيد كلمة الله المولود من الآب قبل كل الدهور. وهو نفس الحب المتبادل بين الأقانيم الثلاثة: الآب والابن والروح القدس المنبثق من الآب.

كما أن تعبير الآب وهو من الناحية اللغوية يعنى "الأصل" إلا أنه يشير إلى أبوة الله التى تتحقق أزلياً بولادته للابن الوحيد، كما أنها تتحقق فى الزمن بعنايته ومحبته للخليقة.

لقد أعلن السيد المسيح أبوة الله العجيبة حينما قال لنيقوديموس: "لأنه هكذا أحب **الله** العالم حتى بذل **ابنه الوحيد الجنس** لكى لا يهلك كل من يؤمن بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦).

والمقصود فى هذه العبارة أنه إلى هذه الدرجة غير الموصوفة أحب **الله الآب** العالم حتى **بذل ابنه الوحيد الجنس**.

كان أعظم إعلان عن أبوة الله الحقيقية هو فى سعيه من أجل خلاص البشر، بالرغم من التعدى والسقوط الذى حدث بغواية إبليس.

وقد تغنى إشعياء النبى بهذه الحقيقة فقال: "هوذا الله خلاصى فأطمئن ولا أرتعب لأن ياه يهوه قوتى وترنيمتى وقد صار لى خلاصاً. فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص" (إش١٢: ٢، ٣).

إن يسوع هو يهوه المخلص وهذا هو معنى اسمه فى اللغة العبرية "**يهوه خلّص**". كما قال الملاك: "وتدعو اسمه يسوع لأنه يخلص شعبه من خطاياهم" (مت١:٢١).

ومعنى كلمة إشعياء أن "يهوه قد صار لى خلاصاً" أى أن الله هو نفسه صار لنا خلاصاً، والمقصود هنا "**الله الابن**" أى "الله الكلمة" الذى تجسد وصار لنا خلاصاً.

فالله الآب قد أحب العالم وأرسل ابنه الوحيد الذى هو الله الكلمة بالحقيقة. وكان السيد المسيح يردد دائماً عبارة " **أنا هو**" وهى نفسها "□□□□□□ أهيه" باللغة العبرية أو "VEgw, eivmi إيجو إيمى" باللغة اليونانية، وهى "I am he" باللغة الإنجليزية فى ضمير المتكلم فى الزمن المضارع.

وتصير "□□□□□ **يهوه**" بمعنى "كائن" أو "هو يكون He is" فى ضمير المفرد الغائب فى الزمن المضارع.

من كان يستطيع أن يظهر الله غير المنظور إلا كلمة الله الذى ظهر فى الجسد معلناً أبوة الله الحقيقية.

لهذا قال السيد المسيح: " أنا أظهرت اسمك للناس" (يو١٧: ٦).

وإظهار هذا الاسم ليس هو مجرد فكرة يفهمها الإنسان، ولكنها حياة يختبرها ويتذوقها إذا فتح قلبه للإيمان بالمسيح.

لهذا قال عن تلاميذه: "عرفتهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم" (يو١٧: ٢٦).

إن معرفة اسم الآب هو بداية انفتاح قلب الإنسان ليتدفق فيه نهر الحياة.. ذلك الحب العجيب المتدفق **الذى يختبره الإنسان حينما** يحب الآب بالابن فى الروح القدس.

د- " وهم قبلوا وعلموا يقيناً أنى خرجت من عندك " (يو١٧: ٨)

ما أجمل أن يتكلم السيد المسيح عن إيمان التلاميذ اليقينى بخروجه من الآب أى بولادته الأزلية. وبإرساله إلى العالم "**علموا يقيناً أنى خرجت من عندك. وآمنوا أنك أنت أرسلتنى**" **(يو١٧: ٨)**.

كلمة الله له ميلادان:

الميلاد الأول: أزلى بولادته من الآب قبل الدهور حسب لاهوته.

والميلاد الثانى: فى الزمن بولادته من العذراء مريم فى ملء الزمان بحسب ناسوته (إنسانيته).

فعبارة "**خرجت من عندك**" تشير إلى الميلاد الأزلى بنفس جوهر الآب غير المنقسم.

وعبارة "**أنك أنت أرسلتنى**" تشير إلى الميلاد البتولى من العذراء مريم بجوهر مساوٍ لنا بلا خطية.

فى ميلاده الأزلى وُلد من الآب بحسب لاهوته بغير أم.

وفى ميلاده الثانى وُلد من العذراء بحسب ناسوته بغير أب.

والذى ولد من الآب أى ابن الله الأزلى صار هو هو نفسه ابناً للإنسان بولادته من العذراء مريم. فابن الله هو نفسه ابن الإنسان كما يقول معلمنا بولس الرسول "**يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد**" **(عب١٣: ٨)**.

وفى رسالة القديس **كيرلس الكبير** إلى **فاليريان** أسقف **أيقونية؛** أكد القديس كيرلس هذه المعانى فى دفاعه عن البطريرك يوحنا الأنطاكى وأساقفته بعد المصالحة التى أعاد بها القديس كيرلس الوحدة بين أنطاكية وباقى الكراسى الرسولية سنة ٤٣٣م (بعد المجمع المسكونى الثالث فى أفسس سنة ٤٣١م) فكتب يقول:

[أوضح الأساقفة خائفو الله فى الشرق كله مع سيدى يوحنا، أسقف أنطاكية الكلى المخافة لله، باعتراف مكتوب واضح للجميع أنهم يدينون الابتداعات التى لنسطور ويحرمونها معنا، وأنهم لم يعتقدوا أبداً أنها تستحق أى اعتبار، بل يتبعون العقائد الإنجيلية الآبائية ولا يمسون على الإطلاق اعتراف الآباء.

لأنهم اعترفوا أيضاً معنا أن العذراء القديسة هى والدة الإله (ثيئوتوكوس)، ولم يضيفوا أنها والدة المسيح (خريستوتوكوس) أو والدة الإنسان (أنثروبوتوكوس) كما يقول هؤلاء الذين يدافعون عن آراء نسطور البائسة.. بل يقولون بوضوح أنه يوجد مسيح واحد، وابن ورب واحد. الله الكلمة المولود بطريقة تفوق الوصف من الله الآب قبل كل الدهور، وأنه ولد فى الأيام الأخيرة من امرأة بحسب الجسد. وبهذا يكون إله وإنسان فى نفس الوقت. كامل اللاهوت، وكامل الناسوت. ويؤمنون أن شخصه واحد، دون أن يقسموه بأى شكل إلى ابنين أو مسيحين أو ربين].

وفى نفس الرسالة شرح القديس كيرلس **سبب تسمية العذراء "والدة الإله"** وذلك لأن كل ما يخص جسد كلمة الله يُنسب إليه لأنه جسده الخاص. وهكذا يُنسب إلى كلمة الله الولادة من العذراء مريم وأيضاً الآلام التى احتملها بشخصه من أجل خلاصنا بحسب الجسد مع أنه بحسب لاهوته غير متألم.. كتب القديس يقول:

[من المعترف به أن الإلهى -لأنه بلا جسد- لا يُمس ولم يُمس على الإطلاق، لأن الإلهى يفوق كل خليقة، منظورة وعقلية، وطبيعته غير جسدانية، طاهرة بلا عيب، لا تُمس ولا تُدرك. ولأن كلمة الله الابن الوحيد الجنس، بعدما أخذ جسداً من العذراء القديسة وجعله خاصاً به - كما قلت قبلاً مرة ومرات- بذل نفسه رائحة سرور لله الآب كذبيحة بلا عيب، لذا تأكد (لنا) أنه احتمل عنا ما حدث لجسده، فكل ما حدث للجسد يُنسب بصواب إليه، فيما عدا الخطية. لأنه (أى الجسد) جسده هو الخاص به His Own body، وبالتالى، لأن الله الكلمة تجسد، ظل غير قابلاً للألم كإله، ولكن لأنه بالضرورة جعل أمور الجسد أموره (أى جعلها خاصة به) لذا تأكد (لنا) أنه احتمل ما هو بحسب الجسد، رغم أنه بلا خبرة فى الألم عندما نفكر فيه كإله].

وديعة الإيمان

هذا هو الإيمان المسلّم مرة للقديسين، الذى غرسه السيد المسيح فى قلوب رسله القديسين "علموا **يقيناً** أنى خرجت من عندك، وآمنوا أنك أنت أرسلتنى" (يو١٧: ٨). الإيمان بألوهية السيد المسيح وولادته الأزلية من الآب، والإيمان بأن الآب قد أرسله إلى العالم مولوداً من امرأة هى العذراء مريم "والدة الإله" ليفتدى العالم من لعنة الخطية والموت. وهو نفس الإيمان الغالى الثمين الذى حفظته الكنيسة الجامعة الرسولية، ودافعت عنه من جيل إلى جيل.

وكان لكنيسة الأسكندرية الدور الرئيسى فى الحفاظ عليه بواسطة قديسيها أثناسيوس وكيرلس وديسقورس. كما رافقتها شقيقتها الكنيسة السريانية وسارت على منوالها فى شخص القديس ساويرس الأنطاكى وأمثاله. وما زالت كنيسة الأسكندرية تحمل أمانة التعليم الأرثوذكسى وتحفظ الإيمان حسب وصية القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس "يا

تيموثاوس احفظ الوديعة معرضاً عن الكلام الباطل الدنس ومخالفات العلم الكاذب الاسم. الذى إذ تظاهر به قوم زاغوا من جهة الإيمان" (١تى٦: ٢٠، ٢١).

هـ – " وكل ما هو لى فهو لك " (يو١٧: ١٠)

فى مناجاته مع الآب قال السيد المسيح: "**وكل ما هو لى فهو لك، وما هو لك فهو لى**" (يو١٧: ١٠) وقال كذلك لتلاميذه: "**كل ما للآب هو لى**" (يو١٦: ١٥).

وقال القديس أثناسيوس الرسولى إن الابن له جميع صفات الآب ما عدا أن الآب هو آب والابن هو ابن.

وهذا بالطبع لأن الآب والابن والروح القدس لهم طبيعة إلهية واحدة وجوهر إلهى واحد. **فكل صفات الجوهر الإلهى هى للآب كما هى للابن، وكذلك للروح القدس. أما الخواص الأقنومية أو الصفات الأقنومية فينفرد بها كل أقنوم على حدة.**

فالآب: له الأبوة فى الثالوث وهو الوالد للابن، والباثق للروح القدس.

والابن: له البنوة باعتباره الابن الوحيد للآب (انظر يو٣: ١٦).

والروح القدس: له الانبثاق باعتباره روح الحق الذى من عند الآب ينبثق (انظر يو١٥: ٢٦).

وكما أن صفات الجوهر الإلهى هى نفسها لكل الأقانيم كذلك كل القدرات والعطايا الإلهية هى صادرة عن الأقانيم الإلهية معاً.

فالقدرة على الخلق هى للآب والابن والروح القدس.

والمواهب الممنوحة للكنيسة هى من الآب بالابن فى الروح القدس.

أى أن مواهب الروح القدس الممنوحة للكنيسة هى ممنوحة من الآب باستحقاقات دم الابن الوحيد والروح القدس هو الذى يمنحها للكنيسة بعمله فيها من خلال الأسرار والمواهب والعطايا الإلهية.

لهذا قال السيد المسيح عن الروح القدس:

"وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به. ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدنى **لأنه يأخذ مما لى ويخبركم**. كل ما للآب هو لى. لهذا قلت إنه يأخذ مما لى ويخبركم" (يو١٦: ١٣-١٥).

لقد ربط السيد المسيح بين عطايا الروح القدس، وبين عطاياه هو للكنيسة، معتبراً إياها أيضاً أنها عطايا الآب. فقال إن الروح القدس "يأخذ مما لى". ثم قال: "كل ما للآب هو لى" ففى الحقيقة أن ما للروح القدس هو للابن، وما للابن

هو للآب، وما هو للآب فهو للابن لأن الجوهر الإلهى للابن هو نفس الجوهر الإلهى الذى للآب وللروح القدس. ولا يوجد أقنوم منفصل عن الآخر فى الجوهر.

وكذلك فالعمل الإلهى هو عمل واحد بالرغم من تمايز دور كل أقنوم فى هذا العمل.

ففى الخلق كان الأقانيم يعملون معاً، وفى الخلاص كان الأقانيم يعملون معاً وما زالوا يعملون.. وهكذا.

فى الخلاص أرسل الله ابنه ليتجسد بفعل الروح القدس، وعلى الصليب كان الله مصالحاً العالم لنفسه فى المسيح "الذى بروح أزلى قدّم نفسه لله بلا عيب" (عب٩: ١٤). لذلك فالابن الوحيد قد قدّم نفسه ذبيحة مقبولة أمام الله الآب بالروح القدس.

وبعدما أتم السيد المسيح الفداء، صعد إلى السماوات وجلس عن يمين الآب وباعتباره رئيس الكهنة الأعظم، أرسل الروح القدس الذى يعمل فى الكنيسة ويوصل إليها كل بركات الفداء.

وكل ما يمنحه الروح القدس للكنيسة من مواهب هو من عطايا الآب السماوى بابنه الوحيد يسوع المسيح ربنا.

لهذا قال معلمنا يعقوب الرسول: "كل عطية صالحة، وكل موهبة تامة، هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران. شاء فولدنا بكلمة الحق لكى نكون باكورة من خلائقه" (يع١: ١٧، ١٨).

الآب هو الينبوع

الآب هو الينبوع الذى منه الابن الوحيد بالولادة الأزلية قبل كل الدهور. ومنه أيضاً الروح القدس بالانبثاق الأزلى قبل كل الدهور.

الآب هو **الحكيم** الذى يلد الحكمة ويبثق روح الحكمة.

والآب هو **الحقانى** الذى يلد الحق (انظر يو١٤: ٦) ويبثق روح الحق (انظر يو١٥: ٢٦).

فالحكمة هو لقب أقنوم الابن المولود من الآب الحكيم. والحق هو لقب أقنوم الابن المولود من الآب الحقانى.

والكلمة أى (العقل منطوق به) هو لقب أقنوم الابن المولود من الآب العاقل.

والخواص الجوهرية جميعاً ومن أمثلتها الحكمة والحق والعقل.. يشترك فيها الأقانيم معاً فالحق مثلاً هو خاصية يشترك فيها الأقانيم جميعاً. فالآب هو حق من حيث الجوهر، والابن هو حق من حيث الجوهر، والروح القدس هو حق من حيث الجوهر.

أما من حيث الأقنوم فالآب هو الحقانى (أى ينبوع الحق)، والابن هو الحق المولود منه والروح القدس هو روح الحق المنبثق منه.

من يستطيع أن يفصل الحقانى عن الحق المولود منه؟!

ومن يستطيع أن يفصل الحكيم عن الحكمة؟.. إن الحكمة تصدر عن الحكيم تلقائياً كإعلان طبيعى عن حقيقته غير المنظورة.

إننا نعرف الحكيم.. بالحكمة، ونعرف العاقل بالعقل المنطوق به، ونعرف الحقانى بالحق الصادر منه.. وهكذا.

أى أن الرب هو حكيم وحكمته فى حضنه منذ الأزل، وبالحكمة صنع الرب كل الموجودات كقول المزمور "بكلمة الرب صُنِعَت السماوات، وبنسمة فيه كل جنودها" (مز٣٣: ٦).

أى أن الرب قد خلق السماوات وملائكتها بكلمته وبروحه القدوس.

ما أجمل كلام السيد المسيح حينما قال: "**كل ما للآب هو لى**" **حقاً إن الثالوث القدوس هو الله الواحد فى الجوهر المثلث الأقانيم.**

مجد الآب وملكيته وملكوته جميعاً للابن أيضاً

من عبارة "**كل ما هو لى فهو لك**" (يو١٧: ١٠) نفهم أيضاً أن كل مجد الآب هو للابن أيضاً، وكل ملكية الآب وملكوته تخص الابن أيضاً.

مجد الآب

قال السيد المسيح عن مجيئه الثانى للدينونة واستعلان ملكوت الله: "ومتى جاء ابن الإنسان **فى مجده** وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ **يجلس على كرسى مجده.** ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميّز الراعى الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول **الملك** للذين عن يمينه تعالوا يا مباركى أبى **رثوا الملكوت** المعد لكم منذ تأسيس العالم" (مت٢٥: ٣١-٣٤).

وكما قال السيد المسيح إن ابن الإنسان سوف يأتى "**فى مجده**" قال أيضاً: "فإن ابن الإنسان سوف يأتى **فى مجد أبيه** مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله" (مت١٦: ٢٧).

وبهذا لم يفرق السيد المسيح بين "**مجده**" **و**"**مجد أبيه**" فى حديثه عن مجيئه الثانى للدينونة. لأن مجد السيد المسيح باعتبار أنه هو ابن الله هو نفس مجد الآب بلا أدنى فرق فى المجد. فالأقانيم الثلاثة متساوية فى المجد الإلهى.

وحينما قال السيد المسيح فى مناجاته قبل الصلب: "والآن **مجّدنى** أنت أيها الآب عند ذاتك **بالمجد** الذى كان لى عندك قبل كون العالم" (يو١٧: ٥). كان يقصد أن مجده الأزلى هو نفسه مجد الآب الأزلى قبل خلق العالم، وذلك بالرغم من أن السيد المسيح قد أخفى الكثير من مجده فى حال ظهوره فى الجسد حينما أخلى نفسه آخذاً صورة عبد. كذلك نادى السيد المسيح الآب قبيل الصلب قائلاً: "أيها الآب **مجّد** اسمك. فجاء صوت من السماء **مجدّت وأمجّد** أيضاً" (يو١٢: ٢٨).

وحينما خرج يهوذا الإسخريوطى بعد عشاء الفصح اليهودى ليذهب إلى رؤساء الكهنة ويصير دليلاً للذين قبضوا على السيد المسيح، قال السيد المسيح: "الآن **تمجَّد** ابن الإنسان **وتمجَّد** الله فيه. إن كان الله قد تمجَّد فيه فإن الله **سيُمجِّده** فى ذاته **ويمجِّده** سريعاً" (يو١٣: ٣١، ٣٢).

وفى مناجاته مع الآب بعد تلك الأحداث مباشرة، رفع عينيه نحو السماء وقال: "**أيها الآب.. مجّد ابنك ليمجدك ابنك أيضاً**" (يو١٧: ١).

إن مجد الآب هو نفسه مجد الابن لأنه له نفس الجوهر الواحد مع الآب.

ولُقِّب السيد المسيح بأنه هو "**بهاء مجده**" (عب١: ٣). **فإن كان الابن هو بهاء مجد الآب فكيف نفصل بين مجد الابن ومجد الآب.**

إن مجد الآب يظهر جلياً للخليقة بواسطة الابن الوحيد، ولهذا نقول فى القداس الغريغورى {**الذى أظهر لنا نور الآب**}.

وبالإضافة إلى ذلك قيل عن الابن إنه "رب لمجد الله الآب" (فى٢: ١١).

بمعنى أن الابن هو رب أى سيد للخليقة التى تحيا فى مجد الله، وتعكس هذا المجد، فيتمجد الله فيها وبواسطتها.

ونحن كثيراً ما نلّقب السيد المسيح بعبارة "**رب المجد**" التى قالها عنه معلمنا بولس الرسول فى (١كو٢: ٨).

ملكوت الآب

لشدة محبة الآب للابن، فإنه يلقب ملكوته بملكوت الابن "ملكوت ابن محبته" (كو١: ١٣).

وكما أن الآب له لقب "**ملك الملوك ورب الأرباب**.. الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه" (١تى٦: ١٥، ١٦).

هكذا أيضاً فإن الابن له نفس اللقب وقد رآه يوحنا الإنجيلى فى رؤياه "متسربلٌ بثوبٍ مغموسٍ بدمٍ، ويدعى اسمه كلمة الله.. وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب **ملك الملوك ورب الأرباب**" (رؤ١٩: ١٣، ١٦).

ولذلك ففى يوم الدينونة قيل عن الابن إنه سوف "يجلس على كرسى مجده" (مت٢٥: ٣١). وأن لقبه هو "الملك" (مت٢٥: ٣٤).

إن ملكوت الآب هو نفسه ملكوت الابن.. وكل هذا يتحقق فينا بعمل الروح القدس الذى يجعل ملكوت الله داخلنا (انظر لو١٧: ٢١) بسكناه فينا، ويقودنا فى طريق الملكوت حتى نصير ملكاً لله، ويملك على حياتنا إلى الأبد بنعمته.

و- " وأنا ممجد فيهم " (يو ١٧: ١٠)

قال السيد المسيح: "أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم.. من أجلهم أنا أسأل. لست أسأل من أجل العالم بل من أجل الذين أعطيتنى لأنهم لك. وكل ما هو لى فهو لك. وما هو لك فهو لى. **وأنا ممجد فيهم**" (يو١٧: ٦، ٩، ١٠).

إن حياة القديسين الذين آمنوا بالسيد المسيح، وتمتعوا بخلاصه العجيب، قد صارت لمجد اسمه القدوس.

فسيرتهم العطرة، وأقوالهم الحسنة، وأعمالهم الطيبة قد صارت كلها لمجد السيد المسيح الذى افتداهم واشتراهم بدمه وقدسهم بروحه القدوس الذى من عند الآب ينبثق.

من الأشياء الجميلة أن يقول السيد المسيح عن تلاميذه: "أنا ممجد فيهم".. إنها ثقة عجيبة بما سوف يعمله فيهم وبواسطتهم لمجد الله.

كيف تحول الخطاة إلى قديسين.. وكيف تحول فساد البشرية التى كانت ترزح تحت عبودية إبليس إلى تمجيد اسم الله فى حياة أولاده. كل هذا صنعه السيد المسيح بصورة أبهرت عقول السمائيين.

بهذا تغنى معلمنا بولس الرسول فقال: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات **فى المسيح**. كما اختارنا **فيه** قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة. إذ سبق فعيننا للتبنى **بيسوع المسيح** لنفسه حسب مسرة مشيئته **لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب**" (أف١: ٣-٦).

إن الله لم يخلق العالم فقط بواسطة أقنوم **الكلمة**. ولكنه أيضاً خلّص العالم بنفس الأقنوم الإلهى الذى هو كلمة الله المتجسد.

وقد أعاد أقنوم الكلمة خِلقة البشرية من جديد بالفداء الذى صنعه على الصليب وبما ترتب عليه من نعم وبركات سمائية.

لذلك يقول الكتاب "إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة" (٢كو٥: ١٧). حقاً لقد خلقنا السيد المسيح من جديد حينما خلصنا من عبودية الشيطان، وأعطانا نعمة التجديد والبنوة "بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس" (تى٣: ٥).

بهذا تمجد السيد المسيح الرب باعتباره هو حكمة الله وقوة الله، وبواسطته تم الفداء وخلاص البشر من حكم الموت الأبدى. وتمت المصالحة بين الله والإنسان. وأصبح من الممكن أن يعود الإنسان إلى الصورة الجميلة التى خلقه الله فيها على صورته ومثاله.

لقد صار القديسون هم رائحة المسيح الذكية، ورسالته المقروءة من جميع الناس..

وجميل جداً أن يتصور السيد المسيح فى حياة قديسيه وتلاميذه حسبما قال معلمنا **بولس الرسول عن مخدوميه: "يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضاً إلى أن يتصور المسيح فيكم" (غل٤: ١٩).**

عبارة "**أنا ممجد فيهم**" تعنى أننا قد لبسنا البر الذى للمسيح حينما صرنا أولادًا لله فى المعمودية ويتجدد مفعولها فى باقى الأسرار والوسائط الروحية، وينبغى أن يتمجد السيد المسيح فينا وبواسطتنا.

من أجل السيد المسيح خُلقت الخليقة، **وبواسطة** السيد المسيح خُلقت الخليقة. وبواسطته أيضاً ومن أجله تم تجديد البشرية بالفداء. "لأنه لاق بذاك الذى من أجله الكل، وبه الكل وهو آتٍ بأبناء كثيرين **إلى المجد** أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام. لأن المُقدِّس والمُقدَّسين جميعهم من واحد. فلهذا السبب لا يستحى أن يدعوهم إخوة قائلاً: أخبر باسمك إخوتى وفى وسط الكنيسة أسبحك.. فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس" (عب٢: ١٠-١٢، ١٤).

فى قول معلمنا بولس الرسول السابق أن المُقدِّس والمُقدَّسين جميعهم من واحد. يقصد أن المُقدِّس هو: السيد المسيح، والمُقدَّسين هم: جماعة المؤمنين. وهم جميعاً أبناء لآدم من جهة وأبناء لله من جهة أخرى.

فبحسب الجسد السيد المسيح هو من نسل آدم، وبحسب لاهوته هو مولود من الآب بالطبيعة قبل كل الدهور.

والمؤمنون هم من نسل آدم بحسب الجسد، ومن الناحية الروحية قد نالوا التبنى بالميلاد الفوقانى بالمعمودية.

السيد المسيح أخذ الذى لنا (البنوة لآدم) وأعطانا الذى له (البنوة لله). ومفهوم طبعاً أن بنوتنا لله لا تساوى بنوة السيد المسيح الذى له نفس الجوهر الإلهى الذى للآب.

لهذا السبب لا يستحى أن يدعو مؤمنيه إخوة لأنه قد اشترك معهم فى اللحم والدم أى فى طبيعتهم البشرية، كما أنه منحهم بالنعمة البنوة لله حتى ينادوا الله الآب أباً لهم كما منحهم السيد المسيح أن يقولوا.

لقد تمجد السيد المسيح بالفداء الذى صنعه بكل حكمة وفطنة لأجلنا، وتمجد فى إظهار قدرته الإلهية فى تحويل الخطاة إلى قديسين، وتمجد بما يعمله بواسطة هؤلاء القديسين من أعمال عظيمة قد سبق فأعدها ليسلكوا فيها.

حقاً ما أعجب تدبيرك أيها الآب، يا من منحتنا كل هذه الإمكانيات المجيدة بواسطة ابنك الوحيد الحبيب.

ز- " ولست أنا بعد فى العالم " (يو١٧: ١١)

تكلّم السيد المسيح عن صعوده جسدياً إلى السماء، حيث يجلس عن يمين الآب، وبالتالى عن تركه للعالم الذى يعيش فيه تلاميذه الذين اختارهم وأرسلهم ليكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها فقال: "**ولست أنا بعد فى العالم، وأما هؤلاء فهم فى العالم، وأنا آتى إليك**" (**يو١٧: ١١**)..

كان السيد المسيح قد قطع رحلة عمره على الأرض وقبيل صعوده اجتاز الآلام من أجل خلاص البشرية ونصرتها على الشيطان، وتحطيم شوكة الموت، وإتمام المصالحة مع الله.

وإذ أكمل السيد المسيح رسالته على الأرض، كان ينبغى أن يترك العالم ويمضى إلى الآب حيث يمارس عمله كرئيس كهنة فى المقادس العليا يشفع كل حين من أجل مغفرة خطايا التائبين المعترفين بقوة دمه والمتحدين معه بشبه موته وقيامته.

وكان لزاماً على الكنيسة أن تكمل مسيرتها على الأرض بينما ارتفع رأسها إلى السماء متشبهة به فى آلامه ونصرته على إبليس.. إلى أن تنتهى الأزمنة، ويأتى السيد المسيح فى مجد أبيه مع ملائكته القديسين ليدين العالم.. ويأخذ الكنيسة عروسه المحبوبة معه إلى المجد فى ملكوت السماوات..

صار الرسل هم وكلاء أسرار الله – يمثلون خدمة السيد المسيح فى استمراريتها من أجل خلاص الكثيرين فى هذا العالم الحاضر. كقول معلمنا بولس الرسول: "هكذا فليحسبنا الإنسان كخدام المسيح ووكلاء سرائر الله" (١كو٤: ١).

كان حديث السيد المسيح مع الآب السماوى فى هذه العبارات يدور حول تلاميذه القديسين على وجه التخصيص، لأنه قال بعدها فى نفس المناجاة: "ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط، بل أيضاً من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم" (يو١٧: ٢٠). وبهذا يكون قد انتقل إلى الطِلبة من أجل جميع المؤمنين المعترفين باسمه.

ومما يدل أيضاً أنه كان يتكلم عن تلاميذه القديسين أنه قال عنهم: "حين كنت معهم فى العالم كنت أحفظهم فى اسمك الذين أعطيتنى حفظتهم ولم يهلك منهم أحد إلا ابن الهلاك ليتم الكتاب. أما الآن فإنى آتى إليك" (يو١٧: ١٢، ١٣). والمقصود بابن الهلاك هو يهوذا الإسخريوطى الذى أسلمه.

أما باقى التلاميذ فقال عنهم للآب: "كما أرسلتنى إلى العالم. أرسلتهم أنا إلى العالم" (يو١٧: ١٨).

لقد حملوا بشارة الإنجيل للعالم بعد صعود السيد المسيح وحلول الروح القدس عليهم. وحملوا رسالة المصالحة بين الله والإنسان كقول معلمنا بولس الرسول: "الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح وأعطانا خدمة المصالحة. أى أن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم وواضعاً فينا كلمة المصالحة. **إذاً نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح تصالحوا مع الله" (٢كو٥: ١٨-٢٠).**

عبارة "**نطلب عن المسيح**" أى نطلب نيابة عن السيد المسيح أو كوكلاء لخدمته. وقد أكدّ السيد المسيح مبدأ الوكالة بقوله: "**فمن هو ترى الوكيل** الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على عبيده، **ليعطيهم طعامهم فى حينه.** طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده، يجده يفعل هكذا. حقاً أقول لكم: إنه يقيمه على جميع أمواله" (لو١٢: ٤٢-٤٤).

لقد طلب السيد المسيح من أجل تلاميذه لكى يحفظهم الآب من الشرير أثناء وجودهم فى العالم – لكى يحملوا الرسالة بعد أن يمضى هو إلى الآب ليمارس عمله كرئيس كهنة فى الأقداس السماوية.

وقد رسمت العناية الإلهية هذه الصورة العجيبة أن السيد المسيح الرأس هو فى السماء، والكنيسة جسده هنا على الأرض تعمل عمله وتحمل رسالته إلى أن يجيء هو فى نهاية الأزمنة ليأخذها إلى ملكوته الأبدى.

وقد جمع الله فى السيد المسيح أيضاً ما فى السماوات وما على الأرض كما هو مكتوب "لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شئ فى المسيح ما فى السماوات وما على الأرض فى ذاك الذى فيه أيضاً نلنا نصيباً معينين سابقاً حسب قصد الذى يعمل كل شئ حسب رأى مشيئته" (أف١: ١٠، ١١).

الكنيسة تؤدى رسالتها على الأرض ونظرتها متجهة نحو السماء.. وأشواقها.. وفكرها.. وشركتها حيث المسيح جالس عن يمين العظمة.

وقد عبّر القديس بولس الرسول عن هذه الحقيقة فى وصفه لمسيرة الكنيسة فقال: "لأنكم لم تأتوا إلى جبل ملموس مضطرم بالنار وإلى ضباب وظلام وزوبعة.. بل قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة. وكنيسة أبكار مكتوبين فى السماوات وإلى الله ديان الجميع وإلى أرواح أبرار مكملين. وإلى وسيط العهد الجديد يسوع وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل" (عب١٢: ١٨، ٢٢-٢٤).

هذه الصورة الرائعة التى أرادها السيد المسيح لكنيسته المجيدة، وطلب من الآب لأجلها لكى يحضرها كنيسة لا عيب فيها. تحيا فى شركة الروح مع الله وملائكته القديسين. وتتجه مسيرتها نحو السماء، وهى تقطع زمان غربتها على الأرض صانعة مشيئة ذاك الذى اشتراها بدمه الثمين حتى يستعلن ملكوت السماوات بقوة.

ح- " أيها الآب القدوس احفظهم فى اسمك " (يو١٧: ١١)

اسم الآب

كان اسم "**الآب**" هو محور كبير فى مناجاة السيد المسيح قبل الصليب المدونة فى (يو ١٧) وقد ورد ذكره عشر مرات فى هذه المناجاة أحياناً بقوله "**أيها الآب**" (ست مرات) وأحياناً بقوله "**اسمك**" (أربع مرات).

مثلما قال "أنا أظهرت **اسمك** للناس الذين أعطيتنى من العالم" (يو١٧: ٦)، إذ كان الناس يعرفون الله باسم "يهوه" أى الكائن.

أما السيد المسيح فقد أعلن سر الثالوث، وأقنومية الآب، وأبوته الأزلية للابن، وإرساله إياه إلى العالم ليصالح الآب العالم لنفسه فى المسيح.

حول هذا اللقب "**الآب**" تقوم المسيحية.. لأنه لا يوجد آب بغير ابن ولا ابن بغير آب. فمجرد ذكر لقب "**الآب**" يعنى إعلان أن السيد المسيح هو ابن الله المرسل إلى العالم لأجل خلاص البشرية.

إعلان الأبوة فى الله أيضاً هو إعلان عن الحب المتدفق فيه منذ الأزل لهذا أكد السيد المسيح "لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم" (يو١٧: ٢٤).

إن الحب فى الجوهر الإلهى يستدعى وجود الأقانيم، لأن الحب لا يمكن أن يوجد فى حياة أقنوم واحد منفرد قبل خلق العالم.

بل إن الحب نحو الخليقة هو نتيجة منطقية للحب المتبادل بين الأقانيم الثلاث بصورة لا يمكن وصفها أو التعبير عنها.. ولكننا نستطيع أن نختبرها فى تذوقنا لمحبة الله التى "انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا" (رو٥: ٥).

لهذا قال السيد المسيح للآب: "وعرفتهم اسمك وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به، وأكون أنا فيهم" (يو١٧: ٢٦).

إن لقب "**الآب**" فى نظر السيد المسيح هو موضوع الإعلان وموضوع الشهادة الرئيسية التى شغلته فى توضيح حقيقة الله. سواء من جهة حقيقة الثالوث القدوس، أو من جهة علاقته بالخليقة بصفة عامة، وبالبشر على وجه الخصوص..

وهنا نأتى إلى عبارة " احفظهم فى اسمك "

لقد أخذ السيد المسيح الذى لنا وأعطانا الذى له.. أخذ الذى لنا بالتجسد، إذ صار ابناً للإنسان. وأعطانا الذى له أى أن نصير بالنعمة أولادًا لله. لهذا قال معلمنا يوحنا الرسول: "انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى ندعى أولاد الله" (١يو٣: ١).

عبارة "أيها الآب.. **احفظهم فى اسمك**" تعنى أن **يحفظنا الآب فى حالة البنوة التى ننالها بالمعمودية.** لأن "كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية، لأن زرعه يثبت فيه. ولا يستطيع أن يخطئ، لأنه مولود من الله" (١يو٣: ٩). حينما نخاطب الآب ونقول: "أبانا" فإن هذا يعنى ضمناً إننا قد صرنا أولادًا لله. وبهذا نكون محفوظين فى اسمه باعتبار أنه هو الآب.

هو الآب بالنسبة للسيد المسيح بحسب لاهوته بالطبيعة. وهو الآب بالنسبة لنا بالنعمة، بالتبنى.

وحينما قال معلمنا يوحنا الرسول: "كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية" (١يو٣: ٩)، أضاف أيضاً وقال: "بهذا أولاد الله ظاهرون ، وأولاد إبليس" (١يو٣: ١٠).

فعبارة "**احفظهم فى اسمك**" تعنى أن **يحفظهم الآب فى وضع البنوة له،** لكى لا يكونوا أولادًا لإبليس.

أما اليهود الذين لم يقبلوا السيد المسيح، ولم يؤمنوا به فقال لهم: "أنتم من أب هو إبليس، وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا. ذاك كان قتالاً للناس من البدء ولم يثبت فى الحق، لأنه ليس فيه حق. متى تكلم بالكذب، فإنما يتكلم مما له، لأنه كذاب وأبو الكذاب" (يو٨: ٤٤).

ما أجمل أن يطلب السيد المسيح من أجل خاصته أن يحفظهم الآب فى اسمه الحصين، فى أبوته الحانية، فى صلاحه وخيريته.. ليكونوا أولادًا لله حقاً بالحقيقة.

ط- " ليكونوا واحداً كما نحن " (يو ١٧: ١١)

جاءت طلبة السيد المسيح بقوله "أيها الآب القدوس احفظهم فى اسمك.. ليكونوا واحداً كما نحن" (يو١٧: ١١).

إن حياة البنوة الحقيقية لله تجعل أولاد الله يسلكون بروح واحد، هو الروح القدوس كقول الكتاب "لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله" (رو٨: ١٤). إنهم يسلكون بالروح الواحد بقلب واحد وبنفس واحدة. "وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد، ونفس واحدة.. كان عندهم كل شئ مشتركاً" (أع٤: ٣٢).

الجميع يصيرون أعضاءً فى الجسد الواحد بالروح القدس ورأس هذا الجسد هو السيد المسيح كلمة الله المتجسد. فالكنيسة هى جسد السيد المسيح بالمعنى العام والسيد المسيح هو الرأس كقول معلمنا بولس الرسول: "وإياه جعل رأساً فوق كل شئ للكنيسة التى هى جسده" (أف١: ٢٢، ٢٣).

وهناك فرق بين جسد السيد المسيح الخاص الذى أخذه من العذراء مريم وجعله واحداً مع لاهوته، وبين الكنيسة كجسد للمسيح، وهى جماعة المؤمنين. فجسد السيد المسيح الخاص هو فى موضع الرأس للجسد العام بمعنى الكنيسة.

السيد المسيح هو العريس السمائى والكنيسة هى عروسه التى اشتراها بدمه الخاص، لكى يرفعها معه إلى السماء.

السيد المسيح هو الفادى، والكنيسة هى المفتداه.. السيد المسيح هو الرأس، والكنيسة هى الجسد.. السيد المسيح هو الراعى الصالح، والكنيسة هى خرافه التى رعاها، وحماها، واشتراها.

الروح القدس هو الذى يجعلنا أولادًا لله فى المعمودية، وهو الذى يربطنا فى فكر واحد بالمسيح الرأس. كقول القديس بولس الرسول: "**أما نحن فلنا فكر المسيح**" (١كو٢: ١٦). الروح القدس هو الذى يوصل إلينا عطايا الآب السماوى، باستحقاقات دم ابنه الوحيد، أى هو الذى يمنحنا عطايا الثالوث القدوس الواحد فى الجوهر.

محبة الله هى سر الوحدة

حينما قال السيد المسيح للآب: "احفظهم فى اسمك.. **ليكونوا واحداً كما نحن**" (يو١٧: ١١). كان يقصد أن يسكب الآب فى تلاميذه الروح القدس حتى تنسكب فيهم المحبة ويصيروا واحداً "**لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا**" (رو٥: ٥).

الروح القدس هو الذى يسكب فينا محبة الله حتى نسلك فى المحبة ونحب بعضنا بعضاً كوصية السيد المسيح الواضحة، والمحبة هى التى توحدنا على مثال الثالوث القدوس الواحد.

وحدة الإرادة هى الوحدة التى فى حرية المحبة تصنع إرادة من تُحب وتجد فى ذلك أقصى درجات المسرة.

ولكى تكون الإرادة واحدة يلزم أن تكون الطبيعة واحدة. لأنه إذا انقسمت الطبيعة، انقسمت الإرادة، لكى تعمل كل إرادة مشيئة طبيعتها الخاصة.

لهذا يعطينا الروح القدس الطبيعة الجديدة، التى هى على صورة الله ومثاله، وتجعلنا نتحد فى جسد واحد كصورة للوحدانية الكاملة الكائنة فى الجوهر الإلهى.

الوحدة بين الأقانيم الثلاث هى وحدة فائقة لا يمكن للعقل البشرى أن يُدركها، ولكن الوحدة بين تلاميذ السيد المسيح هى وحدة نسبية على صورة الوحدة الكائنة فى الله.

وكلما زادت المحبة؛ كلما اقتربنا من الوحدة التى طلبها السيد المسيح لأجلنا "ليكونوا واحداً كما نحن" (يو١٧: ١١).

إن الحب الكائن بين الأقانيم الثلاث منذ الأزل هو نتيجة طبيعية لوحدة الجوهر الإلهى غير المنقسم. فبالرغم من أن ولادة الابن من الآب هى ولادة حقيقية، إلا أنها لم ينتج عنها انفصال الابن عن الآب فى الوجود، أو فى الطبيعة أو فى الإرادة.. وذلك مع التمايز الواضح بين الوالد والمولود، وبين الباثق والمنبثق..

لهذا قال الكتاب إن "الله محبة ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه" (١يو٤: ١٦).

الروح القدس يسكب فينا محبة الله لكى نحب الله ونحب كل من هو مولود منه، ويجدد طبيعتنا لكى نرى صورة الله فى بعضنا البعض، ونحب هذه الصورة الجميلة التى تشهد لصفات الله الممجدة.

حقاً إن الله هو السبب الحقيقى للوحدة بين القديسين، لأنه هو المثل الأعلى فى الوحدة التى سرها المحبة غير المحدودة بين الأقانيم، وواقعها هو الجوهر الإلهى الواحد، وسببها هو المصدر أو الينبوع الواحد الذى هو الآب.

ى- " لأجلهم أقدّس أنا ذاتى" (يو١٧: ١٩)

قال السيد المسيح عن تلاميذه: "لأجلهم **أقدس أنا ذاتى،** ليكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق" (يو١٧: ١٩).

وهنا نقف أمام عبارة "**أُقدس أنا ذاتى**" وكيف قالها السيد المسيح؟ أو ما هو المعنى المقصود فى كلامه؟

"**التقديس**" **كلمة معناها** "**التخصيص**"؛ مثلما قيل "قدّس لى كل بكر" (خر١٣: ٢) أى "خصص لى كل بكر" والإنسان القديس هو قلب قد تخصص فى محبة الله.

وفى الهيكل كان (القدس) هو المكان المخصص لرفع البخور، ومائدة خبز الوجوه، والمنارة ذات السبعة سرج. أما (قدس الأقداس) فهو المكان المخصص تخصيصاً شديداً لتابوت عهد الرب، ولا يدخل إليه إلا رئيس الكهنة مرة واحدة فى السنة، إنه المكان الذى يحل فيه الرب بمجده ويتراءى فوق غطاء التابوت بين الكروبين الذهب.

القداسة هى التخصص فى محبة الله، ولا نستطيع أن نفهم القداسة بعيداً عن حب الله. هذه هى القداسة التى "بدونها لن يرى أحد الرب" (عب١٢: ١٤).. لأنه بدون محبة الله فوق كل شئ لا يمكن أن نحيا فى شركة حقيقية معه.

وحينما قال السيد المسيح: "لأجلهم **أقدس** أنا ذاتى" (يو١٧: ١٩)، فإنه فى قوله هذا يختلف عن أى إنسان آخر.. لأن معناها أنه **يخصص ذاته من أجل تلاميذه.** مثلما قال: "**أنا أضع نفسى عن الخراف**" (يو١٠: ١٥).

لقد تدرج السيد المسيح فى إظهار تخصيص ذاته من أجل الكنيسة..

فقَبْل الصليب، خدم خدمة عجيبة تعب فيها كثيراً من أجل الكرازة بالإنجيل..

وكان يقول عن نفسه إن "ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدم، بل ليخدِم، وليبذل نفسه فدية عن كثيرين" (مت٢٠: ٢٨)..

وفى الصليب، وصلت خدمته الباذلة إلى قمتها، لأنه "ليس لأحد حب أعظم من هذا، أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو١٥: ١٣).

وحتى بعد القيامة خصص السيد المسيح أربعين يوماً ليمحو أحزان تلاميذه، ويبعث فيهم فرح ويقين القيامة..

وحينما صعد إلى السماوات فإنه يشفع أمام الآب لأجلنا "لنا شفيع عند الآب" (١يو٢: ١) ورآه يوحنا فى سفر الرؤيا فى صورة "خروف قائم كأنه مذبوح" (رؤ٥: ٦).

إن علاقة السيد المسيح بالكنيسة، هى علاقة لا تنقطع. فالمسيح هو الرأس والكنيسة هى جسده..

إنها علاقة حب عجيبة، هى علاقة عريس منشغل بعروسه المحبوبة.. يخصص نفسه لأجلها.

ما أعجب اتضاعك أيها الرب يسوع المسيح، حيث تقول إنك تخصص ذاتك من أجل الكنيسة.. إنه الاتضاع الناشئ عن الحب.. فالمحبة تستطيع أن تفعل كل شئ.

ل- " يكونون معى " (يو١٧: ٢٤)

ما أعجب محبة السيد المسيح لتلاميذه!!

إنها محبة لا توصف عبّر عنها القديس يوحنا الإنجيلى فقال: "إذ كان قد أحب خاصته.. **أحبهم إلى المنتهى**" (يو١٣: ١). وقال عنها القداس الغريغورى {**ليس شئ من النطق يستطيع أن يحدَّ لجة محبتك للبشر**}.

لم تكن خدمة السيد المسيح مجرد إرسالية أمر تكليف من الآب السماوى، أراد بها أن ينفذ مشيئة أبيه ويرضيه. بل هى فى نفس الوقت علاقة حب بين السيد المسيح وتلاميذه.

حقا إن الحب المتبادل بين الأقانيم هو حب أزلى لا يعبّر عنه. ولسبب هذا الحب ولسبب الطبيعة الواحدة الإلهية، فإن مشيئة الابن هى نفسها مشيئة الآب والروح القدس.. أى مشيئة إلهية واحدة فى حرية المحبة غير الموصوفة.

ولكن الحب الإلهى، ليس هو من النوع الذى يقتصر على الحب اللانهائى بين الأقانيم الثلاث ولكنه يشمل الخليقة أيضاً.. فالمحبة دائماً تريد أن تعطى.. ولا تتوقف عن العطاء.

شئ عجيب حقاً أن ينشغل السيد المسيح بتلاميذه بهذه الصورة فى ليلة آلامه..!!

إنه يطلب من أجلهم بحرارة فى مناجاته مع الآب.. طلبات كثيرة.. حتى يصل إلى هذه الطلبة العجيبة: "أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا" (يو١٧: ٢٤).

إنه يطلب بحرارة ليكون تلاميذه معه فى ملكوته الأبدى ليتمتعوا بأمجاد الأبدية السعيدة.

الخادم الحقيقى

إن شعار الخادم الروحى هو أنه لا يريد أن يدخل الملكوت وحده بدون مخدوميه.. محبته لهم تسعى لخيرهم.. لخلاصهم.. لسعادتهم.. لا يريد أن يفارقهم فى الأبدية.

حتى إن فارقهم هنا على الأرض لأجل أهداف سامية.. إلا أنه يفعل ذلك حرصاً على لقائه معهم فى الملكوت السمائى. وهذا يشبه إلى حد ما قول معلمنا بولس الرسول لفليمون عن خادمه أنسيموس: "لأنه ربما لأجل هذا افترق عنك إلى ساعة لكى يكون لك إلى الأبد" (فل١٥).

كذلك قول الرب لكنيسته المحبوبة: "لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة سأجمعك" (إش٥٤: ٧).

وقد اضطر السيد المسيح أن يفارق تلاميذه بالجسد عندما ذهب إلى الصلب والقبر.. ولكنه قال لهم: "سأراكم أيضاً، فتفرح قلوبكم، ولا ينزع أحد فرحكم منكم" (يو١٦: ٢٢).

وقد تم ذلك بالفعل عندما أراهم نفسه حياً بعد قيامته من الأموات، ومكث معهم "أربعين يوماً، وهو يظهر لهم ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله" (انظر أع١: ٣).

وفارق السيد المسيح أيضاً تلاميذه بالجسد حينما صعد إلى السماوات أمام أعينهم، ولكنه كان قد سبق فقال لهم: "أنا أمضى لأعد لكم مكاناً. وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً. آتى أيضاً وآخذكم إلىّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" (يو١٤: ٢، ٣).. فى مفارقته لهم دائماً يعمل من أجلهم، ويمهّد لذلك اللقاء الأبدى الذى لا يعقبه فراق.

هكذا فهم الشهداء والقديسون الفراق المؤقت لأحبائهم.. إنه فراق يعقبه لقاء فى الأبدية، لا تفرقه الأحداث، والأيام، والأزمان، والدهور.

بين بولس الرسول والسيد المسيح

كان مشهداً مؤثراً قرب ساحل البحر فى ميليتس، ذلك الوداع الذى أعقبه الفراق بين بولس الرسول ومخدوميه من قسوس الكنيسة فى أفسس، إذ قال لهم: "والآن أستودعكم يا إخوتى لله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثاً مع جميع المقدسين.. ولما قال هذا جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلَّى. وكان بكاء عظيم من الجميع ووقعوا على عنق بولس يقبلونه متوجعين، ولاسيما من الكلمة التى قالها أنهم لن يروا وجهه أيضاً. ثم شيّعوه إلى السفينة" (أع ٢٠: ٣٢، ٣٦-٣٨).

كان لكل من مخدوميه فى قلبه مكان ومكانة، وكان يذكرهم فى صلواته فى كل حين بأمانة.. متشبهاً بسيده المسيح. ولهذا قال فى رسالته من السجن فى رومية إلى أهل فيلبى: "أشكر إلهى عند كل ذكرى إياكم دائماً فى كل أدعيتى، مقدماً الطلبة لأجل جميعكم بفرح.. لأنى حافظكم فى قلبى، فى وثقى، وفى المحاماة عن الإنجيل وتثبيته؛ أنتم الذين جميعكم شركائى فى النعمة. فإن الله شاهد لى كيف أشتاق إلى جميعكم فى أحشاء يسوع المسيح" (فى١: ٣، ٤، ٧، ٨)

إنه لا يصلى لأجلهم فقط لكنه مشتاق إلى رؤيتهم جميعاً فى أحشاء يسوع المسيح..

هذه هى روح التلمذة الحقيقية، التى تتلمذ بها القديس بولس الرسول على سيده ومعلمه المسيح راعى الخراف العظيم.

حقاً ما هذا الحب الكبير يا سيدنا المسيح؟!.. نراك مشغولاً بخرافك.. تبذل نفسك عنهم.. وتعمل لخيرهم.. وقلبك الحانى يمتلئ بالشوق أن تراهم معك.. فى أحضان محبتك.. على الدوام.. وإلى غير نهاية... ترويهم من الحب.. وتغنيهم من الخير.. فى المراعى الخضراء، وعلى مياه الراحة الأبدية. فما أمجد محبتك غير الموصوفة..!!

ل- " ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به " (يو ١٧: ٢٦)

حينما كتب القديس يوحنا الرسول الإنجيلى إن "**الله محبة**" (١يو٤: ٨، ١٦)، فإنه كان يقصد أن الله لا يمكن أن تخلو طبيعته من المحبة.

بل إن طبيعة الله هى محبة، تماماً كما إنها حق، وصلاح، وقوة، وحكمة..

المحبة هى فى صميم جوهر وطبيعة الله منذ الأزل.

ولهذا لا يمكن أن نتصور أن يوجد الآب بغير الابن والروح القدس.

فالمحبة تستدعى وجود أكثر من أقنوم لتتبادل هذه الأقانيم المحبة فيما بينها.

ولو كان الله الآب موجوداً فى فردانية مطلقة منذ الأزل، لما أمكن أن نقول إن "الله محبة" (١يو٤: ٨، ١٦).

فمحبة الله للخليقة بدأت فقط بعد خلقها، ولهذا لا يمكن أن تكون المحبة فى طبيعة الله هى قاصرة على محبته للخليقة.. لأنه فى هذه الحالة تكون المحبة مستحدثة فى الله مع بداية وجود الخليقة. وهذا أمر غير صحيح ومستبعد تماماً.

ولأن المحبة تُمارَس بين الأقانيم الإلهية منذ الأزل، لهذا فوجود الابن والروح القدس مع الآب أزلياً هو شئ طبيعى، به تتحقق المحبة كصفة أساسية للجوهر الإلهى غير المنقسم.

لهذا قال السيد المسيح فى مناجاته للآب: "**لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم**" (يو١٧: ٢٤).

هذا الحب الكائن فى الله هو أحد أسرار الحياة الإلهية التى لا يُعبّر عنها، لأنه لا معنى للحياة بغير الحب.

عطية المحبة

وقد أراد السيد المسيح أن ينقل إلى تلاميذه سعادة الملكوت وذلك بأن يسكب محبة الله فى قلوبنا كقول معلمنا بولس الرسول: "**لأن محبة الله قد انسكبت فى قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا**" (رو٥: ٥).

والمقصود هنا هو عطية المحبة الممنوحة لنا من الثالوث القدوس بواسطة الروح القدس الذى يسكب فينا كل المواهب والعطايا الإلهية. فعطية الروح القدس هى عطية الآب وعطية الابن أيضاً.

لهذا قال معلمنا يعقوب الرسول إن "كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران. شاء فولدنا **بكلمة الحق** لكى نكون باكورة من خلائقه" (يع١: ١٧، ١٨).

فكل عطية صالحة هى من الآب بالابن فى الروح القدس. ومن ضمن هذه العطايا الإلهية عطية المحبة التى هى من ثمار الروح القدس كقول الكتاب "وأما ثمر الروح فهو **محبة،** فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف" (غل٥: ٢٢، ٢٣).

المحبة التى طلبها السيد المسيح لتلاميذه، ليست هى المحبة الطبيعية البشرية المجردة التى يستطيع سائر البشر أن يمارسوها. لأن "الإنسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله" (١كو٢: ١٤).

المحبة البشرية الطبيعية هى محبة مرتبطة بالجسد، وإن تنوعت. **ولكن هناك نوع آخر من المحبة الفائقة للطبيعة يمنحها الروح القدس للقديسين.**

هى محبة سامية لا تتأثر بالعوامل البشرية الطبيعية المجردة. بل هى فوق كل حدود الزمان والمكان والأحداث. هى من النوع الذى لا يسقط أبداً.

هى أقوى من الموت: كما قيل عن الشهداء "**لم يحبوا حياتهم حتى الموت**" (رؤ١٢: ١١). وقيل عنها فى سفر نشيد الأناشيد إن "**المحبة قوية كالموت**.. لهيبها لهيب نار لظى الرب. مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة والسيول لا تغمرها" (نش٨: ٦، ٧).

المحبة التى بحسب الجسد هى محبة زائلة. ولا يكون لها قيمة إن لم تتقدس بفعل الروح القدس لكى تأخذ بُعداً أبدياً. وتبقى ذكراها المقدسة إلى الأبد.

الروح القدس لا يلغى المحبة البشرية ولكنه يسمو بها، ويقدسها، ويرتفع بها بقدرته الفائقة ويصبغها بصبغته السمائية. ثمار الروح القدس هى التى تبقى وتدوم إلى الأبد. ومن ضمن هذه الثمار تلك المحبة الفائقة التى طلبها ثم وهبها السيد المسيح لتلاميذه.

محبة الله ومحبة القريب

المحبة التى يمنحها الروح القدس تتجه أساساً نحو الله، ولكنها تتسع لتشمل الخليقة كلها. بمعنى أنها تشمل أيضاً الملائكة والبشر.

فالوصية الإلهية الأولى هى **محبة الله**، والثانية مثلها هى **محبة القريب** وبهذا يكمل الناموس والأنبياء "**تحب الرب إلهك** من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. **هذه هى الوصية الأولى والعظمى. والثانية مثلها تحب قريبك كنفسك**. بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء" (مت٢٢: ٣٦-٤٠).

وقد أكّد القديس يوحنا الرسول أن **المحبة لا تتجزأ، أى أن من يحب الله بالمحبة الفائقة الممنوحة من الروح القدس ويسعد بهذه المحبة، فإنه سوف يحب الإخوة بطريقة تلقائية لأن نفس العطية الإلهية تعمل فى الحالتين،** ولهذا قال: "نحن نعلم أننا قد انتقلنا من الموت إلى الحياة لأننا نحب الإخوة، ومن لا يحب أخاه يبقَ فى الموت" (١يو٣: ١٤). وقال أيضاً: "أيها الأحباء لنحب بعضنا بعضاً لأن المحبة هى من الله، وكل من يحب فقد وُلد من الله ويعرف الله. ومن لا يُحب لم يعرف الله لأن الله محبة" (١يو٤: ٧، ٨).

نقاش مع التلاميذ فى الطريق

فى الطريق إلى جبل الزيتون، حيث بستان جثسيمانى، ابتدأ السيد المسيح يكشف لتلاميذه ما سوف يحيط بهم من ضعف بعد القبض عليه، وبداية آلامه ومحاكمته تمهيداً لصلبه.. قال لهم: "كلكم تشكون فىّ فى هذه الليلة، لأنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتتبدد خراف الرعية" (مت٢٦: ٣١).

وهنا بدأ بطرس يعترض بثقة زائدة فى النفس، ويستثنى نفسه من بين التلاميذ فقال: "وإن شك فيك الجميع، فأنا لا أشك أبداً" (مت٢٦: ٣٣).

لم يغضب السيد المسيح من اعتراض بطرس على كلامه، الذى بدا وكأنه لا يريد أن يصدق كلام الرب الذى لا يسقط أبداً. فالسماء والأرض يزولان ولكن كلامه لا يزول (انظر مت٢٤: ٣٥). بل أجاب السيد المسيح فى اتضاع وطول أناة مؤكداً: "الحق أقول لك إنك فى هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرنى ثلاث مرات" (مت٢٦: ٣٤).

فى البداية: لم يرغب السيد المسيح أن يكلّم بطرس عن إنكاره بل تكلّم عن شك التلاميذ إجمالاً. لكن بطرس اعتبر نفسه متفوقاً فى محبته للسيد المسيح على جميع التلاميذ وقال: "وإن شك فيك الجميع، فأنا لا أشك أبداً" (مت٢٦: ٣٣). فاضطر السيد المسيح أن يكشف له ضعفه، وكيف أنه لن يشك فقط، بل سوف ينكره أيضاً.. لا مرة واحدة، بل ثلاث مرات!!

لم يتراجع بطرس أمام كلمات الرب الواضحة.. بل استمر فى اعتراضه –وكأن السيد المسيح لا يعرف ما سوف يكون– وقال: "ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك" (مت٢٦: ٣٥).

العجيب أن كلام بطرس قد تسبب فى أن باقى التلاميذ قد كرروا نفس الكلمات "هكذا قال أيضاً جميع التلاميذ" (مت٢٦: ٣٥).

ربما يغضب أى معلم عادى من اعتراض أحد تلاميذه على كلام هو واثق منه كل الثقة.. ولكن السيد المسيح صمت ولم يغضب، حتى وإن بدا أن بطرس لا يريد تصديق كلامه.. وحتى إن اعترض هو وباقى التلاميذ على كلامه علانية.

كان السيد المسيح يحب بطرس ويحب سائر التلاميذ، ويعرف ضعف البشر، وقد جاء ليحرر الذين قبلوه من ضعفهم، حاملاً خطاياهم محتملاً لجهالتهم..

لهذا اكتفى السيد المسيح بما قيل.. وترك لبطرس والتلاميذ أن يكتشفوا الحقيقة فى أوانها.. ترك الباب مفتوحاً لبطرس لكى يخرج خارجا ويبكى بكاءً مراً (انظر مت٢٦: ٧٥) حينما يكتشف صدق ما سبق وقاله السيد المسيح. لم يكن الوقت مناسباً للغضب أو التأديب، لأن قلوب التلاميذ كانت قد تثقلت بأحزان الصليب.

مبررات الاحتجاج

ربما يحتج البعض بأن ما دفع بطرس والتلاميذ إلى الاعتراض على كلام السيد المسيح، هو رغبتهم فى التعبير عن شدة محبتهم، وعدم تصورهم أن تصدر منهم هذه الأمور المخجلة. ولكن مهما كان الدافع.. فلم يكن من الصواب إطلاقاً، أن يعترضوا بشدة على ما يقوله السيد المسيح منبهاً إياهم بما سوف يحدث بروح اليقين. لم يحدث إطلاقاً أن أخبرهم السيد المسيح عن أمر ولم يتحقق. ولم يحدث إطلاقاً أن وعدهم بشئ ولم ينفذ وعده.

أليس هو الذى قال عن موت لعازر: "لعازر حبيبنا قد نام. لكنى أذهب لأوقظه" (يو١١: ١١). وقال أيضاً: "وأنا أفرح لأجلكم إنى لم أكن هناك لتؤمنوا" (يو١١: ١٥). وبالفعل ذهب إلى بيت عنيا وأقام لعازر بسلطان لاهوته من بعد موت لعازر بأربعة أيام.. لم يكن هناك عذر لبطرس ولباقى التلاميذ أن لا يصدقوا ما قاله السيد المسيح، وأن

يعبّروا عن اعتراضهم علانية بهذه الصورة.. بل كان الأليق بهم أن يتأمل كل واحد منهم ضعفه.. وترن كلمات السيد المسيح فى داخله، فيصرخ إلى الرب طالباً المعونة لئلا تفنى التجربة إيمانه.

تشجيع الرب لتلاميذه

بالرغم من كل ما حدث، فإن **محبة الرب قد أحاطت ببطرس** فى وقت التجربة. وقال له "**سمعان سمعان هوذا الشيطان طلبكم لكى يغربلكم كالحنطة. ولكنى طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك. وأنت متى رجعت ثبت إخوتك**" **(لو٢٢: ٣١، ٣٢).**

فكما أنبأ الرب بطرس بما سوف يصدر عنه من ضعف، فإنه أيضاً قد شجعه بهذه الكلمات "**طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك**" و "**متى رجعت**"..

فى كل ما قاله السيد المسيح كان يقصد أن يخبر بطرس بما سوف يكون حتى لا ييأس: أخبره بضعفاته.. وأخبره أيضاً بقبوله لعودته ورجوعه وتقويته.. كل ذلك قاله السيد المسيح قبل أن يكون..

ما أجمل هذه الكلمات "طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك" (لو٢٢: ٣٢).. وهل يوجد مجال للشك فى أن تستجاب طلبة السيد المسيح لأجل بطرس؟! هكذا جاءت كلمات السيد الرب لتشجيعه، حتى فى وقت ضعفه وكلامه غير المقبول..

أما عن قول السيد المسيح: "وأنت متى رجعت فثبت إخوتك" فالمقصود بها أنه متى تاب ورجع، فإن الرب سيعيده إلى رتبته الرسولية، وسيستخدمه فى خلاص الخطاة والبعيدين، لأنه يكون قد اختبر مرارة الخطية وحلاوة الرجوع إلى أحضان الرب الحنان.

فى بستان جثسيمانى

" جثا على ركبتيه وصلى " (لو٢٢: ٤١)

فى وقت الشدة والحزن المرير، أوصى السيد المسيح تلاميذه قائلاً: "صلوا لكى لا تدخلوا فى تجربة" **(لو٢٢: ٤٠).**

وكما أوصاهم هكذا فعل، مقدّماً نفسه مثالاً لكل إنسان، ونائباً عن البشرية فى أوجاعها وأحزانها التى استحقتها لسبب الخطية..

فى اتضاع عجيب جثا السيد المسيح على ركبتيه وصلى، بكل الانسحاق، وبنفس منسكبة، وفى ضراعة عميقة، وصراخ من القلب.. "**وإذ كان فى جهادٍ كان يصلى بأشد لجاجةٍ. وصار عرقه كقطرات دمٍ نازلةٍ على الأرض**" **(لو٢٢: ٤٤).**

هذه الصلاة الحارة العميقة قد اجتذبت انتباه السمائيين "وظهر له ملاك من السماء يقويه" (لو٢٢: ٤٣). ربما كان الملاك يردد ذلك النغم الخالد {**لك القوة والمجد والبركة والعزة**}.. أو كان يردد تسبحة الثلاثة التقديسات {**قدوس الله**

قدوس القوى قدوس الحى الذى لا يموت}.. أو ليعلن إعجاب السمائيين بذلك الحب العجيب الذى احتمل الأحزان لأنه "إذ كان قد أحب خاصته الذين فى العالم، أحبهم إلى المنتهى" (يو١٣: ١)..

فى كل الأحوال فإن ظهور الملاك قد أكد مشاركة الجند السمائيين فى وقت التجربة والحزن والألم.

وقد وصف معلمنا بولس الرسول تلك الصلوات الحارة والمنسحقة التى قدمها السيد المسيح أثناء آلامه وأحزانه فقال: "**الذى فى أيام جسده إذ قدّم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت. وسُمع له من أجل تقواه. مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به. وإذ كمل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدى**" **(عب٥: ٧-٩).**

كل ما قيل عن تضرعات السيد المسيح أمام الآب فى وقت الآلام والأحزان، ينبغى أن ننظر إليه فى ضوء أن الابن الوحيد قد أخلى ذاته آخذاً صورة عبد (انظر فى٢: ٧). ولكنه مع هذا بقى هو هو نفسه كلمة الله القادر على كل شئ. ولكن من حيث إنه قد تجسد، وصار نائباً عن البشرية "إذ وُجد فى الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت؛ موت الصليب" (فى٢: ٨).

ولذلك يقول: "مع كونه ابناً تعلم الطاعة مما تألم به" (عب٥: ٨). أى أنه مع كونه ابن الله الذى له نفس جوهر الآب وقدراته وإرادته، فإنه كنائب عن البشرية قد أظهر الطاعة فى قبوله للآلام والأحزان، مُرضياً لقلب الآب السماوى.

وهو فى صلاته وتضرعه، كان يطلب من أجل خلاص البشرية من براثن الموت وقبضته. وقد أقامه الآب من الأموات، **بنفس القدرة الإلهية التى أقام بها هو نفسه، والتى أقامه بها الروح القدس. لأن قدرة الثالوث هى قدرة إلهية واحدة.** ولكنه **مع كونه ابناً** قد تضرع إلى الآب من أجل القيامة من الأموات لأنه فى هذا قد ناب عن البشرية فى استرضاء قلب الآب السماوى، وفى إيفاء العدل الإلهى حقه بالكامل.

يقول الكتاب "وسُمع له من أجل تقواه" (عب٥: ٧). فلم يكن الأمر تنازلاً عن حق العدل الإلهى الذى لا يمكن أن يتغير.. بل بالفعل أوفى الإنسان يسوع المسيح حق العدل الإلهى، واستجاب الآب لما طلبه ابن الإنسان البار القدوس الذى بلا خطية، حينما قدّم نفسه ذبيحة إثم إذ حمل خطايا كثيرين وشفع فى المذنبين.

مجد الاتضاع

هذا الذى أخلى ذاته فى الجسد على الأرض من مجده الإلهى المنظور، حينما قَبِلَ أن يوجد فى صورة عبد ولم يحسب مساواته لله اختلاساً بل صار فى شبه الناس (انظر فى٢: ٦). "وإذ وجد فى الهيئة كإنسان، وضع نفسه وأطاع حتى الموت؛ موت الصليب" (فى٢: ٨).

يتكلّم معلمنا بولس الرسول عن مجد اتضاعه فيقول: "**ولكن الذى وضع قليلاً عن الملائكة، يسوع نراه مكللاً بالمجد والكرامة، من أجل ألم الموت. لكى يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد**" **(عب٢: ٩).**

إن المحبة تتألق حينما تتألم.. وهى تبرهن على نفسها حين تبذل وتعطى..

مجد المحبة هى أن تحب. كما أن مجد الينبوع هو أن يروى ويسقى ويغسل.. فمبارك هو ذاك الذى أخلى ذاته من المجد بالتجسد.. وبذل ذاته متجسداً بالصليب..

وهكذا "كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا، ويدخل إلى مجده" (لو٢٤: ٢٦). "لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم. لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض. ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فى٢: ٩-١١).

" جعل نفسه ذبيحة إثم " (إش٥٣: ١٠)

وردت هذه النبوة عن السيد المسيح فى سفر إشعياء (انظر إش٥٣: ١٠) لتوضيح أن ذبيحة الصليب هى لخلاص الأثمة والخطاة. لأنه يقول أيضاً "**بمعرفته يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها**" (إش٥٣: ١١).

اتحد اللاهوت بالناسوت فى السيد المسيح اتحاداً تاماً كاملاً منذ اللحظة الأولى للتجسد الإلهى. وهذا الإتحاد هو الذى عبّر عنه القديس كيرلس الكبير بعبارة [طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة].

وبسبب هذا الاتحاد الذى يفوق العقل والإدراك، صار لذبيحة الصليب **فاعلية غير محدودة** فى خلاص الخطاة. لأن الآب وضع عليه خطايا كثيرين ليبررهم. "أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن، إن **جعل نفسه ذبيحة إثم**.. يبرر كثيرين وآثامهم هو يحملها.. **هو حمل خطية كثيرين**، وشفع فى المذنبين" (إش٥٣: ١٠-١٢).

هذا الفداء العجيب الذى دبّره الآب السماوى، فى وحدة المشيئة مع الابن والروح القدس، قد اشترك فيه الأقانيم الثلاث. فالآب بذل ابنه الوحيد، والابن بذل ذاته، والروح القدس لم يكن غريباً عن الكلمة حينما كان معلقاً على الصليب "المسيح الذى بروح أزلى **قدّم نفسه لله بلا عيب**" (عب٩: ١٤).

لو كانت ذبيحة الصليب هى ذبيحة إنسانية مجردة، لما كان لها القدرة أن تكفر عن خطايا كثيرين -أى ما لا يعد من الملايين- ولما كان لها القدرة أن تسحق الشيطان وتحطم سلطانه وقوته. ولكن لأن الناسوت هو ناسوت كلمة الله، ولأن هذا الناسوت كان متحداً باللاهوت بلا انفصال، فقد أمكن أن تكون هذه الذبيحة هى ذبيحة إلهية مخلّصة ومانحة للحياة. لهذا قال السيد المسيح: "أنا هو القيامة **والحياة**. من آمن بى ولو مات **فسيحيا**" (يو١١: ٢٥).

فكل ما فعله ابن الله المتجسد من أجل خلاصنا، فقد فعله بأقنومه المتجسد الواحد والذى لم يفترق إلى طبيعتين من بعد الاتحاد.

لكل هذه الأسباب، أرسل الله ابنه الوحيد المولود من الآب قبل الدهور، ليتجسد من العذراء مريم فى ملء الزمان، وليحرر البشر من الخطية ومن الموت الأبدى، وليعلن حب الله غير المحدود.. حب الله الأبدى غير الموصوف.

" سر بأن يسحقه بالحزن " (إش٥٣: ١٠)

لماذا سر الآب بأن يسحق الابن المتجسد بالحزن؟

كانت مسرة قلب الآب أن يصالح العالم لنفسه فى المسيح. هذه المسرة ملؤها التضحية ودافعها المحبة.

لم يكن الخصام بين الله والإنسان شيئاً يسر قلب الله. ولم يكن ممكناً أن تتم المصالحة بدون سفك دم، وبدون كفارة حقيقية تستعلن فيها قداسة الله كرافض للشر والخطية فى حياة الإنسان.

وفى كل ذلك احتمل السيد المسيح فى طاعة كاملة لأبيه السماوى، وفى اتضاع عجيب؛ احتمل كل الأحزان التى تفوق الوصف. وقال بفم إشعياء النبى: "السيد الرب فتح لى أذناً، وأنا لم أعاند، إلى الوراء لم أرتد. بذلت ظهرى للضاربين وخدّىَّ للناتفين. وجهى لم أستر عن العار والبصق" (إش٥٠: ٥، ٦).

القبض على يسوع

" من تطلبون ؟ " (يو١٨: ٤)

بعد جهاد الصلاة فى بستان جثسيمانى، وبعد وصول جنود الهيكل وخدام رئيس الكهنة "خرج يسوع وهو عالم بكل ما يأتى عليه وقال لهم: من تطلبون؟" (يو١٨: ٤).

لم يكن سبب السؤال أنه لم يكن يعلم، بل كان عالماً بكل ما يأتى عليه. ولكنه فى اتضاع ينزل فى بساطة إلى مستوى بنى البشر لكى يخاطبهم، ويبدأ الحوار وكأنه لا يعلم، مع أنه عالِم بكل شئ.

وقد أجابوه قائلين: "يسوع الناصرى" فقال لهم يسوع: "أنا هو" (يو١٨: ٥).

ونظراً لأن عبارة "**أنا هو** = I am he" تعنى "يهوه" (VEgw, eivmi إيجو إيمى) باللغة اليونانية، فقد ظهرت قوتها وتأثيرها حينما خرجت من فم الله الكلمة. تماماً مثلما خاطب موسى فى صورة لهيب النار فى العليقة، وقال له: "أهيه الذى أهيه" (خر٣: ١٤). وقال الله لموسى: "هكذا تقول لبنى إسرائيل **أهيه** أرسلنى إليكم" (خر٣: ١٤). فى ذلك الوقت "غطى موسى وجهه لأنه خاف أن ينظر إلى الله" (خر٣: ٦).

"فلما قال لهم: إنى **أنا هو** رجعوا إلى الوراء وسقطوا على الأرض" (يو١٨: ٦).لم يحتملوا مجد لاهوته، حينما أعلن بكلامه شيئاً عن هذا المجد، حتى ولو لم يفهموا لقساوة قلوبهم.

عجيب هو سرّك أيها الكلمة الأزلى، يا من ظهرت فى الجسد لأجل خلاصنا..!!

عجيب أنت فى اتضاعك.. إذ وأنت الإله السرمدى، سلّمت للموت نفسك بإرادتك وسلطانك وحدك..!!

من يقدر أن يصف سر تجسدك الفائق للوصف والإدراك؟.. ومن يقدر أن يفهم اتضاعك وإخلائك لذاتك، وأنت تسير فى طريق الموت بحسب الجسد، حاملاً صليب العار، بل صليب المجد مُظهراً مقدار محبتك للبشر.

كنت يا سيدى تنظر فى عطف ورثاء إلى أولئك الذين جاءوا فى جهل وغباوة للقبض عليك، مدفوعين فى شقاوتهم بإيحاء من إبليس اللعين الذى لم يحتمل ظهورك فى الجسد.. لم يحتمل تواضعك وإخلاءك لذاتك، فاندفع فى حماقته يكيل ضدك ضربات الكراهية والحقد والحسد.. وأنت مثل حمل وديع، احتملت ظلم الأشرار، مظهراً مجد طاعتك الكاملة لأبيك السماوى.

هكذا استطاعت المحبة الفائقة أن تحتمل.. أن تحتمل كل شئ.. حتى تهزم الكراهية، وتحرر البشرية من سلطان إبليس.. وتوبخ قساوة البشر حتى يخجلوا من كل ما عملوه.

بعد ذلك أعاد السيد المسيح نفس السؤال: "من تطلبون" (يو١٨: ٧). وكرروا نفس الإجابة: "يسوع الناصرى. أجاب يسوع: قد قلت لكم إنى أنا هو" (يو١٨: ٧، ٨). وقول السيد المسيح فى هذه المرة " **أنا هو**" قاله بالمعنى البسيط؛ أى أنا الذى تبحثون عنه وتطلبونه لتقبضوا عليه كأنه مذنب. لم يقلها بحسب إعلانه هو شخصياً عن طبيعته الإلهية، بل حسب مقصدهم هم الخالى من المعرفة "لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد" (١كو٢: ٨).

لهذا لم يقعوا على الأرض فى المرة الثانية، بل تجاسروا وتقدموا للقبض عليه.. وقد سمح هو بذلك وسلم نفسه لهم مخفياً مجد لاهوته ليتم الفداء.

" دعوا هؤلاء يذهبون " (يو١٨: ٨)

جاء السيد المسيح لكى يبذل نفسه فدية عن كثيرين. وقد تحقق هذا أيضاً فى لحظة القبض عليه لأن الفداء فى حياته كان منهجاً، وليس حدثاً عارضاً. فكما افتدى البشرية بموته على الصليب، هكذا افتدى تلاميذه فى لحظة القبض عليه. وقال لأجناد اليهود: "فإن كنتم تطلبوننى فدعوا هؤلاء يذهبون" (يو١٨: ٨).

اعتاد الجنود فى الحروب أن يقدموا أنفسهم فدية عن ملوكهم. فالملك يحاط بعناية خاصته. وقد حدث فعلاً أن طلب المحيطون بالملك داود أن لا يطفئ سراج إسرائيل (انظر ٢صم٢١: ١٧). وأن لا ينزل بنفسه إلى معارك الحروب، فيترك الجيش ليحارب، ويبقى هو فى القصر فى أمان.

وقد قبِل الملك داود منهم هذه النصيحة، بعد أن خاض حروب كثيرة. وابتدأ يمتنع عن النزول إلى الحرب وبقى فى القصر.. وأدى ذلك إلى متاعب كثيرة فى حياته فيما بعد.

أما الملك يسوع، فلم يقبل أن يُقبض على أحد سواه فى ليلة آلامه، واختار أن يساق وحيداً إلى الموت بعد انصراف التلاميذ ليتم القول الذى قاله: "إن الذين أعطيتنى لم أهلك منهم أحداً" (يو١٨: ٩).

كان قلبه منشغلاً بالآخرين وبسلامتهم ونجاتهم.. فتقدم كقائد شجاع، ليدفع الثمن وحده.. ليخلص المسبيين، ويحرر المأسورين، ويدك حصون الشياطين.

أليس هو الذى قال بفم حزقيال النبى: "أنا أرعى غنمى وأربضها.. وأطلب الضال، وأسترد المطرود، وأجبر الكسير، وأعصب الجريح، وأبيد السمين والقوى وأرعاها بعدل" (حز٣٤: ١٥، ١٦).

الملك الحقيقى هو من يحقق لرعيته حياة الكرامة والحرية.. وهذا ما فعله السيد المسيح.

والملك الحقيقى هو من يمنح الحياة الأفضل.. وهذا ما منحه السيد المسيح.

والملك الحقيقى هو من يحرر رعيته من الخوف، ويصد هجمات الأعداء فى بأس وقوة.

والملك الحقيقى هو من يملك على قلوب رعيته بالمحبة.

فليس المُلك هو أن يملك الملك على الشعب ليذلهم وليخدموه، بل **المُلك هو أن يملك على القلوب ويمجدهم فيحبوه حتى أنه لا يملك فى وسطهم، بل يملك فى داخلهم.**

هكذا ملك السيد المسيح على خشبة الصليب. وبدلاً من أن يملك الموت على البشر، ملكت الحياة التى فى السيد المسيح.

لهذا نادى معلمنا بولس "لى الحياة هى المسيح" (فى١: ٢١) وقال: "متى أظهر المسيح حياتنا" (كو٣: ٤). وقيل فى إنجيل يوحنا "فيه كانت **الحياة**" (يو١: ٤). وقال السيد المسيح عن نفسه: "أنا هو خبز **الحياة**" (يو٦: ٣٥). "أنا هو.. **الحياة**" (يو١١: ٢٥). وكراعٍ صالح يبذل نفسه عن الخراف قال: "أتيت لتكون لهم **حياة** وليكون لهم أفضل" (يو١٠: ١٠).

" أبقبلة تسلم ابن الإنسان ؟! " (لو٢٢: ٤٨)

ظل السيد المسيح وديعاً ومتواضعاً وأميناً إلى النهاية.. وحينما وصل يهوذا لينفذ الخيانة التى وضعها فى قلبه.. لم يصدّه السيد المسيح عن أن يُقبّله.. مع أن تلك القُبلة كانت هى العلامة التى أعطاها يهوذا لجنود وخدام رؤساء كهنة اليهود ليمسكوا يسوع.

عاتب السيد المسيح يهوذا بقوله "يا صاحب، لماذا جئت؟" (مت٢٦: ٥٠). كقول المزمور "ليس مبغضى تعظم علىّ **فأختبئ منه**. بل أنت إنسان عديلى إلفى **وصديقى**. الذى معه كانت تحلو لنا العشرة" (مز٥٥: ١٢-١٤).

وعاتبه أيضاً بقوله "**يا يهوذا أبقبلة تُسلِّم ابن الإنسان**" (لو٢٢: ٤٨) هل يتصور أحد أن علامة المحبة والصداقة والألفة، تصير هى نفسها علامة الغدر والخيانة..؟!

سار السيد المسيح على الدرب نحو الصليب، وطُعن فى جنبه بالحربة فوق الجلجثة. ولكن طعنة يهوذا فى قلبه كانت أقسى بكثير... لهذا كتب عنه فى نبوة إشعياء: "محتقر ومخذول من الناس، رجل أوجاع ومختبر الحزن.. أحزاننا حملها وأوجاعنا تحملها.. مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا" (إش٥٣: ٣-٥).

" اجعل سيفك فى الغمد " (يو١٨: ١١)

أراد بطرس أن يدافع عن السيد المسيح بالسيف فى وقت القبض عليه فى البستان. وبالفعل "كان معه سيف، فاستله وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه اليمنى. وكان اسم العبد ملخس. فقال يسوع لبطرس: اجعل سيفك فى الغمد. الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها" (يو١٨: ١٠، ١١).

لم يرغب السيد المسيح فى استخدام العنف فى الدفاع عن نفسه، أو فى مقابل الكراهية المصوبة نحوه. بل أراد أن يعالج الكراهية بالمحبة، وأن يعالج العنف بالوداعة. أليس هو الذى علّم قائلاً: "لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحوّل له الآخر أيضاً" (مت٥: ٣٩).

أعاد السيد المسيح لعبد رئيس الكهنة أذنه وأبرأها فعادت صحيحة. ولم يقبل أن يتم بسببه أذية إنسان.. وبالرغم من محبته الواضحة فقد قبضوا عليه وأوثقوه.

لم يعتز السيد المسيح بسحق أعدائه بالقوة.. بل أظهر –فى آلامه– بالضعف ما هو أقوى من القوة. أظهر قوة الاحتمال النابع عن المحبة، إذ "ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه" (يو١٥: ١٣).

كان الآب قد أرسل السيد المسيح لخلاص العالم. وكان ينبغى أن يشرب من كأس الألم ليتم الفداء. وأراد بطرس أن يدافع عن السيد المسيح ولكنه بهذا كان يعطل عمل الفداء بالصليب. لهذا قال له السيد المسيح: "الكأس التى أعطانى الآب ألا أشربها" (يو١٨: ١١).

ما أجمل التسليم لإرادة الآب السماوى، حينما يقبل الإنسان كأس الآلام من يد الآب نفسه، واثقاً أن النصرة هى من عند الرب (انظر أم ٢١: ٣١). وأن الآب يعتنى به ويحميه.. وإن سمح له أن يشترك أو يتشبه "بالآلام التى للمسيح، والأمجاد التى بعدها" (١بط١: ١١). والمقصود بالأمجاد هنا أمجاد القيامة والصعود..

فالقيامة هى سر رجاء المسيحى وفرحه فى وسط الآلام. لأنه كما يشترك فى آلام المسيح هكذا سيشترك فى قيامته.

" قبضوا على يسوع وأوثقوه " (يو١٨: ١٢)

"ثم إن الجند والقائد وخدام اليهود قبضوا على يسوع وأوثقوه، ومضوا به إلى حنان أولاً لأنه كان حما قيافا الذى كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة. وكان قيافا هو الذى أشار على اليهود أنه خير أن يموت إنسان واحد عن الشعب" (يو١٨: ١٢-١٤).

كيف يتم تقييد السيد المسيح بهذه الصورة العجيبة؟! وهل هو مستحق لذلك؟!

من الذى يستحق الربط والوثاق ؟

أليس إبليس هو الذى يستحق أن يوثق ليستريح العالم من شروره..؟!

أليس الإنسان الخاطئ هو الذى يستحق أن يوثق، إذ سلّم نفسه إلى رباطات الخطية والموت..؟!

لذلك كُتب عن الشيطان: "والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم، بل تركوا مسكنهم، حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية تحت الظلام" (يه ٦).

وكُتب عن الشيطان أيضاً أن السيد المسيح بعد أن أتم الفداء "قبض على التنين الحية القديمة الذى هو إبليس والشيطان، وقيده ألف سنة" (رؤ٢٠: ٢). إلى أن يحل الشيطان من سجنه زماناً يسيراً فى نهاية العالم، قبل إلقائه بصفة نهائية فى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت.

وقال بطرس الرسول لسيمون الساحر الذى طلب أن يقتنى موهبة الرسولية بدراهم "فتب من شرك هذا، وأطلب إلى الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك. لأنى أراك فى مرارة المر ورباط الظلم" (أع٨: ٢٢، ٢٣).

فالشيطان يربط الإنسان ويوثقه برباطات الخطية، والسيد المسيح يريد أن يحل الإنسان من هذه الرباطات.

كذلك كان الشيطان قبل مجيء المخلّص يربط الناس فى أجسادهم. إذ كان له سلطان على البشر بعد سقوط الإنسان. لهذا قال السيد المسيح عن المرأة المنحنية التى شفاها من مرضها: "وهذه وهى ابنة إبراهيم قد ربطها الشيطان ثمانى عشرة سنة. أما كان ينبغى أن تحل من هذا الرباط" (لو١٣: ١٦).

جاء السيد المسيح وقال: "روح الرب علّى، لأنه مسحنى.. لأنادى للمأسورين بالإطلاق.. وأرسل المنسحقين فى الحرية" (لو٤: ١٨). فجاء لكى يحرر البشر من وثاق الظلمة ولكى يخرج "من الحبس المأسورين من بيت السجن، الجالسين فى الظلمة" (إش٤٢: ٧).

لماذا أوثقوا يسوع ؟!!

- **هل خوفاً من أن يهرب؟** أليس هو الذى سلّم نفسه لهم بإرادته..؟!
- **هل خوفاً من أن يبطش بهم؟..** أليس هو الذى أبرأ ملخس عبد رئيس الكهنة..؟
- **أم إظهاراً لسطوتهم وقدرتهم فى القبض عليه؟..** أليسوا هم الذين سقطوا على الأرض عندما قال لهم: " أنا هو" وقت القبض عليه..؟!
- **هل أوثقوه لكى لا يصنع المزيد من المعجزات بيديه، والتى بسببها آمن الكثيرون؟** أليس هو الذى أبرأ الكثيرين بكلمة من فمه المبارك، وليس بيديه فقط.. وأظهر سلطانه على الطبيعة وعلى كل شئ. ولم يصنع المعجزات وهو حر فقط، بل وهو مسمَّر على الصليب، حينما أخفت الشمس شعاعها فى عز النهار، وتحوّل النهار إلى ليل لمدة ثلاث ساعات متصلة، وماجت الأرض مرتعدة. وأكثر من ذلك كله صنع معجزة القيامة وهو ميت بحسب الجسد، ومدفون فى القبر لمدة ثلاثة أيام، والأختام موضوعة على القبر الذى كان يحرسه عساكر الرومان.

ربما كانت هذه كلها هى دوافعهم فى أن يوثقوا الرب يسوع، بل وأكثر منها.. ولكن الرب سمح بذلك كله لكى يصير تقييده ووثاقه عوضاً عن الإنسان الخاطئ الذى أوثقته الخطية وجعلته مقيداً وفقد حريته الحقيقية.

لقد قبِل السيد المسيح أن يفقد حريته -بحسب الجسد- فى وقت الآلام والصلب، لكى يحرر الإنسان من رباطات الخطية مظهراً أن الحرية الحقيقية هى الحرية من الشر. ولهذا قال لليهود: "إن حرركم الابن فبالحقيقة تكونون أحرارًا" (يو٨: ٣٦).

تكلّم المفكر الفرنسى الوجودى (جان بول سارتر) عن حرية الإنسان.. ونادى بتحرير الإنسان من سيطرة الله عليه – حسب زعمه- والتى مظهرها الوصايا الإلهية.

ولكن الوصية فى حقيقتها، ليست قيداً على الإنسان.. بل هى المحرر له من سلطان الشر والخطية.

وكان ينبغى على سارتر أن يتأمل كيف اختار الله الكلمة المتجسد أن يفقد حريته من أجل تحرير الإنسان.

فليس الله هو ذلك الإله الذى يسلب حرية الإنسان بعد أن خلقه حراً.. بل هو ذلك الإله الذى دفع حريته وحياته – بالصليب– ثمناً لتحرير الإنسان بالكامل "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد الجنس لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦).

شمشون والمسيح

إن كان اليهود قد قبضوا على السيد المسيح، وأوثقوه.. فقد حدث نفس الأمر فى حياة شمشون نذير الرب وقاضى إسرائيل.. وذلك حينما حضر إليه شيوخ إسرائيل وقالوا له إن الوثنيين يهاجمون أرضهم، ويتلفون ممتلكاتهم، ويقتلون بنيهم أو يأخذونهم كأسرى بسبب ما فعله هو بالوثنيين.

وحينما سألهم شمشون عما يقترحونه أو يطلبونه.. أجابوه بأن الحل فى نظرهم هو أن يقبضوا عليه، ويسلموه موثقاً إلى الوثنيين، لأن هذا هو الشرط الذى طلبوه ليمتنعوا عن إيقاع الأذى بهم..

وقد وافق شمشون فى شجاعة نادرة على طلبهم. ليريحهم من جهة، وليظهر لهم قدرة الرب من جهة أخرى.

ومع ذلك أحضر شعبه حبالاً جديدة متينة وأوثقوه بها. وقبل هو أن يتم تسليمه للأعداء فداءً عن شعبه.

وحينما وصل شمشون موثقاً بالحبال إلى محلة الوثنيين، فرحوا جداً وهتفوا وشعروا أن غريمهم القوى قد وقع أسيراً فى أيديهم فى النهاية. ولكن فرحتهم لم تتم، إذ حل روح الرب على شمشون، فانحلّت وثاقاته المتينة، وصارت الحبال القوية كأنها خيط رفيع أمام قوته العجيبة. وإذ كان الجند قد تجمهروا من حوله.. أبصر أمامه على الأرض فك حمار، فالتقطه وضرب به ألف جندى من الوثنيين وانتصر عليهم. وحرر المأسورين من شعبه، وصنع الرب خلاصاً عظيماً على يديه فى ذلك اليوم.

كان شمشون فى كل ذلك رمزاً للسيد المسيح الذى أظهر بالضعف ما هو أقوى من القوة.

فقد سمح لليهود أن يقبضوا عليه ويوثقوه، ويسلّموه إلى قضاء الموت بيد الحاكم الوثنى الرومانى. وتقبل كل ما وجه إليه من إهانات فى اتضاع وتسليم من أجل خلاصنا.

وقد تخيل الشيطان فى حماقته أن السيد المسيح قد وقع أسيراً بين يديه.. ولكن السيد المسيح إذ انتصر على الصليب حطّم مملكة الشيطان وحرر المأسورين.

ففى ضعفه الظاهرى كان قوياً منتصراً على مملكة الظلمة. كما أنه انتصر على الموت، وحطّم شوكته، وقام منتصراً من الأموات. تحرر بسهولة من الموت إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه.

كان "**فك الحمار**" الذى انتصر به شمشون على أعدائه رمزاً إلى "**الموت**" الذى حطّم به السيد المسيح الموت. وقد دخل السيد المسيح إلى أورشليم فى بداية أسبوع الصلب راكباً على **أتان**. دخل من باب الضأن فى أورشليم ليكون تحت الحفظ مثل خروف الفصح، لأنه هو حمل الله الذى يحمل خطية العالم كله. وبدخول السيد المسيح إلى أورشليم بهذه الصورة قَبِلَ الموت بإرادته. وقَبِلَ أن يدخل إلى صراع الموت ليحطّمه ويبيد سلطانه "إذ قد تشارك الأولاد فى

اللحم والدم، اشترك هو أيضاً كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية" (عب٢: ١٤، ١٥).

سقوط المعبد

وقد تكرر موقف مشابه فى حياة شمشون. حينما أرادوا أن يسخروا منه فى عيد الإله داجون، وأتوا به إلى المعبد لإذلاله هناك. ولكنه وقف بين عمودى المعبد الأساسيين، ورفع يديه على مثال الصليب ودفع العمودين بقوة فانهار معبد الوثنيين على من فيه وكان عدد الذين قتلهم فى موته أكثر من الذين قتلهم فى حياته.

وكان فى هذا يرمز إلى السيد المسيح الذى فى موته على الصليب هدم مملكة إبليس وحرر البشر من سلطانه وفتح الجحيم وأخرج أرواح الذين رقدوا على الرجاء وأدخلهم إلى الفردوس ورد آدم إلى مرتبته مرة أخرى..

كان موت المسيح هو أعظم انتصار على الشيطان، بالرغم مما بدا فيه من ضعف ظاهرى.

فعلى الصليب انتصرت المحبة، وانتصر البر، وأخذ العدل مجراه فانتصرت العدالة، وانتصرت الحياة على الموت لأن الحياة فى المسيح، كانت أقوى من الموت الذى لنا.

" هذه ساعتكم " (لو٢٢: ٥٣)

فى وقت القبض على السيد المسيح، قال لرؤساء كهنة اليهود ولقواد جند الهيكل والشيوخ المقبلين عليه: "كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى. إذ كنت معكم كل يوم فى الهيكل لم تمدوا علىّ الأيادى. ولكن **هذه ساعتكم وسلطان الظلمة**" (لو٢٢: ٥٢، ٥٣).

حدث التآمر ضد السيد المسيح لأنه جاء نوراً للعالم، وأحب الذين قاوموه الظلمة أكثر من النور لأن أعمالهم كانت شريرة.

لم يحتمل الذين سلكوا فى الظلمة ما نادى به السيد المسيح من تعاليم تحرر الإنسان من قيود الخطية وظلمتها.

ولم يحتملوا إنذاراته للجميع بالتوبة "إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون" (لو١٣: ٣).

ولم يحتملوا إصغاء الناس له والتفافهم من حوله وقالوا بعضهم لبعض: "انظروا إنكم لا تنفعون شيئاً. هوذا العالم قد ذهب وراءه" (يو١٢: ١٩). وامتلأوا حسداً..

لم يحتملوا العجائب والمعجزات التى صنعها، وظهر بها مجده فآمن به تلاميذه (انظر يو٢: ١١).

ولم يحتملوا أنه كان يقاوم أساليبهم التى تعثر الشعب وتبعدهم عن معرفة الله؛ مثل تعشير الشبث والنعنع والكمون، وفى نفس الوقت ظلم الأرامل والأيتام. أو إطالة الصلوات تظاهراً بالتقوى بلا صلة حقيقية بالله أو طلباً للمنفعة (انظر مت٢٣).

كانوا قد حوّلوا الهيكل الذى هو مكان العبادة والصلاة وتقديم الذبائح طلباً للغفران، إلى موضع للتجارة. فكان الهيكل مكتظاً بباعة الحيوانات والطيور وبموائد الصيارفة.. وأخذت العبادة وضعاً شكلياً، وكأن الرب تهمه ذبائح الكباش

والتيوس فقط، ولا تهمه ذبائح شفاه معترفة باسمه، أو قلوب منسحقة أمامه، مع أن "الذبيحة لله روح منسحق" (مز ٥٠: ١٧)

وكما هو مكتوب "غيرة بيتك أكلتنى" (يو٢: ١٧)، فقد تحرّك السيد المسيح بغيرة مقدسة لتطهير الهيكل من كل مظاهر محبة العالم قائلاً لهم: "بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" (مت٢١: ١٣).

اصطدم السيد المسيح بمصالح الكهنة والفريسيين من أجل تطهير هيكله المقدس من كل مظاهر الانحراف المعلنة متحاشياً الكشف عن خطاياهم الخفية وغير المعلنة. مع أنه كان يعرفها وكتب لهم بعضاً بإصبعه على الأرض فى وقت سابق، وكانوا يعلمون أنه يعرف خطاياهم.. ووقتها لم يستطع أحد منهم أن يقف قبالته بل انصرفوا مبتدئين من الكبار (انظر يو٨: ٦، ٩).

ولكنهم كانوا يشعرون بخطورة بقاء شخص مثل هذا يعرف خطاياهم، وفى نفس الوقت يقاوم إعثارهم للشعب، ولا يرغب فى بقائهم فى مواقفهم القيادية، حينما لم يستمعوا إلى إنذاراته وتعاليمه ومناداته لهم بالتوبة عن خطاياهم، قائلاً لهم: "إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره" (مت٢١: ٤٣).. وحينما فهموا أنه قال مثل الكرامين الأردياء عليهم، وحينما تكلم عنهم كقادة عميان يجوبون البحر والبر ليكسبوا دخيلاً واحداً يصيرونه ابناً لجهنم أكثر منهم مضاعفاً.

لهذه الأسباب وكثير غيرها.. ولأن نقاوة السيد المسيح قد كشفت خبثهم ورياءهم، فإنهم قد تآمروا عليه، وذهبوا لإلقاء القبض عليه، وتسليمه إلى أيدى الأمم، بعد تجهيز كثير من التهم الباطلة والافتراءات التى أعلنوها أمام الحاكم الرومانى، الذى علم من أسلوبهم المفضوح أنهم قد أسلموه حسداً أو خوفاً على مصالحهم ورغباتهم المنحرفة.

وهنا قال السيد المسيح لهم: "**هذه ساعتكم وسلطان الظلمة**" (لو٢٢: ٥٣).

" سلطان الظلمة " (لو٢٢: ٥٣)

كان لابد للظلمة أن تأخذ فرصتها، وأن تصل إلى أبعد المدى فى غيّها.

وهذه طبيعة الظلمة، أنها لابد أن تأخذ فرصتها كاملة، لكى يظهر النور ويشعر الناس بقيمته وتأثيره، كقول الشاعر {بضدّها تتمايز الأشياء}..

ونعود بأفكارنا إلى بداية الخليقة، حينما "كانت الأرض خربة.. وفصل الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهارًا والظلمة دعاها ليلاً" (تك١: ٢-٥).

لماذا فصل الله بين النور والظلمة؟ لأنه "أية شركة للنور مع الظلمة؟" (٢كو٦: ١٤).

لا يمكن أن تقوم شركة بين الخير والشر، بين البر والخطية، بين أولاد الله وأولاد إبليس، بين الحق والباطل، بين المحبة والكراهية، بين الاستقامة والإعوجاج أو النفاق..

فمنذ البداية أظهر الله أنه يحب النور، لأنه هو نور وساكن فى النور، وملائكة نور تخدمه.

لهذا نرنم ونقول: {قوموا يا بنى النور لنسبح رب القوات} (تسبحة نصف الليل). ويقول المرنم "بنورك نرى نوراً" (مز٣٦: ٩). وقيل عن الرب "اللابس النور كثوب" (مز١٠٤: ٢).

ويقول الكتاب "كل ما أظهر فهو نور" (أف٥: ١٣). ويقول السيد المسيح: "**سيروا (فى النور) مادام لكم النور لئلا يدرككم الظلام**" (يو١٢: ٣٥). وقال: "**أنا هو نور العالم. من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة، بل يكون له نور الحياة**" (يو٨: ١٢). ويقول معلمنا بطرس الرسول: "لكى تخبروا بفضائل الذى دعاكم من الظلمة إلى نوره العجيب" (١بط٢: ٩). وقال أيضاً: "عندنا الكلمة النبوية وهى أثبت التى تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها كما إلى سراج منير فى موضع مظلم إلى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم" (٢بط١: ١٩). وقيل عن السيد المسيح "كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم" (يو١: ٩).

أما الشيطان فهو رئيس مملكة الظلمة، ومن يتبعه يمشى فى الظلمة، هو وملائكته الأشرار مكتوب عنهم: "فى سلاسل الظلام طرحهم فى جهنم، وسلمهم محروسين للقضاء" (٢بط٢: ٤).

لهذا فالمقصود بسلطان الظلمة، أى الأوقات التى يمارس فيها الشيطان رغباته الشريرة، ويتركه الله إلى حين ليكشف خداعه، حتى ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح المنير مبدداً كل ظلمات الخطية ومظالمها.

ولكن الشيطان يستطيع أن "يغير شكله إلى شبه ملاك نور" (٢كو١١: ١٤). ولهذا ربما ينسب إلى نفسه أنه هو الذى يحمل الحق أو يدافع عنه، ولكن الحق يكشفه فى قلب كل من يحب الحق ويسعى فى طلبه، وقد حذّر الكتاب من الذين يقلبون الحقائق وقال "ويل للقائلين للشر خيراً، وللخير شراً، الجاعلين الظلام نوراً والنور ظلاماً، الجاعلين المر حلواً والحلو مراً" (إش٥: ٢٠).

وقد احتمل السيد المسيح ظلم الأشرار وساعتهم وسلطان الظلمة، فى صبر واتضاع عجيبين. فهو "الذى إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً، وإذ تألم لم يكن يهدد بل كان يسلم لمن يقضى بعدل. الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة لكى نموت عن الخطايا فنحيا للبر، الذى بجلدته شفيتم. لأنكم كنتم كخرافٍ ضالة لكنكم رجعتم الآن إلى راعى نفوسكم وأسقفها" (١بط٢: ٢٣-٢٥).

محاكمة السيد المسيح وجلده

" أرسله موثقاً إلى قيافا " (يو١٨: ٢٤)

بعد أن قبض الجند والقائد وخدام اليهود على الرب يسوع وأوثقوه، مضوا به إلى حنان أولاً، لأنه كان حما قيافا الذى كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة. وكان قيافا هو الذى أشار على اليهود "**أنه خيراً لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب، ولا تهلك الأمة كلها" (يو١١: ٥٠، انظر يو ١٨: ١٤).**

وحنّان "**أرسله موثقاً إلى قيافا رئيس الكهنة" (يو١٨: ٢٤).**

كان قيافا رئيس الكهنة قد وضع فى قلبه أن يقتل السيد المسيح، وذلك منذ أن أقام لعازر من الأموات. وبدأ كثير من اليهود يؤمنون بيسوع، بسبب هذه المعجزة العظيمة.

وقد استند فى رغبته هذه إلى أن موت السيد المسيح سيكون عوضاً عن الشعب.. أى لكى لا تهلك الأمة كلها.

كان الكهنة والفريسيون قد اجتمعوا وقالوا: "ماذا نصنع؟ فإن هذا الإنسان يعمل آيات كثيرة. إن تركناه هكذا يؤمن الجميع به، فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا" (يو ١١: ٤٧، ٤٨).

لم تعجبهم تعاليم السيد المسيح عن محبة الأعداء وعدم مقاومة الشر، وعن الاتضاع والتسامح. وشعروا أنه لو آمن به الجميع، لما صارت هناك قوة لمقاومة الرومان وتحرير الأمة اليهودية..

لم يفكروا فى الحرية الحقيقية.. بالتحرر من الشر والخطية وعبوديتها.. لم يفكروا فى طرد المستعمر الحقيقى لحياتهم وهو الشيطان.. لم يفكروا فى التحرر من الموت الأبدى، الذى استحقه البشر نتيجة دخول الخطية إلى العالم..

كانت أفكارهم جسدانية.. أرضية.. وقد سيطرت شهوة محبة العالم على قلوبهم، وأعمت بصيرتهم.. فقالوا عن النور إنه ظلمة، وعن الظلمة إنها نور. وقلبوا الموازين، وجعلوا من الباطل حقاً.. أما الحق فلم يدركوه.. وطريق السلام لم يعرفوه.. وصارت أرجلهم سريعة فى سفك الدم البرئ.

اجتمع الأشرار وتساءلوا: ماذا نصنع؟ "فقال لهم واحد منهم وهو قيافا، كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة: أنتم لستم تعرفون شيئاً، ولا تفكرون أنه خير لنا أن يموت إنسان واحد عن الشعب ولا تهلك الأمة كلها. **ولم يقل هذا من نفسه.** بل إذ كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة. وليس عن الأمة فقط، بل ليجمع أبناء الله المتفرقين إلى واحد" (يو ١١: ٤٩-٥٢).

بالرغم من أن كلام قيافا كان قد صدر من قلب خال من المحبة نحو السيد المسيح، إلا أنه قد نطق بكلام النبوة العجيب كرئيس للكهنة فى تلك السنة. اختار هو القصد حسب قلبه، ولكن الروح القدس هو الذى أوحى بالكلمات وصاغها، دون أن يلغى حرية إرادة قيافا فى مقاصده الشخصية.. مثلما حدث مع بلعام بن بعور النبى الذى كان شريراً فى قلبه وفى مسعاه، ولكنه حينما فتح فاه تنبأ نبوات عظيمة عن السيد المسيح.

قال يوحنا الإنجيلى عن كلام قيافا: "**لم يقل هذا من نفسه**. بل إذ كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة تنبأ أن يسوع مزمع أن يموت عن الأمة" (يو ١١: ٥١).

" يموت عن الأمة " (يو ١١: ٥١)

كان موت السيد المسيح هو فداءً أو عوضاً عن الأمة.. عن الشعب.. عن كل من يؤمن به وبفدائه العجيب، ويتحد به فى موته وقيامته (انظر رو٦: ٣ -٨).

مات السيد المسيح على الصليب عوضاً عن الخطاة وقد "جعل نفسه ذبيحة إثم" (إش٥٣: ١٠). "وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين" (إش٥٣: ١٢).

حقاً لقد مات السيد المسيح، واحتمل الآلام بدلاً عن الخطاة. وقيل عنه إنه "بمعرفته يبرر كثيرين، وآثامهم هو يحملها" (إش٥٣: ١١).

لو لم يكن السيد المسيح قد مات بدلاً عن الخطاة فكيف يقال "**جعل نفسه ذبيحة إثم.. وآثامهم هو يحملها**".

وقيل أيضاً "وفى جيله من كان يظن أنه قُطع من أرض الأحياء، أنه ضُرب من أجل ذنب شعبى" (إش٥٣: ٨).

أى أنه ضُرب ومات، لكى يوفى دين شعبه. وقُطع من أرض الأحياء لهذا السبب.

وقد حزن السيد المسيح كثيراً من أجل خطايا البشر. وهكذا حزنت البشرية المفدية على أخطائها فى شخصه القدوس. واعتذرت عن تعدياتها أمام الآب بواسطته "أما الرب فسر بأن يسحقه بالحزن" (إش٥٣: ١٠).

تقدّم السيد المسيح فى انسحاق وحزن كبيرين أمام الآب، ليعتذر عن خطايا البشرية. وكان يجتاز معصرة سخط وغضب الله.. وقال: "قد دست المعصرة وحدى ومن الشعوب لم يكن معى أحد" (إش٦٣: ٣).

كان دور الابن هو التجسد والصلب، وكان دور الآب هو قبول ذبيحة الابن الوحيد رائحة رضى وسرور، تلك التى قدّمها بالروح القدس النارى "**الذى بروح أزلى قدّم نفسه لله بلا عيب**" (عب٩: ١٤).

ولكن بالرغم من تمايز الأدوار، فإن الأقانيم الثلاثة تشترك فى العمل الواحد وهو خلاص البشرية.

ولهذا فإن العدل الإلهى قد استوفى حقه بصفة عامة.. فصفات الجوهر هى نفسها للأقانيم الثلاثة. وعدل الآب هو نفسه عدل الابن، وهو نفسه عدل الروح القدس.

وهكذا إذ أخلى الكلمة ذاته بالتجسد، وسلك فى طريق الطاعة والاتضاع، نائباً عن البشرية.. استطاع أن يوفى العدل الإلهى حقه.. وهكذا كان الآب مصالحاً العالم لنفسه فى المسيح.

" لطم يسوعَ واحدٌ من الخدام " (يو١٨: ٢٢)

بعد القبض على السيد المسيح، مضوا به إلى حنان أولاً لأنه كان حما قيافا الذى كان رئيساً للكهنة فى تلك السنة، ثم أرسله حنان موثقاً إلى قيافا رئيس الكهنة (انظر يو١٨: ١٤، ٢٤).

"فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه. أجابه يسوع أنا كلمت العالم علانية. أنا علمت كل حين فى المجمع، وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائماً. وفى الخفاء لم أتكلم بشئ. لماذا تسألنى أنا. اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم. هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا. **ولما قال هذا لطم يسوعَ واحد من الخدام كان واقفاً قائلاً: أهكذا تجاوب رئيس الكهنة.** أجابه يسوع إن كنت قد تكلّمت ردياً فاشهد على الردى وإن حسنا فلماذا تضربنى؟" (يو١٨: ١٩-٢٣).

كانت تعاليم السيد المسيح قد حوَّلت الكثيرين من حياة الخطية إلى حياة التوبة. والذين آمنوا به قد شعروا بتأثير ذلك فى حياتهم كما هو مكتوب "كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالى، يكرم الأخير طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم. **الشعب السالك فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً. الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور" (إش٩: ١، ٢).**

لذلك قال السيد المسيح لقيافا: "اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم" لأن حياتهم بعد التغيير هى خير شاهد على سمو تعاليم السيد المسيح، وعلى قوة تأثيرها. وقد بهتت الجموع من تعليمه "لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة" (مت٧: ٢٩). ليتم ما هو مكتوب "انسكبت النعمة على شفتيك" (مز٤٤: ٢).

جاء السيد المسيح لخلاص البشرية، وأراد أن يصنع الخير للجميع، وكان يشتهى خلاص الجميع بما فى ذلك الذين وقفوا ضده وناصبوه العداء. ومن ضمن هؤلاء أيضا قيافا رئيس الكهنة الذى أصدر ضده الحكم بالموت ظلماً.

لم يقصد السيد المسيح أن يهين قيافا حينما أجابه على سؤاله. بل أراد أن يلفت نظره إلى الحق الذى أعمى الشيطان قلبه لكى لا يراه.

وهنا تدخل واحد من خدام الهيكل ولطم السيد المسيح قائلاً: أهكذا تجاوب رئيس الكهنة. وكأنه يغار للرب ولكرامة رئيس كهنته، معتبراً أن السيد المسيح قد أهان قيافا بإجابته هذه.

لم يعلم ذلك المسكين أنه قد لطم رئيس الكهنة الحقيقى يسوع المسيح الذى قيل عنه "أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق" (عب٧: ٢١، مز ١١٠: ٤). بل أكثر من ذلك أنه قد لطم السيد المسيح ابن الله الحى الذى تجسد من أجل خلاص جنس البشر. وهو الخالق والديان والمولود من الآب قبل كل الدهور.

إن كان ذلك الخادم قد غار لكرامة رئيس الكهنة الذى على رتبة هارون، والذى كان كهنوته رمزاً لكهنوت السيد المسيح. **فكيف يتجاسر أن يلطم من له كهنوت لا يزول إلى الأبد، ومن هو مساوى للآب السماوى فى المجد الإلهى.** ولكن هذه هى جهالة البشر الذين أبصروا السيد المسيح حينما أخلى ذاته آخذاً صورة عبد. وإذ وجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع الآب السماوى حتى الموت؛ موت الصليب.

أشفق السيد المسيح على ذلك الخادم. إذ رآه يتصرف بجهالة ويغار غيرة ليست حسب المعرفة. وأشفق عليه من عواقب فعلته الشنعاء حينما لطم السيد المسيح على وجهه. وأراد أن يصحح له موقفه فقال له: "إن كنت قد تكلّمت ردياً فاشهد على الردى. وإن حسناً فلماذا تضربنى؟" (يو١٨: ٢٣).

أراد السيد المسيح أن يقتاد ذلك الخادم المسكين إلى التوبة وإلى التبصر فيما يفعله. فقال له هذه الكلمات المفعمة بالحب والنصائح الثمينة.

لم ينفعل السيد المسيح –بالطبع– لسبب الإهانة التى وجهت إليه من أحد خدامه وعبيده. بل تكلّم معه بموضوعية ليقنعه بالصواب. وهكذا قدّم نفسه كخادم للخلاص، محتملاً أخطاء الآخرين فى صبر عجيب. وفى نفس الوقت أكّد

بإجابته أنه لم يقصد إهانة رئيس كهنة اليهود، بل أراد أن يلفت نظره إلى ما فيه خيره هو وغيره ممن تآمروا لقتل السيد المسيح.

لقد لطم الكثيرون السيد المسيح على وجهه فى تلك الليلة وكان هو قد ترك لهم خديه ليلطمونهما، لأن هذا ما استحقته البشرية لسبب شرودها وخطاياها، وهو أراد أن يدفع ثمن الخطية التى للإنسان. ولكن اللطمة الوحيدة التى أجاب عنها بمثل هذه الكلمات، كانت هذه اللطمة التى أشفق على ضاربها من عواقب فعلتها التى ظن هو أنه يفعلها بغيرة مقدسة من أجل كرامة الكهنوت. ولم يكن يعلم ماذا يفعل.

قد يتساءل البعض لماذا لم يعط السيد المسيح خده الآخر لذلك الخادم حسبما أوصانا فى العظة على الجبل؟ ونقول إن الخد الآخر قد أعطى لكثيرين. وكان فى هذه المرة هو الحب الذى قابل به السيد المسيح تصرف ذلك الخادم والنصيحة الثمينة التى وجهها إليه فى وقت آلامه.

أما عن الخد الآخر فهو مستعد دائماً كما هو مكتوب "والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه. وغطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين تنبأ من هو الذى ضربك. وأشياء أخر كثيرة كانوا يقولون عليه مُجدِّفين" (لو٢٢: ٦٣-٦٥). أما هو فلم يمنعهم بل تركهم يفعلون به كل ما أرادوا.

" تنبأ من هو الذى ضربك ؟ " (لو٢٢: ٦٤)

بعد القبض على السيد المسيح "أخذوه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة.. والرجال الذين كانوا ضابطين يسوع كانوا يستهزئون به وهم يجلدونه. **وغطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين تنبأ. من هو الذى ضربك؟** وأشياء أخر كثيرة كانوا يقولون عليه مجدِّفين" (لو٢٢: ٥٤، ٦٣-٦٥).

لقد علم اليهود أن السيد المسيح قد عومل من الشعب كنبى عظيم وذلك حينما سمع الشعب تعاليمه وأبصروا معجزاته وقالوا: "قد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه" (لو٧: ١٦).

وبالتدريج بدأ الذين آمنوا به يدركون أن هذا هو المسيح الذى تنبأ وكتب عنه موسى النبى وسائر الأنبياء. وكذلك بدأ تلاميذه يدركون أنه هو ابن الله الحى. وكان ذلك بإعلان من الآب السماوى فى قلوب التلاميذ وعقولهم، حسب الاعتراف المشهور "أنت هو المسيح ابن الله الحى" (مت١٦: ١٦).

ولكن عبارة "قد قام فينا نبى عظيم وافتقد الله شعبه" كانت تزعج رؤساء كهنة اليهود والكتبة والفريسيين، الذين لم يؤمنوا بالمسيح بل قاوموا رسالته. وكانوا دائماً يحاولون أن يثبتوا للشعب أن ما فهموه عن السيد المسيح ليس حقيقياً، وأنه ليس نبىٌ بل مضل، وليس هو المسيح إذ قالوا:"ألعل المسيح من الجليل يأتى" (يو٧: ٤١)، وليس هو ابن الله "فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه. لأنه لم ينقض السبت فقط، **بل قال أيضاً إن الله أبوه معادلاً نفسه بالله**" (يو٥: ١٨).

وقد تنبأ السيد المسيح عن قيامته من الأموات فى اليوم الثالث وكان اليهود يخشون من إتمام هذه النبوة. ولذلك فبعد موت السيد المسيح على الصليب "اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين: يا سيد قد تذكرنا أن **ذلك المضل** قال وهو حى إنى بعد ثلاثة أيام أقوم. فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث، لئلا يأتى تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات. فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى" (مت٢٧: ٦٢-٦٤).

وقد اختار اليهود أن يموت السيد المسيح مصلوباً، وذلك لكى يثبتوا للشعب أنه ليس نبىٌ وليس هو المسيح ابن الله. وذلك لأنه مكتوب فى سفر التثنية أن "المعلق (على خشبة) ملعون من الله" (تث٢١: ٢٣). وقد تصوروا أنه بتعليق السيد المسيح وقتله على الصليب يكون الدليل والإثبات قد تم بأنه مضل ومرفوض من الله، كقول إشعياء النبى "ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا" (إش٥٣: ٤، ٥).

وقد شرح معلمنا بولس الرسول هذا الأمر. فقال: "**المسيح افتدانا من لعنة الناموس، إذ صار لعنة لأجلنا. لأنه مكتوب ملعون كل من علق على خشبة**" (غل٣: ١٣). إذن السيد المسيح لم يحمل لعنة شخصية، بل حمل لعنة خطايانا ومحاها بالصليب. وبقيامته من الأموات أظهر الله أنه قد محا هذه اللعنة. لأن القيامة قد محت الموت الذى فى الصليب. فالمسيح له المجد بموته داس الموت.

لقد دفع السيد المسيح الدين الذى على البشرية، وأوفى العدل الإلهى حقه. وبهذا رفع اللعنة التى استوجبناها على أنفسنا بسبب خطايانا.

فى اتضاعه العجيب قبل أن يصير لعنة لأجلنا، وأن يحسب خطية "جعل الذى لم يعرف خطية –خطية لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه" (٢كو٥: ٢١). أى أنه حمل اللعنة التى لنا، وحمل خطايانا فى جسده على الصليب. وبهذا جُعل خطية لأجلنا: أى حُسب خطية وهو لم يعرف خطية على الإطلاق.

وحينما قُبِضَ على السيد المسيح أراد الرجال الذين كانوا ضابطين له أن يثبتوا أنه ليس نبىٌ كما قيل عنه. ولذلك غطوه وكانوا يضربون وجهه ويسألونه قائلين: تنبأ من هو الذى ضربك واعتبروا أنه إذا لم يجاوبهم ولم يذكر لهم من هو الذى ضربه فبهذا لا يكون قد تنبأ ولا تنطبق عليه صفة النبوة.

وقد نسى هؤلاء المساكين ما هو مكتوب عن السيد المسيح: "أعطانى السيد الرب لسان المتعلمين لأعرف أن أغيث المعيى بكلمة. يوقظ كل صباح.. بذلت ظهرى للضاربين وخدى للناتفين. وجهى لم أستر عن العار والبصق. والسيد الرب يعيننى لذلك لا أخجل. لذلك جعلت وجهى كالصوان وعرفت أنى لا أخزى" (إش٥٠: ٤، ٦، ٧).

كانوا يتممون النبوات المذكورة عنه، وهم يحاولون أن يثبتوا عكس ذلك. لأن نظرتهم كانت قاصرة ولم يضعوا قلوبهم لفهم الكتب المقدسة.

أما السيد المسيح فبعد قيامته من الأموات وظهوره لتلاميذه قال لهم: "هذا هو الكلام الذى كلمتكم به وأنا بعد معكم، أنه لابد أن يتم جميع ما هو مكتوب عنى فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير. حينئذ فتح ذهنهم ليفهموا الكتب" (لو٢٤: ٤٤، ٤٥)

هذه هى طريقة الرب الإعجازية فى أن يترك الخصوم يفعلون ما يريدون، وهم فى الوقت نفسه يثبتون صدق كلامه ومواعيده. فليس العجيب هو أن يتمم الأصدقاء مقاصده بل أن يتممها الأعداء والمسيئون. **وهكذا بالاتضاع أحضر السيد المسيح الحق إلى النصرة. وأظهره بكل وضوح.**

أرادوا أن يثبتوا أن السيد المسيح لم يكن نبياً، فأثبت لهم السيد المسيح أن الشهادة لاسمه هى روح النبوة. وأن جميع الأنبياء قد تنبأوا عن مجيئه وعن الخلاص الذى صنعه لأجلنا.

تنبأوا عن تجسده العجيب من العذراء مريم، وعن ميلاده فى بيت لحم اليهودية، وعن هروبه إلى مصر من وجه هيرودس الملك وعودته منها، وعن نشأته فى الناصرة، وعن نزوله فى مياه الأردن، وعن تعليمه، وعن معجزاته، وعن تلاميذه، وعن التآمر عليه، وعن خيانة تلميذه الإسخريوطى، وعن محاكمته، وعن آلامه، وعن صلبه، وعن قيامته، وعن صعوده إلى السماوات، وعن مجيئه الثانى وملكوته الأبدى.

لا يوجد شئ فى حياة السيد المسيح لم يتكلم عنه الأنبياء لأن الرب قد أعد لنا خلاصاً عظيماً بهذا المقدار.

الذى بجلدته شفيتم (١بط٢: ٢٤)

لم يكن جلد السيد المسيح جلداً عادياً، بل كان جلداً على الطريقة الرومانية ويسمى عقوبة نصف الموت.

كان الكرباج الرومانى مكوناً من يد وثلاثة سيور من عصب البقر مثبتاً فى طرف كل سير منها قطعتين من المعدن أو من عظام الحيوانات.

وقد أثبت العلماء الذين فحصوا كفن السيد المسيح أن الجلد قد تم بهذا الأسلوب بواسطة اثنين من العسكر الرومان واحد من كل جانب. وترك الجلد ستة ثقوب فى جسد السيد المسيح لكل جلدة، وعدد الجلدات التى أمكن إحصاؤها مائة وواحد وعشرين جلدة بخلاف ما لم يتمكنوا من إحصائه لسبب احتراق جزء من قماش الكفن عند الذراعين (من قرب الكتف إلى قرب الكوع). ولكن الجلدات من الواضح أنها شملت الجسد كله من أعلى الظهر والصدر إلى قرب القدمين.

كذلك شرح العلماء الذين فحصوا كفن السيد المسيح أن الجلد الذى كان يلف فيه الكرباج حول الجنب واصلاً إلى الصدر قد مزّق الشرايين المحيطة بالقفص الصدرى، وأحدث نزيفاً داخلياً.

" مملكتى ليست من هذا العالم " (يو١٨: ٣٦)

حينما وقف السيد المسيح ليحاكم أمام بيلاطس الحاكم الرومانى، وسأله بيلاطس: "أنت ملك اليهود؟.. أجاب يسوع: مملكتى ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم إلى اليهود. ولكن الآن ليست مملكتى من هنا" (يو١٨: ٣٣-٣٦).

ليس هناك شك فى أن السيد المسيح هو الملك الآتى باسم الرب ولهذا فعند دخوله إلى أورشليم "ابتدأ كل جمهور التلاميذ يفرحون ويسبحون الله بصوت عظيم لأجل جميع القوات التى نظروا. قائلين: مبارك الملك الآتى باسم الرب. سلام فى السماء ومجد فى الأعالى" (لو١٩: ٣٧، ٣٨).

"وكانوا يصرخون أوصنا مبارك الآتى باسم الرب ملك إسرائيل. ووجد يسوع جحشاً فجلس عليه كما هو مكتوب: لا تخافى يا ابنة صهيون، هوذا **ملكك** يأتى جالساً على جحش أتان. وهذه الأمور لم يفهمها تلاميذه أولاً. ولكن لما تمجد يسوع حينئذ تذكروا أن هذه كانت مكتوبة عنه وأنهم صنعوا هذه له" (يو١٢: ١٣-١٦).

فى بشارة الملاك للعذراء القديسة مريم بميلاد السيد المسيح قال لها: "هذا يكون عظيماً وابن العلى يدعى **ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه. ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد ولا يكون لملكه نهاية**" **(لو١: ٣٢، ٣٣).**

وحينما جاء المجوس من المشرق قالوا: "أين هو المولود ملك اليهود. فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له" (مت٢: ٢).

وعلى الصليب "كان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية: **هذا هو ملك اليهود**" (لو٢٣: ٣٨).

وفى سفر الرؤيا كتب يوحنا الرسول عن السيد المسيح "وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب **ملك الملوك ورب الأرباب**" (رؤ١٩: ١٦).

ملكوت الله

الله هو الملك الحقيقى. وعرشه كائن فى السماء. وكان ينبغى أن يملك الله على شعبه. ولكن شعب إسرائيل أرادوا أن يختاروا لهم ملكاً مثل باقى شعوب الأرض. واستاء صموئيل النبى من ذلك. ولكن الله قال لصموئيل: "لم يرفضوك أنت، بل إياى رفضوا حتى لا أملك عليهم" (١صم٨: ٧). وأمره الرب أن يمسح لهم الملك الذى أرادوه. ومسح شاول ملكاً. ولكنه لم يكن يطيع الوصايا ففارقه روح الرب وبغته روح ردئ من قبل الرب (انظر ١صم١٦).

ثم اختار الرب داود ومسحه ملكاً بيد صموئيل النبى. وبالرغم من محبة الرب لداود، إلا أن داود قد أخطأ لسبب الضعف البشرى. كما أنه لم يتمكن من تحرير شعبه من سلطان إبليس الذى سيطر على العالم بواسطة الخطية.

كان ينبغى أن يملك الله نفسه لكى يحرر شعبه من خطاياهم ويمنحهم ميراث الحياة الأبدية.

لهذا جاء السيد المسيح إلى العالم. وحينما سأله بيلاطس "أفأنت إذاً ملك. أجاب يسوع أنت تقول إنى ملك. لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع صوتى" (يو١٨: ٣٧).

ولكن المُلك الذى يليق بالله هو المُلك السمائى وليس المُلك الأرضى. لأن عرش الله هو فى السماء. وحينما مَلك السيد المسيح فى مجيئه إلى عالمنا، فقد ملك على خشبة الصليب معلقاً بين الأرض والسماء.. مؤكداً هذه الحقيقة أن مملكته ليست من هذا العالم.

لقد رفضت الأمة اليهودية ملكها واقتادته إلى موت الصليب.. تماماً مثلما رفضت الرب قديماً فى أيام صموئيل النبى من أن يملك عليها **ولكن الرب المرفوض قد جعل ملكه العجيب فوق خشبة الصليب. لأن المحبة المرفوضة استطاعت أن تملك.. وأن تنتصر.. وأن تتألق.. وأن تجتذب الجميع..**

لهذا قال السيد المسيح: "**أنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلى الجميع**" (يو١٢: ٣٢). **حقاً صار المَلِك المرفوض أكثر جاذبية من كل ملوك الأرض. لأن محبته قد فاقت كل توقعات بنى البشر.**

أخيراً أمكن للبشرية أن تدرك مقدار حب الله لها فى المسيح. وأن تسعى نحوه فى فرح وشكر ليملك عليها.. ولا يكون مرفوضاً فيما بعد.. لأنه قد صالحها لنفسه، محرراً إياها من الموت والهلاك الأبدى.

حقا لقد صارت الكنيسة عروساً للمسيح تقبل ملكه الروحى وتنتظر ملكوته السماوى وتعلن مجده وخلاصه فى كل الأرض.. تحمل سماته.. وتعانق صليبه.. ولا تسعى نحو الملك الأرضى لأن ملكها هو فى السماء حيث يجلس عن يمين العظمة فى الأعالى.

السيد المسيح لم يطلب لنفسه مُلكاً.. بل إنه حينما رفض المُلك إلى المنتهى، فقد ملك هناك.. فى نفس الموضع الذى أعلن فيه العالم رفضه له كمَلِك.. لأنه صار هو المَلِك المصلوب.

وكان عنوان علته الذى صلب بسببه مكتوباً فوقه على الصليب "يسوع الناصرى ملك اليهود. فقرأ هذا العنوان كثيرون من اليهود لأن المكان الذى صلب فيه يسوع كان قريباً من المدينة. وكان مكتوباً بالعبرانية واليونانية واللاتينية. فقال رؤساء كهنة اليهود لبيلاطس: لا تكتب ملك اليهود بل إن ذاك قال أنا ملك اليهود. أجاب بيلاطس ما كتبت قد كتبت" (يو١٩: ١٩-٢٢).

كانت هذه هى تهمته.. وهى سبب موته.. وموته كان سبباً فى تحقيقها؛ لأن الرب بالصليب قد صنع أمجادًا يحتار فيها عقل البشر، وترتفع بسببها قلوبهم نحو أمجاد السماء.

لأشهد للحق

وقف السيد المسيح أمام بيلاطس الحاكم الرومانى فى أورشليم وقال له: "**لهذا قد ولدت أنا، ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع صوتى. قال له بيلاطس: ما هو الحق؟**" (يو١٨: ٣٧، ٣٨).

كثيرون يتساءلون عن الحق.. وآخرون يدّعون أنهم يملكون معرفة الحق.. والبعض يطالب بالحق.. وهناك من يقولون أنهم يقضون بالحق.. وآخرون يبحثون بجدية عن الحق.. وغيرهم من يزيّفون الحق ويتعمدون ذلك، أو يزيّفون الحق بهدف تأكيد ما تصوروا أنه هو الحق.

ما هو الحق؟

هذا السؤال ليس هو ما سأله بيلاطس فقط للسيد المسيح، ولكنه هو سؤال نطرحه فى سياق حديثنا عن الحق.

من المعروف فى تعليم السيد المسيح أن **الحق هو الله**. فالآب فى جوهره هو **حق**، والابن فى جوهره هو **حق**، والروح القدس فى جوهره هو **حق**.

لهذا قال السيد المسيح عن الآب السماوى: "الذى أرسلنى هو **حق**" (يو٧: ٢٨).

وقال عن نفسه: "أنا هو الطريق **والحق** والحياة" (يو١٤: ٦).

وقال عن الروح القدس: "روح **الحق** الذى من عند الآب ينبثق" (يو١٥: ٢٦).

فالآب باعتباره هو المصدر أو الينبوع فى الثالوث هو "**مصدر الحق أو الحقانى**" والابن هو "**الحق**" المولود منه، والروح القدس هو "**روح الحق**" المنبثق من الآب. ويشبه ذلك أن نقول عن ألقاب الأقانيم الثلاثة أن الآب هو "الحكيم" (رو١٦: ٢٧)، (يه٢٥)، والابن هو "الحكمة" (١كو١: ٢٤)، (انظر كو٢: ٣)، والروح القدس هو "روح الحكمة" (إش١١: ٢)، (أف١: ١٧).

ونظراً لأن الحق هو الله، فمن أراد أن يعرف الحق عليه أن يعرف الله المعرفة الحقيقية.

عن معرفة الآب قال السيد المسيح لليهود: "**لو عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً**" (يو٨: ١٩).

وعن معرفة الروح القدس قال: "**روح الحق** الذى لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، **وأما أنتم فتعرفونه** لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" (يو١٤: ١٧).

وعن معرفة الابن قال هو شخصياً لتلميذه فيلبس: "أنا معكم زماناً هذه مدته، **ولم تعرفنى** يا فيلبس! الذى رآنى فقد رأى الآب، فكيف تقول أنت: أرنا الآب؟" (يو١٤: ٩). وقال لتلميذه توما: "أنا هو الطريق **والحق** والحياة. ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى. **لو كنتم قد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضاً. ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه**" (يو١٤: ٦، ٧). لهذا قال معلمنا بولس الرسول عن السيد المسيح: "الذى هو صورة الله غير المنظور" (كو١: ١٥)، أى أننا نستطيع أن نرى الله حينما نرى السيد المسيح.

أتيت إلى العالم لأشهد للحق

بالرغم من أن السيد المسيح هو "**الحق**" ولكنه قال إنه قد أتى إلى العالم ليشهد للحق. لم يكن هناك من يمكنه أن يعلن الحق ويشهد له بالقوة التى شهد بها الحق نفسه عن نفسه.

لقد شهد السيد المسيح للآب السماوى، وشهد الآب السماوى للسيد المسيح. وشهد السيد المسيح للروح القدس، وشهد الروح القدس للسيد المسيح. لأن "الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد" (١يو٥: ٧).

وقد أشار السيد المسيح إلى شهادة الثالوث السمائى فى حديثه مع نيقوديموس بقوله "الحق الحق أقول لك: **إننا إنما نتكلم بما نعلم ونشهد بما رأينا**، ولستم تقبلون **شهادتنا**. إن كنت قلت لكم الأرضيات ولستم تؤمنون، فكيف تؤمنون إن قلت لكم السماويات؟ وليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء ابن الإنسان الذى هو فى السماء" (يو٣: ١١-١٣).

وفيما يلى بعض الآيات التى تشير إلى **شهادة الأقانيم السماوية**: الآب والابن والروح القدس:

قال السيد المسيح لليهود: "الآب نفسه الذى أرسلنى **يشهد لى**" (يو٥: ٣٧). وقال: "إن كنت **أشهد لنفسى** فشهادتى حق" (يو٨: ١٤).

وقال لتلاميذه: "متى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذى من عند الآب ينبثق، فهو **يشهد لى**" (يو١٥: ٢٦).

وقال مناجياً للآب السماوى: "أنا مجدتك على الأرض.. أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم.. **وعرفتهم اسمك وسأعرفهم**" (يو١٧: ٤، ٦، ٢٦).

وقال عن الروح القدس "متى جاء ذاك، روح الحق **فهو يرشدكم إلى جميع الحق**" (يو١٦: ١٣).

وقال معلمنا بطرس الرسول فى رسالته الثانية: "لأننا لم نتبع خرافات مصنّعة، إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاينين عظمته. لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابنى الحبيب الذى أنا سررت به. ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء إذ كنا معه فى الجبل المقدس" (٢بط١: ١٦-١٨). وهذه شهادة من الآب للابن سمعها التلاميذ.

وقال القديس يوحنا الحبيب فى رسالته الأولى: "إن كنا نقبل شهادة الناس، فشهادة الله أعظم، لأن هذه هى شهادة الله التى قد شهد بها عن ابنه. من يؤمن بابن الله فعنده الشهادة فى نفسه. من لا يصدّق الله، فقد جعله كاذباً، لأنه لم يؤمن بالشهادة التى قد شهد بها الله عن ابنه. **وهذه هى الشهادة:** أن الله أعطانا حياة أبدية، وهذه الحياة هى فى ابنه. من له الابن فله الحياة، ومن ليس له ابن الله فليست له الحياة" (١يو٥: ٩-١٢).

سؤال بيلاطس

مسكين بيلاطس الذى كان الحق (أى السيد المسيح) واقفاً أمامه، وقال له الحق "أتيت إلى العالم لأشهد للحق!" (يو١٨: ٣٧). ولكن بيلاطس لم يفهم ولم يعرف فسأل "ما هو الحق؟!" (يو١٨: ٣٨).

هناك من يؤمن بالحق عبر آلاف السنين، وهناك من كان الحق على بُعد أشبار منه ولكنه لم يعرفه..!!.

" كل من هو من الحق يسمع صوتى " (يو١٨: ٣٧)

قال السيد المسيح لبيلاطس الوالى الرومانى: "لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت الى العالم، لأشهد للحق. كل من هو من الحق **يسمع صوتى**. قال له بيلاطس: ما هو الحق؟" (يو ١٨: ٣٧، ٣٨).

قبل ذلك قال السيد المسيح لتلاميذه: " أنا هو الطريق **والحق** والحياة. ليس أحد يأتى إلى الآب إلا بى" (يو١٤: ٦).

أى أن السيد المسيح هو الحق وبهذا يكون صوته هو صوت الحق.

ولكن بيلاطس حينما سأله: **ما هو الحق؟** لم يجبه السيد المسيح على ذلك. واكتفى بأن يقول له: "**كل من هو من الحق يسمع صوتى**".

الذى هو من الحق: يحب الحق، ويفرح بالحق، ويسعى نحو الحق، ويسمع صوت الحق، ويدافع عن الحق، ويشهد للحق، ويطيع نداء الحق، ويسلك فى الحق، ويتحد بالحق إلى أبد الدهور.

ليس للباطل موضع فى قلبه ولا فى حياته.. بل إن الحق يتأكد فى حياته ويتزايد باستمرار.

تصديق الحق

يتكلّم معلمنا بولس الرسول عن ظهور "ضد المسيح"، وما سوف يعمله من آيات وعجائب كاذبة. وكيف أن الله سيسمح بظهور عمل الضلال للهالكين، لكى يظهر الفرق بين محبى الحق ومحبى الكذب. ويكون ذلك مبرراً لإدانة الذين لم يصدقوا الحق.

يقول عن ضد المسيح هذا "الذى مجيئه بعمل الشيطان، بكل قوة، وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم فى الهالكين. لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا. ولأجل هذا سيرسل إليهم الله عمل الضلال حتى يصدقوا الكذب. **لكى يدان جميع الذين لم يصدقوا الحق بل** سروا بالإثم" (٢تس٢: ٩-١٢).

هناك نفوس تشتاق إلى معرفة الحق.. وهذه لن يتركها الله. بل بالعكس يعرفها ويعينها للتبنى، ويدعوها لميراث الحياة الأبدية.

قد تتأخر دعوتهم بعض الشئ ليتمجد الله فيهم أو بواسطتهم، حينما يقبلون الحق. ولكن الله الذى سبق فعرفهم، لابد أن يدعوهم لأن الحق الذى يعلنه لهم له موضع فى قلوبهم، بغض النظر عن حالتهم السابقة. ولابد أن يشهدوا للحق حينما يدعوهم وبهذا يتأهلون لنيل القيامة، لأنهم آمنوا برب القيامة، واتحدوا به فى المعمودية بشبه موته، ونالوا قوة قيامته.

وهذا ما شرحه معلمنا بولس الرسول فى رسالته إلى أهل رومية: "ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله. الذين هم مدعوون حسب قصده. لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم، ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين. والذين سبق **فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً**. والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً. والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً" (رو٨: ٢٨-٣٠).

لابد أن يدعو الله محبى الحق إلى معرفته والإيمان به أثناء حياتهم على الأرض. لهذا يقول معلمنا بولس الرسول أيضاً: "وأما نحن فينبغى لنا أن نشكر الله كل حين، لأجلكم أيها الإخوة المحبوبون من الرب. **إن الله اختاركم من البدء للخلاص، بتقديس الروح وتصديق الحق**" **(٢تس٢: ١٣)**.

الاختيار مبنى على سبق المعرفة، لمن سوف يقبلون الحق. ولهذا قال السيد المسيح: "كل من هو من الحق يسمع صوتى". والذين هم من الحق يسمعون صوت الحق ويطيعون الحق. ولأن الله قد اختارهم، ولهذا فقد دعاهم وبررهم بالميلاد الجديد، ومجدهم بنعمة الروح القدس.

ويقول معلمنا بولس الرسول أيضاً: "الإيمان ليس للجميع" (٢تس٣: ٢). لهذا وقف السيد المسيح صامتاً أمام بيلاطس الحاكم الوثنى. واكتفى بقوله: "كل من هو من الحق يسمع صوتى". وحينما سأله ما هو الحق، لم يجبه بشئ لأن الحق لم يكن له موضع فى قلبه.

يكفى أن نرى بيلاطس وهو يصدر حكماً على السيد المسيح بالموت صلباً، مع أنه شهد على نفسه وقال: "إنى برئ من دم هذا البار" (مت٢٧: ٢٤).كيف يتبرأ وهو يصدر حكماً بالموت على شخص برئ لم يجد فيه علة واحدة للموت؟

ألا ينطبق على بيلاطس تحذير الرب بالويل لمن يقولون للنور ظلمة وللظلمة نوراً.. الذين يقلبون الحقائق، ولا يسلكون بمقتضاها.

ألا ينطبق عليه تحذير الرب للقضاة من أن يزيفوا أحكام القضاء، حينما قال: "أيديكم ملآنة دماً، اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عينى. كفوا عن فعل الشر، تعلّموا فعل الخير. اطلبوا الحق. **انصفوا المظلوم**. اقضوا لليتيم، حاموا عن الأرملة" (إش١: ١٥-١٧).

وها هى أورشليم تحكم بالموت ظلماً على الحق الذى تجسد لأجل خلاصها، والرب يرثيها ويقول عنها: "كيف صارت القرية الأمينة زانية. **ملآنة حقاً كان العدل يبيت فيها**. وأما الآن فالقاتلون" (إش١: ٢١).

لو كان بيلاطس قد شهد للحق بالقول والفعل، ودافع عن يسوع المظلوم، وترك الظلم لغيره منقذاً نفسه.. لاستحق أن يعرف ما هو الحق، ومن هو الحق.

لهذا بقى السيد المسيح صامتاً. **لأن الحق يتكلم حتى ولو صمت. ويتكلم حتى ولو بدا كأنه قد ضاع. لأن الحق لا يمكن أن يضيع.**

أليس هذا ما قيل بفم إشعياء النبى: "من صدق خبرنا، ولمن استعلنت ذراع الرب.. ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تساق إلى الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه" (إش٥٣: ١، ٧).

" الذى أسلمنى إليك له خطية أعظم " (يو١٩: ١١)

قال هذا يسوع لبيلاطس مشيراً إلى أن خطية اليهود كانت أعظم من خطية بيلاطس.

كان المفروض فى اليهود أن يدافعوا عن السيد المسيح أمام الحاكم الرومانى. لأنهم هم شعبه وخاصته.

ولكنه "إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله" (يو١: ١١). وكتب عنه فى سفر زكريا النبى "فيقول له: ما هذه الجروح فى يديك؟ فيقول هى التى جُرحت بها فى بيت أحبائى" (زك١٣: ٦).

من كان يتصور أن نسل إبراهيم -صاحب العهد- هو نفسه الذى يطلب صلب السيد المسيح؟!

ومن كان يتصور أن أبناء إسحق الحبيب الذى سيق إلى الذبح مثالاً للمسيح، هم أنفسهم الذين يطلبون له الموت بإلحاح ويصلبونه بأيدى الرومان؟!

ومن كان يتصور أن نسل يعقوب القديس الوارث للوعد، هو نفسه الذى يتآمر على السيد المسيح مُسلماً إياه إلى قضاء الموت بأيدى الأمم الغريبة؟!

أمام هذه الحقيقة المُرة قال المرنم: "رفضونى أنا الحبيب مثل ميت مرذول" (مز٣٧: ٢١) بحسب الترجمة القبطية.

وذهولاً من ذلك الواقع الرهيب قال معلمنا بولس الرسول: "أقول الصدق فى المسيح لا أكذب وضميرى شاهد لى بالروح القدس. **إن لى حزنا عظيماً ووجعاً فى قلبى لا ينقطع.** فإنى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروماً من المسيح لأجل إخوتى أنسبائى حسب الجسد. الذين هم إسرائيليون ولهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد. ولهم الآباء ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلهاً مباركاً إلى الأبد آمين" (رو٩: ١-٥).

كان بولس الرسول يتألم بشدة كلما تذكر أن اليهود أصحاب المواعيد والعهد والشريعة الإلهية، هم أنفسهم الذين رفضوا السيد المسيح وصلبوه، واستمر الكثيرون منهم فى رفضه بعد قيامته من الأموات والكرازة باسمه لغفران الخطايا.. بل زادوا على ذلك مقاومتهم لكرازة الآباء الرسل واضطهادهم للكنيسة فى اليهودية وفى كل مكان تواجدوا فيه خارجاً عن أورشليم.

كانت خطية اليهود أعظم من خطية بيلاطس. لأن بيلاطس كان أممياً، وليس من شعب الله الذين أعدهم الرب آلافاً من السنين لاستقبال المخلّص الوحيد، وكان عندهم أقوال الأنبياء التى تكلمت بوضوح عن صلب السيد المسيح، ولكنهم تغافلوا عنها، بل وتمموا ما جاء فيها بغلاظة قلوبهم.

خطية بيلاطس

لم يكن بيلاطس عادلاً فى حكمه، لأنه حكم بالموت على شخص برئ.. وأصدر أعجب حكم فى التاريخ: **البراءة والإعدام على شخص واحد، وفى نفس الجلسة.**

فالعجيب أنه قبل أن يصدر الحكم بصلبه –وهو صاحب سلطان– طلب ماء، وغسل يديه أمام الجميع وقال: "**إنى برئ من دم هذا البار" (مت٢٧: ٢٤). وقال اليهود: "دمه علينا وعلى أولادنا" (مت٢٧: ٢٥).**

ولكن قول اليهود هذا لا يجعل بيلاطس يتبرر، لأنه كان فى سلطانه أن يطلق السيد المسيح حسبما قال: "ألست تعلم أن لى سلطاناً أن أصلبك وسلطاناً أن أطلقك" (يو١٩: ١٠). ولكنه لم يطلق السيد المسيح حراً لأنه خاف من اليهود حينما قالوا له "إن أطلقت هذا فلست محباً لقيصر" (يو١٩: ١٢).. خاف على نفسه، أو خاف على منصبه.. وكان حائراً متردداً.. على أنه كان داخلياً يميل إلى إطلاق السيد المسيح.

بدأت خطية بيلاطس حينما قال لليهود: "أنا أؤدبه وأطلقه" (لو٢٣: ١٦). لأنه بهذا قد طبق على السيد المسيح عقوبة الجلد الرومانى القاسية، والتى كانوا يسمونها عقوبة [نصف الموت]. وهذه كانت تتخطى بكثير عقوبة الجلد العبرانى.. وهى التى تسببت فى موت السيد المسيح سريعاً على الصليب لسبب النزيف الداخلى الحاد مع جراحات الصليب الأخرى، والمجهود الرهيب الذى يلزم للمصلوب لكى يستطيع أن يتنفس وهو معلق من ذراعيه.

تصوّر بيلاطس أن خطية صلب المسيح يمكن تفاديها بخطية جلده، ولكنه انزلق فى طريق الظلم خطوة بعد خطوة، ولم يمكنه أن يتراجع، مع أن زوجته أرسلت إليه محذرة تقول "إياك وذلك البار، لأنى تألمت اليوم كثيراً فى حلم من أجله" (مت٢٧: ١٩). ولكن بيلاطس لم يتجاوب عملياً مع التحذير الرهيب..!!

قد يتصور البعض أن الشروع فى الخطية لا يؤدى إلى خطية.. ولكن الشروع فى الخطية هو مثل الجلد والعذاب الذى يكمل بعد ذلك بالصلب والموت. لأن "الشهوة إذا حبلت تلد خطية، والخطية إذا كملت تنتج موتاً" (يع١: ١٥) والشهوة هى بداية الطريق إلى فعل الخطية. وقد جلد السيد المسيح متألماً بعنف لكى يشفى حواس الإنسان من الشهوة وتلذذاتها، كما هو مكتوب "الذى بجلدته شفيتم" (١بط٢: ٢٤).

حينما امتدت يد بيلاطس بجسارة ليسئ إلى السيد المسيح فى عملية الجلد القاسية، كان قد وضع قدميه على أول طريق الحكم عليه ظلماً بالموت، بينما شهد بيلاطس على نفسه: "لست أجد فيه علة واحدة" (يو١٩: ٤).

ما أقسى هذه اللحظات يا ربنا وفادينا، حينما امتدت تلك الأيادى بجسارة لتربطك وتمدك للجلد بالسياط التى ألهبت ظهرك الحانى. وقد انحنيت يا سيدنا تحت وطأة الآلام الرهيبة والمحرقة، لتشفى جراحات خطايانا فى جسدك الطاهر يا قدوس..!!

" لم يفتح فاه " (إش٥٣: ٧)

حاول بيلاطس أن يدفع السيد المسيح للدفاع عن نفسه بأن يهاجم اليهود، ويفضح أخطاءهم وتآمرهم، فيتحول من موقف المتهم إلى موقف المدعى. وقال له محفزاً: "أما تجيب بشئ؟ انظر كم يشهدون عليك!" (مر١٥: ٤) ولكن السيد المسيح لم يقبل "**فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالى جداً**" (مت٢٧: ١٤).. "لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليخلُص به العالم" (يو٣: ١٧).

بقى السيد المسيح صامتاً، ولم يدافع عن نفسه، ولم يتهم المشتكين عليه بشئ، لأنه "إذ شُتم لم يكن يشتم عوضاً، وإذ تألم لم يكن يهدد، بل كان يسلم لمن يقضى بعدل" (١بط٢: ٢٣).

محبته للجميع فاقت كل عداوتهم، واتضاعه فاق كل تصور. لأنه "ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه. كشاة تساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه" (إش٥٣: ٧).

كان السيد المسيح يعلم أنه يدفع ثمن خطايا البشرية، وأنه قد حمل خطايا الكثيرين، وأنه قد وقف فى مكان الخاطئ.. ولا ينبغى أن يدافع عن نفسه كحامل لخطايا العالم.. فعل ذلك وهو مظلوم.. لأن خطايا البشرية قد ظلمته، كما ظلمته منذ القديم بشكها فى محبته وإطاعتها للحية القديمة.. ولكن فى قبوله لمظالم الصليب قد جسَّد كل الموقف فى أعين البشرية وسمْعها جمعاء.

يسوع أم باراباس

كان الوالى فى اليهودية معتادًا أن يطلق للجميع أسيراً واحداً. ويقوم الجمع بتحديد هذا الأسير الذى يطلق سراحه. وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى باراباس. "وكان المسمى باراباس موثقاً مع رفقائه فى الفتنة. الذين فى الفتنة فعلوا قتلاً" (مر١٥: ٧).

كان رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب وكل جمهورهم.. مجتمعين أمام دار الولاية "ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس: من تريدون أن أطلق لكم. باراباس أم يسوع الذى يدعى المسيح؟" (مت٢٧: ١٧).

"ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرّضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع. فأجاب الوالى وقال لهم: مَن مِن الاثنين تريدون أن أطلق لكم؟ فقالوا: باراباس. قال لهم بيلاطس: فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح. قال له الجميع: ليصلب" (مت٢٧: ٢٠-٢٢).

هكذا اختارت الأمة الجاحدة رجل قاتل ليطلق حراً وأسلمت عريسها البار إلى قضاء الموت. وهذا ما تفعله كل نفس تختار الخطية وترفض البر الذى فى المسيح.

هذا هو حال البشرية التى لم تعرف ما هو لسلامها، ولم تدرك محبة الله لها.. اختارت طاعة الشيطان ودخلت فى شركة معه بينما رفضت الوصية المقدسة وخسرت شركتها مع الله.

ولكن السيد المسيح جاء ليشفى عصياننا وليدفع ثمن خطايانا، موفياً العدل الإلهى حقه، ومعلناً محبة الله المخلصة والشافية والمحيية. وقد احتمل هذا كله فى اتضاع عجيب مرفوضاً من خاصته.

وقد وبّخ القديس بطرس الرسول اليهود على هذا الموقف الردئ فى طلبهم صلب السيد المسيح فقال: "**هذا أخذتموه مسلماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه**" (أع٢: ٢٣).

كان ينبغى أن يوفى الابن المتجسد العدل الإلهى حقه. وقد تم ذلك بأيدى البشر الخطاة، لكى تظهر بشاعة خطية الإنسان الموجهة ضد الله وضد الإنسان نفسه، بآنٍ واحد، لأن الذى وجهت إليه سهام الكراهية والشر هو الله الظاهر فى الجسد كلمة الله المتأنس.

والموقف بكامله أمام الوالى الحاكم الرومانى يحمل فى طياته رمزاً عجيباً - بالرغم من عدم التطابق فى جميع الوجوه.

الحاكم الرومانى يرمز إلى القضاء الإلهى. وباراباس يرمز إلى الإنسان الخاطئ. ويسوع هو المخلّص.

فلو أطلق يسوع حراً لأسلم باراباس إلى قضاء الموت عقاباً على خطاياه. ولو مات يسوع مصلوباً، لأمكن لباراباس أن يحيا. ويكون يسوع قد مات عوضاً عنه..

وكان التدبير الإلهى أن يموت يسوع عوضاً عن البشرية لينقذها من الموت والهلاك الأبدى..

وبالفعل أسلم يسوع بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق إلى قضاء الموت ليكشف بشاعة الخطية ويحرر البشر من سلطانها بالتوبة والإيمان باسمه.

وأطلق باراباس حراً لينظر يسوع معلقاً بدلاً منه فوق الإقرانيون. ولسان حاله يناجى السيد المسيح ويقول:

أنت لم تنصت إلى الحيـة بل أخطأت أمى وأصغت لنداها
أنت لم تقطف من الشجرة بل قطفت أمى حراماً من جنـاها
فلمـاذا أنت مصلوب هنـا؟ وأنـا الخـاطئ حر أتبـاهى
حكمـة يا رب لا أدركهـا وحنـان قد تسـامى وتنـاهى[٤]

مات عوضاً عنا

البعض يقولون إن المسيح قد مات لأجلنا ليظهر محبته للبشرية. ولكننا نقول إنه مات لأجلنا ومات عوضاً عنا أو بدلاً منا. وعلى الصليب إلتقى العدل والرحمة معاً فى توافق عجيب.

---

[٤] من الشعر الروحى لقداسة البابا شنودة الثالث.

مات على الصليب ليظهر محبته.. ومات على الصليب ليوفى الدين الذى علينا، وليمزّق صك خطايانا كقول معلمنا بولس الرسول: "وإذ كنتم أمواتاً فى الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا. إذ محا الصك الذى علينا فى الفرائض الذى كان ضداً لنا وقد رفعه من الوسط مسمراً إياه بالصليب" (كو٢: ١٣، ١٤).

وقد ظهر الموقف جلياً فى واقعة باراباس إذ كان ينبغى أن يموت الواحد ويطلق الآخر واختار الرب أن يموت عوضاً عن الإنسان الخاطئ.

موقف اليهود

حينما اختار الشعب الجاحد باراباس فقد نفذوا مشورة الله المحتومة وعلمه السابق ولكن هذا لا يعفيهم من الخطأ الذى ارتكبوه إلا إذا تابوا وندموا على هذه الخطية. لأن معلمنا بطرس الرسول بعد أن ذكر أن ذلك قد تم بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق قال مباشرة: "وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه" (أع٢: ٢٣).

وقال أيضاً لليهود: "إن إله إبراهيم وإسحق ويعقوب إله آبائنا، مجَّد فتاه يسوع الذى أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس وهو حاكم بإطلاقه. **ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل. ورئيس الحياة قتلتموه** الذى أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك" (أع٣: ١٣-١٥).

وحينما نخس بعض اليهود فى قلوبهم وندموا على خطيتهم الشنيعة، سألوا الآباء الرسل: "ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟" (أع٢: ٣٧). أجابهم بطرس الرسول: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس" (أع٢: ٣٨).

إذن فالتوبة والمعمودية هى شرط المغفرة لليهود عن خطيتهم الشنيعة فى صلب السيد المسيح ولا مجال لتبرئتهم من دمه دون تحقيق هذا الشرط.

الباب الثامن

أحداث الصلب

"جمعوا عليه كل الكتيبة" (مت٢٧: ٢٧)

بعد أن أصدر بيلاطس الحكم على السيد المسيح بالصلب بالرغم من إعلانه لبراءته، وبعد أن كان قد جلده جلداً رومانياً قاسياً، "**أخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة" (مت٢٧: ٢٧)**.

لم يتخلف جندى واحد فى الكتيبة عن الاستهزاء بالسيد المسيح. وكأنهم يحتفلون بهذه الشخصية الفريدة وبهذه الذبيحة النادرة.

كان المعتاد أن يرافق المحكوم عليه أربعة من العسكر لحراسته، وتتغير الوردية كل ست ساعات، بحيث تتناوب أربعة أرابع من العسكر على هذه الحراسة الهامة.

ولكن العسكر أقاموا احتفالاً للكتيبة كلها.. لأن المحكوم عليه هو المدعو "ملك اليهود"، الذى رفضه شعبه وأسلموه إلى قضاء الموت. وكأن العالم كله قد قام على السيد المسيح..

صار السيد المسيح منظراً للكثيرين، يشاهدونه فى آلامه ومعاناته لأجلنا. وهذا يذكرنا بحال شمشون حينما جمع عليه الوثنيون جمعاً هائلاً وهم يحتفلون بعيد إلههم داجون فى معبده الكبير، وصاروا يستهزئون به وبإلهه، ولكن شمشون كان قد أخطأ ثم تاب. أما السيد المسيح فلم يفعل شيئاً ليس فى محله، ولكنه حمل خطايا كثيرين وشفع فى المذنبين.

عروه من ثيابه

بعد أن أخذ عسكر الوالى يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة، "**عرَّوه وألبسوه رداءً قرمزياً.** وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه، وقصبة فى يمينه. وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين: السلام يا ملك اليهود. وبصقوا عليه، وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه. وبعدما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه، ومضوا به للصلب" (مت٢٧: ٢٨-٣٠).

حينما خلق الله الإنسان، لم يكن يلبس ثياباً، لأنه كان مكتسياً بثوب البر، بثياب النعمة، ولم يكن يشعر أنه عريان لأنه لم يكن عرياناً من النعمة.

ولكن بعد السقوط شعر آدم وحواء بالعرى و"انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان" (تك٣: ٧). وقال آدم للرب: "سمعت صوتك فى الجنة فخشيت، **لأنى عريان فاختبأت" (تك٣: ١٠)**. وسأله الرب: "**من أعلمك أنك عريان؟** هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها؟" (تك٣: ١١).

الخطية جعلت الإنسان يشعر بالعرى، لأنه تعرى من البر الذى فى المسيح، وانفتحت عيناه وعرف أنه عريان، بعد أن فقد براءته وبساطته الأولى، تلك التى اختبرها قبل معرفة الخير والشر.

وصار الإنسان –فى إحساسه بالعرى– يبحث عن وسيلة يستر بها عريه "فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر" (تك٣: ٧). ولكن أوراق التين لا تلبث أن تذبل وتكشف عريهما مرة أخرى.

"وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما" (تك٣: ٢١). ليستر عريهما بطريقة سليمة. وكان ذلك إشارة إلى عناية الرب فى الفداء بتقديم جسد يسوع كذبيحة. لأن ورق التين من الشجر، أما أقمصة الجلد فمن جلد الذبيحة.

كان الإحساس بالعرى هو نتيجة الخطية.. وهكذا صنع البشر الخطاة بالسيد المسيح، حينما عروه من ثيابه للهزء والسخرية من ملك اليهود وقد قَبِلَ السيد المسيح هذا العرى من يد البشر، ليؤكد أن الذى يحمل الخطية لابد أن يتعرى. ولكن السيد المسيح لم يكن عرياناً من البر على الإطلاق.. بل هو ملك البر الذى كهنوته على رتبة ملكى صادق. "لأن ملكى صادق هذا ملك ساليم كاهن الله العلى.. المترجم أولاً ملك البر ثم أيضاً ملك ساليم أى ملك السلام" (عب٧: ١، ٢). وكان ملكى صادق هذا رمزاً للسيد المسيح ملك البر الحقيقى. وقد قيل أن السيد المسيح قد تعرى من ثيابه، ليلبسنا ثوب بره، لأنه أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له..

لقد جهل هؤلاء العسكر الخطاة أن الذى قاموا بتعريته من ثيابه، هو نفسه الذى ستر عرى آدم ببره الكامل، وبذبيحته المقدسة، التى تمت بواسطتها المصالحة بين الله والإنسان "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله" (رو٣: ٢٤، ٢٥).

لقد حمل السيد المسيح عار خطايانا، وكلما رأيناه معلقاً على الصليب بعد أن قاموا بتعريته من ثيابه للمرة الثالثة [٥]، نتذكر فى خجل وانسحاق ذلك العرى الذى لحق بنا بسبب الخطية.. ولسان حال كل منا يقول للسيد المصلوب:

كلما طافت بك العين انزوت نفسى الخجلى يغطيها بكاها[٦]

هكذا فى اتضاع عجيب احتمل السيد المسيح المحقرة والمذلة، ليخلّص شعبه من خطاياهم. وقد تنبأ إشعياء النبى عن احتقار الناس للسيد المسيح فى وقت آلامه فقال: "محتقر ومخذول من الناس. رجل أوجاع ومختبر الحزن. وكمستّر عنه وجوهنا محتقر فلم نعتد به" (إش٥٣: ٣).

"ألبسوه رداء قرمزياً" (مت٢٧: ٢٨).

بعد أن خلع العسكر ثياب السيد المسيح فى دار الولاية "**ألبسوه رداءً قرمزياً**. وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه، وقصبة فى يمينه" (مت٢٧: ٢٨، ٢٩).

---

[٥] المرة الأولى عند الجلد، والمرة الثانية عند إلباسه الرداء القرمزى وإكليل الشوك (انظرمت٢٧: ٢٨) والمرة الثالثة عند الصليب. فكما تعرى آدم من شركة الحياة مع الثالوث القدوس هكذا تعرى السيد المسيح ثلاث مرات وألبسنا ثوب بره بثلاث غطسات فى المعمودية على اسم الثالوث القدوس.

[٦]) من الشعر الروحى لقداسة البابا شنودة الثالث.

كان الرداء القرمزى هو لباس الملوك. وأراد عسكر الوالى أن يسخروا من السيد المسيح، فألبسوه لبس الملوك "وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود" (مت٢٧: ٢٩).

الرداء القرمزى كان رمزاً لملابس الملوك المعتادة، وإكليل الشوك كان رمزاً لتاج المملكة، والقصبة فى يمينه كانت رمزاً لقضيب الملك.

بالفعل كان اللباس الذى يليق بالسيد المسيح هو الرداء القرمزى، باعتبار أنه هو الذى ملك بدمه المسفوك ذى اللون الأحمر القرمزى..

أى ملك آخر يلبس الرداء القرمزى، فليس لملابسه معنى يخصه.. أما السيد المسيح **فهو الملك الوحيد الذى يجب أن يتزيا بلون الدم، لأنه اشترى شعبه بدمه، وخلّصهم من براثن الموت الأبدى..**

لو استخدم أحد الملوك اللون القرمزى لملابسه، لكان هذا فقط تشبهاً بالمسيح الملك الحقيقى، الذى **لن يزول ملكه إلى الأبد.. وعلامة ملكه هى الدم المسفوك.**

وكيف لا؟ وعروس النشيد تتغنى وتقول "**حبيبى أبيض وأحمر، مُعلم بين ربوة**" (نش٥: ١٠).

أراد العسكر أن يستهزئوا بالسيد المسيح، ولكنهم أكملوا ما هو مكتوب عنه دون أن يدروا.. لننظر ماذا قال إشعياء النبى بروح النبوة، فى حواره مع المسيح الملك فى (إش٦٣: ١-٣):

س: "من ذا الآتى من أدوم بثياب حمر، من بُصرة، هذا البهى بملابسه المتعظم بكثرة قوته؟".

ج: "أنا المتكلم بالبر العظيم للخلاص".

س: "ما بال لباسك مُحمَرٌّ، وثيابك كدائس المعصرة؟".

ج: "قد دُست المعصرة وحدى، ومن الشعوب لم يكن معى أحد".

لقد أبرز إشعياء النبى فى هذه النبوة كيف لبس المخلّص الثياب الحمراء، كدائس معصرة العنب، إشارة إلى سفك دمه، وإشارة إلى ملكه الفريد حينما دفع ثمن خطايا البشر جميعاً، ولم يشاركه أحد فى دفع هذا الثمن.

"ضفروا إكليلاً من الشوك" (٢٧: ٢٩)

فى القديم قال الرب لآدم بعدما أخطأ "ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك، وشوكاً وحسكاً تنبت لك" (تك٣: ١٧، ١٨).

كان آدم حينما خلقه الرب هو سيد الخليقة التى على الأرض، كما هو مكتوب عنه "بالمجد والكرامة توَّجْتَه، وعلى أعمال يديك أقمته. كل شئ أخضعت تحت قدميه" (مز٨: ٥، ٦).

ولكنه بعد السقوط لم يعد يجنى من الأرض الراحة بل التعب. ولهذا فقد **حمل السيد المسيح على رأسه المقدس إكليلاً من شوك الأرض وحمل نتيجة اللعنة.**

كان الشوك المغروس فى الرأس، إشارة إلى ما ملأ رأس الإنسان من أفكار لا ترضى الله، وهى السبب فى تنغيص حياة الإنسان.

الآن ننظر السيد المسيح وقد تعرى من ثيابه، وحمل على رأسه إكليلاً من شوك، ألا يذكّرنا هذا المشهد العجيب بآدم عند سقوطه فى الخطية، وآثار الخطية بادية عليه، إذ شعر بأنه عريان، وصارت الأرض بسببه تنبت له شوكاً وحسكاً..

أليس المسيح هو آدم الثانى كما هو مكتوب "صار آدم الإنسان الأول نفساً حية، وآدم الأخير روحاً محيياً.. الإنسان الأول من الأرض ترابى. الإنسان الثانى الرب من السماء" (١كو١٥: ٤٥، ٤٧).

إن الرب لم يفعل بآدم عند خروجه من الفردوس، ما فعلته البشرية بالمسيح عند خروجه إلى الصليب!!.

فقد ستر الرب برفق عرى آدم بقميص من جلد، وأبقى الرب فى الأرض شيئاً من خيراته لطعام الإنسان.

أما البشر فقد نزعوا فى قسوة ملابس السيد المسيح وجلدوه، ثم نزعوا ثيابه ثانية وكللوه بالشوك، ثم نزعوا ثيابه مرة ثالثة وصلبوه بلا شفقة، وفى عطشه سقوه خلاً، واستمروا فى تعذيبه إلى أن حكموا عليه بالموت، وهو غير مستوجب الموت.

وبالرغم من كل هذا الظلم، فقد استمر الرب فى محبته للإنسان، ساعياً لخلاصه بصبر واتضاع عجيبين إذ حمل لعنة خطايانا وكل أوجاعها، لكى ينقلنا من الموت إلى الحياة.

هذا هو الملك الذى تُوِّج بإكليل من شوك، لأن مُلكه هو فى آلامه.. وبالفعل ملك بمحبته الباذلة وأعاد إلى آدم كرامته الأولى.

وحول هذا المعنى تنبأ سفر نشيد الأناشيد عن الملك المسيح "اخرجن يا بنات صهيون وانظرن الملك سليمان بالتاج الذى توجته به أمه فى يوم عرسه وفى يوم فرح قلبه" (نش٣: ١١).

عجيب هو هذا العرس الذى وضع فيه إكليلاً من الأشواك على رأس العريس.. ولكن كان هذا هو المهر أو الثمن الذى دفعه العريس ليشترى عروسه الكنيسة مخلِّصاً إياها.. وصار بهذا مثلاً لكل عريس حقيقى. كقول معلمنا بولس الرسول: "أيها الرجال أحبوا نساءكم، كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها" (أف٥: ٢٥، ٢٦).

"قصبة فى يمينه" (مت٢٧: ٢٩)

يقول المزمور عن السيد المسيح "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور. **قضيب استقامة هو قضيب ملكك**" (مز٤٤: ٦، عب١: ٨).

فى هذا المشهد العجيب: المسيح الملك يلبس الرداء الأحمر القرمزى، وإكليل الشوك يتوج رأسه المقدس، **وقضيب الاستقامة الخاص بملكه هو قصبة فى يمينه.**

كانت هذه القصبة رمزاً إلى قضيب الملك، كما كانت رمزاً لعصا الراعى. وها هو المسيح الملك الراعى.. الراعى الحقيقى الذى بنى مُلكه على رعايته الباذلة.. وأسس عرشه على الحق "العدل والحق قاعدة كرسيه" (مز٩٧: ٢)

لم يكن قضيب ملكه مصنوعاً من الذهب الثمين، بل مصنوعاً من البر والحق (dikaiosu,nh "ذيكيؤسينى" باللغة اليونانية).

"بصقوا عليه" (مت٢٧: ٣٠)

بعد الجلد احتقر عسكر الوالى الرومانى السيد المسيح "وبصقوا عليه" (مت٢٧: ٣٠)، ولطّخوا وجهه المقدس بهذا البصاق الذى يقزز النفس، وذلك ليتم ما قيل بإشعياء النبى القائل "بذلت ظهرى للضاربين وخدى للناتفين. وجهى لم أستر عن العار والبصق" (إش٥٠: ٦).

من كان يستحق خزى البصاق إلا الإنسان الذى أخطأ!!.. ولكن هكذا فى اتضاع عجيب حمل السيد المسيح عار خطايانا.كقول القداس الغريغورى {لأجلى يا سيدى لم ترد وجهك عن خزى البصاق}.

"ضربوه على رأسه" (مت٢٧: ٣٠)

" أخذوا القصبة، وضربوه على رأسه" (مت٢٧: ٣٠). هذه القصبة التى وضعوها فى يمينه كانت ترمز إلى قصبة ملكه.

وكان قضيب ملكه هو **قضيب الاستقامة والعدل**. ولأن السيد المسيح قد أوفى العدل الإلهى حقه، **لهذا ضُرب بهذا القضيب على رأسه أى ضرب بقضيب العدل الإلهى.**

والرأس إذ هى مركز القيادة فى كيان الإنسان.. وآدم قد قادته رأسه إلى العصيان ومخالفة الوصية.. لهذا ضُرب السيد المسيح على رأسه.. وكان ذلك ليتم ما قيل بإشعياء النبى: "أنه ضُرب من أجل ذنب شعبى" (إش٥٣: ٨).

"ثم خرجوا به ليصلبوه" (مر١٥: ٢٠)

"وبعدما استهزأوا به. نزعوا عنه الأرجوان، وألبسوه ثيابه، **ثم خرجوا به ليصلبوه**" (مر١٥:٢٠).

"**فخرج وهو حامل صليبه" (يو١٩: ١٧).**

خرج السيد المسيح من أورشليم وهو حامل أداة موته وهو الصليب، حاملاً عار خطايانا..

لهذا قال معلمنا بولس الرسول: "فإن الحيوانات التى يُدخل بدمها عن الخطية إلى الأقداس بيد رئيس الكهنة، تُحرق أجسامها **خارج المحلة**. لذلك يسوع أيضاً لكى يقدس الشعب بدم نفسه تألم **خارج الباب**. فلنخرج إذاً إليه خارج المحلة حاملين عاره" (عب١٣: ١١-١٣).

وحينما ظهر موسى وإيليا يتكلمان مع السيد المسيح على جبل التجلى "تكلما عن **خروجه** الذى كان عتيداً أن يكمله فى أورشليم" (لو٩: ٣١).

وحينما طرد الإنسان من الفردوس بسبب الخطية، ومُنع من الأكل من شجرة الحياة. فإنه قد واجه الموت، والمصير المظلم فى الجحيم. وبقى منتظراً الفداء والخلاص من الخطية ومن الموت.. وحينما جاء السيد المسيح، وحمل خطايانا فى جسده. فإنه قد **تألم خارج الباب.. خارج المحلة**.. كما خرج آدم من الفردوس "لأنه جعل الذى لم يعرف خطية- خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه" (٢كو٥: ٢١). أى أن الرب قد "وضع عليه إثم جميعنا" (إش٥٣: ٦).. **فكما خرج آدم من الفردوس لسبب الخطية، هكذا خرج السيد المسيح من مدينة الله أورشليم حاملاً صليب خطايانا..**

بعد خروج آدم أقام الرب شرقى الفردوس "الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة" (تك٣: ٢٤).

كان لهب هذا السيف المتقلب رمزاً للعدل الإلهى الذى ينبغى أن يوفيه الإنسان، قبل أن يصل إلى شجرة الحياة ويأكل منها. وهيهات أن يوفى الإنسان العدل الإلهى حقه بدون موت القدوس البار الذى بلا خطية وحده، الذى تجسد وتأنس لأجل خلاصنا. مقدماً فداءً غير محدود بذبيحته المقدسة على الصليب..

هكذا اجتاز السيد المسيح نار العدل الإلهى، واحتمل آلام الصليب، لكى يصل بنا إلى أفراح القيامة، وإلى شجرة الحياة الأبدية التى حرمنا منها بسبب خطايانا.

وكما خرج السيد المسيح من أورشليم حاملاً الصليب، هكذا عاد ودخلها بعد القيامة بمجد، وظهر لتلاميذه فى العلية حيث كانوا مجتمعين. وكان ذلك بعد أن صنع الخلاص، ورد آدم وبنيه إلى الفردوس.

كانت أورشليم – مدينه الله، ترمز إلى كورة الأحياء.. ترمز إلى الفردوس، وترمز إلى أورشليم السمائية.. وترمز إلى حياة الشركة مع الله.

فى أسبوع الآلام تترك الكنيسة (كجماعة) **الهيكل، والخورس الأول الخاص بالمتناولين، وتجتمع خارج الباب** (أى خارج الخورس الأول)، فى صحن مبنى الكنيسة. لكى نتذكر مع آلام السيد المسيح، أن الخطية قد أخرجتنا من الفردوس وحياة الشركة مع الله، اللذين تعيشهما الكنيسة على الأرض فى الهيكل المقدس، والخورس الأول.

وبعد صلاة الساعة الحادية عشر من يوم الجمعة العظيمة، تدخل الكنيسة إلى الهيكل، لنتذكر أن الفداء قد تم على الصليب بموت السيد المسيح، وأن العداوة القديمة قد زالت بذلك بين الله والإنسان.

وحتى القديسون الذين كانوا قد رقدوا، وكانت أجسامهم تُدفن خارج المحلة، أى خارج أورشليم، قاموا ودخلوا إلى المدينة احتفالاً بعودتهم إلى الفردوس، واحتفالاً بقيامة السيد المسيح.

وقد سجّل القديس متى الإنجيلى هذه الواقعة الفريدة فى إنجيله فقال: "قام كثير من أجساد القديسين الراقدين وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين" (مت٢٧: ٥٢، ٥٣).

وقد أجمل القديس يوحنا فى رؤياه كثيراً من معانى الخلاص والفداء التى ذكرناها، وطبيعة مُلك السيد المسيح الفادى المنتصر فقال: "ثم رأيت السماء مفتوحة، وإذا فرس أبيض، والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً، **وبالعدل يحكم ويحارب.** وعيناه كلهيب نار، وعلى رأسه تيجان كثيرة، وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه إلا هو. وهو متسربل بثوب مغموس بدم و**يُدعى اسمه كلمة الله.** والأجناد الذين فى السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزاً أبيض ونقياً. ومن فمه يخرج سيف ماضٍ لكى يضرب به الأمم. وهو سيرعاهم بعصاً من حديد. **وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شئ.** وله على ثوبه وعلى فخذه اسم مكتوب ملك الملوك ورب الأرباب" (رؤ١٩: ١١-١٦).

فى ليلة السبت الكبير تعيش الكنيسة مع أحداث الخلاص العظيم، حينما كان السيد المسيح بجسده المقدس فى القبر، وكانت روحه تعمل عملاً هائلاً بقدرته الإلهية فى تخليص أرواح الذين رقدوا على الرجاء ونقلها من الجحيم إلى الفردوس، وذلك بعد أن فتح الفردوس باستحقاقات دمه الذى سفك على الصليب.

وحسناً تقرأ الكنيسة المقدسة سفر الرؤيا بكامله فى هذه الليلة.. وهو السفر الذى يتحدث عن الأبدية والعالم الآخر، أو عن علم الآخرة (إسخاطولوجى).. الكنيسة كعروس للمسيح؛ تتأمل فى عمله الخلاصى وتنتظر مجيئه من السماء.. تحتفل بموته وتحتفل بقيامته.. تحتفل بصعوده وتنتظر مجيئه.. تعيش بالإيمان وتعيش بالرجاء.. تعيش العبور وتنطلق بقوته المتجددة نحو أمجاد الأبدية.

سمعان القيروانى

بعد الجلد الرومانى العنيف، واستكمال المحاكمة، خرج السيد المسيح وهو حامل صليبه من قلب مدينة أورشليم، متجهاً إلى أعلى جبل الجلجثة خارجاً عن أورشليم.

وكان طريق الجلجثة طويلاً ومتصاعداً، كما كان الصليب ثقيلاً ومتعامداً.

وقد حمل الرب هذا الصليب الثقيل الذى هو نفسه أداة موته، كما حمل بإرادته خطايانا فى جسده وهى سبب موته.

وقع السيد المسيح على الأرض تحت الصليب، وهو صاعد فى طريق الجلجثة، وذلك لكى نفهم بوضوح أنه لم يستخدم قدرته الإلهية ليمنع الألم والمعاناة عن جسده. فبالرغم من اتحاد اللاهوت والناسوت معاً فى طبيعة واحدة اتحادًا تاماً طبيعياً وأقنومياً يفوق العقل والإدراك، إلا أن اللاهوت لم يتغير بسبب الاتحاد من جهة كونه غير متألم، والناسوت لم يتغير بسبب الاتحاد من حيث كونه قابلاً للألم.. ولكن لأن جسد أقنوم الكلمة هو الذى تألم، لأجل هذا ننسب إليه آلام جسده الخاص. فنقول إن كلمة الله قد تألم لأجل خلاصنا.

ولأن جسده قد نزف كمية كبيرة من الدماء فى الداخل والخارج.. فى الداخل من جراء تمزق الشرايين المحيطة بالقفص الصدرى نتيجة الجلد بكرباج من أعصاب البقر، تنتهى أطرافه بقطع معدنية أو أجزاء مدببة من عظام البقر. والكرباج تنغرس نهايته فى داخل الجلد مع كل جلدة بسيوره الثلاثية، وتمزق فى الداخل الشرايين المحيطة بضلوع القفص الصدرى وتُحدِث نزيفاً داخلياً.

وفى الخارج كان الدم ينزف من رأسه المتوج بالشوك، ومن الجراحات السطحية الناتجة عن الجلد العنيف بأعصاب البقر على الطريقة الرومانية(٧).

ومع هذا النزيف الذى استمر منذ وقت الجلد أثناء المحاكمة، بدأ السيد المسيح يشعر بالإعياء، وعدم القدرة على بذل المجهود المعتاد، فكم بالأولى حمل هذا الصليب الثقيل، وهو يزحف بثقله من خلفه على أرض غير مستوية وصاعدة، تلاحقه كرابيج من العسكر الرومان بغير شفقة ولا رحمة.

لهذه الأسباب إلى جوار الآلام النفسية الناشئة عن إحساسه بالجحود ونكران الجميل من البشرية التى أخطأت فى حقه وهو يسعى لأجل خلاصها، ومن الأمة اليهودية التى طالبت بموته بيد الوثنيين، ومن تلميذه الخائن يهوذا الإسخريوطى الذى باعه مقابل ثلاثين من الفضة بعد أن عاش معه فى صحبة طويلة، لهذا كله كان السيد المسيح يقع على الأرض، ومن فوقه صليبه الخشبى الثقيل الذى كان يرتطم بجسده المقدس، حتى شعر قائد المئة أنه لا فائدة من تكرار المحاولة للوصول إلى قمة الجلجثة على هذا الوضع.

ففكر قائد المئة فى تسخير شخص كان عائداً من الحقل "**هو سمعان القيروانى أبو ألكسندرُس وروفس**" (مر١٥: ٢١). ليحمل صليب الرب يسوع ويسير معه فى موكب الصلب إلى أعلى الجلجثة.

طوباك أنت يا سمعان يا من استحققت أن تحمل صليب فاديك وتسير معه إلى الجلجثة..

يا من أوضحت بمثال مسيرة كل قديس يتبع السيد المسيح حاملاً الصليب، الذى ليس هو سوى صليب السيد المسيح نفسه. كقول معلمنا بولس الرسول: "لأعرفه وقوة قيامته **وشركة آلامه متشبهاً بموته**" (فى٣: ١٠).

إن من يتألم من أجل السيد المسيح فله الطوبى.. وهو لا يتشبه بالمسيح فقط، بل يشترك معه فى حمل صليبه المحيى.

كثيرون يحملون الصليب للزينة على صدورهم، ولكن ليتهم يحملونه فى قلوبهم.. ليتهم يعانقونه.. ليتهم يصعدون مع السيد المسيح إلى الجلجثة، مرددين قول معلمنا بولس الرسول: "إن كنا نتألم معه لكى نتمجد أيضاً معه" (رو٨: ١٧).

قد تأتى علينا التجارب والآلام ونظن أن الرب قد تخلى عنا، ولكن هذه الآلام تكون هبة وعطية من الله كقول الكتاب: "لأنه قد وهب لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله" (فى١: ٢٩).

---

(٧) كان الجلد عند الرومان قاصراً على العبيد حسب القانون الروماني.

لقد سخَّروا سمعان القيروانى ليحمل الصليب فأطاع، ونال هذه البركة. والسيد المسيح نفسه أوصانا قائلاً: "من سخرك ميلاً واحداً، فاذهب معه اثنين" (مت٥: ٤١). فهل نقبل أن نحمل الصليب الذى يسخرنا الرب نفسه لحمله؟ يا له من شرف عظيم، تغنى به بولس الرسول قائلاً: "كما تكثر آلام المسيح فينا، كذلك بالمسيح تكثر تعزيتنا أيضاً" (٢كو١: ٥).

إن صليبى الذى أحمله يا رب، هو نفسه صليبك أنت، الذى حملته لأجل خلاصى.. أنت حررتنى من الهلاك الأبدى بموتك المحيى، وأنا لا يمكننى أن أدفع ثمن خلاصى، لأنه هو دمك الإلهى.. ولكنى على الأقل يمكننى أن أشارك طريق الصليب، وأن أحمل صليبك الذى هو ينبوع خلاصى وفدائى.

إننى حينما أحمل صليبك وأتبعك، فإننى بهذا أكون جزءاً من خطة الله لأجل خلاصى وخلاص الآخرين.. بحسب قول الآباء لى [إن الله الذى خلقك بدونك، لا يخلصك بدونك].

إن إيمانى بك بصورة حية، هو أن أقبل صليبك فى داخلى، مدفوناً معك بالمعمودية للموت، مسلّماً إنسانى العتيق ليصلب معك، حتى باتحادى بك بشبه موتك، أصير أيضاً بقيامتك. فأعطنى يا رب أن أحسب نفسى ميتاً عن الخطية، مجاهداً فى ذلك لكى أحيا لله بك؛ أنت حياتى ومخلصى.

ما أعجب اتضاعك يا إلهى لأنك قبلت أن تقع تحت ثقل الصليب مُظهراً ضعفاً خارجياً، لكى تجتذبنى إلى مشاركة آلامك، حتى لا تفوتنى مشاركة قوة قيامتك.. هكذا يا رب باتضاعك غير الموصوف رسمت لنا طريق الحياة..!!

"العود الرطب" (لو٢٣: ٣١)

فى مسيرة السيد المسيح نحو الجلجثة شرح معلمنا لوقا الإنجيلى حوارًا هاماً حدث فى الطريق بين السيد المسيح والنسوة اللواتى كن يلطمن وينحن عليه.

فبعدما توصّل رؤساء اليهود إلى غرضهم فى إحراج الوالى واستصدار حكم ظالم ضد السيد المسيح إذ "كانوا يلجون بأصوات عظيمة طالبين أن يصلب. فقويت أصواتهم.. فحكم بيلاطس أن تكون طلبتهم.. وأسلم يسوع لمشيئتهم" (لو٢٣: ٢٣-٢٥). بعد ذلك خرج يسوع وهو حامل صليبه بعدما علا صوت الباطل أمام الوالى.

"ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلاً قيروانياً كان آتياً من الحقل، ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع. **وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتى كن يلطمن أيضاً وينحن عليه**. فالتفت إليهن يسوع وقال: يا بنات أورشليم لا تبكين علىّ، بل ابكين على أنفسكن وعلى أولادكن. لأنه هوذا أيام تأتى يقولون فيها طوبى للعواقر والبطون التى لم تلد، والثُدِى التى لم تُرضع. حينئذ يبتدئون يقولون للجبال اسقطى علينا وللآكام غطينا. **لأنه إن كانوا بالعود الرطب يفعلون** هذا، فماذا يكون باليابس" (لو٢٣: ٢٦-٣١).

كان للسيد المسيح شعبية كبيرة سبق أن أزعجت رؤساء اليهود خاصة فى يوم أحد الشعانين، حينما استقبلته الجموع فى أورشليم كملك "فقال الفريسيون بعضهم لبعض انظروا إنكم لا تنفعون شيئاً. هوذا العالم قد ذهب وراءه" (يو١٢: ١٩). وقد امتلأ رؤساء اليهود حسداً وغيرة، لسبب شعبية السيد المسيح الجارفة.

لذلك دبّروا المؤامرة وقبضوا عليه فى الليل خلواً من جمع، وأجروا المحاكمة اليهودية ليلاً. ثم سلّموه فى الصباح الباكر إلى الوالى، وأخذوا معهم جمهورهم الخاص الذى كان يطالب بصلب السيد المسيح..

واستيقظت أورشليم فى الصباح، لتجد أن الحكم قد صدر من قبل الحاكم الرومانى وانتهى الأمر ولم يعد فى استطاعة الجماهير التى أحبت السيد المسيح أن تفعل شيئاً، سوى أن تتبعه فى طريق الجلجثة، كما أوضح معلمنا لوقا الإنجيلى "تبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتى **كن يلطمن أيضاً وينحن عليه**" (لو٢٣: ٢٧).

كان من الطبيعى أن تبكى النسوة ويلطمن على السيد المسيح، الذى وقع عليه كل هذا الظلم وهو برئ. وكان من الطبيعى أن تتكسر قلوب الرجال وهم يبصرون ملك إسرائيل وهو يساق بهذه الصورة المهينة إلى موت الصليب؛ موت العبيد.. ومع رجلين من القتلة والسارقين المجرمين.

لو أتيحت لهم الفرصة أمام الوالى لدافعوا بشدة عن السيد المسيح. ولكن المؤامرة استبعدت الصوت الحقيقى للجماهير، وضخمت صوت الباطل، كما لو كان معبّراً عن إرادة الجماهير وإرادة الأمة. لقد حشدوا جمهوراً محدوداً أمام الوالى يطالب بصلب السيد المسيح، وتجاهلوا مشيئة الجماهير العريضة من الناس وأرادوا أن يشككوا الشعب فى صدق إرسالية السيد المسيح بتطبيق حكم الموت عليه عن طريق التعليق على الخشبة، ليؤكّدوا للشعب الذى أحبه أنه قد صار ملعوناً من الله. لأنه فى سفر التثنية يقول إن "المعلّق ملعون من الله" (تث٢١: ٢٣).

إلى هذه الدرجة حَبَكَ اليهود المؤامرة حتى أنهم قدموا دليلاً كتابياً من خلال أحداث الصلب على أن السيد المسيح قد صار فى حكم الملعون من الله. وبهذا اهتز وضع السيد المسيح فى أنظار الذين لم يفطنوا إلى خطورة المؤامرة اليهودية.

حقيقة أن السيد المسيح قد حمل لعنة خطايانا على الصليب، ولكنه إذ أوفى العدل الإلهى حقه، فقد محا اللعنة إلى الأبد. وكان دليل قبول ذبيحته وزوال اللعنة، هو أن الله قد أقامه ناقضاً أوجاع الموت، إذ لم يكن للموت سلطان عليه، لأنه كان بلا خطية من جانبه شخصياً.

وقد سبق إشعياء وتنبأ عن هذا الأمر وقال: "نحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً. وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه، وبحبره شفينا" (إش٥٣: ٤، ٥).

دخل الشك إلى قلوب البعض.. ولكن ذوى القلوب الأمينة الواثقة لم تهزهم المؤامرة المحبوكة. بل بقيت ثقتهم فى قداسة السيد المسيح كما هى، وثقتهم فى قبول الرب لذبيحته الطاهرة كما هى..

ومن أمثلة هؤلاء الأشخاص الأمناء المريمات القديسات اللواتى أحضرن الطيب ليضعنه على جسده المبارك فى فجر الأحد ووجدنه قد قام.

ومن أمثلتهم أيضاً يوسف الرامى ونيقوديموس، اللذان طلبا جسد الرب يسوع من الوالى ولفاه بأكفان غالية وأحاطاه بالحنوط، ووضعاه فى قبر جديد، فى بستان منحوت فى صخرة لم يوضع فيه أحد قط من الناس. لقد قدّما للسيد المسيح بعدما أسلم الروح على الصليب، أغلى ما عندهما، واستحقا أن يسمعا تسابيح الملائكة، وهما يكفنان جسده المقدس وهى تقول: {قدوس الله، قدوس القوى، قدوس الحى الذى لا يموت}.

حينما أبصر السيد المسيح النسوة يلطمن وينحن عليه، أراد أن يوجه أنظارهن إلى الحقيقة الثمينة.. ألا وهى أن خطايا البشر هى السبب الحقيقى لآلامه. وأن مؤامرة اليهود وقساوة الرومان، ما هى إلا أدوات استخدمتها حكمة الله ومشورته، ليتحقق من خلالها إبراز حقيقة الصراع بين الخير والشر، والذى لابد أن ينتهى بانتصار الخير فى النهاية.

وقال لهم: "إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا، فماذا يكون باليابس؟!" وقال هذا ليتذكر كل إنسان أن السيد المسيح وهو العود الرطب، قد تألم عوضاً عنا حينما حمل خطايانا فى جسده، فما الذى يمكن أن يحدث للإنسان غير التائب حينما يتراءى أمام الله بخطاياه غير المغفورة وغير المغسولة بدم السيد المسيح؟.

إن السيد المسيح قد احتمل ظلم الأشرار، لكى يوبخ خطية الإنسان غير التائب. وسيظل صوته الإلهى يدوى فى سمع البشرية "إن كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا، فماذا يكون باليابس..؟!"

"أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ليشرب" (مت٢٧: ٣٤)

لما وصلوا إلى المكان المعروف بالجلجثة، وهو الذى يدعى مكان الجمجمة، أعطوا يسوع "خلاً ممزوجاً بمرارة ليشرب. ولما ذاق، لم يرد أن يشرب" (مت٢٧: ٣٤).

كانت العادة أن يشرب المحكوم عليه بالصلب كمية كبيرة من الخل الممزوج بالمرارة، وذلك قبل أن تبدأ عملية دق المسامير الرهيبة فى يديه وقدميه.

كان المقصود بذلك هو تخدير أعصاب المصلوب لتخفيف شعوره بالآلام المبرحة، أثناء ثقب يديه ورجليه بالمسامير الضخمة التى تخترق الجلد واللحم والأعصاب، وتخترق الأربطة التى تضم عظام المعصمين والقدمين. وكذلك لتخفيف شعوره بالألم أثناء تعليقه على الصليب، إذ يصير جسده بكل ثقله محملاً على جراحات هذه المسامير..

ولما ذاق السيد المسيح هذا المزيج المخدّر، امتنع عن الشرب، لأنه أراد أن يتحمل الآلام كاملة بلا مخدر.. ليوفى العدل الإلهى حقه.. ليدين الخطية فى الجسد.. ليشفى الإنسان من لذة الخطية المهلكة.

بجراحاته شفينا من وجع الخطية، أو بتعبير أوضح من لذة الخطية التى تأسر الإنسان وتسيطر عليه. هذه الآلام التى احتملها مخلصنا هى آلام مخلصة ومحيية، وكان قد وضع فى قلبه أن يشرب الكأس –كأس الآلام– كاملة، كما استلمها من يد الآب فى البستان.

وكما وعد الآب فى طاعته الكاملة له.. هكذا فعل ولم يقبل الهروب من الآلام بكاملها بأية صورة من الصور.

إن طاعة الوصية لم تكن لتكلف الإنسان أكثر من رفضه لجاذبية الخطية -دون أن يتألم الإنسان- ولكن الإنسان انساق وراء شهوة الخطية مقتطفاً لنفسه الموت والضياع.

أما السيد المسيح فكانت طاعته للآب، ليست مجرد امتناعاً عن الشر.. لأن السيد المسيح خالياً تماماً من الشر والخطية ونوازعها، بل **كانت طاعته قبولاً للألم من أجل تحرير الإنسان** من شهوة الخطية ولذتها وجاذبيتها. وصار قبول الألم والموت هو وسيلة إعلان محبته الحقيقية للكنيسة كعروس له تدخل معه إلى شركة المحبة والألم فى الصليب.

صارت شركة الآلام مع السيد المسيح هى وسيلة الكنيسة فى التعبير عن محبتها له، فى جهادها ضد الشيطان ومملكته الروحية، حتى يملك السيد المسيح على حياتها كعريس محبوب قد أسرتها محبته إلى الأبد.

وصار الصليب فى حياة الكنيسة هو عنها ولها.. لأنه هو قوة الله للخلاص لكل من يؤمن.

فإن "الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل٥: ٢٤).. بل صاروا مستعدين للشهادة من أجل السيد المسيح مثل أولئك الشهداء الذين قد غلبوا الشيطان بدم الحمل وبكلمة شهادتهم "ولم يحبوا حياتهم حتى الموت" (رؤ١٢: ١١).

صلبوه

صلبوه (مت٢٧: ٣٥)، (مر١٥: ٢٤)، (لو٢٣: ٣٣)، (يو١٩: ١٨).

وصفت المزامير بوضوح آلام السيد المسيح، وتعليقه على خشبة الصليب، بثقب يديه ورجليه. وأبرز ما فى عملية الصلب، هو تسمير جسده بالمسامير على الخشبة "ثقبوا يدىَّ ورجلىَّ " (مز٢٢: ١٦).

الإنسان الحر يستطيع أن يحرك يديه وقدميه ويتحرك كيفما شاء. أما المصلوب فقد قيدت حريته بالكامل على الصليب.

لهذا لم يكن القانون الرومانى يسمح بتنفيذ عقوبة الموت صلباً على من يحمل الجنسية الرومانية، لأنه حر وغير مستعبد.. فالصلب كان للعبيد فقط.

عند اليهود كان الصلب علامة لعنة، حسبما هو مكتوب فى الناموس اليهودى.

وعند الرومان كان الصلب علامة عبودية، حسب القانون الرومانى.

وقد قبل السيد المسيح أن يحمل عنا لعنة الخطية "جعل الذى لم يعرف خطية، خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه" (٢كو٥: ٢١).

كما قبل أيضاً أن يصير عبداً ليأتى بنا إلى حرية مجد أولاد الله.

فالذى أعطانا الحرية على صورته ومثاله، ارتضى العبودية ليحررنا من عبودية الخطية.

وهو لم يأخذ صورة العبد فقط، بل ارتضى أن يفقد حريته على الصليب، ويُسمَّر بالكامل، فلا يستطيع أن يتحرك.

الإنسان والحرية

ادّعى بعض الملحدين مثل "سارتر" أن الله قد خلق الإنسان حُراً. ثم أراد أن يسلب منه الحرية، ويجعله مستعبداً له، فأعطاه الوصية الإلهية.

ولذلك طالب سارتر بتحرير الإنسان من الخضوع لله ولوصاياه، معتقداً أن الحرية هى أن يفعل الإنسان كل ما يريد وكل ما يشتهى.

لم يفهم ذلك المسكين أن الحرية الحقيقية هى أن يتحرر الإنسان من الشر، ومن عبودية الخطية، وأن المستعبد للخطية لا يستطيع أن يفعل ما يريد. بل غالباً يفعل ما لا يريد. وأن الإنسان المحب لله هو الذى يحقق بالفعل الهدف من وجوده، كصورة لله فى القداسة والحق والحرية الحقيقية.

فالحرية هى أن يصل الكائن إلى المثالية، لا أن ينحدر إلى الحضيض..

لهذا قال السيد المسيح: "إن حرركم الابن، فبالحقيقة تكونون أحراراً" (يو٨: ٣٦).

إننا نقف متعجبين أمام الصليب:

فالله الذى ادعّى عليه البعض أنه يريد أن يسلب الإنسان حريته، قد ارتضى أن يفقد حريته -بحسب الجسد- على الصليب ثمناً لحرية الإنسان.

هل هناك حب أعظم من هذا؟!.. وهل هناك رد أبلغ من هذا علىكل افتراءات الشيطان والملحدين من أعوانه؟.. إن الله حينما ظهر فى الجسد، صار مستعداً أن يفقد حريته -بل لقد وهبها بالفعل- من أجل تحرير الإنسان، لا أن يسلب من الإنسان حريته.

إن الوصية هى المجال العملى لممارسة حرية الإرادة، وإظهار المحبة الإرادية نحو الله.

لهذا قال السيد المسيح: "إن حفظتم وصاياى، تثبتون فى محبتى. كما أنى أنا قد حفظت وصايا أبى، وأثبت فى محبته" (يو١٥: ١٠). وقال أيضاً: "الذى عنده وصاياى ويحفظها، فهو الذى يحبنى. والذى يحبنى يحبه أبى، وأنا أحبه وأظهر له ذاتى" (يو١٤: ٢١). وخاطب تلاميذه قائلاً: "أنتم أحبائى إن فعلتم ما أوصيكم به" (يو١٥: ١٤).

وقال القديس يوحنا الرسول: "فإن هذه هى محبة الله أن نحفظ وصاياه. ووصاياه ليست ثقيلة" (١يو٥: ٣).

الله لا يرغب فى إرغام الخليقة على الحياة معه، أو على محبته.. فإننا لا نتصور عريساً يقبل أن تحيا معه عروسه بغير إرادتها.

المفهوم السليم هو أننا نحيا مع الله لأننا نحبه، ولأننا نعجب بصفاته الجميلة، ولأننا به "نحيا ونتحرك ونوجد" (أع١٧: ٢٨). **وكما قال معلمنا بولس الرسول: "لى الحياة هى المسيح" (فى١: ٢١).**

والسيد المسيح نفسه قال: "أنا هو القيامة والحياة" (يو١١: ٢٥)، وقال أيضاً: "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو١٤: ٦) فبقوله: "أنا هو الحياة" أظهر بالفعل أننا به نحيا ونتحرك ونوجد.

الله الآب هو ينبوع الحياة، هو مصدر الحياة.. والله الابن هو الحياة التى نحيا بها، والتى قال عنها القديس يوحنا الإنجيلى "فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس" (يو١: ٤).. والله الروح القدس هو روح الحياة، كنز الصالحات ومعطى الحياة، الرب المحيى المنبثق من الآب.

لا يستطيع أحد أن يقول "أنا هو الحياة" إلا الله وحده.. قالها السيد المسيح وأكّدها فى حديثه عن التناول من جسده بقوله: " أنا هو خبز الحياة.. أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء. إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد. والخبز الذى أنا أعطى، هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم" (يو٦: ٤٨، ٥١).

كيف نحيا بدون الله إن كان هو مصدر الحياة؟ كيف نتذوق طعم الحياة إلا مع الله؟ الذى وهبنا كل النعم والخيرات فى المسيح يسوع، وسكب فينا روحه القدوس.

لقد جاء السيد المسيح لكى يكشف لنا سر الحياة الحقيقية، وهى أن الله هو ذلك الأب الذى يحب أولاده ويسعى لخيرهم. وقال فى مناجاته للآب قبل الصلب: "أنا أظهرت، اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم" (يو١٧: ٦). أى أنه أظهر لتلاميذه حقيقة الأبوة فى الله. **وقال أيضاً: "أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك. أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى. وعرفتهم اسمك، وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم"** (يو١٧: ٢٥، ٢٦).

إن لقب "**الآب**" هو الاسم الثمين الذى اعتز مخلصنا الصالح بأن يعلنه لتلاميذه عن أبيه السماوى القدوس.

"أحصى مع أثمة" (مر١٥: ٢٨)

استكمل معلمنا لوقا البشير حديثه عن طريق الصليب فقال: "**وجاءوا أيضاً باثنين آخرين مذنبين ليقتلا معه" (لو٢٣: ٣٢).**

وذكر معلمنا مرقس الإنجيلى أمر هذين المذنبين فقال: "وصلبوا معه لصين واحداً عن يمينه وآخر عن يساره. فتم الكتاب القائل: **وأحصى مع أثمة**" (مر١٥: ٢٧، ٢٨).

لم تكن مصادفة أن يموت السيد المسيح مع المذنبين لأن النبوة تقول إنه "سكب للموت نفسه، **وأحصى مع أثمة**، وهو حمل خطية كثيرين وشفع فى المذنبين" (إش٥٣: ١٢).

لقد "دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع" (رو٥: ١٢). وجاء السيد المسيح لكى يحمل خطايا كثيرين ويشفع فى المذنبين أى أنه لم يمت عن خطية نفسه –فهو بلا خطية– بل عن خطايا غيره. ولكنه تألم: البار من أجل الأثمة، القدوس عوضاً عن الخطاة. لكنه على أية حال كما اشترك الأولاد فى اللحم والدم اشترك فيهما هو أيضاً، وكما اشتركوا فى الموت اشترك فيه هو أيضاً "لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية" (عب٢: ١٤، ١٥).

كان منتهى الاتضاع: لا أن يقبل السيد المسيح أن يموت فقط، وهو برئ وبلا خطية، بل أن يموت مع الخطاة.. ضمن المذنبين.. وأن يحصى فى وسط الأثمة، والمجرمين.

مات مع الخطاة.. لكى يموتوا هم معه.. ولكى يتغنى كل خاطئ متمتع بالخلاص: "مع المسيح صلبت".. كما قال معلمنا بولس الرسول: "دفنا معه بالمعمودية للموت" (رو٦: ٤). "عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه، ليبطل جسد الخطية" (رو٦: ٦).

كان عارًا كبيراً أن يسير السيد المسيح فى موكب الأثمة، وهو القدوس البار الذى بلا خطية، وكان عارًا أكبر أن يصلب فى الوسط بين لصين، الواحد عن يمينه والآخر عن يساره، وكأنه هو رئيس العصاة والمذنبين .!!

ما هذا العرش يا إلهى البار، الذى علقوك عليه كملك؟!.. هل هو عرش الخزى والعار؟!.. إنه عار خطيتى لكى تملك على عرش قلبى فى الوسط..

إن العالم يتطلع نحوك يا قدوس، وأنت معلق على الجلجثة بين لصين، لكى يرى كل إنسان نفسه هناك فوق الجلجثة مصلوباً معك بصورة رمزية عجيبة.

على يمينك الخطاة التائبون، وعن يسارك الخطاة غير التائبين.. عن يمينك الخراف، وعن يسارك الجداء.. **وأنت يا سيدى فى الوسط رئيساً للكهنة.. شفيعاً فى الخطاة.. فأنت الحمل والراعى.. الكاهن والذبيحة.. الهيكل والقربان.**

أنت يا رئيس الحياة.. كنت رئيساً بين المائتين.. لأنك أنت الذى حملت خطايا العالم كله.. وهكذا وأنت الحياة قد عبرت بالمائتين التائبين من الموت إلى الحياة.

{عندما انحدرت إلى الموت، أيها الحياة الذى لا يموت. حينئذ أمتَّ الجحيم ببرق لاهوتك. وعندما أقمت الأموات من تحت الثرى. صرخ نحوك جميع القوات السمائيين أيها المسيح الإله معطى الحياة المجد لك} (من ألحان قداس القديس يوحنا ذهبى الفم).

فى تواضعه قبل السيد المسيح أن يحمل عار خطايانا فى جسده.. ولكن هذا قد تألّق بمجد المحبة والفداء، كقول معلمنا بولس الرسول: "ولكن الذى وضع قليلاً عن الملائكة يسوع، نراه مكللاً بالمجد والكرامة من أجل ألم الموت لكى يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد. لأنه لاق بذاك الذى من أجله الكل، وبه الكل، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد، **أن يكمل رئيس خلاصهم بالآلام**" (عب٢: ٩، ١٠).

كان رئيساً للحياة، وصار رئيساً للخلاص.. رئيساً فى الآلام.. هو الرأس المكلل بالأشواك لأجل الكنيسة التى هى جسده، والتى تحمل أيضاً سمات الرب يسوع.

فى صلاة الساعة السادسة تتغنى الكنيسة بمحبة السيد المسيح وتقول {صنعت خلاصاً **فى وسط الأرض كلها** أيها المسيح إلهنا، عندما بسطت يديك الطاهرتين على عود الصليب، فلهذا كل الأمم تصرخ قائلة المجد لك يا رب}

هكذا كان السيد المسيح معلقاً فى الوسط بين اللصين، وقد بسط يديه نحو الكل يدعوهم للخلاص. وسوف يبقى منظر الجلجثة الخالد، يهتف نحو الأجيال جميعاً يدعوهم إلى الخلاص بالإيمان به والميلاد الجديد بالمعمودية، يدعوهم إلى شركة آلامه والتمتع بمجده.. يدعوهم إلى العبور بدمه.. يدعوهم نحو السماء؛ وهو معلق بين الأرض والسماء؛ لأنه هو الطريق المؤدى إلى الحياة الأبدية.. فهو الوسيط.. وهو الباكورة.. وهو خادم الأقداس السمائية.. وهو السابق الذى ذهب ليعد لنا الطريق.

العذراء الأم عند الصليب

"وكانت واقفات عند صليب يسوع أمه، وأخت أمه مريم زوجة كلوبا، ومريم المجدلية" (يو١٩: ٢٥).. جاءت بكل الإيمان ابنة إبراهيم، لتقف إلى جوار صليب ابنها الوحيد.. نظرت العذراء وحيدها معلقاً فوق الإقرانيون، وتذكّرت كلمات الملاك حينما بشرها بميلاده: "ها أنت ستحبلين، وتلدين ابناً وتسمينه يسوع. هذا يكون عظيماً، وابن العلى يُدعى، ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه، **ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية**" (**لو١: ٣١-٣٣**).

كان الوعد صريحاً أن ابنها سوف يملك إلى الأبد، ولن يكون لملكه نهاية..

ولم تكن فى إيمانها أقل من أبيها إبراهيم.. بل قد شهدت لها أليصابات بالروح القدس "طوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب" (لو١: ٤٥).

آمنت بالميلاد العذراوى من الروح القدس وهو أمر عجيب لم يحدث من قبل وتم ما قيل لها.. وآمنت أن ابنها سوف يخلّص شعبه من خطاياهم، وأنه سوف يقوم فى اليوم الثالث كما وعد تلاميذه، وبهذا يملك إلى الأبد..

بهذا الإيمان وقفت العذراء مريم وهى تنظر السيد المسيح منهكاً، ينازع الموت على الصليب، وهو القوى الذى قهر الموت بقوة قيامته.

إبراهيم وذبيحة الابن الوحيد

لقد جاز إبراهيم امتحاناً صعباً حينما قال له الله: "يا إبراهيم.. خذ ابنك **وحيدك، الذى تحبه** إسحق، واذهب إلى أرض المريا، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك" (تك٢٢: ١، ٢).

وقد شرح معلّمنا بولس الرسول كيف استطاع إبراهيم أن يعبر هذا الامتحان الصعب وذلك بالإيمان فقال: "**بالإيمان** قدّم إبراهيم إسحق –وهو مجرّب– قدّم الذى قَبِلَ المواعيد وحيده الذى قيل له إنه بإسحق يدعى لك نسل. إذ حَسِبَ أن الله قادر على الإقامة من الأموات أيضاً" (عب١١: ١٧–١٩).

كان إبراهيم واثقاً فى صدق وعد الله، بأن النسل المقدس سوف يأتى من إسحق، الذى يتوقف عليه خلاص البشرية بمجيء السيد المسيح من هذا النسل. ولهذا فلم يشك فى صدق وعد الله، وكان متأكداً أن إسحق سوف يعود إلى الحياة من بعد تقديمه ذبيحة.. أى أنه سوف يقوم من الأموات. وبهذا الإيمان أمكنه أن يعبر الامتحان، وأن يتجاوز مشاعره البشرية كأب.. لأنه كان ينظر إلى الأمور المختصة بالأبدية، وليس إلى الأمور الزمنية.

وقد بارك الله إبراهيم وقَبِلَ ذبيحة محبته "وقال بذاتى أقسمت يقول الرب، إنى من أجل أنك فعلت هذا الأمر، ولم تمسك ابنك وحيدك، أباركك مباركة وأُكثر نسلك تكثيراً.. ويرث نسلك باب أعدائه، ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض من أجل أنك سمعت لقولى" (تك٢٢: ١٦–١٨).

إيمان مريم العذراء

هكذا استحقت العذراء مريم التطويب، لأنها آمنت مثلما آمن إبراهيم، أن الله قادر على الإقامة من الأموات.. ولهذا ففى سرد الكتاب المقدس لأحداث القيامة، نرى الكل فى البداية مضطربين ومذبذبين فى تصديقهم لقيامة السيد المسيح، حتى أنه "ظهر للأحد عشر وهم متّكِئون، ووبخ عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم، لأنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام" (مر١٦: ١٤).

أما السيدة العذراء فلم يذكر عنها شئ من مثل ذلك، بل كانت واثقة من القيامة حتى وهى واقفة عند الصليب.. ولم تتأرجح بين الشك والتصديق مثل مريم المجدلية التى قالت "أخذوا سيدى ولست أعلم أين وضعوه" (يو٢٠: ١٣)، والتى وبخها السيد المسيح حينما ظهر لها بعد ذلك، وأمرها أن تذهب وتخبر التلاميذ أنه سوف يصعد إلى السماء بعد أن يظهر لهم فى الجليل.

نحن لا ننكر أن جميع التلاميذ قد آمنوا بيقين القيامة بعد أن ظهر لهم السيد المسيح. حتى توما الذى شك فى البداية، عاد فآمن حينما وضع يده فى مكان المسامير والحربة فى جسد الرب القائم من الأموات.

ولكن السيد المسيح طوّب الذين "آمنوا ولم يروا" (يو٢٠: ٢٩). وبهذا طوّب العذراء مريم التى آمنت بالقيامة قبل أن تراها.. ولكنها مع هذا قد فرحت مع ولأجل الكنيسة كلها، حينما أبصرت وحيدها العريس السمائى وهو قائم منتصر مكلل بالمجد.. كما أبصرته وهو صاعد إلى السماء ليجلس عن يمين الله.

طوباك أنتِ يا من ارتفعتِ فوق جميع القديسين، فى إيمانك المتشح بالتواضع وإنكار الذات.. اشفعى فينا أمام ابنك الوحيد ليصنع معنا رحمة كعظيم رحمته.

"هذا هو ملك اليهود" (لو٢٣: ٣٨)

"وكان عنوان مكتوب فوقه بأحرف يونانية ورومانية وعبرانية **هذا هو ملك اليهود**" (لو٢٣: ٣٨).

كانت هذه رسالة موجهة إلى العالم كله؛ إلى الفلاسفة اليونان، ورجال السلطة الرومانيين، ورجال الدين العبرانيين.. إلى الأمم بأنواعهم، وإلى اليهود. إن هذا هو المسيح الرب والملك.

وتذكّرت القديسة مريم قول الملاك لها فى البشارة: "**ويعطيه الرب الإله كرسى داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية**" **(لو١: ٣٢، ٣٣).**

تذكّرت أيضاً ما رآه دانيال النبى فى رؤياه وسجّله فى السفر قائلاً: "كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه. **فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً**، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. **سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول، وملكوته ما لا ينقرض**" (دا ٧: ١٣، ١٤).

ألم تبصر السيدة العذراء المجوس الذين جاءوا من المشرق قائلين: "أين هو المولود **ملك اليهود** فإننا رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له؟" (مت٢: ٢).

هذا الذى قال عنه الملاك المبشر للرعاة: "ها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب، أنه ولد لكم اليوم فى **مدينة داود** مخلص هو المسيح الرب" (لو٢: ١٠، ١١).

ومدينة داود هى بيت لحم اليهودية التى قال عنها ميخا النبى: "أما أنت يا بيت لحم أفراتة، وأنت صغيرة أن تكونى بين ألوف يهوذا، فمنك يخرج لى الذى يكون متسلطاً على إسرائيل، ومخارجه منذ القديم منذ أيام الأزل" (مى٥: ٢).

كيف ملك السيد المسيح ؟

عندما اقترب السيد المسيح من الصليب فى الأسبوع الأخير، حدثت مناقشة بينه وبين الجمع الذى كان واقفًا من اليهود إذ قال السيد المسيح: "الآن دينونة هذا العالم. الآن يُطرح رئيس هذا العالم خارجًا. **وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىّ الجميع. قال هذا مشيرًا إلى أيَّة ميتة كان مزمعًا أن يموت. فأجابه الجمع: نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد.** فكيف تقول أنت إنه ينبغى أن يرتفع ابن الإنسان. من هو هذا ابن الإنسان؟" (يو١٢: ٣١-٣٤).

كان فهم اليهود لأسفار الكتاب المقدس مرتبطاً بآمال وتطلعات أرضية، لذلك كانوا ينتظرون مجيء المسيح الملك الذى سوف يملك على جميع شعوب العالم وتبقى مملكته على الأرض إلى الأبد.

كانوا يعتقدون –بحسب فهمهم الخاص– أن الله قد ميّزهم على كل شعوب الأرض وأن مملكة داود سوف تمتد لتشمل الأرض كلها وتخضع لهم كل شعوب العالم تحت رئاسة المسيح المنتظر من نسل داود.

لذلك تعجبوا من قول السيد المسيح: " أنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىّ الجميع" (يو١٢: ٣٢). فسواء كان المقصود بكلامه -فى نظرهم- الارتفاع على الصليب كما قصد هو نفسه أو مغادرة هذا العالم بمفارقة روحه لجسده، أو حتى بصعوده حياً إلى السماء.. فإن كل هذه الأمور قد تتعارض مع اعتقادهم بالملك الأرضى الذى كانوا يتطلعون إليه بشوق كبير جعلهم لا يفهمون طبيعة إرسالية السيد المسيح إلى العالم.

ربما اتجهت أنظارهم إلى ما ورد عن المسيح فى نبوءة دانيال النبى "كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحب السماء **مثل ابن إنسان** أتى وجاء إلى القديم الأيام فقربوه قدامه. **فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض**" **(دا ٧: ١٣، ١٤).**

وكشعب كان يعانى فى ذلك الوقت من الاستعمار الرومانى الذى فرض عليهم الجزية وأساء معاملتهم، كانت أشواقهم ملتهبة نحو مجيء المسيح الذى يحررهم من الاستعمار ويقيم مملكة داود، ويجعل كل شعوب العالم تتعبد له وتدفع له الجزية "كل الشعوب والأمم والألسنة". ويظل هذا الوضع قائمًا على الأرض إلى الأبد بلا زوال ولا انقراض. وبذلك يحيون فى سعادة جسدية لا تعانى من استعمار ولا من حروب ولا من جوع ولا من عوز يتفوقون فيها على كل شعوب العالم ويستعبدونهم.

كان السيد المسيح قد ذكر فى نقاشه مع تلميذيه أندراوس وفيلبس عبارة: "**ابن الإنسان**" إذ قال لهما رداً على طلب اليهود اليونانيين الذين صعدوا ليسجدوا فى العيد أن يروه "قد أتت الساعة ليتمجد **ابن الإنسان**" (يو١٢: ٢٣). وبعدها قال لأبيه السماوى: "**أيها الآب مجّد اسمك**. فجاء صوت من السماء: مجدت وأمجّد أيضاً. فالجمع الذى كان واقفاً وسمع قال قد حدث رعد. وآخرون قالوا قد كلّمه ملاك. أجاب يسوع وقال: ليس من أجلى صار هذا الصوت بل من أجلكم" (يو١٢: ٢٨-٣٠).

ارتبك الجمع لسبب ما سمعوه من كلام السيد المسيح، وما حدث فى حديثه مع الآب السماوى. واختلط عليهم الأمر ما إذا كان هذا هو المسيح. لذلك بدأوا يقارنون بين كلام السيد المسيح وبين مفاهيمهم الشخصية فى تفسير الأسفار المقدسة وقالوا: "نحن سمعنا من الناموس أن المسيح يبقى إلى الأبد. فكيف تقول أنت إنه ينبغى أن يرتفع ابن الإنسان. من هو هذا ابن الإنسان؟" (يو١٢: ٣٤).

والمقصود هنا فى كلامهم هل أنت هو ابن الإنسان المذكور فى نبوة دانيال "مثل **ابن إنسان** أتى وجاء إلى القديم الأيام فقرّبوه قدامه. فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب.. سلطانه سلطان أبدى.." (دا ٧: ١٣، ١٤). وإن كنت أنت هو فلماذا لن تبقى على الأرض وتملك إلى الأبد؟ خاصة وأنت تقول: "قد أتت الساعة ليتمجد ابن **الإنسان**" (يو١٢: ٢٣). ودانيال يقول عن ابن الإنسان أنه قد أعطى سلطاناً **ومجداً**.. وسلطانه.. ما لن يزول وملكوته ما لن ينقرض..

لم يفهم اليهود أن ملكوت المسيح الأبدى هو ملكوت السماوات، وأن مجد المسيح هو مجد الروحيات وليس الأرضيات، وأن حرية المسيح هى الحرية من الخطية؛ الحرية التى سوف يحرر بها شعبه من عبودية إبليس ومن الهلاك الأبدى. ولكن للأسف قد أعمى الشيطان عيون اليهود لكى لا يؤمنوا به.

وقد علّق القديس يوحنا الإنجيلى على هذه الواقعة والمناقشة بقوله: "ومع أنه كان قد صنع أمامهم آيات هذا عددها لم يؤمنوا به. ليتم قول إشعياء النبى الذى قاله: يا رب من صدق خبرنا، ولمن استعلنت ذراع الرب. لهذا لم يقدروا أن يؤمنوا لأن إشعياء قال أيضاً: قد أعمى عيونهم وأغلظ قلوبهم لئلا يبصروا بعيونهم ويشعروا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم. **قال إشعياء هذا حين رأى مجده وتكلّم عنه**.." (يو١٢: ٣٧- ٤١).

أين مَلَكَ السيد المسيح؟

قال السيد المسيح: "أنا إن ارتفعت عن الأرض، أجذب إلى الجميع. قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت" (**يو١٢: ٣٢، ٣٣**).

وقال أيضاً لليهود: "**متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذ تفهمون أنى أنا هو**" (**يو٨: ٢٨**).

فى كل ذلك كان يؤكد أنه سوف **يملك على خشبة الصليب**، لأنه بالصليب سوف يجتذب إليه الجميع، ويصير ملكاً على قلوبهم. وبالصليب سوف يفهم البشر أن يسوع المسيح –ابن الإنسان– هو هو نفسه ابن الله الوحيد، الذى غلب الموت وانتصر عليه، بقيامته منتصراً من الأموات.

هذا ما قاله معلمنا بطرس الرسول مع باقى الآباء الرسل لليهود فى يوم الخمسين عن صلب السيد المسيح: "هذا أخذتموه مسلَّماً بمشورة الله المحتومة وعلمه السابق، وبأيدى أثمة صلبتموه وقتلتموه. الذى أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه" (أع٢: ٢٣، ٢٤).

ثم تكلّم عن داود وملكه فقال: "فإذ كان نبياً وعلِم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد **ليجلس على كرسيه، سبق فرأى وتكلّم** عن قيامة المسيح أنه لم تترك نفسه فى الهاوية، ولا رأى جسده فسادًا. فيسوع هذا أقامه الله ونحن جميعاً شهود لذلك" (أع٢: ٣٠–٣٢).

واستخلص معلمنا بطرس الرسول النتيجة بقوله: "فليعلم يقيناً جميع بيت إسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً" (أع٢: ٣٦).

" لا يكون لملكه نهاية " (لو١: ٣٣)

مهما بلغ ملوك العالم إلى قمة المجد والعظمة والسلطان، فإن مُلكهم قد زال بموتهم.. انهزموا جميعاً أمام الموت.. ولم ينتصر أحد منهم عليه.

فكم من ممالك زالت وانقضت؟.. وكم من حضارات تبدلت وطغت عليها حضارات أخرى.
أراد ملوك المصريين القدماء أن يخلدوا مُلكهم، فاخترعوا فن التحنيط وفنون المقابر والرسوم والألوان، والتماثيل والأهرامات وغيرها.. ولكن هذه كلها لم تحفظ لهم المُلك.. بل جسدت مأساة الإنسان فى قمة حضارته وقدرته، وفى قمة هزيمته أمام الموت. كان الأمل الوحيد للإنسان هو القيامة من الأموات..
وجاء السيد المسيح ليصير باكورة للراقدين.. وليمنح الحياة الأفضل للذين قبلوه حتى للذين لم يعرفوا فن التحنيط.
هذا هو الملك الحقيقى الذى قال عن نفسه: "**أنا هو القيامة والحياة. من آمن بى ولو مات فسيحيا** " (يو١١: ٢٥).

سلطاناً ومجداً وملكوتاً

تحقق قول دانيال النبى: "**فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً** لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض" (دا ٧: ١٤).

ما هو هذا السلطان ؟

إنه سلطان الحياة الأبدية الذى قال عنه السيد المسيح فى مناجاته للآب قبل الصليب مباشرة: "أيها الآب قد أتت الساعة مجّد ابنك، ليمجدك ابنك أيضاً. إذ أعطيته **سلطاناً** على كل جسد، **ليعطى حياة أبدية لكل من أعطيته**" (يو١٧: ١، ٢). **وصار له السلطان أن يمنح الحياة الأبدية للذين قبلوه وآمنوا به.**

وما هو هذا المجد ؟

إنه مجد القيامة الذى قال عنه السيد المسيح لتلاميذه: "كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى **مجده**" (لو٢٤: ٢٦).
وما هو هذا الملكوت ؟

إنه مُلك الله على قلوبنا هذا الذى اشترانا كقول الكتاب "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم، الذى لكم من الله، **وأنكم لستم لأنفسكم. لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله**" **(١كو٦: ١٩، ٢٠).**
لقد صرنا هيكلاً للروح القدس.. وصار ملكوت الله داخلنا، كما وعدنا السيد المسيح.. وصرنا أولادًا لله "فإن كنا أولادًا، فإننا ورثة أيضاً. ورثة الله ووارثون مع المسيح" (رو٨: ١٧).
إن من يملك الله على قلبه وعلى حياته، يصير مؤهلاً لميراث ملكوت السماوات فى المجد الأبدى.
"اقتسموا ثيابى بينهم" (يو١٩: ٢٤)

"ثم إن العسكر لما كانوا قد صلبوا يسوع، أخذوا ثيابه **وجعلوها أربعة أقسام،** لكل عسكرى قسماً. وأخذوا القميص أيضاً. **وكان القميص بغير خياطة، منسوجاً كله فى فوق.** فقال بعضهم لبعض: لا نشقه، بل نقترع عليه لمن يكون ليتم الكتاب القائل **اقتسموا ثيابى بينهم،** وعلى لباسى ألقوا قرعة" (يو١٩: ٢٣، ٢٤، انظر أيضاً مز٢٢: ١٨).

هذه الأقسام الأربعة لثياب السيد المسيح ترمز إلى الأناجيل الأربعة التى بشرت بموته وقيامته.

أما القميص (الرداء الداخلى) **الذى لم يشقه العسكر، لأنه منسوج كله من فوق إلى أسفل، فهو يرمز إلى أن بشارة الخلاص هى واحدة لا تتجزأ ولا تنفصل.**

ومن المعروف أن الأناجيل الأربعة ترمز إليها الأربعة الأحياء غير المتجسدين: الذى له وجه الإنسان، والذى له وجه العجل (أو الثور)، والذى له وجه الأسد، والذى له وجه النسر.

فإنجيل **متى** يرمز له بوجه **الإنسان،** لأنه يقدّم المسيح **ابن الإنسان** "كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن إبراهيم" (مت١: ١).

وإنجيل **لوقا** يرمز له بوجه **الثور،** لأنه يقدّم المسيح **خادم الخلاص الذبيح** "طفلاً مقمطاً مضجعاً فى مذود" (لو٢: ١٢).

وإنجيل **مرقس** يرمز له بوجه **الأسد،** لأنه يقدّم المسيح **القوى صانع المعجزات** "إنجيل يسوع المسيح ابن الله" (مر١: ١).

وإنجيل **يوحنا** يرمز له بوجه **النسر،** لأنه يقدّم المسيح باعتباره **الله الكلمة المتجسد.** فهو يشير إلى ألوهية السيد المسيح "الكلمة صار جسداً وحل بيننا، ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب" (يو١: ١٤).

هذه الأحياء الأربعة غير المتجسدة الحاملة للعرش الإلهى، ترمز إلى مراحل الخلاص الأربعة (الميلاد، الصلب، القيامة، الصعود) فى حياة السيد المسيح:

فالميلاد أو التجسد يرمز إليه وجه الإنسان.

والصلب يرمز إليه وجه الثور (الذبيحة).

والقيامة يرمز إليها وجه الأسد (الغالب).

والصعود يرمز إليه وجه النسر (الطائر المُحلق فى السماء).

وبالرغم من أننا نفهم هذه المراحل من حيث التفاصيل، ولكننا لا ننظر إليها من ناحية الفصل. أى لا نفصلها عن بعضها البعض. هى مراحل متلاحقة متلازمة، ضرورية لخلاص البشرية فى خدمة السيد المسيح.

فالسيد المسيح فى ميلاده ولد فى المذود فى وسط الحيوانات، التى تقدم منها الذبائح، لكى نفهم أنه قد جاء إلى العالم ليصير ذبيحة. ففى ميلاده أشار إلى صلبه.

وفى قيامته أطلقت عليه الملائكة لقب "**يسوع المصلوب**" (مت٢٨: ٥). فلولا الصليب لما كانت القيامة. وقد احتفظ السيد المسيح بجراحات الصليب فى جسد قيامته. ففى قيامته أشار إلى صلبه.

وعندما ظهر لمريم المجدلية بعد القيامة، حدثها عن الصعود، وطالبها أن تخبر تلاميذه بذلك "اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم" (يو٢٠: ١٧). ففى قيامته أشار إلى صعوده.

والعجيب أن حزقيال النبى فى رؤياه، قد رأى لكل واحد من الأحياء الأربعة أوجه أربعة (انظر حز١: ٦) هى أوجه الأحياء الأربعة التى وصفها يوحنا الإنجيلى فى رؤياه. وهذا يعنى أن بشارة الأناجيل الأربعة لا تتجزأ وأنها كلها تتكلم عن مراحل الخلاص الأربعة، وإن كان يُرمز إليها بسمة خاصة تميزها دون أن تفصلها.

إلى هذه المعانى العميقة كان يرمز تقسيم ثياب السيد المسيح وعدم شق قميصه. فالثياب قد تم توزيعها إلى أربعة أنصبة، أما القميص فلم يستطع أحد أن يشقه لأنه منسوج كله من فوق إلى أسفل.

" منسوجاً كله من فوق " (يو١٩: ٢٣)

كان القميص (الرداء الداخلى) "**منسوجاً كله من فوق**" (يو١٩: ٢٣).

حقاً كانت حياة السيد المسيح كلها منسوجة من فوق إلى أسفل.

فهو الكلمة المتجسد وليس الإنسان المتأله. أى أن الإله الكلمة قد صار إنساناً بالتجسد، ولكن لا يوجد إنسان قد تألّه. لأن يسوع المسيح هو نفسه كلمة الله الأزلى، الذى أخذ جسداً حياً بروح عاقلة من العذراء مريم، وولد منها متجسداً بغير تغيير. فابن الله هو هو نفسه ابن الإنسان.

كانت حياة السيد المسيح كلها بتدبير إلهى، وعمله كله بتدبير إلهى "منسوجاً كله من فوق" (يو١٩: ٢٣). لهذا قال: "طعامى أن أعمل مشيئة الذى أرسلنى، وأتمم عمله" (يو٤: ٣٤) وقال للآب: "أنا مجدتك على الأرض، العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته.." (يو١٧: ٤).

وعن صلبه قال: "إن ابن الإنسان ماضٍ كما هو مكتوب عنه" (مت٢٦: ٢٤). وقيل أيضاً: "مسلَّماً بمشورة الله المحتومة وعِلمه السابق" (أع٢: ٢٣).

حقاً كانت حياة السيد المسيح كلها سيمفونية رائعة، تشهد لعمل الله وتدبيره وحكمته، مثل ذلك القميص "المنسوج كله من فوق".

قال السيد المسيح لليهود: "أنتم من أسفل، أما أنا فمن فوق" (يو٨: ٢٣).

وقال يوحنا المعمدان عن السيد المسيح: "الذى يأتى من فوق، هو فوق الجميع. والذى من الأرض هو أرضى ومن الأرض يتكلم. الذى يأتى من السماء هو فوق الجميع" (يو٣: ٣١).

لقد سعى الله نحو خلاص الإنسان، وكان عمله كله منسوجاً من فوق (إلى أسفل)، وقدّم محبة لخير الإنسان. وكانت محبته منسوجة من فوق (إلى أسفل)، وأعلن عن ذاته للإنسان، وكان إعلانه منسوجاً كله من فوق (إلى أسفل).

ما أجمل قول يوحنا فى إنجيله "والكلمة صار جسداً وحل بيننا، ورأينا مجده مجداً، كما لوحيدٍ من الآب، مملوءًا نعمةً وحقاً" (يو ١: ١٤). أى أن الابن المتجسد قد أعلن مجد الآب السماوى.

كل ذلك صنعه السيد المسيح لأجلنا، لكى يرفعنا إليه من أسفل إلى فوق، لنتمتع بمجده كما خاطب الآب قائلاً: "أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا، لينظروا مجدى" (يو١٧: ٢٤).

"ثم جلسوا يحرسونه هناك" (مت٢٧: ٣٦)

بعد أن صلب الجند السيد المسيح، جلسوا يحرسونه فى موضع الجلجثة بحسب الأوامر الصادرة إليهم.

كان القصد من الحراسة الموضوعة، هو متابعة تنفيذ الحكم بالموت صلباً إلى نهايته. فالمصلوب يستغرق موته على الصليب وقتاً ليس بقليل ويحتاج إلى حراسة لكى لا يأتى أحد وينزله من على الصليب وينقذه من الموت.

فى الوضع العادى قد يبقى المصلوب عدة أيام، وهو يتألم ويعانى من التعليق على الصليب، ومن العطش والجوع وضيق التنفس، حتى تنتهى مقاومته تماماً ويموت فى النهاية.

ولكى يتم التعجيل بالموت تكسر سيقان المصلوبين، لكى لا يتمكنوا من التنفس ويموتوا بالاختناق. فالمصلوب يعتمد فى تنفسه على ارتكازه على قدميه على مسمار القدمين، إذ يرفع جسده إلى فوق لكى يخف الشد على الساقين، ويرتخى القفص الصدرى ويتمكن من الشهيق. أما إذا كسرت ساقاه، فلا يمكنه أن يتنفس، لأن عضلات القفص الصدرى تكون مشدودة بقوة فى اتجاه الساعدين.

أما السيد المسيح فلم يستغرق موته على الصليب أكثر من ثلاث ساعات. حيث إنه كان قد تعرض منذ الصباح للجلد الرومانى العنيف، الذى أحدث نزيفاً داخلياً شديداً. هذا بالإضافة إلى جراحات المسامير فى اليدين والقدمين، وجراحات إكليل الشوك وسائر جراحات الضرب والجلد الخارجية، التى كانت تنزف جميعها دماً مستمراً، أدى إلى هبوط حاد فى عضلة القلب، نتيجة النزيف الداخلى والخارجى، الذى تحقق به قول الرب: "دمى الذى يُسفك عنكم" (لو٢٢: ٢٠).

وعلى العموم فقد كان قرار اليهود هو أن تكسر سيقان المصلوبين فى ذلك اليوم قبل غروب الشمس، وذلك لكى لا تبقى الأجساد على الصليب فى السبت، لأن يوم ذلك السبت كان عظيماً (انظر يو١٩: ٣١). "سأل اليهود بيلاطس أن تكسر سيقانهم ويرفعوا. فأتى العسكر وكسروا ساقى الأول والآخر المصلوب معه. وأما يسوع فلما جاءوا إليه لم يكسروا ساقيه، لأنهم رأوه قد مات" (يو١٩: ٣١-٣٣).

ولكن حراسة الجند للسيد المسيح المصلوب لم تكن مصادفة، لأن المشهد بذلك يقود أفكارنا للتأمل إلى الفردوس الأول، ونتذكر قول الكتاب "فطرد الإنسان وأقام شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب **لحراسة طريق شجرة الحياة**" (تك٣: ٢٤).

جلس العسكر يحرسون السيد المسيح المعلّق على خشبة الصليب. ولم يفهموا بذلك أنهم يذكروننا بالصورة النبوية المعلنة فى سفر التكوين عن حراسة طريق شجرة الحياة، **أليس الصليب هو شجرة الحياة التى لا يموت آكلوها؟**

هؤلاء العسكر يذكروننا دون أن يدروا بحراس الأسرار المقدسة؛ ولكن هل يحتاج السيد المسيح إلى من يحرسه لكى يتمم الفداء؟ لقد جاء السيد المسيح إلى العالم واضعاً الصليب نصب عينيه.. وكان الصليب هو الهدف من مجيئه فادياً ومخلصاً. فلم يكن ممكناً إطلاقاً أن يهرب من الصليب حتى يحتاج إلى حراسة. بل إن الحراس قد صاروا شهوداً للصلب وشهوداً للخلاص الذى تم حتى نهايته.

شهدوا أمام التاريخ –دون أن يقصدوا– بأن يسوع الناصرى قد مات حقاً على الصليب.. تماماً مثلما شهد حراس القبر –دون أن يقصدوا– بأن يسوع المصلوب قد قام حقاً من الأموات.. لأن وجود الحراس كان دليلاً قوياً على صدق واقعة القيامة.

"يا ناقض الهيكل وبانيه" (مت٢٧: ٤٠)

بعد أن قام السيد المسيح بتطهير الهيكل قال له اليهود: "أية آية ترينا حتى تفعل هذا؟" (يو٢: ١٨) . **فقال لهم السيد المسيح: "انقضوا هذا الهيكل، وفى ثلاثة أيام أقيمه" (يو٢: ١٩). وهم فهموا أنه كان يكلمهم عن هيكل الرب فى أورشليم الذى بناه أولاً سليمان، فأجابوه "فى ست وأربعين** سنة بنى هذا الهيكل، أفأنت فى ثلاثة أيام تقيمه؟! وأما هو فكان يقول عن هيكل جسده" (يو٢: ٢٠، ٢١).. عند الصليب تذكر اليهود هذه العبارة التى قالها السيد المسيح؛ "وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين: **يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام، خلّص نفسك**" (مت٢٧: ٣٩، ٤٠).

وكانوا يقصدون بذلك أنه لو كان فعلاً يقدر أن يهدم الهيكل ويبنيه بقدرة معجزية باعتباره ابن الله، فإنه من باب أولى يستطيع أن يخلّص نفسه وينزل عن الصليب بمعجزة لا تقاوم. ولهذا استطردوا قائلين: "إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب" (مت٢٧: ٤٠).

ولكن السيد المسيح لم يقل لهم أنه هو الذى سوف يهدم الهيكل بنفسه، بل قال: "انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام أقيمه" (يو٢: ١٩). أى أنهم لو هدموا هيكل جسده بالموت على الصليب فإنه سوف يقيمه بعد ثلاثة أيام. وبالطبع لن يتحقق قوله هذا لو نزل عن الصليب.. لأن معجزة القيامة لا يمكن أن تتم إلا من خلال موته بحسب الجسد على الصليب.

كانت القيامة هى أعظم معجزة صنعها السيد المسيح، كقول معلمنا بولس الرسول "وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات" (رو١: ٤). وحينما طلب اليهود من السيد المسيح معجزة يؤمنون بسببها فسألوه أن يريهم آية من السماء. أجاب وقال لهم: "جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تُعطى له آية إلا آية يونان النبى" (مت١٦: ٤). وكان السيد المسيح يقصد بهذا خروج يونان حياً من بطن الحوت بعد ثلاثة أيام، فكان رمزاً لدفن السيد المسيح وقيامته.

وقال أيضاً: "متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أنى أنا هو" (يو٨: ٢٨). أى أن فهمهم لحقيقة لاهوته، سوف يتحقق بموته على الصليب وقيامته بقوة من الأموات..

فلا مجال إطلاقاً للقول: "إن كنت ابن الله، فانزل عن الصليب" لأن العكس كان هو المطلوب لإثبات ألوهيته مع إتمام الفداء فى آنٍ واحد.

الهيكل

كان اليهود يعتزون جداً بهيكل أورشليم. ولذلك بالرغم من أن ذلك الهيكل كان رمزاً لجسد السيد المسيح الذى أخذه كاملاً من العذراء مريم بفعل الروح القدس، بما فى ذلك الروح الإنسانى العاقل، حينما تجسد ببشرية كاملة، جاعلاً ناسوته واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا تغيير، فقد كان كل ما فى الهيكل أيضاً يرمز إلى تجسد ابن الله الكلمة، وإلى ذبيحة الصليب الخلاصية.

فتابوت العهد كان يرمز إلى جسد السيد المسيح، وما فى داخله يشير إليه. مثل لوحى الشريعة يرمزان إلى أن الله قد كلّمنا فى ابنه. وقسط المن الذى يرمز إلى السيد المسيح باعتباره الخبز السماوى. وعصا هرون التى أفرخت بدون زرع ولا سقى، وترمز إلى ولادة المسيح من العذراء مريم بغير زرع بشر.

وهكذا مذبح البخور يرمز إلى كهنوت السيد المسيح، والمنارة ذات السبعة سرج ترمز إلى الأسرار الكنسية السبع التى تتم باستحقاقات دم المسيح، الذى قال بفم النبى: "أما أنا فمثل زيتونة خضراء فى بيت الله" (مز٥٢: ٨). ومائدة خبز الوجوه ترمز إلى جسد المسيح فى سر الإفخارستيا..

ومذبح النحاس يرمز إلى ذبيحة الصليب، حيث تقدم الذبائح والمحرقات. والمرحضة ترمز إلى التطهير بالمعمودية.

والخيمة أو المسكن كان يرمز إلى حلول الله فى وسط شعبه، وبهذا يرمز إلى التجسد الإلهى.

ورئيس الكهنة الذى يدخل إلى قدس الأقداس مرة واحدة فى السنة، يرمز إلى السيد المسيح الذى دخل إلى الأقداس السماوية مرة واحدة بدم نفسه ووجد فداءً أبدياً.

فلماذا تتجه أنظار اليهود وأفكارهم إلى الهيكل، بعد أن جاءهم الهيكل الحقيقى الذى كانت كل هذه الأمور جميعها ترمز إليه؟

قال الرب: "سأرجع بعد هذا وأبنى أيضاً خيمة داود الساقطة وأبنى أيضاً ردمها" (أع١٥: ١٦). ما هى خيمة داود إلا جسم بشريتنا الذى سقط بالخطية فى قبضة الموت، وجاء السيد المسيح لكى يعيد خلقه مرة أخرى. كقول الكتاب "إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة" (٢كو٥: ١٧).

وقد أعاد السيد المسيح الصورة الإلهية إلى الإنسان، حينما أخذ جسداً بشرياً كاملاً خالياً من الخطية، جاعلاً إياه واحداً مع لاهوته. وبهذا الجسد افتدى الإنسان من لعنة الخطية والموت، مصالحاً إياه مع الآب، مانحاً إياه أن يصير هيكلاً للروح القدس مع سائر المؤمنين.

فكما أن الهيكل الحقيقى هو جسد السيد المسيح، هكذا منح المؤمنين أن يصيروا على صورته ومثاله هيكلاً للرب.

أما أورشليم السمائية فقد قيل عنها فى سفر الرؤيا "وتكلم معى قائلاً هلم فأريك العروس امرأة الخروف. وذهب بى بالروح إلى جبل عظيم عال، وأرانى المدينة العظيمة أورشليم المقدسة، نازلة من السماء من عند الله. لها مجد الله.. ولم أرَ فيها هيكلاً لأن الرب الله القادر على كل شئ هو والخروف هيكلها" (رؤ٢١: ٩-١١، ٢٢).

"فليخلّص نفسه" (لو٢٣: ٣٥)

ابتدأ رؤساء كهنة اليهود مع الكتبة والشيوخ يسخرون ويستهزئون بالسيد المسيح قائلين: "خلّص آخرين فليخلّص نفسه إن كان هو المسيح مختار الله" (لو٢٣: ٣٥). "وكان المجتازون يجدّفون عليه وهم يهزّون رؤوسهم قائلين: يا ناقض الهيكل وبانيه فى ثلاثة أيام خلّص نفسك. إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب" (مت٢٧: ٣٩، ٤٠). كان المطلوب فى نظرهم أن يخلّص نفسه من الصليب ومن الموت لكى يثبت لهم أنه هو المسيح..!!

مع أن عمل السيد المسيح الرئيسى كان هو أن يُصلب وأن يموت عوضاً عن الخطاة ليخلّصهم.

كانت عبارة "خلّص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلّصها" (مت٢٧: ٤٢) والتى رددها المستهزئون به، هى عبارة استهزاء، وعبارة صادقة فى وصف الصلب فى آنٍ واحد.

نطق بهذه العبارة رؤساء كهنة اليهود بروح السخرية، ولكنهم قدّموا لنا وصفاً دقيقاً لحالة السيد المسيح وقت الصلب. بالفعل خلّص آخرين وأما نفسه فلم يقدر أن يخلّصها، أو لم يرد أن يخلّصها من الصلب، لأنه وهب نفسه فداءً عن الآخرين الذين أراد أن يخلّصهم.

كان باستطاعة السيد المسيح أن يدفع عن نفسه الموت والصلب.. ولكنه لو فعل ذلك لما أمكن أن يخلّص الآخرين. نفسه لم يقدر أن يخلّصها.. أو لم يرغب أن يخلّصها لأنه اختار الصليب.. بل رسم لنفسه طريق الصليب.. وكان الصليب فى فكر الله منذ الأزل.

تكلّم معلمنا بولس الرسول عن مقاصد الخلاص ونتائجه التى هى فى فكر الله منذ الأزل، فقال: "وأنير الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح" (أف٣: ٩). وقال أيضاً: "حسب قصد الدهور الذى صنعه فى المسيح يسوع ربنا" (أف٣: ١١).

ولكن السيد المسيح، عموماً، قد رد بصورة بالغة على افتراء اليهود بأن نفسه هو "**لم يقدر أن يخلّصها**". وذلك لأنه بعد أن بذل نفسه للموت على الصليب، فإنه قد قام منتصراً من الأموات بقدرته الإلهية. وبهذا أظهر قدرته فى الانتصار على الموت، وأنه "**يقدر أن يخلّصها**" ولكن بالطريقة التى يتم بها أيضاً خلاص الآخرين.

حقاً قال معلمنا بولس الرسول إن "جهالة الله أحكم من الناس وضعف الله أقوى من الناس" (١كو١: ٢٥). والمقصود بذلك أن ما يبدو جهالة فى نظر الناس من أعمال الله هو أحكم من حكمتهم السطحية. وأن ما يبدو ضعفاً فى أعمال الله فى نظر الناس هو أقوى من القوة. ولكن المشكلة هى فى عدم فهم الناس لحقيقة الحكمة، ولحقيقة القوة.

وعلى هذا الأساس "اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء. واختار الله ضعفاء العالم ليخزى الأقوياء. واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود لكى لا يفتخر كل ذى جسد أمامه" (١كو١: ٢٧-٢٩).

وحتى معلمنا بولس الرسول نفسه الذى كان متعلّماً ومتعمقاً فى الدراسات الناموسية الدينية، فإنه لم يتكل على هذه الأمور بل ضحى بكل شئ وبدأ يكرز بقوة الروح القدس. حسبما قال هو نفسه: "لا بحكمة كلام لئلا يتعطل صليب المسيح. فإن كلمة الصليب عند الهالكين جهالة وأما عندنا نحن المخلصين فهى قوة الله. لأنه مكتوب سأبيد حكمة الحكماء، وأرفض فهم الفهماء. أين الحكيم، أين الكاتب، أين مباحث هذا الدهر؟.. ألم يجهّل الله حكمة هذا العالم؟ لأنه إذ كان العالم فى حكمة الله، لم يعرف الله بالحكمة، استحسن الله أن يخلّص المؤمنين بجهالة الكرازة" (١كو١: ١٧-٢١).

وقد شرح معلمنا بولس الرسول معنى جهالة الكرازة التى قصدها فقال إن الصليب بما يبدو فيه من ضعف ظاهرى هو منتهى القوة، وبما يبدو فيه من ضياع ظاهرى هو منتهى الحكمة، وبما يبدو فيه من أمور تدعو إلى السخرية والهزء هو منتهى المجد المتألق!!.

قال موضحاً ذلك "لأن اليهود يسألون آية، واليونانيين يطلبون حكمة. ولكننا نحن نكرز بالمسيح مصلوباً لليهود عثرة ولليونانيين جهالة. وأما للمدعوّين يهوداً ويونانيين فبالمسيح قوة الله وحكمة الله" (١كو١: ٢٢-٢٤).

القلب البسيط يرى فى الصليب منتهى الحب، والقلب القاسى أو المتكبر يرى فى الصليب منتهى الضعف.

القلب الباحث عن الخلاص يرى فى الصليب مرساة النجاة، وقوة العبور من الخطية إلى القداسة.. أما القلب المحب للخطية فيرى فى الصليب معطلاً لشهواته، وعقبة فى تحقيق رغباته فيزدرى به ويرفضه.

الصليب صار هو أنشودة الحب التى تعزفها قيثارات قلوب القديسين، وهو موضوع الشكر والحمد والتسبيح لربوات الملائكة ولجموع المفديين.

صار ربنا يسوع المسيح هو الحب الأبدى الذى عانقته البشرية فى عرس السماء والمجد، وهو الحياة المتدفقة التى بها يحيا كل مشتاق إلى الله يترنم مع الشاعر ويقول:

أنت قصيدة شعر   تنطق فى نفسى

أنت قيثارة حب   يعزفها قلبى

أنت نجوم الليل   وخيوط الفجر

أنت الخبز الحىّ   فى هيكل جسدى

كلمات السيد المسيح فوق الصليب

١) " يا أبتاه اغفر لهم.. " (لو٢٣: ٣٤)

"يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو٢٣: ٣٤) أوصانا السيد المسيح بمحبة الأعداء والصلاة لأجلهم، فكان جديراً به هو شخصياً أن يفعل ذلك فى أحرج الأوقات، وفى قمة العذاب والمعاناة.

لهذا صلّى وهو معلق على الصليب من أجل صالبيه طالباً لهم الغفران.

هذه الصلاة يمتد مفعولها وتأثيرها إلى كل خاطئ أراد أن يتوب. لأن السيد المسيح كان مجروحاً لأجل خطايانا. فبهذه الصلاة أعلن أنه يشفع أمام الآب من أجل غفران خطايا كل من يندم عل خطيته.

لو لم يقل السيد المسيح هذه العبارة لظن كل من اشترك فى صلبه أنه لا يمكن أن تغفر خطيته.

ولعلنا نقف أمام عبارات قائد المئة الذى قاد عملية الصلب: "حقاً كان هذا الإنسان ابن الله" (مر١٥: ٣٩)، و"بالحقيقة كان هذا الإنسان بارًا" (لو٢٣: ٤٧). فقائد المئة قد آمن بالمسيح، والجندى لنجينوس الذى طعن البار فى جنبه ورد عنه فى التقليد الكنسى أنه آمن بالمسيح وصار شهيداً..

٢) " اليوم تكون معى فى الفردوس " (لو٢٣: ٤٣)

لقد قيّد السيد المسيح الشيطان ولم يعد له سلطان أن يقتنص الأرواح، أرواح المفديين. ولم تعد الهاوية تفتح فاهها لكى تبتلع أرواح البشر حتى القديسين منهم. بل وقد فتح طريقاً إلى الفردوس وأعطى وعده الصادق للّص قائلاً: "**الحق أقول لك** إنك اليوم تكون معى فى الفردوس" (لو٢٣: ٤٣) نعم هو الحق كل الحق، هو حق يفوق التصديق أن هذا اللص يدخل فى وسط جماعة القديسين والأبرار، كان من المحال أن يتم هذا كله إلا إذا كان هناك دم زكى قد سُفك، لذلك عندما قال له السيد المسيح عبارة "**الحق أقول لك**" **كان يقولها وهو واثق لأنه يدفع الثمن.**

وحينما نطق السيد المسيح بهذه العبارة للص، كان يقولها أيضاً لكل البشر الذين عاشوا تحت الخطية.

يرمز اللص اليمين إلى البشر الذين بالصليب قد تحرروا من فكر إبليس وطغيانه، الذين بالصليب قد أشرقت عليهم أنوار معرفة الله، الذين بالصليب قد اعترفوا بألوهية السيد المسيح مثلما صرخ اللص معترفاً بألوهيته قائلاً: "اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك" (لو٢٣: ٤٢) ومعترفاً بصلاحه وبره الكامل أيضاً. ولهذا فقد سمع صوت الرب القائل:

اليوم تكون معى فى الفردوس، لأن فى ذلك اليوم صنع الرب خلاصاً عظيماً، فى ذلك اليوم رد الرب آدم وبنيه إلى الفردوس مرة أخرى، فى ذلك اليوم أعاد السيد المسيح إلى الإنسان كرامته وعزته ورفعته وصورته الإلهية التى فقدها بسبب الخطية، وقال له: اليوم تكون معى فى الفردوس، كما كنت معى على الصليب تكون معى فى الفردوس، كما كنت معى بعواطفك وبقلبك وبفكرك، بوجدانك وبلسانك، بشهادتك بموقفك، بدفاعك عنى أمام اللص غير التائب وقلت له: "أما نحن فبعدل لأننا ننال استحقاق ما فعلنا وأما هذا فلم يفعل شيئاً ليس فى محله" (لو٢٣: ٤١) سوف تكون معى فى الفردوس. لأنك كنت معى بأشواقك برجائك بصبرك بقبولك الألم بأنك قد شعرت بذلك الشرف العظيم أنك قد صُلبت معى كما قال معلمنا بولس الرسول: "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ" (غل٢: ٢٠)، فستكون معى فى الفردوس.. فإذا قلنا أجمعنا مع المسيح صلبنا لأننا دفنا معه فى المعمودية للموت؛ فاللص اليمين قالها بالفعل، بل وهو الوحيد فى كل البشر وفى كل تاريخ البشرية من آدم إلى آخر الدهور الذى عندما يقول: "مع المسيح صُلبت" **يكون المعنى بالنسبة له منطبق روحياً وفعلياً وزمنياً ومكانياً**.. نحن نُصلب مع المسيح فى المعمودية بعمل الروح القدس الإعجازى لكن اللص صُلب مع المسيح فعلاً وكان بجواره على الصليب.

رتّب السيد المسيح وهو على الجلجثة أن يُصلب بين لصين محكوم عليهما بالموت ليكونا رمزاً للبشرية كلها لأن "الجميع زاغوا وفسدوا معاً ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد. الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رو٣: ١٢، ٢٣)، قسم الرب البشر إلى قطاعين الذين عن يمينه وهم الخراف والذين عن يساره وهم الجداء "ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميّز بعضهم من بعض كما يميّز الراعى الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار" (مت٢٥: ٣٢، ٣٣).. فوق الجلجثة البشر كلهم ممثلين فى السيد المسيح واللصين: السيد المسيح يمثّل البشرية من جهة أنه الوحيد الذى استطاع أن يكون بلا خطية وأن يُرضى قلب الآب وبهذا فهو الفادى والمخلّص، وعلى يمينه الذين تابوا ونالوا الخلاص، وعلى يساره الذين لعنوه أو رفضوه أو لم يقبلوا أن يؤمنوا به.

٣) " هوذا ابنك.. هوذا أمك.." (يو١٩: ٢٦، ٢٧)

"فلما رأى يسوع أمه، والتلميذ الذى كان يحبه واقفاً. قال لأمه: يا امرأة **هوذا ابنك**. ثم قال للتلميذ: **هوذا أمك**. ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته" (يو١٩: ٢٦، ٢٧).

على قمة الجلجثة.. فى موضع الموت.. حيث يتم تنفيذ حكم الإعدام صلباً، وبلا رحمة.. وقفت الوالدة، بكل ما يحمل قلبها من حب ورقة وحنان ومشاعر الأمومة الصادقة، لتبصر فى لوعة شديدة كل مراحل الصلب والعذاب لوحيدها المحبوب مخلّص العالم.

هكذا كان يليق بالملكة أن تقف إلى جوار الملك وهو يملك على الخشبة، وترافقه بمشاعر محبتها الأمينة والوفية فى أدق اللحظات.

لعلنا نسرح بخيالنا أمام هذا المشهد ونتذكر كلمات سفر النشيد وهو يقول "اخرجن يا بنات صهيون، وانظرن الملك سليمان بالتاج الذى توجته به أمه فى يوم عرسه، وفى يوم فرح قلبه" (نش٣: ١١).

إن كانت الأمة اليهودية -كأم- قد توجت السيد المسيح بإكليل من شوك فى يوم عرسه، حينما اشترى الكنيسة -كعريس- بدمه على الصليب، إلا أن العذراء مريم.. كأم حقيقية.. بإدراكها لأبعاد الخلاص وبقبولها لتقديم وحيدها نفسه ذبيحة عن حياة العالم، **قد توجّته بمشاعر محبتها وهى تقترب من المشهد بكل تسليم، وقد وهبت أمومتها الشخصية لأجل الكنيسة.. فاستحقت أن تصير أماً للجميع.**

وقد أكّد السيد المسيح هذه الحقيقة حينما وهب أمه ليوحنا تلميذه المحبوب.. جاعلاً إياها أماً للرسل ولجميع المؤمنين والشهداء، وصارت أماً روحية لكل من يؤمن بيسوع المسيح.. إلى جوار أنها هى العذراء الأم والدة الإله.

الصليب والعذراء ويوحنا واللصين، يعبّر هذا المشهد عن الكنيسة كلها، جانب به أناس خطاة تائبين، والجانب الآخر أناس خطاة غير تائبين، والعذراء الشفيعة المؤتمنة، ويوحنا يرمز إلى كهنة العهد الجديد وخدام الرسل والكارزين والمبشرين الذين يخدمون خدمة المصالحة وقد صارت العذراء أماً لهم لأن العذراء هى رمز للكنيسة، والكنيسة هى أيضاً رمز للعذراء التى صار بها الخلاص لجنسنا.

٤) " إلهى إلهى لماذا تركتنى؟ " (مت٢٧: ٤٦)

"ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلاً: إيلى يلى لما شبقتنى، أى **إلهى إلهى لماذا تركتنى؟**" (مت٢٧: ٤٦).. يقول **قداسة البابا شنودة الثالث** -أطال الرب حياته: إن هذه العبارة لا تعنى ترك الآب للابن بمعنى الانفصال أو الابتعاد بينهما، ولكنها تعنى **{لماذا تركتنى فى هذا العذاب}**. مثلما يأخذ أحد الأشخاص ابنه لطبيب الأسنان ويمسك بيده وهو على كرسى الطبيب أثناء الحفر فى أسنانه، وحينما يشعر الابن بالألم يقول لأبيه (يا بابا أنت سايبنى ليه؟!) فيقول له والده (أنا معك يا ابنى ولم أتركك). ويكون ممسكاً بيده طول الوقت. لقد ترك الآب السماوى ابنه الحبيب يتألم ويذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد (انظر عب٢: ٩).

إن عبارة "لماذا تركتنى؟" قد قالها السيد المسيح فى صيغة سؤال. وكل سؤال له إجابة. وإجابة هذا السؤال نجدها فى إشعياء النبى الذى قال: "**أما الرب فسُرَّ بأن يسحقه بالحزن إن جعل نفسه ذبيحة إثم**" (إش ٥٣: ١٠) بمعنى؛ أن الآب ترك الابن يتعذب على الصليب لأنه قَبِل بإرادته أن يفتدى البشرية **وأن يدفع ثمن عقوبة خطايا البشر**. إن فى سؤال السيد المسيح الذى صرخ به على الصليب، دعوة للجميع لكى يبحثوا عن الإجابة. وهى أنه "**مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا**" (إش٥٣: ٥).

يضاف إلى ذلك أن السيد المسيح قد أراد تنبيه رؤساء اليهود إلى بداية **المزمور الثانى والعشرين** الذى يحوى نبوات كثيرة عن صلبه وعن سخريتهم به. وهو ما تمموه بالفعل وقت أن كان معلقاً على الصليب. فالمزمور الذى يبدأ بعبارة "**إلهى إلهى لماذا تركتنى** بعيداً عن خلاصى؟" يقول أيضاً "أما أنا فدودة لا إنسان. عار عند البشر ومحتقر الشعب.

كل الذين يروننى يستهزئون بى. يفغرون الشفاه وينغضون الرأس قائلين: **اتكل على الرب فلينجه. لينقذه لأنه سر به**" (مز٢٢: ٦-٨). لقد أراد السيد المسيح أن يجعلهم يخجلون من هجومهم عليه فنطق ببداية كلمات المزمور المعروف لديهم.

وفى قول السيد المسيح فى نبوة المزمور: "أما أنا فدودة لا إنسان" هل صار بالفعل دودة وليس إنساناً؟! أم أنه يقصد أنه صار فى نظر اليهود مثل دودة محتقرة "عار عند البشر ومحتقر الشعب". وهكذا عند قوله "**لماذا تركتنى**" يقصد أنه قد صار متروكاً فى نظرهم فقط لأنه صار مثل المصاب المضروب من الله كقول إشعياء النبى: "**ونحن حسبناه** مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً. وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا" (إش٥٣: ٤، ٥). فعبارة "**ونحن حسبناه**" توضح أن هذا كان فى فكر الناظرين إلى المصلوب.

أما ما يحسم القضية فى كل هذا الجدال أنه فى نفس المزمور الذى يصف آلام السيد المسيح وثقب يديه ورجليه يقول: "**يا خائفى الرب سبحوه.. لأنه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب وجهه عنه، بل عند صراخه إليه استمع**" (مز٢٢: ٢٣، ٢٤) إذن فالآب لم يحجب وجهه عن الابن على الصليب بل بالعكس لقد استمع إلى صراخه واستجاب له وقبل شفاعته الكفارية عن البشر، وهذا ما تتغنى به الكنيسة عن السيد المسيح فى لحن " Vai etafenf` فاى إيتاف إنف" {هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا، فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة}.

ولم يتركنى الآب وحدى

تدّعى **إيلين هوايت** النبية المزعومة **للأدفنتست السبتيين** فى كتابها المشهور بعنوان "**مشتهى الأجيال**" أن يسوع المسيح الابن الوحيد، الإله المتأنس، قد انفصل عن الآب وقت آلامه.

كما ينزلق البعض من الكُتّاب، ويتحدثون عن الترك الحتمى الذى تركه الآب للابن وقت الصلب لكى لا يلحق عار الصليب بالآب، ويستندون فى ذلك إلى قول السيد المسيح على الصليب: "إلهى إلهى لماذا تركتنى" (مت٢٧: ٤٦، انظر مز٢٢: ١).

عدم الترك، وعدم الانفصال

يلزمنا أن نبحث فيما ورد فى الكتب المقدسة عن استحالة ترك الآب للابن بمعنى تباعده عنه، واستحالة انفصاله عنه بأى حال من الأحوال.

عدم الترك

نبدأ بما قاله السيد المسيح نفسه وسجّله القديس يوحنا الرسول فى إنجيله فى عدة مواضع:

ففى حديث السيد المسيح مع تلاميذه فى ليلة آلامه وقبل القبض عليه وصلبه مباشرة قال لهم: "**هوذا تأتى ساعة وقد أتت الآن تتفرقون فيها كل واحد إلى خاصته وتتركوننى وحدى. وأنا لست وحدى لأن الآب معى**" (يو١٦: ٣٢).

وفى حديثه مع اليهود، أراد أن يشير إلى أن أحداث صلبه وقيامته المقبلة سوف تكشف للكثيرين أنه هو الله الكلمة المتجسد الذى قهر الموت وانتصر عليه بموته وبقيامته. وأن هذه الأمور كلها هى بتدبير إلهى واحد، وبقدرة إلهية واحدة، لا ينفصل فيها الابن عن الآب، ولا يترك فيه الآب الابن "فقال لهم يسوع: متى رفعتم ابن الإنسان (أى متى رفعوه على الصليب) فحينئذ تفهمون أنى أنا هو. ولست أفعل شيئاً من نفسى، بل أتكلم بهذا كما علمنى أبى. **والذى أرسلنى هو معى ولم يتركنى الآب وحدى لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه**" (يو٨: ٢٨، ٢٩).

وقد قال إشعياء النبى عن واقعة الصلب: "**أما الرب فسرَّ** (أى كان مسروراً) **بأن يسحقه بالحزن إن جعل نفسه ذبيحة إثم يرى نسلاً تطول أيامه ومسرة الرب بيده تنجح**" (إش٥٣: ١٠).

فقول السيد المسيح: "**لم يتركنى الآب وحدى**، لأنى فى كل حين أفعل ما يرضيه" (يو٨: ٢٩) ينطبق بالأكثر على واقعة الصلب التى قدّم فيها طاعة حتى الموت للآب السماوى، وصنع مسرته. بدليل قول إشعياء النبى عن الآب أنه "**سر بأن يسحقه بالحزن**" وعن مسرة الآب به "**ومسرة الرب بيده تنجح**".

وإذا كان الآب لم يترك الابن وحده فى أى وقت منذ أن أرسله إلى العالم، لأنه يفعل **فى كل حين** ما يرضيه، فمن باب أولى لا يتركه حينما يفعل مسرته فى طاعة كاملة بتقديم نفسه ذبيحة من أجل خلاص العالم. ولا شك أن عبارة **كل حين** تشمل وقت آلامه.

عدم الانفصال

معلوم يقيناً أن الجوهر الإلهى واحد لا يتجزأ ولا ينقسم. ولذلك فإن الآب والابن والروح القدس يجمعهم معاً جوهر واحد وكينونة واحدة ولهم طبيعة إلهية واحدة، بالرغم من التمايز الأقنومى لكل منهم، إذ أن الآب له الأبوة والابن له البنوة والروح القدس له الانبثاق.

وقد تكلّم السيد المسيح كثيراً عن وحدانيته مع الآب فقال فى حديثه مع الآب عن تلاميذه: "**ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحدٌ**" (يو١٧: ٢٢) وقال أيضاً: "ليكون الجميع واحداً كما **أنك أنت أيها الآب فىّ وأنا فيك** ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا ليؤمن العالم أنك أرسلتنى" (يو١٧: ٢١).

وقال لليهود: "إن كنت لست أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى. ولكن إن كنت أعمل، فإن لم تؤمنوا بى فآمنوا بالأعمال لكى تعرفوا وتؤمنوا أن **الآب فىّ وأنا فيه**" (يو١٠: ٣٧، ٣٨). وقال لهم أيضاً: "**أنا والآب واحد**" (يو١٠: ٣٠)، بما لا يدع مجالاً للشك فى عدم الانفصال.

وقال السيد المسيح لتلميذه فيلبس ولسائر تلاميذه: "الذى رآنى فقد رأى الآب فكيف تقول أنت أرنا الآب. ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىّ. الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسى لكن الآب الحال فىَّ هو يعمل الأعمال. صدقونى **أنى فى الآب والآب فىَّ**" (يو١٤: ٩-١١).

إنه من المستحيل أن ينفصل الآب عن الابن من حيث لاهوته وإلا دخلنا فى تعدد الآلهة. كما إنه من المستحيل أن ينفصل لاهوت الابن عن ناسوته، أى أن تنفصل طبيعته الإلهية عن طبيعته الإنسانية.

فمثلاً حينما قال السيد المسيح لتلميذه فيلبس: "الذى رآنى فقد رأى الآب.. ألست تؤمن أنى أنا فى الآب والآب فىَّ"، من الواضح أن الذى رآه فيلبس هو جسد السيد المسيح المتحد باللاهوت، أى هو الله الكلمة المتجسد، ولا يمكن لفيلبس أن يرى لاهوت المسيح مجرّداً، لأن الله الابن قال لموسى عن مجد لاهوته: "الإنسان لا يرانى ويعيش" (خر٣٣: ٢٠). وقال القديس يوحنا الإنجيلى عن الآب: "الله لم يره أحد قط. الإله الوحيد الجنس الذى هو فى حضن الآب هو خبّر" (يو١: ١٨). أى أن لاهوت المسيح حينما اتحد بالناسوت، أعطانا الإمكانية أن نرى الله حينما تجسد الله الكلمة. **فعبارة "الذى رآنى فقد رأى الآب" تؤكد عدم انفصال الناسوت عن اللاهوت فى المسيح الواحد.**

ونفس الأمر ينطبق على أعمال السيد المسيح التى عملها، وكلامه الذى قال وهو فى الجسد فهذه كلها كان يعملها وينطق بها بناسوته المتحد باللاهوت. مثل **لمسه بيده للأبرص** الذى شفاه "**فمدّ يده ولمسه.. وللوقت ذهب عنه البرص**" (لو٥: ١٣)، وعبارة "لعازر هلم خارجاً" (يو١١: ٤٣) التى **نطق بها بفمه وأقام لعازر من الموت**. وعن ذلك قال السيد المسيح: "الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسى (أى منفصلاً عن الآب). لكن الآب الحال فىَّ هو يعمل الأعمال" (يو١٤: ١٠).

٥) " أنا عطشان " (يو١٩: ٢٨)

فى بداية الصلب لم يقبل السيد المسيح أن يشرب الخل كمخدر يخفف عنه الآلام.. ولكنه بعد ذلك وحينما شرب كأس الآلام إلى نهايتها، ولكى يتم الكتاب قال: "**أنا عطشان**" (يو١٩: ٢٨) فأخذ واحد من الجند الواقفين إسفنجة وملأها خلاً وسقاه..

شرب السيد المسيح الخل الذى يرمز إلى خطية البشر المحزنة إذا قيس بحلاوة خمر محبته، أو بعذوبة مياه نعمته التى تروى النفس العطشانة.

عطش السيد المسيح إلى محبة البشر من أجل محبته لهم.. ومن أجل خيرهم وسعادتهم.. ولكنهم على الصليب سقوه خلاً يزيد الجوف عطشاً والتهاباً.. وقَبِلَ هو أن يشرب لكى يتم الكتاب "فى عطشى يسقوننى خلاً" (مز٦٩: ٢١).

كان آخر ما قدمته له البشرية هو ذلك الخل -غالباً الممزوج بالمرارة- ليشرب فى عطشه.. بينما قدّم هو لها خمر محبته ومياه نعمته الغزيرة.

٦) " قد أُكمل " (يو١٩: ٣٠)

"فلما أخذ يسوع الخل قال **قد أكمل**" (يو١٩: ٣٠) كلمة "**قد أكمل**" ليس معناها أن عمل المسيح الخلاصى قد انتهى بالنسبة لنا، ولكنها بمعنى **قد أكمل العمل المطابق للنبوات المختصة بالآلام وبالصليب،** لأنه بمجرد أن أسلم روحه على الصليب نزل إلى الجحيم كغالب وخرج غالباً ولكى يغلب وانتصر على جحافل الظلمة وأخرج المسبيين آدم وبنيه وأصعدهم معه إلى الفردوس. وصار يعمل لساعات طويلة جداً إلى أن قام من الأموات. كان أمامه عمل جبار هائل إلى جوار المرحلة الخطيرة، مرحلة تحطيم الجحيم وفتح الفردوس ثم القيامة من الأموات، وبهذا يكمل عمل الفداء على الأرض ثم يليه صعوده إلى السماوات ليشفع أمام الآب السماوى ولكى يحضر موعد الروح القدس.

فكلمة قد أكمل ليس معناها أن انتهى عمل المسيح الخلاصى ولكن معناها أن انتهى عمله فى التألم على الصليب إلى حد الموت، بمعنى أكمل عمل الآلام إلى حد الموت ولكن ليس أكمل العمل الخلاصى كله لأن عمل الخلاص لم ينته بالصليب بل امتد إلى ما بعد الصليب أيضاً.

٧) " يا أبتاه فى يديك أستودع روحى " (لو٢٣: ٤٦)

بعد ذلك صرخ السيد المسيح بصوتٍ عظيم قائلاً: "**يا أبتاه فى يديك أستودع روحى**" (لو٢٣: ٤٦)، لقد أعلن بداية عهد جديد للبشرية تذهب بها أرواح الناس بين يدى الآب وليس إلى الجحيم، تذهب إلى القديسين. والآب الذى أعطاها هو أعظم من الكل ولا يستطيع أحد أن يخطف من يده شئ. وكانت هذه هى صرخة الانتصار على إبليس.

"**ونكس رأسه وأسلم الروح**" (يو١٩: ٣٠) خرج السيد المسيح من الجسد ليس كمهزوم ولكن كمنتصر ذهب إلى الجحيم ودمّره، أخرج الذين فى السجن ونقلهم إلى الفردوس بروحه الإنسانية المتحدة باللاهوت.

وهذه الصرخة أيضاً أفزعت الشيطان وكل مملكته لأنه لأول مرة خرجت النفس الناسوتية ولم يستطع الشيطان أن يمسكها. لأنه منذ سقوط أبوينا الأولين، لم يستطع أحد أن يقولها عند موته. فكل من مات لم يستطع أن يستودع روحه فى يدىّ الآب، بل كان إبليس يقبض على تلك النفوس، ويحبسها فى الجحيم، حتى جاء السيد المسيح وأخرج أنفس الذين رقدوا على رجاء الخلاص.

لذلك قال معلمنا بطرس الرسول عن السيد المسيح: "مماتاً فى الجسد ولكن محييً فى الروح. الذى فيه أيضاً ذهب **فكرز للأرواح التى فى السجن**" (١بط٣: ١٨، ١٩).

لقد نزل السيد المسيح إلى الجحيم من قبل الصليب بروحه الإنسانى المتحد باللاهوت وقد سحق الجحيم ببرق لاهوته عندما انحدر إليه ليخلّص الذين انتظروا مجيئه وخلاصه العجيب.

من أراد أن يستزيد بتأملات غزيرة عن "كلمات السيد المسيح السبعة على الصليب"؛ فليرجع إلى كتاب قداسة البابا شنودة الثالث –أطال الرب حياة قداسته– بهذا الشأن.

مات ذبحاً

"واحداً من العسكر طعن جنبه بحربة، وللوقت خرج دم وماء" (يو١٩: ٣٤)، لما طعن الجندى السيد المسيح فى جنبه بالحربة بعد أن سلّم الروح، كان الدم يملأ القفص الصدرى: فسال أو تفجر الهيموجلوبين الأحمر بلون الدم أولاً، ثم البلازما الشفافة والسوائل الخاصة بالارتشاح المائى الرئوى (الأوديما) بعد ذلك. وذلك لأن الهيموجلوبين يترسب لثقله أما البلازما والمياه فتكون فى الجزء العلوى لأنها أخف فى كثافتها. وكان قد مر ساعتان ما بين الوفاة والطعن بالحربة. وهذا ما عبّر عنه القديس يوحنا الإنجيلى أنه من جرح طعنة الحربة "خرج دم وماء".

اهتم القديس يوحنا أن يذكر واقعة خروج الدم والماء، لكى يؤكّد أن السيد المسيح مات ذبحاً. لذلك قال عن واقعة خروج الدم والماء من جنب المخلص "الذى عاين شهد وشهادته حق" (يو١٩: ٣٥).

من المعتاد أن يموت المصلوب مخنوقاً إذ يصاب بالإعياء الشديد فلا يمكنه رفع جسده إلى أعلى لترتخى يداه ويمكنه الشهيق فى عملية التنفس. وبالنسبة للّصين اللذين صلبا مع السيد المسيح فقد لزم تكسير عظام سيقانهما ليتدليا ولا يمكنهما التنفس. وبهذا ماتا بالخنق. أما السيد المسيح فمات ذبحاً نظراً لغزارة الدم الذى سُفك خارجياً بإكليل الشوك والجلدات المريعة وثقوب المسامير فى يديه ورجليه وداخلياً بتمزيق شرايين القفص الصدرى حتى امتلأ التجويف الصدرى بالدم.

لهذا قال معلمنا بولس الرسول إن "فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا" (١كو٥: ٧). ولكن العجيب أن السيد المسيح قد ذُبح من الداخل كما من الخارج أيضاً.

النزيف الحاد الذى تعرض له السيد المسيح، نتج عنه أن كمية الدم المتبقية فى الدورة الدموية صارت تتناقص فى الوقت الذى كان يقوم فيه بمجهود رهيب منذ بدء الجلد وفى طريق الجلجثة ثم وهو مصلوب.

احتاج القلب أن يعمل بسرعة لتعويض الدم المفقود ولبذل الجهد المطلوب. ولكى يعمل القلب بسرعة، يحتاج هو نفسه كعضلة لكمية أكبر من الدم تغذيه عن طريق الشرايين التاجية. ولم يعد بإمكانها أن تقوم بهذا الدور لقلة كمية الدم الواصل إليها بالنسبة لمعدل ضربات القلب بسبب النزيف وبسبب زيادة سرعة ضربات القلب. وإذا كانت سرعة ضربات القلب فى الإنسان الطبيعى هى سبعين نبضة فى الدقيقة، ففى حالات النزيف وزيادة المجهود ترتفع فوق ١٤٠ نبضة فى الدقيقة. وكل هذا يجهد عضلة القلب فتصل إلى مرحلة الهبوط الحاد جداً فى الجزء الأيمن منها ويؤدى ذلك إلى الوفاة.

عند هذا الحد استجمع السيد المسيح آخر ما تبقى من قدرة قلبه على العمل وصرخ بصوت عظيم "**يا أبتاه فى يديك استودع روحى**" (لو٢٣: ٤٦).

موضع الجمجمة

شرح الإنجيل كيف أتوا بالسيد المسيح "إلى موضع يقال له جلجثة، وهو المسمى موضع الجمجمة" (مت٢٧: ٣٣). وموضع الجمجمة يقال له بالعبرانية "جلجثة" (انظر يو١٩: ١٧).

يقول التقليد إن جمجمة آدم كانت مدفونة تحت موضع صلب السيد المسيح مباشرة. وحينما تشققت الصخور سال دم السيد المسيح ووصل حتى جمجمة آدم، ليغسله من خطية العصيان الأولى بدمه الذكى.

وهذا يشرح سبب تسمية ذلك المكان موضع الجمجمة..

ولكن الاسم له دلالته الساطعة على أن السيد المسيح قد صُلب فى موضع الموت. وكثير من الناس يستخدمون صورة الجمجمة وعظمتين متعارضتين، للدلالة على الموت بأجلى معانيه.

لقد صلب السيد المسيح فى أرض الأموات، وتحقق فيه قول المزمور "**حسبت مثل المنحدرين إلى الجب. صرتُ كرجل لا قوة له. بين الأموات فراشى، مثل القتلى المضطجعين فى القبر، الذين لا تذكرهم بعد، وهم من يدك انقطعوا**" (مز٨٨: ٤، ٥).

لم يكن مصادفة أن يُصلب السيد المسيح، وأن يموت فى موضع الجمجمة. لأنه جاء خصيصاً لينقل البشرية من الموت إلى الحياة "لأنه كما فى آدم يموت الجميع، هكذا فى المسيح سيحيا الجميع" (١كو١٥: ٢٢). "ونحن أموات بالخطايا، أحيانا مع المسيح" (أف٢: ٥). ويخاطب معلمنا بولس الرسول أهل كولوسى بقوله: "إذ كنتم أمواتاً فى الخطايا وغلف جسدكم، أحياكم معه، مسامحاً لكم بجميع الخطايا" (كو٢: ١٣).

الصليب وهو من خشب الشجر، كان كشجرة حياة غُرست فى أرض الموت. كقول إشعياء النبى: "نبت قدامه كفرخ، وكعرق من أرض يابسة" (إش٥٣: ٢).

لقد صُلب السيد المسيح فى وادى الموت.. خارجاً عن أورشليم.. فى منطقة المقابر التى لا يعيش فيها أحد من الأحياء.

" ومع غنى عند موته " (إش٥٣: ٨، ٩)

عن هذا تنبأ إشعياء النبى فقال: "وفى جيله من كان يظن أنه قطع من أرض الأحياء. أنه ضُرب من أجل ذنب شعبى. وجُعل مع الأشرار قبره، **ومع غنى عند موته**" (إش٥٣: ٨، ٩).

وعبارة "جُعل مع الأشرار قبره، ومع غنى عند موته"، وإن كانت تشير إلى صلب السيد المسيح مع لصين مذنبين، وإعداد مقابر الأشرار لدفنه معهم، كما تشير إلى أنه لم يُدفن فى مقبرة الأشرار ولكن فى مقبرة يوسف الرامى الذى طلب جسد يسوع بعد موته على الصليب من بيلاطس الوالى؛ إلا أن هذه العبارة أيضاً تشير إلى أن السيد المسيح قد حُسب مع الخطاة، وهو يسير فى طريق الموت حاملاً خطايا العالم. لكنه لم يُحسب معهم حينما سلّم روحه الطاهرة فى يدّى الآب عند موته على الصليب (انظر لو٢٣: ٤٦)، لأنه كان باراً وبلا خطية وحده.

ولذلك فعبارة: "**مع غنى عند موته**" تشير إلى أن الابن الوحيد المتجسد قد **سلّم روحه الطاهرة فى يدّى الآب الغنى**، الذى منح الحياة للبشرية بعد أن صالح العالم لنفسه فى المسيح (انظر ٢كو٥: ١٩).

وأمكن بهذا أن يفتح باب الفردوس، ويذهب منتصراً إلى الجحيم قاهراً الشيطان، وأن يُخرج الذين فى بيت السجن، أى يُخرج آدم وبنيه الذين رقدوا على رجاء الخلاص، ويحضرهم معه إلى الفردوس.

أما أن الفردوس قد فُتح فى ذلك اليوم، فهو واضح من قول السيد المسيح للص اليمين: "الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس" (لو٢٣: ٤٣).

وعن ذهاب السيد المسيح بروحه الإنسانى المتحد باللاهوت إلى الجحيم، فواضح من قول الكتاب "**أجعلك عهداً للشعب، ونوراً للأمم. لتفتح عيون العمى. لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة**" **(إش٤٢: ٦، ٧)**. وأيضاً قول معلمنا بطرس الرسول عن موت السيد المسيح على الصليب: "**مماتاً فى الجسد، ولكن محيىً فى الروح. الذى فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن**" **(١بط٣: ١٨، ١٩)**.

ولهذا نصلى فى القداس الإلهى {نزل إلى الجحيم من قِبَل الصليب} (القداس الباسيلى).

وقد أشرق نور السيد المسيح على الجالسين فى ظلمة الجحيم كقول الكتاب "الشعب السالك فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً. الجالسون فى أرض ظلال الموت، أشرق عليهم نور" (إش٩: ٢).

لقد أشرق السيد المسيح بنوره على السالكين فى ظلمة الخطية فى حياتهم، وقادهم إلى التوبة بنور معرفته، كما أشرق على الذين رقدوا على الرجاء وكانت أرواحهم سالكة فى ظلال الموت على مدى الأجيال، ثم نقلهم إلى أنوار الفردوس المتلألئة.

لهذا كتب معلمنا يوحنا الإنجيلى عن مجيء السيد المسيح فى الجسد: "كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم" (يو١: ٩).

من أجل الجالسين فى أرض ظلال الموت جميعاً، صُلب السيد المسيح فى موضع الجمجمة. لأن هناك يتحقق قصده المبارك فى مجيئه إلى العالم: **أن يموت عوضاً عن الخطاة لينقلهم من الموت إلى الحياة..**

آدم الثانى

كان آدم الأول هو رأس الجنس البشرى.. منه خرج جميع البشر، بما فى ذلك حواء نفسها. وذلك بقدرة الله وتدبيره.

البشر جميعاً كانوا فى صُلب أبينا آدم حينما خلقه الله على صورته ومثاله. وخلق له المرأة من جنبه بحيث لا تكون غريبة عن طبيعته البشرية.

وحينما "باركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض" (تك١: ٢٨)، صار بإمكانهما أن ينجبا أولادًا من نفس طبيعتهما المشتركة.

ولأن كل نسل آدم كان فى صُلبه.. لهذا فحينما سقط آدم مع حواء – دخل الموت إلى الجنس البشرى كله.

وقد شرح معلمنا بولس الرسول هذا الأمر فقال: "بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت. وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس" (رو٥: ١٢).

وقال أيضاً: "كما فى آدم يموت الجميع، هكذا فى المسيح سيُحيا الجميع" (١كو١٥: ٢٢).

فكما قاد آدم الأول البشرية إلى الموت، هكذا قاد آدم الثانى أو آدم الجديد (المسيح) البشرية المفتداه إلى الحياة وميراث الملكوت الأبدى.

انتصر السيد المسيح على الموت بكل أبعاده وعوامله فى طبيعتنا البشرية التى أخذها بلا خطية – بفعل الروح القدس من العذراء القديسة مريم.

وكانت قيامة السيد المسيح هى النتيجة الطبيعية لنصرته –كرأس للكنيسة– على مملكة الظلمة الروحية.

وحقق السيد المسيح فى بشريته الكاملة، الشركة الحقيقية مع الله، بعيداً تماماً عن كل تأثير الشركة مع إبليس التى دخل إليها الإنسان بقبوله للغواية التى عرضتها عليه الحية القديمة.

كانت البشرية بالفعل فى احتياج إلى من يستطيع أن ينتشلها من الهوة ومن الفخ، الذى دخلت إليه بانقياد آدم الأول للغواية، ودخوله هو ونسله من بعده تحت سلطان الموت..

وقد أوضح القديس أثناسيوس أن الوحيد الذى كان باستطاعته أن يحرر الإنسان من الموت ويعيده إلى الصورة التى خلق عليها، هو كلمة الله..

فكما خلق الله الإنسان بكلمته على صورته ومثاله، هكذا لم يكن ممكناً أن يعاد خلق الإنسان مرة أخرى، إلا بواسطة نفس أقنوم الكلمة.

وتأكيداً لهذا المعنى قال معلمنا بولس الرسول: "**إن كان أحد فى المسيح، فهو خليقة جديدة**" (٢كو٥: ١٧).

عودة الشركة مع الله

لم يكن ممكناً أن تعود حياة الشركة بين الله والإنسان، إلا فى شخص ربنا يسوع المسيح "كلمة الله المتجسد".

كذلك لم يكن ممكناً أن تمتد هذه الشركة لتشمل البشر الذين آمنوا به، إن لم يقم السيد المسيح بتقديم كفارة كاملة وكافية عن خطاياهم..

"**أى إن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه، غير حاسب لهم خطاياهم" (٢كو٥: ١٩)** بتقديم ذبيحة الصليب عوضاً عن هلاك البشر بالموت الذى تملك على الجميع.

فبالتجسد وظهور آدم الجديد الذى بلا خطية عادت الشركة بين الله والإنسان فى شخصه.

وبالصليب صارت المصالحة بين الله والبشر الذين يقبلون الابن المتجسد مخلِّصاً لهم.

وبالقيامة نالت البشرية الحياة الجديدة، فى المسيح يسوع كباكورة للراقدين.

وبالصعود "دخل.. إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً" (عب٩: ١٢)، حيث يمارس عمله كرئيس كهنة يشفع بدمه كل حين من أجل غفران الخطايا.

وبحلول الروح القدس وصلت استحقاقات المصالحة إلى الذين قبلوا المسيح، ونالوا سر العماد المقدس، وصاروا هيكلاً يسكن الله فيه.

وبهذا كله نستطيع أن نرى كيف عادت الشركة مع الله للذين قبلوا السيد المسيح ونالوا العطية الموعود بها من الآب.

لماذا تجسّد من العذراء

لم يتجسد الكلمة من زرع بشر، أى من مشيئة جسد أو من مشيئة رجل، فلو حدث ذلك لكان انتقال الخطية الجدية إلى المولود هو نتيجة طبيعية.

ولهذا فقد **تجسد الكلمة بفعل الروح القدس فى أحشاء العذراء مريم،** كما قال الملاك: "**الذى حبل به فيها هو من الروح القدس**" (مت١: ٢٠).

ولم يكن ممكناً أن يتجسد الله الكلمة، دون أن يأخذ طبيعة بشرية حقيقية من أصل الجنس البشرى نفسه. لأنه لو تجسد بطبيعة أخرى مخلوقة خصيصاً لهذا الأمر، لما أمكن أن يخلص البشر، ولما أمكن أن يموت بمحبته عوضاً عنهم، ليوفى العدل الإلهى حقه.

لهذا فقد أخذ بشريته الكاملة جسداً وروحاً من العذراء مريم، بلا خطية، ووحّد هذه الطبيعة البشرية بألوهيته منذ اللحظة الأولى للتجسد.

الموت النيابى

وقد شرح القديس أثناسيوس فكرة تجسد الابن الوحيد وموته النيابى عن البشر **فى الفصل التاسع من كتاب تجسد الكلمة فقال: [إن الكلمة إذ لم يكن قادراً أن يموت (بحسب ألوهيته)، أخذ جسداً قابلاً للموت. لكى باتحاده (أى باتحاد هذا الجسد) بالكلمة الذى هو فوق الكل، يصير جديراً بأن يموت نيابة عن الكل].**

صارت الذبيحة التى قُدمت على الصليب ذات قيمة غير محدودة، لسبب اتحاد إنسانية المسيح بألوهيته اتحاداً طبيعياً يفوق العقل والإدراك.

فالذى صُلب على الصليب هو هو نفسه الله الكلمة الذى أخذ جسداً، وتألم بالجسد، وذاق الموت بالجسد لأجل خلاصنا.

لماذا كانت ظُلمة؟

"**من الساعة السادسة كانت ظُلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة**" (مت٢٧: ٤٥).

وقبلها كان السيد المسيح قد قال لليهود ساعة القبض عليه: "**هذه ساعتكم وسلطان الظلمة**" (لو٢٢: ٥٣).

إن النور يشير إلى الله وملكوته وحياة القداسة والبر.. أما الظلمة فتشير إلى الشيطان وحياة الشر والفساد.

لذلك قال السيد المسيح: "سراج الجسد هو العين، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون **نيّراً**، وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون **مُظلماً** فإن كان **النور** الذى فيك **ظلاماً**، فالظلام كم يكون؟" (مت٦: ٢٢، ٢٣).

وقيل عن الله "الذى وحده له عدم الموت، **ساكناً فى نور لا يُدنى منه**" (١تى٦: ١٦).

وقال السيد المسيح عن مصير العبد البطّال فى استبعاده من ملكوت الله: "والعبد البطّال اطرحوه **إلى الظلمة الخارجية**، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان" (مت٢٥: ٣٠).

وقيل عن الملائكة الذين سقطوا أنهم فى الظلام "والملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم، بل تركوا مسكنهم حفظهم إلى دينونة اليوم العظيم بقيود أبدية **تحت الظلام**" (يه٦). وأيضاً "**فى سلاسل الظلام** طرحهم فى جهنم، وسلّمهم محروسين للقضاء" (٢بط٢: ٤).

وعن الناس الأشرار قيل إنهم مثل "نجوم تائهة محفوظ لها **قتام الظلام** إلى الأبد" (يه١٣).

وعن الإيمان بالمسيح قال معلمنا بطرس الرسول للمؤمنين: "لكى تخبروا بفضائل الذى دعاكم من **الظلمة** إلى **نوره** العجيب" (١بط٢: ٩). وقال عن الثبات فى المسيح "وعندنا الكلمة النبوية، وهى أثبت، التى تفعلون حسناً إن انتبهتم إليها، كما إلى سراج **منير** فى موضع **مُظلم**، إلى أن ينفجر النهار، ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم" (٢بط١: ١٩).

وعن الله والحياة معه قال معلمنا يوحنا الرسول: "**إن الله نور وليس فيه ظلمة البتة. إن قلنا إن لنا شركة معه وسلكنا فى الظلمة، نكذب ولسنا نعمل الحق. ولكن إن سلكنا فى النور كما هو فى النور، فلنا شركة بعضنا مع بعض**" (١يو١: ٥-٧).

أبناء الظلمة وأبناء النور

قال السيد المسيح لبولس الرسول عن إرساليته عندما دعاه فى الطريق إلى دمشق: "قم وقف على رجليك لأنى لهذا ظهرت لك، لأنتخبك خادماً وشاهداً بما رأيت وبما سأظهر لك به، منقذاً إياك من الشعب ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم، **لتفتح عيونهم كى يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى الله، حتى ينالوا بالإيمان بى غفران الخطايا ونصيباً مع المقدسين**" (أع٢٦: ١٦-١٨). كان اليهود والأمم فى ظلمة عدم الإيمان بالمسيح وتحت سلطان الشيطان.

لذلك فعند **صلب** السيد المسيح كانت ظلمة على كل الأرض لمدة ثلاث ساعات لأن خطايا البشر هى ظُلمة ملأت العالم كله. وقد أظلم عقل اليهود والرومان الذين قاموا بصلب السيد المسيح، وهو البار القدوس الذى بلا خطية وحده.

لقد وضع الآب كل خطايا البشرية على ابنه الوحيد المتجسد، وفيما هو "يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شئ" (رؤ١٩: ١٥) أعلنت الطبيعة أن المخلّص يجتاز فى ظلال الموت كنائب عن البشرية لكى

يوفى الدين عن الخطاة. وحينما أوفى الدين أبرق بنور لاهوته فى ظلمات الجحيم لينقل الراقدين من الظلمة إلى النور، كما أن الشمس قد عادت لتنير على العالم. وعن ذلك تنبأ إشعياء النبى: "**الشعب السالك فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً، الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور**" (إش٩: ٢).

المعمودية استنارة

قال عنها معلمنا بولس الرسول: "الذين **استنيروا** مرة، وذاقوا الموهبة السماوية وصاروا شركاء الروح القدس، وذاقوا كلمة الله الصالحة وقوات الدهر الآتى" (عب٦: ٤، ٥).

وقال السيد المسيح عنها لنيقوديموس: "الحق الحق أقول لك: إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله.. إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو٣: ٣، ٥). إن المعمودية تخلق فى الإنسان عينين روحيتين يمكن بهما أن يعاين مجد الله فى ملكوته الأبدى.

عن ذلك قال معلمنا بولس الرسول: "**مستنيرة عيون أذهانكم**، لتعلموا ما هو رجاء دعوته، وما هو غنى مجد ميراثه فى القديسين" (أف١: ١٨). وقال "و**أنير** الجميع فى ما هو شركة السر المكتوم منذ الدهور فى الله خالق الجميع بيسوع المسيح" (أف٣: ٩).

فوق الصليب

فوق الصليب كان الذبيح معلقاً رافعاً ذراعيه نحو السماء. لأنه هو الكاهن الأعظم، وقد صعد إلى المذبح ليصلى، وهو يقدِّم ذبيحة نفسه المقبولة أمام الله الآب عن حياة العالم. كان هو الكاهن والذبيحة فى آنٍ واحد.

كان قائماً وهو مذبوح كما رآه يوحنا فى سفر الرؤيا فى وسط العرش (انظر رؤ٥: ٦).

لم يُذبح السيد المسيح ويُلقى على الأرض، بل كان معلقاً بين الأرض والسماء.. لأنه هو الطريق المؤدّى إلى الآب.. إلى الحياة الأبدية. وهو الشفيع بين الله والناس، بين السماء والأرض.

كل من ينظر إليه بإيمان يستطيع أن يعرف الطريق المؤدى إلى ملكوت الله.

فوق الصليب فتح السيد المسيح **كِلتا ذراعيه** لكى يُعلن دعوته للأمم كما لليهود، لكى يأتوا إلى أحضان الله ويتمتعوا بالخلاص والراحة الأبدية. ولهذا كان عنوان علته مكتوباً فوق رأسه بأحرف يونانية ولاتينية (رومانية) وعبرية. فالخلاص هو لجميع الشعوب. وقد اشترك الرومان مع اليهود فى صلب السيد المسيح، لأنه مات لسبب خطايا الأمم وخطايا اليهود معاً، ليحرر البشر جميعاً من سلطان الخطية.. كل من يؤمن ويتوب ويعتمد.

فوق الصليب حمل السيد المسيح لعنة الخطية، لأنه مكتوب "المعلّق ملعون من الله" (تث٢١: ٢٣)، وبهذا "جعل الذى لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه" (٢كو٥ :٢١).

واحتمل السيد المسيح كل تعييرات الشيطان على فم المعيرين لأنه مكتوب "تعييرات معيّريك وقعت علىَّ" (مز٦٩: ٩).

ولكن القيامة من الأموات محت كل آثار التعيير، كما أنها أثبتت أن اللعنة قد مُحيت وزالت لأن الكفارة قد قُبِلت، واستوفى العدل الإلهى حقه بالكامل.

لهذا رأى يوحنا الإنجيلى السيد المسيح بثوب مغموس بالدم، وهو بالعدل يحكم ويحارب، ويُدعى اسمه كلمة الله "وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شئ" (رؤ١٩: ١٥).

وسبق أن قال السيد المسيح بفم نبيه إشعياء: "قد دست المعصرة وحدى ومن الشعوب لم يكن معى أحد" (إش٦٣ : ٣).

فوق الصليب صعد السيد المسيح إلى عرشه المجيد.. ولهذا تتغنى له الكنيسة بألحان المزمور فى يوم الجمعة العظيمة "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، قضيب الاستقامة هو قضيب ملكك" (مز٤٤: ٦). وهكذا نرى كيف أن **الرب قد ملك على خشبة.**

اختفى الشيطان فى الحية القديمة وخدع البشرية لتعصى الوصية المقدسة، وتأكل من شجرة معرفة الخير والشر، إذ نظرت الثمرة شهية للنظر وجيدة للأكل.

وهكذا أخفى السيد المسيح لاهوته عن الشيطان، وإذ وُجد فى الهيئة كإنسان وضع ذاته وأطاع الآب حتى الموت، وكان معلقاً على الشجرة. ورأى الشيطان أن الثمرة المعلقة على الشجرة هى شهية للنظر وجيدة للأكل.. فتجاسر الموت أن يلتهم الحياة.. وبهذا ابتلع ما هو ضده وما هو أقوى منه، فانهزم الموت وأبتُلع الموت من الحياة مثلما تبتلع الظلمة نوراً فإن النور هو الذى يبتلع الظلمة ويبددها. ولم يستطع الجحيم أن يبتلع من له الحياة الإلهية القاهرة للموت.. **بل إن الجحيم نفسه قد تحطمت متاريسه بقوة المصلوب..**

لهذا كتب القديس يوحنا ذهبى الفم {**عندما انحدرت إلى الموت، أيها الحياة الذى لا يموت: حينئذ أمتّ الجحيم ببرق لاهوتك. وعندما أقمت الأموات من تحت الثرى، صرخ نحوك جميع القوات السمائيين: أيها المسيح الإله معطى الحياة المجد لك**}.

اضطراب الطبيعة لصلب خالقها

كانت دقات المسامير فى يدىّ وقدمىّ السيد المسيح مثل معاول تهدم فى مملكة إبليس.. لأن اليد التى سُمّرت هى تلك اليد المتحدة باللاهوت.. هى يد الله التى قدّمت الخير، كل الخير للخليقة، وهى اليد التى جبلت آدم وحواء كقول المزمور "يداك صنعتانى وجبلتانى" (مز١١٨: ٧٣).

كانت طرقات المطرقة تدوى فوق الجلجثة أثناء تسمير السيد المسيح فوق الصليب، وكانت أيضاً معاول هدم حصون إبليس تدوى فى أسماع الملائكة الذين وقفوا مبهورين من محبة الله الباذلة إلى المنتهى.

لقد ارتبكت الخليقة، واضطربت الأرض، وكأنها قد اقشعرت من القساوة التى عومل بها الله الكلمة المتجسد. ولهذا فقد **تزلزلت الأرض والجبال وتشققت الصخور لأن دقات المسامير أفزعتها**. وغضبت الطبيعة مما فعله الخطاة بخالق الطبيعة ومبدعها.

وحينما تعرّى الابن الوحيد من ثيابه: **أخفت الشمس أشعتها وكأنها تشعر بالخجل من تعرية خالقها الذى ألبس المسكونة جمالاً وبهاءً**، حتى زنابق الحقل ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها.

لقد سمح الرب للخليقة غير العاقلة أن تبدو فى اضطراب **ليبكّت قساوة الإنسان. فالصخور بدت وكأنها كانت أكثر إحساساً وشعوراً من تلك القلوب القاسية التى صارت أقسى من الصخر لسبب الخطايا والشرور التى أعمت بصيرتها.**

وهكذا أرعدت الطبيعة لكى يستفيق قلب الإنسان ويدرك مقدار من هو ذبيح فوق الصليب.. إنه الله الكلمة نفسه الذى تجسد وافتدانا من اللعنة والموت. فما أعجب محبتك غير الموصوفة يا ربنا القدوس؟!!..

لماذا اختار الرب الصليب؟

الصليب له جاذبية خاصة فى الحديث عنه. فقد اختار السيد المسيح أن يعمل فى النجارة لارتباط هذا الأمر بالصليب. وهو مصنوع من خشب الشجر **لكى يوضّح الرب أن إبليس إذ استخدم الشجرة لخداع البشرية وسقوط الإنسان فى الفردوس، فإنه هو أيضاً قد استخدم الشجرة لخلاص البشرية ورجوع الإنسان إلى الفردوس**، فكل أنواع الخليقة ينبغى أن تستخدم لتمجيد الله. وعلى الشجرة قال للص اليمين: "اليوم تكون معى فى الفردوس".

لقد اختار السيد المسيح مهنة النجارة فى حياته قبل الصليب.. وهكذا صنع ابن النجار صليباً من خشب الشجر ليخلِّص به العالم. كما قال القديس مار آفرام السريانى **{مبارك هو ذلك النجار الذى صنع بصليبه قنطرة لعبور المفديين}** ويقصد بذلك أن الصليب قد صار واسطة عبورنا من الهلاك إلى الحياة الأبدية، وعبور الذين رقدوا على الرجاء من الجحيم إلى الفردوس.

يتساءل البعض: **لماذا دبر الرب فى خطة الخلاص أن يتم الفداء بذبيحة الصليب**، وليس بموت السيد المسيح بطريقة أخرى؟

ونجيب على ذلك بأن هناك أسباباً كثيرة يصعب حصرها ونذكر منها على سبيل المثال:

أولاً: لكى يكون هو الطريق المؤدى إلى السماء

فتعليق السيد المسيح على الصليب ما بين السماء والأرض يذكرنا بسلم يعقوب الذى رآه منصوباً على الأرض ورأسه يمس السماء والرب واقف عليه والملائكة صاعدة ونازلة عليه. وقد قال الرب عن نفسه "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤: ٦).

ثانياً: لكى يكون هو الكاهن وهو الذبيحة فى آنٍ واحد

لأن السيد المسيح كان فاتحاً ذراعيه على الصليب رافعاً إياهما إلى أعلى. وفى نفس الوقت كان مجروحاً ينزف دمه كذبيحة مقبولة عن خلاص جنسنا. وكما قال أحدهم [هو الكاهن الأعظم صعد إلى المذبح ليصلى، وفيما هو يقدّم نفسه ذبيحة؛ دافع عن البشرية الخاطئة (أى تشفع من أجل الخطاة لينالوا الغفران بالتوبة والمعمودية المقدسة)].

ثالثاً: لكى يكون حملاً مذبوحاً قائماً

رآه يوحنا فى سفر الرؤيا فى وسط العرش حملاً قائماً كأنه مذبوح ولا يمكن أن تكون الذبيحة واقفة وليست منطرحة على الأرض إلا فى وضع الصليب.

رابعاً: كان ينبغى أن يموت مذبوحاً

لأنه "بدون سفك دم لا تحصل مغفرة" (عب٩: ٢٢) فلو مات السيد المسيح مخنوقاً أو غريقاً أو بالحرق بالنار لما أمكن أن يقال عنه "لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا" (١كو٥: ٧).

والسيد المسيح لم تكسر ساقيه على الصليب مثل اللصين اللذين اختنقا عندما تدليا من ذراعيهما. بل سلّم السيد المسيح الروح نتيجة النزيف الحاد من الجراحات الخارجية كالمسامير وإكليل الشوك والجلد، والجراحات الداخلية التى نشأت عن جَلد القفص الصدرى بأعصاب البقر المدلاة فى أطرافها قطع من المعدن أو العظام التى تمزق الشرايين المحيطة بالقفص الصدرى داخلياً تحت الجلد بجوار الضلوع عندما يلتف الكرباج حول الصدر أثناء الجلد على الظهر.

لذلك حينما طعن الجندى السيد المسيح بعد ذلك بالحربة فى جنبه كان صدره ممتلئاً من الدماء والماء. الدم أولاً حيث يترسب الهيموجلوبين، والماء بعد ذلك حيث البلازما، والمياه الناشئة عن الارتشاح (الأوديما).

خامساً: الصليب هو العرش

قال المزمور "**الرب قد ملك على خشبة**" (مز٩٥: ١٠) والخشبة هى خشبة الصليب. ويقول المزمور أيضاً "كرسيك يا الله إلى دهر الدهور، **قضيب الاستقامة هو قضيب ملكك**" (مز٤٤: ٦) إن **قضيب ملكه هو أيضاً خشبة الصليب**. والسيد المسيح قد قال: "متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أنى أنا هو" (يو٨: ٢٨)، وقال أيضاً: "أنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلىّ الجميع" (يو١٢: ٣٢).

الصليب له أربعة أذرع مثل العرش الإلهى الذى تحيط به الأحياء الأربعة غير المتجسدين؛ **شبه الإنسان** ويرمز إلى التجسد، **وشبه العجل** ويرمز إلى الذبيحة (الصلب)، **وشبه الأسد** ويرمز إلى القيامة، **وشبه النسر** ويرمز إلى الصعود. كما أنها ترمز إلى الأناجيل الأربعة: **متى ولوقا ومرقس ويوحنا** بنفس الترتيب المذكور عن الأحياء غير المتجسدين.

فى الصليب نرى بوضوح الذبيحة ولكننا نرى بعين التأمل التجسد والقيامة والصعود. فالمصلوب هو الرب المتجسد، وهو الرب المذبوح، وهو الرب القائم (لأنه مذبوح وقائم على الصليب)، وهو الرب الصاعد (لأنه معلق بين السماء والأرض).

القيامة والصعود لم يكونا قد حدثا بعد ولكننا نراهما فى الصليب بعين التأمل، كما أننا نؤمن بقلوبنا أن المصلوب قد قام وصعد إلى أعلى السماوات.

إن الصليب ذا الأذرع الأربع يشير إلى الخلاص الذى امتد من مشارق الشمس إلى مغاربها ومن الشمال إلى الجنوب. لذلك نقول فى صلاة الساعة السادسة {**صنعت خلاصاً فى وسط الأرض كلها** أيها المسيح إلهنا عندما بسطت يديك الطاهرتين على عود الصليب، فلهذا كل الأمم تصرخ قائلة: المجد لك يا رب}.

إن الصليب هو ينبوع للتأمل، وعليه حمل الرب لعنة خطايانا ومحاها بالصليب إذ أوفى الدين الذى علينا وقدّم نفسه عوضاً عن الجميع.

فما أجمل أن نضع الصليب أمام أعيننا على الدوام لأنه يذكرنا بحب الله الآب الذى بذل ابنه الوحيد لأجل خلاصنا.

الذبيحة المقبولة

قدّم السيد المسيح نفسه على الصليب ذبيحة مقبولة لله أبيه، نسيم رائحة طيبة "لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عِجلَةٍ مرشوشٌ على المنجسين يقدّس إلى طهارة الجسد. فكم بالحرى يكون **دم المسيح الذى بروح أزلى قدّم نفسه لله بلا عيب** يطهّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى" (عب٩: ١٣، ١٤).

عن هذه **الذبيحة المقبولة** قال السيد المسيح لنيقوديموس قبل صلبه بمدة طويلة: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد الجنس لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦).

وقال السيد المسيح أيضاً عن نفسه مشيراً إلى رسالته الخلاصية التى سوف يبذل فيها نفسه عن شعبه: "أنا هو الراعى الصالح. **والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف**.. لهذا يحبنى الآب لأنى أضع نفسى لآخذها أيضاً. ليس أحد يأخذها منى، بل أضعها أنا من ذاتى. لى سلطان أن أضعها، ولى سلطان أن آخذها أيضاً. هذه الوصية قبلتها من أبى" (يو١٠: ١١، ١٧، ١٨).

والشئ العجيب أن **إيلين هوايت** نبية السبتيين الأدفنتست المزعومة تدّعى أن السيد المسيح لم يكن واثقاً من قبول الآب لذبيحته على الصليب، وحتى بعد القيامة، وعند صعوده ودخوله إلى السماوات.

ففى كتابها المشهور بعنوان "**مشتهى الأجيال**" وعلى صفحة ٧١٤، صفحة ٧١٥ فى الطبعة الثالثة للترجمة العربية والتى طبعت فى مصر، فى الفصل الثامن والسبعين بعنوان "موت على قمة جبل" عن صلب السيد المسيح، كتبت تقول [اعتصر الشيطان بتجاربه القاسية قلب يسوع. ولم يستطع المخلّص أن يخترق ببصره أبواب القبر. **ولم** يصوّر

له الرجاء أنه سيخرج من القبر ظافراً، ولا أخبره عن قبول الآب لذبيحته. وكان يخشى أن تكون الخطية كريهة جداً فى نظر الله بحيث يكون انفصال أحدهما عن الآخر أبدياً.. ذُهل الملائكة وهم يرون عذابات المخلص **ويأسه**. وحجب الأجناد السماويون وجوههم حتى لا يروا ذلك المنظر المخيف].

وفى حديثها عن قيامة السيد المسيح صفحة ٧٤٨ [رفض يسوع قبول الولاء من أتباعه حتى أيقن أن الآب قد قبل ذبيحته]. وفى حديثها عن صعود السيد المسيح واشتياق الملائكة للاحتفاء بنصرته وتمجيد مليكهم صفحة ٧٨٨ [غير أنه يشير عليهم بالتنحى جانباً. **لم يأت الوقت بعد**. إنه لا يستطيع أن يلبس إكليل المجد أو ثوب الملك].

إن القديس بولس الرسول يتحدث عن وعد الله بإتمام الفداء بأنه أمر لا يمكن تغييره. وأن الرب قد أقسم بنفسه. وأن الله لا يكذب. وأن الرجاء هو كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة. كتب إلى العبرانيين يقول: "فإنه لما وعد الله إبراهيم إذ لم يكن له أعظم يقسم به أقسم بنفسه.. فلذلك إذ أراد الله أن يظهر أكثر كثيراً لورثة الموعد عدم تغيّر قضائه توسَّط بقسم. حتى بأمرين عديمى التغير لا يمكن أن الله يكذب فيهما تكون لنا تعزية قوية نحن الذين التجأنا لنمسك بالرجاء الموضوع أمامنا؛ الذى هو لنا كمرساة للنفس مؤتمنة وثابتة تدخل إلى ما داخل الحجاب، حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكى صادق رئيس كهنة إلى الأبد" (عب٦: ١٣، ١٧-٢٠).

كيف تدّعى **إيلين هوايت** أن الرجاء لم يخبر يسوع عن قبول الآب لذبيحته وهو معلق على الصليب؟!!..

إذا كان الله قد أقسم بنفسه على إتمام الفداء فكيف يقال أن السيد المسيح لم يكن واثقاً من هذا الأمر؟!!..

وإذا كان الرجاء هو مرساة للنفس للمؤمن العادى فكيف يقال أن رب المجد يسوع المسيح لم يخبره الرجاء عن قبول الآب لذبيحته؟!!..

إن الهدف الواضح من وراء هذه العبارات البشعة هو تحطيم صورة السيد المسيح باعتبار أنه هو "**الله الظاهر فى الجسد**"، وأنه هو "**رجاء الأمم**".

ويستطرد معلمنا بولس الرسول مؤكداً ارتباط الرجاء بالقَسَم الإلهى فيقول: "فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها. إذ الناموس لم يكمل شيئاً. ولكن يصير إدخال **رجاء أفضل** به نقترب إلى الله. وعلى قدر ما إنه **ليس بدون قسم**. لأن أولئك بدون قسم قد صاروا كهنة، وأما هذا فبقسم من القائل له أقسم الرب ولن يندم أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق. **على قدر ذلك قد صار يسوع ضامناً لعهدٍ أفضل**" (عب٧: ١٨-٢٢).

هيَّأت لى جسداً

إن النبوات التى ذكرت فى ناموس موسى والأنبياء والمزامير، كانت تحمل كثير من البراهين على قبول الآب لذبيحة ابنه الوحيد. بل تكلم المزمور (مز ٣٩) (حسب الترجمة القبطية) على لسان السيد المسيح مؤكداً أن هذا هو مكتوب عنه فى نفس نص النبوة وليس عند أو بعد إتمامها. فعبارة "مكتوب عنى" وردت فى المزمور نفسه. وقد اقتبس القديس بولس الرسول نص المزمور من الترجمة السبعينية فقال عن السيد المسيح: "لذلك عند دخوله إلى

العالم يقول: ذبيحة وقرباناً لم ترد ولكن **هيّأت لى جسداً**. بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر. ثم قلت هأنذا أجيء **فى درج الكتاب مكتوب عنى** لأفعل مشيئتك يا الله.. ينزع الأول لكى يثبت الثانى. فبهذه المشيئة نحن مقدسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة" (عب١٠: ٥-٧، ٩، ١٠).

فإذا كان السيد المسيح قد أنبأ فى المزمور أنه بذبيحة جسده سوف يبطل الذبائح الحيوانية التى للعهد القديم لأن الآب لم يسر بهذه الذبائح، بل هيأ له جسداً، فكيف يقال أنه لم يكن واثقاً من قبول الآب لذبيحته؟!!..

ألم يقل إشعياء النبى "كشاة تساق إلى الذبح.. جعل نفسه ذبيحة إثم.. **ومسرة الرب بيده تنجح**.. من أجل أنه سكب للموت نفسه" (إش٥٣: ٧، ١٠، ١٢).

العهد الجديد

قال معلمنا بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين عن السيد المسيح: "ولكنه الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط أيضاً **لعهد أعظم** قد تثبّت على مواعيد أفضل" (عب٨: ٦).

والمقصود بالعهد الأعظم هو **العهد الجديد** لهذا يقول: "فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طلب موضع لثانٍ. لأنه يقول لهم لائماً: هوذا أيام تأتى يقول الرب حين أكمّل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا **عهداً جديداً**" (عب٨: ٧، ٨).

إذن فقد ذكر الرب فى أسفار العهد القديم فى نبوة أرميا النبى (انظر أر٣١: ٣١) **العهد الجديد** الذى سوف يصنعه الرب مع شعبه ويختلف عن العهد القديم فى طبيعته وفى مداه ونتائجه.

العهد القديم قام على أساس الرمز فقط بالذبائح الحيوانية. أما العهد الجديد فقد تأسس على ذبيحة المسيح الفائقة القيمة.

العهد القديم تم بدم الذبائح الحيوانية أما العهد الجديد فهو بدم المسيح.

لذلك أكمل معلمنا بولس الرسول كلامه عن السيد المسيح كرئيس كهنة: "ليس بدم تيوس وعجول بل **بدم نفسه** دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً" (عب ٩: ١٢).

ويشير أيضاً إلى أهمية الدم فى التطهير سواء فى العهد القديم على سبيل الرمز أو فى العهد الجديد على سبيل المرموز إليه والذى به يتم مفعول الرمز على أساس الوعد، فيقول "فمن ثم الأول أيضاً **(أى العهد الأول)** لم يكرس بلا دم. لأن موسى بعدما كلّم جميع الشعب بكل وصية بحسب الناموس، أخذ دم العجول والتيوس مع ماء وصوفاً قرمزياً وزوفا ورش الكتاب نفسه وجميع الشعب. قائلاً هذا هو دم العهد الذى أوصاكم الله به. والمسكن أيضاً وجميع آنية الخدمة رشها كذلك بالدم. وكل شئ تقريباً يتطهّر حسب الناموس بالدم. **وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة**" (عب٩: ١٨-٢٢). فكيف رسم السيد المسيح العهد الجديد، وكيف أسسه وأعطاه لكنيسته المحبوبة؟

بالطبع لقد تأسس العهد الجديد على ذبيحة السيد المسيح التى قدّمها على صليب الجلجثة وعلى دمه الذى سفك على الصليب من أجل مغفرة خطايا الكثيرين.

وقد أوضح القديس بولس الرسول ذلك بقوله للعبرانيين: "لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجسين يقدّس إلى طهارة الجسد. **فكم بالحرى دم المسيح، الذى بروح أزلى قدّم نفسه لله بلا عيب** يطهّر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحى" (عب٩: ١٣، ١٤).

العشاء الربانى والقداس الإلهى

وقد ارتبط العشاء الربانى بذبيحة الصليب ارتباطاً وثيقاً، لأنه هو امتداد لذبيحة الصليب فى ليلة الآلام وما بعد قيامة الرب من الأموات. قال السيد المسيح لتلاميذه عن الكأس وقت تأسيس سر الشكر (الإفخارستيا): "هذه الكأس **هى العهد الجديد بدمى الذى يسفك عنكم**" (لو٢٢: ٢٠).

وهكذا نرى بوضوح ارتباط العهد الجديد بدم المسيح الذى سفك على الصليب. ولكننا ينبغى أن نلاحظ أيضاً كيف ربط السيد المسيح بين كأس الإفخارستيا (سر الشكر) وبين دمه والعهد الجديد إذ قال: "**هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى**" (لو٢٢: ٢٠، ١كو١١: ٢٥). إذن فإن استمرارية العهد الجديد تتوقف على استمرارية كأس الإفخارستيا بدم المسيح الحقيقى فى الكنيسة. لأن السيد قال: "**هذه الكأس** هى العهد الجديد بدمى" ولم يقل فقط "العهد الجديد بدمى". فالكنيسة التى لا يوجد فيها دم المسيح الحقيقى الذى سفك على الصليب، لا يصح أن تدّعى أنها تحيا العهد الجديد وتتمتع بفاعليته ونتائجه. لهذا أمر السيد المسيح تلاميذه قائلاً: "**اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى**" (١كو١١: ٢٥). وهو أمر تكليف للآباء الرسل ولجميع كهنة العهد الجديد أن يصنعوا ويقيموا تذكار موت الرب وقيامته فى الإفخارستيا.

وقال معلمنا بولس الرسول: "فإنكم كلّما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء" (١كو١١: ٢٦).

إننا فى القداس الإلهى لا نتذكر فقط موت الرب المحيى على الصليب، بل نتذكر أيضاً قيامته المقدسة وصعوده إلى السماوات ومجيئه الثانى فى اليوم الأخير {نصنع ذكرى آلامه المقدسة وقيامته من الأموات وصعوده إلى السماوات وجلوسه عن يمينك أيها الآب وظهوره الثانى الآتى من السماوات المخوف المملوء مجداً} (القداس الباسيلى). لهذا قال "تخبرون بموت الرب **إلى أن يجيء** "وعبارة "**يجيء**" تشير إلى **من قام وصعد حياً وسوف يجيء فى مجده** الذى هو أيضاً مجد أبيه.

كهنوت على رتبة ملكى صادق

إن الوعد الإلهى بالنبوة عن كهنوت السيد المسيح هو: "أقسم الرب ولن يندم؛ أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق" (عب٧: ٢١). **فكيف يكون كهنوته على رتبة ملكى صادق إلا إذا كانت ذبيحة الإفخارستيا هى نفسها ذبيحة الصليب ومنها تستمد وجودها وفاعليتها.** أى هى امتداد واستعلان سرائرى لذبيحة الصليب التى تم بها الفداء.

إن تقدمة ملكى صادق كانت خبزاً وخمراً وكما قال **قداسة البابا شنودة الثالث**-أطال الرب حياته- إن كهنوت السيد المسيح لا يمكن أن يكون على طقس وترتيب ملكى صادق إلا إذا كان مرتبطاً بتقدمة الخبز والخمر فى سر الإفخارستيا. وهو أيضاً رئيس كهنة لأن كهنة العهد الجديد يخدمون تقدمة الإفخارستيا فى سر القربان المقدس فى القداس الإلهى. وإلا كيف يكون هو رئيس كهنة بدون كهنة للعهد الجديد؟

هل يحتاج إلى ذبيحة عن نفسه؟!

أبرز القديس بولس الرسول الفرق الشاسع بين كهنوت السيد المسيح والكهنوت اللاوى أى كهنوت رؤساء كهنة اليهود من نسل هارون.

فمن جهة أوضح أن ذبائح العهد القديم الحيوانية لا تستطيع أن تخلّص الإنسان من الهلاك الأبدى. أما **ذبيحة السيد المسيح الذى بروح أزلى قدّم نفسه لله بلا عيب فهى القادرة أن تكفّر عن خطايا البشر.**

ومن جهة أخرى أوضح أن **كهنوت السيد المسيح هو بقسم من الآب وإلى الأبد**. أما الكهنوت الهارونى فهو بدون قسم وليس إلى الأبد.

كما أوضح أن رؤساء الكهنة من نسل هارون كانوا "كثيرين من أجل منعهم بالموت عن البقاء" (عب٧: ٢٣)، أما السيد المسيح باعتباره رئيس الكهنة الأعظم **فهو حى إلى الأبد ولا يحتاج إلى بديل ليحل محله.**

وأوضح أيضاً أن رؤساء كهنة العهد القديم كانوا يقدّمون **ذبائح أولاً عن أنفسهم ثم عن خطايا الشعب**، أما السيد المسيح فلم يقدّم ذبيحة أولاً عن نفسه ثم ذبائح عن خطايا الشعب، بل **قدّم نفسه مرة واحدة ليغفر خطايا شعبه. لأنه هو نفسه لم يكن محتاجاً إلى ذبيحة عن نفسه.** ولذلك كتب القديس بولس الرسول يقول فى رسالته إلى العبرانيين عن السيد المسيح: "**الذى ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة أن يقدم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب، لأنه فعل هذا مرة واحدة، إذ قدّم نفسه**" (عب٧: ٢٧). واستطرد قائلاً: "فإن الناموس يقيم أناساً بهم ضعف رؤساء كهنة. **وأما كلمة القسم التى بعد الناموس فتقيم ابناً مكملاً إلى الأبد**" (عب٧: ٢٨).

إذن لم يكن السيد المسيح محتاجاً أن يقدم ذبيحة عن نفسه لأنه هو "قدوس القدوسين" (دا ٩: ٢٤) الذى بلا خطية وحده. فهو بالطبع لم يرث خطية آدم، ولم يكن لديه أى ميل للخطية، ولم تكن إمكانية الخطية مفتوحة بالنسبة له على الإطلاق. بل بارك طبيعتنا فيه حينما أخذ ناسوتاً بشرياً من العذراء القديسة مريم بفعل الروح القدس وجعله واحداً مع لاهوته منذ اللحظة الأولى للتجسد الإلهى. وقال لها الملاك: "الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يدعى ابن الله" (لو ١: ٣٥).

لقد شابهنا السيد المسيح فى كل شئ ما خلا الخطية وحدها. وكانت طاعته الكاملة للآب فى الجانب الإيجابى أى فى أنه حمل خطايا غيره ودفع ثمن عقوبتها وهو برئ "لأنه فيما **هو قد تألم** مجرباً يقدر أن يعين المجربين" (عب٢:

١٨). لهذا قال معلمنا بولس الرسول: "**فإن الناموس يقيم أُناساً بهم ضعف رؤساء كهنة. وأما كلمة القسم التى بعد الناموس فتُقيم ابناً مكملاً إلى الأبد**" **(عب٧: ٢٨).**

أى أن رؤساء كهنة العهد القديم فى الكهنوت الهارونى كان **بهم ضعف** بسبب وراثتهم الخطية الأصلية من أبوينا الأولين آدم وحواء. ولذلك كان على رئيس الكهنة الهارونى "أن يقدّم ذبائح أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب" (عب٧: ٢٧). أما السيد المسيح فلأنه كان خالياً تماماً من ضعفات الخطية فلم يقدم ذبائح عن نفسه أولاً ثم عن خطايا الشعب، بل قدّم نفسه ذبيحة واحدة كاملة عن خطايا الشعب تكفى للتكفير عن خطايا العالم كله لكل من يؤمن وينال العماد المقدس. لهذا قال عن السيد المسيح: "لأنه فعل هذا **مرة واحدة**. إذ قدّم نفسه" (عب٧: ٢٧).

إن هذه المنظومة الجميلة المتناظرة التى قدّمها بولس الرسول صارت كما يلى:

- **المسيح ليس فيه ضعف وقدّم نفسه مرة واحدة**، أما رؤساء كهنة اليهود فبهم ضعف فيقدمون ذبائح عديدة.
- **المسيح "حى"** (عب٧: ٢٥) لذلك فهو رئيس الكهنة الأعظم الدائم إلى الأبد، أما رؤساء كهنة اليهود "قد صاروا كهنة كثيرين من أجل منعهم بالموت عن البقاء" (عب٧: ٢٣).
- **المسيح أخذ كهنوته بقسم على رتبة ملكى صادق**، أما رؤساء كهنة اليهود فبدون قسم على رتبة هارون.
- **المسيح قدّم ذبيحة كاملة** "بروح أزلى قدّم نفسه لله بلا عيب" (عب٩: ١٤)، أما رؤساء كهنة اليهود فكانوا يقدمون قرابين وذبائح حيوانية "لا يمكن من جهة الضمير أن تكمل الذى يخدم" (عب٩:٩).
- **المسيح دخل إلى الأقداس السماوية**، أما رؤساء كهنة اليهود فكانوا يخدمون شبه السماويات فى الخيمة أو فى هيكل سليمان.

لهذا قال: "فلو كان بالكهنوت اللاوى كمال –إذ الشعب أخذ الناموس عليه– ماذا كانت الحاجة بعد إلى أن يقوم كاهن آخر على رتبة ملكى صادق، ولا يقال على رتبة هارون" (عب٧: ١١). هذا هو كهنوت السيد المسيح، كهنوت العهد الجديد الذى يخدم ذبيحة الإفخارستيا بالخبز والخمر على طقس ملكى صادق؛ الذى قدّم خبزاً وخمراً فى زمانه كما قدّم السيد المسيح جسده ودمه لتلاميذه فى ليلة آلامه وقال لهم: "هذا هو جسدى.. هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين" (مر١٤: ٢٢، ٢٤)، "اصنعوا هذا لذكرى" (١كو١١: ٢٤، لو٢٢: ١٩). وبهذا الكهنوت فى سر القربان المقدس يكون السيد المسيح هو رئيس الكهنة الأعظم، أما الكهنة فى رتبهم المتنوعة فهم خدام سر الإفخارستيا. وعموماً هم وكلاء أسرار الله. فالسيد المسيح هو رأس الكنيسة الجامعة، أما الآباء البطاركة فهم رؤساء الكنائس المحلية حسب كراسيهم الرسولية.

شمس البر الشافية

قال السيد المسيح: "أنا قد جئت نوراً إلى العالم حتى كل من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة" (يو١٢: ٤٦) وقال أيضاً: "**أنا هو نور العالم. من يتبعنى فلا يمشى فى الظلمة بل يكون له نور الحياة**" (يو٨: ١٢). استطاع السيد المسيح أن يغيِّر حياة الكثيرين ويجعلهم يتركون حياة الشر والخطية ويحوّلهم إلى قديسين. وهكذا تغيّرت صورة البشرية من صورة مهلهلة وممزقة وضائعة يسيطر عليها الموت، إلى صورة تنهض لكى تسترد كرامتها مرة أخرى. فيقول الكتاب "**أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله**" (يو١: ١٢). مثلما قال إشعياء لأورشليم: "**قومى استنيرى لأنه قد جاء نورك ومجد الرب أشرق عليكِ**" (إش٦٠: ١). وقال ملاخى النبى: "**ولكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر والشفاء فى أجنحتها**" (مل٤: ٢). ما هى الشمس التى لها أجنحة شافية؟!.

شمس البر والشفاء فى أجنحتها

ربنا يسوع المسيح الذى كان معلقاً على الصليب وذراعاه ممدودتان كان هو شمس البر المجنحة لليمين ولليسار وهو ينادى قائلاً: "تعالوا إلىَّ يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال وأنا أريحكم" (مت١١: ٢٨). فقد كان –على الصليب– يمثّل أحضان الله المفتوحة، كما يمثّل النور الذى أشرق على عالم مظلم سيطرت عليه الخطية فجاء هو نوراً للعالم وأضاء للخطاة لكى يتوبوا ويبدأوا حياة جديدة مع الله.

التحرر من سيطرة الشيطان

كثير من الخطاة الذين كانت عليهم أرواح شريرة تحرروا من سلطان الشيطان على يدى السيد المسيح. فقد أخرج من مريم المجدلية مثلاً سبعة شياطين.. والمجنون الأعمى والأخرس أخرج منه ستة آلاف شيطان. لأن الشيطان قال: "اسمى لجئون لأننا كثيرون" (مر٥: ٩). ولجئون معناها كتيبة قوامها ستة آلاف جندى. ولذلك لما خرج هذا اللجئون من الإنسان ودخل فى قطيع الخنازير الضخم، اندفع القطيع من الجرف إلى البحر. وكان نحو ألفين. فاختنق ومات (انظر مر٥: ١٢، ١٣).

كان هذا لكى نعرف كيف كان للشيطان سلطان على الإنسان المسكين، ذلك الذى جاء السيد المسيح ليحرره. "وكانت شياطين أيضاً تخرج من كثيرين وهى تصرخ وتقول: أنت المسيح ابن الله" (لو٤: ٤١) وكانت تصرخ أيضاً قائلة: "مالنا ولك يا يسوع ابن الله. أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا" (مت٨: ٢٩). **فكانت جحافل الظلمة تهرب من أمام وجهه.** ولهذا قال لهم: "إن كنت لست أعمل أعمال أبى فلا تؤمنوا بى" (يو١٠: ٣٧).

نور أشرق

هو نور، وقد أشرق فعلاً فلا يستطيع أى شيطان أن يقف فى طريقه.. وكان هذا النور يزحف وفى زحفه تهرب الظلمة وتنهزم أمامه. ففى كل مكان كان يذهب إليه السيد المسيح كانت مملكة الشيطان تهتز. ولذلك قال اليهود: "ما هو هذا التعليم الجديد لأنه بسلطان يأمر حتى الأرواح النجسة فتطيعه" (مر١: ٢٧).

بهتت الجموع من إخراج الشياطين لأنه لم يقدر أى نبى قبل السيد المسيح أن يخرج شيطاناً من إنسان. لهذا قال السيد المسيح لليهود: "إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله" (مت١٢: ٢٨).

وقد تاب كثير من الخطاة على يدى السيد المسيح مثل: **المرأة الخاطئة** التى غسلت رجليه بدموعها ومسحتهما بشعر رأسها (انظر لو٧: ٣٦-٥٠). **وزكا العشار** الظالم المحب للمال (انظر لو١٩: ١-١٠). **ولاوى** الذى كان جالساً عند مكان الجباية "فقال له اتبعنى" (مر٢: ١٤) فقام وتبعه تاركاً كل شئ. **والمرأة الزانية** التى "أُمسكت وهى تزنى فى ذات الفعل.. فقال لها يسوع ولا أنا أدينك اذهبى ولا تخطئى أيضاً" (يو٨: ٤، ١١).

إن ما حدث كان عبارة عن حالة زحف عجيب جداً..!! حياة تسرى على وجه الكرة الأرضية مثل نور الصباح إذا أشرقت الشمس، أو مثل النار إذا اشتعلت فى حقل تبن فلا يستطيع أحد أن يطفئها. ولذلك شعر الشيطان إن مملكته أصبحت فى خطر.. فلم يكن أمامه إلا حل واحد فقط وهو أن يتآمر على قتل السيد المسيح.

الحل الوحيد

لم يستطع الشيطان أن يقف صامتاً وهو يرى حصونه المنيعة تدك الواحدة تلو الأخرى. فقد كانت حصونه تنهار وتتساقط، وصورته هو وجنوده الشياطين تهتز فى نظر الجميع، لأنه عجز عن الدفاع عن مملكته. فلم يجد أمامه وقتئذ، إلا حلاً واحداً وهو أن يتآمر على قتل السيد المسيح.. وبالرغم من خوفه هو شخصياً من قتل السيد المسيح لأن النبوات قد أشارت إلى أنه بقتل السيد المسيح يتم الخلاص والفداء إلا أنه لم يجد أمامه حلاً آخر.

بين نارين

كان الشيطان كمن هو قائم بين نارين: نار النبوات التى تقول "الرب وضع عليه إثم جميعنا" (إش٥٣: ٦) و"جعل نفسه ذبيحة إثم" (إش٥٣: ١٠) و"مجروح لأجل معاصينا" (إش٥٣: ٥)، ونار الهزيمة التى كان ينهزم بها أمام السيد المسيح.

أما السيد المسيح فقد كان يخفى ألوهيته فى بعض المواقف، ويظهر شيئاً من الضعف البشرى لكى يجعل الشيطان يفقد حذره. فكان يتعب من المشى مثلاً، أو يجوع ويعطش. فحينما كان الشيطان يرى منه ذلك كان يطمئن ويظن أن فى إمكانه التخلّص من السيد المسيح. وإذ رآه يبكى عند قبر لعازر تشجّع أن يكمل المؤامرة التى بدأها.

لماذا يغامر الشرير ؟

لماذا يحب الشرير أن يغامر فى مؤامراته؟.. **يغامر الشرير لأن قوة الحقد التى فى داخله أقوى من قوة الحذر المحيطة به. فهو يشعر أنه يخاطر، لكنه لا يستطيع ألا يدخل فى المخاطرة. لأن الغيظ والحقد والكراهية تعمى بصره عن أن يحذر فيما هو مزمع أن يفعله..!!**

وهذا ما حدث فعلاً: فقد هيّج الشيطان اليهود وكثير من الأشرار. ووضع فى قلب يهوذا الإسخريوطى أن يسلِّم سيده وتمم المؤامرة وتم الصلب، حيث تم الفداء. فعلى الصليب سحق السيد المسيح كل مملكة الشيطان، وهزمه فى عقر داره. وهناك فى الجحيم حطّم المتاريس وأطلق المسبيين وأصعدهم إلى السماء الثالثة أو الفردوس. ثم عاد من الفردوس ليقوم من الأموات فى اليوم الثالث وظهر لتلاميذه مؤكداً أن قوة الحياة التى فيه هى أقوى من الموت الذى لنا. وقال لتلاميذه إنه سوف يمضى لكى يعد لهم ملكوتاً أبدياً سوف يستعلن فى مجيئه الثانى، حينما يأتى ليدين العالم كله.

لماذا أخفى السيد المسيح لاهوته عن الشيطان؟

يقول القديس بولس الرسول: "لأن لو عرفوا لَما صلبوا رب المجد" (١كو٢: ٨).. لو تأكد الشيطان أن يسوع هو الله الظاهر فى الجسد لَما تجاسر أن يصلبه..

لو ظهر السيد المسيح بملء مجده الإلهى لَما احتمل البشر أن يبصروه. لأنه قال لموسى النبى حينما أراد أن يرى ملء مجده: "لا تقدر أن ترى وجهى، لأن الإنسان لا يرانى ويعيش" (خر٣٣: ٢٠). لذلك التحف السيد المسيح بالناسوتية ليخفى مجده حينما تجسد ووُجد فى الهيئة كإنسان.

لقد احتار الشيطان فى فهم سر التجسد بدءًا من إخلاء الله الكلمة لنفسه ليأخذ صورة عبد. ومروراً بكل ما ظهر به السيد المسيح من التواضع فى ميلاده، وهروبه إلى مصر، وحياته البسيطة البعيدة عن مظاهر العظمة، وفى صومه على الجبل، وفى حزنه، وصلاته، وفى أن ينسب لنفسه عدم المعرفة بشأن اليوم الأخير (بحسب إنسانيته) وهو العالِم بكل شئ (بحسب لاهوته).

لقد أصيب الشيطان بالارتباك فكلما شعر أن السيد المسيح هو ابن الله أو قدوس الله يعود فيحتار من تواضعه العجيب خاصة فى مسألة المعرفة. لهذا فقد تجاسر بحماقته وغامر فى إتمام مؤامرة صلب السيد المسيح وابتلعت السمكة الطُعم المخفى فيه صنارة قوية أنهت جميع أحلامها وتمت المقاصد الإلهية فى فداء وتحرير البشر من سلطان الشيطان.

كيف أخفى السيد المسيح لاهوته عن الشيطان؟

هذا الأمر كان فى كل مراحل حياة السيد المسيح من ميلاده إلى موته على الصليب..

كان الشيطان فى حيرة وارتباك عظيمين منذ ميلاد السيد المسيح وما صاحب هذا الميلاد من مظاهر الاتضاع والعظمة فى آنٍ واحد.

فميلاده من عذراء بسيطة متواضعة فى حظيرة للخراف كطفل مقمّط مضطجع فى مزود؛ كان فى تقديره لا يتناسب مع عظمة الإله الكلمة المتجسد. مجرد ميلاده كطفل محتاج للرعاية كان ضد فكر العظمة لدى الشيطان.

ولكن تسابيح جماهير الملائكة فى السماء بعد ظهور الملاك للرعاة الساهرين، هذه التسابيح قد أربكت الشيطان وشعر أن المولود ليس إنساناً عادياً.

وعموماً فإن فكرة أن يُخلى الابن الوحيد نفسه من مجده الإلهى لكى يتجسد من عذراء، ويأخذ صورة عبد "الذى إذ كان فى صورة الله لم يحسب مساواته لله اختلاساً لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس وإذ وُجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (فى٢: ٦-٨)..

فكرة إخلاء الذات فى حد ذاتها كانت بعيدة جداً عن حسابات الشيطان الممتلئ غروراً وكبرياءً. وحقيقة أن السيد المسيح يخفى مجده المنظور عندما تجسد آخذاً صورة عبد؛ كانت فوق تصوُّر الشيطان. لهذا ارتبك الشيطان عند ميلاد السيد المسيح ولم يقدر أن يحدد طبيعة المولود الحقيقية.

المجوس والنجم وهيرودس

جاء المجوس للسجود للسيد المسيح بإرشاد النجم المعجزى الذى قادهم إلى البيت حيث كان الصبى فسجدوا له وقدّموا هداياهم ذهباً ولباناً ومُرّاً.

كان لتلك الأحداث وقع سيئ على الشيطان الذى بدأ يشعر بخطورة المولود "ملك اليهود" (مت ٢: ٢).

ولكنه عندما وجد القديس يوسف يأخذ الصبى وأمه ويهرب إلى مصر من وجه هيرودس الملك شعر أن المولود لا يمكن أن يكون هو ملك الملوك ورب الأرباب. لأنه بحسب فكره: كيف يهرب العظيم من أحد عبيده مثل هيرودس الملك؟ هل يمكن أن يهرب الرب الذى الكل خاضع بعنق العبودية تحت خضوع قضيب ملكه؟ هذا الأمر حيّر الشيطان جداً، إذ لم يفهم أن هروب السيد المسيح إلى مصر كان ضمن خطته الإلهية فى مباركة أرض مصر وشعبها وزعزعة مملكة الشيطان هناك، ولم يفهم أن الهروب إلى مصر كان مرتبطاً بمذبحة أطفال بيت لحم وما قيل عنها من نبوات وما تحمله من رموز، وإن الهروب إلى مصر كان لسبب أن الصليب هو طريق المسيح المولود إلى إتمام الفداء بعد عماده فى نهر الأردن، وبعدما يختار تلاميذه ويعلّمهم ويعلّم الجموع، ويكرز بالإنجيل، ويصنع المعجزات، ويعمل كل ما عمله لتأسيس الكنيسة. فكيف يمكن لطفل مولود أن يفعل كل ذلك ويكون معلّماً وقائداً روحياً، أو أن يحمل الصليب فى الطريق إلى الجلجثة، ولماذا؟

إذن كان من الطبيعى أن يؤجّل السيد المسيح مسألة ذبحه إلى أن يكبر فى السن -بحسب إنسانيته- ويصنع كل ما صنع متمماً نبوات الأنبياء.

إن كنت ابن الله؟

كان الشيطان فى ارتباك -كما قلنا- فى كل مراحل حياة وخدمة السيد المسيح. وظهر ذلك الارتباك أيضاً حينما سمح له السيد المسيح أن يجرّبه بعد صومه الطويل على الجبل فقال له الشيطان: "**إن كنت ابن الله** فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً" (مت٤: ٣). وقال أيضاً: "**إن كنت ابن الله** فاطرح نفسك إلى أسفل" (مت٤: ٦).

ظل هذا السؤال "**إن كنت ابن الله؟**" يتردد فى روع الشيطان إما يردده هو، أو يدفع الآخرين لترديده؛ مثلما قال **قداسة البابا شنودة الثالث –أطال الرب حياة قداسته–** عن هذا السؤال: {ويُرفع المسيح على الصليب والشيطان ما يزال معذباً فى شكوكه، وإذ أخفى الرب عنه قوته ما يزال يسأل سؤاله القديم: "إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب" (مت ٢٧: ٤٠)}.

وبالرغم من أن الشيطان حينما رأى معجزات السيد المسيح قد صرخ قائلاً: "أنا أعرفك من أنت: **قدوس الله**" (مر ١: ٢٤)، إلا أنه عاد فشك فى ذلك حينما كان السيد المسيح يتصرف بطريقة إنسانية طبيعية مثل أنه يصلى إلى الآب، أو أن يحتمل قول اليهود عنه أنه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين، أو أن يتكلم عن آلامه وصلبه وموته بواسطة الأشرار. مثلما كتب **قداسة البابا** عن شك الشيطان فى لاهوت السيد المسيح بعد أن ادّعى أنه قد عرفه من هو {ولكنه يسمع الرب بعد ذلك مباشرةً يُظهر لتلاميذه أنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم "ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفى اليوم الثالث يقوم" (مت١٦: ٢١) فيتعجب **كيف يكون هو ابن الله ويتألم ويُقتل؟!**}.

وقد شرح قداسة البابا شنودة الثالث سبب إخفاء السيد المسيح قوة لاهوته عن الشيطان فقال: {فى الواقع إنه من أبرز الأسباب التى تجعل البعض يظن أن السيد المسيح كان ضعيفاً هو أن الرب كان باستمرار يخفى قوته. كان يخفيها من باب الاتضاع، وكان أيضاً يخفيها عن الشيطان لدرجة أن الشيطان كان يقف متحيراً أمام حقيقة المسيح يسأل نفسه أهو حقاً المسيح أم أنه ليس هو؟ "يا ترى هو واللا مش هو؟". **ولم يكن من الصالح أن يعرف الشيطان حقيقة المسيح لئلا يبذل جهده لعرقلة عمل الفداء لأن الشيطان لا يحب خلاص العالم وكان يتمنى أن ذلك لا يتم**}.

ثم استطرد **قداسة البابا شنودة الثالث** –أطال الرب حياة قداسته– وعرض كثير من الأمثلة لهذا الشك الذى وقع فيه الشيطان نتيجة لإخفاء الرب قوته الإلهية عنه وأورد ذلك كله فى كتاب "**مجموعة تأملات فى أسبوع الآلام**" فى الصفحات من ٦٧ إلى ٧٥ وهى نفسها التى أوردها فى الكتاب الثانى من هذه الكتب بعنوان "**لك القوة والمجد**" فى الصفحات من ٣٧ إلى ٤٩. وسوف نجد فى هذه الأمثلة الكثير والكثير مما نستفيد منه فى فهم هذا الموضوع العقائدى المهم.

الباب التاسع

المسيح فى القبر

كيف انتحر الموت؟

لقد سمعنا كثيراً عن انتحار الأحياء.. ولكن هل من الممكن أن ينتحر الموت؟!..

نعم. لقد انتحر الموت عندما ابتلع الحياة. لأنه ابتلع ما هو ضده.. ابتلع ما هو أقوى منه.. لم يستطع أن يمسكه.. وكان أضعف من أن يحتويه أو أن يحتمله.

ابتلع الموت الحياة، فابتُلع الموت من الحياة.. وانهزم الموت، وضاعت هيبته، وانكسرت شوكته، وضاع سلطانه وانحسرت سطوته، وانقلب كيانه، وتبددت قوته، وغابت غلبته، وافتضحت أكاذيبه، وجردت أجناده وسلاطينه..

قال القديس غريغوريوس عن موت السيد المسيح المحيى على الصليب **[ذبح الموت الحياة العادية، ولكن الحياة فوق العادية ذبحته]**. أى ذبح الموت حياة السيد المسيح الإنسانية، ولكن حياة الرب الإلهية ذبحته.. وبهذا انتحر الموت.

لماذا يا موت ابتلعت رب الحياة الذى أخفى لاهوته فى الناسوتية التى اتحد بها ليحطمك؟

لماذا تجاسرت أن تقترب ممن له مفاتيح الهاوية والموت، ومن بيده مصائر الخلائق؟

لماذا انحمقت ومثل السمكة المغرورة ابتلعت الطُعم وبداخله السلاح الأقوى منك الذى اصطادك؟

وفى قداس القديس يوحنا ذهبى الفم يُقال للسيد المسيح اللحن التالى {عندما انحدرت إلى الموت أيها الحياة الذى لا يموت، **حينئذ أمتّ الجحيم ببرق لاهوتك**. وعندما أقمت الأموات من تحت الثرى صرخ نحوك جميع القوات السماويين: أيها المسيح الإله معطى الحياة المجد لك}.

من هذه العبارات نفهم أن السيد المسيح قد أبرق بنوره فى الجحيم فتبددت جحافل قوات الظلمة. وأنه قد نزل إلى الجحيم عن طريق الصليب. بمعنى أنه بقبوله الموت جسدياً على الصليب قد دخل بروحه الإنسانى المتحد باللاهوت إلى العالم الآخر.

لقد صار الصليب والحال هكذا مثل منصة الإطلاق التى ينطلق منها صاروخ متعدد الإمكانيات يستطيع أن يخرج خارج نطاق جاذبية الأرض ويصل إلى ما يريد من الكواكب حيث يؤدى مأمورية غير مسبوقة. أو يشبه منصة الإطلاق التى ينطلق من فوقها صاروخٌ يدمّر مركز قيادة العدو فتهرب جيوشه الجرارة مثل الجرذان المرتعدة تلوذ بالفرار ولا تلوى على شئ.

إن يوم الصليب هو يوم هزيمة الشيطان لأن الحق لا ينهزم أبداً والحب أقوى من الموت لأن فيه كانت الحياة.

لهذا يقول سفر نشيد الأناشيد "المحبة قوية كالموت، الغيرة قاسية كالهاوية، لهيبها لهيب نار لظى الرب. مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة والسيول لا تغمرها" (نش٨: ٦، ٧).

الصليب هو فخرنا.. الصليب هو عوننا.. الصليب هو نصرنا.. الصليب هو رجاؤنا.. الصليب هو عزاؤنا.. الصليب هو مجدنا.. الصليب هو دربنا.. الصليب هو برنا.. الصليب هو صخرنا.. الصليب هو سلاحنا الذى به نغلب.

جسد يسوع

"ثم إن يوسف الذى من الرامة، وهو تلميذ يسوع، **ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود**، سأل بيلاطس أن يأخذ جسد يسوع، فأذن بيلاطس، **فجاء وأخذ جسد يسوع**" (يو ١٩: ٣٨).

كان سكان الرامة يحبون اسم يوسف للرجال وراحيل للنساء، لأن راحيل حينما ولدت بنيامين تعسرت ولادتها وتوفيت ودفنت فى الرامة بجوار بيت لحم. وكان يوسف هو ابنها البكر المحبوب من أبيه يعقوب ورمز إلى السيد المسيح، وصار ملكاً على مصر وسجد له إخوته كما أعلن له الرب.

فى بيت لحم ولد السيد المسيح، وعندما ذبح هيرودس الملك أطفال بيت لحم طمعاً فى القضاء على الطفل الملك المولود تحققت نبوة أرميا النبى القائلة "صوت سُمع فى الرامة نوح بكاء مر، راحيل تبكى على أولادها وتأبى أن تتعزى عن أولادها، لأنهم ليسوا بموجودين" (أر ٣١: ١٥، انظرمت ٢: ١٨).

لم تكن مصادفة أن يدفن يوسف الرامى جسد يسوع.. لأن راحيل الحقيقية الآن هى مريم أم يسوع تبكى وحيدها الذى قتله اليهود.. ونساء اليهودية يبكين معها من أجل الملك الذبيح. ولكن وعد القيامة كان هو مصدر العزاء، لأن الذى مات بحسب الجسد كان هو الحى الذى لا يموت الذى قهر الموت بسلطان لاهوته وقام من الأموات منتصراً، لم تعد راحيل العهد الجديد لا تريد أن تتعزى، بل هذا هو وقت العزاء والفرح بالخلاص الذى تم.

كان يوسف الرامى تلميذاً ليسوع ولكن خفية لسبب الخوف من اليهود، ولكنه لما أخذ جسد يسوع تحول من الخوف إلى المجاهرة، وذهب ليدفن على مرأى ومسمع من اليهود المنافقين.

إن من يأخذ جسد يسوع فى سر القربان المقدس مثل يوسف يتحول الخوف فيه إلى شجاعة، فلا يعود يرهب الشياطين، وقوات الظلمة الروحية، بل يصير تلميذاً قوياً شاهداً للرب.

التناول من جسد يسوع يمنح قوة وشجاعة وثباتاً فى المسيح ومجاهرة بالإيمان به كفادٍ ومخلص..

فلنفهم إذاً قوة هذا الجسد، وكيف تعمل فينا عجباً فى سر القربان المقدس!!

لقد حمل يوسف ونيقوديموس جسد يسوع ووضعاه فى القبر، ولكن قوة القيامة كانت فى ذلك الجسد الذى حملاه. لاشك أن الكنيسة قد منحتهما الكهنوت فيما بعد لأنهما حملا جسد الرب بإيمان ووضعاه فى الأكفان.. طوباك يا يوسف الرامى وطوباك يا نيقوديموس.

لفاه بأكفان

"وجاء أيضاً نيقوديموس، الذى أتى أولاً إلى يسوع ليلاً، وهو حامل مزيج مر وعود نحو مئة مناً. فأخذا جسد يسوع، ولفاه بأكفان مع الأطياب، **كما لليهود عادة أن يكفنوا**" (يو ١٩: ٣٩، ٤٠).

كان اليهود يغسلون جسد المتوفى ثم يلفوه بأكفان. الغسل بالماء للتطهير واللف بالأكفان لستر العرى.

ولكن فى دفن جسد السيد المسيح لم يكن هناك وقت لغسل الجسد، وهو غير المحتاج إلى تطهير، بل هو الذى طهّر الخطاة بدمه المسفوك عنهم، وكان السيد المسيح قد صلب عارياً من ملابسه – إذ تعرى من ثيابه ليستر عرى آدم. أو حمل هو عرى آدم ليدفع ثمن خطيته التى شعر بسببها أنه عريان. ولذلك لم يكن الكفن بالنسبة للسيد المسيح لستر العرى بل بالأكثر ليكون شاهداً على القيامة.

الكفن بالنسبة لليهود كان علامة للموت، وبالنسبة للسيد المسيح كان علامة للقيامة، وكل من رأى الكفن من تلاميذه موضوعاً فى القبر الفارغ آمن بالقيامة.

لقد ترك السيد المسيح على الكفن المقدس تذكار موته وقيامته المجيدة بصورة إعجازية انبهر لها العلماء.

بستان فى موضع الصلب

"وكان فى الموضع الذى صلب فيه **بستان**، وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط. فهناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود لأن القبر كان قريباً" (يو ١٩: ٤١، ٤٢).

صلب السيد المسيح فى موضع الجلجثة وهو إشارة إلى الموت والجحيم حيث كانت أرواح المنتقلين فى بيت السجن تنتظر الخروج من الأسر بعمل المخلّص.

وفى الموضع الذى صلب فيه كان يوجد **بستان، هو رمز للفردوس الذى فتحه السيد المسيح بعد أن دفع ثمن الفداء على الصليب.** فقد نزل إلى أقسام الأرض السفلى فى الجحيم من قِبل الصليب حيث حرر المسبيين ونقلهم من الجحيم إلى الفردوس. كما أنه أدخل روح اللص اليمين بعد وفاته إلى الفردوس.

فالصليب كان هو طريق السيد المسيح إلى العالم الآخر حيث دخل فى معركة مع مملكة الشيطان "وخرج غالباً، ولكى يغلب" (رؤ٦: ٢) مسجلاً كل تلك الانتصارات لحساب البشرية التى انهزمت أمام الشيطان. ولسبب هذه الانتصارات سبى السيد المسيح سبياً وأعطى الناس كرامات.

كان الصليب هو الطريق إلى الفردوس عبر الجحيم، ولذلك اجتمعت الجلجثة مع البستان الذى فيه دفن جسد يسوع الذى بموته المحيى رد آدم وبنيه إلى الفردوس.

قبر جديد

دفن السيد المسيح فى بستان "وفى البستان **قبر جديد** لم يوضع فيه أحد قط" (يو١٩: ٤١).

كان موت السيد المسيح ليس لسبب خطاياه الشخصية –لأنه بلا خطية– بل نيابة عن آخرين.. ولهذا كان فريداً فى موته.

هو موت من نوع جديد ولهذا دفن فى **قبر جديد..**

قبر جديد فيه لا يستطيع الموت أن يكون له سلطان عليه.

قبر جديد.. بكر.. كما كان الذى دفن فيه هو البكر من الأموات فى قيامته. هو الوحيد الذى مات وقام لكى لا يموت مرة أخرى بل يبقى حياً إلى أبد الآبدين.

قبر جديد فى أنه هو القبر الأول الذى تحول من موضع للنوح إلى موضع للفرح لأن منه خرجت بشرى القيامة، وأنوار القيامة. وفيه رأى التلاميذ ملائكة القيامة.

قبر جديد يليق بآدم الجديد.

قبر جديد لأن الذى دُفن فيه هو الوحيد الذى لم يرَ جسده فساداً منذ آدم.

وقبر جديد ليس فيه عظام أموات، لكى لا يختلط الأمر ويدّعى أحد من الناس أن يسوع قد تحول إلى عظام، وأنه لم يقم، ولهذا ترك الرب قبراً فارغاً ليعلن انتهاء سلطان الموت إلى الأبد.

وقبر جديد ليس فيه فساد أجساد الموتى، ولا رائحة الموت. لأن الذى دُفن فيه كانت تفوح منه رائحة الحياة "ما دام الملك فى مجلسه أفاح ناردينى رائحته" (نش١: ١٢).

دُفن السيد المسيح فى بستان ليؤكد أنه قد سلّم روحه الطاهرة فى يدى الآب، وليس للجحيم سلطان عليه. بل هو موت طريقه الفردوس. فى نزوله إلى الجحيم حطم متاريسه وأخرج الذين فى بيت الحبس، محرراً إياهم من قبضة الموت الأبدى، ناقلاً إياهم إلى الفردوس والنعيم.

ما أعجب اتضاعك يا رب.. حينما قبلت أن توضع الأختام على قبرك، وكأن الموت قد أغلق فمه عليك إلى الأبد!!

ولكنك قمت يا سيدى والحجر مغلق والأختام موضوعة، وخرجت من القبر ناقضاً أوجاع الموت. لتُعلن أن الحياة المتدفقة التى فيك يا قدوس، كانت أقوى من الموت الذى لنا. وأنه لا شئ يستطيع أن يفصلنا عن محبتك المتدفقة يا فادينا ومخلصنا.

يونان والسيد المسيح

مكث السيد المسيح فى القبر ثلاثة أيام وكان اليهود قبل صلبه قد طلبوا منه أن يريهم آية فقال لهم: "جيل شرير وفاسق يطلب آية، ولا تُعطى له آية، إلا آية يونان النبى. **لأنه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلاثة أيام وثلاث ليال**" (مت١٢: ٣٩، ٤٠).

كان السيد المسيح قد صنع أمام اليهود آيات كثيرة. ولكن كثير منهم لم يمكنهم أن يؤمنوا بأنه هو الله الظاهر فى الجسد. كذلك كانت التوبة بعيدة عن قلوبهم، ولم يفهموا مقاصد الله وتدابيره الحقيقية.

كذلك البشرية، كانت غارقة فى ظلال الموت قبل إتمام الفداء. ولم تنفع معها كل الأدوية السابقة، وكل إعلانات الله ومعجزاته فى وسطهم. ولم يتمكن الناموس الإلهى؛ الأدبى أو المكتوب –بالرغم من صدق المقاصد الإلهية– من تحرير الإنسان من ناموس الخطية والموت.

فمن جانب، لم يتمكن كثير من اليهود من التوبة والإيمان بالمسيح إلا بعد صلبه وقيامته. ولهذا قال لهم قبل الصلب: "متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أنى أنا هو" (يو٨: ٢٨).

ومن جانب آخر لم تتمكن البشرية بصفة عامة من التحرر من سلطان إبليس، إلا بعد إتمام الفداء، والكرازة باسم المسيح لغفران الخطايا.

اتخذ السيد المسيح من قصة يونان فى بطن الحوت وسيلة لإيضاح مقاصد الله فى خلاص البشرية. **مؤكداً أن الآية المطلوبة لتحرير البشر من الخطية هى دفن المسيح وقيامته بعد ثلاثة أيام.**

إيمان أهل السفينة

هرب يونان من الرب عندما أمره أن يذهب إلى نينوى المدينة الخاطئة، وينادى لها بالتوبة. وهاج البحر على السفينة وكادت تغرق. ووقعت القرعة على يونان أنه هو السبب فى هياج البحر لسبب هروبه من المناداة على نينوى. وسأل الرجال يونان ماذا يقترح عليهم أن يفعلوه ليهدأ البحر عنهم، لأن البحر كان يزداد اضطراباً. فقال لهم: "خذونى واطرحونى فى البحر، فيسكن البحر عنكم" (يون١: ١٢).

بمعنى أن غضب الله على جميع ركاب السفينة يمكن أن يوفيه موت يونان كحامل للخطية.

وصرخ أهل السفينة إلى الرب قائلين: "آه يا رب، لا نهلك من أجل نفس هذا الرجل، ولا تجعل علينا دماً بريئاً. لأنك يا رب فعلت كما شئت" (يون١: ١٤). ثم ألقوا يونان فى البحر فهدأ البحر عنهم. "فخاف الرجال من الرب خوفاً عظيماً، وذبحوا ذبيحة للرب ونذروا نذوراً" (يون١: ١٦).

وفهم أهل السفينة أن الغضب الإلهى لن يسكت إلا بعد أن يأخذ العدل الإلهى مجراه.

وآمن أهل السفينة بإله يونان ضابط الكون، وقدموا ذبيحة للرب "إله السماء الذى صنع البحر والبر" (يون١: ٩).

وهكذا كان يونان وسيلة لإعلان قداسة الله وسلطانه ورفضه للشر وعدالته.. ووسيلة لإيمان أهل السفينة الذين لم يكونوا يعرفون الله.

يونان فى بطن الحوت

من أجل إنقاذ أهل نينوى من خطاياهم، أُلقى يونان إلى البحر. ولهذا أعد الله حوتاً لابتلاع يونان. فكان يونان فى عمق البحر وفى داخل الحوت فى حكم الميت، كما رآه أهل السفينة، ولكنه كان محفوظاً بقدرة الله حياً فى نفس الوقت. فكان هو الميت الحى، أو الحى الميت (انظر رؤ١: ١٨).

بهذا كان يونان رمزاً للسيد المسيح الذى حمل خطايانا فى جسده على الصليب، وأوفى العدل الإلهى حقه.

وجاز معصرة سخط وغضب الله، ليرفع الغضب واللعنة عن البشرية. وذاق الموت فعلاً بحسب الجسد لهذا السبب. ولكنه فى الوقت نفسه كان –بحسب لاهوته– **حيّاً لا يموت**، لا يقوى عليه الموت.. إذ لا يستطيع أن يمسكه. بل كان أقوى من الموت، **إذ كانت الحياة التى فيه أقوى من الموت الذى علينا.. وكان البر الذى له أعظم من الخطية التى لنا.** ولهذا قام من الأموات حياً منتصراً وقال عنه بطرس الرسول: "**الذى أقامه الله ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه**" (أع٢: ٢٤).

مات المسيح بسبب خطايانا ليوفى الدين عنا، وقام من الأموات ليعلن قداسته وبره وسلطانه الإلهى على الموت، واهباً الحياة للذين يؤمنون به فادياً ومخلّصاً لحياتهم.

مات بسبب خطايا الآخرين، وقام بسبب بره الشخصى غير المحدود، وهو الذى بلا خطية وحده، وليعلن سلطانه الإلهى على الموت.

إن الحوت كان رمزاً للقبر الذى وُضع فيه السيد المسيح. والبحر العميق كان رمزاً للجحيم أو الهاوية التى نزل إليها بروحه، بعد موته على الصليب ليكرز للأرواح التى فى السجن (انظر ١بط٣: ١٩)، بإتمام الفداء، وتحرير المسبيين الذين انتظروا مجيئه ليخلصهم.

وهكذا تسهر الكنيسة ليلة السبت الكبير بعد طقوس الجمعة العظيمة سهرة لها طابع أخروى (إسخاطولوجى)، لتقرأ سفر الرؤيا حيث إعلانات الله عن الآخرة والعالم الآخر، وتسمى تلك الليلة باللغة اليونانية "أبوكالبسيس" أى الرؤيا.

يونان ونينوى

خرج يونان من بطن الحوت ليكرز لأهل نينوى بالتوبة قائلاً: "بعد أربعين يوماً تنقلب نينوى" (يون٣: ٤). **فآمن أهل نينوى بالله** وصاموا وصلوا وصرخوا إلى الرب فسمع صراخهم وقبل توبتهم ورفع غضبه عنهم. **وبالمثل خرج السيد المسيح من القبر ليكرز لتلاميذه ولليهود وللبشرية كلها بالإيمان والتوبة والحياة الجديدة..** رآه تلاميذه فقط (أكثر من خمسمائة أخ)، وآمنوا بالقيامة، ومنح الرسل سلطان الروح القدس لغفران الخطايا. وأرسلهم حاملين "**كلمة المصالحة**" (٢كو٥: ١٩) لدعوة الناس للتصالح مع الله.

وهكذا قال القديس بطرس الرسول للجموع الذين نخسهم الروح القدس فى قلوبهم يوم الخمسين: "توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس.. فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا" (أع٢: ٣٨، ٤١).

كان وجود يونان فى بطن الحوت فى عمق المياه، ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ هو رمز للمعمودية على اسم الثالوث القدوس التى بها يتم خلاص البشر. وهنا نرى الماء والرقم ثلاثة معاً مجتمعين.

كذلك **كان وجود السيد المسيح فى القبر ثلاثة أيام، هو رمز للمعمودية التى على اسم الثالوث والتى نتحد فيها مع المسيح فى موته وقيامته**، كقول معلمنا بولس الرسول: "فدفنا معه بالمعمودية للموت، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة. لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته" (رو٦: ٤، ٥).

وكما أعطى يونان لأهل نينوى أربعين يوماً مهلة للتوبة بأمر الرب، هكذا مكث السيد المسيح أربعين يوماً على الأرض بعد قيامته، وقبل صعوده إلى السماء ليؤكد حقيقة القيامة وليكرز باسمه للتوبة ومغفرة الخطايا. **حقاً كان صلب السيد المسيح وقيامته هى الآية التى احتاجتها البشرية لتنال الخلاص.**

ما بين الموت والقيامة

قال **قداسة البابا شنودة الثالث** –أطال الرب حياته– إن السيد المسيح [بموته قد حل مشكلة الخطية، وبقيامته قد حل مشكلة الموت] بالنسبة للإنسان..

فالموت قد دخل إلى العالم لسبب الخطية، فكان لابد أن تحل مشكلة الخطية أولاً، قبل أن تُحل مشكلة الموت.

ولهذا لم يرغب السيد المسيح أن يكون انتصاره على الموت هو بتغلبه عليه دون أن يموت. بمعنى أن لا يتأثر بالجلدات والمسامير والأشواك والصلب وسفك دمه.

الانتصار بهذه الصورة كان سيحسب للمسيح شخصياً، وليس فيه تكفير ولا غفران لخطايا البشر.

كان باستطاعته أن يفعل ذلك بسلطان لاهوته، ولكنه لم يأتِ إلى العالم لكى ينتصر على الموت لحساب نفسه فقط، دون أن ننتفع نحن شيئاً..

ولكن السيد المسيح قد انتصر على الموت بطريقة أخرى، وهى أن يقدِّم نفسه ذبيحة تكفيراً لخطايانا، ثم يقوم متحرراً من سلطان الموت. لأنه "لم يكن ممكناً أن يُمسك منه" (أع٢: ٢٤).

لقد مات عن آخرين وليس لسبب خطايا شخصية تخصه، بل لسبب خطايا آخرين. كما هو مكتوب بالنبى القائل: "جعل نفسه ذبيحة إثم.. حمل خطية كثيرين، وشفع فى المذنبين" (إش٥٣: ١٠، ١٢).

فلأن الموت الذى ماته هو عن آخرين، ليوفى الدين الذى عليهم.. **لهذا قام بحسب استحقاق بره الشخصى**: ليعلن الله بهذا أنه وجد كل مسرته فى البار القدوس، الذى قدّم طاعة كاملة حتى الموت.

ففى الموت أوفى دين الخطايا الذى لآخرين.. وفى القيامة أعلنت برارته الشخصية كقدوس بلا خطية. لهذا قال معلمنا بولس الرسول إن المسيح قد "أُسلم من أجل خطايانا، وأُقيم لأجل تبريرنا" (رو٤: ٢٥).

فى الموت دُفع ثمن الخطية، وفى القيامة أُعلن بر الذبيحة التى قُدمت وبها قد تبررنا. وفى هذا ينطبق تماماً كلام معلمنا بولس الرسول: "كما **بخطية واحدة** صار الحكم إلى جميع الناس للدينونة، هكذا **ببر واحد** صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة" (رو٥: ١٨). و"**لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد، فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح**" (رو٥: ١٧).

وفى حديثه هذا تحدث عن "آدم الذى هو مثال الآتى" (رو٥: ١٤).

وعقد مقارنة جميلة بين آدم والمسيح كما ذكرنا، وكما أكدّ القديس بولس مرارًا فقال: "لأنه إن كان بخطية **واحد** مات الكثيرون. فبالأولى كثيراً نعمة الله والعطية بالنعمة التى **بالإنسان الواحد يسوع المسيح** قد ازدادت للكثيرين" (رو٥: ١٥).

وأكثر من هذا فقد أوضح معلمنا بولس الرسول أن هبات الله قد تفاضلت جداً، أكثر مما استوجبته خطية الواحد الذى هو آدم الأول من عقوبة. لأن الملك الذى يعاقب يكتفى بوفاء الدين فقط. أما الملك حينما يعطى هبة فإنه يعطى بحسب غناه فى المجد.. وبحسب كرم الملك.

وعاد القديس بولس يؤكد: "وليس كما بواحد قد أخطأ هكذا العطية. لأن الحكم من واحد للدينونة، وأما الهبة فمن جرى خطايا كثيرة للتبرير" (رو٥: ١٦).

إن ذبيحة الصليب فى قيمتها قد فاقت كل مديونية آدم وبنيه.. لأن قيمتها غير محدودة إذ هى ذبيحة الله الكلمة المتجسد.. لهذا قال: "ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة".

ما الذى يمكن أن نصف به محبتك يا رب؟ حقاً ليس شئ من النطق يستطيع أن يحد لجة محبتك للبشر.. إن الأزمنة كلها لن تكفى لكى نوفيك حقك من الشكر. لهذا فالأبدية سوف تمتد بلا حدود حيث تشكرك كل الخليقة معاً من أجل عظم صنيعك غير الموصوف.

الباب العاشر

قيامة السيد المسيح

الأختام و التو ثيق

إن محاولة اليهود مقاومة تحقيق قول السيد المسيح عن قيامته فى اليوم الثالث قد أدت إلى توثيق القيامة بأختام الدولة الرومانية.

لأن الوالى بيلاطس قال لليهود عندكم أختام وحراس فافعلوا ما تريدون. فذهبوا وختموا القبر بالأختام الخاصة بالدولة، ووضعوا الحراس. وبهذا تم عمل محضر بالأختام وبوضع الحراس وتم توثيق القيامة.. لأن القبر الفارغ فى بداية اليوم الثالث كان برهاناً قوياً على قيامة الرب بالرغم من الحجر والأختام والحراس.

لقد ختم اليهود على جسد الرب فى يوم السبت، وتصوّروا بذلك أنهم قد تخلّصوا منه معطين إياه راحة إجبارية (على النظام اليهودى) !!..

ولكن الرب قد ختم على كنيسته فى يوم أحد العنصرة (فى يوم الخمسين) بختم الروح القدس. مثلما قام فى أحد السبوت أى فى يوم الأحد معلناً أن الحياة الجديدة والراحة الحقيقية هى فى أول الأسبوع الجديد أى فى يوم الأحد.

إن أول الأسبوع الجديد هو اليوم الثامن الذى يقع خارج الأسبوع القديم وهو إشارة إلى الحياة الجديدة وإلى الحياة الأبدية التى تقع خارج هذا الزمان الحاضر.

✞ **لقد تم توثيق ميلاد السيد المسيح فى بيت لحم بالاكتتاب الأول** الذى صدر به أمر من أوغسطس قيصر وجرى إذ كان كيرينيوس والى سوريا (انظر لو٢: ٢).

✞ **وتم توثيق موت السيد المسيح بحكم الإعدام صلباً** الذى أصدره الوالى الرومانى بيلاطس ممثل قيصر روما فى أورشليم فى ذلك الحين. ولابد أن توثق أحكام الإعدام عند الوالى.

✞ **وتم توثيق قيامة السيد المسيح بمحضر ختم القبر** الذى طلبه اليهود وأصدر الوالى الرومانى أمراً بتنفيذه وبوضع الحراس إلى اليوم الثالث وذلك بعد أن تأكد من جنوده عن موت السيد المسيح بعد أن طعنه جندى بالحربة. حقاً لقد ولد السيد المسيح وصلب ومات وقبر وقام من الأموات فى اليوم الثالث.

لماذا قام باكراً جداً فى أول الأسبوع؟

لقد أخبر السيد المسيح تلاميذه أنه سوف يقوم من الأموات فى اليوم الثالث. وقد وصلت هذه الأخبار إلى اليهود قبل الصلب بفترة من الوقت. ولذلك فبعد موت السيد المسيح على الصليب ووضعه فى القبر، ذهبوا إلى بيلاطس وقالوا له: "قد تذكّرنا أن ذلك المضل قال وهو حى: إنى بعد ثلاثة أيام أقوم، فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتى تلاميذه ليلاً ويسرقوه.. فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى" (مت٢٧: ٦٣، ٦٤).

لذلك حرص السيد المسيح أن يقوم باكراً جداً فى يوم الأحد أى فى أول الأسبوع حتى تحدث القيامة قبل انصراف الحراس بوقت كافٍ. ولكى ينصرف الحراس بعد مجيء الملاك ودحرجته الحجر عن باب القبر مع

الزلزلة التى حدثت، وبعد أن يكتشفوا على أثر ظهورات ملائكة القيامة أن القبر فارغاً، ولم يبصروا جسداً ميتاً بداخله بعد اختفاء الملائكة لأن السيد المسيح قام قبل دحرجة الحجر عن باب القبر.

وفى انصراف الحراس فى بداية اليوم دليل على قيامة السيد المسيح. لأنه كان من المفروض أن يستمروا فى الحراسة إلى غروب يوم الأحد.

ولكن أخبار القيامة بدأت تنتشر من فجر الأحد واستمرت فى الانتشار طوال اليوم.

وبعد أن أصبح بقاؤهم شيئاً مخجلاً أمام النسوة وكل من يحضر لمشاهدة القبر الفارغ، جاء الحراس إلى المدينة فى أول اليوم وأخبروا اليهود بكل ما كان فأعطوهم فضة كثيرة لكى لا يتحدثوا مع أحد بأخبار القيامة، بل يقولوا إن تلاميذه قد أتوا ليلاً وسرقوه وهم نيام، ووعدوهم بأنهم يستعطفون الوالى من أجلهم لكى لا يؤذيهم لسبب نومهم أثناء الحراسة.

وهنا نتساءل: كيف أبصر الحراس تلاميذه وهم يسرقونه إن كانوا نياماً؟! لأن النائم لا يستطيع أن يبصر شيئاً!!..

وكيف تنازل اليهود عن نوم الحراس وسرقة جسد السيد المسيح؟ ولماذا لم يطالبوا بإعدام الحراس حسب القانون الرومانى؟!!

وكيف يستعطف اليهود الوالى من أجل الحراس فى الوقت الذى كانوا فيه حريصين جداً أن لا يُترَك القبر بلا حراسة لئلا يأتى تلاميذه ويسرقوه ويقولون إنه قد قام فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى حسب قولهم؟!

أى أن أخبار القيامة بالنسبة لهم تعتبر أفظع من إقرار السيد المسيح عن نفسه أنه هو "المسيح ابن المبارك" (مر١٤: ٦١) أمام مجمع السنهدريم عندما سأله رئيس الكهنة عن ذلك!!.

جسد الرب يسوع

قام السيد المسيح من الأموات باكراً جداً فى أول الأسبوع أى فى يوم الأحد وترك القبر فارغاً والحجر موضوعاً ومختوماً والحراس الرومان يحرسون حراسات الليل والنهار.

"وإذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن باب القبر وجلس عليه. وكان منظره كالبرق، ولباسه أبيض كالثلج. فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات" (مت٢٨: ٢-٤) ولكنهم لم يبصروا الرب القائم من الأموات.

وجاءت المريمات إلى القبر حاملات الطيب "وكن يقلن فيما بينهن: من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر. فتطلعن ورأين أن الحجر قد دُحرج لأنه كان عظيماً جداً. ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حُلة بيضاء فاندهشن. فقال لهن لا تندهشن، أنتن تطلبن يسوع الناصرى المصلوب، قد قام، ليس هو ههنا. هوذا الموضع الذى وضعوه فيه. لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل" (مر١٦: ٣-٧)

بعد ذلك تأكد الحراس من خلو القبر الفارغ سوى من الأكفان، فذهبوا بسرعة إلى المدينة وأخبروا رؤساء اليهود بما حدث، وأنه لم يكن بمقدورهم أن يمنعوا القيامة الفائقة للطبيعة. وأنه قد أسقط فى أيديهم، فليس من الممكن حراسة من هو فوق الزمان والمكان.

تآمر اليهود

شعر رؤساء اليهود بالورطة التى أدخلوا أنفسهم فيها حينما طلبوا من الوالى الرومانى أن يختم القبر بأختام الدولة الرومانية ويضع له الحراسات اللازمة لضبط القبر إلى اليوم الثالث. وها هى القيامة التى حاربوها وقد أصبحت موثقة رسمياً بأختام الدولة وفى سجلاتها فى محضر الأختام وتعيين الحراسة.

وفكروا فى الخروج من هذا المأزق فقالوا للحراس قولوا إن تلاميذه قد أتوا ليلاً وسرقوا جسده ونحن نيام ونحن نستعطف الوالى لكى لا يعاقبكم وأعطوهم فضة كثيرة لترديد هذا القول.

وهل من الممكن أن ينام الحراس أثناء دحرجة الحجر العظيم وما ينتج عن ذلك من ضوضاء شديدة؟!

كيف يُقال أن الجسد قد سُرق؟

ألا يستطيع اليهود أن يبحثوا عن جسد الرب يسوع فى كل بيوت أورشليم؟

ألا يستطيع اليهود أن يبحثوا عنه فى كل جبال اليهودية؟

ألا يستطيع اليهود أن ينقبوا الأرض فى كل مكان باحثين عن الجسد؟

ألا يمكنهم مطالبة الوالى الرومانى بإرسال الجنود فى كل مكان موضع للبحث عن جسد يسوع؟

ألم يكن التلاميذ فى يوم أحد القيامة موجودين فى أورشليم فى العلية والأبواب مغلقة لسبب الخوف من اليهود؟

لماذا لم يفتشوا منازلهم؟ لماذا لم يحققوا معهم فرداً فرداً لتقصى الحقائق عن جسد يسوع وأين هو؟

هل من السهل إخفاء جثمان بأكمله مميز بآثار الجراحات مثل الحربة فى جنبه والمسامير فى يديه ورجليه وإكليل الشوك على رأسه؟

إن أول شئ تبحث عنه قوات الشرطة عند ارتكاب أى جريمة هو البحث عن جثمان القتيل. ولا يمكن أن يختفى الجثمان لو دفن فى الأرض لأن رائحته تدل عليه لو كان جثماناً لإنسان عادى (أما الرب يسوع فإن جسده لم يرَ فسادًا كعربون للقيامة وذلك حسب نبوة المزمور). كما أن الجثمان لا يمكن أن يختفى لو ألقى فى بحر أو فى نهر أو فى بحيرة لأن المياه تدفعه إلى الشاطئ ولابد أن يطفو على سطح المياه، ولابد أن يظهر ولو بعد أيام.

ولو كان قول اليهود صحيحاً بأن السيد المسيح هو المضل كما ذكروا للوالى ولغيره؛ لماذا لم يرَ جسده فسادًا بدليل عدم وجود أية رائحة تدل على ذلك لا فى القبر الفارغ ولا فى أيدى وملابس التلاميذ الذين أدّعى اليهود أنهم سرقوه قبل فجر الأحد مباشرة

القيامة قوة لا يمكن مقاومتها

استمر السيد المسيح يظهر بعد قيامته لمدة أربعين يوماً لتلاميذه وأحبائه القديسين فقط، أما اليهود فكانوا فى حيرة وارتباك، لا يملكون أن يفعلوا شيئاً ضد عظمة القيامة المجيدة وروعتها سوى ترديد الأكاذيب المكشوفة التى لا يقبلها العقل.

وبعد أن ظهر السيد المسيح لأكثر من خمسمائة شخص من المؤمنين به صعد إلى السماء أمام أعين أحبائه بعدما باركهم وأوصاهم أن يكونوا له شهوداً فى العالم كله بأنه قد قام حقاً من الأموات.

وبعدما مكثوا عشرة أيام فى أورشليم حل عليهم الروح القدس وهم مجتمعون للصلاة، وبدأوا يبشرون بقيامة السيد المسيح الذى قدّم نفسه ذبيحة وقرباناً للآب من أجل خلاص البشرية.

وانزعج اليهود جداً من تبشير الرسل بالقيامة وقالوا لهم أتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان؟ ولكن قوة القيامة وبشرى القيامة كانت أقوى من كل تهديدات اليهود. وهكذا خرجت البشارة بالإنجيل إلى كل العالم لأن الحق هو الذى ينتصر فى النهاية.

"دخلوا المدينة المقدسة" (مت٢٧: ٥٣)

بعد قيامة السيد المسيح، خرج كثير من أجساد القديسين الراقدين من القبور، ودخلوا المدينة المقدسة (أورشليم) وظهروا لكثيرين (انظر مت٢٧: ٥٠-٥٣).

كان هؤلاء القديسون قد دفنوا خارج المدينة المقدسة. لأن الموت فى العهد القديم كان يعتبر نوعاً من النجاسة، والقبور كانت تعتبر نجاسة بما تحويه من عظام الأموات.

وكان الموت هو أجرة الخطية، وقد لحق بالإنسان بسبب المعصية الأولى.

ولهذا لم يكن الدفن يتم داخل المحلة.. أى داخل المدينة المقدسة، التى هى مدينة الأحياء فقط.

كانت منطقة المقابر خارج أورشليم، تشير إلى وادى ظل الموت، أو إلى وادى الموت. وتشير رمزياً إلى الجحيم.

وقد صُلب السيد المسيح فى الموضع الذى يقال له بالعبرانية جلجثة أى جمجمة-إشارة إلى الموت.

صُلب خارج مدينة الأحياء.. صُلب فى وسط منطقة المقابر والموتى، لأنه حمل عار خطايانا. وهكذا باتضاعه العجيب قَبِل أن يُحسب مع الأموات، ومع الخطاة والأثمة. مع أنه قدوس بلا شر وبلا خطية.

بين الجحيم والفردوس

كما تألّم يسوع خارج الباب فى وسط الأموات، فإنه أيضاً قد نزل إلى الجحيم من قبل الصليب.

ولكنه فى نزوله إلى الجحيم "سبى سبياً، وأعطى الناس عطايا" (أف٤: ٨).

أى أنه نزل منتصراً إلى الجحيم ليحرر الذين رقدوا على رجاء الخلاص من سجن الشيطان.. من أسر إبليس.. من ظلمة الجحيم. ونقلهم معه إلى الفردوس، إلى موضع الراحة والنعيم..

من القبور إلى أورشليم

ولكى يكون ظاهراً للجميع تأثير ما فعله السيد المسيح حينما نقل أرواح القديسين الراقدين من الجحيم إلى الفردوس، فإنه أيضاً بقوته الإلهية قد أقام أجساد كثير منهم فى القبور، وجعلهم يخرجون منها ويدخلون إلى المدينة المقدسة أورشليم، فى نفس يوم قيامته وظهوره للتلاميذ داخل مدينة أورشليم..

وكما صُلب فى وسط القبور إشارةً إلى نزوله إلى الجحيم لكى يبيد سلطان الموت؛ هكذا ظهر بعد قيامته فى وسط أورشليم لكى يعلن أنه قد فتح الفردوس تمهيداً لاستعلان الملكوت الأبدى وبهذا أنار الخلود والحياة الجديدة التى كانت عند الآب وأظهرت لنا فى شخصه القائم من الأموات.

وكما صُلب فى وسط الأموات، هكذا قام ودخل المدينة ومعه جوقة من الأحياء، الذين قاموا من الأموات ليعلنوا فرحة الحياة الجديدة فى المسيح، وليبشروا بالقيامة القادمة فى الأبدية وهى التى صارت حقاً لجميع القديسين الذين يرقدون فى الرب.

هؤلاء الأنبياء والقديسون الذين فتشوا عن الخلاص وانتظروه، قد قاموا ليفرحوا مع السيد المسيح فى قيامته. هذا الخلاص الذى كلّمنا عنه القديس بطرس الرسول فقال: "الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء. الذين تنبأوا عن النعمة التى لأجلكم. باحثين أى وقت أو ما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها" (١بط١: ١٠، ١١).

لم يعودوا يتكلمون مع من قابلوهم فى أورشليم بنبوات عن الخلاص. لأن النبوات كانت قد تمت.. **بل جاءوا ليشاركوا كنيسة العهد الجديد فرحة القيامة، وليعلنوا صدق أقوال الله ومواعيده التى شهدوا هم بها منذ أجيال سحيقة. وهكذا اجتمع قديسو العهد القديم مع قديسى العهد الجديد حول واقعة القيامة، كعربون رمزى للقيامة العامة حينما تتلاشى فوارق الزمن بين الأجيال.**

لقد سجّل معلمنا متى هذه الواقعة العجيبة فى إنجيله بعد حديثه مباشرة عن آلام السيد المسيح، ليظهر ما فى موت السيد المسيح من قوة.. لأن الألم كان هو الطريق إلى المجد.

قال: "فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح. وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين، من فوق إلى أسفل. والأرض تزلزلت، والصخور تشققت، **والقبور تفتحت. وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين، وخرجوا من القبور بعد قيامته، ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين" (مت٢٧: ٥٠-٥٣).**

ما أسعد سكان أورشليم، الذين أبصروا جوقة الأنبياء والقديسين الذين قاموا ودخلوا المدينة المقدسة بعد أن نقل السيد المسيح أرواحهم من الجحيم إلى الفردوس.

أليس هذا هو إعلان مبكر لاجتماع القديسين، وعربون لدخولهم بأجساد القيامة النورانية إلى ملكوت الله فى اليوم الأخير..؟

اتضاع السيد المسيح حتى فى قيامته

لم يقتصر اتضاع السيد المسيح فى خدمته قبل الصلب وأثناء آلامه وموته على الصليب، بل امتد بصورة عجيبة إلى خدمته بعد القيامة أثناء وجوده على الأرض.

وكما ذكر قداسة البابا شنودة الثالث- أطال الرب حياته؛ فإن السيد المسيح قد اختار أن يُصلب علانية، وعلى مرأى من العالم كله فى عيد الفصح بجوار أورشليم. ولكنه حينما قام من الأموات ظهر فقط لتلاميذه، ولبعض المؤمنين به وعددهم حوالى خمسمائة أخ، وجعلهم شهوداً لقيامته المجيدة.

وكان هذا منتهى الاتضاع أن يحمل العار علانية، وأن يعلن مجده خفية..

عجيب أنت يا مخلصنا فى تواضعك! ولكن هذا التواضع لم ينقص من أمجاد خلاصك شيئاً. ولهذا رفعك الآب وأعطاك "اسماً فوق كل اسم، لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فى٢: ٩-١١).

أراد السيد المسيح أن يعلمنا المجد الروحانى الذى ينبع من الداخل.. وفى ظهوراته بعد القيامة ظهر بصورة بسيطة متواضعة.

ظهورات لمريم المجدلية بعد القيامة

كما شرح لنا قداسة البابا شنودة الثالث أطال الرب حياة قداسته، فإن مريم المجدلية قد زارت القبر خمس مرات فى فجر أحد القيامة..

وقد استغرقت أحداث هذه الزيارات -وبأكثر تحديد الزيارات الأربعة الأولى- الفترة ما بين ظهور أول ضوء فى الفجر "**إذ طلعت الشمس**" (مر١٦: ٢)، وتلاشى آخر بقايا ظلمة الليل "**والظلام باق**" (يو٢٠: ١). وهى مدة لا تقل عن نصف ساعة فى المعتاد يومياً.

وكانت مريم المجدلية تذهب لزيارة القبر، ثم تعود إلى مدينة أورشليم بمنتهى السرعة، ثم تأتى إلى القبر مسرعة فى زيارة تالية وهى تجرى.

ولأن موضع القبر كان قريباً من أورشليم (انظر يو١٩: ٢٠، ٤١)، لهذا لم تكن المسافة تستغرق وقتاً طويلاً. وبالرغم من أن مريم المجدلية قد قطعت هذه المسافة عشر مرات فى زياراتها الخمسة، إلا أنها فى الزيارات الأربعة الأولى، ومنذ وجودها عند القبر لأول مرة فى فجر الأحد فإنها قطعت هذه المسافة ست مرات فقط. أى أنها استغرقت حوالى خمس دقائق فى كل مرة ما بين القبر وأورشليم وبالعكس.

ونظراً لأهمية ترتيب أحداث القيامة، نورد فيما يلى بياناً بالزيارات الخمسة لمريم المجدلية عند القبر حسبما أوردها الإنجيليون الأربع بترتيب حدوثها:

الزيارة الأولى

أوردها القديس مرقس فى إنجيله كما يلى:

"وبعدما مضى السبت اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنه. وباكراً جداً فى أول الأسبوع أتين إلى القبر إذ طلعت الشمس. **وكن يقلن فيما بينهن: من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر.** فتطلعن ورأين أن الحجر قد دُحرج. لأنه كان عظيماً جداً. ولما دخلن القبر رأين شاباً جالساً عن اليمين لابساً حلة بيضاء فاندهشن. فقال لهن: لا تندهشن. أنتن تطلبن يسوع الناصرى المصلوب. قد قام ليس هو ههنا. هوذا الموضع

الذى وضعوه فيه. لكن اذهبن وقلن لتلاميذه ولبطرس إنه يسبقكم إلى الجليل هناك ترونه كما قال لكم. فخرجن سريعاً وهربن من القبر لأن الرعدة والحيرة أخذتاهن **ولم يقلن لأحد شيئاً لأنهن كن خائفات**" (مر١٦: ١-٨).

والدليل على أن هذه الزيارة كانت الأولى أن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب كن يقلن فيما بينهن: "من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر" (مر١٦: ٣) إذ لم تكن مريم قد رأت الحجر مدحرجاً بعد.

الزيارة الثانية

بعد عودة مريم المجدلية من الزيارة الأولى إذ لم تخبر أحداً بما قاله الملاك فى الزيارة الأولى لأنها كانت خائفة، ذهبت مرة أخرى فى صُحبة القديسة مريم العذراء لتنظرا القبر. وقد أورد القديس متى فى إنجيله هذه الواقعة دون أن يذكر القديسة العذراء مريم بالتحديد مسمياً إياها "مريم الأخرى".

"وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر. وإذا زلزلة عظيمة حدثت. لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه. وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج. فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات. فأجاب الملاك وقال للمرأتين: لا تخافا أنتما. فإنى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو ههنا لأنه قام كما قال. هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعاً فيه. **واذهبا سريعاً** قولا لتلاميذه إنه قد قام من الأموات. ها هو يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه. ها أنا قد قلت لكما. **فخرجتا سريعاً من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه.** وفيما هما منطلقتان **لتخبرا تلاميذه** إذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما. فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له. فقال لهما يسوع لا تخافا، اذهبا قولا لإخوتى أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يروننى" (مت٢٨: ١-١٠).

فى قول القديس متى: "إذا زلزلة عظيمة قد حدثت" لا يعنى أن الزلزلة قد حدثت وقت تلك الزيارة، بل سبقتها وسبقت الزيارة الأولى أيضاً.

وقد أورد القديس مرقس هذه الزيارة باختصار فى إنجيله، وهى التى رأت فيها مريم المجدلية السيد المسيح وهى فى صحبة القديسة مريم العذراء. وذكر هذه الواقعة بعد أن ذكر الزيارة الأولى: "وبعدما قام باكراً فى أول الأسبوع، ظهر أولاً لمريم المجدلية التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين. فذهبت هذه وأخبرت الذين كانوا معه وهم ينوحون ويبكون. فلما سمع أولئك أنه حى وقد نظرته لم يصدقوا" (مر١٦: ٩-١١).

وبهذا نرى كيف أكرم السيد المسيح أمه العذراء والدة الإله: إذ لم يظهر لمريم المجدلية فى زيارتها الأولى مع مريم أم يعقوب وسالومة. بل ظهر لها حينما حضرت مع أمه. وفى تلك الزيارة تم تنفيذ رغبة السيد المسيح بسرعة فى إبلاغ تلاميذه كما ذكر القديس متى إذ خرجتا من القبر "راكضتين لتخبرا تلاميذه" (مت٢٨: ٨).

ليتنا نطلب صُحبة القديسة مريم العذراء فى حياتنا الروحية، لنرى السيد المسيح بأعين قلوبنا ونبشر بقيامته بغير تردد. لأن العذراء هى مثال الطاعة والتسليم بين جميع القديسين.

الزيارة الثالثة

بعد أن أخبرت مريم المجدلية التلاميذ بقيامة السيد المسيح، أرادت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب أن تذهبا مرة أخرى إلى القبر مع مجموعة من نساء عديدات. وقد أورد القديس لوقا فى إنجيله هذه الزيارة بعد أن سرد أحداث الدفن يوم الجمعة. وراحة يوم السبت:

"وتبعته نساء كن قد أتين معه من الجليل ونظرن القبر وكيف وُضع جسده. فرجعن وأعددن حنوطاً وأطياباً. وفى السبت استرحن حسب الوصية. ثم فى أول الأسبوع أول الفجر أتين إلى القبر حاملات الحنوط الذى أعددنه ومعهن أناس فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر. فدخلن ولم يجدن جسد الرب يسوع. وفيما هن محتارات فى ذلك إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة. وإذ كن خائفات ومنكسات وجوههن إلى الأرض. قالا لهنَّ: لماذا تطلبن الحى بين الأموات. ليس هو ههنا لكنه قام. اذكرن كيف كلمكن وهو بعد فى الجليل قائلاً: إنه ينبغى أن يُسلّم ابن الإنسان فى أيدى أناس خطاة ويصلب وفى اليوم الثالث يقوم. فتذكّرن كلامه. ورجعن من القبر وأخبرن الأحد عشر وجميع الباقين بهذا كله. وكانت مريم المجدلية، **ويونا**، ومريم أم يعقوب، **والباقيات معهن** اللواتى قلن هذا للرسل. فتراءى كلامهن لهم كالهذيان. ولم يصدقوهن" (لو٢٣: ٥٥ -٢٤: ١١).

بعد هذه الزيارة إذ لم يصدِّق الآباء الرسل كلام النسوة بدأ الشك يساور مريم المجدلية فقررت أن تذهب إلى القبر بمفردها. هذه هى الزيارة التالية.

الزيارة الرابعة

ذهبت إلى القبر بمفردها قبل نهاية بقايا ظلمة الليل. وقد أورد القديس يوحنا الإنجيلى هذه الزيارة كما يلى:

"وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً والظلام باق. فنظرت الحجر مرفوعاً عن القبر. فركضت وجاءت إلى سمعان بطرس وإلى التلميذ الآخر الذى كان يسوع يحبه وقالت لهما **أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه**. فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا إلى القبر. وكان الاثنان يركضان معاً. فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولاً إلى القبر. وانحنى فنظر الأكفان موضوعة ولكنه لم يدخل. ثم جاء سمعان بطرس يتبعه ودخل القبر ونظر الأكفان موضوعة والمنديل الذى كان على رأسه ليس موضوعاً مع الأكفان، بل ملفوفاً فى موضع وحده. فحينئذ دخل أيضاً التلميذ الآخر الذى جاء أولاً إلى القبر ورأى فآمن. لأنهم لم يكونوا بعد يعرفون الكتاب أنه ينبغى أن يقوم من الأموات. فمضى التلميذان أيضاً إلى موضعهما" (يو ٢٠: ١-١٠).

والعجيب أن مريم المجدلية بعد هذه الزيارة، بدأت تردد كلاماً مغايراً تماماً لما سبق أن قالته بعد الزيارتين الثانية والثالثة حينما أخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وبكلامه ثم بكلام الملاكين عن قيامته.

بعد الزيارة الرابعة بدأت تردد عبارة تحمل معنى الشك فى قيامة السيد المسيح بالرغم من ظهوره السابق لها وظهورات الملائكة المتعددة.

قالت للقديسين بطرس ويوحنا الرسولين: "أخذوا السيد من القبر ولسنا نعلم أين وضعوه؟!" (يو ٢٠: ٢).

بعد هذا الكلام وبعد أن علم الرسل أن الحراس قد انصرفوا من أمام القبر. ذهب بطرس ويوحنا الرسولان إلى القبر وتبعتهما مريم المجدلية. وكانت هذه هى زيارتها الخامسة والأخيرة للقبر فى أحد القيامة. وحفلت هذه الزيارة بأحداث هامة غيرّت مجرى حياتها وتفكيرها تماماً.

الزيارة الخامسة

أورد القديس يوحنا فى إنجيله أحداث هذه الزيارة بعد كلامه السابق مباشرة كما يلى:

"أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكى. وفيما هى تبكى انحنت إلى القبر، فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين واحداً عند الرأس والآخر عند الرجلين، حيث كان جسد يسوع موضوعاً. فقالا لها يا امرأة لماذا تبكين. قالت لهما إنهم أخذوا سيدى ولست أعلم أين وضعوه. ولما قالت هذا التفتت إلى الوراء فنظرت يسوع واقفاً ولم تعلم أنه يسوع. قال لها يسوع: يا امرأة لماذا تبكين. من تطلبين؟ فظنت تلك أنه البستانى فقالت له: يا سيد إن كنت أنت قد حملته فقل لى أين وضعته وأنا آخذه. قال لها يسوع: يا مريم. فالتفتت تلك وقالت له: ربونى؛ الذى تفسيره يا معلم. قال لها يسوع: لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى. ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم، فجاءت مريم المجدلية وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب وأنه قال لها هذا" (يو ٢٠: ١١– ١٨).

فى هذه الزيارة الخامسة والأخيرة للقبر، نرى مريم المجدلية وهى فى اضطراب وشك وبكاء، تردد قولها السابق الذى قالته للرسولين بطرس ويوحنا. فقالت نفس العبارة للملاكين الجالسين داخل القبر "أخذوا سيدى ولست أعلم أين وضعوه" (يو ٢٠: ١٣). ثم وصل بها الحال أن قالتها للسيد المسيح نفسه عند ظهوره لها للمرة الثانية: "يا سيد إن كنت أنت قد حملته فقل لى أين وضعته وأنا آخذه" (يو ٢٠: ١٥). وكانت قد ظنت أنه البستانى ولم تعلم أنه يسوع (انظر يو ٢٠: ١٤، ١٥).

وحينما ناداها السيد المسيح باسمها قائلاً: "يا مريم" (يو ٢٠ : ١٦)، كان يريد أن يعاتبها على كل هذه البلبلة والشكوك التى أثارتها حول قيامته، وعلى ما هى فيه من شك فى هذه القيامة المجيدة، ثم رغبتها فى الإمساك به لئلا يفلت منها مرة أخرى بعد أن أمسكت سابقاً بقدميه وسجدت له فى ظهوره الأول لها مع العذراء مريم (انظر مت ٢٨: ٩).

فى هذه المرة قال لها مؤنباً: "لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى" (يو ٢٠: ١٧). كان هذا تأنيباً شديداً لها لأنها شكّت فى قيامته، وتريد أن تمسكه لئلا يختفى مرة أخرى..

إنها بشكها فى قيامته؛ تكون قد شكت فى قدرته الإلهية فى أن يقوم من الأموات. وكأنه ليس هو رب الحياة المساوى لأبيه السماوى فى القدرة والعظمة والسلطان. وبهذا يكون لم يرتفع فى نظرها إلى مستوى الآب.. كما إنها تريد أن تمنع اختفاءه من أمام عينيها لكى لا تشك فى القيامة.. وبهذا تكون كمن يريد أن يمنع صعوده إلى السماء.. وماذا يكون حالها بعد صعوده فعلاً ليجلس عن يمين الآب.

لهذا أمرها بصريح العبارة: "اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم" (يو ٢٠: ١٧).

فى هذه المرة فهمت مريم المجدلية أنها ينبغى أن تقبل فكرة صعود السيد المسيح الذى لم يكن قد صعد بعد بالرغم من اختفائه عن عينيها بعد قيامته، كما أنه بقى على الأرض أربعين يوماً كاملين بعد القيامة لحين صعوده إلى السماء أمام أعين تلاميذه وقديسيه.

لهذا "جاءت مريم المجدلية، وأخبرت التلاميذ أنها رأت الرب، وأنه قال لها هذا" (يو ٢٠: ١٨).

وكما عالج السيد المسيح شك توما فى يوم الأحد التالى لأحد القيامة، هكذا عالج شكوك المجدلية بظهوره لها مرة أخرى فى أحد القيامة، فى البستان..

كانت السيدة العذراء مريم عجيبة ومتفوقة فى إيمانها- فقد آمنت قبل أن ترى السيد المسيح قائماً من الأموات، وآمنت حينما أبصرته، وآمنت حينما أمسكت بقدميه وسجدت له.. وقبلت صعوده فى تسليم كامل، لأنها كانت تعرف أنه ينبغى أن يجلس عن يمين أبيه السماوى، ولا يكون لملكه نهاية، حسبما بشرها الملاك قبل حلول الكلمة فى أحشائها متجسداً.. لهذا حقاً قالت لها أليصابات بالروح القدس: "طوبى للتى آمنت أن يتم ما قيل لها من قبل الرب" (لو ١: ٤٥).

والظلام با قٍ

"وفى أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية إلى القبر باكراً، **والظلام باقٍ**" (يو ٢٠: ١).

كان النهار قد بدأ منذ حوالى نصف الساعة، ولكن بقايا الظلام كانت ما تزال موجودة ناحية الغرب لأن النور يأتى من الشرق ويتدرج حتى ينسحب الظلام تماماً فى ناحية الغرب.

ولكن هناك معنى آخر وراء كلمة "الظلام باقٍ".. لأن مريم المجدلية بالرغم من رؤيتها للسيد المسيح القائم هى ومريم الأخرى إذ "أمسكتا بقدميه وسجدتا له" (مت ٢٨: ٩) وكان ذلك بعد زيارتها الأولى للقبر بعد قيامته مباشرة، إلا أنها فى هذه المرة قبل وأثناء زيارتها الأخيرة بدأت تردد قولها للتلاميذ، وبعد ذلك للملائكة وللسيد المسيح نفسه: "**أخذوا السيد من القبر، ولسنا نعلم أين وضعوه**" (يو ٢٠: ٢).

فمعنى هذه العبارة هو أنها لم تفهم بعد بوضوح حقيقة القيامة، أو لم يكتمل إيمانها بقيامة السيد المسيح -لذلك قيل أنها جاءت إلى القبر باكراً، **والظلام باقٍ**. أى أن ظلمة عدم المعرفة كانت ما تزال باقية تحتاج إلى من يجليها عن عقلها وإيمانها. ولنفس السبب لم تعرف السيد المسيح عندما ظهر لها ثانية **وظنته أنه هو البستانى** الذى يهتم بالبستان، حيث كان القبر الذى وضع فيه جسد السيد المسيح (انظر يو ٢٠: ١٥). كان الظلام باقٍ ولذلك لم تعرفه فى تلك المرة. فناداها باسمها حتى تفيق من غفلتها الروحية وتستنير بالإيمان.

انحنى

"فخرج بطرس والتلميذ الآخر وأتيا إلى القبر. وكان الاثنان يركضان معاً. فسبق التلميذ الآخر بطرس وجاء أولاً إلى القبر. **وانحنى** فنظر الأكفان موضوعة، ولكنه لم يدخل" (يو ٢٠: ٣-٥)

لماذا انحنى التلميذ لكى ينظر داخل القبر. معنى ذلك أن باب القبر كان منخفضاً بصورة تحتم الانحناء.

وتكرر نفس الكلام بالنسبة لمريم المجدلية "أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكى. وفيما هى تبكى **انحنت إلى القبر**" (يو ٢٠: ١١).

من أراد أن يؤمن بالرب القائم من الأموات.. يؤمن بالفداء وبموت الرب وقيامته، **ينبغى أن ينحنى أمام هذه الحقيقة الفائقة للوصف. لا يستطيع أن يقبل الإيمان إلا القلب المنكسر والمتواضع**، لأن "يقاوم الله المستكبرين وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (يع٤: ٦).

إن من يزور الأديرة القديمة يلاحظ أن باب الدير الخارجى وباب الكنيسة دائماً يكون منخفضاً، ويُلزِم الداخل بالانحناء.. **أليس هذا هو بداية الطريق الروحى: المسكنة بالروح؟!**

واحد عند الرأس والآخر عند الرجلين

"فنظرت ملاكين بثياب بيض جالسين، واحداً عند الرأس، والآخر عند الرجلين، حيث كان جسد يسوع موضوعاً" (يو ٢٠: ١٢).

جسد الرب يسوع هو السلم الموصل من الأرض إلى السماء. هكذا رآه الأب يعقوب بروح النبوة والملائكة صاعدة ونازلة عليه.

وقيل أيضاً إن "السماء هى كرسى الله والأرض هى موطئ قدميه" (انظر مت ٥: ٣٤، ٣٥).

فالملاك عند موضع الرأس يشير إلى السماء حيث كرسى الله. والملاك عند موضع القدمين يشير إلى الأرض حيث تجسد السيد المسيح وصنع الفداء.

كان من الممكن أن تملأ الملائكة قبر السيد المسيح ولكن وجود الملاكين بهذه الصورة يرفع عقولنا نحو هذه الحقيقة: إن جسد يسوع هو الطريق المؤدى من الأرض إلى السماء.. هكذا أظهرت لنا ملائكة القيامة.

وقد اعتادت الكنيسة أن تضع شمعدانين منيرين فوق المذبح أثناء الخدمة الطاهرة، وهذان الشمعدانان يرمزان إلى ملائكة القيامة.

نفس الأمر تمارسه الكنيسة عند قراءة الإنجيل المقدس.

حقاً لقد جمع السيد المسيح ما فى السماوات وما على الأرض بخلاصه العجيب.

البستانى

بعد الصلب أخذ يوسف الرامى جسد يسوع، وجاء نيقوديموس، ووضعا الجسد المقدس فى القبر الذى كان قريباً جداً من الجلجثة. وذلك حسبما ذكر معلمنا يوحنا فى إنجيله "وكان فى الموضع الذى صُلب فيه **بستان**، وفى البستان قبر جديد لم يوضع فيه أحد قط، فهناك وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود لأن القبر كان قريباً" (يو١٩: ٤١، ٤٢).

وفى اتضاع عجيب **ظهر السيد المسيح بعد قيامته فى هيئة بستانى** لمريم المجدلية التى كانت عند القبر ثم "التفتت إلى الوراء، فنظرت يسوع واقفاً. ولم تعلم أنه يسوع. قال لها يسوع يا امرأة لماذا تبكين من تطلبين؟ فظنت تلك أنه **البستانى** فقالت له يا سيد إن كنت أنت قد حملته، فقل لى أين وضعته وأنا آخذه" (يو٢٠: ١٤، ١٥).

وهكذا لم يظهر السيد المسيح على الأرض بعد قيامته فى صورة ملك متوج بالذهب والماس والثياب الملوكية، بل فى صورة بستانى بسيط!

بدأت القصة الأولى للبشرية فى بستان، حيث وضع الرب الإله آدم فى الجنة ليعملها (انظر تك٢: ١٥). فكان آدم هو البستانى فى الفردوس الأول..

ولكن آدم الأول لم يتمكن من البقاء فى الفردوس أى فى الجنة ليعملها، بل طُرد خارجاً. وصارت الأرض تنبت له شوكاً وحسكاً.

وجاء آدم الأخير، أو آدم الثانى، وحمل الأشواك على جبينه، ثم فتح الفردوس السماوى، وأدخل آدم وبنيه إلى هناك. ثم قام من الأموات، وجاء إلى الفردوس المجاور للقبر، وظهر فى هيئة بستانى لمريم المجدلية. لكى يعيد إلى الأذهان قصة الخروج من الفردوس. ويؤكد أن الإنسان قد عاد مرة أخرى فى شخصه المبارك ليعمل الجنة الجديدة، وهى كنيسته المقدسة، التى قال عنها: "أختى العروس جنة مغلقة، عين مقفلة، ينبوع مختوم. أغراسك فردوس رمان مع أثمار نفيسة فاغية وناردين" (نش٤: ١٢، ١٣).

وقال سفر نشيد الأناشيد بروح النبوة عن قيامة السيد المسيح ودخوله إلى البستان بعد أن تألم، وقُبر، ووضعوا المر والعود حول جسده فى القبر، ثم أكل شهد عسل مع تلاميذه بعد القيامة "**قد دخلت جنتى يا أختى العروس. قطفت مرى مع طيبى، أكلت شهدى مع عسلى**" **(نش٥: ١).**

وكتب فى نفس السفر أيضاً عن السيد المسيح "حبيبى نزل إلى جنته إلى خمائل الطيب ليرعى فى الجنات ويجمع السوسن. أنا لحبيبى وحبيبى لى. الراعى بين السوسن" (نش٦: ٢، ٣)

وقالت عروس النشيد "استيقظى يا ريح الشمال وتعالى يا ريح الجنوب. هبى على جنتى فتقطر أطيابها. ليأت حبيبى إلى جنته ويأكل ثمره النفيس" (نش٤: ١٦).

ما أجمل هذا المشهد العجيب: آدم الجديد فى البستان مع إشراقة فجر جديد فى حياة البشرية.. إنه مشهد القيامة والحياة الجديدة تراه الكنيسة، فتنادى طالبة هبوب ريح الروح القدس من الشمال حاملة مياه النعمة الغزيرة، ومن الجنوب حاملة حرارة الحب الذى تنضج معه ثمار الروح فى حياتها.

ربونى

بعد قيامة السيد المسيح ظهر لمريم المجدلية فى البستان الذى كان به قبره المقدس وسألها عن سبب بكائها "قال لها يسوع: يا مريم. فالتفتت تلك **وقالت له ربُّونى الذى تفسيره يا معلم**. قال لها يسوع: لا تلمسينى لأنى لم أصعد بعد إلى أبى. ولكن اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم: إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم" (يو٢٠: ١٦، ١٧).

إن هذا اللقاء فى البستان يذكّرنا بلقاء آخر فى بستان (أى فى الجنة) حينما أخفى الشيطان نفسه داخل الحية وخدع حواء. وها هى مريم المجدلية وهى تمثل البشرية مثل حواء. تلتقى بالرب القائم من الأموات وهو يتمشى داخل البستان وقد جاء كمعلم للصلاح وليقوم بإصلاح ما أفسدته الحية فى القديم. فى هذا اللقاء اختارت مريم المجدلية هذا اللقب "**ربُّونى**" الذى تفسيره يا معلّم.

لم تعد الحية هى مصدر التعليم، بل كلمة الله المتجسد هو المعلم، لهذا قالت له: "يا معلّم".
لم تعد البشرية تنصت إلى الحية، بل أصبحت تهفو نحو السيد المسيح كمصدر للمعرفة.
لم تعد البشرية تأكل من شجرة معرفة الخير والشر، بل تأكل فقط من جسد الرب المصلوب القائم من الأموات لتعرف الخير وتثبت فيه، أى أنها تأكل من شجرة الحياة التى لا يموت آكلوها. كما أنها تتغذى بكلام الله وتتلذذ بوصاياه.
لم تعد البشرية تبحث عن المعرفة بعيداً عن السيد المسيح، لهذا قال بطرس الرسول: "يا رب إلى من نذهب. كلام الحياة الأبدية عندك" (يو٦: ٦٨).
لم تعد البشرية تستمع إلى صوت الغريب، بل صارت تهرب منه لتستمع إلى صوت الراعى الصالح الذى يدعو خرافه الخاصة بأسمائها والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته.
لم تعد البشرية تشتاق إلى أحاديث العالم أو الخطية، بل تشتاق إلى حديث المعلم الصالح. وتجلس عند قدميه لتتعلم وتختار النصيب الصالح الذى لا ينزع منها.
صارت كلمات مرثا لأختها مريم ترن فى أذنى كل نفس محبة للمسيح: "**المعلّم قد حضر وهو يدعوك**" **(يو١١: ٢٨)**. وتكون أحلى الساعات هى بين يديه وفى حضرته.
النداء واللقاء
"**نادى الرب الإله آدم** وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت" (تك٣: ٩، ١٠)
لقد نادى الرب الإله قائلاً: يا آدم أين أنت؟ وها هو الآن فى بستان القيامة ينادى مريم المجدلية قائلاً: **يا مريم. وهنا تمثل مريم البشرية المفتداه.** لم تهرب مريم ولم تختبئ بل كانت تبحث فى كل موضع عن السيد المسيح.. عن جسده المصلوب.. إن جسد يسوع هو شجرة الحياة المفقودة وهى تبحث عنها.
لم تدرك مريم أن الذى كان يتمشى فى فردوس القيامة هو السيد المسيح لأن إعلان القيامة لم يكن واضحاً بعد فى ذهنها. ولكنه حينما ناداها باسمها عرفته وهرعت نحوه.
إن المسيح الذبيح فى سر الإفخارستيا يدعونا أن ندرك قوة قيامته وينادينا لكى نتمتع ببركات وأمجاد القيامة من خلال السر. ولكن يلزمنا أن نسمع صوته لكى ندرك حقيقة القيامة.
كان فى الفردوس القديم آدم مع حواء وقد سمعا صوت الرب الإله ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار فهربا منه. ولكن فى فردوس القيامة كان آدم الجديد هو نفسه الرب الذى يتمشى فى الفردوس فلا آدم الجديد يختبئ من الرب لأنه هو نفسه الرب؛ ولا البشرية تختبئ لأن الرب قد صالحها ولم تعد ترتعب منه.
لا تلمسينى

كانت مريم المجدلية تريد أن تمسك بالسيد المسيح لئلا يختفى مرة أخرى. تريده أن يبقى على الأرض وتتمسك به. ولكنه منعها هذه المرة ليؤكد لها أنها لا تستطيع أن تحقق بقاء الفردوس على الأرض؛ وأن الفردوس عموماً هو مكان مؤقّت، ولكن الملكوت السماوى هو المكان الدائم للوجود مع الرب.

فكأنه يقول لها: إذا أردت أن تمسكى بى فليكن ذلك فى السماء. إنى هنا لم أصعد بعد إلى أبى. ومن أراد أن يمسكنى فليهرع إلى السماء.

إنى لم أرتفع إلى مستوى الآب فى نظرك فلا تلمسينى، ولا يمكن أن أبقى هنا على الأرض بل ينبغى أن أعود إلى الآب فلا تمسكينى.

"إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم" (يو ٢٠: ١٧)

ارتضى السيد المسيح فى اتضاعه أن يحسب نفسه ضمن إخوته من البشر. لأنه كان ينبغى أن يشبه إخوته فى كل شئ ما خلا الخطية وحدها.

لهذا قال لمريم المجدلية: "اذهبى إلى إخوتى وقولى لهم إنى أصعد إلى أبى وأبيكم وإلهى وإلهكم" (يو٢٠: ١٧).

فى قوله هذا كان يقصد أن يقول لتلاميذه أن إلهكم (أى الآب) قد صار إلهاً لى حينما أخليت نفسى متجسداً وصائراً فى صورة عبد، وسوف يصير أبى السماوى (الذى هو أبى بالطبيعة)، أباً لكم (بالتبنى) حينما أصعد إلى السماء، وأرسل الروح القدس الذي يلِدكم من الله فى المعمودية.

فبنزولى أخذت الذى لكم، وبصعودى تأخذون الذى لى.

فمن المعلوم أن أبوة الآب للسيد المسيح شئ وأبوته للبشر شئ آخر.

فالسيد المسيح هو ابن الله بالطبيعة (بحسب لاهوته)، أما نحن فأبناء الله بالتبنى.

كذلك هناك فرق بين وضعنا كعبيد لله، ووضع السيد المسيح الذى أخذ صورة عبد.

فنحن عبيد بحكم وضعنا كمخلوقين.. أما السيد المسيح فهو الخالق الذى أخلى ذاته وتجسد آخذاً صورة عبد، ووُجِد فى الهيئة كإنسان، وصار ابناً للإنسان.

الفرق بين كرامة السيد المسيح وكرامة إنسان مثل موسى النبى، شرحه معلمنا بولس الرسول وقال: "فإن هذا قد حُسِبَ أهلاً لمجد أكثر من موسى بمقدار ما لبانى البيت من كرامة أكثر من البيت. لأن كل بيت يبنيه إنسان ما، ولكن بانى الكل **هو الله**" (عب٣: ٣، ٤).

أى أن الفرق فى الكرامة بين السيد المسيح وموسى النبى، هو الفرق بين كرامة الخالق وكرامة المخلوق.

بنوة السيد المسيح للآب

السيد المسيح هو ابن الله الوحيد.. هو الوحيد الذى له نفس طبيعة الآب وجوهره بالولادة الأزلية من الآب.

وكل ولادة أخرى من الله هى بالتبنى، وليس بحسب الطبيعة والجوهر.

ولادة الابن الوحيد من الآب، قبل كل الدهور، هى مثل ولادة الشعاع من النور بنفس طبيعته وجوهره.

وكما يقول صاحب القداسة البابا شنودة الثالث إن المسيح هو الكلمة (اللوغوس) بمعنى أنه هو "العقل المنطوق به"

فأقنوم الابن الكلمة له ولادتان:

- الولادة الأولى: أزلية من الآب بحسب ألوهيته.
- الولادة الثانية: فى ملء الزمان من العذراء مريم بحسب إنسانيته.

ويقول معلمنا بولس الرسول: "**يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد**" **(عب١٣: ٨). أى أنه هو هو نفسه فى الماضى والحاضر والمستقبل – قبل التجسد وفى التجسد وإلى أبد الدهور.**

أى أن الذى ولد من الآب قبل الدهور، هو هو نفسه الذى تجسد من العذراء فى ملء الزمان، وولد منها بحسب الجسد.

ونفس كلمات القديس بولس الرسول يرددها الأب الكاهن فى الأرباع الخشوعية وهو يبخر ما بين الخورس الأول والخورس الثانى فى الكنيسة فى دورة بخور عشية وباكر وفى دورة البولس فى القداس الإلهى، إذ يقول:

{يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد، بأقنوم واحد نسجد له ونمجده} ابن الله الأزلى هو هو نفسه ابن الإنسان.

هو كلمة الله الذى أخذ جسداً من العذراء مريم – بفعل الروح القدس– جاعلاً إياه جسده الخاص.

وكل ما يُنسب إلى جسد الكلمة الخاص يُنسب إلى الكلمة، مثل الولادة والألم والموت.. مع أن الكلمة بحسب طبيعته الإلهية لا يحتاج إلى ولادة جديدة، ولا يتألم، ولا يموت، ولكن إذ صار له جسد، فقد تألم ومات بحسب هذا الجسد، ناسباً إلى نفسه كل ما يخص جسده الخاص.

لهذا دُعيت العذراء مريم "والدة الإله" (ثيئوتوكوس)، إذ أن الذى وُلد منها هو الإله الحقيقى كلمة الله المتجسد. وقد **{ولدت لنا الله الكلمة بالحقيقة}** كما نقول فى صلاة المجمع فى القداس الإلهى.

أخذ الذى لنا وأعطانا الذى له

لقد أخذ السيد المسيح صورة عبد، لكى نصير نحن على صورة الله ومثاله..

وقَبِلَ السيد المسيح أن يصير ابناً للإنسان، لكى نصير نحن أولادًا لله..

لهذا كان يحلو له أن يدعو الرسل إخوته "اذهبى إلى **إخوتى** وقولى لهم.." **(يو٢٠: ١٧)**. وقد كُتب عنه فى المزمور "**أُخبر باسمك إخوتى**، فى وسط الجماعة أُسبحك" **(مز٢٢: ٢٢)**.

ويقول معلمنا بولس الرسول: "لأنه لاق بذاك الذى من أجله الكل، وبه الكل، وهو آتٍ بأبناء كثيرين إلى المجد، أن يكمّل رئيس خلاصهم بالآلام. لأن المُقدِّس والمُقدَّسين جميعهم من واحد. **فلهذا السبب لا يستحى أن يدعوهم إخوة قائلاً أخبر باسمك إخوتى، وفى وسط الكنيسة أسبحك" (عب٢: ١٠-١٢).**

أخذ السيد المسيح البنوة للإنسان (التى تخصنا نحن)، وأعطانا البنوة لله (التى تخصه هو). لهذا قال لمريم المجدلية بعد قيامته من الأموات: "إنى أصعد إلى أبى وأبيكم، وإلهى وإلهكم" **(يو٢٠: ١٧)**.

بنزوله من السماء شاركنا فى البنوة للإنسان. وبصعوده إلى السماء أشركنا معه فى البنوة لله، إذ أرسل الروح القدس الذى يلدنا فى المعمودية من الله، ويصيّرنا أولادًا لله بالتبنى على صورة الله ومثاله.

فى الطريق إلى عمواس

يقول إنجيل معلمنا مرقس: "**وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم وهما يمشيان منطلقين إلى البرية**" (مر١٦: ١٢).

والمقصود بالهيئة الأخرى أى بخلاف الهيئة التى ظهر بها لمريم المجدلية فى البستان وظنته البستانى.

وقد ذكر معلمنا لوقا فى إنجيله أن السيد المسيح حينما ظهر لهذين التلميذين "أمسكت أعينهما عن معرفته" (لو٢٤: ١٦).

بمعنى أن عدم معرفتهما له فى البداية كان شيئاً مقصوداً بتدبير إلهى.

والقصة بدأت كما يلى:

كان **اثنان من التلاميذ** منطلقين فى يوم أحد القيامة إلى قرية بعيدة عن أورشليم ستين غلوة اسمها عمواس. وكانا يتكلمان بعضهما مع بعض عن جميع الحوادث التى واكبت صلب السيد المسيح وما يليها، بما فى ذلك ظهور السيد المسيح للمريمات بعد قيامته.

"وفيما هما يتكلمان ويتحاوران اقترب إليهما يسوع نفسه، وكان يمشى معهما، ولكن أمسكت أعينهما عن معرفته" (لو٢٤: ١٥، ١٦).

لم يشأ الرب أن يظهر بمجده العظيم ويبهر هذين التلميذين، ولكنه ظهر فى هيئة بسيطة ورتب أن لا يعرفاه فى البداية.

"فقال لهما ما هذا الكلام الذى تتطارحان به، وأنتما ماشيان عابسين؟" (لو٢٤: ١٧).

وهنا نرى السيد المسيح يسأل فى اتضاع عجيب –وهو العالِم بكل خبايا الأمور– ولكنه أراد أن يتبسط فى الحديث وينزل إلى مستوى هذين التلميذين، حتى يرفعهما فى النهاية إلى مستوى الإيمان اللائق بتلاميذه القديسين.

"فأجاب أحدهما الذى اسمه كليوباس وقال له: هل أنت متغرب وحدك فى أورشليم، ولم تعلم الأمور التى حدثت فيها فى هذه الأيام؟ فقال لهما وما هى؟" (لو٢٤: ١٨، ١٩).

ما أعجب اتضاعك يا رب وأنت تحتمل أن ينسب تلاميذك إليك عدم المعرفة كغريب. ثم تسألهما فى بساطة ومودة، لكى يخبروك كمن لا يعرف، حتى تنتشلهم من ظلمة الجهل إلى نور المعرفة الحقيقية.. **ولكن حقاً يا رب لقد كنت السماوى المتغرب وحدك على الأرض فى أورشليم الأرضية، لكى ترفع مختاريك وأصفياءك للتمتع بمجدك فى أورشليم السمائية.**

وقد أجاب التلميذان على سؤال السيد المسيح فقالا: "المختصة بيسوع الناصرى الذى كان إنساناً نبياً مقتدراً فى الفعل والقول أمام الله وجميع الشعب. كيف أسلمه رؤساء الكهنة وحكامنا لقضاء الموت وصلبوه. ونحن كنا نرجو

أنه هو المزمع أن يفدى إسرائيل. ولكن مع هذا كله اليوم له ثلاثة أيام منذ حدث ذلك. بل بعض النساء منا حيرننا إذ كن باكراً عند القبر، ولما لم يجدن جسده أتين قائلات إنهن رأين منظر ملائكة قالوا إنه حى. ومضى قوم من الذين معنا إلى القبر، فوجدوا هكذا كما قالت أيضاً النساء وأما هو فلم يروه" (لو٢٤: ١٩-٢٤).

احتمل السيد المسيح أن يتكلم عنه التلميذان كمن لا يعرف أموره الخاصة التى حدثت له..

ثم احتمل أن يقولا عنه إنه كان إنساناً نبياً مقتدراً فى الفعل والقول، دون أن يقولا باقى الحقيقة أنه هو هو نفسه ابن الله الحى الكلمة الأزلى المتجسد.

ألم يقل قائد المئة الواقف عند الصليب بعد أن سلّم السيد المسيح روحه فى يدى الآب "حقاً كان هذا الإنسان ابن الله" (مر١٥: ٣٩).

كانت القيامة هى أقوى دليل على ألوهية السيد المسيح ولهذا احتمل ضعف تلاميذه الذى ظهر بعد الصلب. بل سبق فقال لهم: "كلكم تشكون فىّ فى هذه الليلة" (مت٢٦: ٣١).

كانت تجربة الصلب أقوى من احتمالهم.. وظهر ضعفهم البشرى، وأطال الرب أناته عليهم.

لم يشك تليمذا عمواس فى ألوهية السيد المسيح فقط، بل أيضاً تطرق الشك بهم إلى عمله باعتباره الفادى والمخلّص بحسب قولهما: "ونحن كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدى إسرائيل" (لو٢٤: ٢١).

وإلى جوار ذلك فقد شكَّا فى قيامة السيد المسيح، ولم يصدقا ما سبق فأنبأهم هو نفسه به قبل أن يُصلب عن قيامته، كما أنهم لم يصدقوا الذين نظروه قد قام.

فى كل ذلك أظهر السيد المسيح اتضاعاً وحباً واحتمالاً عجيباً. وهو الذى كان يسير معهما فى الطريق بعد قيامته.. ولكن لأجل خيرهم، وخير الكنيسة كلها، لم يكشف لهما عن شخصه، بل استمر فى الحوار العجيب..!!

الإقناع أم المعجزات

أراد السيد المسيح أن يؤسس كنيسته ليس فقط على صنع المعجزات التى أثبتت ألوهيته، بما فى ذلك معجزة القيامة نفسها.. بل أراد أيضاً أن يؤسسها على الإيمان الكتابى، وعلى الحقائق الإلهية المدونة فى الأسفار المقدسة "كما تكلم بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر" (لو١: ٧٠).

فكثير من المعجزات من الممكن أن يقلدها الشيطان بمعجزات زائفة، كما هو مكتوب عن ضد المسيح: "الذى مجيئه بعمل الشيطان، بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الإثم فى الهالكين" (٢تس٢: ٩، ١٠).

ولكن الخلاص الذى صنعه الرب، قد سبق فتنبأ عنه كثير من الأنبياء قبل مجيء السيد المسيح بآلاف السنين، وتحققت هذه النبوات جميعها بصورة لا يمكن تقليدها على الإطلاق. لأن الله وحده هو الذى يعلم المستقبل بهذه الدقة قبل حدوثه بآلاف السنين.

وقد كتب القديس بطرس الرسول عن ذلك الخلاص وما قيل عنه من نبوات فقال: "الخلاص الذى فتش وبحث عنه أنبياء. الذين تنبأوا عن النعمة التى لأجلكم. باحثين أى وقت، أو ما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم. إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها" (١بط ١: ١٠، ١١).

لو كشف السيد المسيح عن شخصيته للتلميذين لجاء إيمانهما مبنياً على رؤية معجزة القيامة.. ولكنه أراد أن يكشف لهما القيامة من خلال الكنوز المخبأة فى كلمات الروح القدس المكتوبة فى الكتب المقدسة.

"فقال لهما أيها الغبيان والبطيئا القلوب فى الإيمان بجميع ما تكلم به الأنبياء، أما كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده. ثم ابتدأ من موسى ومن جميع الأنبياء يفسر لهما الأمور المختصة به فى جميع الكتب" (لو٢٤: ٢٥-٢٧).

كانت هذه الشروحات بمثابة محاضرة قيمة جداً فى اللاهوت العقائدى وفى شرح العهد القديم.. وهنا نرى السيد المسيح المعلم الأعظم وهو يفسر الأمور المختصة بالتجسد والفداء فى جميع الكتب.. كل ذلك دون أن يكشف للتلميذين عن شخصيته وهو يكلمهما. كان هدف السيد المسيح ليس هو الافتخار بما عمله، **بل هو اقتياد التلاميذ إلى معرفة الخلاص والتمتع بأمجاد الحياة الجديدة فى المسيح.**

وهكذا سجّل السيد المسيح فى ذاكرة الكنيسة تفسيراً لاهوتياً عميقاً لعمله الخلاصى المبنى على ألوهيته ومجيئه فى الجسد فادياً ومحرراً للإنسان.

"ثم اقتربوا إلى القرية التى كانا منطلقين إليها، وهو تظاهر كأنه منطلق إلى مكان أبعد. فألزماه قائلين امكث معنا لأنه نحو المساء، وقد مال النهار. فدخل ليمكث معهما. فلما اتكأ معهما أخذ خبزاً وبارك وكسر وناولهما، فانفتحت أعينهما وعرفاه ثم اختفى عنهما" (لو٢٤: ٢٨-٣١).

فى اتضاع عجيب امتثل السيد المسيح لرغبة تلميذيه حينما ألزماه أن يمكث معهما. وبالفعل دخل ليمكث معهما. وعرفاه عند كسر الخبز. وحينما عرفاه اختفى عنهما.. لأنه لم يظهر ليتباهى بقيامته، بل ليقتادهما إلى معرفة حقيقة الخلاص الذى صنعه لأجلهما ولأجل البشرية جمعاء.

وقالا بعضهما لبعض: "ألم يكن قلبنا ملتهباً فينا، إذ كان يكلمنا فى الطريق ويوضح لنا الكتب؟!" (لو٢٤: ٣٢).

أشفق السيد المسيح على تلميذى عمواس، لأنهما كانا فى حزن وألم بعد الصلب. وبحكمة عجيبة استطاع من خلال شرح الكتب المقدسة -أنفاس الله- أن يتدرج بهما من الحزن واليأس إلى الفرح والرجاء.. **حتى ارتفعت روحاهما إلى المستوى الذى عاينا به الرب القائم من الأموات بأعين منفتحة تستطيع أن تراه وتعرفه وتشهد لقيامته المجيدة.**

ليتنا يا رب نصغى لكلامك بقلوب ملؤها الاشتياق إلى معرفة الحق، حتى نستطيع أن نراك بأعين قلوبنا.

سلام لكم

فى ظهور السيد المسيح لتلاميذه بعد القيامة كان يردد قوله المبارك: "**سلام لكم**" (يو٢٠: ١٩، ٢١، لو٢٤: ٣٦، مت٢٨: ٩). وهى نفس العبارة التى يرددها الأب الأسقف أو الأب الكاهن فى الصلوات الليتورجية وخاصة صلاة القداس الإلهى.

هذا السلام الذى وعد السيد المسيح به تلاميذه حينما قال: "سلاماً أترك لكم، سلامى أعطيكم ليس كما يعطى العالم أعطيكم أنا" (يو١٤: ٢٧).

إنه سلام المصالحة مع الله بالفداء الذى صنعه السيد المسيح على الصليب، وعبر عنه بعد القيامة المجيدة.. السلام الناشئ عن غفران الخطايا التى تزعج القلب وتقلق الضمير.

هو سلام الاطمئنان على مصير الإنسان بعد أن ملك الموت أجيالاً كثيرة، وجاء السيد المسيح لكى يحرر الإنسان من سلطانه ويعلن انتصاره عليه بالقيامة.

هو سلام الله الذى يفوق كل عقل.. الذى يتخطى كل الحواجز والمخاوف والأوهام ومضايقات الشيطان وأعوانه.. يتخطى كل المؤامرات والأحقاد، وقوات الشر المنظورة وغير المنظورة، ويمنح القلب طمأنينة فى أحضان الله القادر على كل شئ.

إن فقدان السلام يُفقد الإنسان قدراته الإبداعية.. الإنسان المخلوق على صورة الله ومثاله فى البر وقداسة الحق.. حينما يفقد سلامه: يفقد رونقه، يفقد قدرته، يختل أداؤه، ولا يستطيع أن يمجد الله كما كان مقدَّراً له أن يفعل.

القديسون الذين تمتعوا بسلام الله فى قلوبهم، وصاروا نوراً للعالم، ومسكناً للروح القدس، وأداة لإظهار عمل الله وتمجيد اسمه.. اجتذبوا الآخرين إلى محبة الحق بسبب عطية السلام التى فيهم.. ومن دعاه الله لخدمة المصالحة، كان يسعى كسفير للمسيح يدعو الناس ليتصالحوا مع الله (انظر ٢كو٥: ٢٠).

خدمة الكهنوت هى خدمة المصالحة.. هى خدمة مغفرة الخطايا.. فلهذا قال السيد المسيح لتلاميذه: "**سلام لكم.** كما أرسلنى الآب أرسلكم أنا. ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تُغفر له" (يو٢٠: ٢١-٢٣).

لقد أعطاهم موهبة الكهنوت وغفران الخطايا قبل أن يرسلهم ليخدموا خدمة المصالحة. ولكنه فى البداية قال لهم: "سلام لكم".

وصار الرسل يرددون هذا القول الجميل فى كل صلاة سرائرية للمصالحة "**سلام لكم**" باللغة القبطية (Irhnh paci إيرينى باسى).

صارت الكنيسة تردد هذه العبارة التى تعنى منح عطية السلام من الرب القائم من الأموات، الذى افتدانا واشترانا لله بدمه.. الذى دفع ثمن خطايانا على الصليب وعبر بنا من الدينونة إلى المصالحة، ومن الموت إلى الحياة بموته المحيى وقيامته المجيدة من الأموات.

ربى وإلهى

عبارة قالها توما الرسول حينما دعاه السيد المسيح القائم من الأموات ليضع التلميذ إصبعه فى محل المسامير ويضع يده فى موضع طعنة الحربة. إن تعبير "**ربى**" وحده له مدلولات عديدة، وتعبير "**إلهى**" وحده له أيضاً مدلولات عديدة.

أما إذا اجتمع التعبيران معاً، فهذا لا يدل إلا على **الرب الإله** الخالق القادر على كل شئ.

ونسوق بعض الأمثلة على ذلك:

فى سفر التكوين عند خلق العالم "يوم عمل **الرب الإله** الأرض والسماوات" (تك٢: ٤).

"وجبل **الرب الإله** آدم تراباً من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة" (تك٢: ٧).

"وغرس **الرب الإله** جنة فى عدن شرقاً" (تك ٢: ٨).

"وأخذ **الرب الإله** آدم ووضعه فى جنة عدن" (تك ٢: ١٥).

"وأوصى **الرب الإله** آدم" (تك ٢: ١٦).

"وقال **الرب الإله** ليس حسناً أن يكون آدم وحده" (تك ٢: ١٨).

"وجبل **الرب الإله** من الأرض كل حيوانات البرية" (تك٢: ١٩).

"فأوقع **الرب الإله** سباتاً على آدم فنام" (تك٢: ٢١).

"وبنى **الرب الإله** الضلع التى أخذها من آدم امرأة" (تك٢: ٢٢).

"وسمعا (آدم وحواء) صوت **الرب الإله** ماشياً فى الجنة عند هبوب ريح النهار" (تك٣: ٨).

"فاختبأ آدم وامرأته من وجه **الرب الإله** فى وسط شجر الجنة" (تك ٣: ٨).

"فنادى **الرب الإله** آدم وقال له أين أنت؟" (تك٣: ٩).

"فقال **الرب الإله** للمرأة: ما هذا الذى فعلتِ؟" (تك٣: ١٣).

"فقال **الرب الإله** للحية: لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت" (تك٣: ١٤).

"وصنع **الرب الإله** لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما" (تك٣: ٢١).

"وقال **الرب الإله** هوذا الإنسان قد صار كواحد منا" (تك٣: ٢٢).

"فأخرجه **الرب الإله** من جنة عدن" (تك٣: ٢٣).

فى الإصحاحات الأولى من سفر التكوين تكررت عبارة "**الرب الإله**" ١٨ مرة (من تك٢: ٤ – تك ٣: ٢٣).

بعد ذلك كثر استخدام كلمة "**الرب**" للدلالة على الله.

ولكننا نجد عبارة "**الرب الإله**" تظهر مرة أخرى فى أسفار موسى الخمسة مثل ما يلى على سبيل المثال لا الحصر:

"**الرب إلهنا** قطع معنا عهداً فى حوريب" (تث٥: ٢).

"أنا هو **الرب إلهك** الذى أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى" (تث٥: ٦، ٧).

"لأنى أنا **الرب إلهك** إله غيور" (تث٥: ٩).

"لا تنطق باسم **الرب إلهك** باطلاً" (تث ٥: ١١).

"احفظ يوم السبت لتقدّسه كما أوصاك **الرب إلهك**" (تث٥: ١٢).

"أما اليوم السابع فسبت **للرب إلهك**" (تث٥: ١٤).

"فأخرجك **الرب إلهك** من هناك بيد شديدة وذراع ممدودة" (تث٥: ١٥).
"أكرم أباك وأمك كما أوصاك **الرب إلهك**، لكى تطول أيامك ولكى يكون لك خير على الأرض التى يعطيك **الرب إلهك**" (تث٥: ١٦).

وهكذا أيضاً استمر تكرار عبارة "**الرب إلهنا**" فى هذا الإصحاح من سفر التثنية وفى الإصحاح التالى يقول "اسمع يا إسرائيل **الرب إلهنا** رب واحد. فتحب **الرب إلهك** من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك" (تث٦: ٤، ٥).
وهذا النص بالذات له أهمية خاصة إذ يبرز حقيقة أن **الرب الإله** لا معبود سواه **وهو الإله الحقيقى**.
وفى قول توما الرسول للسيد المسيح: "**ربى وإلهى**" دليل قاطع على ألوهية السيد المسيح الكاملة.
الذى شاهدناه ولمسته أيدينا

هذه الأنشودة الجميلة التى بدأ بها القديس يوحنا الرسول الإنجيلى رسالته الأولى "الذى كان من البدء. الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا، **الذى شاهدناه ولمسته أيدينا** من جهة كلمة الحياة. فإن الحياة أظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأُظهرت لنا" (١يو١: ١، ٢).
إن التجسد الإلهى قد أعطى للإنسان الفرصة أن يدرك الله بحواسه الجسدية وليس بروحه فقط.
فالإنسان يختلف فى طبيعته عن الملائكة الذين هم أرواح فقط كقول الكتاب "الصانع ملائكته رياحاً (أرواحاً) وخدامه لهيب نار" (عب١: ٧).
الإنسان له جسد ونفس وروح عاقل. والجسد له خمس حواس يدرك بها الأشياء المحيطة به.
والإنسان له ذهن جسدى وعقل روحى مثلما قال معلمنا بولس الرسول عن الصلاة بلغة أخرى غير اللغة التى يعرفها الإنسان من موطنه: "إن كنت أصلى بلسان **فروحى** تصلّى، وأما **ذهنى** فهو بلا ثمر. فما هو إذاً. أصلى بالروح، وأصلى بالذهن أيضاً. أرتل بالروح وأرتل بالذهن أيضاً" (١كو١٤: ١٤، ١٥).
أى أن القديس بولس الرسول يريد أن يشترك الجسد مع الروح فى العبادة، يشترك الذهن الجسدى مع الروح العاقل فى الإنسان.
الروح له إمكانيات تختلف عن إمكانيات الجسد لذلك قال القديس يوحنا الرسول فى بداية رؤياه: "كنت فى الروح فى يوم الرب" (رؤ١: ١٠). وقال أيضاً بعد ذلك: "بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح فى السماء والصوت الأول الذى سمعته كبوق يتكلّم معى قائلاً: اصعد إلى هنا فأريك ما لابد أن يصير بعد هذا وللوقت **صرت فى الروح؛** وإذا عرش موضوع فى السماء وعلى العرش جالس. وكان الجالس فى المنظر شبه حجر اليشب والعقيق وقوس قزح حول العرش فى المنظر شبه الزمرد.." (رؤ٤: ١-٣).
الله لا يحتقر الجسد

إن الله لم يحتقر الجسد وسعى لخلاص جسد الإنسان، كما سعى لخلاص روحه. فالإنسان يحتاج للخلاص جسداً وروحاً.. كل طبيعته البشرية تحتاج إلى الله وتحتاج إلى الخلاص وتحتاج إلى الحياة الأبدية.

ولهذا فعندما ظهر السيد المسيح لتلاميذه بعد قيامته من الأموات؛ استمر يؤكد لهم قيامته بالجسد الذى صلب به.
وقد سجّل ذلك معلمنا لوقا الإنجيلى فقال: "وفيما هم يتكلمون بهذا وقف يسوع نفسه فى وسطهم وقال لهم: **سلام لكم.** فجزعوا وخافوا وظنوا أنهم نظروا روحاً. فقال لهم: ما بالكم مضطربين، ولماذا تخطر أفكار فى قلوبكم. انظروا يدىّ ورجلىّ إنى أنا هو **جسّونى وانظروا فإن الروح ليس له لحم وعظام كما ترون لى.** وحين قال هذا أراهم يديه ورجليه. وبينما هم غير مصدقين من الفرح ومتعجبون قال لهم: أعندكم ههنا طعام. فناولوه جزءًا من سمك مشوى، وشيئاً من شهد عسل. فأخذ وأكل قدامهم" (لو٢٤: ٣٦-٤٣).
وكتب القديس لوقا أيضاً فى سفر أعمال الرسل عن السيد المسيح وتأكيده على قيامته للرسل الذين اختارهم "الذين **أراهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة** بعد ما تألم وهو يظهر لهم أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله" (أع١: ٣).
وقد اهتم تلاميذ السيد المسيح كثيراً بجسده بعد موته المحيى على الصليب سواء فى طلبه من بيلاطس، أو فى إنزاله عن الصليب، أو فى تكفينه ودفنه، أو فى الرغبة فى وضع الأطياب عليه فى فجر الأحد بواسطة النساء اللواتى أتين إلى القبر "فوجدن الحجر مدحرجاً عن القبر. فدخلن ولم يجدن **جسد الرب يسوع.** وفيما هن محتارات فى ذلك إذا رجلان وقفا بهن بثياب براقة. وإذ كن خائفات ومنكسات وجوههن إلى الأرض قالا لهن: لماذا تطلبن الحى بين الأموات. ليس هو ههنا لكنه قام" (لو٢٤: ٢-٦).

كلّمنا فى ابنه

لم يحتمل الشعب فى العهد القديم أن يظهر لهم الله على أعلى جبل سيناء ويكلّمهم "وكان جميع الشعب يرون الرعود والبروق وصوت البوق والجبل يدخّن. ولما رأى الشعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد. وقالوا لموسى تكلّم أنت معنا فنسمع. ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت" (خر٢٠: ١٨، ١٩).
لذلك صار الله يكلّم الشعب بواسطة الأنبياء ولا يتكلم معهم مباشرة وعن ذلك قال معلمنا بولس الرسول: "الله بعد ما كلّم الآباء بالأنبياء قديماً بأنواع وطرق كثيرة، **كلّمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه** الذى جعله وارثاً لكل شئ" (عب١: ١، ٢). أى أمكن أن يتكلم الله مع البشر مباشرة بتجسد ابنه الوحيد.
لذلك قال القديس يوحنا الإنجيلى: "والكلمة صار جسداً وحل بيننا، ورأينا مجده مجداً كما لوحيدٍ من الآب مملوءًا نعمةً وحقاً" (يو١: ١٤).
من المفهوم طبعاً أن السيد المسيح قد اتخذ طبيعة بشرية كاملة جسداً وروحاً عاقلاً وجعلها فى وحدانية كاملة مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.
ولكن مسألة التجسد قد أدت دوراً كبيراً فى تلامس الإنسان مع الله وتآلفه معه وإدراكه لكثير من الأمور التى جعلته يتمتع بمفاعيل الخلاص وينطلق نحو الحياة الروحية التى تؤهله لميراث ملكوت السماوات.
لذلك قال معلمنا يوحنا الإنجيلى: "**رأينا مجده**" (يو١: ١٤). وقال معلمنا بطرس الرسول: "لأننا لم نتبع خرافات مصنعّة إذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه؛ بل قد كنا **معاينين عظمته.** لأنه أخذ من الله الآب كرامة

ومجداً إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى هذا هو ابنى الحبيب الذى أنا سررت به. ونحن **سمعنا** هذا الصوت مقبلاً من السماء إذ كنا معه فى الجبل المقدس" (٢بط١: ١٦-١٨).

لقد تلامس التلاميذ، الذين هم شهود الإنجيل، مع السيد المسيح بالسمع والنظر واللمس قبل القيامة من الأموات وبعدها، **ووصلت ذروة تلامسهم من بعد القيامة إذ أدركوا حقيقة القيامة والحياة الأبدية. لذلك قال القديس يوحنا عن تلامسهم هذا: "فإن الحياة أظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبّركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأُظهرت لنا"** (١يو١: ٢).

القيامة هى موضوع شهادة

قبل التجلى بستة أيام أنبأ السيد المسيح تلاميذه عن آلامه وموته وقيامته، وقد سجل القديس متى الإنجيلى ذلك بقوله: "من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغى أن يذهب إلى أورشليم ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويُقتل **وفى اليوم الثالث يقوم**" (مت١٦: ٢١).

أراد السيد المسيح بذلك أن يجعلهم يفهمون أنه سوف يبذل للموت نفسه بإرادته، وأنه سوف يقوم بسلطانه الإلهى.

كان ينبغى لكى يخبرهم بقيامته أن يخبرهم بموته، لأنه لا توجد قيامة إلا من الموت. ولولا الموت لما كانت القيامة.

كانت القيامة هى أقوى برهان على لاهوته، وعلى خلوه من الخطية الأصلية التى لآدم. وكذلك برهان على بره الكامل، ونقاوته المطلقة فى حياته الإنسانية، وعلى قبول ذبيحته أمام الله الآب لغفران خطايا العالم.

إن قيامة السيد المسيح من الأموات، هى عماد الديانة المسيحية، وموضوع شهادة الآباء الرسل للعالم، بحسب وصية الرب لهم "تكونون لى شهوداً" (أع١: ٨). وحينما أرادوا أن يختاروا من يحل محل يهوذا الإسخريوطى ويأخذ وظيفته الرسولية قالوا: "فينبغى أن الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذى فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج، منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذى ارتفع فيه عنّا يصير واحد منهم **شاهداً معنا بقيامته**" (أع١: ٢١، ٢٢).

وقد أزعجت شهادة الرسل لقيامة السيد المسيح رؤساء كهنة اليهود والفريسيين والصدوقيين، وحاولوا أن يمنعوها بكل الوسائل. سواء بالتهديد والوعيد أو بالتنكيل والتعذيب. ولكن كانت إجابة الآباء الرسل الثابتة هى "نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا" (أع٤: ٢٠).

وحينما شفى بطرس ويوحنا الرسولان الرجل الأعرج عند باب الهيكل الذى يقال له الجميل "بينما هما يخاطبان الشعب أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون، متضجرين من تعليمهما الشعب **وندائهما فى يسوع بالقيامة من الأموات**. فألقوا عليهما الأيادى ووضعوهما فى حبس إلى الغد.. وحدث فى الغد أن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم اجتمعوا إلى أورشليم مع حنان رئيس الكهنة وقيافا ويوحنا والإسكندر وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة" (أع٤: ١-٣، ٥، ٦). فقال لهم الآباء الرسل: "فليكن معلوماً عند جميعكم وجميع شعب

إسرائيل أنه باسم يسوع الناصرى الذى صلبتموه أنتم **الذى أقامه الله من الأموات**. بذاك وقف هذا أمامكم صحيحاً" (أع٤: ١٠).

فى كل عظة للرسل كانوا ينادون بقيامة الرب يسوع المسيح من الأموات:

- **ففى عظة يوم الخمسين قالوا: "الذى أقامه الله** ناقضاً أوجاع الموت إذ لم يكن ممكناً أن يُمسك منه" **(أع٢: ٢٤).**

- وقالوا أيضاً: "يسوغ أن يُقال لكم جهارًا عن رئيس الآباء داود إنه مات ودُفن وقبره عندنا حتى هذا اليوم. فإذ كان نبياً وعلم أن الله حلف له بقسم أنه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه، سبق فرأى وتكلم عن **قيامة المسيح** أنه لم تُترَك نفسه فى الهاوية، ولا رأى جسده فسادًا. **فيسوع هذا أقامه الله** ونحن جميعاً شهود لذلك" (أع٢: ٢٩-٣٢).
- وفى عظة باب الهيكل الجميل قالوا: "إله آبائنا مجَّد فتاه يسوع الذى أسلمتموه أنتم وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس وهو حاكم بإطلاقه. ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل. ورئيس الحياة قتلتموه **الذى أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك**" (أع٣: ١٣-١٥).
- وإلى جوار ما سبق أن ذكرناه فى حوار بطرس ويوحنا مع رؤساء اليهود بعد شفاء الأعرج عن قيامة السيد المسيح فإن حوارًا آخر قد دار بعد القبض على كل الآباء الرسل ووضعهم فى حبس العامة، وإخراج ملاك الرب لهم فى الليل من السجن، وإحضارهم فى اليوم التالى "فلما أحضروهم أوقفوهم فى المجمع. فسألهم رئيس الكهنة قائلاً: أما أوصيناكم وصية أن لا تعلِّموا بهذا الاسم، وها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم وتريدون أن تجلبوا علينا دم هذا الإنسان. فأجاب بطرس والرسل وقالوا: ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس. **إله آبائنا أقام يسوع** الذى أنتم قتلتموه معلّقين إياه على خشبة" (أع٥: ٢٧-٣٠).
- وفى خطاب استفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء أمام مجمع اليهود قال: "ها أنا أنظر السماوات مفتوحة **وابن الإنسان قائماً عن يمين الله**" (أع٧: ٥٦).
- وعندما أرسل الرب بطرس ليكرز بالكلمة فى بيت كرنيليوس الذى كان من الكتيبة التى تُدعى الإيطالية قال عن السيد المسيح: "ونحن شهود بكل ما فعل فى كورة اليهودية وفى أورشليم. الذى أيضاً قتلوه معلقين إياه على خشبة. **هذا أقامه الله فى اليوم الثالث**. وأعطى أن يصير ظاهراً، ليس لجميع الشعب **بل لشهود سبق الله فانتخبهم** لنا نحن الذين أكلنا وشربنا معه **بعد قيامته من الأموات**" (أع١٠: ٣٩-٤١).
- وفى أنطاكية بيسيدية قال بولس الرسول فى مجمع اليهود عن السيد المسيح: "ولما تمموا كل ما كُتب عنه أنزلوه عن الخشبة ووضعوه فى قبر. ولكن **الله أقامه من الأموات**. وظهر أياماً كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم **الذين هم شهوده** عند الشعب. ونحن نبشركم بالموعد الذى صار لآبائنا؛ إن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم **إذ أقام يسوع** كما هو مكتوب أيضاً فى المزمور الثانى **أنت ابنى أنا اليوم ولدتك. إنه أقامه من الأموات** غير عتيد أن يعود أيضاً إلى فساد" (أع١٣: ٢٩-٣٤).

فى هذا الخطاب ربط القديس بولس بين بنوة المسيح لله فى قول المزمور: "أنت ابنى" (مز٢: ٧) وبين القيامة. لأن القيامة كانت نتيجة حتمية لاتحاد اللاهوت بالناسوت.. إذ أن الذى مات بحسب الجسد هو هو نفسه القدوس الحى الذى لا يموت بحسب لاهوته. وقام بسلطانه الإلهى منتصراً على الموت، لأنه قَبِل الموت بإرادته وليس انهزاماً أمامه.

وقد ربط القديس بولس مرة أخرى الأمرين معاً فى رسالته إلى أهل رومية بقوله عن إنجيل الله: "الذى سبق فوعد به بأنبيائه فى الكتب المقدسة، عن ابنه. الذى صار من نسل داود من جهة الجسد. **وتعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات.** يسوع المسيح ربنا" (رو ١: ٢-٤). أى أن القيامة كانت برهاناً قوياً على بنوة السيد المسيح للآب.

- وحينما تكلم القديس بولس الرسول فى أثينا فى أريوس باغوس شهد لقيامة المسيح فقال: "فالله الآن يأمر جميع الناس فى كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل. لأنه أقام يوماً هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل برجل قد عيّنه مقدماً للجميع إيماناً **إذ أقامه من الأموات**" (أع١٧: ٣٠، ٣١).
- وفى خطابه أمام أغريباس الملك قال: "إن يُؤلَّم المسيح **يكن هو أول قيامة الأموات** مزمعاً أن ينادى بنور للشعب وللأمم" (أع٢٦: ٢٣).

وهكذا نرى كيف اهتم الآباء الرسل القديسون بالشهادة لقيامة السيد المسيح فى كرازتهم بالإنجيل، وتعليمهم للشعب، ومجاهرتهم بالإيمان.

لماذا قام؟

قال معلمنا بولس الرسول إن السيد المسيح قد "أُسلم من أجل خطايانا وأقيم لأجل تبريرنا" **(رو ٤: ٢٥).**

لقد صولحنا مع الله الآب بموت ابنه الوحيد الجنس على الصليب، إذ أنه قد أوفى الدين الذى علينا مقدماً جسده فداءً وعوضاً عن الجميع.

ولكن هذه المصالحة التى تمت بذبيحة الصليب لم تكن واضحة ومعلنة بالنسبة للكنيسة. بل على العكس كان تلاميذ المسيح فى حزن وبكاء وحسرة على موت المخلّص وشعروا بالضياع، وربما شعروا أيضاً بتخلى الله عنهم، وغضبه لسبب جريمة صلب ابنه الحبيب، والتى ارتكبتها البشرية فى جسارة وقسوة عجيبة!!

لذلك كان من الضرورى أن يتم إعلان المصالحة بطريقة منظورة ومحسوسة لتلاميذ السيد المسيح ولأحبائه، وذلك بقيامته من الأموات.

إن قيامة السيد المسيح قد أعلنت أن الآب قد تجاوز عن خطايانا لأن العدل الإلهى قد استوفى حقه على الصليب، بمعنى أن قداسة الله قد أعلنت كرافض للشر وللخطية وأدينت الخطية بالصليب. أما القيامة فهى تعنى عودة الحياة مرة أخرى لبنى البشر.

إن أجرة الخطية هى موت، ولكن أجرة البر هى حياة أبدية. فالموت الذى ماته السيد المسيح هو لأجل خطايانا، وأما الحياة التى يحياها فيحياها لله، ولسبب بره الشخصى، ولسبب اتحاد لاهوته بناسوته.

وكما يقول قداسة البابا شنودة الثالث -أطال الله حياته- إن السيد المسيح بموته قد حل مشكلة الخطية وبقيامته قد حل مشكلة الموت.

ولأن الموت هو نتيجة الخطية فبزواله نفهم أن الخطية قد أزيلت، وقد محيت بالقيامة.

فالسيد المسيح بقيامته قد "أبطل الموت وأنار الحياة والخلود" (٢تى١: ١٠).

إن أقصى ما يتمناه القاتل إذا ندم على خطيته هو أن يقوم القتيل فيفرح المذنب بقيامة القتيل. ولا يشعر فقط أن جريمته قد عوُلجت، ولكنه يشعر أيضاً أنه قد نال البراءة من تهمة القتل. ولعل هذا ما قصده القديس بولس الرسول بقوله عن السيد المسيح إنه "**أقيم لأجل تبريرنا**" (رو٤: ٢٥). أى أنه قد أقيم من الأموات لكى يزيل عنا جريمة موته التى تسببنا نحن فيها وما تستوجبه من دينونة.

ما أجمل ذلك الموقف الذى يدخل فيه القتيل إلى المحكمة لكى يثبت للقضاة أنه حى ولكى يرفع حُكم الإعدام عن القاتل الذى كان نادماً على خطيته متمنياً عودة القتيل لإعلان المصالحة.

أعظم المعجزات

لقد أكّد السيد المسيح أن اكتشاف لاهوته بالنسبة للبشر مرتبط إلى أقصى حد بانتصاره على الموت بالقيامة.

لذلك قال لليهود: "متى رفعتم ابن الإنسان فحينئذ تفهمون أنى **أنا هو**" (يو٨: ٢٨). وقد قصد بعبارة "متى رفعتم ابن الإنسان" أى متى صلبتم ابن الإنسان وعلقتموه على خشبة الصليب. فلولا موت الصليب ما كانت القيامة من الأموات والانتصار على الموت.

لذلك قصد السيد المسيح أن تخرج بُشرى القيامة من داخل القبر أولاً. أى أعلنت الملائكة عن قيامته من داخل القبر الفارغ قبل أن يظهر هو بنفسه للمريمات وللتلاميذ بعد قيامته.

لقد قصد أن نفهم أن القيامة قد نبعت من خلال موت الصليب. وأن الحياة قد تدفقت من خلال الموت. ولفت أنظار تلاميذه إلى هذه الحقيقة حينما قال: "إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها، ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير" (يو١٢: ٢٤).

ما أعجب حكمة السيد المسيح؛ من الموت تولد الحياة، من الألم يولد المجد، من الاتضاع تأتى الكرامة، من البذل والتضحية بالنفس يأتى امتلاك قلوب الآخرين.

وعن هذا قال: "**أنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلى الجميع** قال هذا مشيراً إلى أية ميتة كان مزمعاً أن يموت" (يو١٢: ٣٢، ٣٣) **أى متى ارتفعت على خشبة الصليب فسوف يتعلق الجميع بمحبتى.**

إن القيامة قد أعلنت لاهوت السيد المسيح ومجده الإلهى. لذلك قال معلمنا بولس الرسول: "**وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات**" (رو١: ٤).

وقال الرب لتلاميذه بعد القيامة: "كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده" (لو٢٤: ٢٦).

لا شك أن القيامة هى مجد. فبعد أمجاد البذل والتضحية والطاعة الكاملة للآب السماوى، جاءت أمجاد القيامة والانتصار على الموت بصورة ساحقة حيث لن يؤثر فيه الموت بعد قيامته.

وهذه هى الحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأُظهرت لنا (انظر ١يو١: ٢).

فى اليوم الثالث

يتساءل البعض **لماذا قام السيد المسيح من الأموات فى اليوم الثالث؟** ونقول إن لذلك أسباب كثيرة منها ما يلى:

أولاً: تحقيق النبوات

فقد ورد فى سفر هوشع النبى "هَلُم نرجع إلى الرب لأنه هو افتَرَس فيشفينا، ضَرَبَ فيجْبرنا. يحيينا بعد يومين **فى اليوم الثالث** يُقيمنا فنحيا أمامه" (هو ٦: ١، ٢).

أى أن الله الآب، فى المسيح، كان مصالحاً العالم لنفسه. والسيد المسيح إذ أخلى نفسه **وكنائب عن البشرية،** قد احتمل الآلام والموت وقبل هذه الكأس من يد الآب. **وكنائب عن البشرية** أيضاً قد دخل إلى مجده بالقيامة من الأموات. وهذه الكرامة قد نالها من يد الآب أيضاً. كما هو مكتوب عن الله " يجرح ويعصب يسحق ويداه تشفيان" (أى ٥: ١٨). وبكل ما صنعه السيد المسيح قد صولحنا مع الله بموت ابنه وخلُصنا بحياته من الغضب والعداوة القديمة ورجعنا إلى الله وصرنا أولادًا له.

والعجيب فى هذه النبوة أنها قد أشارت إلى أن القيامة ستحدث فى أول اليوم الثالث، لأنها تقول: "**بعد يومين فى اليوم الثالث يقيمنا** فنحيا أمامه"، بمعنى أن اليوم الثالث لم يكتمل، بل القيامة بعد يومين: أى بعد اكتمال يومين وفى بداية اليوم الثالث تحدث القيامة.

وهذا ما ذكره القديس مرقس الإنجيلى عن قيامة السيد المسيح "وبعدما قام **باكراً فى أول الأسبوع**" (مر١٦: ٩). وبهذا تطابقت نبوة هوشع النبى مع بشارة الإنجيل. لذلك نقول فى قانون الإيمان الأرثوذكسى {وقام من الأموات **فى اليوم الثالث كما فى الكتب**}.

ثانياً: بداية عهد جديد لشعب الله

فى العهد القديم خُلق الإنسان فى اليوم السادس **واستراح الله فى اليوم السابع من جميع عمله** الذى عمل "**وبارك الله اليوم السابع وقدّسه** لأنه فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً" (تك٢: ٣).

ولكن الإنسان أخطأ فى اليوم السابع أثناء الراحة الإلهية. وعاد الله يعمل من جديد كقول السيد المسيح: "أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو٥: ١٧). ولذلك كان السيد المسيح **يعمل أغلب معجزاته فى اليوم السابع من الأسبوع.** وثار عليه اليهود لهذا السبب فكان يؤكد لهم أنه لا يعمل هذا بمفرده بل مع الله الآب لذلك قال لهم: "الحق الحق أقول لكم لا يقدر الابن أن يعمل من نفسه شيئاً إلا ما ينظر الآب يعمل. لأن مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك" (يو٥: ١٩). فالابن لا يعمل وحده كما لو كان منفصلاً عن الآب بل يعملان معاً وأيضاً مع الروح القدس فى كل شئ حتى وأن تمايز دور كل أقنوم من الأقانيم الثلاث، ولكن العمل واحد باستمرار، ولا انفصال بين الأقانيم لسبب وحدة الجوهر الإلهى.

إذن يلزم أن يبدأ أسبوع جديد، لأن الأسبوع الأول كان سيستمر فى يومه السابع إلى الأبد لو لم يخطئ الإنسان ويحتاج أن يخلقه الله من جديد "إن كان أحد فى المسيح فهو **خليقة جديدة**" (٢كو٥: ١٧). "وقال الجالس على العرش ها أنا أصنع كل شئ جديداً" (رؤ٢١: ٥). ومما يؤكد ذلك قول يوحنا الرسول فى سفر الرؤيا: "ثم رأيت **سماءً جديدةً وأرضاً جديدةً** لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا والبحر لا يوجد فيما بعد. وأنا يوحنا رأيت المدينة المقدسة أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها" (رؤ٢١: ١، ٢). "الأشياء العتيقة قد مضت **هوذا الكل قد صار جديداً**" (٢كو٥: ١٧).

بداية الأسبوع الجديد هو يوم الأحد الذى صار هو يوم الرب، وبداية العهد الجديد هو يوم الراحة الحقيقية الذى فيه استراح من جميع عمله الذى عمل الله خالقاً. لذلك قال **قداسة البابا شنوده الثالث** أطال الرب حياة قداسته: [متى استراح الله حقاً من أعماله، أليس بعدما صنع الفداء وقام السيد المسيح من الأموات فى يوم الأحد؟].

ثالثاً: ليؤكد السيد المسيح أنه مات حقاً

فلو قام السيد المسيح سريعاً بعد موته على الصليب لظن البعض أنه لم يمت بل أفاق من غيبوبة. ولكن نزيف الدم الحاد من طعنة الحربة **واستمراره فى القبر إلى اليوم الثالث أكّدا موته بصورة قطعية**. هذا بالإضافة إلى المعجزات الأخرى التى صاحبت موته وقيامته.

رابعاً: ليبيّن أن الفداء هو من عمل الثالوث القدوس

فالثلاثة أيام ترمز إلى الثالوث القدوس وعمله فى الفداء بصفة عامة مع أن الابن فقط هو الذى تجسد متأنساً، وصلب، وقبر، وقام من الأموات. لذلك فنحن **نقبل المعمودية الواحدة بثلاث غطسات، إشارة إلى إيماننا بالثالوث القدوس الواحد**، وأيضاً إشارة إلى أننا قد دفنا مع السيد المسيح للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة (انظر رو ٦). فهناك ارتباط وثيق بين المعمودية التى نقبلها كمؤمنين بالمسيح، وبين موت المسيح وقيامته فى اليوم الثالث.

كنت ميتاً (رؤ١: ١٨)

أشار السيد المسيح كثيراً إلى موته، حتى بعد قيامته من الأموات، وأيضاً بعد صعوده إلى السماوات.. **وهذا هو منتهى الاتضاع إذ لم يستحِ من موت الصليب.**

فبعد القيامة قالت عنه الملائكة للمريمات: "أنتن تطلبن يسوع الناصرى **المصلوب**. قد قام ليس هو ههنا" (مر١٦: ٦)، "أنكما تطلبان يسوع **المصلوب**" (مت٢٨: ٥). وفى لقب "**المصلوب**" إشارة واضحة إلى موته.

هكذا أيضاً قال السيد المسيح للتلاميذ من بعد قيامته: "هكذا هو مكتوب، وهكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم **ويقوم من الأموات** فى اليوم الثالث" (لو٢٤: ٤٦).

وفى السماء من بعد الصعود، رآه القديس يوحنا الإنجيلى، وقال عنه: "من يسوع المسيح الشاهد الأمين **البكر من الأموات**" (رؤ١: ٥)، "**أنا هو.. الحى وكنت ميتاً**" (**رؤ١: ١٧، ١٨**)، "هذا يقوله الأول والآخر الذى **كان ميتاً فعاش**" (**رؤ٢: ٨**).

إلى جوار ذلك احتفظ فى جسد القيامة الممجد بآثار جراح المسامير والحربة فى جنبه. وأيضاً رآه القديس يوحنا فى السماء فى وسط العرش فى شكل "خروف قائم كأنه مذبوح" (رؤ٥: ٦)، وسمع طغمات الملائكة يصرخون مسبحين: "مستحق هو **الخروف المذبوح** أن يأخذ القدرة والغنى والحكمة والقوة والكرامة والمجد والبركة" (رؤ٥: ١٢).

وبهذا نرى أنه حتى فى السماء، بعد الصعود لا تزال ذكرى موت السيد المسيح هى موضوع شكر الملائكة عنا وتسبيحهم "وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين: مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه، **لأنك ذبحت** واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة" (رؤ٥: ٩).

لم يرغب السيد المسيح -بسبب تواضعه- أن يمحو ذكريات الموت البشع على الصليب، بعد أن قام أو بعد أن صعد. بل صار يحلو له -بسبب محبته لنا- أن يتردد الحديث عنها مُظهراً جراحات محبته على الدوام لخيرنا وخلاصنا.

بل أكثر من ذلك، ترك لنا ذكرى موته المحيى فى سر الإفخارستيا، وأوصى تلاميذه قائلاً: "اصنعوا هذا لذكرى" (لو٢٢: ١٩)، لنتذكر محبته على الدوام.

البكر من الأموات

مات كثيرون قبل السيد المسيح. ولكن السيد المسيح كان فريداً فى موته إذ صرخ بصوت عظيم وقال: "**يا أبتاه فى يديك أستودع روحى**" (لو٢٣: ٤٦، انظر مز٣١: ٥). وكانت هذه صرخة انتصار.

ولأول مرة ينطق بها مَن هو مِن بين البشر فى لحظة موته.. إذ سلّم روحه الطاهرة المباركة فى يدى الآب.. وليس تحت سلطان "ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس" (عب٢: ١٤). أما ما قاله داود النبى فى المزمور: "فى يدك أستودع روحى" (مز٣١: ٥) فهو نبوة تخص السيد المسيح لم يقلها داود عن نفسه. وبهذا يكون السيد المسيح هو الوحيد المقصود بهذه العبارة حتى إتمام الفداء.

كان السيد المسيح **بكراً فى موته** بالنسبة إلى هذه الصورة المشرّقة القوية.. ولذلك فقد **دُفن فى قبر بكر** أى "**قبر جديد، لم يوضع فيه أحد قط**" (يو١٩: ٤١).

فهو البكر فى موته من حيث إنه أول من سلّم روحه فى يدى الآب، والبكر فى قبره.. ومن هذا القبر البكر خرجت بشرى القيامة والحياة عن البكر من الأموات.

كان بكراً فى قيامته المجيدة لأنه هو الوحيد الذى قام من الأموات بجسد القيامة المُمجَّد، غير القابل للموت فيما بعد، أى الذى لا يموت على الإطلاق من بعد القيامة..

فجميع البشر وجميع القديسين الذين قاموا من الأموات، قد عادوا ورقدوا مرة أخرى انتظارًا لليوم الأخير. ولم يأخذوا أجسادًا ممجدة فى قيامتهم، إلى أن يأتى السيد المسيح فى مجيئه الثانى، ويمنحهم -بقدرته الإلهية- هذه الأجساد الممجدة التى سوف يدخلون بها إلى ملكوت السماوات، إن كانوا قد صنعوا مرضاته وحفظوا وصاياه.

لم يقم أحد بالجسد المتحرر نهائياً من الموت، إلا **البكر من الأموات**.. أى يسوع المسيح.

لهذا كُتب عنه أنه "هو البداءة، **بكر من الأموات**. لكى يكون هو متقدماً فى كل شئ" (كو١: ١٨).

هو **البكر** فى خلّوه وتحرره من الخطية، بصورة كاملة. فهو "القدوس الحق" (رؤ٣: ٧).

وهو **البكر** بين البشر فى إرضائه لقلب الآب السماوى، بطاعته الكاملة ومحبته العجيبة غير الموصوفة للآب.. والتى تتضح من قوله فى مناجاته مع الآب "أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى. وعرّفتهم اسمك وسأعرّفهم، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به، وأكون أنا فيهم" (يو١٧: ٢٥، ٢٦).

وهو **البكر والوحيد** فى ميلاده من العذراء البكر البتول، وفى ميلاده العذراوى. أى أنه هو ابنها البكر والوحيد. وفى نفس الوقت هو البكر والوحيد الذى ولد بدون زرع بشر من أى امرأة كانت!

وهو **البكر** فى موته وفى دفنه كما شرحنا سالفاً..

وهو **البكر** فى قيامته من الأموات..

وهو **البكر** فى صعوده إلى سماء السماوات، الموضع الذى لم يدخل فيه ذو طبيعة بشرية، ودخل هو إليه كسابق لنا؛ إيليا وأخنوخ قد صعدا إلى السماء ولكن ليس إلى سماء السماوات..

- هو البداءة فى قصة تجديد حياة الإنسان مرة أخرى. "وهو رأس الجسد الكنيسة، الذى هو البداءة **بكر من الأموات**" (كو١: ١٨).
- هو بداية العلاقة وموضوع العهد الجديد بين الله والإنسان.. وهو الذى استحق أن يصير "**بكراً** بين إخوة كثيرين" (رو٨: ٢٩).
- هو نوح الجديد الذى صار بواسطته تجديد الحياة على الأرض مرة أخرى..
- بل هو "آدم الثانى" (انظر رو٥: ١٤، ١كو١٥: ٤٥، ٤٧) الذى **صار بكراً**، بعد أن فقد آدم الأول مع نسله البكورية لسبب الخطية.

بداءة أم رأس أو رئيس أو أصل (Origin)

كلمة "بداءة" وكلمة "رأس" هى كلمة واحدة فى اللغة اليونانية "`avrch" (أرشى).

فحينما يقول الكتاب "**رأس** الحكمة مخافة الرب" (مز١١١: ١٠، انظر أم١: ٧). فإنها من الممكن أيضاً أن تُترجم "**بداية** الحكمة مخافة الله".

فالرأس دائماً هو المتقدم. ونفس الكلمة تستخدم فى عبارة رئيس كهنة "avrch` i`ereu,j أرشى إريفس".

فالآية التى يستخدمها أصحاب بدعة شهود يهوه للتشكيك فى ألوهية السيد المسيح والواردة فى الأصحاح الثالث من سفر الرؤيا والتى تقول:

"هذا يقوله الآمين الشاهد الأمين الصادق. بداءة خليقة الله" (رؤ٣: ١٤).. لا تعنى أكثر من أن السيد المسيح هو "**رئيس** خليقة الله" أو "**أصل** خليقة الله"، بمعنى أنه هو الخالق وسبب وجود الخليقة.

وبمنتهى البساطة يقول الكتاب "متى أَدْخَلَ البكر إلى العالم، يقول: ولتسجد له كل ملائكة الله" (عب١: ٦). وهذا يعنى أنه هو البكر من حيث إنسانيته والمسجود له أيضاً من جميع الملائكة لسبب ألوهيته.

فالسيد المسيح بتجسده صار هو البكر، فى تجديد حياة البشر، فى إرضاء قلب الآب السماوى، فى قيامته من الأموات.. صار هو البكر فى كل شئ كما هو مكتوب "هو البداءة، بكر من الأموات. **لكى يكون هو متقدماً فى كل شئ**" **(كو١: ١٨)**.

وهو فى دخوله إلى العالم **بالتجسد** صائراً فى شبه الناس لم يفقد ألوهيته وأزليته.. لهذا يقول: "ولتسجد له كل ملائكة الله" (عب١: ٦). ولكن لا أحد ينكر أنه قد صار "بكراً بين إخوة كثيرين" (رو٨: ٢٩).

إليه أشار الآب فى المزمور بقوله: "**هو يدعونى أبى أنت.. أنا أيضاً أجعله بكراً أعلى من ملوك الأرض**" **(مز٨٩: ٢٦، ٢٧)**.

وقد ورد فى طقس تكريس المذبح العبارة التالية التى يصليها الأب الأسقف: "أيها **البكر من الآب** غير المرئى بلاهوته قبل كل الدهور، **والبكر من القديسة العذراء** فى آخر الزمان بغير زواج، والبكر فى القيامة من الأموات، حتى خلّص بيعته وأقامنا معه..".

وهذا يدلنا على أن لقب "**البكر**" يخص **كلمة الله** فى ميلاده الأزلى بحسب لاهوته من الآب؛ فهو الابن **البكر والوحيد** للآب. وفى ميلاده الزمنى بحسب ناسوته من العذراء؛ هو الابن **البكر والوحيد** للعذراء. لهذا قال الكتاب "متى أدْخل البكر إلى العالم، يقول ولتسجد له كل ملائكة الله" (عب١: ٦). **هو بكر قبل دخوله إلى العالم، ثم دخل إلى العالم وظل بكراً فى كل شئ فى تجسّده.**

باكورة الراقدين

ربط القديس بولس الرسول قيامة السيد المسيح بقيامة الأموات ربطاً حتمياً حتى إنه قد قال: "**إن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام**" (١كو١٥: ١٣).

إن السيد المسيح قد ذاق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد، وهكذا أيضاً قام لأجل كل واحد.

بموته أوفى الدين الذى علينا، وفى قيامته وهبنا نعمة القيامة والحياة الجديدة الأبدية.

فى موته عن الخطايا حل مشكلة الخطية، وفى قيامته حل مشكلة الموت.

وقد قصد القديس بولس الرسول أنه: ما فائدة قيامة السيد المسيح، إن لم تكن هناك قيامة للأموات..؟

إن الإيمان بقيامة السيد المسيح، يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالإيمان بقيامة الأموات.

واعتبر القديس بولس أن الإيمان بالقيامة هو عماد الكرازة الرسولية، ولهذا قال: "إن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم. ونوجد نحن أيضاً شهود زور لله، لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح وهو لم يقمه إن كان الموتى لا يقومون. **لأنه إن كان الموتى لا يقومون فلا يكون المسيح قد قام.** وإن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم. أنتم بعد فى خطاياكم. إذاً الذين رقدوا فى المسيح أيضاً هلكوا. إن كان لنا فى هذه الحياة فقط رجاء فى المسيح فإننا أشقى جميع الناس. **ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين**" (١كو١٥: ١٤-٢٠).

إن قيامة السيد المسيح هى برهان أنه هو هو نفسه ابن الله الأزلى المولود من الآب قبل كل الدهور، الذى انتصر على الموت بقيامته. وبرهان أن ذبيحة الصليب قد أوفت كل ديون الخطية، لأنها ذبيحة الابن الوحيد القادرة أن تغفر خطايا العالم كله. هى ذبيحة غير محدودة فى قيمتها لأنها ذبيحة الله الظاهر فى الجسد. ودمه الذى سفك هو دم إلهى؛ متحد باللاهوت، قادر أن يغسل ويطهّر الخطايا.

لهذا قال القديس بولس: "إن لم يكن المسيح قد قام فباطل إيمانكم. أنتم بعد فى خطاياكم". فلا غفران للخطايا، إلا بذبيحة الابن الوحيد، هى الذبيحة الحقيقية القادرة أن تخلِّص جميع البشر.

وفى تعبيره عن الإيمان بالحياة الأبدية الموهوبة لنا من الله فى المسيح أكّد القديس بولس أن الإيمان بالمسيح – بما يقترن به من تضحيات فى هذه الحياة الحاضرة– يصير شقاءً لا مبرر له بدون القيامة وميراث الحياة الأبدية. فالقيامة هى التى أثبتت أن الروح الإنسانية تبقى بعد موت الإنسان بالجسد، وتعود الروح لتتحد بجسدها الخاص عند قيامة هذا الجسد. إذ أن الروح هى التى تحيى هذا الجسد.. ولكى يحيا، يلزمه أن تعود الروح إليه مرة أخرى.

الإيمان بالقيامة يعنى الإيمان بالحياة الآخرة، والإيمان بالفردوس كموضع انتظار لأرواح القديسين الذين رقدوا.

وقد وعد السيد المسيح اللص اليمين على الصليب قائلاً: "الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس" (لو٢٣: ٤٣).

وقال معلمنا بولس الرسول: "لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل جداً" (فى١: ٢٣). وقال: "لى الحياة هى المسيح، والموت هو ربح" (فى١: ٢١).

ولهذا ففى استنكاره لعدم الإيمان بالقيامة، وبالحياة الآخرة سواء فى الفردوس حالياً، أو فى الملكوت بعد مجيء السيد المسيح الثانى، قال القديس بولس الرسول كلماته التى أوردناها سابقاً: "إن لم يكن المسيح قد قام.. إذاً الذين رقدوا فى المسيح أيضاً هلكوا" (١كو١٥: ١٧، ١٨).

أى أن الإيمان بالقيامة معناه الإيمان باستمرار بقاء الإنسان بنفس شخصه، بالرغم من رقاد الجسد المؤقت.. لأن روحه باقية، وسوف تنضم إلى جسدها المقام من الأموات عند مجيء المسيح.

وفى هذه الملحمة الرائعة: جاءت قيامة السيد المسيح كإعلان مبكر عن الحياة الأبدية. وهذا هو معنى قول القديس بولس الرسول: "**الآن قد قام المسيح من الأموات، وصار باكورة الراقدين**" (١كو١٥: ٢٠)

فى المسيح سيُحيا الجميع

أكّد القديس بولس الرسول على إنسانية السيد المسيح، لأن ذبيحة الابن الوحيد المولود من الآب قبل كل الدهور، هى ذبيحة إنسانية –فداءً عن الجنس البشرى– قدّمها الابن الوحيد بتجسده الإلهى وصيرورته ابناً للإنسان؛ بإنسانية كاملة متحدة باللاهوت اتحادًا تاماً منذ اللحظة الأولى للتجسد.

لذلك قال القديس بولس: "فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضاً قيامة الأموات. لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح سيُحيا الجميع" (١كو١٥: ٢١، ٢٢).

كما عصى آدم الله حتى الموت، هكذا أطاع السيد المسيح –من جهة إنسانيته– الله حتى الموت. كما هو مكتوب عنه "إذ وُجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت، موت الصليب" (فى٢: ٨).

هذا الإنسان: يسوع المسيح.. لم يكن شخصاً آخر غير ابن الله الوحيد بل هو هو نفسه، بنفس شخصه قد صار إنساناً دون أن يفقد ألوهيته. ولهذا نادى القديس بولس قائلاً: "يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" (عب١٣: ٨). فهو الرب الأزلى وهو المخلّص الذى تجسد وصلب وقام من الأموات ليقيمنا أيضاً معه.

أقامنا معه

لقد قام السيد المسيح من الأموات قيامة لا يعقبها موت. أما نحن فنموت بالجسد ونرقد إلى مجيء الرب، وحينئذ نقوم بأجسادنا نفسها، ولكن فى وضع مختلف، حيث يخرج الأبرار إلى قيامة الحياة الأبدية، والأشرار إلى قيامة الدينونة.

إذاً فعبارة معلمنا بولس الرسول: "أقامنا معه، وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح" (أف ٢: ٦) لا تؤخذ بصورة حرفية كما لو كانت شيئاً قد حدث وانتهى حالياً، كما قال **قداسة البابا شنوده الثالث** – أطال الرب حياة قداسته– لأن **الأبرار سوف يقومون فى اليوم الأخير، أما السيد المسيح** فمكتوب عنه أنه "**باكورة الراقدين**" (١كو ١٥: ٢٠).

"والباكورة" لا تعنى إطلاقاً "الكل". فلو كان الكل قد قام بالفعل وانتهى الأمر، فكيف يعتبر السيد المسيح باكورة الراقدين؟!

إن عبارة "**أقامنا معه**" ينبغى أن تُفهم بطريقة روحية كما يلى:

أولاً: إنها وعد بالقيامة لكل من يؤمن ويثبت فى المسيح فيغلب "هذه مشيئة الآب الذى أرسلنى أن كل ما أعطانى لا أتلف منه شيئاً بل **أقيمه فى اليوم الأخير**" (يو٦: ٣٩). و"من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية **وأنا أقيمه فى اليوم الأخير**" (يو٦: ٥٤).

ثانياً: إننا **فى المعمودية** قد صرنا متحدين مع الرب بشبه موته وبشبه قيامته (انظر رومية ٦): فنحن فى المعمودية ننال قوة الموت مع المسيح وقوة القيامة معه "**مدفونين معه فى المعمودية، التى فيها أقمتم أيضاً معه**" (كو٢: ١٢).

فالقيامة المقصودة هنا هى قيامة الحياة فى البر والنصرة على الخطية. كما قال معلمنا بولس الرسول عن الله: "يقودنا فى موكب نصرته فى المسيح كل حين، ويظهر بنا رائحة معرفته فى كل مكان" (٢كو ٢: ١٤). **وهذه هى القيامة الأولى.**

أما القيامة الثانية فهى **قيامة الراقدين فى المسيح فى اليوم الأخير** "حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون" (يو٥: ٢٥).

ثالثاً: لا ينبغى الخلط بين القيامة الأولى والقيامة الثانية، كما لا ينبغى الخلط أيضاً بين الموت الأول والموت الثانى الذى تكلم عنه سفر الرؤيا والمقصود به الهلاك الأبدى. لذلك فمن يحيا فى القداسة "فلا يؤذيه الموت الثانى" (رؤ ٢: ١١).

رابعاً: نفس الأمر ينطبق على الصعود: فإن عبارة "أجلسنا معه فى السماويات فى المسيح" (أف٢: ٦) لا تعنى أننا صعدنا إلى السماء، بل كما يقول القداس الغريغورى {**أصعدت باكورتى إلى السماء** أظهرت لى إعلان مجيئك، هذا الذى تأتى فيه لتدين الأحياء والأموات وتعطى كل واحد كأعماله}.

المسألة كلها ينبغى أن تفهم بطريقة روحية ولا داعى للمزايدة لأن القديس بولس الرسول يقول: "إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس" (كو٣: ١) أى أن الإنسان الذى يتمتع ببركات القيامة يشتاق إلى الأمور السمائية.

من الظلمة إلى النور

تكلّمنا فى باب "أحداث الصلب" عن الظلمة التى كانت على كل الأرض وقت صلب السيد المسيح من الساعة السادسة (الثانية عشر ظهراً) إلى الساعة التاسعة (الثالثة بعد الظهر) وقد أراد الله أن يبرز حقيقة الظلمة الروحية التى سيطرت على العالم، ولهذا فقد سمح بأن تظلم الأرض بهذه الصورة العجيبة فى اليوم السابق لليلة الرابع عشر من شهر نيسان حينما يكون القمر بدراً أى تكون الشمس والقمر متعامدين بالنسبة للأرض ويستحيل أن يحدث خسوف طبيعى للشمس.

من هذه الظلمة نقلنا السيد المسيح إلى النور مثلما قال لبولس الرسول عند دعوته ليكرز بالإنجيل لشعوب الأرض: "لتفتح عيونهم **كى يرجعوا من ظلمات إلى نور**، ومن سلطان الشيطان إلى الله" (أع٢٦: ١٨).

أنوار القيامة

عند صلب السيد المسيح فى يوم الجمعة كانت ظلمة على كل الأرض. وفى فجر الأحد أشرقت أنوار القيامة لتعلن فجر نهار جديد أشرق على البشرية.

عن قيامة السيد المسيح كتب معلمنا متى البشير فى إنجيله: "وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع، جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر. وإذا زلزلة عظيمة حدثت، لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب، وجلس عليه. **وكان منظره كالبرق، ولباسه أبيض كالثلج.** فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات" (مت٢٨: ١-٤).

وكتب القديس مرقس الإنجيل: "وبعد ما مضى السبت، اشترت مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالومة حنوطاً ليأتين ويدهنه. **وباكراً جداً فى أول الأسبوع** أتين إلى القبر **إذ طلعت الشمس** وكن يقلن فيما بينهن: من يدحرج لنا الحجر عن باب القبر؟.. وبعد ما **قام باكراً فى أول الأسبوع** ظهر أولاً لمريم المجدلية" (مر١٦: ١-٣، ٩).

لقد قام السيد المسيح مع خيوط الضوء الأولى باكراً فى فجر الأحد وكان ملاك القيامة فى منظره **كالبرق** ولباسه أبيض كالثلج. ومعروف أن البرق هو ضوء شديد اللمعان وكان ضوء الملاك أقوى من نور الشمس التى كان نورها قد بدأ فى البزوغ ولم يكن قرصها قد خرج من المشرق بعد. لهذا ارتعد الحراس من منظر ملاك القيامة.

الله هو نور وساكن فى النور وملائكة نورانيون تخدمه. وقيل عن السيد المسيح "كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم.. فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس والنور يضئ فى الظلمة والظلمة لم تدركه" (يو١: ٩، ٤، ٥).

إن أنوار القيامة تشير إلى أنوار الحياة الأبدية حيث شركة ميراث القديسين كقول معلمنا بولس الرسول: "**شاكرين الآب الذى أهلنا لشركة ميراث القديسين فى النور، الذى أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا إلى ملكوت ابن محبته**" (**كو١: ١٢، ١٣**). إن النور هو فى ملكوت الله، والظلمة هى فى شركة المصير مع إبليس.

ويوضح القديس بولس الرسول أيضاً أن الحياة المسيحية الفاضلة هى حياة منيرة بالقيامة من الأموات وبالسلوك فى النور فقال: "**مختبرين ما هو مرضىٌّ عند الرب. ولا تشتركوا فى أعمال الظلمة غير المثمرة بل بالحرى ويّخوها.** لأن الأمور الحادثة منهم سراً ذكرها أيضاً قبيح. ولكن الكل إذا توبّخ يظهر بالنور. **لأن كل ما أُظهر فهو نورٌ. لذلك يقول: استيقظ أيها النائم وقم من الأموات فيضئ لك المسيح" (أف٥: ١٠-١٤).**

وقد شرح القديس يوحنا الرسول كيف ينير مجد الله مدينته المقدسة النازلة من السماء فقال: "أرانى المدينة العظيمة أورشليم المقدسة نازلة من السماء من عند الله، **لها مجد الله، ولمعانها شبه أكرم حجر كحجر يشب بلُّورى**.. والمدينة لا تحتاج إلى الشمس ولا إلى القمر ليضيئا فيها، **لأن مجد الله قد أنارها، والخروف سراجها**. وتمشى شعوب المخلّصين بنورها، وملوك الأرض يجيئون بمجدهم وكرامتهم إليها، وأبوابها لن تُغلق نهارًا، لأن ليلاً لا يكون هناك" (رؤ٢١: ١٠، ١١، ٢٣-٢٥).

إن الحياة مع الله هى حياة فى النور. وهذا النور يبدأ من هنا على الأرض ويستمر ويتألّق جداً فى الأبدية.

وكما خلق الله النور فى بداية الخليقة حينما "كانت الأرض خربة وخالية، وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه وقال الله ليكن نور، فكان نور. ورأى الله النور أنه حسن وفصل الله بين النور والظلمة. ودعا الله النور نهارًا، والظلمة دعاها ليلاً. وكان مساء وكان صباح يوماً واحداً" (تك١: ٢-٥).

هكذا أيضاً كانت ظلمة على كل الأرض وقت صلب السيد المسيح، ثم جاءت أنوار الخلاص وأعقبتها أنوار القيامة والبشارة بالإنجيل كقول معلمنا بولس الرسول :"**لأن الله الذى قال أن يشرق نور من ظلمة، هو الذى أشرق فى قلوبنا، لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح**" (٢كو٤: ٦).

القيامة و الخليقة الجديدة

إن الرب يسوع المسيح بخلاصه العجيب قد أعاد خلق الإنسان من جديد. لذلك قال معلمنا بولس الرسول: "إن كان أحد فى المسيح فهو **خليقة جديدة**" (٢كو٥: ١٧).

هذه الخليقة الجديدة تتم فى المعمودية، فى الاتحاد مع المسيح بشبه موته وقيامته، حيث يصلب الإنسان العتيق، ويقوم الإنسان الجديد حسب صورة خالقه.

وشرح القديس بولس فى رسالته إلى أهل رومية هذه الحقيقة فقال: "أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته. **فدفنا معه بالمعمودية للموت حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة. لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته، نصير أيضاً بقيامته، عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية**" (رو٦: ٣-٦).

وقال أيضاً: "ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال فى بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلّصنا **بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس**، الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا" (تى٣: ٤-٦).

فتكلّم فى المعمودية عن "**جدة الحياة**" وعن "**الميلاد الثانى**" وعن "**تجديد الروح القدس**" وعن الاتحاد بالمسيح "**بشبه.. قيامته**".

لقد خلق الله الإنسان على صورته ومثاله ولكن لما سقط الإنسان فى الخطية قد فقد هذه الصورة الرائعة واحتاج إلى أن يعيد الرب خلقته من جديد على هذه الصورة الإلهية.

فى ذلك قال القديس أثناسيوس الرسولى: [لقد جاء كلمة الله فى شخصه الخاص، لأنه هو وحده صورة الآب، الذى يقدر أن **يعيد خلقة الإنسان** المخلوق على الصورة] (كتاب تجسد الكلمة-الفصل الثالث-فقرة ١٣).

إن السيد المسيح الذى هو "**صورة الله** غير المنظور" (كو١: ١٥) هو وحده القادر أن يعيد خلقة الإنسان المخلوق على **صورة الله** ومثاله.

إبطال الموت

إن السيد المسيح بقيامته المجيدة من الأموات قد أعلن "الحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأظهرت لنا" (١يو١: ٢).

لذلك قال معلمنا بولس الرسول: "بمقتضى القصد والنعمة التى أعطيت لنا فى المسيح يسوع قبل الأزمنة الأزلية وإنما أظهرت الآن بظهور مخلصنا يسوع المسيح **الذى أبطل الموت وأنار الحياة والخلود**" (٢تى١: ٩، ١٠). لقد أبطل السيد المسيح الموت بقيامته من الأموات باعتباره هو "**باكورة الراقدين**" (١كو١٥: ٢٠).

وقد أنار السيد المسيح الحياة والخلود بنور قيامته "قام باكراً فى أول الأسبوع" (مر١٦: ٩). وبقيامته فى باكر يوم الأحد أشرق فجر جديد على حياة البشرية.

لهذا ارتبطت القيامة بالحياة الجديدة فى أول الأسبوع الجديد "وقال الجالس على العرش ها أنا أصنع كل شئ جديداً" (رؤ٢١: ٥).

ويشير معلمنا بولس الرسول إلى **ارتباط عهد الختان بالمعمودية، وارتباط المعمودية بعمل الله فى قيامة السيد المسيح** من الأموات فقال: "وبه أيضاً ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذى أقامه من الأموات" (كو٢: ١١، ١٢).

لقد أعاد الله تجديد الحياة على الأرض بواسطة الطوفان وفلك نوح. وذلك حينما محا الشر الظاهر الموجود فى العالم وخلّص نوحاً وبنيه بواسطة الفلك الذى بناه نوح بالإيمان لخلاص بيته "**الذى مثاله يخلصنا نحن الآن أى المعمودية.** لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح" (١بط٣: ٢١).

وبعد الطوفان عادت الحمامة إلى الفلك حاملة ورق الزيتون فى منقارها لكى تعلن لنوح أن المياه قد انحسرت عن الأرض وعادت مقومات الحياة مرة أخرى. وكانت الحمامة وورق الزيتون رمزاً لعمل الروح القدس فى المعمودية؛ وفى سر الميرون المقدس يُدْهَن زيت الزيتون الطيب المخلوط بأطياب دفن السيد المسيح التى وجدها الآباء الرسل بعد قيامته من الأموات.

إن المعمودية هى بلا شك وسيلة الخليقة الجديدة التى بها نؤهّل لميراث الحياة الأبدية ولهذا قال السيد المسيح: "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو٣: ٥).

وفى المعمودية نلبس المسيح كقول معلمنا بولس الرسول: "**لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح**" (غل٣: ٢٧). أى أننا قد لبسنا بر المسيح ولبسنا الصورة الإلهية لنعود كمخلوقين على صورة الله ومثاله.

الأسبوع الجديد

الأسبوع الجديد مرتبط بالخليقة الجديدة وبالسماء الجديدة والأرض الجديدة.

فى الأسبوع الأول خلق الله العالم فى ستة أيام واستراح فى اليوم السابع من جميع عمله الذى عمل خالقاً.

وجاء السيد المسيح فى امتداد اليوم السابع وقال: "أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو ٥: ١٧).

وقال معلمنا بولس الرسول: "إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة" (٢كو ٥: ١٧).

إذن عاد الله يخلق من جديد فى اليوم السابع وشفى المفلوج عند بركة بيت حسدا فى يوم السبت، وكذلك خلق عينين للمولود أعمى فى يوم السبت أى فى اليوم السابع.

وعندما قام السيد المسيح قام "باكراً جداً فى أول الأسبوع" (مر١٦: ٢). أى فى اليوم الأول من الأسبوع الجديد. أى أنه أعلن الحياة الجديدة وصار باكورة الراقدين فى أول الأسبوع الجديد. وصار يوم الأحد هو يوم الرب الذى استراح فيه من عمل الخلاص.

فيوم الأحد فى الوقت الحاضر هو باكورة الحياة الجديدة. **ولكن الأسبوع الجديد بمعناه الشامل سوف يبدأ فى القيامة العامة فى مجيء المسيح الثانى.**

لذلك نقرأ فى سفر الرؤيا: "**وقال الجالس على العرش ها أنا أصنع كل شئ جديداً**" (رؤ٢١: ٥). ووصف القديس يوحنا الرسول ما رآه: "رأيت سماء جديدة وأرضاً جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا" (رؤ٢١: ١).

نحن فى يوم الأحد نعيش عربون الأبدية فى يوم الرب حيث يقام الاحتفال الرئيسى بالإفخارستيا فى أهم أيام الأسبوع. ويهتف الشعب للسيد المسيح {بموتك يا رب نبشر وبقيامتك المقدسة وصعودك إلى السماوات نعترف}. إننا نصنع التذكار [الأنامنسيس] حسب أمر الرب "اصنعوا هذا لذكرى" (لو ٢٢: ١٩).

فالكنيسة فى يوم الأحد وبالتحديد فى سر الإفخارستيا؛ تحتفل بذكرى قيامة الرب وأيضاً بذكرى مجيئه الثانى حيث إن السر يأخذنا فوق الزمن لنحتفل بذكرى ما حدث فى الماضى، وما سوف يحدث فى المستقبل. ويصلى الكاهن فى القداس الإلهى: {فيما نحن أيضاً نصنع ذكرى آلامه المقدسة، وقيامته من الأموات، وصعوده إلى السماوات.. وظهوره الثانى الآتى من السماوات المخوف المملوء مجداً}. ولا عجب فى ذلك **فإن عربون الأبدية فى سر القربان المقدس** يرفعنا فوق الزمان لنعايش صلب السيد المسيح وقيامته المجيدة وصعوده ومجيئه الثانى عند استعلان ملكوت السماوات والعرس الأبدى.

إن **سر الإفخارستيا** هو عشاء العريس قُدِّم للعروس. وهو **العهد الجديد** الذى يعلن أن الرباط الزيجى بين المسيح وعروسه الكنيسة هو عهد خلاص بالدم المسفوك على الصليب "هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى" (لو٢٢: ٢٠، ١كو ١١: ٢٥).

ما بين أرض الموعد والأبدية

السبت فى اللغة العبرية "☐☐☐☐☐ سابات " معناه "**راحة**". وقد أوضح معلمنا بولس الرسول أن السبت بمعناه الحقيقى لن يتحقق فى اليوم السابع. وبدأ بولس الرسول يربط بين **اليوم والراحة** بقوله فى رسالته إلى العبرانيين: "يعيّن أيضاً يوماً قائلاً فى داود: "**اليوم**" بعد زمان هذا مقداره، كما قيل: **اليوم** إن سمعتم صوته فلا تقسّوا قلوبكم. لأنه لو كان يشوع قد **أراحهم**، لما تكلم بعد ذلك عن **يوم آخر**. إذاً بقيت راحة لشعب الله. لأن الذى دخل **راحته** استراح هو أيضاً من أعماله؛ كما الله من أعماله. فلنجتهد أن ندخل تلك **الراحة**" (عب٤: ٧-١١).

وقوله: "لو كان يشوع قد **أراحهم**" مقصود به أن أرض الموعد ليست هى أرض الميراث الأبدى. كما أنه بقوله: "**يوم** آخر" يقصد أن هناك **يوماً** آخر غير السابع وهو **اليوم الأول** من الأسبوع الجديد أو **اليوم الثامن** إذا أضفنا اليوم الأول إلى أيام الأسبوع القديم.

وقد أشار القديس بطرس الرسول إلى الحياة الجديدة وارتباطها برقم ثمانية فى مسألة تجديد الحياة على الأرض بواسطة نوح الذى أنقذه الله من الطوفان، إذ كتب يقول إن الله "لم يشفق على العالم القديم، بل إنما حفظ نوحاً **ثامناً** كارزاً للبر، إذ جلب طوفاناً على عالم الفجار" (٢بط٢: ٥). وبالرغم من أن ترتيب نوح بين الآباء الأول ليس هو **الثامن** من آدم، ولكن الكتاب أشار إلى ارتباط نوح الذى به تم تجديد الحياة على الأرض مرة أخرى برقم **الثامن** (أى **الثامن** من آنوش) فقال عنه: "ثامناً كارزاً" كما أنه أكّد ارتباط الرقم "ثمانية" بتجديد الحياة مرة أخرى بقوله: "حين كانت أناة الله تنتظر مرة فى أيام نوح إذ كان الفلك يُبنى، الذى فيه خَلَصَ قليلون، أى **ثمانى** أنفس بالماء" (١بط٣: ٢٠). فهو لم يكتفِ بأن يقول إن الذين خلصوا من الطوفان هم عدد قليل، بل حدد العدد برقم

"**ثمانية**". فالارتباط بين الحياة الجديدة ورقم "**ثمانية**" يؤكّد أن اليوم "**الثامن**" هو يوم الحياة الجديدة فى المسيح الذى هو نوح الحقيقى. وقد وُلدت الكنيسة فى حياتها الجديدة فى بداية الأسبوع **الثامن** بعد القيامة.

هذا هو اليوم الذى صنعه الرب

يقول المزمور ١١٧ "هذا هو اليوم الذى صنعه الرب، فلنبتهج ونفرح فيه. **يا رب خلصنا، يا رب سهل طريقنا.** مبارك الآتى باسم الرب. باركناكم من بيت الرب. **الله الرب أضاء علينا**" (مز١١٧: ٢٤-٢٧).

ويُقال هذا المزمور قبل إنجيل قداس عيد القيامة المجيد. ونلاحظ اختيار الكنيسة المقدسة لهذا المزمور ليناسب الاحتفال بأفراح القيامة المجيدة.

وتشير الكلمات الخاصة باليوم الذى صنعه الرب والذى ينبغى أن نبتهج ونفرح فيه إلى ثلاث مراحل متتالية:

- "يا رب خلصنا".
- "يا رب سهل طريقنا".
- "الله الرب أضاء علينا".

إن افراح القيامة قد تحققت من خلال ثلاث مراحل:

- الفداء على الصليب.
- الدفن فى القبر، وفتح الفردوس، ونقل أرواح القديسين الراقدين على الرجاء من الجحيم إلى الفردوس.
- القيامة التى أنارت الحياة والخلود فى فجر الأحد.

لهذا فقول المزمور "**يا رب خلصنا**" يشير إلى الخلاص الذى تم بذبيحة الصليب.

وقوله "**يا رب سهل طريقنا**" يشير إلى نقل أرواح القديسين الراقدين؛ من الجحيم إلى الفردوس وهى تسبح مبارك الآتى باسم الرب.

وقوله "**الله الرب أضاء علينا**" يشير إلى نور القيامة الذى أشرق على البشرية مع إشراقة فجر جديد باكراً جداً فى أول الأسبوع الجديد.

وعندما نقول: "**هذا هو اليوم الذى صنعه الرب**" عن يوم الأحد الذى قام فيه السيد المسيح وصار باكورة للراقدين **فإننا نؤكد أن يوم الرب فى العهد الجديد هو يوم الأحد وليس يوم السبت كما فى العهد القديم.**

ما بين السبت والأحد

"وبعدما قام باكراً فى أول الأسبوع ظهر أولاً لمريم المجدلية التى كان قد أخرج منها سبعة شياطين" **(مر١٦: ٩).** لقد ظهر الرب بعد قيامته من الأموات لمريم المجدلية أولاً، وأمرها أن تمضى وتخبر تلاميذه عن قيامته من الأموات.

واختار الرب مريم المجدلية بالذات لتكون أول شاهد على القيامة فى يوم الأحد، لأن الرب كان قد أخرج منها سبعة شياطين قبل صلبه وموته وقيامته من الأموات.

هذه الشياطين السبعة تشير إلى روح التعصب اليهودى الذى كان يعتبر أن ما يعمله السيد المسيح من المعجزات فى يوم السبت (اليوم السابع) هو كسر للشريعة الإلهية والناموس الموسوى. فمثلاً حينما شفى السيد المسيح مريض بِركة بيت حسدا فى يوم السبت "كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه **لأنه عمل هذا فى سبت.** فأجابهم يسوع: أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل. فمن أجل هذا كان اليهود يطلبون أكثر أن يقتلوه. لأنه لم ينقض السبت فقط. بل قال أيضاً أن الله أبوه معادلاً نفسه بالله" (يو٥: ١٦-١٨).

وحينما أخرج السيد المسيح من مريم المجدلية سبعة شياطين وظهر لها بعد قيامته فى اليوم الأول من الأسبوع الجديد؛ فإن هذا يشير إلى تحرير كنيسة العهد الجديد من عبودية الحرف الناموسية إلى حرية الروح، أى من عبودية الناموس إلى حرية مجد أولاد الله.

لقد كان اليوم السابع كيوم للراحة هو رمز فقط ليوم الرب أى يوم الأحد فى العهد الجديد. لهذا قال معلمنا بولس الرسول: "فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التى هى ظل الأمور العتيدة" (كو٢: ١٦، ١٧).

إن الإيمان بألوهية السيد المسيح وبأنه هو "رب السبت" (مت١٢: ٨) هو الذى يقود الإنسان إلى قبول يوم الأحد باعتباره يوم الرب فى العهد الجديد.

ولهذا فإن شهود يهوه الذين ينكرون ألوهية السيد المسيح؛ يتمسكون بيوم السبت مثل اليهود ويرفضون أن يكون يوم الرب هو يوم الأحد.

وكذلك الأدفنتست السبتيون الذين انحرفوا فى الإيمان بالسيد المسيح وطبيعته الخالية من دنس الخطية؛ يتمسكون بيوم السبت مثل اليهود وينادون بتعاليم عديدة مخالفة للإيمان المسيحى.

لقد كانت مريم المجدلية رمزاً للكنيسة فى مسألة اليوم السابع واليوم الثامن، وكانت أيضاً رمزاً للكنيسة حينما التقت مع الرب فى البستان بعد قيامته وظنت أنه البستانى لأنه هو آدم الثانى. وفى البستان لم توجد الحية القديمة، بل المعلم الصالح، ونادته مريم المجدلية قائلة: "ربونى، الذى تفسيره يا معلم" (يو٢٠: ١٦).

فالحية لم تعد هى المعلّم مثلما حدث فى البستان الأول (الجنة) لأنها كانت قد سُمّرت على الصليب فوق الجلجثة حينما حمل السيد المسيح خطايانا مسمّراً إياها على الخشبة مثلما شرح لنيقوديموس "كما رفع موسى الحية فى البرية، هكذا ينبغى أن يُرفع ابن الإنسان لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٤، ١٥).

يوم الرب

ولأن يوم الأحد صار هو يوم الرب، أى تذكار قيامته من الأموات وانتصاره على الموت لصالح البشرية.

ولأن التلاميذ كانوا مجتمعين معاً وقد ظهر الرب لهم لأول مرة وهم مجتمعون فى نهاية يوم الأحد الذى بدأ بقيامته وانتهى باجتماعه فى العلية مع تلاميذه، حيث عرّفهم بنفسه، وأراهم آثار الجراحات فى جسده المصلوب

القائم.. لهذا فإن الكنيسة تتذكر دائماً موت الرب وقيامته فى احتفالها بالإفخارستيا أى سر الشكر فى يوم الأحد من كل أسبوع.

فى يوم الرب ننال عطية السلام حينما نسمع الكاهن فى القداس الإلهى يقول: {سلام لجميعكم} إنها نفس كلمات الرب حينما منح السلام لتلاميذه فى يوم قيامته من الأموات.

فى يوم الرب نحتفل بالقيامة المجيدة، ويهتف الجميع فى القداس الإلهى {بموتك يا رب نبشر، وبقيامتك المقدسة وصعودك إلى السماوات نعترف. نسبحك نباركك نشكرك يا رب، ونتضرع إليك يا إلهنا}.

وحتى فى القداسات التى تُقام فى وسط الأسبوع، نتذكر قيامة الرب ونحتفل بها وننال عطية السلام.

إن الأب الكاهن فى القداس يبارك الشعب ممسكاً الصليب بيده وهو يقول: "**سلام لكم**".. أما بعد حلول الروح القدس، وتحوّل القرابين المقدسة إلى جسد الرب ودمه، فإنه يتنحى عن وسط المذبح قليلاً وينحنى وهو يقول: "سلام لكم" بمعنى أن الرب الحاضر على المذبح بجسده ودمه هو الذى يمنح السلام نحو الشعب، والكاهن لا يبارك أو يرشم بيده بالصليب، لأن الرب نفسه يكون حاضراً فى الوسط فوق المذبح المقدس، مباركاً ومانحاً السلام للجميع.

أنا هو القيامة والحياة

هناك فرق بين أن يقول السيد المسيح أنا أمنح القيامة والحياة، وأن يقول "**أنا هو القيامة والحياة**" (يو ١١: ٢٥).

لأن قوله "**أنا هو القيامة**" يعنى أنه هو نفسه سيقوم بحسب الجسد إلى جوار أنه هو **ينبوع القيامة** بالنسبة للبشر كما أنه هو الحياة كقول القديس يوحنا الإنجيلى "فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس والنور يضئ فى الظلمة" (يو ١: ٤، ٥).

هناك فرق بين قيامة لعازر من الأموات وقيامة السيد المسيح، لعازر أقامه السيد المسيح، **أما المسيح رب المجد فقد أقام نفسه بسلطانه الإلهى.**

كما أن قيامة لعازر كانت قيامة مؤقتة أعقبها الموت مرة أخرى. أما السيد المسيح فقد قام لكى لا يسود عليه الموت فيما بعد لأنه لم يكن ممكناً أن يُمسك منه.

هناك فرق بين سيارة نضع فيها بضع لترات من البنزين لتعطيها دفعة من الطاقة تسير بها بضعة كيلومترات ثم تتوقف. وبين الينبوع الذى ينبع منه البنزين إذا وجد فى سيارة فإنها سوف تسير إلى ما لا نهاية ولا تتوقف على الإطلاق كما أنها يمكنها أن تعطى وقوداً لباقى السيارات.

إن اتحاد اللاهوت بالناسوت فى السيد المسيح قد أعطى للناسوت إمكانية التحرر من الموت بصفة نهائية بحسب التدبير. ولكن السيد المسيح قد "ذاق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد" (انظر عب٢: ٩). أى أنه أخذ جسداً قابلاً للموت ولم يتدخل اللاهوت لكى يمنع الموت عن الناسوت فى وقت الصلب والفداء. ولكنه فى مسألة القيامة قد برهن على أن الذى مات هو هو نفسه الله الكلمة الذى هو بلا شك أقوى من الموت بحسب لاهوته "وتعيّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات" (رو ١: ٤).

إن القيامة بالفعل كانت هى أقوى دليل على ألوهية السيد المسيح. لهذا قال هو نفسه لليهود: "**متى رفعتم ابن الإنسان** فحينئذ تفهمون أنى أنا هو" (يو٨: ٢٨). **أى أن البرهان الأقوى على لاهوته سيتحقق عند قيامته من الأموات** بعد أن يصلبه اليهود ويقتلونه معلقين إياه على خشبة. أى حينما يرتفع على عود الصليب.

إن الانتصار على الموت فى جسم بشريتنا لم يكن ممكناً أن يتحقق إلا بتجسد وحيد الآب، الذى هو كلمة الله، الذى اتخذ طبيعتنا البشرية –بلا خطية– لكى يعبر لنا بها من الموت إلى الحياة، لأن الحياة التى فيه كانت أقوى من الموت الذى لنا.

لذلك فهناك علاقة وثيقة بين قول السيد المسيح: "أنا هو القيامة" (يو١١: ٢٥) وبين معنى التجسد الإلهى، لأنه بتجسده قد أعطى لطبيعتنا البشرية إمكانية القيامة فى شخصه المبارك.

وعن ذلك كتب معلمنا بولس الرسول: "**أقامنا معه** وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح يسوع" (أف٢: ٦). وقال أيضاً: "إن كنتم قد **قمتم مع المسيح** فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس" (كو٣: ١).

لقد صار المسيح هو حياتنا كلنا وقيامتنا كلنا.. صار هو "**باكورة الراقدين**" (١كو١٥: ٢٠) وصرنا نحن متحدين معه بشبه موته وقيامته فى المعمودية "مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضاً معه" (كو٢: ١٢).

لى الحياة هى المسيح

إننا نستمد الحياة من المسيح الذى أعطانا جسده ودمه لنحيا بهما وقال: "من يأكلنى فهو يحيا بى" (يو٦: ٥٧).

المسيح هو {شجرة الحياة التى لا يموت آكلوها}، وحينما يقول: "أنا هو.. الحياة" (يو١١: ٢٥) فذلك لأننا نحيا به، كما قال معلمنا بولس الرسول: "**لى الحياة هى المسيح**" (فى١: ٢١). وقال أيضاً: "متى أُظهِر المسيح حياتُنا فحينئذ تظهرون أنتم أيضاً معه فى المجد" (كو٣: ٤).

وكما قال السيد المسيح: "أنا هو.. الحياة" قال أيضاً: "أنا هو القيامة" لأننا نجدد قوة الاتحاد بالمسيح فى موته وقيامته التى نلناها فى المعمودية، وذلك كلما تناولنا من جسده المحيى المصلوب الحى القائم من الأموات.

القيامة بمعنى حياة النصرة على الخطية والنصرة على الموت الروحى تتحقق بالتوبة والاعتراف والتناول من جسد الرب ودمه.

فحينما نتناول من جسد السيد المسيح فإننا نتمتع بالقيامة ونحيا القيامة ونعترف بها بصورة عملية {بموتك يا رب نبشر، **وبقيامتك المقدسة.. نعترف**} (القداس الإلهى).

إن السيد المسيح القائم من الأموات يكون حاضراً فى سر التناول المقدس ويمنحنا أن نحيا القيامة ونعايشها، لأن سر القربان هو امتداد لذبيحة الصليب أى لجسد الرب المصلوب المقام من الأموات.

البعض يشتاق أن يعيش أحداث القيامة مع مريم المجدلية وبطرس ويوحنا الرسولين وتلميذى عمواس وسائر الرسل والتلاميذ. ونحن نعيشها بالفعل فى القداس الإلهى، بل ونتناول هذه القيامة لأن الرب قال عن نفسه: "أنا هو القيامة".

لهذا يصرخ الأب الكاهن عند نهاية القداس فى الاعتراف الأخير وهو يحمل الصينية وفيها الجسد المقدس: {يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه}.

إننا نتناول القيامة ونتناول الحياة لأننا نتناول المسيح، لهذا ينبغى علينا أن نستعد بالتوبة الحقيقية لأن القدسات تُمنَح للقديسين المستعدين لدخول ملكوت السماوات.

أليس التناول من جسد الرب هو عربون الأبدية.. وهو وسيلة للتمرن على الدخول إلى الحياة الأبدية وملكوت السماوات؟ فكم مرة يدعونا الرب لنختبر قوة قيامته فى حياتنا؟

إن الاشتراك مع الله فى الحياة الأبدية هو العطية الثمينة والعظمى التى طلب السيد المسيح من أجلها قبل صلبه حينما خاطب الله الآب قائلاً بشأن تلاميذه: "أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى **يكونون معى حيث أكون أنا لينظروا مجدى الذى أعطيتنى** لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم" (يو١٧: ٢٤).

إن اشتراكنا مع الله فى الخلود وفى الحياة الأبدية هو العطية التى ننالها فى المسيح وبالمسيح، بقوة دم صليبه المحيى الذى نقلنا من الموت إلى الحياة "لأنه هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد الجنس لكى لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦).

وقد شرح معلمنا بطرس الرسول إن اشتراكنا فى الحياة الأبدية يستلزم أن نهرب من الفساد الذى فى العالم بالشهوة مقدرين قيمة الخلاص الثمين، ومتمسكين بالمواعيد الإلهية فقال: "سمعان بطرس عبد يسوع المسيح ورسوله، إلى الذين نالوا معنا إيماناً ثميناً مساوياً لنا، ببر إلهنا والمخلّص يسوع المسيح؛ لتكثر لكم النعمة والسلام بمعرفة الله ويسوع ربنا. **كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى**، بمعرفة الذى دعانا بالمجد والفضيلة، **اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العُظمى والثمينة، لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية، هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة"** (٢بط١: ١-٤).

إن معلمنا بطرس الرسول يقصد أن حياة القداسة ضرورية لننال الوعد بميراث ملكوت الله. وهذا يقتضى الهروب من الفساد الذى فى العالم بالشهوة، والسلوك فى حياة المجد والفضائل الروحية.

وقد أكّد الرسول بطرس نفسه هذا المعنى فى رسالته الأولى بقوله: "فألقوا رجاءكم بالتمام على النعمة التى يؤتى بها إليكم عند استعلان يسوع المسيح. كأولاد الطاعة لا تشاكلوا شهواتكم السابقة فى جهالتكم، بل نظير القدوس الذى دعاكم، كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة، لأنه مكتوب: كونوا قديسين لأنى أنا قدوس" (١بط١: ١٣-١٦).

شركاء الطبيعة الإلهية

للأسف فإن البعض يحرّفون هذه الآية عند تعرّضهم لها، ويقولون "شركاء **فى** الطبيعة الإلهية".. هذا لم يقله الرسول بطرس لأنه لا يمكن إطلاقاً أن يشترك أى مخلوق فى طبيعة الله، أو فى كينونته، أو فى جوهره. ومن يدّعى ذلك يكون قد دخل فى خطأ لاهوتى خطير ضد الإيمان بالله وبسمو جوهره وطبيعته فوق كل الخليقة. كما أن هذا الإدعاء هو لون من الكبرياء سقط فيه الشيطان من قبل حينما قال: "أصير مثل العلى".. الرب يحمينا من هذا الكبرياء المهلك.

أما قول معلمنا بطرس الرسول: "**لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية**" فهو بمنتهى البساطة يقصد أن **نشترك مع الله فى ملكوته الأبدى** من خلال اشتراكنا فى قداسته حسب الوصية "كونوا قديسين لأنى أنا قدوس" (١بط١: ١٦). وحتى الاشتراك فى قداسة الله هو مسألة نسبية، ليست مطلقة. فكمال الخليقة هو كمال نسبى، أما كمال الله فهو كمال مطلق. وقداسة الله قداسة طبيعية غير مكتسبة، أما قداسة القديسين فهى قداسة مكتسبة.

إن الرسول بطرس يتكلم عن الاشتراك فى الحياة الإلهية مثل ميراث القديسين فى الحياة الأبدية. فقال: "بمعرفة الذى دعانا **بالمجد** والفضيلة، اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة، لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية، هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة" (٢بط١: ٣، ٤).

إننا نشترك مع الله فى العمل مثلما قال معلمنا بولس الرسول عن نفسه وعن أبلوس: "نحن عاملان مع الله" (١كو٣: ٩) نشترك مع الله فى الحياة الروحية مثل البركة الرسولية التى يُقال فيها {شركة وموهبة وعطية الروح القدس تكون مع جميعكم}.

"**شركاء الطبيعة الإلهية**" **فى الخلود، فى القداسة، فى الملكوت، فى السعادة الأبدية، فى الحب** الذى قال عنه السيد المسيح للآب: "أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتك. وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى. وعرّفتهم اسمك وسأعرّفهم **ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم**" (يو١٧: ٢٦).

إن السيد المسيح يقول للآب إن الحب الذى بينهما؛ من الممكن أن يكون فى التلاميذ. والمقصود **نوع الحب وليس مقداره.** لأن الآب غير محدود والابن غير محدود، فالحب الذى بينهما غير محدود. أما نحن فمحدودون، وننال من الحب الإلهى على قدر استطاعتنا. وبهذا توجد شركة المحبة بيننا وبين الله. ونصير شركاء الطبيعة الإلهية.. ولكن ليس شركاء **فى** الطبيعة الإلهية كما يتجاسر البعض ويقولون.

فليرحمنا الرب لكى نشعر بضعفاتنا وخطايانا فلا نسقط فى الكبرياء.

أيقونة السيد المسيح

لقد ترك السيد المسيح صورته مطبوعة على المنديل "Mandilum" وعلى الكفن المقدس. وقد انطبعت بصورة معجزية تذكارًا للأجيال. وعنها أخذ الفنانون على مدى العصور مثال صورة وجه السيد المسيح.

ويحرص الأرثوذكس البيزنطيون فى الفن الخاص بأيقوناتهم أن يكون وجه السيد المسيح أقرب ما يكون للوجه المطبوع على المنديل وعلى الكفن المقدس.

لقد ترك السيد المسيح للأجيال المتعاقبة كلامه مدوناً فى الأناجيل المقدسة وصورته على المنديل والكفن المقدس لأنه سبق أن قال لتلاميذه: "إن أنبياءَ وأبرارًا كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا. **ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع**" (مت١٣: ١٧، ١٦).

إذن فقد طوّب السيد المسيح فى العهد الجديد كلاً من الرؤية والسمع لِما يخص أعماله، وأقواله، وظهوره، وتعاليمه.

وعن هذه الطوبى كتب القديس يوحنا الرسول فى رسالته الأولى "الذى سمعناه، **الذى رأيناه بعيوننا، الذى شاهدناه ولمسته أيدينا** من جهة كلمة الحياة" (١يو١: ١).

وقد حفظت الكنائس الأرثوذكسية هذا التقليد الرسولى الذى استلمته الكنيسة من السيد المسيح.

وصارت الكنيسة تحتفل وترفع البخور وتوقد الشموع أثناء قراءة الإنجيل المقدس لأنه كلام السيد المسيح. ويقول الشماس: {قفوا بخوف أمام الله، وانصتوا لسماع الإنجيل المقدس}. ويقول الأب الكاهن: {مبارك الآتى باسم الرب؛ ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح..}. كما أنها صارت تحتفل وترفع البخور وتوقد الشموع أو القناديل أمام أيقونة السيد المسيح؛ وبخاصة أيقونة الصلبوت التى تحمل ذِكرى آلامه. والتى يصل الاحتفال بها فى يوم الجمعة العظيمة إلى الذروة.

ويتلو ذلك تكريم أيقونة الدفن فى نهاية الصلوات إلى فجر الأحد حينما يبدأ تكريم أيقونة القيامة لمدة أربعين يوماً وتضاف إليها أيقونة الصعود فى عيد الصعود إلى صلوات رفع بخور أحد العنصرة فى يوم الخمسين.

وبهذا يسير الأمران معاً: **الرؤية** (للأيقونة)، **والسمع** (عند قراءة الإنجيل) تماماً كما قصد السيد المسيح "طوبى لعيونكم لأنها تبصر، ولآذانكم لأنها تسمع" (مت١٣: ١٦).

أليست الكنيسة ككل هى أيقونة السماء على الأرض. فكيف لا تحوى أيقونة للسيد المسيح؟!.

وكما إننا لا نقدم العبادة لكتاب الإنجيل كما لو كان هو الله الكلمة وليس كلمة الله المدوّنة فى الكتب المقدسة، هكذا فنحن لا نعبد أيقونة السيد المسيح وكأنها هى السيد المسيح نفسه.

إن تكريم الأيقونات Veneration of Icons لا يتعارض إطلاقاً مع الوصية. ففى الوصايا العشر قال الرب لشعبه فى القديم "لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً ولا صورة ما مما فى السماء من فوق وما فى الأرض من تحت وما فى الماء من تحت الأرض. **لا تسجد لهن ولا تعبدهن**" (خر٢٠: ٤، ٥). أى أن ما نهى عنه الرب فى الوصية هو عبادة الصور والتماثيل التى يعبدها الوثنيون وكأنها الآلهة التى يُقدّم لها السجود.

ولكن من الجانب الآخر؛ أمر الرب موسى النبى بأن يصنع من خراطة الذهب كروبين (أى ملاكين) فوق غطاء تابوت العهد يتجهان الواحد نحو الآخر؛ وينظران نحو غطاء التابوت ويبسطان أجنحتهما (انظر خر٣٧: ٦-٩) حتى تلامس أجنحة الواحد منهما الآخر فوق غطاء التابوت.

وكان تابوت العهد فى قدس الأقداس. وكان مجد الرب يتراءى لموسى فوق غطاء التابوت تحت جناحى الكروبين؛ وكان موسى يسمع صوت الرب وهو يكلّمه "من على الغطاء الذى على تابوت الشهادة من بين الكروبين" (عد ٧: ٨٩).

وفى عهد سليمان الملك عند تدشين الهيكل فى أورشليم حينما "أدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلى مكانه فى محراب البيت فى قدس الأقداس إلى تحت جناحى الكروبين. لأن الكروبين بسطا أجنحتهما على موضع التابوت وظلل الكروبان التابوت وعصيه من فوق" (١مل٨: ٦، ٧)، قيل "أن السحاب ملأ بيت الرب. ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب لأن مجد الرب ملأ بيت الرب" (١مل٨: ١٠، ١١).

وكان العابدون من الشعب يدخلون إلى الهيكل وهم يرددون: "أما أنا فبكثرة رحمتك أدخل بيتك وأسجد قدام هيكل قدسك بمخافتك" (مز٥: ٧). لم تكن العبادة تقدَّم للكروبيم؛ بل للرب الساكن فى بيته المقدس والساكن فى السماوات، والذى سماء السماوات لا تسعه.

وكان فى القدس مذبح البخور والكهنة يبخرون فى وجود تابوت العهد والكروبيم (انظر ١مل ٦: ٢٣-٢٨) ونقش الكروبيم على ستور خيمة الاجتماع وعلى جدران الهيكل "وجميع حيطان البيت فى مستديرها رسمها نقشاً بنقر كروبيم ونخيل وبراعم زهور من داخل ومن خارج" (١مل٦: ٢٩). "والمصراعان من خشب الزيتون ورسم عليهما نقش كروبيم ونخيل وبراعم زهور" (١مل ٦: ٣٢) ولم يعتبر هذا كله مخالفاً للوصية..

إن الأيقونة المدشّنة بالميرون هى {ميناء خلاص لكل من يلجأ إليها بإيمان} (من طقس تدشين الأيقونة) هى مثل جهاز التليفون إذا تم توصيل الحرارة إليه وتحمل رقم القديس صاحب الأيقونة.

الصلاة تصل إلى السماوات. والبخور هو العلامة المنظورة للصلاة فى الكنيسة وشركة الصلاة مع القديسين. وقد أبصر يوحنا فى سفر الرؤيا فى السماء حول العرش الإلهى الأربعة وعشرين قسيساً وفى أيديهم مجامر من ذهب يرفعون بخوراً الذى هو صلوات القديسين (انظر رؤ٥: ٨).

وإيقاد الشمع أمام الأيقونة هو لتأكيد أن السيد المسيح هو نور العالم. وبالنسبة للقديسين أن حياتهم كانت منيرة بالمسيح الذى قال أيضاً لتلاميذه: "أنتم نور العالم" (مت٥: ١٤).

وتظهر أهمية الشموع بصفة خاصة حينما توجد كنيسة بلا تيار كهربائى فى الصلوات المسائية والليلية، أو التى فى الصباح الباكر جداً. وهذا كان الوضع إلى عهد قريب قبل اختراع التيار الكهربائى.

إن الأيقونة فى الكنيسة فى حال مثل هذا بدون الشمع أمامها؛ لا يراها أحد من الناس وتكون الشمعة هى تقدمة حب نحو من أناروا العالم بقداستهم.

وعند قراءة الإنجيل أيضاً تضاء الشموع لنفس الأسباب ولأن الإنجيل قد أنار العالم، والسيد المسيح قد "أنار الحياة والخلود بواسطة الإنجيل" (٢تى١: ١٠). أى بواسطة بشرى الخلاص بموت السيد المسيح وقيامته.

ولا يفوتنا هنا أن نشير أنه فى كلٍ من التقليد الأرثوذكسى الشرقى والبيزنطى قد تلازم تكريم الأيقونة مع تكريم الإنجيل المقدس. لأن السيد المسيح ترك لنا صورته على المنديل والكفن وكلامه فى الإنجيل، ولم يترك تمثالاً

مجسّماً لصورته. ومن هنا لم تُدخِل الكنائس الأرثوذكسية التمثال فى تقليدها وطقوسها التى تجرى داخل الكنيسة فى أثناء الصلوات المقدسة.

إن للتمثال أبعاد ثلاث (طول-عرض-ارتفاع). أما الأيقونة فلها بعدين، وبعدها الثالث هو عمق أو علو روحانية صاحب أو صاحبة الأيقونة.

لماذا أربعين يوماً

كتب معلمنا لوقا الإنجيلى فى سفر أعمال الرسل عن ظهورات السيد المسيح لتلاميذه بعد القيامة: "الذين أراهم أيضاً نفسه حياً ببراهين كثيرة بعدما تألم وهو يظهر **لهم أربعين يوماً** ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله" (أع١: ٣).

لم يصعد السيد المسيح بعد قيامته مباشرة إلى السماء، بل مكث على الأرض أربعين يوماً وهو يظهر لتلاميذه، لكى تفرح الكنيسة بعريسها السماوى فى قيامته المجيدة وتصبح القيامة يقيناً حقيقياً فى ضمير الكنيسة وذاكرتها.. لأن القيامة هى مصدر القوة والرجاء وموضوع الشهادة فى حياة الكنيسة، إلى أن يأتى الرب فى مجيئه الثانى للدينونة واستعلان ملكوت الله.

عاشت الكنيسة أحلى أيامها والعريس الممجد بالقيامة معها، يفرحها ويعزّيها ويمسح أحزانها.. يقويها ويشجعها.. يعلمها ويشوقها لأمجاد السماء.. ويتكلم معها عن الأمور المختصة بملكوت الله.. ملكوت الله الذى يبدأ فى قلب الإنسان بقبول سكنى الروح القدس فيه.. وينتهى بدخول الإنسان إلى الملكوت السماوى ليبتهج مع المسيح فى مجده.. أى فى شركة ميراث القديسين فى النور.. فى فرح لا ينطق به ومجيد.

فى نهاية الأربعين يوماً أبصرت الكنيسة عريسها منطلقاً نحو السماء، ليدخل إلى المجد كرئيس كهنة أعظم، شفيعاً فى المقادس السمائية. مع الوعد بإرسال الروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير. وهذا ما حدث فى اليوم الخمسين.

هذا العدد الأربعين له دلالة عميقة، إلى جوار لزوم بقاء المسيح القائم أياماً عديدة ليبرهن على قيامته للتلاميذ.

لقد صام السيد المسيح **أربعين يوما**، كما صام موسى النبى **أربعين يوماً**، وكما صام إيليا النبى **أربعين يوماً**. ولقد مكث الشعب الإسرائيلى **أربعين سنة** فى برية سيناء، منذ خروجهم من أرض مصر إلى أن دخلوا أرض كنعان.

"وكان الزمان الذى ملك فيه داود على إسرائيل **أربعين سنة**. فى حبرون ملك سبع سنين، وفى أورشليم ملك ثلاثاً وثلاثين سنة" (١مل٢: ١١).

وكان عمر موسى **أربعين سنة** حين هرب إلى البرية (انظر أع٧: ٢٣)، ومكث فيها **أربعين سنة** يرعى الغنم (انظر أع٧: ٣٠)، ثم دعاه الرب وصار قائداً ونبياً لشعب إسرائيل **أربعين سنة** ثالثة فكانت كل أيام حياته مائة وعشرين سنة (انظر تث٣٤: ٧).

وفى مناداة يونان على مدينة نينوى للتوبة قال لهم منذراً: "**بعد أربعين يوماً** تنقلب نينوى" (يون٣: ٤). وكان يونان رمزاً للسيد المسيح فى مناداته للعالم بالإيمان والتوبة وقبول خلاص الله بالفداء.

وفى أيام نوح جلب الرب طوفاناً على الأرض لسبب كثرة شرور الناس ومعاصيهم، وجدد الحياة على الأرض مرة أخرى بواسطة نوح وبنيه "وكان المطر على الأرض **أربعين يوماً وأربعين ليلة**" (**تك٧: ١٢**)، "وكان الطوفان **أربعين يوماً** على الأرض وتكاثرت المياه **ورفعت الفلك. فارتفع عن الأرض**" (تك٧: ١٧).

هكذا غمرت أمجاد القيامة الأرض أربعين يوماً حتى ارتفع الفلك الحقيقى-جسد ربنا يسوع المسيح- الذى به صار خلاص العالم كله وتجديد الحياة على الأرض مرة أخرى.

إن رقم أربعين من الناحية العددية هو رقم عشرة مكرراً أربع مرات أو هو رقم أربعة مكرراً عشر مرات أى مضروباً فى عشرة

- **فرقم أربعة** يشير إلى أربعة اتجاهات الأرض: المشارق والمغارب.. الشمال والجنوب. ويشير إلى صليب ربنا يسوع المسيح المكون من أربعة أذرع (#). ويشير إلى عرش الله حيث الأربعة أحياء غير المتجسدين، والذين لهم صورة الإنسان (إشارة إلى التجسد الإلهى)، وصورة العجل أو الثور (إشارة إلى الذبيحة الخلاصية)، وصورة الأسد (إشارة إلى القيامة)، وصورة النسر (إشارة إلى الصعود).

وكذلك يشير إلى الأناجيل (أى البشائر الأربعة التى دبر الرب كتابتها من أجل الكرازة بالإنجيل فى كل أرجاء المسكونة. وإذا عدنا إلى عرش الله والأربعة الأحياء غير المتجسدين: فالذى له وجه إنسان يشير إلى إنجيل متى والذى له وجه العجل يشير إلى إنجيل لوقا والذى له وجه الأسد يشير إلى إنجيل مرقس والذى له وجه النسر يشير إلى إنجيل يوحنا.

- **ورقم عشرة** يشير إلى الكمال العددى. ومن مضاعفات رقم عشرة تتكون جميع الأعداد الكبيرة كالمائة والألف والعشرة آلاف والمائة ألف والمليون.. وهكذا..

فرقم أربعين يشير إلى عمل المسيح من أجل الكثيرين فى أرجاء المسكونة كلها من مشارق الشمس إلى مغاربها ومن الشمال إلى الجنوب.

وفى صومه الأربعينى صام من أجل المسكونة كلها.

وعلى الصليب سُمّر الكاهن والذبيح من أجل حياة العالم كله.

وفى بقائه أربعين يوماً على الأرض بعد القيامة بقى من أجل المسكونة كلها.

وكل ما عمله السيد المسيح بتجسده وموته الكفارى وقيامته وصعوده، فهو من أجل حياة العالم وخلاص العالم كله.. ليس لليهود فقط بل للأمم أيضاً.. لكل من يقبل محبته ويؤمن به ويطيع وصاياه وتكون له الحياة الأبدية.

الباب الحادى عشر

صعود السيد المسيح

الأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه

قبيل صعود السيد المسيح إلى السماء، أوصى تلاميذه أن لا يبرحوا من أورشليم إلى أن ينالوا قوة متى حل الروح القدس عليهم، "أما هم المجتمعون فسألوه قائلين: يا رب هل فى هذا الوقت ترد الملك إلى إسرائيل؟ فقال لهم: **ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه**" (أع١: ٦، ٧).

كان السيد المسيح قد أخلى ذاته من المجد الأزلى الخاص به مع الآب والروح القدس، وذلك حينما ظهر فى الجسد.. فى صورة عبد.. فى هيئة إنسان متضع، مطيع للآب السماوى.. لذلك خاطب الآب فى مناجاته قبل الصليب قائلاً: "مجدّنى أنت أيها الآب عند ذاتك بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم" (يو١٧: ٥).

وكان وهو فى دائرة الإخلاء ينسب السلطان والمجد إلى الآب، إلى أن يعود إلى مجده مرة أخرى، بصعوده إلى السماء كقول الكتاب "عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد، تبرر فى الروح، تراءى لملائكة، كرز به بين الأمم، أومن به فى العالم، **رُفع فى المجد**" (١تى٣: ١٦).

فعندما صعد الابن الوحيد الذى تجسّد، دخل إلى مجده السمائى. ولهذا قيل "**رُفع فى المجد**". لهذا قال الكتاب "صعد الله بالتهليل، الرب بصوت البوق" (مز٤٦: ٥). وقيل أيضاً "ارفعوا أيها الملوك أبوابكم، وارتفعى أيتها الأبواب الدهرية فيدخل **ملك المجد**" (مز٢٣: ٧). إن ملك المجد هو الذى رفع فى المجد.

حينما صعد السيد المسيح جسدياً، دخل بجسده إلى المجد كسابق لنا، وكرأس للكنيسة، وكرئيس كهنة أعظم.. "دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً" (عب٩: ١٢).

وهناك فى مجده مارس سلطانه الإلهى مثل الآب تماماً بنفس المجد والكرامة ولهذا يصلى الكاهن فى القداس ويقول {**وصعد إلى السماوات وجلس عن يمينك أيها الآب ورسم يوماً للمجازاة**، هذا الذى يأتى فيه ليدين المسكونة بالعدل. ويعطى كل واحد كأعماله} (القداس الباسيلى).

فى وجوده على الأرض قبل الصعود قال للتلاميذ: "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه" (أع١: ٧). **أما عند دخوله إلى الأقداس السمائية، أى بدخوله إلى مجده فإن سلطان الآب هو سلطانه كما هو منذ الأزل.**

ولكنه حينما أخلى نفسه من المجد كان ينسب السلطان الإلهى إلى الآب.

وفى مجيء السيد المسيح الثانى للدينونة قال عن مجيئه عبارتين متساويتين: "متى جاء ابن الإنسان **فى مجده** وجميع الملائكة القديسين معه" (مت٢٥: ٣١) و "إن ابن الإنسان سوف يأتى **فى مجد أبيه** مع ملائكته.." (مت١٦:

٢٧). فمجده فى مجيئه الثانى للدينونة هو نفسه مجد أبيه. وليس هذا غريباً عمن قيل عنه أنه هو **بهاء مجد الآب** (انظر عب ١: ٣).

السيد المسيح باتضاع عجيب كان يتكلم عن سلطان الآب أثناء وجوده على الأرض مخلياً ذاته.

وكانت رسالته فى إخلائه لنفسه هى أن يتمم الفداء بطاعة حتى الموت، موت الصليب "لذلك رفّعه الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم. لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء، ومن على الأرض، ومن تحت الأرض. ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو **رب لمجد الله الآب**" (فى٢: ٩-١١).

وقيل أيضاً عن السيد المسيح أنه هو "**رب المجد**" (١كو٢ :٨).

وبما أنه هو "**رب المجد**" و "**رب لمجد الله الآب**".. كان من الطبيعى جداً بعدما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا، أن يجلس فى يمين العظمة فى الأعالى (انظر عب١: ٣)، وأن يحدد بنفسه يوماً للمجازاة، هو يوم مجيئه للدينونة.

وفى رؤيا دانيال النبى تكلّم عن سلطان السيد المسيح ومجده فقال: "كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سُحب السماء مثل ابن إنسان أتى وجاء إلى القديم الأيام. فقرّبوه قدّامه. **فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض**" (دا ٧: ١٣، ١٤).

لقد أعطى السيد المسيح تلاميذه نموذجاً ومثالاً فى الاتضاع، وفى الخضوع لمشيئة الآب السماوى، وفى التخلى عن مظاهر التباهى بالمعرفة حينما قال لهم: "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه" (أع١: ٧) ناسباً السلطان لأبيه، مع أن سلطان أبيه هو سلطانه، ومجد أبيه هو مجده، وملكوت أبيه هو ملكوته.. بل إن ملكوت الآب يُنسب إلى الابن كقول الكتاب "**ملكوت ابن محبته**" (كو١: ١٣).

"خير لكم أن أنطلق" (يو١٦: ٧)

قال السيد المسيح عن صعوده إلى السماء: "لكن لأنى قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم.. **خير لكم أن أنطلق**، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم" (يو١٦: ٦، ٧).

لم يكن أحد من التلاميذ يتصور أن فى انطلاق السيد المسيح من هذا العالم خيراً بالنسبة لهم. ولكنه بعد أن قضى معهم أربعين يوماً بعد القيامة وهو يظهر لهم ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله (انظر أع ١: ٣)، حوّلت القيامة وظهورات السيد المسيح وأحاديثه نفوس التلاميذ إلى التطلع نحو الحياة بعد الموت وإلى الأمور الروحية والأمور السمائية.

فحديثه معهم عن الأمور المختصة بملكوت الله قد شمل ملكوت الله على الأرض فى حياة الكنيسة وأسرارها وملكوت الله فى السماء حيث الأبدية الممتلئة فرحاً وسعادة للقديسين.

لهذا نرى أن التلاميذ بعد ذلك قد فرحوا بصعود السيد المسيح إلى السماء كما ورد فى إنجيل معلمنا القديس لوقا البشير "وأخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا، ورفع يديه وباركهم. وفيما هو يباركهم، انفرد عنهم وأُصعد إلى السماء، **فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم**، وكانوا كل حين فى الهيكل يسبحون ويباركون الله. آمين" (لو ٢٤: ٥٠-٥٣).

لقد فهم التلاميذ الخير فى انطلاق السيد المسيح إلى السماء كسابق للبشر الذين آمنوا به وقبلوه كمخلِّص لحياتهم.

إنه قد مضى ليعد لهم مكاناً. وسيأتى أيضاً ليأخذهم ليحيوا معه إلى الأبد فى منازل الآب السماوى.

لقد دخل السيد المسيح كرأس للكنيسة إلى أعلى السماوات، وبهذا أَصعد باكورة البشرية إلى السماء (القداس الغريغورى). ورفع رأس البشرية الذى نكّسته الخطية إلى أسفل.. رَفَعَ رأس البشرية ببره وبقبول الآب لذبيحته الكفارية على الصليب.

هذه الصعيدة التى قبلها الآب على الصليب، كان لابد أن تصعد إلى أعلى السماوات. لأنه هكذا كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا ويدخل إلى مجده.

لقد تمجّد الحب بصعوده إلى حضن الآب السماوى، الذى هو ينبوع الحب الأزلى.

وهذا ما عبّر عنه معلمنا بولس الرسول بأن الآب قد أكرم الابن المتجسد ومجّده بعد أن قدّم طاعة كاملة لأبيه حتى الموت "وإذ وُجِدَ فى الهيئة كإنسان وضع ذاته وأطاع حتى الموت موت الصليب. لذلك رفَّعهُ الله أيضاً وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فى ٢: ٨-١١).

وبدخول السيد المسيح إلى الأقداس مرة واحدة أرسل الروح القدس المعزى إلى الكنيسة حسب موعد الآب.

كان السيد المسيح قد أعلن هذا الوعد من الآب قبل أن يتمم الفداء على الصليب. إن الآب سوف يرسل الروح القدس روح الحق المعزى باسم المسيح الفادى بعد أن يقوم بإتمام الفداء.

إنه وعد عظيم أن يسكب روحه على كل بشر، معطياً الحياة الجديدة فى المسيح، مانحاً غفران الخطايا والطبيعة التى تؤهِّل لميراث ملكوت السماوات. وأن يمنح الروح القدس مواهبه وعطاياه لجميع المؤمنين فتتكاثر مواهب الروح القدس إلى جوار ثماره اللازمة لخلاص الإنسان. أما المواهب التى لبنيان الكنيسة فقد مُنحت الكنيسة أن تتمتع بعمل الروح فيها مرشداً إياها إلى جميع الحق.

وبهذا كُتبت الأناجيل وباقى أسفار العهد الجديد فى العصر الرسولى، وصار الروح القدس يقود الكنيسة، ويختار الخدام للكلمة، ويحدد المهام الكنسية للكارزين، ويرسم للكنيسة أنظمتها التى سارت عليها بحسب التقليد الرسولى فيما بعد.

لقد اجتاحت الكنيسة فى العصر الرسولى حركة قوية نقلتها إلى مدى الزمان. فبقوة الدفع التى أُعطيت للكنيسة استمرت فى حفظ الإيمان المُسلّم مرة للقديسين، ولم تقو عليها بوابات الجحيم حسب وعد السيد المسيح لها.

أين هو بولس الساموساطى ولقيان وأريوس ومقدونيوس وأبوليناريوس وسابيليوس وديدور الطرسوسى وثيئودور الموبسويستى ونسطوريوس وجميع الهراطقة الذين استخدمهم الشيطان لإفساد الإيمان؟

لقد ظلّت الكنيسة بقوة الروح القدس حافظة للإيمان الأرثوذكسى إلى يومنا هذا. وستظل أمينة إلى مجيء الرب بحسب وعده الصادق لها بأن بوابات الجحيم لن تقوى عليها.

ها أنا معكم كل الأيام

قد يتساءل البعض، كيف قال السيد المسيح لتلاميذه قبل صعوده إلى السماء: "**ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر**" (مت٢٨: ٢٠) ثم بعد ذلك صعد إلى السماء بعد أن قال أنه سوف يعود فى اليوم الأخير فى مجيئه الثانى وأكّد ذلك الملائكة الذين ظهروا للتلاميذ فى يوم صعوده (انظر أع١: ١١)؟

وللإجابة على ذلك نقول إن **السيد المسيح قد صعد إلى السماء بحسب الجسد أو بحسب إنسانيته ولكن فى نفس الوقت يملأ الوجود كله بحسب لاهوته.** لذلك فعند لقائه مع نيقوديموس أثناء خدمته على الأرض قال له: "ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء، ابن الإنسان الذى هو فى السماء" (يو٣: ١٣). وهذا يعنى أنه فيما كان يتكلم مع نيقوديموس على الأرض قال عن نفسه إنه هو فى السماء: فهو أمام نيقوديموس بحسب إنسانيته، ومالئ السماء والأرض بحسب لاهوته، وكائن فى حضن الآب كل حين.

عن هذا الصعود يُصلى الكاهن فى قداس القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات فيقول للسيد المسيح: {وعند صعودك إلى السماء جسدياً وأنت مالئ الكل بلاهوتك قلت لتلاميذك القديسين: سلامى أترك لكم سلامى أُعطيكم}.

إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى

أيضاً قصد السيد المسيح إنه إن لم يصعد بجسده المصلوب القائم من الأموات إلى السماء فلن يحل الروح القدس على التلاميذ.

لأنه كان ينبغى أن يدخل إلى قدس الأقداس فى السماء كرئيس كهنة ليشفع فينا أمام الآب كل حين كقول معلمنا بولس الرسول: "دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوَجَد فداءً أبدياً" (عب٩: ١٢).

"كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السماوات" (عب٧: ٢٦)، "خادماً للأقداس والمسكن الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان" (عب٨: ٢).

ولكن فى كل ذلك لم يقصد السيد المسيح أنه بانطلاقه إلى السماء وجلوسه عن يمين الآب فى المجد سوف يترك الكنيسة، بل أنه سوف يذهب جسدياً وإنسانياً إلى هناك ويرسل الروح القدس المعزى ليبدأ عمله فى منح العطايا والمواهب الناشئة عن استحقاقات الخلاص بدم المسيح، ولتأكيد مشاركة الأقانيم الثلاث فى عمل الخلاص.

ولكن من الجانب الآخر فقد أكد استمرار وجوده مع تلاميذه بحسب لاهوته وليس هو فقط؛ بل هو والآب السماوى "إن أحبنى أحد يحفظ كلامى، ويحبه أبى وإليه نأتى وعنده نصنع منزلاً" (يو١٤: ٢٣). عن هذا قال القديس أثناسيوس الرسولى: [عندما يصير الروح فينا، عندئذ يأتى الابن والآب، ويصنعون منزلاً فينا] (عن الروح القدس الرسالة الثالثة فقرة ٦-صفحة ١١٦).

إن سُكنى الروح القدس فى الإنسان تعنى أيضاً حضور الآب والابن لأنه حيثما يوجد الروح القدس يوجد أيضاً الآب ويوجد الابن. ولكن الروح القدس هو الذى يوصّل لنا بركات الخلاص الممنوحة لنا من الآب والابن، وهو الذى يعمل فى الأسرار فى حضور الآب والابن.

معكم كل الأيام

إن هذه العبارة تملأ قلوبنا طمأنينة، فإن السيد المسيح بالرغم من صعوده إلى السماء فهو معنا كل الأيام وفى كل الظروف.

هو يشعر بنا وبكل ما نعانيه من أجل اسمه، و"لأنه فيما هو قد تألم مجرباً؛ يقدر أن يعين المجربين" (عب٢: ١٨).

هو يلاحظ حروب الشيطان ومؤامراته وكل جيوش الشياطين وتجمهرهم حولنا فى الحروب الروحية العنيفة كقول معلمنا بطرس الرسول "إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو، فقاوموه راسخين فى الإيمان" (١بط٥: ٨، ٩).

هو يرى موجات الفكر المضاد للإيمان بوجود الله والمضاد للإيمان المستقيم والهرطقات والتعاليم الغريبة ويشعر بخطورتها على الكنيسة.

هو يرى الوسائل التكنولوجية الحديثة وانتشار الخلاعة والعثرات ووسائل الإثارة وخطورة كل ذلك على الشباب وعلى تماسك الأسرة وقداستها وجاذبية الأمور التى تضيع وقت الناس وتشغلهم عن الصلاة والتأمل فى وصايا الله فى الكتب المقدسة. هو يعرف أن إمكانياتنا أقل كثيراً من إمكانيات الشيطان وأعوانه فى وسط عالم يموج بكل هذه الموجات العالمية. وسفينة الكنيسة معذبة من الأمواج.

ولكن بالرغم من هذا كله فالإنجيل يخبرنا أن السيد المسيح -وهو على الجبل- كان يبصر سفينة تلاميذه فى وسط البحر مساءً وهى معذبة من الأمواج. **أما هو فكان فى مناجاة مع الآب من أجل الكنيسة، ثم أتاهم ماشياً على البحر فى الهزيع الرابع من الليل وانتهر البحر والريح فخضع له الجميع وانبهر التلاميذ بعد أن أتاهم صوته: "أنا هو لا تخافوا" (مت١٤: ٢٧). أنت معنا يا رب فلا نخاف.**

صعد الله بتهليل

ورد فى المزمور السادس والأربعين "**صعد الله بتهليل، والرب بصوت البوق رتلوا لإلهنا رتلوا، رتلوا لمليكنا رتلوا.. الله جلس على كرسيه المقدس**" (مز٤٦: ٥، ٦، ٨).

كيف يمكننا فهم هذه العبارات دون الإيمان بظهور الله فى الجسد، أى بتجسد الابن الوحيد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح.

هل يمكن أن يصعد الله دون أن يتجسد؟!.. نحن فى القداس الإلهى نقول مخاطبين السيد المسيح: {وعند صعودك إلى السماوات **جسدياً** وأنت مالئ الكل بلاهوتك} (القداس الغريغورى). أى أننا نفهم أن لاهوت السيد المسيح هو مالئ السماوات والأرض، ولكنه صعد جسدياً فى يوم صعوده بعد قيامته بأربعين يوماً، وشاهده التلاميذ أثناء هذا الصعود المجيد المحاط بالملائكة الذين ظهر اثنان منهم للتلاميذ وهم يتطلعون نحو السماء بعد أن أخذت الرب سحابة عن أعينهم وقالا لهم: "إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء" (أع١: ١١).

"**صعد الله بتهليل**" لا شك أن السماء قد احتفلت احتفالاً عظيماً بصعود السيد المسيح وجلوسه عن يمين الآب.. لذلك قال المزمور أنه قد صعد بتهليل أى وسط تسابيح الملائكة الذين رافقوا صعوده.

ويضاف إلى ذلك أنه يقول "**والرب بصوت البوق**" أى أن **الله الكلمة** قد صعد بتهليل وسط تسابيح الملائكة وبعضهم يضربون فى الأبواق منذرين السماوات كلها بصعود الابن الوحيد المنتصر على الموت والمخلّص لجميع المفديين.

ويؤكّد المزمور أهمية تمجيد الرب وتسبيحه فى صعوده المجيد فيقول "رتلوا لإلهنا رتلوا، رتلوا لمليكنا رتلوا". وكيف لا وهو ملك المجد؟! ويقول المزمور أيضاً "جلس الله على كرسيه" وبالفعل فإن الله الكلمة يسوع المسيح بعد صعوده قد جلس عن يمين أبيه فى عرشه السمائى.

لذلك يقول القديس مرقس الرسول فى إنجيله: "ثم إن الرب بعد ما كلّمهم ارتفع إلى السماء. **وجلس عن يمين الله**" (مر١٦: ١٩).

ويقول معلمنا بولس الرسول عن السيد المسيح: "بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا **جلس فى يمين العظمة فى الأعالى**" (عب١: ٣).

وقال أيضاً: "عن الملائكة يقول الصانع ملائكته رياحاً وخدامه لهيب نار. **وأما عن الابن كرسيك يا الله إلى دهر الدهور**" (عب ١: ٧، ٨) وهو فى هذا يقتبس من سفر المزامير (مز٤٤).

كيف يُقال "جلس الله على كرسيه؟" إن لم يكن المقصود هو الابن الكلمة الصاعد إلى السماوات. أما عن الآب فيقال أنه "**جالس**" لأنه لم يتجسد ولم يصعد ولم يجلس من بعد صعوده كما جلس الابن الوحيد المتجسد.

ارفعوا أيها الملوك أبوابكم

يقول المزمور الثالث والعشرون "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، وارتفعى أيتها الأبواب الدهرية فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد؟ الرب العزيز القدير، الرب القوى فى الحروب.. هذا هو ملك المجد" (مز٢٣: ٧، ٨، ١٠).

من الواضح جداً أن نفس هذا المزمور يتكلم أيضاً عن صعود السيد المسيح إلى السماوات العليا، إلى القدس السماوى، إلى عرش الله. الموضع الذى لم يدخل إليه من قبل ذو طبيعة بشرية.

لذلك تعجبت الملائكة حراس الأبواب الدهرية، إذ ناداهم الملائكة المصاحبون لصعود ملك المجد قائلين أن ترتفع الأبواب لدخوله الانتصارى المجيد، فتساءلوا قائلين: "من هو هذا ملك المجد؟" فأجابهم الملائكة المصاحبون إنه هو الرب العزيز القدير.. الرب القوى فى الحروب، هذا هو ملك المجد.

وعبارة "**الرب العزيز القدير**" لا تطلق إلا على الإله الحقيقى فهى تقال عن الآب، كما تقال عن الابن، وعن الروح القدس، الإله الواحد المثلث الأقانيم. وقد قيلت عن الابن فى هذا المزمور ليعرف حراس الأبواب الدهرية من هو الداخل إلى الأقداس بعد أن رأوه متجسداً فى صورة إنسان. وقيل عن الآب السماوى أيضاً "**المبارك العزيز الوحيد** ملك الملوك و**رب** الأرباب الذى وحده له عدم الموت ساكناً فى نور لا يُدنى منه. الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه **الذى له الكرامة والقدرة** الأبدية. آمين" (١تى٦: ١٥، ١٦)، فهو أيضاً له لقب "الرب العزيز القدير".

ومن الواضح طبعاً أن الآب لم تفتح له الملائكة أبواباً دهرية لكى يدخل وإنما هذا الكلام ينطبق فقط على الابن الوحيد الجنس حينما تجسد ثم صعد إلى السماوات.

بسيطاً فى صعوده

"**صعد الله بتهليل. والرب بصوت البوق" (مز٤٦: ٥).**

مع أن صعوده إلى السماء قد احتفلت به الملائكة أعظم احتفال.. إلا أن المظهر المنظور لصعود السيد المسيح كان بسيطاً للغاية، تماماً مثل مظهر قيامته المجيدة.

بعدما ظهر لتلاميذه مرات كثيرة على مدى أربعين يوماً، "أخرجهم خارجاً إلى بيت عنيا. ورفع يديه وباركهم. وفيما هو يباركهم انفرد عنهم **وأُصعد إلى السماء.** فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم. وكانوا كل حين فى الهيكل يسبحون ويباركون الله" (لو٢٤:٥٠-٥٣).

لم يصعد الرب مثل إيليا النبى فى العاصفة إلى السماء. ولم تظهر مركبة من نار وخيل من نار لتفصل بينه وبين تلاميذه مثلما حدث مع إيليا وتلميذه أليشع وقت صعوده إلى السماء. ولكن الرب صعد فى هدوء عجيب أمام أعين تلاميذه، بعدما أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم حتى يحل الروح القدس عليهم.

"ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون **وأخذته سحابة عن أعينهم.** وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق، إذا رجلان قد وقفا بهم بلباس أبيض. وقالا أيها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء. إن يسوع هذا الذى ارتفع عنكم إلى السماء، سيأتى هكذا كما رأيتموه منطلقاً إلى السماء. حينئذ رجعوا إلى أورشليم من الجبل الذى يدعى جبل الزيتون الذى هو بالقرب من أورشليم" (أع١: ٩-١٢).

أراد السيد المسيح أن يؤكد حقيقة صعوده إلى السماء "**حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا، صائراً على رتبة ملكى صادق رئيس كهنة إلى الأبد" (عب٦: ٢٠)**. لهذا صعد أمام أعين تلاميذه كما سبق أن وعدهم "أنا أمضى لأعد لكم مكاناً. وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتى أيضاً وأخذكم إلىّ، حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" (يو١٤: ٢، ٣).

وهكذا صعد مَن قدّم نفسه صعيدة مقبولة لله الآب على الصليب.. وكان لابد للصعيدة أن تصعد، وأن يدخل رئيس الكهنة الأعظم إلى قدس الأقداس السماوى. كقول معلمنا بولس الرسول: "وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا، قد جلس فى يمين عرش العظمة فى السماوات، خادماً للأقداس والمسكن الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان" (عب ٨: ١، ٢).

وحينما صعد السيد المسيح ليدخل إلى مجده السماوى بعد أن صنع الخلاص لأجلنا.. رافقته جماهير من الملائكة، ونادت تلك الملائكة نحو حراس الأقداس السماوية:"ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، وارتفعى أيتها الأبواب الدهرية، فيدخل ملك المجد"، وحينما سأل الحراس قائلين: "من هو هذا ملك المجد؟" أجابوهم قائلين: "الرب العزيز القدير، الرب القوى فى الحروب.. رب القوات، هذا هو ملك المجد" (مز٢٣: ٧-١٠).

فالسيد المسيح كان داخلاً إلى الموضع الذى لم يدخل إليه ذو طبيعة بشرية من قبل.. فى أعلى السماوات حيث عرش الله القدير.. وقد أعلنت الملائكة المصاحبة لموكب الابن الوحيد أن القادم والمحتفَل بدخوله إلى الأقداس هو ملك المجد.. الرب العزيز القدير، القاهر فى الحروب.. والذى انتصر على مملكة الشيطان، وحرر البشر، وفتح الفردوس، ورد آدم وبنيه إلى هناك، بعدما أعلن محبته على الصليب فى طاعة كاملة للآب السماوى.

ما أروع ذاك المشهد الذى لخصه معلمنا مرقس الإنجيلى بقوله: "ثم إن الرب بعدما كلمهم (أى التلاميذ) ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله" (مر١٦: ١٩).

لم يشأ السيد المسيح أن يبصر التلاميذ هذه الأمجاد العجيبة والمناظر السمائية وهو يدخل إلى السماء، لأن مشهد المجد هذا سوف يبصرونه فى استعلان مجد ملكوته عند مجيئه الثانى ودخولهم معه إلى الأبدية.

لم يشأ أن ينشغلوا بالمناظر الفائقة للطبيعة.. لكى لا تنسى الكنيسة رسالتها الحقيقية فى حمل الصليب والكرازة بالإنجيل.. ولكى لا ينقادوا إلى الأمور العالية، بل ينقادوا إلى المتواضعين. أما المناظر السمائية الفائقة فلها وقتها المناسب، حينما يلبس القديسون أجساد القيامة الروحانية ليرثوا مع السيد المسيح فى مجده.

قد يحدث فى بعض الأوقات أن تظهر بعض الإعلانات السماوية لضرورة خاصة. ولهذا أرسل السيد المسيح ملاكين من الملائكة المصاحبين له ليؤكدوا للتلاميذ أنه قد انطلق إلى السماء، وأنه سوف يعود مرة أخرى. ولينصحوهم بالذهاب إلى أورشليم انتظارًا لحلول الروح القدس، وبداية عمل الكرازة المؤيّد بمواهب الروح.

لقد صار الصعود حقيقة مؤكَدة فى وجدان الكنيسة، ولكن ليس مشهداً تنشغل به عن رسالتها الحقيقية فى خلاص البشر.

اختفى السيد المسيح عن أعين التلاميذ إذ أخذته سحابة عن أعينهم.. ولكنه كان قد وعدهم قائلاً: "ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (مت٢٨: ٢٠).

هو حاضر بلاهوته فى كل زمان ومكان.. هو حاضر بروحه القدوس وفاعل فى المؤمنين.

يستطيع القديسون فى الروح أن يروه بأعين الإيمان.. بأعين القلب النقى.. بشركة الروح كما سبق فوعد قائلاً: "الذى عنده وصاياى ويحفظها.. أنا أحبه **وأظهر له ذاتى" (يو١٤: ٢١).**

كما طوّب السيد المسيح القديسين وقال: "طوبى للأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (مت٥: ٨).

لم تعد رؤية السيد المسيح منظراً عادياً ينشغل به البشر.. ولكنها صارت حياة تتدفق فى قلوب الذين باعوا العالم، وأحبوا البر الذى فى السيد المسيح، وحملوا الصليب من خلف فاديهم([٨])، مرددين قول معلمنا بولس الرسول: "لى الحياة هى المسيح" (فى١: ٢١).

وتحقق فيهم قول المرنم عن الكنيسة وأعضائها "كل مجد ابنة الملك من داخل" (مز٤٤: ١٣).

"وأخذته سحابه عن أعينهم" (أع١: ٩)

عند صعود السيد المسيح إلى السماء بعدما أوصى تلاميذه "ارتفع وهم ينظرون، **وأخذته سحابة عن أعينهم"** (أع١: ٩).

كان السيد المسيح فى قمة مجده بين تلاميذه بعد القيامة.. وحينما كان يظهر لهم كانوا يفرحون بصورة غير عادية، إلى جوار الرهبة العميقة التى كانوا يشعرون بها فى حضرته الإلهية.

حينما ظهر للتلاميذ فى الأحد التالى لأحد القيامة، قال لتوما: "هات إصبعك إلى هنا وأبصر يدىَّ، وهات يدك وضعها فى جنبى، ولا تكن غير مؤمنٍ بل مؤمناً، أجاب توما وقال له: ربى وإلهى" (يو٢٠: ٢٧، ٢٨)

أى أن جميع التلاميذ قد اعترفوا بألوهيته، وأيقنوا ذلك.. وكانت القيامة هى الإعلان الدافع إلى ذلك، كقول معلمنا بولس الرسول: "وتعيّن ابن الله بقوة، من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات" (رو١: ٤).

فى قمة هذا المجد الذى قال عنه السيد المسيح: "أما كان ينبغى أن المسيح يتألم بهذا، ويدخل إلى مجده" (لو٢٤: ٢٦)، اختار السيد المسيح أن يترك العالم، ويمضى إلى الآب حيث المجد السماوى.

---

[٨]) المقصود إنه من حيث أن السيد المسيح قد مات حاملاً خطايانا، وأعطانا أن نحيا للبر الذى فيه، فحياتنا بعد صلب الإنسان العتيق بالعماد هى بحياة المسيح فينا "أحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فىَّ" (غل٢: ٢٠). مثل التشبيه بقصة الأخوين البحارين اللذين قدّم أحدهما –وهو البار الذى أصابته القرعة ليركب زورق النجاة– قرعته وحياته للآخر الذى كان خاطئاً ويحتاج إلى التوبة ليحيا بها. ومات هو عوضاً عنه.

ترك السيد المسيح تلاميذه بحسب الجسد حينما "انفرد عنهم وأُصعد إلى السماء" (لو٢٤: ٥١)، ولكنه لم يتركهم بحسب لاهوته بحسب وعده "ها أنا معكم كل الأيام إلى إنقضاء الدهر" (مت٢٨: ٢٠).

هكذا اتضع السيد المسيح فى خدمته.. لأنه ترك العالم.. ولم يعد تلاميذه ينظرونه حسب الجسد.. وقد فعل ذلك وهو فى قمة مجده على الأرض بعد القيامة.. لأنه لم ينظر إلى المجد الأرضى.. بل كان المجد الحقيقى فى نظره، هو أن يصنع مشيئة الآب الذى أرسله.. وأن يمضى إلى الآب ليدخل إلى الأقداس السماوية، باعتباره رئيس الكهنة الأعظم "خادماً للأقداس والمسكن الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان" (عب٨: ٢).

المجد الأرضى الذى ناله السيد المسيح بعد القيامة، لم يجتذبه عن رسالته السمائية.. فغادر الأرض.. واختفى عن أعين تلاميذه. وأخذته سحابة عن أعينهم.

صعود إيليا

"ولما قال هذا **ارتفع وهم ينظرون**. وأخذته سحابة عن أعينهم" (أع١: ٩).

كان ينبغى أن يصعد السيد المسيح أمام أعين تلاميذه، ليجتذب أنظارهم نحو السماء حيث جلس هو عن يمين العظمة.

صعود السيد المسيح يذكرنا بصعود إيليا النبى على مرأى من تلميذه أليشع. فقد حدث "**عند إصعاد الرب إيليا فى العاصفة إلى السماء، أن إيليا وأليشع ذهبا من الجلجال.. إلى بيت إيل.. إلى أريحا.. إلى الأردن.. وأخذ إيليا رداءه ولفه وضرب الماء فانفلق إلى هنا وهناك، فعبرا كلاهما فى اليبس. ولما عبرا قال إيليا لأليشع: اطلب ماذا أفعل لك قبل أن أُوخذ منك. فقال أليشع ليكن نصيب اثنين من روحك علىّ. فقال صعّبت السؤال. فإن رأيتنى أُوخذ منك يكون لك كذلك وإلاّ فلا يكون**" (٢مل٢: ١-١٠).

لقد طلب أليشع أن يكون له نصيب البكر فى البركة التى ينالها من قبل الرب بواسطة سيده ومعلمه إيليا وكان نصيب البكر هو نصيب اثنين من الأبناء فى توزيع الميراث.

وعبارة "نصيب اثنين من روحك علىّ" تعنى روح النبوة، أى مواهب الروح القدس التى نالها إيليا النبى، مثلما قيل عن يوحنا المعمدان -أعظم مواليد النساء من الأنبياء- أنه يتقدم أمام السيد المسيح "**بروح إيليا وقوته**" (لو١: ١٧).

لقد طلب أليشع مواهب الروح القدس، لأنه لا يستطيع أن يمارس رسالته كنبى بدون قوة الروح القدس. وإرشاده وفعله.

كان أليشع فى ذلك رمزاً إلى الكنيسة التى كانت تنتظر موعد الآب، الذى أشار إليه السيد المسيح فى حديثه مع تلاميذه، كما هو مدون فى سفر الأعمال "وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم، بل ينتظروا موعد الآب الذى سمعتموه منى. لأن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير" (أع١: ٤، ٥).

رداء إيليا

"وفيما هما يسيران ويتكلمان إذا مركبة من نار وخيل من نار ففصلت بينهما، فصعد إيليا فى العاصفة إلى السماء. وكان أليشع يرى وهو يصرخ يا أبى يا أبى مركبة إسرائيل وفرسانها. ولم يره بعد. فأمسك ثيابه ومزقها قطعتين. **ورفع رداء إيليا** الذى سقط عنه، ورجع ووقف على شاطئ الأردن. فأخذ رداء إيليا الذى سقط عنه وضرب الماء، وقال: أين هو الرب إله إيليا، ثم ضرب الماء أيضاً، فانفلق إلى هنا وهناك فعبر أليشع. ولما رآه بنو الأنبياء الذين فى أريحا قبالته، قالوا قد استقرت روح إيليا على أليشع" (٢مل٢: ١١-١٥).

إن **رداء إيليا** الذى حمله أليشع، بعد إصعاد إيليا إلى السماء، وشق به مياه الأردن، **يرمز إلى بر المسيح** الذى يلبسه المعمد المؤمن بالمسيح فى المعمودية. كقول معلمنا بولس الرسول: "**لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح**" (غل٣: ٢٧).

والعجيب أن لهذا الرداء قصة: إذ أن إيليا النبى كان قد طرح على أليشع هذا الرداء فى أول لقاء بينهما، حينما أمره الرب أن يمسح أليشع نبياً "امسح أليشع بن شافاط من آبل محولة نبياً عوضاً عنك.. فذهب من هناك ووجد أليشع بن شافاط يحرث **واثنا عشر فدان بقر قدامه، وهو مع الثانى عشر**، فمر إيليا و**طرح رداءه عليه**" (١مل١٩: ١٦-١٩).

كان طرح الرداء على أليشع هو علامة دعوة الرب له عن يد إيليا النبى، ليدخل فى نصيب الرب وليتشح برداء النبوة.

نرى فى هذه القصة أن أليشع كان "مع الثانى عشر" ولا يخفى ما فى ذلك الرقم من إشارة إلى تلاميذ السيد المسيح الاثنى عشر الذين دعاهم ليكونوا معه وأرسلهم لبشارة الملكوت.

إن قصة إصعاد إيليا إلى السماء ومقدماتها وملابساتها وما نتج عنها، تمتلىء بالرموز الخاصة بالسيد المسيح وكنيسته المجيدة وإرسال الروح القدس إلى الكنيسة فى يوم الخمسين بألسنة موزعة كأنها من نار. الأمور التى لا يتسع المجال أن نتكلم عنها بالتفصيل ولكنها جميعها تبرز روعة الإعلان الإلهى فى الكتاب المقدس بعهديه.

بين الصعود وحلول الروح القدس

قال السيد المسيح لتلاميذه: "خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق، لا يأتيكم المعزى" (يو١٦: ٧).

فكان انطلاق السيد المسيح إلى السماء هو العلامة التى انتظرت على أساسها الكنيسة حلول الروح القدس فى يوم الخمسين.

لذلك قال إيليا لأليشع "صعبت السؤال. فإن رأيتنى أوخذ منك يكون لك كذلك، وإلا فلا يكون". أى أن شرط أن يستقر روح النبوة الذى لإيليا على أليشع، أن يراه وهو صاعد إلى السماء.

بمعنى أن التلامس مع حقيقة الصعود هو الذى يؤهل لنيل قوة ومواهب الروح القدس.

قال السيد المسيح لتلاميذه قبيل صعوده: "أقيموا فى مدينة أورشليم إلى أن تُلبسوا قوة من الأعالى" (لو٢٤: ٤٩).

صعد السيد المسيح "بعد ما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم" (أع١: ٢) الذين أراهم أيضاً نفسه ببراهين كثيرة بعد قيامته من الأموات.

ارتفع بصورة منظورة، جسدياً، أمام أعين تلاميذه.. تماماً مثلما ارتفع فى أعينهم ببذله نفسه عنهم على الصليب، وظهوره لهم بعد القيامة ليمسح أحزانهم، وعودته إلى الآب تاركاً الأرض بعدما رفض المُلك الأرضى عليها.

كان السيد المسيح جديراً أن يصير هو ملك ملوك الأرض، بعد انتصاره على الموت الذى لم ينتصر عليه أى إنسان مهما كانت عظمته.

ولكن السيد المسيح غادر الأرض وهو فى قمة انتصاره ومجده.. فيا لروعة التخلّى عن كل أمجاد العالم.! أليس هو الذى سبق فقال: "مملكتى ليست من هذا العالم" (يو١٨: ٣٦). وأيضاً سبق فقال لتلاميذه: "خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم، وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب" (يو١٦: ٢٨).

حقاً ارتفع السيد المسيح أمام أعينهم، كما ارتفع فى أعينهم وهو يغادر الأرض فى بساطة شديدة دون أن يطلب مجداً من الناس.. لأن المجد الحقيقى كان فى وجوده مع الآب الذى أرسله.

لقد اجتذب السيد المسيح مشاعر تلاميذه نحو السماء.. وصارت نبضات قلوبهم تعزف أجمل الألحان مع أناشيد السمائيين كما يقول المزمور "صعد الله بتهليل. والرب بصوت البوق. رتلوا لإلهنا رتلوا. رتلوا لمليكنا رتلوا. **لأن الرب هو ملك الأرض كلها**. رتلوا بفهم. فإن الرب ملك على جميع الأمم. **الله جلس على كرسيه المقدس**" (مز٤٦: ٥-٨) وبهذا ملك الرب..

ملك السيد المسيح على قلوب محبيه، واجتذب مشاعرهم نحو كرسيه الذى فى السماوات. وهذا ما أوجزه القديس مرقس فى إنجيله بقوله: "**ثم إن الرب بعدما كلَّمهم ارتفع إلى السماء وجلس عن يمين الله**" (مر١٦: ١٩).

لهذا قال معلمنا بولس الرسول: "إن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق **حيث المسيح جالس عن يمين الله**.." (كو٣: ١).

وقال أيضاً: "فإن سيرتنا نحن هى فى السماوات التى منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح. الذى سيغيِّر شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (فى٣: ٢٠، ٢١).

متى صعد السيد المسيح؟

يقول البعض إن السيد المسيح قد صعد بعد قيامته مباشرةً، أى بعد لقائه فى البستان مع مريم المجدلية، وأنه عاد إلى الأرض ليظهر لتلاميذه بعد ذلك. وأنه استمر طوال الأربعين يوماً التالية للقيامة يتردد بين السماء والأرض، إلى أن صعد بصفة نهائية فى اليوم الأربعين بعد قيامته، أى فى خميس الصعود.

وهذا القول يتعارض مع تعليم الكتاب المقدس ومع تقليد الكنيسة. لأن **الكنيسة تحتفل بعيد الصعود باعتبار أن السيد المسيح قد دخل فيه إلى الموضع الذى لم يدخل إليه ذو طبيعة بشرية من قبل.**

وقد ورد فى قسمة قداس سبت البصخة المقدسة عن السيد المسيح [الذى صعد إلى السماوات وصار فوق السماوات. ودخل داخل الحجاب موضع قدس الأقداس الموضع الذى **لا** يدخل إليه ذو طبيعة بشرية، وصار سابقاً لنا، صائراً رئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكى صادق] (انظر عب٦: ٢٠).

وفى مزمور قداس عيد الصعود؛ تُقال العبارات الهامة التالية: "**ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعى أيتها الأبواب الدهرية، فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد؟ الرب العزيز القدير، الرب القوى فى الحروب. ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم وارتفعى أيتها الأبواب الدهرية، فيدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد؟ رب القوات هذا هو ملك المجد**" **(مز٢٣: ٧-١٠)**.

وهذا معناه أن الأبواب الدهرية **لم** تُفتح إلا عند دخول السيد المسيح إلى الأقداس السماوية ليظهر أمام الآب لأجلنا باعتبار أنه هو الشفيع الذى به ننال المغفرة من قِبل الآب كقول معلمنا يوحنا الرسول: "إن أخطأ أحد فلنا **شفيع عند الآب** يسوع المسيح البار، وهو كفارة لخطايانا" (١يو٢: ١، ٢). وكذلك قول معلمنا بولس الرسول: "لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها **ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا**" (عب٩: ٢٤).

وما معنى احتفالنا بعيد الصعود المجيد بعد أربعين يوماً من عيد القيامة إن كان السيد المسيح قد صعد مرارًا وتكرارًا طوال الأربعين يوماً ؟!!..

دخول السيد المسيح إلى المقدس السماوى

كان رئيس الكهنة فى العهد القديم يدخل إلى قدس الأقداس فى الهيكل **مرة واحدة فى السنة** فى يوم الكفارة العظيم ليكفر عن خطايا نفسه وعن خطايا الشعب بواسطة دم الذبائح الحيوانية المناسبة.

وكان الهيكل مقسماً إلى قسمين: **القسم الأول** هو القدس حيث مائدة خبز الوجوه ومذبح البخور والمنارة ذات السبعة سرج. **والقسم الثانى** هو قدس الأقداس حيث كَروبا المجد وكرسى الرحمة أى تابوت العهد. ويفصل بين القسم الأول والقسم الثانى الحجاب.

وقد شرح معلمنا بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين كيف كان الهيكل الأرضى رمزاً للهيكل السماوى، وكيف دخل السيد المسيح إلى الأقداس، ومعنى دخوله هذا، وقارن بين كهنوت العهد القديم الهارونى، وكهنوت العهد الجديد على طقس ملكى صادق باعتبار أن السيد المسيح هو الكاهن إلى الأبد على رتبة ملكى صادق حسب الإعلان الإلهى فى الكتب المقدسة.

قال عن خدمة السيد المسيح السمائية: "وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس فى يمين عرش العظمة فى السماوات، خادماً للأقداس والمسكن الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان" (عب٨: ١، ٢).

وقال عن تقسيم الهيكل ونظام الخدمة فيه فى العهد القديم: "ثم العهد الأول كان له أيضاً فرائض خدمة والقدس العالمى. لأنه نصب المسكن الأول الذى يقال له القدس الذى كان فيه المنارة والمائدة وخبز التقدمة. ووراء الحجاب الثانى المسكن الذى يقال له قدس الأقداس، فيه مبخرة من ذهب وتابوت العهد مغشى من كل جهة بالذهب الذى فيه قسط من ذهب فيه المن وعصا هرون التى أفرخت ولوحا العهد. وفوقه كروبا المجد مظللين الغطاء.. ثم إذ صارت هذه مهيأة هكذا يدخل الكهنة إلى المسكن الأول كل حين صانعين الخدمة. **وأما إلى الثانى فرئيس الكهنة** فقط مرة فى السنة ليس بلا دم يقدّمه عن نفسه وعن جهالات الشعب" (عب٩: ١-٧).

ونلاحظ هنا أن **المسكن الثانى هو الملقب بقدس الأقداس** وهو الذى يدخله رئيس الكهنة مرة واحدة فى السنة. وقد شرح القديس بولس الرسول المقارنة بين ما يفعله رئيس الكهنة فى العهد القديم وما فعله السيد المسيح عند إتمام الفداء.

دخل مرةً واحدة إلى الأقداس

قال بولس الرسول عن دخول السيد المسيح إلى السماويات: "وأما المسيح وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد، أى الذى ليس من هذه الخليقة. وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه **دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً**" (عب٩: ١١، ١٢). ويتضح هنا أن السيد المسيح فى دخوله إلى السماء قد دخل إلى قدس الأقداس ليس مرة واحدة فى السنة، ولكنه دخل مرة واحدة **إلى الأبد**، ولم يتكرر كما يدّعى أصحاب الرأى الذى نوهنا عنه سابقاً. وفى ضوء هذا النص الصريح لا يبقى مكان للجدل حول هذا الموضوع لأنه لا حاجة إلى تكرار الذبيحة كل عام.

كما أنه لم يدخل بدم ذبائح أخرى **بل دخل بدم نفسه أى بالذبيحة الحقيقية المقبولة عند الآب السماوى.**

وقال عن عدم تكرار الذبيحة الخلاصية: "لا ليقدم نفسه مرارًا كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة بدم آخر. فإذ ذاك كان يجب أن يتألم مرارًا كثيرة منذ تأسيس العالم، **ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه**" (عب٩: ٢٥، ٢٦).

وقال عن الحجاب: "فإذ لنا أيها الإخوة ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع طريقاً كرّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده. وكاهن عظيم على بيت الله" (عب١٠: ١٩-٢١).

عندما صُلب السيد المسيح وذُبح جسده بالصليب، انشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل (انظر مت ٢٧: ٥١)، وحجاب الهيكل هو الفاصل بين القدس وقدس الأقداس. ومعنى ذلك أن السيد المسيح قد فتح الطريق إلى أحضان الآب السماوى بذبيحته الخلاصية على الصليب. وهذا ما قاله معلمنا بولس الرسول عن دخول المؤمنين إلى الأقداس بدم يسوع "طريقاً كرسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده" (عب١٠: ٢٠) **فالسيد المسيح هو الطريق المؤدى إلى الحياة الأبدية.**

كان صعود السيد المسيح إلى السماء هو تأكيد منظور لقبول ذبيحته الكفارية عند الآب السماوى. لذلك ربط القديس بولس الرسول بين ذبيحة الصليب وبين دخول السيد المسيح إلى الأقداس السماوية؛ فقال عنه: "**بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً**".

وقد أكد هذه المعانى فى النصوص التالية عن السيد المسيح:

- "وأما هذا فمن أجل أنه يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول. فمن ثم يقدر أن يُخلّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حى فى كل حين ليشفع فيهم. لأنه كان يليق بنا رئيس كهنة مثل هذا قدوس بلا شر ولا دنس قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السماوات" (عب ٧: ٢٤-٢٦).
- "أما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس فى يمين عرش العظمة فى السماوات. خادماً للأقداس والمسكن الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان" (عب ٨: ١، ٢).
- "وأما هذا فبعد ما قدّم عن الخطايا ذبيحة واحدة جلس إلى الأبد عن يمين الله" (عب ١٠: ١٢).

إلى المسكن الثانى وليس الأول

بهذا كله يتضح بجلاء أن السيد المسيح بعدما أكمل خدمته الخلاصية على الأرض قد صعد إلى السماوات **ودخل إلى قدس الأقداس فى السماء وليس إلى القدس،** لأنه يقول: "دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً" (عب٩: ١٢). ولا مجال إطلاقاً للقول بأنه دخل إلى القدس فى السماء أولاً ثم انتقل بعد ذلك إلى قدس الأقداس فى موعد لاحق بعد مئات السنين ليطهّر الأقداس السماوية. وكيف يُقال ذلك بينما قال معلمنا بولس الرسول: "لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية، بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا، ولا ليقدم نفسه مرارًا كثيرة كما يدخل رئيس الكهنة إلى الأقداس كل سنة" (عب٩: ٢٤، ٢٥).

علاقة الكنيسة بالمقدس السماوى

إن الكنيسة على الأرض لا يمكنها أن تحيا بدون حضور المسيح بذبيحته الخلاصية فى سر الإفخارستيا.

وليست الإفخارستيا تكرارًا لذبيحة الصليب التى قدمت مرة واحدة، **ولكنها امتدادًا لها على طقس ملكى صادق الذى قدّم قربانه من الخبز والخمر.**

وبالإفخارستيا ترتبط الكنيسة برأسها ورئيس كهنتها الأعظم الرب يسوع الجالس عن يمين عرش الآب فى السماء، خادماً للأقداس السمائية (انظر عب ٨: ١، ٢). وتلقب الكنيسة الإفخارستيا بأنها الذبيحة الناطقة السمائية.

فالكنيسة والحال هكذا هى سلم يعقوب المنصوب على الأرض ورأسه فى السماء والملائكة صاعدة ونازلة عليه والرب واقف على قمته بمجد عظيم.

أى أن الكنيسة تحيا فى غربة على الأرض ورأسها فى السماء. وفى مسيرتها على الأرض تسير متطلعة دائماً نحو السماء حيث المسيح جالس عن يمين العظمة.

وقد أقام الرب فى الكنيسة وكلاء أسرار الله للاحتفال بالأسرار المقدسة على الأرض. فالأسقف كوكيل الله (انظر تى١: ٧) يحتفل بسر الإفخارستيا بكهنوت على طقس ملكى صادق يخدم به الأسرار المقدسة. ويقدّم مفاعيل الخلاص لشعب المسيح بسلطان الروح القدس، الذى به منح السيد المسيح الكهنوت لرسله القديسين بعد قيامته من الأموات، وذلك ليغفروا الخطايا على الأرض.

ما أجمل هذا الارتباط بين السيد المسيح الرأس وبين الكنيسة التى هى جسده (هى جسده ليس بالمعنى الحرفى ولكن بالمعنى الاعتبارى).. هى العروس، والمسيح الإله الكلمة المتجسد هو عريسها.

لماذا صعد السيد المسيح؟

قد يتساءل البعض، لماذا صعد السيد المسيح إلى السماء بعد أربعين يوماً من قيامته من الأموات؟ ولماذا لم يبقَ فى وسط تلاميذه على الأرض يشجعهم ويقويهم ويرشدهم ويقودهم إلى حين نهاية العالم؟

ونود أن نلخص بعض الأسباب كما يلى:

أولاً: لأن السيد المسيح قد جاء من السماء، كان ينبغى أن يصعد إلى السماء.

بمعنى أن الصعود هو إثبات على ألوهية السيد المسيح وولادته من الآب قبل كل الدهور بحسب ألوهيته، وأنه هو نفسه الله الكلمة الذى صار جسداً فى ملء الزمان من أجل خلاصنا. وهو نفسه قد قال: "خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم وأيضاً أترك العالم وأذهب إلى الآب" (يو١٦: ٢٨).

لهذا قال المزمور "**صعد الله بتهليل، والرب بصوت البوق**" (مز٤٦: ٥). أى أن الله الكلمة هو الذى صعد إلى أعلى السماوات جسدياً.

وقال عنه يوحنا المعمدان: "الذى يأتى من السماء هو فوق الجميع" (يو٣: ٣١). وقال السيد المسيح عن نفسه لليهود: "أنتم من أسفل أما أنا فمن فوق. أنتم من هذا العالم أما أنا فلست من هذا العالم" (يو٨: ٢٣).

ثانياً: أراد السيد المسيح أن يرُدْ إلى الإنسان كرامته بعد طرده من الفردوس حينما أخطأ الإنسان الأول.

لقد طُرِد الإنسان الأول من الفردوس حينما خالف الوصية الإلهية، وجاء السيد المسيح –باعتباره آدم الثانى أو آدم الجديد– وقدّم طاعة كاملة لله الآب. وبهذا استحقت البشرية أن تسترد كرامتها المفقودة فى شخص الرب المتجسد يسوع المسيح باعتباره رأس الكنيسة. لهذا قال معلمنا بولس الرسول عن الرب "**أقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات فى المسيح**" (أف٢: ٦).

لقد رفع الله الآب رأسنا حينما استقبل رئيس خلاصنا بكل الفرح فى الأمجاد السمائية.

ثالثاً: صار السيد المسيح باكورة الداخلين إلى الأمجاد السمائية، كما كان باكورة للراقدين بقيامته المجيدة من الأموات.

لقد صار السيد المسيح بجسده الخاص باكورة ومتقدماً فى كل شئ بالنسبة للكنيسة التى هى جسده الاعتبارى.

صار سابقاً لنا فى قيامته التى لا يقوى عليها الموت وعربوناً للحياة الأبدية التالية.

ولهذا صار أيضاً سابقاً لنا فى صعوده إلى أعلى السماوات وفى دخوله إلى الأقداس التى نصبها الرب لا إنسان "دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوَجَد فداءً أبدياً" (عب٩: ١٢).

لهذا قال لتلاميذه: "أنا أمضى لأعد لكم مكاناً وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتى أيضاً وآخذكم إلىّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" (يو١٤: ٢، ٣).

<u>رابعاً</u>: أراد السيد المسيح أن يؤكد فكرة الملكوت السمائى.

أى أن الحياة الأبدية بعد القيامة هى فى السماء وليست على الأرض. ولكى نُدرك أن "ليس لنا هنا مدينة باقية، لكننا نطلب العتيدة" (عب١٣: ١٤).

أراد أن يجعلنا نشتاق إلى السماء.. إلى حياة الوجود مع الآب السماوى وأن نشعر بغربتنا هنا على الأرض، متذكرين قوله المبارك: "حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً" (مت ٦: ٢١).

إن محبتنا للمسيح واشتياقنا إليه تجتذبنا باستمرار نحوه حيثما هو موجود. لهذا قال معلمنا بولس الرسول: "إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله " (كو٣: ١).

<u>خامساً</u>: كان فى صعود السيد المسيح إلى السماء جسدياً **إثبات أن التقدمة التى قدّمها على الصليب نيابة عن البشرية قد قُبلت أمام الآب السماوى.**

أى أن الصعيدة التى قُدمت على الصليب **كان ينبغى** أن تصعد إلى الآب، ليكون ذلك علامة منظورة على قبول الآب وسروره بها.

ما أمجد هذا اللقاء بين الابن الوحيد الغالب المنتصر فى جسم بشريته والآب السماوى الذى أعلن مرارًا وتكرارًا سروره. بل هو موضوع سروره من قبل إنشاء العالم وإلى دهر الدهور بلا أى انقطاع.

<u>سادساً</u>: أراد السيد المسيح أن يوجّه تلاميذه إلى أحضان الآب السماوى. أى إلى إيجاد علاقة حب ودالة وصلاة بينهم وبين الآب.

كانت كل طلبات التلاميذ منحصرة فى السيد المسيح أثناء وجوده وسطهم. وأراد بصعوده إلى السماء أن يجعلهم يطلبون من الآب مباشرة باسم المسيح.

لهذا قال لهم: "إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمى؛ اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً" (يو١٦: ٢٤). "فى ذلك اليوم تطلبون باسمى ولست أقول لكم إنى أنا أسأل الآب من أجلكم لأن الآب نفسه يحبكم لأنكم قد أحببتمونى، وآمنتم أنى من عند الله خرجت" (يو١٦: ٢٦، ٢٧).

كان السيد المسيح يريد أن يربط التلاميذ بعلاقة حب مع أبيه السمائى. لهذا قال للآب "أنا مجدتُك على الأرض.. أنا أظهرتُ اسمك للناس.. وعرفتُهم اسمك وسأعرفهم ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم" (يو١٧: ٤، ٦، ٢٦).

<u>سابعاً</u>: أراد السيد المسيح أن **يربط تلاميذه بعلاقة وثيقة مع الروح القدس ليتذوّقوا محبته ومواهبه وينقادوا بـه** "لأن كل الذين ينقادون بروح الله فأولئك هم أبناء الله" (رو٨: ١٤).

أعطاهم السيد المسيح وعداً بأن يرسل لهم الروح القدس الذى هو روح الحق الذى من عند الآب ينبثق. وقال لهم: "أنا أطلب من الآب **فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد**" (يو١٤: ١٦).

وحدثهم حديثاً طويلاً عن الروح القدس وقال: إنه "**يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم.. ويخبركم بأمور آتية**" (انظر يو١٤: ٢٦، يو١٦: ١٣). وقال: "**ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم**" (أع ١: ٨).

وقال لهم: "متى جاء المعزى.. روح الحق.. فهو يشهد لى وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء" (يو١٥: ٢٦، ٢٧).

ووعدهم بأن ينطق الروح القدس على أفواههم: "لستم أنتم المتكلمين **بل روح أبيكم**" (مت١٠: ٢٠)، "أعطيكم فماً وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها" (لو٢١: ١٥).

بل قال السيد المسيح لهم: "خير لكم أن أنطلق (أى أصعد) لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى" (يو١٦: ٧).

كان من الضرورى أن يصعد السيد المسيح ويمارس خدمته الشفاعية الكفارية كرئيس كهنة فى المقادس السمائية لكى يشفع كل حين فينا أمام الآب ولكى يرسل الآب موعد روحه القدوس الذى يعمل فى الكنيسة بالأسرار الإلهية لننال الخلاص والمغفرة.

"أنا أمضى لأعد لكم مكاناً" (يو١٤: ٢)

بعد أن أعطى السيد المسيح جسده ودمه الأقدسين للتلاميذ فى العشاء الربانى، بدأ يكلمهم عن انطلاقه إلى الآب وعن إرسال الروح القدس.

كل تلك الأحاديث كانت فى ليلة آلامه وصلبه، ليفهم التلاميذ طبيعة إرساليته من الآب، وعلاقة ذلك بالروح القدس فى الكنيسة. فقال لهم: "وأما الآن فأنا **ماضٍ إلى الذى أرسلنى**" (يو١٦: ٥). وقال أيضاً: "لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت **أمضى إلى الآب**" (يو١٤: ٢٨).

وقال: "**أنا أمضى لأعد لكم مكاناً**" (يو١٤: ٢). وأيضاً قال "خرجت من عند الآب وقد أتيت إلى العالم، وأيضاً أترك العالم **وأذهب إلى الآب**" (يو١٦: ٢٨).

وحينما حزن التلاميذ بسبب انطلاق السيد المسيح من هذا العالم، ابتدأ يعلن لهم: "**أقول لكم الحق إنه خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى**" (يو١٦: ٧).

إن إرسالية الابن الوحيد وظهوره فى الجسد، ليست عزلاً للكنيسة عن الآب السماوى، بل مصالحة لها معه.

وانطلاق السيد المسيح إلى الآب يؤكد هذه الحقيقة، كما أن إرسال الروح القدس "**روح الحق** الذى من عند الآب ينبثق" (يو١٥: ٢٦)، هو تأكيد لنفس هذه الحقيقة الخالدة.

فالخلاص بصفة عامة هو عمل الثالوث القدوس، وليس عمل الابن فقط..

الابن هو الذى قدَّم نفسه على الصليب فداءً عن العالم.

والآب هو الذى "بذل ابنه الوحيد الجنس، لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة" (يو٣: ١٦).

والروح القدس هو الذى يلدنا فى المعمودية، التى فيها نُدفَنْ مع المسيح ونقوم معه، وننال الطبيعة الجديدة، والتبنى ومغفرة الخطايا الجِدية والفعلية.. وهو العامل فى جميع الأسرار، وهو الذى يقود الكنيسة ويمنحها قوة الكرازة والشهادة للمسيح.. أى أن الروح القدس هو الذى يوصّل إلينا كل استحقاقات الفداء الذى صنعه السيد المسيح لأجلنا.

الآب هو الذى أرسل الابن فادياً ومخلصاً. ولهذا يقول الكتاب: "ولكن الكل من الله الذى صالحنا لنفسه بيسوع المسيح.. أى إن الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه" (٢كو٥: ١٨، ١٩).

وهو أيضاً الذى أرسل الروح القدس ليوصل إلينا كل بركات الفداء ونعمة العهد الجديد.

كل عمل قام به الابن، لم يكن بمعزل عن الآب السماوى. ولهذا قال السيد المسيح لتلاميذه: "الكلام الذى أكلمكم به لست أتكلم به من نفسى، لكن الآب الحال فىّ هو يعمل الأعمال. **صدقونى أنى فى الآب والآب فىّ**. وإلا فصدقونى لسبب الأعمال نفسها" (يو١٤: ١٠، ١١).

فى اتضاع عجيب قال السيد المسيح لتلاميذه: "خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى" (يو١٦: ٧).

الأقانيم الثلاث يعملون معاً.. ولهذا فالروح القدس هو الذى سيوصل إلينا بركات الفداء الذى صنعه الابن على الصليب.

الآب والروح القدس أَرسلا الابن "والآن السيد الرب أرسلنى وروحُهُ" (إش٤٨: ١٦).

والآب والابن أرسلا الروح القدس. "وأما المعزى الروح القدس الذى **سيرسله الآب** باسمى، فهو يعلمكم كل شئ ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يو١٤: ٢٦). "ومتى جاء المعزى **الذى سأرسله أنا إليكم من الآب** روح الحق الذى من عند الآب ينبثق" (يو١٥: ٢٦).

وبالرغم من أن السيد المسيح قد قال باتضاع :"خير لكم أن.. يأتيكم المعزى" (يو١٦: ٧). إلا أن هذا لا يعنى إطلاقاً عدم المساواة بين الابن والروح القدس.. أو أن الروح القدس أعظم من الابن. الدليل على ذلك قول السيد المسيح عن

الروح القدس: "الذى سأرسله أنا إليكم" (يو١٥: ٢٦) وقوله: "إن ذهبت أرسله إليكم" (يو١٦: ٧) وقوله عن عمل الروح القدس: "ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم" (يو١٦: ١٤) و"يشهد لى" (يو١٥: ٢٦).

إن شهادة الثالوث هى واحدة. والحق المُعلَنْ من الثالوث، هو حق واحد. لهذا قال السيد المسيح: "متى جاء ذاك **روح الحق،** فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم. كل ما للآب هو لى لهذا قلت إنه يأخذ مما لى ويخبركم" (يو١٦: ١٣-١٥).

إن كل شهادة وكل نعمة فوقانية، هى صادرة من الآب، وهى باستحقاقات الابن، وهى تُمنح بالروح القدس. هى نعمة ثالوثية واحدة يتمايز فيها دور كل أقنوم. ولكن فى مجملها هى عطية الثالوث القدوس الآب والابن والروح القدس.

لهذا يقول معلمنا يعقوب الرسول: "كل عطية صالحة، وكل موهبة تامة هى من فوق نازلة من عند أبى الأنوار الذى ليس عنده تغيير ولا ظل دوران. شاء فولدنا بكلمة الحق لكى نكون باكورة من خلائقه" (يع١: ١٧، ١٨).

كان السيد المسيح **فى إرساليته على الأرض يعمل دائماً لإتمام مقاصد الآب السماوى،** التى بعينها هى مقاصد الثالوث القدوس أى الأقانيم الإلهية معاً.

لهذا قال للآب فى صلاته قبل الصليب: "أنا مجدتك على الأرض، العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته" (يو١٧: ٤).

ولهذا أيضاً قال لتلاميذه: "خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى ولكن إن ذهبت أرسله إليكم" (يو١٦: ٧).

"وأما أنتم فتعرفونه" (يو١٤: ١٧)

"روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه. **وأما أنتم فتعرفونه** لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" (يو١٤: ١٧).

كما قام السيد المسيح بتعريف الآب لتلاميذه، هكذا قام أيضاً بتعريفهم بالروح القدس لهذا قال لهم عنه: "**وأما أنتم فتعرفونه**". **وبهذا تكمل رسالته فى تعريفهم بالثالوث القدوس..** أى أن تعرف الكنيسة الآب والابن والروح القدس.

فى مناجاته للآب، قال السيد المسيح فى ليلة آلامه: "أيها الآب البار، إن العالم لم يعرفك أما أنا فعرفتك. وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى. **وعرفتهم اسمك وسأعرفهم،** ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم" (يو١٧: ٢٥، ٢٦).

وقال لتلاميذه: "تأتى ساعة حين لا أكلمكم أيضاً بأمثال، **بل أخبركم عن الآب علانية**" (يو١٦: ٢٥).

وعن الروح القدس قال: "متى جاء ذاك روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق.. يأخذ مما لى ويخبركم" (يو١٦: ١٣، ١٤).

وقال أيضاً: "وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى، فهو يعلمكم كل شئ، ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يو١٤: ٢٦).. "ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لى" (يو١٥: ٢٦).

قام السيد المسيح بتعريف تلاميذه بالآب وكذلك بالروح القدس.. ووعدهم أن الروح القدس سيقوم بتعليمهم كل ما يختص بالآب والابن والروح القدس، أى أنه سيكشف لهم الأمور المختصة بالله، وسيسكب فيهم محبة الله، ليكون فيهم مثال الحب المتبادل بين الأقانيم، وأنه سوف يرشدهم إلى جميع الحق.. وأنه سيمكث معهم ويكون فيهم.. وأنه سيمكث مع المؤمنين إلى الأبد.

الأقانيم الثلاث يعملون معاً بغير انفصال. وبالرغم من تمايز دور كل أقنوم، إلا أن الأقنوم الواحد من الثالوث يعمل من أجل الأقنومين الآخرين، بصورة تشهد للحب العجيب غير الموصوف بين الأقانيم.

اختفى السيد المسيح بحسب الجسد عن أعين تلاميذه.. ولكن الروح القدس جاء ليتصور المسيح فى الذين يقبلون عمله ومحبته.

وانسحب السيد المسيح من موقف المجد بين التلاميذ.. ولكن الروح القدس جاء لكى يمجده ويشهد له "ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم. كل ما للآب هو لى" (يو١٦: ١٤، ١٥).

وهكذا تحقق فى السيد المسيح أن من يترك الكرامة تجرى خلفه وتخبر الناس عنه. **فبالرغم من تركه العالم وصعوده إلى الآب، إلا أن الآب قد أرسل الروح القدس ليشهد للابن، وليمجد الابن الذى أكمل رسالته بأروع مثال. حتى فى صعوده إلى السماء كان متجلياً باتضاعه. لهذا استحق كل التكريم كما فى السماء كذلك على الأرض "لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة، ممن فى السماء ومَنْ على الأرض ومَنْ تحت الأرض. ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (فى٢: ١٠، ١١).**

ما أجمل أن يصعد الاتضاع.. هذا هو دستور الحياة مع الله.. فليس غريباً للاتضاع أن يصعد كما أنه ليس بغريب للكبرياء أن تهبط.. "لأن الله يقاوم المستكبرين، وأما المتواضعون فيعطيهم نعمة" (١بط٥: ٥).

عشرة أيام

فى تلك الأيام العشر التى عاشتها الكنيسة فى انتظار موعد الروح القدس، اختبرت الكنيسة الأشواق السمائية.

كانت أفراح الصعود تعمل فى قلب الكنيسة بمنتهى القوة.. وتهزها بصورة فائقة، حتى صارت الكنيسة مهيأة تماماً لهبوب ريح الله وناره المقدسة التى ملأتها من المواهب الفائقة للطبيعة، وفجّرت فيها ينابيع الماء الحى.

لم يكن ممكناً للروح القدس أن يغمر الكنيسة بهذه الصورة إلا بعد أن تتم أيام كاملة من تطلعها نحو ينبوع الماء الحى. وكانت هذه الأيام هى بالعدد عشرة حتى كملت الأيام وتحقق الوعد. فرقم عشرة هو رقم الكمال العددى.

إن انتظار مواعيد الله يحتاج إلى صبر وإيمان ورجاء كقول الكتاب "أما الصبر فليكن له عمل تام" (يع١: ٤).

إن ما يرجوه الإنسان فإنه يتوقعه بالصبر "وأما الإيمان فهو الثقة بما يرجى والإيقان بأمور لا تُرى" (عب١١: ١).

كان هناك وعد صريح من السيد المسيح، وهو هو نفسه ما أسماه موعد الآب: بحلول الروح القدس على الكنيسة.. وكما وعد الله إبراهيم بالخلاص أى الفداء، وحقق وعده، هكذا وعد السيد بإرسال الروح القدس وتحقق الوعد. وكما آمن إبراهيم بالله فحُسب له إيمانه براً. هكذا آمن أبناء إبراهيم (كنيسة المسيح)، فحُسب لهم إيمانهم براً ونالوا الوعد الذى وعدهم به الآب.

يوم الخمسين كان هو أول الأسبوع الثامن بعد القيامة (السبعة أسابيع تساوى تسعة وأربعين يوماً). وكما حدثت القيامة يوم الأحد فى أول الأسبوع الجديد أى فى اليوم الثامن من بداية أسبوع الآلام. هكذا ولدت الكنيسة فى أول الأسبوع الثامن من بعد القيامة المجيدة. فرقم **ثمانية** يشير دائماً إلى الحياة الجديدة فى مفهوم الكتاب المقدس. كقول الكتاب عن نوح الذى جدد الحياة على الأرض مرة أخرى "حفظ نوحاً ثامناً كارزاً للبر" (٢بط٢: ٥). وكان فى الفلك ثمانية أنفس خلصوا بالماء من الطوفان.

ليت الرب يمنحنا أن نحيا فى جدة الحياة بقوة قيامته وبعطية روحه القدوس.

الباب الثانى عشر

ارسال الروح القدس

عمل الروح القدس فينا
حديث السيد المسيح عن الروح القدس
معزياً آخر
روح الحق
اقنومية الروح القدس
الجوهر والطاقة
عطايا الروح القدس
عطية الحق
النعمة والحق
عمل الروح القدس فى أسرار الكنيسة
يرشدكم إلى جميع الحق
ترسل روحك فتخلق

عمل الروح القدس فينا

قال السيد المسيح: "متى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى" (يو١٥: ٢٦).

وهكذا أُرسل الروح القدس بناءً على طلب السيد المسيح، وبناءً على الصلح بدم صليبه.

أما المؤمنون بالمسيح فقال لهم: "أما أنتم فتعرفونه، لأنه ماكث معكم ويكون فيكم".

تلاميذ الرب نشأت بينهم وبين الروح القدس علاقة شخصية، اختبارية كقول معلمنا بولس الرسول: "جميعنا سقينا روحاً واحداً" (١كو١٢: ١٣)، وقوله: "الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها" (رو٨: ٢٦).

صارت لهم معرفة للروح القدس، ماذا يريد، وماذا يقول "**قال الروح القدس** أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه" (أع١٣: ٢).

صارت لهم الدالة أن يطلبوا من الروح القدس. مثلما تصلى الكنيسة وتقول {أيها الملك السمائى المعزى روح الحق الحاضر فى كل مكان؛ مالئ الكل كنز الصالحات ومعطى الحياة، هلم تفضل وكن فينا، وطهِّرنا من كل دنس أيها الصالح وخلّص نفوسنا} (قِطع صلاة الساعة الثالثة).

وقد تنبأ داود النبى فى المزمور عن الروح القدس وعن وجوده فى كل مكان وعن عمله فى حياة الإنسان فقال: "أين أذهب من روحك، ومن وجهك أين أهرب. إن صعدت إلى السماوات فأنت هناك. وإن فرشت فى الهاوية فها أنت. إن أخذت جناحى الصبح وسكنت فى أقاصى البحر **فهناك أيضاً تهدينى يدك وتمسكنى يمينك**" **(مز١٣٩: ٧-١٠)**.

ونلاحظ فى كلمات المزمور؛ عمل الروح القدس فى إرشاد المؤمنين "تهدينى يدك وتمسكنى يمينك". "لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله" (رو٨: ١٤).

المؤمن الحقيقى الذى يطلبه بحرارة من الله، يستشعر عمل الروح القدس فى داخله: يعلّمه ويرشده ويعزّيه روحياً ويقوده ويقود ضميره، وأحياناً يوبّخه.. يذكّره بكلام السيد المسيح، أو يعلن مشيئة المسيح فى داخله.. يقوّيه.. ينطق على لسانه.. يحدِّثه.. يلهمه لكى يتصرف بحسب فكر الروح.. يعلن له أسرار سمائية، أو مقاصد إلهية.. يرفعه فوق مستوى العالم والمادة والزمان لكى يتصل بالحياة الأبدية. وعموماً يشعر الإنسان بحضور الله فى داخله إذ يصير هيكلاً للروح القدس.

فكيف بعد هذا كله، وكثير غيره، يتصور الإنسان أو تتصور الكنيسة أن تحيا بدون عمل الروح القدس فيها؟!

وقال السيد المسيح إنه هو الذى سيرسل الباراقليط (انظر يو١٥: ٢٦)، وأن الباراقليط سوف يأخذ مما للمسيح ويخبرنا.. لأن كل ما للمسيح فهو للآب وهو أيضاً للروح القدس. وكل ما للروح القدس فهو للآب وهو أيضاً للابن.. وهكذا.

فالجوهر الإلهى الواحد للأقانيم الثلاثة يجعل كل ما للأقنوم الواحد هو أيضاً للأقنومين الآخرين، فيما عدا الخاصية الأقنومية التى يتمايز بها هذا الأقنوم على وجه الخصوص. فالأبوه هى للآب، والبنوة هى للابن. والانبثاق هو للروح القدس.

حديث السيد المسيح عن الروح القدس

حينما اقتربت ساعة الصلب بدأ السيد المسيح يتكلم حديثاً طويلاً تفصيلياً عن الروح القدس وانبثاقه من الآب وحقيقة أقنوميته وعمله فى الكنيسة، وقد امتاز إنجيل معلمنا يوحنا بأنه كما أفاض فى الحديث عن ألوهية السيد المسيح وأقنوميته باعتباره الابن الوحيد الجنس (monogenh,j مونوجنيس) والله الكلمة (lo,goj اللوغس) الذى أحبه الآب قبل إنشاء العالم، فإنه أفاض أيضاً فى الحديث عن الروح القدس.

قال السيد المسيح: "إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى. **وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر** ليمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه، ولا يعرفه. وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" (يو١٤: ١٥-١٧).

لم يكن ممكناً أن يمنح الآب عطية الروح القدس للكنيسة إلا بناءً على طلب ابنه الوحيد الذى صالح الآب مع البشر بدم صليبه. وبناءً على هذه المصالحة أمكن أن يرسل الآب الروح القدس حسب وعده ليقوم بتوصيل بركات ومفاعيل الخلاص إلى الكنيسة.

وهذا ما عبّر عنه معلمنا بولس الرسول، موضحاً كيف يعمل الأقانيم الثلاث فى خلاص البشرية فقال: "حين ظهر لطف **مخلصنا الله (أى الآب)** وإحسانه، لا بأعمال فى بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته **خلّصنا** بغسل الميلاد الثانى وتجديد **الروح القدس** الذى سكبه بغنى علينا **بيسوع المسيح مخلّصنا**" (تى٣: ٤-٦).

لقد دعانا السيد المسيح إلى طاعة وصاياه لكى ننال عطية الروح القدس وكانت الوصية التى أوصى بها تلاميذه هى أن لا يبرحوا أورشليم بعد صعوده إلى السماء إلى أن يلبسوا قوة من الأعالى متى حل الروح القدس عليهم "أقيموا فى مدينة أورشليم إلى أن تلبسوا قوة من الأعالى" (لو٢٤: ٤٩).

وقد أطاع التلاميذ هذه الوصية ومكثوا فى العلية فى أورشليم إلى أن نالوا العطية الموعود بها. كانت هذه هى بركة الطاعة لأن ابن الطاعة تحل عليه البركة. وقد قدّم السيد المسيح مثالاً رائعاً للطاعة فى طاعته الكاملة للآب حتى الموت، موت الصليب. وبهذه الطاعة الكاملة ومن خلال ذبيحة الصليب تمت المصالحة الحقيقية مع الآب. **وصارت الطاعة هى المدخل إلى حياة الشركة مع الله.**

لهذا قالت الجموع للرسل فى يوم الخمسين: "ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟" (أع٢: ٣٧) وقال شاول الطرسوسى (بولس الرسول) للسيد المسيح حينما ظهر له فى الطريق ودعاه إلى الإيمان وهو مرتعد ومتحير: "يا رب ماذا تريد أن أفعل؟" (أع٩: ٦).

معزياً آخر

قال السيد المسيح: "أنا أطلب من الآب فيعطيكم **معزياً آخر**" (يو١٤: ١٦) وهو يقصد الروح القدس لهذا قال: "**روح الحق**؛ الذى لا يستطيع العالم أن يقبله" (يو١٤: ١٧)

وعندما قال: "**معزياً آخر**" فهو يقصد أن الروح القدس سيعوض ترك السيد المسيح لهم فى وجوده بينهم بالجسد، وانطلاقه إلى السماء ليجلس عن يمين الآب، وليخدم فى المقدس السماوى ويشفع من أجل مغفرة الخطايا بصفة دائمة عند الآب.

كان وجود السيد المسيح بينهم يعزيهم: يعزيهم بكلام النعمة الخارج من فمه، ويعزيهم بمثاله الصالح الجميل، ويعزيهم بما يعمله من معجزات فائقة، ويعزيهم بنصائحه وإرشاداته، ويعزيهم برؤيتهم له إذ هو صورة الله غير المنظور الذى قال: "الذى رآنى فقد رأى الآب" (يو١٤: ٩). كانت تعزية ليست بقليلة أن يرى الإنسان السيد المسيح الذى قال للآب: "أنا مجدتك على الأرض، أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى، كنت أحفظهم فى اسمك" (انظر

يو١٧: ٤، ٦، ١٢) والذى قال لتلاميذه: "هذه هى مشيئة الذى أرسلنى أن كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية" (يو٦: ٤٠).

وقال لهم: "إن أنبياءَ وأبرارًا كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا. ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع" (مت١٣: ١٧، ١٦) لهذا كله ولكثير غيره قال لهم: "**أنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر**" (يو١٤: ١٦).

هذا المعزى الآخر ينبغى أن يشرق بالمسيح فى قلوبهم، وينبغى أن يذكّرهم بكلامه وأن يعلمهم كل شئ ويرشدهم فى طريق الحق. وينبغى أن يكون هو نفسه روح الحق لكى يعلن الحق فى داخلهم وبذلك يعلن المسيح.

هذا المعزى ينبغى أن يشهد لأرواح التلاميذ أنهم أبناء الله، أنهم ورثة الملكوت. وينبغى أن يمنحهم القوة أن يصنعوا الآيات والعجائب التى تشهد للمسيح.

وهذا المعزى ينبغى أن ينطق على أفواههم بكلام النعمة مثلما كان يتكلم السيد المسيح وقيل له "انسكبت النعمة على شفتيك" (مز٤٤: ٢).

هذا المعزى ينبغى أن يشعرهم بحضور السيد المسيح معهم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر حسب وعده قبل صعوده إلى السماء جسدياً، ولكنه بلاهوته يملأ الوجود كله. وقد احتاج التلاميذ لعمل الروح القدس المعزى لكى يدركوا ويستشعروا وجود الرب المسيح معهم كل الأيام.

لهذا قال السيد المسيح: "أنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله" (يو١٤: ١٦، ١٧).

تحدثنا عن عمل الروح القدس فى تعزية التلاميذ فى مقابل التعزيات التى كانوا يحصلون عليها بوجود السيد المسيح فى وسطهم قبل صعوده إلى السماء. ونود أن نشير أيضاً إلى أهمية هذه العبارة "**معزياً آخر**" (يو١٤: ١٦)، لأنها تؤكّد أقنومية الروح القدس وتمايزه عن أقنوم الابن.

فالأقانيم الثلاثة لهم نفس الجوهر الإلهى الواحد، لأن اللاهوت واحد. ولكن كل أقنوم متمايز عن الآخر بخاصيته الأقنومية: فالآب له الأبوة، والابن له البنوة بالولادة من الآب قبل كل الدهور، والروح القدس له الانبثاق من الآب قبل كل الدهور. وهذا ما عبّر عنه القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات بقوله [**الآب هو اسم من لا مصدر له، والابن اسم من وُلِدَ فى غير بدء، والروح القدس اسم من انبثق أو أتى من غير ولادة**] (الخطاب اللاهوتى الرابع –الفقرة ١٩).

وقال أيضاً عن الثالوث: [**نعبد الله الآب، والله الابن، والله الروح القدس، ثلاثة أقانيم، فى لاهوت واحد، لا يناله انقسام فى المجد، والكرامة، والجوهر، والملك**] (الخطاب اللاهوتى الخامس–الفقرة ٢٨).

وفى حديثه عن الروح القدس وتأكيد ألوهيته قال القديس: [**أى من الأسماء التى تطلق على الله لا تطلق عليه، ما خلا اللا مولود والمولود؟ إذ كان لابد من إستثناء ميزتى الآب والابن الخاصيتين حتى لا يكون هناك إلتباس**] (الخطاب اللاهوتى الخامس –الفقرة ٢٩).

وفى شرحه لوحدانية الجوهر وتمايز الأقانيم الإلهية قال القديس: [والتعبيرات: **غير مولود ومولود ومنبثق**، تدل على الآب، والابن، والروح القدس موضوع كلامنا هنا، وهكذا نحافظ على ميزة الأقانيم الخاصة فى الطبيعة الواحدة وكرامة اللاهوت الواحدة.

فالابن ليس الآب إذ ليس إلا آب واحد، ولكن له ما للآب، **والروح القدس ليس الابن لمجرّد** كونه يأتى من الآب، إذ ليس إلا ابن واحد، الوحيد (انظر يو٣: ١٦)، ولكن له ما للابن. الثلاثة واحد فى الألوهة، والواحد هو ثلاثة من حيث الميزات الخاصة. وهكذا فالواحد ليس ما ذهب إليه سابيليوس (الذى اعتقد بالأقنوم الواحد)، والثالوث ليس ما تذهب إليه انقسامات اليوم الهدّامة (يقصد البدع الأريوسية التى كان القديس يحاربها)] (الخطاب اللاهوتى الخامس –الفقرة ٩).

وبهذا يتضح معنى قول السيد المسيح فى إنجيل يوحنا عن الروح القدس: "**معزياً آخر**". فالابن هو أقنوم، والروح القدس هو أقنوم آخر. ولكنه ليس آخر من حيث الجوهر والألوهية.

لذلك لا نقول أن الابن هو إله، والروح القدس هو إله آخر. بل نقول أن الابن هو أقنوم، والروح القدس هو أقنوم آخر. فالتثليث هو فى الأقنومية وليس فى الجوهر أو الألوهة غير المنقسمة.

هل المعزى الآخر هو إنسان ؟

لقد تجسّد أقنوم الابن، ووجد فى الهيئة كإنسان. أما أقنوم الروح القدس فليس إنساناً على الإطلاق، ولا يمكن أن يكون إنساناً، كما أنه لم يتجسد ويتأنس مثل أقنوم الابن.

لم يكن هذا المعزى الآخر إنساناً، ما قيل عنه ينطبق على من يمكنه أن يكون حاضراً بقدرته الإلهية فى كل زمان ومكان. فهو روح الحق الذى يمكث مع المؤمنين بالمسيح إلى الأبد لهذا قال السيد المسيح عنه: "**ليمكث معكم إلى الأبد**" (يو١٤: ١٦) فلا **يوجد إنسان عادى يمكنه أن يمكث معنا إلى الأبد على الأرض.**

كما أنه لا يوجد إنسان يقول عنه السيد المسيح: "ماكث معكم **ويكون فيكم**" (يو١٤: ١٧) **وهل يمكن لإنسان عادى أن يمكث إلى الأبد مع تلاميذ الرب، وأن يحل فى داخلهم؟!!**

والروح القدس لم يتجسد، ولهذا فهو يعمل بصورة غير منظورة فى الكنيسة، وفى قلوب المؤمنين. ليس مثل السيد المسيح الذى أمكن للعالم أن يراه متجسداً، لهذا قال عنه السيد المسيح إن العالم "**لا يراه ولا يعرفه**" (يو١٤: ١٧). لا

يراه لأنه لم يتجسد، ولا يعرفه العالم لأنه لم يقبله ولم يختبر عمله فى داخله. لو كان الروح القدس إنساناً لما قيل عنه إن العالم لا يستطيع أن يراه.

الابن يرسل الروح القدس

هناك فرق بين الإرسال والانبثاق. فالروح القدس أُرسِلَ من الآب والابن ولكنه ينبثق من الآب فقط. الإرسال يخص عمل الروح القدس وهو فى الزمان. أما الانبثاق فهو يخص كينونة الروح القدس وهو فوق الزمان.

قال السيد المسيح: "ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى" (يو١٥: ٢٦).

ولو كان الروح القدس ينبثق من الآب والابن كما يعتقد الكاثوليك، لضاع التمايز الأقنومى بين الأقانيم. فقد رأينا كيف قال القديس غريغوريوس عن الروح القدس، إنه هو [اسم من انبثق أو أتى **من غير ولادة**] أى أنه لا يمكن أن يأتى الروح القدس من خلال من هو مولود وهو الابن.. وهذا الكلام يخص كينونة الروح القدس وليس مواهبه..

روح الحق

الحق لا يتجزأ والحق هو الله: **فالحقانى والحق وروح الحق هم واحد**، كما أن الحكيم والحكمة وروح الحكمة هم واحد.

لا يمكن أن نفصل الحق عن مصدره أى عن الحقانى، ولا يمكن أن نفصل الحكمة عن الحكيم –لأنه لا يوجد حكيم بغير حكمة.

الحق مولود من الآب وروح الحق منبثق من الآب. والوالد ليس هو المولود، والباثق ليس هو المنبثق، والمنبثق والمولود ليسا هما الباثق، ولكن الوالد –الباثق– والمولود والمنبثق هم واحد. مثلما نقول أن النور والشعاع الصادر عنه هما نور واحد. والعقل والفكر الصادر عنه هما واحد؛ لهما نفس الجوهر ونفس الطبيعة ولا يمكن أن يوجد الواحد منهما بدون الآخر.

إن الروح القدس هو روح الحق لأنه هو روح الله، وهو الذى يلهم الحق ويرشد إلى الحق. لهذا قال السيد المسيح عن الروح القدس: "متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق" (يو١٦: ١٣).

من يتكلّم بالروح القدس سوف يتكلّم بكلام الحق: لهذا قيل عنه فى قانون الإيمان {الناطق فى الأنبياء}. ومن يشهد بالروح القدس فسوف يشهد بالحق؛ كما قال السيد المسيح: "ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب **روح الحق** الذى من عند الآب ينبثق **فهو يشهد لى. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معى من الابتداء**" (يو١٥: ٢٦، ٢٧). وقال: "وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى **شهادة لهم وللأمم**. فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به. **لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم**" (مت١٠: ١٨-٢٠).

لقد امتلأ الرسل والشهداء من الروح القدس، ولهذا فقد **شهدوا بالحق وشهدوا للحق وعرفوا الحق**، ولم يحبوا حياتهم حتى الموت لسبب أن الحق كان واضحاً أمام أعينهم.

لهذا كُتبَ عن الشهداء فى حربهم ضد الشيطان "وهم غلبوه بدم الخروف وبكلمة شهادتهم ولم يحبوا حياتهم حتى الموت" (رؤ ١٢: ١١).

كان دم الخروف هو سبب تحررهم من الشر، وولادتهم الجديدة، ومصالحتهم الدائمة مع الله، وكان دم الخروف هو سر ثباتهم فى المسيح. وكانت كلمة شهادتهم هى بقوة الروح القدس الساكن فيهم. فبدم الخروف نالوا الخلاص والتبنى، وبالروح القدس شهدوا للحق بقوة ولم يخافوا. وفى محبتهم للفادى الذى اشتراهم لم يحبوا حياتهم حتى الموت، لأنهم أدركوا أنهم لا يعيشون لأنفسهم بل للذى مات لأجلهم وقام.

اقنومية الروح القدس

يعتقد شهود يهوه بأن الروح القدس هو مجرد قوة أو طاقة صادرة عن الله. ولكن السيد المسيح فى حديثه الرائع عن الروح القدس والذى سجّله لنا القديس يوحنا الإنجيلى أراد أن يؤكد على أن **الروح القدس هو أقنوم وليس مجرد طاقة** فقال: "متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق. لأنه لا يتكلم من نفسه بل **كل ما يسمع يتكلم به**" (يو١٦: ١٣).

فبقوله: "لا يتكلم **من نفسه**" يشير إليه كأقنوم وقوله: "**يتكلم**"، و"**يسمع**" لا ينطبق على طاقة أو قوة بل ينطبق على أقنوم له خصوصيته ويتعامل ويتكلم وله ضمير الملكية، مثلما ورد فى سفر الأعمال "**قال** الروح القدس: أفرزوا لى برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما إليه" (أع ١٣: ٢). فالروح القدس **يقول** "**لى**" مثلما قال السيد المسيح نفسه: "كل ما للآب هو **لى**. لهذا قلت إنه يأخذ مما **لى** ويخبركم" (يو١٦: ١٥).

الروح القدس كأقنوم يتكلم ويسمع ويأخذ ويعطى ويمجد المسيح ويشهد له ويخبر ويرشد ويعلِّم ويأمر ويقود الكنيسة ويتكلم عما له بضمير الملكية كما شرحنا. ويستحيل أن يكون مجرد طاقة صادرة عن الله.

الروح القدس هو "**روح القوة والمحبة والنصح**" (٢تى ١: ٧)، وهو "**روح الحياة**" (رو٨ :٢) وهو "**روح الحكمة والفهم روح المشورة**" (إش ١١: ٢).

الروح القدس هو الخالق كقول الكتاب عن خلق الخليقة "**ترسل روحك فتُخلق**" (مز ١٠٤: ٣٠)، "بكلمة الرب صنعت السماوات وبنسمة فيه كل جنودها" (مز٣٣ :٦). ومثلما قال أليهو بن برخئيل البوزى صديق أيوب الملهم من الله: "**روح الله صنعنى ونسمة القدير أحيتنى**" (أى ٣٣: ٤).

لقد كشف لنا السيد المسيح فى حديثه السابق لصلبه مباشرة عن أقنومية الروح القدس وعن صدوره من الآب بالانبثاق الأزلى بقوله: "**روح الحق الذى من عند الآب ينبثق**" (يو١٥: ٢٦).

وبالرغم من أن السيد المسيح وقتها قال: "إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن" (يو١٦: ١٢)، ولكنه مع ذلك تكلم باستفاضة عن الروح القدس لكى ينعم علينا بمعرفة الروح القدس الحقيقية ثم يقوم بتسليم الأمر للروح القدس ليعلّمنا كل ما لم نحتمل أن نسمعه فى ذلك الحين "**أما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق**" (يو١٦: ١٣).

شكراً للرب الذى أنعم علينا بهذه المعرفة للروح القدس، وشكراً للقديس يوحنا اللاهوتى الذى سجل لنا هذه الكلمات فى إنجيله –الذى هو رابع الأناجيل– قبل أن يرحل من هذا العالم، وهو آخر من تنيح من الرسل القديسين الذين سلمونا الإيمان الثمين.

الجوهر والطاقة

سجّل القديس لوقا هذا عن السيد المسيح فى إنجيله: "ونزل معهم ووقف فى موضع سهل هو وجمع من تلاميذه وجمهور كثير من الشعب من جميع اليهودية وأورشليم وساحل صور وصيداء الذين جاءوا ليسمعوه ويشفوا من أمراضهم. والمعذبون من أرواح نجسة وكانوا يبرأون. **وكل الجمع طلبوا أن يلمسوه لأن قوة كانت تخرج منه وتشفى الجميع**" **(لو٦: ١٧-١٩).**

مجرد لمس الرب يسوع المسيح كان كافياً لأن ينال الناس الشفاء، **لأن قوة كنت تخرج منه وتشفى الجميع.**

هذه القوة التى تخرج من السيد الميسح هى طاقة فائقة للطبيعة يسمّيها اللاهوتيون باللغة اليونانية (evne,rgeia إنرجيا) ومثلها الكلمة الإنجليزية energy وهى مأخوذة عن اليونانية ومعناها "**طاقة**".

وطبعاً فى معرفتنا عن لاهوت السيد المسيح فإننا **نميز بين الطاقة والجوهر**، فالجوهر هو باللغة اليونانية (Ouvsi,a أوسيا) وباللغة الإنجليزية Essence.

وللسيد المسيح جوهر بشرى متحد بجوهر إلهى. والجوهر الإلهى للسيد المسيح هو نفسه للآب وللروح القدس. **فالأقانيم الثلاثة لاهوت واحد وجوهر واحد غير متجزئ ولا منقسم.**

وما يمنحه السيد المسيح للمؤمنين به هو الطاقة وليس الجوهر.. ومع ذلك فإن هذه الطاقة يكون الثالوث القدوس هو مصدرها ومانحها.

وكل طاقة أو نعمة أو قدرة يمنحها أحد الأقانيم لها أصلها فى الآب أى أنها من الآب وتُمنح بالابن فى الروح القدس.

عطايا الروح القدس

هكذا علّم آباء الكنيسة الكبار **مميزين بين الروح القدس الذى يستمد جوهره أزلياً من الآب وحده، وبين عطايا الروح القدس التى لها أصلها فى الآب وتتحقق من خلال الابن بواسطة الروح القدس.** فالروح القدس لا يُمنح للبشر كأقنوم من حيث جوهره، ولكن عطايا الروح القدس هى التى تُمنح باستحقاقات الابن الوحيد الجنس.

وعندما نفخ السيد المسيح الروح القدس فى وجه تلاميذه بعد قيامته من الأموات فقد نفخ موهبة الكهنوت ومغفرة الخطايا، ولم ينفخ جوهر الروح القدس الذى ينبثق جوهرياً من الآب وحده. لذلك وردت العبارة فى النص اليونانى بدون أداة التعريف (لافيتيه بنيفما أجيون La,bete pneu/ma a[gion) (يو ٢٠: ٢٢) وليس "لافيتيه <u>**تو**</u> بنيفما <u>**تو**</u> أجيون".

وقد لوحظ أن تعبير الروح القدس " تو بنيفما تو أجيون To. Pneu/ma To. [Agion " إذا ورد بأداة التعريف فى النص اليونانى فإنه يشير إلى الأقنوم ذاته. أما إذا ورد بدون أداة التعريف "بنيفما أجيون pneu/ma a[gion " فإنه يشير إلى عطايا الأقنوم ومواهبه أى إلى الطاقة (evne,rgeia إنرجيا) وليس إلى الجوهر (Ouvsi,a أوسيا).

أمثلة من أقوال الآباء

قال القديس أثناسيوس:

[الآب يخلق كل الأشياء من خلال الكلمة فى الروح القدس] (الرسالة الثالثة إلى سرابيون فصل٥).

وقال أيضاً:

[الآب يفعل كل الأشياء من خلال الكلمة فى الروح القدس] (الرسالة الأولى إلى سرابيون فصل ٢٨).

وقال فى حديثه عن الروح القدس:

[من الواضح أن الروح ليس مخلوقاً، ولكنه يشترك فى عملية الخلق. لأن الآب يخلق كل الأشياء من خلال الكلمة فى الروح، لأنه حيثما يوجد الكلمة، فهناك الروح أيضاً، والأشياء التى خلقت من خلال الكلمة تأخذ قوتها الحيوية من الروح من الكلمة. لذلك كتب فى المزمور الثالث والثلاثين "بكلمة الرب صنعت السماوات وبنسمة فيه كل جنودها" (مز٣٣: ٦)].

(The Spirit & the Church: Antiquity- Stanely M Burgess- Hendricksons Publishers- p.118).

أما القديس غريغوريوس أسقف نيصص فقد قال:

[كل عملية تأتى من الله إلى الخليقة، وتسمى بحسب فهمنا المتنوع لها. لها أصلها من الآب وتأتى إلينا من خلال الابن وتكتمل فى الروح القدس] (آباء ما بعد نيقية. المجموعة الثانية ج٥ صفحة ٣٣٤).

ونحن فى عقيدتنا الأرثوذكسية مثلما نميّز بين إرسال الروح القدس من الآب والابن وانبثاقه من الآب فقط لأن الإرسال فى الزمن أما الانبثاق فهو أزلى وخارج الزمن. هكذا أيضاً نميّز بين عطايا الروح القدس التى يتم منحها من الآب والابن، وجوهره كأقنوم الذى هو من الآب فقط.

لذلك نقول عن الروح القدس فى قانون الإيمان {الرب المحيى المنبثق من الآب}.

وقال عنه السيد المسيح: "روح الحق الذى من عند الآب ينبثق" (يو١٥: ٢٦). وهو فى هذا يتكلم عن الأقنوم الذى ينبثق من الآب بحسب جوهره.

عطية الحق

إن الحق كجوهر يخص الله وحده، أما الحق كطاقة فهو يُمنح كعطية للمؤمنين بالمسيح "وتعرفون الحق والحق يحرركم" (يو٨: ٣٢). وقد دُعى الروح القدس "روح الحق" (يو١٤: ١٧، يو١٥: ٢٦، يو١٦: ١٣) لأنه فى جوهره هو حق تماماً مثل الآب والابن، كما أنه يشهد للحق ويخبرنا بجميع الحق ويأخذ مما للحق ويخبرنا.

عن هذا قال السيد المسيح لتلاميذه: "متى جاء ذاك، **روح الحق**، فهو يرشدكم إلى **جميع الحق**، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدنى لأنه **يأخذ مما لى ويخبركم**. كل ما للآب هو لى. لهذا قلت: إنه يأخذ مما لى ويخبركم" (يو١٦: ١٣-١٥).

وقال لهم أيضاً: "إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد، **روح الحق** الذى لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم تعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" (يو١٤: ١٥-١٧). "وأما المعزى، الروح القدس، الذى سيرسله الآب باسمى، فهو **يعلّمكم كل شئ، ويذّكركم بكل ما قلته لكم**" (يو١٤: ٢٦).

إن الوحى الإلهى هو عطية من الروح القدس. وقد أعلنت الأناجيل المقدسة وباقى أسفار العهد الجديد حقيقة الله الآب باعتباره أنه هو "أبو ربنا يسوع المسيح" (أف١: ٣، انظر أف ٣: ١٤، كو١: ٣)، وهو مصدر انبثاق الروح القدس "**روح الحق** الذى من عند الآب ينبثق" (يو١٥: ٢٦).

وفى العهد القديم أشار الوحى فى بعض المواضع إلى مثل هذه الأمور:

ففى سفر الأمثال وردت إشارة واضحة إلى **الله الآب وابنه** "من صعد إلى السماوات ونزل؟ من جمع الريح فى حفنتيه؟ من صرّ المياه فى ثوب؟ من ثبّت جميع أطراف الأرض؟ **ما اسمه؟ وما اسم ابنه إن عرفت؟**" (أم٣٠: ٤).

وفى سفر المزامير وردت إشارة واضحة **للروح القدس الحاضر فى كل مكان** "أين أذهب من روحك؟ ومن وجهك أين أهرب؟ إن صعدت إلى السماوات فأنت هناك، وإن فرشت فى الهاوية فها أنت. إن أخذت جناحى الصبح، وسكنت فى أقاصى البحر، فهناك أيضاً تهدينى يدك وتمسكنى يمينك" (مز١٣٩: ٧-١٠).

وفى سفر أيوب يتكلم عن **الروح القدس الخالق** "روح الله صنعنى ونسمة القدير أحيتنى" (أى٣٣: ٤). هذا على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر.

ولكننا فى العهد الجديد قد أُتيح لنا أن نعرف من هو الآب، ومن هو الابن، ومن هو الروح القدس بصورة واضحة جداً حسب وعد السيد المسيح.

لقد أبرز هذه الحقيقة فى حديثه مع الآب قبل الآلام والصلب مباشرة بقوله: "أنا مجدّتك على الأرض.. أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى.. أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك، أما أنا فعرفتك، وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى. وعرّفتهم اسمك وسأعرفهم، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به وأكون أنا فيهم" (يو١٧: ٤، ٦، ٢٥، ٢٦).

ففى قول السيد المسيح: "وتعرفون الحق، والحق يحرركم" (يو٨: ٣٢) كان يقصد أن نعرف حقيقة الله.. حقيقة أبوته.. وحقيقة محبته، وقداسته، وبغضه للخطية، وطول أناته، وقدرته على كل شئ.. وكل صفاته الجميلة التى تأسرنا وتجعلنا نرفض الخطية ونتحرر من سلطانها.

النعمة والحق

يقول القديس يوحنا الحبيب فى إنجيله: "لأن الناموس بموسى أعطى، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يو١: ١٧).

ويقول القديس غريغوريوس الأرمنى St. Gregory the Illuminator {لقد أخلى السيد المسيح نفسه وصار إنساناً، غير المائت صار قابلاً للموت (بحسب الجسد)، لكى يمنح البشر أن يصيروا شركاء طبيعته الإلهية غير المائتة}. والقديس غريغوريوس يقصد بهذا أن النعمة الفائقة للطبيعة التى يمنحها السيد المسيح بالروح القدس هى التى تعطى للمؤمنين باسمه والمتحدين معه بشبه قيامته، أن يشتركوا فى الحياة الأبدية.

إن عبارة القديس بطرس الرسول الواردة فى النص التالى من رسالته الثانية: "كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى، بمعرفة الذى دعانا بالمجد والفضيلة، اللذين بهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة، **لكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية**، هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة" (٢بط١: ٣، ٤) هذه العبارة المشهورة، التى يحاول البعض أن يخرجوا بها عن الإطار الذى قيلت فيه، **مقصود بها شركة الحياة الأبدية وشركة عدم الموت، بعد شركة الحياة الروحية بالجهاد ضد الخطية والهروب من الفساد الذى فى العالم بالشهوة.**

لذلك أكمل قوله: "ولهذا عينه –**وأنتم باذلون كل اجتهاد**– قدموا فى إيمانكم فضيلة.." (٢بط١: ٥). إنها شركة العمل مع الروح القدس، وهى شركة مع الثالوث القدوس، هى التى تؤهلنا أن ننال المواعيد العظمى والثمينة التى بها نصير "**شركاء الطبيعة الإلهية**" فى حياة القداسة وفى النهاية شركة الحياة الأبدية.

إن هناك فرقاً واضحاً بين "**الجوهر** الإلهى" غير المدرك، وبين "**الطاقات** الإلهية" التى نعرف الله بها. إن الطاقات الإلهية هى التى تعمل فينا بالنعمة، والتى تهب لنا العطايا الفائقة للطبيعة.

مثل نعمة البنوة لله فى المعمودية، ومثل مواهب الروح القدس فى سر المسحة المقدسة.

وهى أيضاً التى تمنحنا عربون الحياة الأبدية فى سر الإفخارستيا. **فإن الاتحاد بالمسيح فى سر الإفخارستيا، لا يعنى اتحادًا أقنومياً يماثل الاتحاد الطبيعى بين لاهوته وناسوته فى تجسده من العذراء مريم، بل يعنى اتحادًا بالحياة الأبدية الممنوحة لنا بالنعمة كعربون**، لكى نثبت فيه ونقهر عوامل الخطية والموت والشركة مع إبليس. **إننا لا نتحد بجوهر اللاهوت مثل الاتحاد الحاصل فى تجسد الله الكلمة، بل نتحد بالطاقات الإلهية الممنوحة لنا بالنعمة.**

لهذا قال القديس يوحنا الإنجيلى: "أما **النعمة والحق** فبيسوع المسيح صارا" (يو ١: ١٧).

النعمة فى العهد الجديد

إن النعمة فى العهد الجديد ليست مجرد المواهب الفائقة للطبيعة التى يمنحها الروح القدس مثل الوحى لكتبة الأسفار المقدسة فى العهدين القديم والجديد، ولا القوات والعجائب التى أجراها الأنبياء فى العهد القديم والتى تجرى مع المؤمنين فى العهد الجديد.

ولكنها تتخطى هذا بكثير لأنها تمنح الخلاص والتجديد ومغفرة الخطايا والميلاد الفوقانى وثمار الروح القدس مثل المحبة والفرح والسلام، وتمنح عربون الحياة الأبدية، وتعلن الأسرار الإلهية. كما أنها تمنح أمجاد الشركة مع الله فى حياة القداسة المناسبة لنا، وتمنح القيامة بالجسد الممجد فى اليوم الأخير.

ما أجمل كلمات بطرس الرسول:

"كما اشتركتم فى آلام المسيح، افرحوا لكى تفرحوا فى استعلان مجده أيضاً مبتهجين.. وإله كل نعمة الذى دعانا إلى مجده الأبدى فى المسيح يسوع، بعدما تألّمتم يسيراً، هو يكمّلكم، ويثبّتكم ويقوّيكم، ويمكّنكم، له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين" (١بط٤: ١٣، ٥: ١٠، ١١).

عمل الروح القدس فى أسرار الكنيسة

يتساءل البعض هل نحن نثبت فى الرب بالتناول من جسده ودمه، أم فى سر التثبيت أى المسحة المقدسة بواسطة زيت الميرون؟

ونجيب على ذلك بأننا نثبت فى الرب يسوع المسيح فى التناول من جسده ودمه الأقدسين حسب قوله: "**من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأنا فيه**" (يو ٦: ٥٦).

كما أننا نثبت فى الرب فى سر المسحة المقدسة الذى يدعى سر التثبيت حسبما ورد فى رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل كورنثوس: "ولكن **الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا** هو الله الذى ختمنا أيضا وأعطى عربون الروح فى قلوبنا " (٢كو ١: ٢١، ٢٢). وقال القديس يوحنا الرسول: "وأما أنتم **فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة**

فيكم" (١يو٢: ٢٧). فالله الآب يعمل بواسطة الابن الوحيد، كما يعمل بواسطة الروح القدس لأن قدرة واحدة للثالوث وعطية واحدة، **بالرغم من تمايز دور كل أقنوم فى العمل الواحد.**

ففى عمل الخلاص مثلاً يشترك الأقانيم الثلاثة معاً وكل أقنوم يقوم بدوره المتمايز:

فالله الآب أرسل ابنه الوحيد إلى العالم ليخلص العالم. ولكى يتجسد الابن الوحيد؛ هيأ له الآب جسداً بواسطة الروح القدس فى أحشاء العذراء مريم "أخبر باسمك إخوتى وفى وسط الكنيسة أسبحك.. ذبيحة وقرباناً لم تُرِد ولكن هيأت لى جسداً. بمحرقات وذبائح للخطية لم تسر، ثم قلت هأنذا أجيء فى درج الكتاب مكتوب عنى لأفعل مشيئتك يا الله" (عب: ٢: ١٢، عب١٠: ٥-٧ ، انظر مز٢٢: ٢٢). فمع أن الابن الوحيد هو الذى تجسد إلا أن الآب والروح القدس قد اشتركا فى تهيئة هذا التجسد.

كذلك عند **صلب السيد المسيح،** يقول معلمنا بولس الرسول: "المسيح الذى بروح أزلى قدّم نفسه لله بلا عيب" (عب٩: ١٤).. لقد قدّم السيد المسيح ذبيحة نفسه بلا عيب كرئيس كهنة أعظم إلى الآب بواسطة الروح القدس (بروح أزلى قدّم نفسه). وقد تقبّل الآب هذه الذبيحة تكفيراً عن خطايا البشرية.

إذن لم يكن الآب ولا الروح القدس غائبين عن مشهد الجلجثة، ولا منفصلين عن الابن الوحيد {هذا الذى أصعد ذاته ذبيحة مقبولة عن خلاص جنسنا فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة} {لحن فاى إيتاف اينف Vai etafenf } فى طقس الجمعة العظيمة وفى طقس تسبحة يوم الأحد.

وأيضا فى **عمل الخلق** اشترك الأقانيم الثلاث كخالق واحد فى عمل الخلق كما هو مكتوب "بكلمة الرب صنعت السماوات وبنسمة فيه كل جُنودها" (مز٣٣: ٦).

وفى عمل الخلاص يعيد الرب خلقة الإنسان من جديد حسب قول معلمنا بولس الرسول: "إذاً إن كان أحد فى المسيح فهو خليقة جديدة" (٢كو٥: ١٧). وهذا يتم بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس. عن هذا كتب أيضاً معلمنا بولس الرسول إلى تلميذه تيطس فقال: "ولكن حين ظهر لطف **مخلصنا الله** وإحسانه، لا بأعمال فى بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته **خلّصنا**، بغُسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس، الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا"(تى٣: ٤-٦).

وهو فى ذلك يقول عن الآب "**مخلصنا الله**".

وعن الابن "بيسوع المسيح **مخلصنا**".

وعن الروح القدس "**خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس**".

وهذا يظهر اشتراك الأقانيم الثلاثة معاً فى عمل الخلاص حتى نكرر ما قاله الآباء القديسون أن **[كل ما يعمله الآب هو بواسطة الابن فى الروح القدس].** أو **[كل ما يعمله الآب هو من خلال الابن بواسطة الروح القدس].** فالله

الآب يعمل دائماً مع الابن ومع الروح القدس مثلما قال السيد المسيح: "أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو٥: ١٧). وقال: "الآب الحال فىّ هو يعمل الأعمال" (يو١٤: ١٠).

لذلك لا نتعجب أننا ننال الثبات فى المسيح بواسطة سر المسحة المقدسة بعد العماد الطاهر، وذلك بفعل الروح القدس. كما إننا نثبت أيضاً فى المسيح بالتناول من جسده ودمه فى سر التناول. **فالآب يثبتنا فى المسيح بواسطة الروح القدس فى سر مسحة الميرون. وكذلك بواسطة الابن بتناولنا من جسده ودمه الأقدسين.**

والثبات فى المسيح يقترن بتنفيذ وصاياه المقدسة مثلما قال: "إن ثبتم فىّ وثبت كلامى فيكم تطلبون ما تريدون فيكون لكم.. إن حفظتم وصاياى تثبتون فى محبتى" (يو١٥: ٧، ١٠).

لذلك قال معلمنا يوحنا الرسول "أما أنتم فما سمعتموه من البدء، فليثبت إذاً فيكم. إن ثبت فيكم ما سمعتموه من البدء، فأنتم أيضاً تثبتون فى الابن وفى الآب. وهذا هو الوعد الذى وعدنا هو به: الحياة الأبدية. كتبت إليكم هذا عن الذين يضلونكم. وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم، ولا حاجة بكم إلى أن يعلّمكم أحد، بل كما تعلّمكم هذه المسحة عينها عن كل شئ، وهى حق وليست كذباً كما علمتكم تثبتون فيه" (١يو٢: ٢٤-٢٧).

والرسول يقصد أن **سر المسحة يجعل الروح القدس ساكناً فى الإنسان. وطالما يسكن الروح القدس فهو يرشد الإنسان إلى جميع الحق حتى يثبت فى الحق.** وقد وعد الرب يسوع المسيح تلاميذه بذلك فقال: "وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى، **فهو يعلّمكم كل شئ**" (يو١٤: ٢٦). وقال أيضاً: "متى جاء ذاك، روح الحق، **فهو يرشدكم إلى جميع الحق**.. ذاك يمجدنى، لأنه يأخذ مما لى ويخبركم" (يو ١٦: ١٣، ١٤). **حتى ما يخبرنا به الروح القدس فهو مما للمسيح لأنه هو عطية الثالوث القدوس.**

"يرشدكم إلى جميع الحق" (يو١٦: ١٣).

قال السيد المسيح لتلاميذه: "**متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق** لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم. كل ما للآب هو لى. لهذا قلت إنه يأخذ مما لى ويخبركم" (يو١٦: ١٣-١٥).

الروح القدس هو روح الحق فهو يشهد للحق. يشهد للمسيح الذى هو الحق المولود من الآب ينبوع الحق. والروح القدس هو الذى يعلن المسيح فى داخلنا، ولا يستطيع أحد أن يقول أن المسيح رب إلا بالروح القدس (انظر ١كو١٢: ٣).

وكما كان الروح يرف على وجه المياه فى بداية الخليقة عندما كانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة. وقال الله: ليكن نور فكان نور (انظر تك١: ١-٣). هكذا أيضاً أشرق نور معرفة الله فى المسيح بعمل الروح القدس فى الكنيسة "لأن الله الذى قال أن يُشرق نور من ظلمة، هو الذى أشرق فى قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله فى وجه يسوع المسيح" (٢كو٤: ٦).

الذى أشرق فى قلوبنا هو الروح القدس الذى أعطانا الاستنارة فى المعمودية، ويرشدنا إلى جميع الحق بسكناه فى قلوبنا. هو الذى يشرق فينا بمعرفة المسيح. ويمنحنا أن نفهم كلمة الله المدونة فى الأسفار المقدسة. ويذكّرنا بوصايا السيد المسيح – بل ويحولها إلى حياة فى داخلنا. وهو الذى يسكب محبة الله فى قلوبنا. وهو الذى يربطنا بالمسيح كأعضاء فى جسده المقدس. وبصفة عامة هو الذى يربطنا بالآب السماوى من خلال قبولنا وتمتعنا ببركات الفداء الذى صنعه السيد المسيح لأجلنا غافراً خطايانا بدمه الطاهر الكريم.

ترسل روحك فتخلق

قال السيد المسيح لتلاميذه: "متى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب. روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى" (يو١٥: ٢٦). ويقول المرنم: "ترسل روحك فتُخلق وتجدد وجه الأرض" (مز١٠٤: ٣٠). والمقصود أن الرب يُرسل روحه فيتم تجديد الخليقة مرة أخرى.

ونصلى فى صلاة الساعة الثالثة {روحك القدوس يا رب الذى أرسلته على تلاميذك القديسين ورسلك المكرمين فى وقت الساعة الثالثة؛ هذا لا تنزعه منا أيها الصالح، لكن جدده فى أحشائنا. قلباً نقياً اخلق فىّ يا الله وروحاً مستقيماً جدده فى أحشائى. لا تطرحنى من قدام وجهك وروحك القدوس لا تنزعه منى} (القطعة الأولى). وبهذا نحن نخاطب السيد المسيح الذى أرسل روحه القدوس على تلاميذه القديسين فى يوم الخمسين فى الساعة الثالثة لكى يخلق فينا قلباً نقياً بعمل الروح القدس المتجدد فى داخلنا باستمرار.

الخليقة الجديدة

إن الارتباط بين الروح القدس والخليقة، هو ارتباط دائم فى القديم والجديد. ففى بداية خلق العالم "كانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة، وروح الله يرف على وجه المياه. وقال الله ليكن نور، فكان نور" (تك١: ٢، ٣).

وعند تجديد الحياة على الأرض مرة أخرى بعد الطوفان أرسل نوح الحمامة –التى ترمز إلى الروح القدس الذى حل على السيد المسيح عند عماده فى نهر الأردن بهيئة جسمية مثل حمامة– وعادت الحمامة إلى نوح وهى تحمل فى فمها غصن الزيتون إشارة إلى عودة الحياة على الأرض مرة أخرى بعد غسيلها بالطوفان. وكان الطوفان وتجديد الحياة على الأرض رمزاً للخلاص بالمعمودية كما قال معلمنا بطرس الرسول: "الفلك.. الذى فيه خلص قليلون أى ثمانى أنفس بالماء. الذى مثاله يخلصنا نحن الآن أى المعمودية" (١بط٣: ٢٠، ٢١).

وقال أيضاً معلمنا بولس الرسول: "ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال فى بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغُسل الميلاد الثانى **وتجديد الروح القدس** الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا" (تى٣: ٤–٦).

إن تجديد الروح القدس فى الخليقة الجديدة فى المسيح يتم فى المعمودية لاشك فى هذا على الإطلاق حيث يقول بولس الرسول: "إن كان أحد فى المسيح فهو **خليقة جديدة**" (٢كو٥: ١٧).
لهذا خلق السيد المسيح عينين للمولود أعمى من الطين وأمره أن يذهب ويغتسل فى بركة "**سلوام**" الذى تفسيره "**مُرسل**". وهذا الاسم هو إشارة إلى إرسال الروح القدس الذى يخلق للإنسان أعين جديدة فى المعمودية بها يستطيع أن يعاين ملكوت الله لأنه "إن كان أحد لا يولد من فوق؛ لا يقدر أن يرى ملكوت الله" (يو٣: ٣). وأيضاً "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح؛ لا يقدر أن يدخل ملكوت الله" (يو٣: ٥). إذن فالمُرسَل هو الروح القدس الذى أرسله الابن حسب موعد الآب. لهذا قال المزمور "ترسل روحك فتُخلق وتجدد وجه الأرض" (مز١٠٤: ٣٠). وهو يقصد أن الرب يرسل روحه لتجديد الحياة على الأرض مرة أخرى بواسطة المعمودية.

يوم الخمسين

لهذا يعتبر يوم الخمسين هو عيد ميلاد الكنيسة. لأن الكنيسة نالت التجديد بالمعمودية فى ذلك اليوم. قال السيد المسيح لتلاميذه عند صعوده إلى السماء: "لأن يوحنا عمد بالماء وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير" (أع١: ٥).
وقال لهم: "خير لكم أن أنطلق. لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزى" (يو١٦: ٧).
كان مجيء الروح القدس لازماً لتجديد وجه الأرض مرة أخرى. وعاد روح الله يرف مرة أخرى على وجه المياه فى الخليقة الجديدة. وتم تعميد ثلاثة آلاف نفس فى يوم الخمسين.
كانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة لأن الخطية والموت قد ملكا على جميع البشر و"اجتاز **الموت** إلى جميع الناس إذ **أخطأ** الجميع" (رو٥: ١٢).
كانت الأرض خربة وخالية لأن "الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد" (رو٣: ١٢، انظر مز٥٣: ٣).
كانت الأرض خربة وخالية لأن محبة العالم وأيضاً عبادة الأوثان المحرمة قد انتشرت فى الأرض بصورة مريعة.
كانت الأرض خربة وخالية نظراً لفساد الطبيعة البشرية التى سقطت فى قبضة الفساد لسبب فقدان الشركة مع الله والدخول فى شركة مع الشيطان.
كانت الأرض خربة وخالية وعلى وجه الغمر ظلمة. هذه هى ظلمة الجهل والخطية والموت تحت سلطان إبليس.
"وقال الله ليكن نور" (تك١: ٣).. فى الخليقة الجديدة أشرق نور المسيح على حياة المفديين كقول الرب: "لكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر والشفاء فى أجنحتها" (ملا٤: ٢). إننا لم نسمع عن شمس لها أجنحة سوى أن السيد المسيح (شمس البر) قد فتح ذراعيه وهو معلق على الصليب كما يفتح الطائر جناحيه.

إن الله الذى قال أن يشرق نور من ظلمة؛ قد أشرق على البشرية بنوره العجيب "**وقال الله: ليكن نور فكان نور**" (تك ١: ٣).

الباب الثالث عشر

السيد المسيح فى إرساله لتلاميذه ومتابعته للخدمة

مجد وكهنوت السيد المسيح

المسيح الراعى

لماذا اختار رسلاً

رقم الاثنى عشر

متابعة السيد المسيح الخدمة

ظهور السيد المسيح لاستفانوس

ظهور السيد المسيح لبولس الرسول

ظهور السيد المسيح لحنانيا

تسليم الإنجيل لبولس الرسول

رؤيا يوحنا اللاهوتى

مجد وكهنوت السيد المسيح

فى مناجاته مع الآب ليلة الصلب تكلّم السيد المسيح عن نوعين من المجد:

١- **مجده الأزلى** : قبل كون العالم بقوله للآب: "**والآن مجدنى أنت أيها الآب عند ذاتك، بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم** "(يو١٧: ٥) .

٢- **مجده المسيانى:** الذى ظهر به فى الجسد عندما أخلى نفسه وأخذ صورة عبد، ومارس عمله كمسيح للرب، ورئيس كهنة ومخلّص للعالم. وعن مجده كرئيس كهنة قال للآب فى ليلة آلامه، فى حديثه عن علاقته بتلاميذه الأحد عشر (بعد استبعاد يهوذا الإسخريوطى من الحديث): "**وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى**" (يو١٧: ٢٢) وقد شرح **قداسة البابا شنودة الثالث** –أطال الرب حياته– هذه المسألة مؤكداً أن المجد المقصود فى هذه العبارة الذى أعطاه الرب للتلاميذ هو **مجد رئاسة الكهنوت والرعاية** (مجلة الكرازة ٢٠٠٤/١٢/٣م العدد ٣٧ للسنة الـ٣٢ ص ١٦ العامود الثانى سطر ٣٧).

ومن المفهوم طبعاً أن السيد المسيح كان أحياناً يكشف عن شعاع من مجده الإلهى من خلال التجلى، ومن خلال المعجزات التى أجراها وخاصة معجزة قيامته المجيدة من الأموات بقدرته الإلهية.

ولكن لم يكن من الممكن أن يعلن مجده الإلهى بصورة كاملة أثناء وجوده على الأرض، لأن البشر لن يحتملوا رؤية هذا المجد قبل أن يلبسوا جسد القيامة الروحانى الممجد. لهذا قال الرب لموسى على جبل سيناء: "الإنسان لا يرانى ويعيش" (خر٣٣: ٢٠).

كما أن الخلاص لم يكن ممكناً أن يتم لو أعلن السيد المسيح فى تجسده على الأرض ملء مجده الإلهى. لهذا قال معلمنا بولس الرسول: "لأن لو عرفوا لما صلبوا رب المجد" (١كو٢: ٨). فالمسألة إذن أن السيد المسيح قد أخفى لاهوته عن الشيطان، **وأخفى مجده المنظور عن البشر إلى حين إتمام الفداء وصعوده إلى السماء ودخوله إلى مجده السمائى عن يمين الآب.**

وقد شرح القديس بولس الرسول هذه الحقيقة بقوله "بالإجماع عظيم هو سر التقوى، **الله ظهر فى الجسد**، تبرر فى الروح، تراءى لملائكة، كرز به بين الأمم، أومن به فى العالم، **رُفع فى المجد**" (١تى٣: ١٦)

لقد أخفى السيد مجده الأزلى بالناسوت لكى يتمم الفداء ثم يدخل إلى مجده عند صعوده إلى السماء.

وتحدّث القديس بولس الرسول عن حالة السيد المسيح فى دائرة الإخلاء عند قبوله الآلام لأجل خلاصنا فقال: "ولكن الذى وضع قليلاً عن الملائكة، يسوع، **نراه مكللاً بالمجد والكرامة**، من أجل ألم الموت، لكى يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد. لأنه لاق بذاك الذى من أجله الكل وبه الكل، وهو آتٍ بأبناءٍ كثيرين **إلى المجد**، أن يُكمِّل رئيس خلاصهم بالآلام (عب٢: ٩، ١٠).

إن المجد الذى تكلل به السيد المسيح فى آلامه، هو مجد الحب والبذل والعطاء والفداء، **ومجد رئاسة الكهنوت** فى تقديم ذبيحته الخلاصية كرئيس للخلاص، وكقائد لمسيرة المفديين فى طريقهم نحو المجد السمائى. ولكن ينبغى أن نلاحظ أن عبارة "**الذى وضع قليلاً عن الملائكة**، يسوع" التى وردت فى النص السابق قد ورد قبلها فى نفس الرسالة إلى العبرانيين عن صعود السيد المسيح إلى المجد "صائراً **أعظم من الملائكة** بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم" (عب١: ٤).

فالمسيح الذى "أخلى نفسه" هو هو نفسه "الذى رفع فى المجد"

مجد المسيح الأزلى

مجد المسيح الأزلى هو واحد فيه مع الآب ومع الروح القدس. هو مجد الثالوث القدوس الذى نسبحه فى الكنيسة ونعطيه " الذوكصا" ونقول: {المجد للآب والابن والروح القدس}.

عن هذا المجد قال الرب: "**ومجدى لا أعطيه لآخر**" (إش٤٢: ٨). لذلك لا يمكن لأى أحد آخر أن يشارك الثالوث القدوس فى هذا المجد. ولا تنطبق عليه عبارة السيد المسيح عن رسله القديسين "وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى" (يو١٧: ٢٢).

مجد رئاسة الكهنوت

هذا المجد الذى منحه السيد المسيح لرسله القديسين، يترتب عليه سلطان التعليم فى الكنيسة ومقاومة البدع والهرطقات، وسلطان الحل والربط والتشريع فى الكنيسة من خلال المجامع المقدسة. وكذلك سلطان الحكم فى المجالس الإكليريكية، وسلطان إقامة الرتب الكنسية مثل سيامة الأساقفة بيد الآباء البطاركة ومعهم الأساقفة، وسيامة الآباء الكهنة بواسطة الأساقفة وكذلك سيامة الشمامسة وتدشين الكنائس والأوانى المقدسة. وسلطان وضع اليد قد منحه الرب للرسل وخلفائهم باعتبار أن الأسقف هو وكيل الله. لهذا قال معلمنا بولس الرسول: "يجب أن يكون الأسقف بلا لوم كوكيل الله" (تى١: ٧).

كهنوت السيد المسيح

يقول معلمنا بولس الرسول عن رئاسة الكهنوت: "ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه، بل المدعو من الله كما هارون أيضاً. كذلك المسيح أيضاً **لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة**، بل الذى قال له: **أنت ابنى** أنا اليوم ولدتك" (عب٥ : ٤، ٥، انظر مز ٢: ٧).

إذن فقد أخذ السيد المسيح **مجد رئاسة الكهنوت** من الآب السماوى لأن بولس الرسول يقول: "لم يمجد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذى قال له أنت ابنى".

ومجد رئاسة الكهنوت الذى للسيد المسيح قد أشرنا إليه سابقاً فى تفسير عبارة "**وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى**" (يو١٧: ٢٢) التى قالها السيد المسيح للآب فى ليلة آلامه عن عطيته لرسله الأحد عشر والتى أخذها من الآب فى إرساليته الخلاصية.

وقد استطرد القديس بولس الرسول فى كلامة السابق فأشار إلى أن كهنوت السيد المسيح هو على رتبة ملكى صادق وليس على رتبة هارون فقال: "**مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق**" (عب٥: ١٠).

هكذا أيضاً كهنوت الآباء الرسل وخلفائهم من الآباء البطاركة والأساقفة هو على رتبة ملكى صادق، لأنهم يقدّمون **ذبيحة الإفخارستيا (أى سر الشكر)** بالخبز والخمر، والتى هى نفسها ذبيحة الصليب، ولكن تحت أعراض الخبز والخمر. ولا يقدّمون الذبائح الحيوانية الخاصة بالكهنوت الهارونى.

وهذا ما أوصاهم به السيد المسيح فى ليلة آلامه عن تقديم جسده ودمه الأقدسين "اصنعوا هذا لذكرى" (لو٢٢: ١٩، ١كو١١: ٢٤).

إن ملكى صادق حينما خرج لملاقاة إبراهيم قدّم خبزاً وخمراً، ولم يقدم ذبيحة حيوانية وأعطاه إبراهيم عشراً من كل شئ. وقد ورد ذلك فى سفر التكوين كما يلى:

"وملكى صادق ملك شاليم **أخرج خبزاً وخمراً. وكان كاهناً لله العلى. وباركه**، وقال: مبارك أبرام من الله العلى مالك السماوات والأرض. ومبارك الله العلى الذى أسلم أعداءك فى يدك. فأعطاه عُشراً من كل شئ" (تك١٤: ١٨-٢٠).

إن مجد رئاسة كهنوت السيد المسيح يرتبط ارتباطاً واضحاً بتقديم ذبيحة الإفخارستيا التى صنعها السيد المسيح وأمر تلاميذه أن يصنعوها. والتى هى نفسها ذبيحته الخلاصية على الصليب وتستمد وجودها وفاعليتها من حقيقة الصليب فوق الجلجثة، إذ هى امتداد لذبيحة الصليب عبر الزمان فى ليلة الآلام وإلى مجيء الرب الديان.

لهذا اهتم القديس بولس الرسول فى أكثر من موضع بإبراز رئاسة كهنوت السيد المسيح أنها على رتبة ملكى صادق "**مدعواً من الله رئيس كهنة على رتبة ملكى صادق**" (عب٥: ١٠ انظر أيضاً عب٦ :٢٠).

ولا يخفى على أحد بالطبع أن كهنوت السيد المسيح هو **كهنوت أبدى**. فخدمته الكهنوتية مستمرة عبر الأجيال إذ أنه يشفع فينا بذبيحته الخلاصية إلى آخر الزمان. "إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا" (١يو٢: ١، ٢).

لقد دخل السيد المسيح إلى المقادس السماوية "**حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكى صادق رئيس كهنة إلى الأبد**" (عب٦: ٢٠).

إنه شئ رائع أن نرى الكنيسة المقدسة وهى أيقونة للسماء على الأرض مثلما رآها يعقوب أب الآباء مثل سلم منصوب على الأرض ورأسه يمس السماء والرب واقف بجلاله المخوف والملائكة صاعدين ونازلين على السلم (انظر تك ٢٨ : ١٢، ١٣، ١٧).

إن السماء تكون مفتوحة أثناء القداس الإلهى والسيد المسيح حاضر بجسده ودمه على المذبح سرائرياً بنفس ذبيحته الخلاصية التى بها يشفع فينا شفاعة كفارية أمام الآب السماوى.

والملائكة الذين كتب عنهم أنهم خدام العتيدين أن يرثوا الخلاص يكونون فى حالة صعود ونزول أثناء القداس يرفعون صلواتنا، وينزلون بالبركات السمائية، ويشاركون معنا تسبيح الحمل الذبيح وشكر الآب على محبته غير المحدودة.

حقاً إن الكنيسة هى بيت الملائكة لأن الرب قد صالح السمائيين مع الأرضيين، كقول بولس الرسول عن ذلك "**لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شئ فى المسيح ما فى السماوات وما على الأرض فى ذاك الذى فيه أيضاً نلنا نصيباً معينين سابقاً**" (أف١: ١٠، ١١).

المسيح الراعى

قال السيد المسيح عن نفسه: "أنا هو الراعى الصالح. والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف" (يو١٠: ١١). واعتبر السيد المسيح أن الخراف هى رعيته؛ أى خرافه الخاصة التى يعرفها بأسمائها ويدعوها باذلاً نفسه من أجلها.

وهكذا قال الرب أيضاً بفم حزقيال النبى: "هأنذا أسأل عن غنمى وأفتقدها. كما يفتقد الراعى قطيعه يوم يكون فى وسط غنمه المشتتة هكذا أفتقد غنمى وأخلصها" (حز٣٤: ١١، ١٢).

وقال أيضاً: "أنا أرعى غنمى وأربضها يقول السيد الرب. وأطلب الضال وأسترد المطرود وأجبر الكسير وأعصب الجريح وأبيد السمين والقوى وأرعاها بعدل" (حز٣٤: ١٥، ١٦).

الله هو الراعى والمخلّص والفادى وقد افتقد غنمه وحل فى وسطها لأن الله "الكلمة صار جسداً وحل بيننا" (يو١: ١٤) "كما يفتقد الراعى قطيعه يوم يكون فى وسط غنمه" (حز٣٤: ١٢). وصار السيد المسيح هو الحمل والراعى فى آنٍ واحد.

دعوة الخراف

قال السيد المسيح: "الذى يدخل من الباب فهو راعى الخراف. لهذا يفتح البواب، والخراف تسمع صوته، **فيدعو خرافه الخاصة بأسماء** ويخرجها" (يو١٠: ٢، ٣).

وقال أيضاً: "أما أنا فإنى الراعى الصالح، **وأعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى،** كما أن الآب يعرفنى وأنا أعرف الآب" (يو١٠: ١٤، ١٥).

الدعوة والمعرفة مرتبطان ارتباطاً وثيقاً.. أى أن الرب يعرف خرافه بسابق معرفته الإلهية ولهذا فلابد أن يدعوها.. سواء أكانت من شعبه القديم أو شعبه الجديد. لذلك قال: "ولى خراف أُخر ليست من هذه الحظيرة، ينبغى أن آتى بتلك أيضاً فتسمع صوتى وتكون رعية واحدة وراعٍ واحد" (يو١٠: ١٦). فبهذا المفهوم تنبأ إشعياء النبى عن شعب مصر بعد مجيء السيد المسيح "مبارك شعبى مصر" (إش ١٩: ٢٥).

نقول أن الدعوة وسبق المعرفة عند الله مرتبطان ببعضهما بالنسبة لخراف السيد المسيح لذلك يقول معلمنا بولس الرسول: "ونحن نعلم أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله، الذين هم مدعوون حسب قصده. **لأن الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم** ليكونوا مشابهين صورة ابنه، ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين. **والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً**. والذين دعاهم فهؤلاء بررهم أيضاً. والذين بررهم فهؤلاء مجدهم أيضاً" (رو٨: ٢٨-٣٠).

إن سِبق معرفة الله لا تلغى حرية إرادة الإنسان ولكن الله بسابق معرفته يعلم من هم الذين يقبلون الحق بصفة عامة.. أو من لديهم استعداد لقبول الحق، كقول السيد المسيح لبيلاطس: "كل من هو من الحق يسمع صوتى" (يو١٨: ٣٧). مثل هؤلاء الذين يتلمس فيهم الرب الاستعداد لقبول الحق لابد أن يدعوهم. وهذا هو معنى كلام بولس الرسول: "الذين سبق فعرفهم سبق فعينهم.. والذين سبق فعينهم فهؤلاء دعاهم أيضاً" (رو٨: ٢٩، ٣٠).

ونادى إشعياء النبى قائلاً: "ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تُخلّص ولم تثقل أذنه عن أن تسمع" (إش٥٩: ١).

إن الدعوة لابد أن تصل إلى كل إنسان مستعد لقبولها لأن وسائل الرب وإمكانياته ليس لها حدود. لهذا قال السيد المسيح عن نفسه وعن خرافه: "والخراف تسمع صوته، **فيدعو** خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها" (يو١٠: ٣).**وقد فهم معلمنا بولس الرسول هذه الحقيقة فى عمله الكرازى بالإنجيل فقال لتلميذه تيموثاوس: "اذكر يسوع المسيح المُقام من الأموات من نسل داود بحسب إنجيلى الذى فيه أحتمل المشقات حتى القيود كمذنب. لكن كلمة الله لا تقيّد.**

لأجل ذلك أنا أصبر على كل شئ لأجل المختارين لكى يحصلوا هم أيضاً على الخلاص **الذى فى المسيح يسوع مع مجد أبدى**" **(٢تى٢: ٨-١٠).**

إنه يكافح ويحتمل المشقات لكى تصل كلمة الإنجيل إلى المختارين لكى يحصلوا هم أيضاً على الخلاص الذى فى المسيح. هو يعتبر نفسه موضوع لأجل الإنجيل وينال شرف أن يكون هو الأداة أو الوسيلة التى يستخدمها الله لهذا الغرض، ولكن حتى وهو فى السجن والقيود فإن كلمة الله لا تقيَّد أى لا تحبس كما قال لأنه كان يفهم قول إشعياء النبى: "ها إن يد الرب لم تقصر عن أن تُخلّص" (إش٥٩: ١).

وفى حديث بولس الرسول **عن المختارين** نلاحظ أيضاً إنه يبنى الاختيار على سبق معرفة الله لمن سوف يقبلون الحق الذى فى المسيح. لهذا شرح هذا الاختيار فى رسالته إلى أهل أفسس فقال "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة. **إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته. لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب**" **(أف١: ٣-٦).**

الرسول بولس يقول "**اختارنا** فيه **(**أى فى المسيح**)** قبل تأسيس العالم.. **إذ سبق فعيننا** للتبنى" وهو يربط بوضوح بين الاختيار وسبق المعرفة والتعيين مثلما ربط سابقاً فى رسالته إلى أهل رومية بين الدعوة وسبق المعرفة والتعيين كما ذكرنا سابقاً (انظر رو٨: ٢٩، ٣٠).

والخلاصة إن سبق المعرفة والتعيين والاختيار والدعوة كلها مرتبطة ببعضها وعلى هذا الأساس قال السيد المسيح: "أعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى" (يو١٠: ١٤). كما قال إنه "يدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها" (يو١٠: ٣). ولكن كل ذلك بشرط أن يظل المدعو أميناً إلى النهاية حسب قول الرب: "من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاً ولن أمحو اسمه من سفر الحياة وسأعترف باسمه أمام أبى وأمام ملائكته" (رؤ٣: ٥).

الرعاية والمحبة

هذه العبارة قالها السيد المسيح لسمعان بطرس الرسول فى عتابه له بعد قيامة الرب من الأموات، مبيناً أن رعاية الغنم، أى خراف السيد المسيح الناطقة، ترتبط ارتباطاً كبيراً بمحبته.

وفى حديثه عن عمله كراعٍ للخراف قال الرب "**أنا أضع نفسى عن الخراف**" (يو١٠: ١٥). أى أنه وضع لنا مثلاً أعلى للرعاية الحقة ينبع من منطلق الحب. وقال "**ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه**" (يو١٥: ١٣).

الله محبة

إن مفتاح المسيحية يكمن فى أن "الله محبة" (١يو٤: ٨، ١٦).

ففى علاقة الآب والابن والروح القدس يوجد مثال المحبة الكائنة قبل كل الدهور بين الأقانيم الثلاث. وحينما وجدت الخليقة العاقلة، غمرها الله الآب بمحبته بحسب مسرة مشيئته التى قصدها فى نفسه. وتمتعت الخليقة بمحبة الثالوث القدوس.

وحينما سقطت البشرية كان الله قد دبر لها الخلاص بابنه الوحيد بالفداء على الصليب وبعمل الروح القدس فى أسرار الكنيسة. حسب قول معلمنا بولس الرسول: "حين ظهر لطف مخلّصنا الله وإحسانه، لا بأعمال فى بر عملناها نحن. بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس الذى سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا" (تى٣: ٤-٦).

عن حب الله الآب للبشرية قال السيد المسيح: "لأنه **هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد الجنس لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية**" (يو٣: ١٦).

إذن المسألة تتلخص فى أمرين:

أولهما: إن المحبة كائنة وتمارس فى الله قبل كل الدهور.

وثانيهما: إن المحبة الإلهية تغمر الخليقة منذ أن وجدت. وتتألق كلما أتيحت الفرصة لذلك مثلما تألقت على الصليب.

لهذا فإن عمل الرعاية يرتكز أساساً على الحب: الحب نحو الله ونحو الخليقة. وقد لخص السيد المسيح كل الوصايا الإلهية فى وصيتين: الأولى: **محبة الله.** والثانية: **محبة القريب.**

وقال إن الثانية هى على مثال الأولى "الثانية مثلها".

من هذا المنظور قال السيد المسيح لبطرس الرسول: "يا سمعان بن يونا **أتحبنى؟ ارع غنمى**" (يو٢١: ١٦).

لذلك فكل من يتقدم إلى عمل الرعاية ينبغى أن يمتلئ أولاً من محبة الله ثم ينطلق نحو محبته للرعية بنقاوة وطهارة على مثال المحبة الإلهية.

المحبة ترجو كل شئ

هذه العبارة قالها معلمنا بولس الرسول (انظر ١كو١٣: ٧). وإذا طبقناها على عمل الرعاية فمعناها أن الراعى ينظر بعين الرجاء إلى مخدوميه فلا يراهم فى ضعفهم وسقوطهم وخطاياهم، بل يراهم فى توبتهم وقيامتهم من

الخطية وتمتعهم بحياة النصرة. مدركاً أنه "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى" (مت٩: ١٢، مر٢: ١٧، لو٥: ٣١) وأن الرب لم يرسله ليدعو أبرارًا بل خطاة إلى التوبة.

بهذا المفهوم قال معلمنا بولس الرسول: "قوّموا الأيادى المسترخية والركب المخلعة واصنعوا لأرجلكم مسالك مستقيمة لكى لا يعتسف الأعرج، بل بالحرى يشفى" (عب١٢: ١٢، ١٣).

الرعاية تحتاج إلى صبر واحتمال وطول أناة.. تحتاج إلى حب يحتمل كل شئ، ويصبر على كل شئ، ويرجو كل شئ.. تحتاج إلى حب لا يسقط أبداً. وقد يحتاج الراعى أن يستخدم التأديب حرصاً على إصلاح شأن من يستهين بطول الأناة. وحرصاً على خلاصه، أو حرصاً على حماية باقى القطيع من أذيته. فبسلاح البر ذات اليمين وذات اليسار يستمر الراعى فى خدمته للرعية بطول الأناة والرفق أحياناً وبالتوبيخ والتأديب فى أحيان أخرى، ولكن الهدف باستمرار هو أن تنتصر المحبة ضد كل قوى الظلمة الروحية.

الله لا ينسى تعب المحبة

كل خادم سيأخذ أجرته بحسب تعبه. والله ليس بظالم حتى ينسى تعب المحبة. ولابد أن الخادم الأمين يفرح بثمار تعبه وخدمته ورعايته. فالمحبة كنز لا يفنى ولا يضيع بل هو أبقى من الدهور ويعبر إلى ما وراء الزمان.

إن الوجود يفقد معناه بدون المحبة أو كما قال أحد الكتاب المسيحيين [أن توجد معناها أن تحب، وأن تحب معناها أن توجد]. والوجود المقصود هنا هو الوجود فى المسيح والذى بدونه يصير الوجود بلا قيمة.

ليت الرب يثبتنا فى المحبة لكى نثبت فيه ويثبت هو فينا. وليته يشعرنا بمحبته الفائقة الوصف لكى ننطلق بكل قوة فى خدمتنا وفى محبتنا.

لماذا اختار رسلاً

أراد السيد السيح أن يكرّم عروسه المحبوبة –كنيسته المقدسة– بأن يشركها معه فى العمل، فقال لرسله القديسين "كما أرسلنى الآب؛ أرسلكم أنا" (يو٢٠: ٢١). بحيث يحمل الآباء الرسل نفس رسالة الحب والمصالحة التى حملها السيد المسيح نفسه، صانعاً الفداء بدم صليبه..

يا له من شرف عظيم أن تشترك الكنيسة، بقوة الروح القدس العامل فيها، مع عريسها السمائى فى توصيل بشرى الخلاص إلى كل البشرية، **مؤيَّدة بخدمة الملائكة السمائيين** الذين قال عنهم الكتاب: "أليس جميعهم أرواحاً خادمة، مُرسلة للخدمة لأجل العتيدين أن يرثوا الخلاص" (عب١: ١٤).

وقد اختار السيد المسيح اثنى عشر تلميذاً ليكونوا معه وأرسلهم، ثم اختار سبعين آخرين لتكميل عمل الخدمة وأرسلهم.

كان شعب إسرائيل أثناء خروجهم فى برية سيناء قد جاءوا إلى واحة اسمها إيليم وهناك اثنتا عشر عين ماء وسبعون نخلة. وشربوا من مياه الينابيع الاثنى عشر وأكلوا من ثمار النخيل وانطلقوا بعد ذلك فى رحلتهم فى البرية (انظر خر١٥: ٢٧).

كانت الينابيع الاثنى عشر إشارة إلى تلاميذ السيد المسيح الاثنى عشر، والسبعين نخلة إشارة إلى السبعين الآخرين الذين أرسلهم.

بالفعل صار الاثنا عشر ينابيع لمواهب الروح القدس وهم الذين صاروا يمنحون عطية الروح القدس بوضع الأيدى فى سر المسحة المقدسة وأيضاً فى سر الكهنوت. كما قدّم السبعون رسولاً غذاءً حلواً للشعوب التى حملوا إليها بشرى إنجيل الخلاص.

رقم الاثنى عشر

قاله السيد المسيح لرسله الاثنى عشر مثلما قال: "متى جلس ابن الإنسان على كرسى مجده، تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسياً، تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر" (مت١٩: ٢٨).

فمن الواضح أن السيد المسيح قد اختار تلاميذه بنفس عدد أسباط إسرائيل أو أبناء يعقوب الاثنى عشر.

فمن الاثنى عشر سبطاً تكونت كنيسة العهد القديم فى إطار محدود. وبالاثنى عشر رسولاً تكونت كنيسة العهد الجديد فى المسكونة كلها.

ولكن لماذا رقم الاثنى عشر بالذات؟

أولاً: من الملاحظ أن السنة تتكون من اثنى عشر شهراً، أى أن الزمان يكمل بالنسبة للأرض باثنى عشر شهراً. مثل قول الرب لإبراهيم حينما ظهر له عند بلوطات ممرا: "إنى أرجع إليك نحو زمان الحياة، ويكون لسارة امرأتك ابن" (تك١٨: ١٠). والمقصود هنا إنها سوف يكون لها ابن فى نفس الموعد فى العام التالى.

فى العام الواحد أى فى اثنى عشر شهراً تكمل الأرض دورة كاملة حول الشمس. وتكمل كل فصول السنة بكل ما فيها من متغيرات..

وكمال العام باثنى عشر شهراً، يرمز إلى كمال الزمان. مثلما قال السيد المسيح: "قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله. فتوبوا وآمنوا بالإنجيل" (مر١: ١٥).

حقاً لقد أشرق شمس البر ربنا يسوع المسيح فى ملء الزمان، حسب وعد الرب "ولكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر، والشفاء فى أجنحتها" (ملا٤: ٢).

لا توجد شمس لها أجنحة سوى ربنا يسوع المسيح، الذى بسط يديه -على خشبة الصليب- الممدودتين لاحتضان كل التائبين.

ثانياً: نلاحظ أيضاً أن اليوم يتكون من اثنتى عشرة ساعة، كما قال السيد المسيح: "أليست ساعات النهار اثنتى عشرة. إن كان أحد يمشى فى النهار لا يعثر، لأنه ينظر نور هذا العالم. ولكن إن كان أحد يمشى فى الليل يعثر لأن النور ليس فيه" (يو١١: ٩، ١٠).

إن السيد المسيح هو نور العالم.. والبشارة بالإنجيل هى نور العالم. ولهذا فقد حمل الاثنا عشر هذا النور، ونشروه فى المسكونة لإنارتها.

كانوا اثنى عشر ليحملوا أنوار ساعات النهار الاثنى عشر. وكل منهم كانت ترمز إليه ساعة من ساعات النهار. كقول الرب عن يوحنا المعمدان "كان هو السراج الموقد المنير وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة" (يو٥: ٣٥).

ثالثاً: رقم اثنى عشر هو رقم ثلاثة (مضروباً) فى رقم أربعة (٣ × ٤ = ١٢).

ورقم (٣) هو إشارة إلى الثالوث القدوس وعمله فى خلاص البشرية.

أما رقم (٤) فيشير إلى أربع اتجاهات المسكونة. أو يشير إلى الأناجيل أى البشائر الأربعة. وبهذا يكون رقم ١٢ هو إشارة إلى عمل الثالوث القدوس فى خلاص البشرية فى أرجاء المسكونة من مشارق الشمس إلى مغاربها ومن الشمال إلى الجنوب.

لهذا قال السيد المسيح لتلاميذه: "اذهبوا إلى العالم أجمع واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها" (مر١٦: ١٥) "وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به" (مت٢٨: ١٩، ٢٠). وبالفعل قيل عن الآباء الرسل "فى كل الأرض خرج منطقهم وإلى أقطار المسكونة بلغت أقوالهم" (مز١٨: ٤).

من الأمور الجميلة أن الكنيسة تحتفل بعيد الآباء الرسل يوم ١٢ من الشهر السابع من السنة الميلادية.

كما أن رقم ١٢ يستخدم فى حساب كثير من الأمور التى يتم إحصاؤها "بالدَسْتة".

فى حديث السيد المسيح عن جيوش الملائكة قال لبطرس الرسول: "أتظن أنى لا أستطيع الآن أن أطلب إلى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشاً من الملائكة" (مت٢٦: ٥٣).

وفى سفر الرؤيا رأى القديس يوحنا حول العرش فى السماء أربعة وعشرين قسيساً فى أيديهم مجامر وقيثارات، ويرفعون بخوراً أمام الله هو صلوات القديسين (انظر رؤ٥: ٨). والملاحظ هنا أن رقم ٢٤ هو ضعف رقم ١٢ لأن النهار على الأرض، اثنتا عشرة ساعة، أما فى السماء فليس هناك نهار وليل، بل نهار دائم يرمز إليه رقم ٢٤ (انظر رؤ٢١: ٢٥).

أما المئة وأربعة وأربعون ألفاً البتوليون غير الدنسين (انظر رؤ١٤: ٣، ٤)، الذين ظهروا فى المشهد السماوى يتبعون الحمل (المسيح) أينما ذهب، فهؤلاء هم ١٢×١٢=١٤٤ مضاعفاً ألف مرة. فهؤلاء عاشوا حياة منيرة غير دنسة (١٢ ساعة)، وما فيها من نور هو بحسب الإيمان الرسولى (×١٢ رسول)، ويصعب حصر عددهم لكثرتهم (ألوف).

ولعل هذا يذكرنا بتوبة أهل نينوى الذين قال عنهم الله: إنهم اثنتا عشرة ربوة من الناس، أى مائة وعشرون ألفاً. وهو رقم ١٢×١٠٠٠×١٠ ويرمزون إلى الذين يحيون حياة النور بالتوبة، فى أفواج يصعب حصرها (عشرات ألوف).

وهنا يتبادر إلى الذهن السؤال التالى

هل دبّر الله أن يكون النهار اثنتى عشرة ساعة، والسنة اثنى عشر شهراً، لكى يختار اثنى عشر تلميذاً؟ أم اختار اثنى عشر تلميذاً لأن النهار اثنتا عشرة ساعة، والسنة اثنى عشر شهراً؟

وللإجابة على ذلك نقول: إن المعنى الأساسى للرقم ١٢ هو الإشارة إلى الثالوث القدوس، فى عمله من أجل خلاص البشرية فى المسكونة كلها. وعلى هذا الأساس يأتى ترتيب باقى الأمور..

حقاً يا رب ما أعجب تدابيرك كلها بحكمة صنعت! وما أبعد أحكامك عن الفحص وطرقك عن الاستقصاء!.. إننا فقط نقف لنتأمل ونتفهم ونتعجب ويبقى أمامنا الكثير لنعرفه عنك يا إلهنا القدوس.

متابعة السيد المسيح الخدمة

قام السيد المسيح بمتابعته للخدمة بعد صعوده إلى السماء وإرسال الروح القدس ليعتنى بالكنيسة ويقودها ويرشدها ويذكّرها بكل ما قاله للتلاميذ، وليمنحها بركات الفداء الذى صنعه السيد المسيح لأجلها.

فبالرغم من الدور الواضح الفعال للروح القدس فى حياة الكنيسة حسب وعد السيد المسيح للتلاميذ: "أنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد" (يو١٤: ١٦)، إلا أنه هو نفسه أيضاً قد وعدهم قائلاً:"ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (مت٢٨: ٢٠). ومعنى ذلك أنه بلاهوته الحاضر فى كل مكان وزمان لا يتخلى عن الكنيسة، بالرغم من صعوده جسدياً إلى السماء وجلوسه عن يمين الآب. هذا إلى جوار أنه يكون حاضراً بجسده ودمه على المذبح فى سر الإفخارستيا ليمنح المؤمنين حياة وثباتاً فيه بالتناول من أسراره الإلهية.

ولكن إلى جوار هذا كله، وإلى جوار قيامه بدور الشفيع أمام الآب من أجل غفران خطايانا وذلك باستحقاقات دمه المسفوك لأجلنا، كقول معلمنا يوحنا الرسول: "إن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا" (١يو٢: ١، ٢). إلا أن السيد المسيح أيضاً كان يتابع الخدمة من السماء لأن الآب والابن والروح القدس يعملون معاً بالرغم من تمايز دور كل أقنوم من الأقانيم الثلاثة. وقد سبق أن قال السيد المسيح أثناء خدمته على الأرض: "أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل" (يو٥: ١٧).

ظهور السيد المسيح لاستفانوس

فى بداية العصر الرسولى بعدما ارتفع السيد المسيح إلى السماء وبعد حلول الروح القدس على تلاميذه فى يوم الخمسين صار اسطفانوس رئيساً للشمامسة وكان يحاور اليهود حول شخص يسوع الناصرى مبرهناً أنه هو المسيح. وإذ أعطاه الرب حكمة لم يقدر اليهود أن يقاوموها، فكّروا فى التخلّص منه وقاموا بمحاكمته، وألقى هو خطاباً جامعاً فى جلسة المحاكمة موبخاً رؤساء اليهود على قساوة قلوبهم؛ وكان وجهه يضئ كوجه ملاك.. وتألّق اسطفانوس جداً ممتلئاً من الروح القدس وهو يشهد للسيد المسيح فقال: "ها أنا أنظر السماوات مفتوحة، وابن الإنسان قائماً عن يمين الله" (أع٧: ٥٦).

وهنا تألّقت حقيقة هامة، وهى أن السيد المسيح بالرغم من صعوده إلى السماء جسدياً إلا أن صلته بالكنيسة لم تنقطع.. بل باعتباره هو رأس الكنيسة فإنه يلهم الأعضاء ويقودهم ويؤازرهم فى وقت الشدة.

كان اسطفانوس يضع قدميه على أول درجات سلم الاستشهاد وظهر له السيد المسيح فى مجده السمائى مشجعاً إياه على الاستمرار مانحاً قوة الشهادة الكاملة فوق تأثير الزمان والمكان، ليكون القديس استفانوس غير عابئ بسخط اليهود واندفاعهم نحوه ليجروه نحو ساحة الاستشهاد راجمين إياه بحجارة الغضب المستطير. أما هو فظل منبهراً بالمشهد السمائى منشغلاً بالأمجاد الروحية.. فصلى بصراخ عظيم من أجل راجميه "يا رب لا تُقِم لهم هذه الخطية" (أع٧: ٦٠) أى طلب من الرب ألا تكون خطية رجمهم إياه عائقاً فى سبيل خلاصهم إن آمنوا بالمسيح.

وقبل ذلك عندما قاربت روحه على مفارقة الجسد تحت وطأة الرجم الشديد بالحجارة ازداد إحساسه بقربه من السيد المسيح وازداد تألقه الروحى فكان ينادى قائلاً: "**أيها الرب يسوع اقبل روحى**" (أع ٧: ٥٩) لقد قدّم نفسه ذبيحة حب وذبيحة إيمان وأخيراً انطلق ليكون فى عشرة دائمة مع المسيح لأن ذلك أفضل جداً.

ظهور السيد المسيح لبولس الرسول

كان شاول الطرسوسى هو من أبرز المشتركين فى رجم اسطفانوس رئيس الشمامسة وأول الشهداء حيث كان يحرس ثياب الراجمين "وكان شاول راضياً بقتله" (أع ٨: ١). فقد كان يهودياً متعصباً يتصرف بجهل ويضطهد المؤمنين بالمسيح بعنف شديد.

ولكن الرب رأى فيه غيرة دينية من الممكن أن تفيد الكنيسة لو عرف صاحبها طريق الحق.. وإذ رأى فيه استعدادًا لذلك ظهر له فى الطريق إلى دمشق بمجد عظيم فى السماء وقال له عبارته المشهورة: "**شاول شاول لماذا تضطهدنى.. صعب عليك أن ترفس مناخس**" (أع٩: ٤، ٥). يبدو أن الروح القدس كان قد بدأ يوبخه على قسوته فى معاملة المؤمنين بالمسيح خاصة ما حدث مع اسطفانوس الذى صلى من أجله فى أشد ساعات المحنة والعذاب. وقال شاول متسائلاً: "**من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذى أنت تضطهده. صعب عليك أن ترفس مناخس. فقال وهو مرتعد ومتحير: يا رب، ماذا تريد أن أفعل**" (أع٩: ٥، ٦).

لقد تحوّل شاول الطرسوسى مضطهد الكنيسة إلى إنسان يؤمن بالمسيح وينتظر الخلاص والاستنارة بالمعمودية. وصار فيما بعد هو بولس الرسول الكارز العظيم بالمسيحية.

ظهور السيد المسيح لحنانيا

ظهر السيد المسيح لأسقف دمشق فى رؤيا وقال له: "يا حنانيا. فقال هأنذا يا رب، فقال له الرب قم واذهب إلى الزقاق الذى يُقال له المستقيم، واطلب فى بيت يهوذا رجلاً طرسوسياً اسمه شاول. لأنه هوذا يصلى، وقد رأى فى رؤيا رجلاً اسمه حنانيا داخلاً وواضعاً يده عليه لكى يبصر. فأجاب حنانيا: يا رب، قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل، كم من الشرور فعل بقديسيك فى أورشليم وههنا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة أن يوثق جميع الذين يدعون باسمك. فقال له الرب اذهب لأن هذا لى إناء مختار ليحمل اسمى أمام أمم وملوك وبنى إسرائيل. لأنى سأريه كم ينبغى أن يتألم من أجل اسمى" (أع٩: ١٠-١٦).

وبالفعل مضى حنانيا وقام بعماد شاول الطرسوسى وشفيت عيناه وامتلأ من الروح القدس "وكان شاول مع التلاميذ الذين فى دمشق أياماً" (أع٩: ١٩).

لقد كان للسيد المسيح دور مباشر فى حياة القديس بولس الرسول.. فبالرغم من وجود الاثنى عشر رسولاً، إلا أن السيد المسيح بعد صعوده إلى السماء قد اختار بولس ودعاه وأعده للخدمة وأرسله، وظهر له أكثر من مرة، وقام بتوجيه خدمته، بل وسلّمه أشياء تخص صميم عمله الكهنوتى فى الكنيسة. وبهذا أضاف الرب إلى الكنيسة قوة هائلة فى الخدمة.

تسليم الإنجيل لبولس الرسول

بعد أن ظهر السيد المسيح لبولس الرسول الذى كان شاول الطرسوسى ودعاه وهو فى الطريق إلى دمشق، وبعد عماده وامتلائه بالروح القدس على يد حنانيا أسقف دمشق، وهروبه من دمشق حينما حاول اليهود أن يقتلوه، ذهب إلى الصحراء العربية لمدة ثلاث سنوات حيث استلم من السيد المسيح الإنجيل والتقليد الرسولى وكيفية ممارسة الأسرار الكنسية مثل سر الإفخارستيا وغيره ويتضح ذلك من سرده هو نفسه لهذا الأمر فى رسالته إلى أهل غلاطية إذ قال:

"وأعرفكم أيها الإخوة **الإنجيل الذى بَشّرت به** إنه ليس بحسب إنسان لأنى لم أقبله من عند إنسان ولا علّمته. **بل بإعلان يسوع المسيح** فإنكم سمعتم بسيرتى قبلاً فى الديانة اليهودية أنى كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها. وكنت أتقدم فى الديانة اليهودية على كثيرين من أترابى فى جنسى إذ كنت أوفر غيرة فى تقليدات آبائى. ولكن لما سر الله الذى أفرزنى من بطن أمى ودعانى بنعمته أن يعلن ابنه فىّ لأبشر به بين الأمم، للوقت لم أستشر لحماً ودماً ولا صعدت إلى أورشليم إلى الرسل الذين قبلى، بل انطلقت إلى العربية ثم رجعت أيضاً إلى دمشق. ثم بعد ثلاث

سنين صعدت إلى أورشليم لأتعرّف ببطرس، فمكثت عنده خمسة عشر يوماً. ولكننى لم أر غيره من الرسل إلا يعقوب أخا الرب" (غل١: ١١-١٩).

إذن لقد استلم بولس الرسول الإنجيل الذى بَشّر به فى كل مكان من السيد المسيح نفسه بعد صعود السيد المسيح إلى السماء، مثلما استمع باقى الرسل إلى السيد المسيح فى مدة خدمته على الأرض. وقد أكد بولس الرسول هذا فى رسالته إلى أهل كورنثوس فى حديثه عن سر الإفخارستيا (القداس الإلهى) إذ قال:

"**لأننى تسلّمت من الرب ما سلّمتكم أيضاً**، إن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكرى. كذلك الكأس أيضاً بعدما تعشوا قائلاً هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء" (١كو١١: ٢٣-٢٦).

إننا نرى العناية الفائقة من الرب يسوع المسيح برسوله بولس إذ أنه قد قام بتسليمه كل مبادئ الإيمان والبشارة وكيفية ممارسة الأسرار الكنسية مثلما فعل قبل ذلك مع الرسل الذين عاصروا مدة خدمته على الأرض إلى اليوم الذى صعد فيه إلى السماء بعدما أوصاهم بأن لا يبرحوا أورشليم إلى أن يلبسوا قوة من الأعالى متى حل الروح القدس عليهم. ولكننا ينبغى أن نلاحظ أن بولس الرسول لم يستقل عن الكنيسة بالرغم من أنه قد تسلم من السيد المسيح كل شئ، بل كان يعتقد فى جامعية الكنيسة ومجمعيتها، لذلك أكمل حديثه إلى أهل غلاطية عن باقى تفاصيل مسيرته الرسولية بعد لقائه مع بطرس الرسول ويعقوب أخا الرب "ثم بعد أربع عشرة سنة صعدت أيضاً إلى أورشليم مع برنابا آخذاً معى تيطس أيضاً. **وإنما صعدت بموجب إعلان** وعرضت عليهم الإنجيل الذى أكرز به بين الأمم، ولكن بالانفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً" (غل٢: ١، ٢).

إن فى هذا أعظم درس للذين يسيرون وراء الرؤى والإعلانات الكاذبة مثل إيلين هوايت التى ابتدعت كثيراً لطائفة الأدفنتست السبتيين، وأعطوها لقب نبية ورسولة واعتبروا أن الرؤى التى رأتها هى إعلانات إلهية، بينما هى تحوى على تعاليم كثيرة مضادة للتعليم الرسولى. ولم ترجع إيلين هوايت إلى خلفاء الرسل فى الكنائس الأرثوذكسية لتعرف صحة الرؤى التى رأتها، وإنما تمادت فى انحرافها ودعاها الأدفنتست نبية الأيام الأخيرة، وهى لم تكن نبية على الإطلاق.

لقد صعد بولس الرسول ليعرض الإنجيل الذى يكرز به بين الأمم على الآباء الرسل ليتأكد من صحة التعليم الرسولى الذى ائتمنه الرب عليه. وأكمل سرده لما حدث فقال "فإذ علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة؛ أعطونى وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان. غير أن نذكر الفقراء. وهذا عينه كنت

اعتنيت أن أفعله" (غل٢: ٩، ١٠). لقد أضافوا إلى اختصاص بولس الرسول فى خدمة الأمم اهتمامه بفقراء أورشليم وهذا ما تم بالفعل.

رؤيا بولس الرسول فى أورشليم

إلى جوار ظهور السيد المسيح لبولس الرسول فى الطريق إلى دمشق، وإلى جوار إعلاناته له حينما سلّمه التقليد الرسولى فى مدة السنوات الثلاثة فى العربية فقد رآه بولس الرسول فى الهيكل بأورشليم وسرد ذلك كما يلى: "وحدث لى بعد ما رجعت إلى أورشليم وكنت أصلى فى الهيكل أنى حصلت فى غيبة فرأيته قائلاً لى أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم لأنهم لا يقبلون شهادتك عنى. فقلت يا رب هم يعلمون أنى كنت أحبس وأضرب فى كل مجمع الذين يؤمنون بك وحين سُفك دم إسطفانوس شهيدك كنت أنا واقفاً وراضياً بقتله وحافظاً ثياب الذين قتلوه. فقال لى: اذهب فإنى سأرسلك إلى الأمم بعيداً" (أع٢٢: ١٧-٢١).

ما أجمل هذا الحوار لإقناع بولس الرسول أن يفارق أورشليم المحبوبة ليذهب إلى كنيسة الأمم لتصير عروساً للمسيح، لم يكن من السهل على بولس الرسول أن يترك كرازة اليهود بالإنجيل ليذهب إلى الأمم.

ولكن السيد المسيح كان قد أعده للكرازة للأمم وهذا ما تحقق بالفعل فيما بعد وأعطته الكنيسة يمين الشركة للأمم لينشر الإنجيل وينضم الأمم إلى خراف السيد المسيح فتكون رعية واحدة لراعٍ واحد كما سبق ووعد بفمه الإلهى المبارك.

رؤيا يوحنا اللاهوتى

إلى جوار ما عمله الروح القدس للتلاميذ بعد يوم الخمسين فإن السيد المسيح قد شارك فى إعلان أموراً لرسله القديسين، منها ما أعلنه ليوحنا فى سفر الرؤيا أو ما أراه إياه.

فقد كتب يوحنا الرسول إنجيلاً بوحى من الروح القدس أفاض فيه فى شرح حقائق الإيمان بالثالوث القدوس. فهو الذى أوضح أن يسوع المسيح هو نفسه الله الكلمة الذى تجسد من أجل خلاصنا وأنه هو وحيد الجنس (monogenh,j مونوجينيس) المولود من الآب والكائن فى حضن الآب أى أنه هو ابن الله الوحيد الذى يحمل نفس طبيعة الآب وجوهره. كما أوضح القديس يوحنا أقنومية الروح القدس (معزياً آخر) وأنه من عند الآب ينبثق، وأنه يسمع ويتكلم ويشهد ويأخذ ويخبر ويعلم ويرشد.

وجاء إنجيل يوحنا فى نهاية القرن الأول المسيحى ليؤكّد كل الإيمان الرسولى الذى تم تسليمه مرة للقديسين وليسجّل حقائق هذا الإيمان وليرد على الهرطقات التى بدأت تظهر فى فجر المسيحية. وكان إنجيل يوحنا هو آخر ما تم كتابته من الأناجيل.

إلى جوار ذلك كتب القديس يوحنا الرسول ثلاث رسائل حسبت ضمن الرسائل الجامعة تحوى تعاليماً كثيرة هامة فى حياة الكنيسة وفى تفسير وتأكيد تعاليم السيد المسيح خاصة وصية المحبة التى أوصى بها تلاميذه. وكتب يوحنا فى رسائله يقول أن "الله محبة ومن يثبت فى المحبة يثبت فى الله، والله فيه" (١يو ٤: ١٦).
ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل أراد الرب أن يستخدم تلميذه الحبيب يوحنا فى إعلان أمور تخص الآخرة والحياة الأبدية ومستقبل الكنيسة ونهاية العالم بصورة نبوية رؤيوية تحوى كثيراً من الرموز والأختام والأسرار وتدعو إلى التأمل العميق، كما تكشف أبعاد لاهوتية فى منتهى القوة تسند الكنيسة فى صراعها ضد الهرطقات وفى مواجهة الأيام الأخيرة.

الجميل فى هذا الأمر أن سفر الرؤيا (أبو غالمسيس) تبدأ أحداثه بظهور السيد المسيح فى مجده السمائى ليوحنا ليعلن له كثيراً من الأمور التى لم يكن من الممكن أن يذكرها لتلاميذه أثناء خدمته على الأرض بل قال لهم: "إن لى أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن" (يو ١٦: ١٢).
يقول يوحنا فى رؤياه: "كنت فى الروح فى يوم الرب، وسمعت ورائى صوتاً عظيماً كصوت بوق قائلاً: أنا هو الألف والياء الأول والآخر. والذى تراه، اكتب **فى كتاب** وأرسل إلى السبع الكنائس التى فى أسيا.. فالتفتُّ لأنظر الصوت الذى تكلّم معى. ولما التفتُّ رأيت سبع منابر من ذهب، وفى وسط السبع المنابر شبه ابن إنسان، متسربلاً بثوب إلى الرجلين، ومتمنطقاً عند ثدييه بمنطقة من ذهب. وأما رأسه وشعره فأبيضان كالصوف الأبيض كالثلج، وعيناه كلهيب نار. ورجلاه شبه النحاس النقى، كأنهما محميتان فى أتون وصوته كصوت مياه كثيرة. ومعه فى يده اليمنى سبعة كواكب، وسيف ماضٍ ذو حدين يخرج من فمه، ووجهه كالشمس وهى تضئ فى قوتها" (رؤ ١: ١٠-١٦).

الذى ظهر ليوحنا فى رؤياه هو السيد المسيح بدليل قوله له: "لا تخف. أنا هو الأول والآخر، والحى وكنت ميتاً، وها أنا حى إلى أبد الآبدين" (رؤ ١: ١٧، ١٨).
وأوصاه السيد قائلاً: "اكتب ما رأيت، وما هو كائن، وما هو عتيد أن يكون بعد هذا" (رؤ ١: ١٩).
وبعد أن أوصاه أن يكتب رسالة حددها له إلى كل أسقف من أساقفة الكنائس السبعة ممتلئة من التعاليم الهامة والنافعة والتحذيرية، يقول القديس يوحنا: "**بعد هذا نظرت وإذا باب مفتوح فى السماء، والصوت الأول الذى سمعته كبوق يتكلم معى قائلاً: اصعد إلى هنا فأريك ما لابد أن يصير بعد هذا. وللوقت صرت فى الروح، وإذا عرش موضوع فى السماء، وعلى العرش جالس**" (رؤ ٤: ١، ٢).
لقد اخترق يوحنا بالرؤيا حاجز الزمن بروح النبوة ليرى أموراً مستقبلية.

أما الله فهو كائن فى كل زمان بما فى ذلك المستقبل لأن الله فوق الزمن لذلك قال ليوحنا "اصعد إلى **هنا** فأريك **ما لابد أن يصير بعد هذا**".

إن اللسان ينعقد أمام هذه الإعلانات الإلهية المملوءة سراً ويقف الإنسان مبهوراً أمام روعة العمل الإلهى. وها هو السيد المسيح من السماء العليا يواصل عنايته بكنيسته المحبوبة يخاطبها ويرسل إليها الرسائل ويعلن لها أسرار الأبدية ويعمل فيها بروحه القدوس بكل قوة.

حقاً ما أعجب اسمك يا رب، وعظيمة هى أعمالك يا ملك القديسين!

الباب الرابع عشر

بعض ألقاب السيد المسيح

ملك الملوك

رب الأرباب

ابن الله الوحيد

ابن الإنسان

الصخرة

حجر الزاوية

كلمة الله "ويدعى أسمه كلمة الله" (رؤ١٩: ١٣).

الراعى الصالح "أنا هو الراعى الصالح" (١٠: ١١).

ملك الملوك ورب الأرباب

من أهم ألقاب السيد المسيح التى وردت فى العهد الجديد من الكتاب المقدس هو لقب "**ملك الملوك ورب الأرباب**" (رؤ١٩: ١٦) أو "**رب الأرباب وملك الملوك**" (رؤ١٧: ١٤).

فلم يطلق على السيد المسيح لقب "**الرب**" فقط كما ورد فى كثير من المواضع فى الكتاب المقدس بعهديه. ولكنه أخذ لقب "**رب الأرباب**". ولا يمكن أن يأخذ هذا اللقب إلا الله وحده، هذا إلى جوار أن كلمة "**الرب**" مع استخدام أداة التعريف أيضاً لا تطلق إلا على الله.

وقد ذكر بولس الرسول أن استخدام كلمة "رب" واستخدام كلمة "إله" قد تنسب أحياناً إلى الآلهة غير الحقيقية مثل آلهة الوثنيين.

ولكن هناك رب واحد حقيقى وإله واحد حقيقى هو الله، الإله الواحد المثلث الأقانيم.

لذلك قال فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس: "فمن جهة أكل ما ذبح للأوثان نعلم أن ليس وثن فى العالم، وأن ليس إله آخر إلا واحداً. لأنه وإن وجد ما يسمى آلهة، سواء كان فى السماء أو على الأرض، **كما يوجد آلهة كثيرون وأرباب كثيرون**. لكن لنا إله واحد: الآب الذى منه جميع الأشياء، ونحن له **ورب واحد يسوع المسيح**، الذى به جميع الأشياء، ونحن به" (١كو٨: ٤-٦).

إذن السيد المسيح ليس مجرد "رب" من ضمن الأرباب، بل هو **الرب الواحد** مع أبيه الصالح والروح القدس، الذى هو فى الحقيقة رب جميع الأرباب سواء كان هؤلاء الأرباب من الملائكة الأبرار أم من الشياطين ومنهم الآلهة الوثنية

"لأن كل آلهة الأمم شياطين" (مز٩٥: ٥). كما قال معلمنا بولس الرسول عن ذبائح الأوثان: "إن ما يذبحه الأمم فإنما يذبحونه للشياطين لا لله" (١كو١٠: ٢٠).

وفى قول معلمنا بولس الرسول "لنا.. **رب واحد يسوع المسيح**" (١كو٨: ٦) ما يذكرنا بما ورد فى سفر التثنية "**اسمع يا إسرائيل: الرب إلهنا رب واحد**" (تث٦: ٤) فحينما يُقال: لنا رب واحد؛ فإن هذا يعنى مباشرة **الإله الواحد الحقيقى** الذى هو فى الحقيقة "**رب الأرباب**" والسيد المسيح لم يأخذ فقط لقب "رب الأرباب"، بل قيل عنه أنه هو "رب الأرباب" أى أن الأمر ليس مجرد لقب بل حقيقة جوهرية فى صميم كيانه وجوهره الإلهى.

لذلك نقرأ ما ورد فى سفر الرؤيا عن الملوك العشرة الذين يعطون الوحش قدرتهم وسلطانهم "هؤلاء سيحاربون الخروف، والخروف يغلبهم، لأنه رب الأرباب وملك الملوك. والذين معه مدعوون ومختارون ومؤمنون" (رؤ١٧: ١٤).

الآب والابن

إن لقب "رب الأرباب" **يؤكد حتماً على وحدانية الجوهر الإلهى للآب والابن معاً بالرغم من التمايز الأقنومى بينهما** إذ أن الآب "والد" والابن "مولود" فلكل منهما أقنومه الخاص وشخصيته المتمايزة. إلا أن هذا لا يتعارض مع وحدة الوجود والكينونة الإلهية، لأن اللاهوت غير منقسم على الإطلاق. وهذا ما يظهر جلياً مما كتبه القديس بولس الرسول فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس.

لقد نسب القديس بولس إلى الآب السماوى لقب "رب الأرباب" الذى هو نفس حقيقة ولقب السيد المسيح كما أوضحنا من قبل. بل قال عن الآب أنه هو الوحيد "ملك الملوك ورب الأرباب"، وهو يعنى بذلك الوحيد بين الأرباب الآخرين مثلما قال: "لنا إله واحد الآب" (١كو٨: ٦) فى مجال مقارنة بين الإله الحقيقى والآلهة الأخرى غير الحقيقية كما ذكرنا.

ولننظر الآن إلى ما كتبه القديس بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس: "أوصيك أمام الله الذى يحيى الكل والمسيح يسوع الذى شهد لدى بيلاطس البنطى بالاعتراف الحسن، أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم إلى ظهور ربنا يسوع المسيح، الذى سيبينه فى أوقاته **المبارك العزيز الوحيد: ملك الملوك ورب الأرباب، الذى وحده له عدم الموت، ساكناً فى نور لا يدنى منه، الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه، الذى له الكرامة والقدرة الأبدية. آمين" (١تى٦: ١٣-١٦).**

فمن الواضح أن الذى سيبين ظهور ربنا يسوع المسيح هو الآب الذى لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه. وهو نفسه المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب.

فإذا كان الآب هو ملك الملوك ورب الأرباب والابن يسوع المسيح أيضاً هو ملك الملوك ورب الأرباب فلابد أن يكون لهما ملك واحد، وربوبية واحدة، ومجد واحد، ولاهوت واحد. وهذا هو إيماننا الذى تسلّمناه من الآباء وعليه بنيت الكنيسة أن يسوع هو "المسيح ابن الله الحى" (مت١٦: ١٦).

ابن الإنسان

ابن الله الوحيد صار ابن الإنسان..

استخدم السيد المسيح كثيراً لقب "**ابن الإنسان**" فى الحديث عن نفسه لكى يؤكّد حقيقة تجسده وتأنسه. فكما أنه هو **ابن الله** المولود من الآب قبل كل الدهور، هكذا فإنه هو هو نفسه **ابن الإنسان** الذى ولد من العذراء مريم فى ملء الزمان، إذ اتخذ منها ناسوتاً كاملاً بفعل الروح القدس.

فابن الله الكلمة **له ميلادان: الميلاد الأول** من الآب بحسب لاهوته، **والميلاد الثانى** من العذراء القديسة مريم بحسب ناسوته، ولكنه هو هو نفسه وليس آخر.

لهذا قال معلمنا بولس الرسول: "يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد" (عب١٣: ٨). أى أنه هو نفسه الذى ولد من الآب، وهو نفسه الذى جاء إلى العالم وصنع الفداء، وهو نفسه الذى سوف يأتى ليدين الأحياء والأموات ويملك إلى الأبد.

وقد استخدم السيد المسيح تعبير "ابن الإنسان" فى أمور تخص طبيعته الإلهية، كما أنه استخدم تعبير "ابن الله" فى أمور تخص طبيعته الإنسانية. وذلك لكى يؤكد أنه هو هو نفسه ابن الله وابن الإنسان فى آنٍ واحد، حينما تجسد وتأنس من أجل خلاصنا.

فمثلاً قال عن نفسه أن "**ابن الإنسان** هو **رب** السبت أيضاً" (لو٦: ٥). وكذلك "ليس أحد صعد إلى السماء إلا الذى نزل من السماء، **ابن الإنسان الذى هو فى السماء**" (يو٣: ١٣). وقال أيضاً: "متى جاء **ابن الإنسان** فى مجده" (مت ٢٥: ٣١). وكذلك "لكى تعلموا أن **لابن الإنسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا**" (مر٢: ١٠). وذلك حينما قال اليهود فى أنفسهم: "من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده" (مر٢: ٧).

ومن الجهة الأخرى قال: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد الجنس لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية" (يو٣: ١٦). وهو فى هذه الحالة استخدم لقب "**ابن الله الوحيد**" عن نفسه فى أمر يخص صلبه بحسب الجسد، لأنه بحسب لاهوته لم يكن ممكناً أن يُصلب دون أن يتجسد ويصير ابناً للإنسان. وقد صُلب جسدياً وأسلم الروح الإنسانية فى يدى الآب، دون أن ينفصل لاهوته لا عن جسده، ولا عن روحه الإنسانية لحظة واحدة ولا طرفة عين.

ما أجمل هذه العبارة أن "ابن الإنسان قد جاء لكى يخلّص ما قد هلك" (مت١٨: ١١) إن الذى جاء ليطلب ويخلّص ما قد هلك هو ابن الله الوحيد، ولكنه كان يحلو له أن يستخدم لقب "**ابن الإنسان**" لكى نفهم أنه هو نفسه الإله

المتجسد كما قال معلمنا بولس الرسول: "وبالإجماع عظيم هو سر التقوى الله ظهر فى الجسد" (١تى٣: ١٦). وتتغنى الكنيسة بهذه المعانى الجميلة فى تسبحة نصف الليل عن السيد المسيح فتقول مثلاً فى الثيئوطوكيات {لم يزل إلهاً أتى وصار ابن بشر لكنه هو الإله الحقيقى أتى وخلّصنا} (من ثيئوطوكية يوم الخميس).

أى أن ابن الله الكلمة حينما أتى وصار ابن بشر أى ابناً للإنسان، فإنه استمر كما هو لم يتغير من جهة كونه الإله الحقيقى الواحد مع أبيه والروح القدس والذى تجسد وتأنس من أجل خلاصنا.

كما تقول التسبحة أيضاً {أشرق جسدياً من العذراء بغير زرع بشر حتى وخلصنا} (من ثيئوطوكية يوم الاثنين) إن الذى أشرق هو الله الكلمة ولكنه حينما "ظهر فى الجسد" (١تى ٣: ١٦) فإنه قد أشرق جسدياً. وفى ميلاده البتولى العجيب قد تجسد بغير زرع بشر وبلا خطية، بل هو قدوس بلا شر ولا دنس وبغير الميل الطبيعى نحو الخطية وضعفاتها ونقائصها، بل بكمال لا يوصف حتى أنه قال: "الذى رآنى فقد رأى الآب" (يو١٤: ٩). وقيل عنه: "الشعب السالك فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً" (أش٩: ٢) وأيضاً قيل "كان النور الحقيقى الذى ينير كل إنسان آتياً إلى العالم" (يو١: ٩). "فيه كانت الحياة والحياة كانت نور الناس والنور يضئ فى الظلمة، والظلمة لم تدركه" (يو١: ٤، ٥).

إن عبارة أو لقب "**ابن الإنسان**" التى قيلت عن السيد المسيح لا تنتقص من مكانته شيئاً، بالعكس ما كانت الحاجة إليها لولا أنه أراد أن يؤكد تجسده وتأنسه. فالمعروف طبعاً أن أى إنسان هو ابن إنسان، ومن البديهى أن أى إنسان لا يحتاج إلى مثل هذا اللقب. ولكن السيد المسيح لقب نفسه وقيل عنه إنه هو "**ابن الإنسان**" مرارًا كثيرة فى الإنجيل المقدس لكى ندرك معنى ظهوره فى الجسد، وأنه ليس ظهوراً مثل ظهوراته فى العهد القديم التى اتخذ فيها شكل إنسان بل هو ظهور مصحوب بتجسد حقيقى من نفس طبيعتنا البشرية بلا خطية.

وقد قيل عن أب الآباء يعقوب "صارعه إنسان حتى طلوع الفجر" (تك ٣٢: ٢٤). وكان هذا مجرد ظهور للسيد المسيح بغير تجسد فى العهد القديم.

وهكذا ظهر أيضاً لأبينا إبراهيم مع ملاكين فى هيئة ثلاثة رجال، وظهر لمنوح والد شمشون فى هيئة إنسان، وظهر للآباء قديماً بأنواع وطرق شتى، ولكن لم تكن هذه الظهورات تجسداً حقيقياً، بل ظهوراً مؤقتاً لهدف معين.

أما ميلاد السيد المسيح من العذراء القديسة مريم فإنه كان ظهوراً وتجسداً وتأنساً حقيقياً كاملاً أى بطبيعة بشرية كاملة وباتحاد تام طبيعى مع لاهوته. وهذا هو الاتحاد الأقنومى الذى تكلم عنه آباء الكنيسة ودافعوا عنه ويصلى به الكاهن أثناء دورة البخور {يسوع المسيح هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد بأقنوم واحد نسجد له ونمجده}.

المسيح هو الصخرة

يدّعى البعض أن بطرس الرسول هو الصخرة التى بنيت عليها الكنيسة. وهذه مسألة خطيرة تتعارض مع أقوال الكتب المقدسة، لأن الرب أكد فى مواضع كثيرة من الكتاب المقدس أنه هو الصخرة وأنه لا توجد صخرة غيره. لذلك قيل "**الصخرة كانت المسيح**" (١كو١٠: ٤).

أما عن قول السيد المسيح لبطرس: "على هذه الصخرة أبنى كنيستى" (مت١٦: ١٨)، فالمقصود به هو صخرة الإيمان بالمسيح أنه هو "ابن الله الحى" (مت١٦: ١٦). لذلك وبناءً على هذا الإيمان قال: "وأبواب الجحيم لن تقوى عليها" (مت١٦: ١٨).

أقوال الكتاب المقدس التى تؤكد ذلك

"إليك **يا رب** أصرخ **يا صخرتى** لا تتصامم من جهتى" (مز٢٨: ١).

"هلّم نرنم للرب نهتف **لصخرة خلاصنا**" (مز٩٥: ١).

"أحبك يا رب يا قوتى. **الرب صخرتى** وحصنى ومنقذى" (مز١٨: ١، ٢) (انظر ٢صم٢٢: ٢).

"**إلهى صخرتى** به أحتمى، ترسى وقرن خلاصى وملجأى" (مز١٨: ٢) (انظر ٢صم٢٢: ٣).

"اسمع يا الله صراخى واصغ إلى صلاتى. من أقصى الأرض أدعوك إذا غُشى على قلبى. **إلى صخرة أرفع منى تهدينى. لأنك كنت ملجأ لى.** برج قوة من وجه العدو" (مز٦١: ١-٣).

"هكذا يقول الرب ملك إسرائيل وفاديه رب الجنود: أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيرى.. فأنتم شهودى، **هل يوجد إله غيرى، ولا صخرة لا أعلم بها؟**" (أش ٤٤: ٦، ٨).

"أعطوا عظمة لإلهنا. **هو الصخر** الكامل صنيعه. إن جميع سبله عدل، إله أمانة لا جور فيه، صديق وعادل هو" (تث٣٢: ٣، ٤).

"روح الرب تكلّم بى وكلمته على لسانى. قال إله إسرائيل إلىّ تكلّم **صخرة** إسرائيل. إذا تسلط على الناس بار يتسلط بخوف الله" (٢صم٢٣: ٢، ٣).

"ألست أنت منذ الأزل يا رب إلهى قدوسى. لا نموت. يا رب للحكم جعلتها **ويا صخر** للتأديب أسستها" (حب١: ١٢).

"حى هو الرب ومبارك **صخرتى** ومرتفع إله خلاصى" (مز١٨: ٤٦).

"لأنه من هو إله غير الرب. **ومن هو صخرة سوى إلهنا**" (مز١٨: ٣١).

فإذا كان داود يقول بالروح القدس: "من هو **صخرة** سوى إلهنا"، فمن يجسر أن يقول أن بطرس هو الصخرة التى بنيت عليها الكنيسة، وإلا فماذا يكون السيد المسيح؟!.

لذلك يقول معلمنا بولس الرسول عن شعب إسرائيل فى البرية: "وجميعهم شربوا شراباً واحداً روحياً. لأنهم كانوا يشربون **من صخرة روحية تابعتهم والصخرة كانت المسيح**" (١كو١٠: ٤).

وكان الرب قد أمر موسى أن يضرب الصخرة بعصاه مرة واحدة حتى تخرج لشعب إسرائيل ماء ليشربوا منه.

وكانت هذه الصخرة ترمز إلى السيد المسيح الذى صُلب على خشبة الصليب مرة واحدة، وسكب الروح القدس ليرتوى منه المؤمنون باسمه كقوله المبارك "من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حى" (يو٧: ٣٨).

ولا ننسى أن السيد المسيح حينما طعنه الجندى الرومانى بالحربة فى جنبه وهو معلق على الصليب خرج من جنبه دم وماء (انظر يو١٩: ٣٤)، مثلما فاض الماء من الصخرة حينما ضربها موسى.

إن الصخر يرمز إلى الصلابة والقوة ودوام الوجود وكذلك إلى الارتفاع وإلى الحماية لأن الصخر يوجد غالباً فى الجبال المرتفعة ويصعب اختراقه. لذلك يقول المرنم "أساساته فى الجبال المقدسة. يحب الرب أبواب صهيون أفضل من جميع مساكن يعقوب" (مز٨٦: ١، ٢).

إن جبل صهيون الذى أقيمت عليه مدينة أورشليم والذى بنى عليه هيكل سليمان يرمز إلى السيد المسيح.

لذلك أيضاً يقول المرنم: "رفعت عينىَّ إلى الجبال من حيث يأتى عونى. معونتى من عند الرب" (مز١٢٠: ١، ٢).

فإذا كان الكتاب المقدس قد أكّد فى العهد القديم وفى العهد الجديد أن الصخرة هو المسيح الرب، فهل يليق أن يضع أحد بطرس الرسول ليحل محل الرب الذى قال: "هل يوجد **إله غيرى** ولا صخرة لا أعلم بها" (إش٤٤: ٨).

إن كلمة صخرة باللغة اليونانية هى "بيترا pe,tra" أما كلمة بطرس اليونانية "بيتروس Pe,troj" والتى هى باللغة الآرامية "كِيفا كيفا" فتعنى الحجر الصغير المقطوع من الصخرة.

لذلك لم يقل السيد المسيح لبطرس أنت هو "بيترا"، ولكن قال له أنت هو "بطرس" ونحن لا ننكر بالطبع أن أعضاء الكنيسة "مبنيين كحجارة حية" (١بط٢: ٥)، "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية" (أف٢: ٢٠). فكل مؤمن قديس هو حجر مثل بطرس، والفرق فقط أن بطرس وسائر الرسل ومعهم الأنبياء هم الأساس.

أما الصخرة التى بنيت عليها الكنيسة كلها فهى الرب بكل تأكيد لأنه "من هو صخرة سوى إلهنا" (مز١٨: ٣١).

فهناك فرق بين الصخرة الثابتة والأحجار المنحوتة.

حجر الزاوية

أشار السيد المسيح إلى قول المزمور عنه "الحجر الذى رذله البناؤون هذا صار رأساً للزاوية" (مز١١٧: ٢٢، انظر مت ٢١: ٤٢).

وقال معلمنا بولس الرسول عن الكنيسة: "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه **حجر للزاوية**" (أف ٢: ٢٠).

فلماذا قيل عن السيد المسيح أنه حجر الزاوية فى بناء الكنيسة؛ أى هيكل الله فى العهد الجديد؟

كان البناؤون قديماً يختارون أفضل حجر من حيث النوع والحجم والتماسك والصلابة والنقاء لينحتوا منه حجر الزاوية.

حجر الزاوية كان هو أول حجر يوضع فى أساسات أى مبنى ويكون كافياً من حيث الطول والعرض والعلو ليقاس عليه أضلاع كل المبنى. بمعنى أنه كان ذا زوايا قائمة بالضبط فى الاتجاهات الثلاثة الرئيسية أى الطول والعرض والارتفاع. وكان الحجر أيضاً مستوى الجوانب ليس فيه أى تعاريج بأسطح ملساء يتم شد الخيط عليها بحيث يلامس الأسطح بدون انبعاج إلى الداخل أو انفراج إلى الخارج.

فإذا انضبط الخيط المشدود بطول المبنى كله مبتدئاً بحجر الزاوية تأتى الحوائط متعامدة على بعضها تماماً، كما إنها ترتفع باتجاه رأسى ليس فيه أى ميل وبهذا ينضبط البناء بسهولة على قياس حجر الزاوية.

إن السيد المسيح هو الذى على قياسه ينضبط البناء كله فى حياة الكنيسة، هو المثل والقدوة والمقياس مثلما تقول الوصية الرسولية "نظير القدوس الذى دعاكم كونوا أنتم أيضاً قديسين فى كل سيرة" (١بط ١: ١٥).

لماذا رفضوه ؟

وضع اليهود مقاييساً خاصة بهم للمسيح الملك: أرادوه يجلب لهم الغنى المادى، وجاء السيد المسيح فقيراً ليس له أين يسند رأسه. أرادوه يملك القوة الأرضية والسياسية لتحريرهم من الاستعمار الرومانى، وجاء السيد المسيح ينادى بتحرير الإنسان من عبودية الخطية وعبودية الشيطان ولم يقبل مُلكاً أرضياً ينافس به ملوك العالم، بل قال مملكتى ليست من هذا العالم. أرادوه رئيساً للحرب، وجاء هو رئيساً للسلام ينادى بمحبة الأعداء والمغفرة والإحسان إلى المسيئين والمبغضين. أرادوه ناموسياً يسلك حسب حرفية الناموس، وجاء هو ينادى بشريعة الكمال حيث الحرية من عبودية الحرف إلى حيوية الروح، وقال: "ما جئت لأنقض بل لأكمل" (مت ٥: ١٧)، فهو لم ينقض الناموس ولكن أكمله بصورة رائعة ناقلاً الإنسان من رقاد السبت إلى قيامة الأحد. أرادوه شبعاً لرغباتهم الجسدية، فجاء يقول: "اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقى للحياة الأبدية" (يو ٦: ٢٧)، يكلمهم عن "خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم" (يو ٦: ٣٣). وقال لهم: "الخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم" (يو ٦: ٥١). أرادوه وارثاً ومالكاً للأرض، فجاء يتحدث عن ميراث ملكوت السماوات وعن التنازل عن الأرضيات وعدم التنازع عليها. أرادوه ساحقاً للذين أذلتهم الخطية، فجاء كطبيب معالج يقول: "لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى، لم آتِ لأدعو أبرارًا بل خطاةً إلى التوبة" (مر ٢: ١٧).

ومثلما حدث فى قصة أيوب الصديق أراد أصحابه الثلاث أن يثبتوا له أن التجارب والآلام لا تصيب الأبرار بل الأشرار فقط. ولم يستحسن الله مفاهيمهم، لأنه كان قد سمح للشيطان أن يجرّب أيوب البار.

هكذا أراد اليهود أن يثبتوا على السيد المسيح أنه لم يكن بارًا فزادوا فى تنكيلهم به وأذاهم لجسده حتى تمزق الجسد من كثرة الضرب والسياط والأشواك والمسامير. وأصرّوا أن يموت مصلوباً ليطبقوا عليه حرفياً نص الكتاب أن "المعلق (على الخشبة) ملعون من الله" (تث٢١: ٢٣)

وكان السيد المسيح قد حمل لعنة خطايانا مسمراً إياها بالصليب "وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا" (إش ٥٣: ٥) و"كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه والرب وضع عليه إثم جميعنا" (إش ٥٣: ٦). "ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله" (إش ٥٣: ٤).

كانت مقاييس اليهود فاشلة، وكانت مقاييس الله مذهلة؛ لأنه أقام يسوع من الأموات ماحياً اللعنة وغافراً الخطايا والذنوب، ومظهراً بر المسيح الذى بواسطته يتبرر الذين يؤمنون به وبمحبة أبيه الصالح ويقبلون عمل الروح القدس فى الأسرار الخلاصية.

حقاً إن "**الحجر الذى رذله البناؤون** (أى رؤساء اليهود) **هذا صار رأساً للزاوية**. ومن قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا.. يا رب خلّصنا، يا رب سهل طريقنا، **مبارك الآتى باسم الرب**" (مز١١٧: ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٦).

الباب الخامس عشر

إرسالية السيد المسيح

لأنى منه وهو أرسلنى

أنا قد أتيت باسم أبى

إرسالية السيد المسيح

لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم

لأنى منه وهو أرسلنى

تكلّم السيد المسيح فى حوار مع اليهود وأورد ذلك القديس يوحنا الإنجيلى كما يلى: "نادى يسوع وهو يعلّم فى الهيكل قائلاً: تعرفوننى وتعرفون من أين أنا، ومن نفسى لم آت، بل الذى أرسلنى هو حق، الذى أنتم لستم تعرفونه. أنا أعرفه **لأنى منه وهو أرسلنى**" (يو٧: ٢٨، ٢٩).

قال السيد المسيح ذلك رداً على كلام اليهود عنه: "هذا نعلم من أين هو، وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو" (يو٧: ٢٧). لم يفهموا أن السيد المسيح قد جاء من السماء وتجسد من السيدة العذراء بدون زرع بشر، بل اعتقدوا أنه كان ابناً طبيعياً للقديس يوسف وللعذراء مريم. وبذلك اعتبروا أنهم يعرفون من أين هو. وكانت معرفتهم غير سليمة. لأن سر التجسد الإلهى كان مخفياً عن عقول الأشرار.

لكن السيد المسيح بالرغم من أنه لم يتكلم وقتها صراحةً عن الميلاد العذراوى، إلا أنه أشار إلى ولادته من الآب قبل كل الدهور وإلى إرسال الآب له إلى العالم أى تجسده فى ملء الزمان.

وقد لخص السيد المسيح الحقائق المختصة بميلاده حسب لاهوته من الآب قبل كل الدهور، وولادته من العذراء مريم بحسب ناسوته فى ملء الزمان بقوله عن علاقته بالآب السماوى "**لأنى منه، وهو أرسلنى**" **(يو٧: ٢٩).**

إنها عبارة قصيرة مكونة من شطرين أقصر منها. ولكنها تحمل حقائق عقائدية فى منتهى القوة والأهمية.

الشطر الأول من العبارة "**لأنى منه**" تشير إلى ولادة الابن الوحيد من الآب بنفس جوهر الآب. **وهذا هو الميلاد الأول للابن الكلمة.**

والشطر الثانى من العبارة "**وهو أرسلنى**" تشير إلى إرساله من قِبَل الآب إلى العالم ليتجسد من العذراء مريم. **وهذا هو الميلاد الثانى للابن الكلمة.**

لأنى منه

جميل جداً أن يقول الابن عن نفسه **أنه من الآب**. أى أن له نفس طبيعة الآب وجوهره.

وكما شرح **قداسة البابا شنودة الثالث** –أطال الرب حياته– كمثال فإن العقل الذكى يلد فكراً ذكياً، والعقل القوى يلد فكراً قوياً، والعقل الحكيم يلد فكراً حكيماً، والعقل المقدس يلد فكراً مقدساً. أى أن **العقل يلد فكراً له نفس جوهر العقل، أى أن جوهرهما واحد.** والعقل يلد الفكر فى داخله دون أن ينفصل منه، وإن خرج الفكر منطوقاً به ككلمة فإنه أيضاً لا ينفصل من العقل بل هو كائن فيه على الدوام.

وفى حوار السيد المسيح مع اليهود الذين قالوا إنهم يعرفون من أين هو، استنكر هو ذلك لأن مصدره هو الآب، ولم يكن اليهود يفهمون ذلك. ورد السيد المسيح على كلامهم بقوله إنهم لا يعرفون الآب، أما هو فيعرفه بالتأكيد لأنه منه "ولستم تعرفونه. وأما أنا فأعرفه" (يو٨: ٥٥).

ونفس الشئ قاله معلمنا بولس الرسول عن الروح القدس: "لأن الروح يفحص كل شئ حتى أعماق الله" (١كو٢: ١٠).

فالابن لأنه من الآب بالولادة، فهو يعرف الآب معرفة كاملة مطلقة غير محدودة. وكذلك الروح القدس لأنه من الآب بالانبثاق، فهو يعرف الآب معرفة كاملة مطلقة غير محدودة.

واقتران كلام السيد المسيح عن معرفته للآب مع قوله عن ولادته من الآب "**لأنى منه**"، يؤكد أنه كان يتحدث فى هذا الشطر من العبارة عن العلاقة الفائقة التى تربط الابن بالآب فى الجوهر الإلهى الواحد، أى عن أن الابن مولود من الآب بنفس جوهره وطبيعته.

وهو أرسلنى

يقول معلمنا بولس الرسول: "لما جاء ملء الزمان؛ **أرسل الله ابنه مولوداً من امرأة**، مولوداً تحت الناموس، **ليفتدى الذين تحت الناموس**" (غلا٤: ٤، ٥).

فعبارة السيد المسيح "**وهو أرسلنى**" تشير إلى إرسال الابن الوحيد إلى العالم مولوداً من امرأة، **ليفتدى العالم من لعنة الخطية.**

وقد كرر السيد المسيح كثيراً فى الأناجيل، وبخاصة ما سجله القديس يوحنا فى إنجيله، **أن الآب قد أرسله إلى العالم.** وتكرر ذكر هذه الحقيقة عشرات المرات.

وكمثال لذلك نرى السيد المسيح يذكر إرسال الآب له عدة مرات فى **الأصحاح الثامن** من إنجيل معلمنا يوحنا كما يلى: "أنا والآب **الذى أرسلنى**" (يو٨: ١٦)، "ويشهد لى الآب **الذى أرسلنى**" (يو٨: ١٨)، "لكن **الذى أرسلنى** هو حق" (يو٨: ٢٦)، "والذى أرسلنى هو معى" (يو٨: ٢٩)، "لأنى لم آتِ من نفسى، بل **ذاك أرسلنى**" (يو٨: ٤٢).

إن تأكيد السيد المسيح على إرسال الآب له يحمل من جانب: تمجيداً للآب السماوى، بمعنى أن كل ما يفعله الابن من أجل خلاص العالم هو بتدبير من الآب والابن والروح القدس. مثلاً نقول فى التسبحة {لأنه بإرادته ومسرة أبيه والروح القدس أتى وخلصنا} (ثيئوطوكية يوم الثلاثاء). لذلك كان السيد المسيح دائماً يؤكد أنه لا يعمل وحده بل يعمل هو والآب الذى أرسله. فعمل الثالوث هو واحد بالرغم من تمايز دور كل أقنوم فى العمل الواحد.

ويحمل من الجانب الآخر: إبرازًا لحقيقة صدق إرساليته وارتباطها بالآب السماوى وذلك بشهادة الآب له.

وحينما تكلّم السيد المسيح مع نيقوديموس عن صلبه من أجل خلاص العالم قال له: "**لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد الجنس لكى لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية**" **(يو٣: ١٦).**

إن الصليب ليس فقط تعبيراً عن محبة المسيح لنا باعتباره ابن الله الوحيد، بل هو أيضاً تأكيداً على محبة الآب لنا.

إن المحبة الصادرة من الثالوث هى محبة واحدة، وكما وصفها الآباء القديسون هى [من الآب بالابن فى الروح القدس]. فالأقانيم الثلاثة يحبوننا بنفس المقدار وبنفس القوة.

وقد ذكر القديس إشعياء النبى **اشتراك الروح القدس فى إرسالية الابن الوحيد** إذ سجل ذلك على لسان السيد المسيح "منذ وجوده أنا هناك والآن **السيد الرب أرسلنى وروحُه** (بضم الحاء)" (إش٤٨: ١٦). فالروح القدس ورد فى هذا النص فى صيغة الفاعل وليس المفعول به، أى هو والآب قد أرسلا الابن إلى العالم.

ما أعظم هذه الإرسالية التى جعلتنا نتمتع بظهور الله الكلمة فى الجسد. وما أروع هذا التدبير الإلهى الذى جعلنا ننعم بحضور الله معنا تحقيقاً لنبوة إشعياء النبى "هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً ويدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا" (مت١: ٢٣)، (انظر إش٧: ١٤).

لم تعد عبارة "الله معنا" هى على سبيل التمنى أو الإحساس فقط بمعونة الله، ولكنها تحولت إلى حقيقة تلامست معها البشرية فأمسكت بالحياة الأبدية. وهذا ما عبّر عنه القديس يوحنا الرسول فى رسالته الأولى "**الذى كان من البدء، الذى سمعناه، الذى رأيناه بعيوننا، الذى شاهدناه، ولمسته أيدينا، من جهة كلمة الحياة فإن الحياة أُظهرت، وقد رأينا ونشهد ونخبركم بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأُظهرت لنا**" (١يو١: ١، ٢).

أنا قد أتيت باسم أبى

قال السيد المسيح لليهود: "**مجداً من الناس لست أقبل** ولكنى قد عرفتكم أن ليست لكم محبة الله فى أنفسكم. **أنا قد أتيت باسم أبى ولستم تقبلوننى. إن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه.** كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجداً بعضكم من بعض. والمجد الذى من الإله الواحد لستم تطلبونه" (يو٥: ٤١-٤٤). **وقد ربط السيد المسيح بين مجيئه باسم أبيه وبين رفضه لمجد العالم الزائل.**

فما معنى قوله: "أنا أتيت باسم أبى؟ ومن هو الآخر الذى سيأتى باسم نفسه؟!

إنسان الخطية ابن الهلاك

تحدثت الكتب المقدسة عن إنسان سوف يأتى مدعياً أنه هو المسيح، وبسببه سوف يحدث الارتداد العام قبل نهاية العالم مباشرة. ولقّبه سفر الرؤيا باسم "**الوحش**" وأن عدد اسمه هو ٦٦٦ وهو مجموع حروف اسمه باللغة العبرية حسب الحساب الأبجدى.

كتب بولس الرسول فى رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكى الذين تصوّروا أن المجيء الثانى للرب يسوع المسيح قد حل موعده فقال: "**لا يخدعنكم أحد على طريقة ما. لأنه لا يأتى إن لم يأت الارتداد أولاً، ويستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك. المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهاً أو معبوداً حتى إنه يجلس فى هيكل الله كإله مظهراً نفسه أنه إله.. الأثيم الذى الرب يبيده بنفخة فمه ويُبطله بظهور مجيئه. الذى مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الإثم فى الهالكين**" (٢تس٢: ٣، ٤، ٨-١٠).

ونلاحظ أن "**المسيح الكاذب**" أو "**ضد المسيح**" الذى تكلّم عنه بولس الرسول سوف يدّعى الألوهة فوق كل ما يُدعى إلهاً أو معبوداً. فهو لن ينكر فقط أن يسوع هو المسيح، وأن يسوع هو إله حقيقى، بل سوف يتجاهل ألوهية الآب السماوى والروح القدس. أى لن يعترف بالثالوث القدوس الإله الواحد الحقيقى، **مظهراً نفسه أنه إله فوق كل ما يدعى إلهاً أو معبوداً (انظر ٢تس٢: ٤).**

هذا المسيح الكاذب سوف يأتى طبعاً باسم نفسه وليس باسم الآب، وسوف يُمجِّد نفسه ولا يمجد الآب. وسوف يأتى محاطاً بكل مظاهر العظمة والسلطان البشرى والمجد العالمى الزائل الذى أراده اليهود للسيد المسيح ولم يجدوه فيه لأنه جاء رافضاً له مردداً مقولته المشهورة "مملكتى ليست من هذا العالم" (يو١٨: ٣٦).

المسيح الكاذب فسوف يقود العالم إلى الارتداد وإلى عبادة الأصنام. لأن الشيطان سوف يجعل تمثال الوحش يتكلم ويبهر الناس. وسوف يجعل الناس يسجدون لهذا التمثال، وسوف يضعون سمة الوحش على جباههم أو أيديهم. وقد وردت كل هذه الأشياء فى سفر الرؤيا إذ كتب يوحنا الرسول يقول:

"ويصنع آيات عظيمة.. **وأُعطى أن يُعطى روحاً لصورة الوحش حتى تتكلم صورة الوحش. ويجعل جميع الذين لا يسجدون لصورة الوحش يقتلون.** ويجعل الجميع.. تُصنع لهم سمة على يدهم اليمنى أو على جبهتهم. وأن لا يقدر أحد أن يشترى أو يبيع إلا من له السمة أو اسم الوحش أو عدد اسمه. هنا الحكمة. **من له فهم فليحسب عدد الوحش فإنه عدد إنسان. وعدده ستمئة وستة وستون**" (رؤ١٣: ١٣، ١٥-١٨). إذن فسوف يبهر الوحش الناس بالمعجزات والآيات الكاذبة كقول معلمنا بولس الرسول عنه "الذى مجيئه بعمل الشيطان بكل قوة وبآيات وعجائب كاذبة وبكل خديعة الإثم فى الهالكين" (٢تس٢: ٩، ١٠). وللأسف فسوف ينخدع الكثير جداً من الناس بهذه الأمور ويسجدون للمسيح الكاذب ولتمثاله (صورته) ويمجدونه كإله دون أن يمجدوا الآب السماوى.

لذلك قال السيد المسيح لليهود الذين رفضوا الإيمان به: "**أنا قد أتيت باسم أبى ولستم تقبلوننى. إن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه**" **(يو٥: ٤٣)**. بمعنى أن اليهود وباقى البشر الذين سوف يقبلون المسيح الكاذب قبل نهاية العالم، لهم نفس النوعية مثل اليهود الذين رفضوا قبول السيد المسيح وقيل عنهم: "إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله" (يو١: ١١).

منهج السيد المسيح

حينما أخلى السيد المسيح نفسه من مجد الألوهة المنظور آخذاً صورة عبد، وضع منهجاً مغايراً تماماً لمنهج الوحش الذى مجيئه بعمل الشيطان، والذى يضع تمجيد ذاته فوق كل اعتبار.

كان منهج السيد المسيح هو **تمجيد الآب السماوى بصورة مستمرة** مثلما قال للآب "أنا مجدّتك على الأرض" (يو١٧: ٤)**.** لذلك قال لليهود: "إن كنت أمجد نفسى فليس مجدى شيئاً. **أبى هو الذى يمجّدنى** الذى تقولون أنتم إنه إلهكم ولستم تعرفونه. وأما أنا فأعرفه. وإن قلت إنى لست أعرفه أكون مثلكم كاذباً" (يو٨: ٥٤، ٥٥)**. إذن فالسيد المسيح قد مجّد الآب ولم يمجّد نفسه، بل ترك ذلك للآب.**

إرسالية السيد المسيح

قال الرب لنيقوديموس: "لأنه **لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلُص** به العالم، الذى يؤمن به لا يدان، والذى لا يؤمن قد دين، لأنه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد" (يو٣: ١٧، ١٨).

وقال يوحنا المعمدان فى حديثه عن السيد المسيح: "الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة **بل يمكث عليه** غضب الله" (يو٣: ٣٦).

رفع الغضب

نفس المعنى تكرر فى كلام السيد المسيح وفى حديث يوحنا المعمدان أن غضب الله قد حل على البشرية بسبب سقوط آدم وحواء وبالتالى نسلهما عبر الأجيال إلى أن جاء النسل الموعود به للخلاص كما قال الله للحية بعد سقوط آدم وحواء: "وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك، وأنتِ تسحقين عقبه" (تك٣: ١٥)**.** أى أن: نسل المرأة يسحق رأس الحية.

وقد شرح القديس بولس الرسول هذه الحقيقة فى رسالته إلى أهل رومية فقال: "من أجل ذلك كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس، إذ أخطأ الجميع" (رو٥: ١٢).

إذن لقد حل غضب الله على جميع البشر وصار الجميع تحت حكم الموت والهلاك الأبدى. وجاء السيد المسيح لكى يرفع هذا الغضب، ويصالح الإنسان مع الله، وينقذ الذين يؤمنون به من الهلاك الأبدى ويمنحهم قيامة الحياة الأبدية فى ملكوت الله.

لهذا لا يستطيع اليهود مثلاً أن يقولوا أن مجيء المسيح الأول إلى العالم قد سبب لهم الهلاك لأنهم لم يؤمنوا به. بل إن الهلاك كان قائماً وحتمياً ومحكوم به عليهم بالفعل، لولا أن أتى المسيح له المجد ليرفع هذا الهلاك ويدفع ثمن خلاص البشرية ويمنح الحياة والنجاة لمن يقبل العطية الإلهية فى المسيح، ويؤمن بأن الآب قد أرسله لخلاص العالم.

فمعنى قول السيد المسيح: "لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلُص به العالم" (يو٣: ١٧) هو أن **إرساله إلى العالم فى المجيء الأول** لم يكن الهدف منه إدانة العالم، بل **لخلاص العالم**. وأن الدينونة والهلاك الأبدى لن يكون نتيجة لمجيئه، بل كان سيحدث بالفعل للجميع لو لم يأتِ. وحينما أتى صار الخلاص لمن آمنوا به وبهذا يتم إنقاذ ما يمكن إنقاذه.

ولا يوجد ذلك الإنسان الذى لم يحمل حكم الهلاك الأبدى سوى السيد المسيح الذى كان وحده بلا خطية، وقادراً أن يوفى الدين الذى علينا لأنه هو هو نفسه ابن الإنسان وابن الله الوحيد القادر على كل شئ.

لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم

قد يتساءل البعض ويقولون: كيف يقول السيد المسيح أن الله لم يرسل ابنه إلى العالم ليدين العالم، ثم يعود يقول إن الذى لا يؤمن به قد دين؟ وأيضاً يقول إن الآب قد أعطى كل الدينونة للابن مع أنه قال إنه لم يرسله ليدين العالم كما ذكرنا.

وللإجابة على ذلك نقول:

أولاً: إن السيد المسيح كان يتكلم عن مجيئه الأول وليس عن مجيئه الثانى حينما قال: "لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم" (يو٣: ١٧).

فالمجيء الأول كان لخلاص العالم وليس لدينونة العالم، لذلك أكمل بقوله: "بل ليخلُص به العالم" (يو٣: ١٧). **أما المجيء الثانى فهو للدينونة.** فى مجيء السيد المسيح الأول جاء ليبذل نفسه فدية عن كثيرين.. جاء ليطلب ويخلّص ما قد هلك.. جاء ليحمل خطايا كثيرين ويشفع فى المذنبين.

إذن فى مجيئه الأول كان هو الشفيع، وكان الآب هو الديان.. بمعنى أن الابن على الصليب قد أوفى العدل الإلهى حقه. واشتم الآب رائحة الرضى والسرور فى طاعة، وفى ذبيحة الابن الوحيد.

بعد الصعود أرسل الآب الروح القدس الذى "يبكّت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة" (يو١٦: ٨)، وأخذ الروح القدس دور الديان. أما فى المجيء الثانى للابن المتجسد فسوف يأخذ هو دور الديان ليدين المسكونة بالعدل ويجازى كل واحد كما يكون عمله. والثالوث القدوس هو الديان، ودينونة واحدة للأقانيم الثلاثة بالرغم من تمايز دور كل أقنوم

منهم فى هذه الدينونة. فالعدل الإلهى عدل واحد، والرحمة الإلهية رحمة واحدة، والعطية الإلهية عطية واحدة من الآب بالابن فى الروح القدس.

لقد أخذ القاضى مكان المتهم فى مجيئه الأول ليرفع عنه الدينونة. ولكنه سوف يأخذ مكانه كقاضى لكى يفهم الجميع أنه هو الديان حتى وإن كان قد قبل المذلة والامتهان حباً لنا وسعياً لأجل خلاصنا. لهذا قال السيد المسيح: "الآب لا يدين أحداً، بل قد أعطى كل الدينونة للابن لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب. من لا يكرم الابن لا يكرِم الآب الذى أرسله" (يو٥: ٢٢، ٢٣).

ثانياً: إن الغضب الإلهى والهلاك الأبدى كان موجوداً بالفعل ومحكوماً به على البشر لأنهم أخطأوا فى كسرهم للوصايا الإلهية.

لذلك فإن عدم الإيمان بالمسيح، ليس هو الذى يجلب الغضب الإلهى على الإنسان، بل إن "الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رو ٣: ٢٣) وصار الغضب كائناً بالفعل. وقد جاء السيد المسيح ليرفع هذا الغضب بتقديم نفسه ذبيحة وكفارة عن خطايا البشرية.

إنه أراد أن يخلّص ما قد هلك بالفعل، لا أن يجلب الغضب على من لم يؤمن به. لذلك قال "لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلُص به العالم" (يو٣: ١٧).

وفى قول القديس يوحنا المعمدان: "الآب يحب الابن، وقد دفع كل شئ فى يده. الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية، والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة، بل يمكث عليه غضب الله" (يو٣: ٣٥، ٣٦).. يتضح أن الإيمان بالابن يرفع الغضب الإلهى، وعدم الإيمان به يترك الغضب ماكثاً على الإنسان.

أى أن عدم الإيمان بالمسيح ليس هو الذى يجلب غضب الله، بل أن الإيمان بالمسيح يرفع الغضب الموجود أصلاً.

ولكن ينبغى أيضاً أن نفهم أن الذين يسيئون التصرف إزاء دم السيد المسيح الذى سفك من أجلهم، سوف يُجلب لهم دينونة مضاعفة. لهذا فبالنسبة للمؤمنين كان خير لهم لو لم يؤمنوا من أن يسيئوا إلى دم المسيح الذى غسلهم من خطاياهم السالفة.

لهذا قال معلمنا بطرس الرسول: "لهذا عينه وأنتم باذلون كل اجتهاد؛ قدموا فى إيمانكم فضيلة، وفى الفضيلة معرفة، وفى المعرفة تعففاً، وفى التعفف صبراً، وفى الصبر تقوى، وفى التقوى مودة أخوية، وفى المودة الأخوية محبة.. لأن الذى ليس عنده هذه هو أعمى قصير البصر قد نسى تطهير خطاياه السالفة. لذلك بالأكثر اجتهدوا أيها الإخوة أن تجعلوا دعوتكم واختياركم ثابتين لأنكم إذا فعلتم ذلك لن تزلوا أبداً. لأنه هكذا يقدم لكم بسعة دخول إلى ملكوت ربنا ومخلصنا يسوع المسيح الأبدى" (٢بط١: ٥-٧، ٩-١١).

وقال القديس بولس الرسول: "فإنه إن أخطأنا باختيارنا بعدما أخذنا معرفة الحق، لا تبقى بعد ذبيحة عن الخطايا، بل قبول دينونة مخيف وغيرة نار عتيدة أن تأكل المضادين. من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة. فكم عقاباً أشر تظنون أنه يُحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدّس به دنساً وازدرى بروح النعمة" (عب١٠: ٢٦-٢٩).

المجيء الثانى

فى مجيء السيد المسيح الثانى لا ينطبق عليه قول السيد المسيح: "لم يرسل الله ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلُص به العالم" (يو٣: ١٧)، بل **ينطبق عليه قوله: "لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته، كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة فى ذاته، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً، لأنه ابن الإنسان. لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيآت إلى قيامة الدينونة**" (يو٥: ٢٦-٢٩). وقال: "الآب لا يدين أحداً، بل قد أعطى كل الدينونة للابن" (يو٥: ٢٢).

وأيضاً قال عن يوم الدينونة فى مجيئه الثانى: "ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسى مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميّز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء. فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركى أبى، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم، لأنى جعت فأطعمتمونى، عطشت فسقيتمونى، كنت غريباً فآويتمونى. عرياناً فكسوتمونى. مريضاً فزرتمونى. محبوساً فأتيتم إلىّ.. ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدّة لإبليس وملائكته.. فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى والأبرار إلى حياة أبدية" (مت٢٥: ٣١-٣٦، ٤١، ٤٦).

فمن الواضح أن السيد المسيح هو الذى سيدين العالم كله فى اليوم الأخير. وقد أعطاه الآب هذا الدور فى الدينونة لأنه هو الذى بذل حياته من أجل خلاص البشرية، وأوفى الدين كاملاً للآب السماوى. وقد أشار السيد المسيح إلى ذلك بقوله "وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان" (يو٥: ٢٧).

الباب السادس عشر

المجئ الثانى للرب وما يسبق هذا المجئ من علامات

المجئ الثانى من منظور روحى

أحاديث السيد المسيح عن المجئ الثانى

الكنيسة و الاستعداد للمجئ الثانى

ما بين المجئ الأول والمجئ الثانى للسيد المسيح العلامات التى تسبق المجئ الثانى

مقار الآخرة

القيامة الأولى والموت الأول

القيامة الثانية والموت الثانى

قال السيد المسيح لتلاميذه ورسله قبل صعوده إلى السماء مباشرةً: "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه" (أع١: ٧) وكان ذلك إجابة على تساؤلاتهم بخصوص الأمور المختصة بالمنتهى.

وقد أكّد السيد المسيح على هذه الحقيقة فى تعاليمه. ولكننا للأسف نجد اليوم كثيراً من الناس يحددون السنة التى سينتهى فيها العالم وذلك بخلاف تعاليم الرب .

ليت الوعاظ يوجهون اهتمامهم إلى المناداة بالتوبة وحياة الاستعداد للموت، بدلاً من أن يشغلوا الناس بأمور لا تفيدهم عن نهاية العالم، وتكهنات تحتوى على كثير من المغالطات أو تجاهل حقائق أخرى مذكورة فى الكتب المقدسة. كما أنها تتخطى علامات سبق الرب وحددها لتسبق مجيئه الثانى ولم تتحقق حتى الآن.

إننا نعرض للمجيء الثانى من الناحية الروحية والكتابية؛ وذلك بعيداً عن تحديد الأزمنة. كما أننا نتكلم عن أجساد القيامة وطبيعتها وعن تكريم أجساد القديسين. وهى الأمور التى ينبغى أن نعرفها عن قيامة الأبرار وعن قيامة الأشرار عند مجيء الرب للدينونة فى اليوم الأخير. ثم نتكلم عن علامات المجيء الثانى التى تسبق مجيء المسيح، وعن مقار الآخرة، وعن الموت الأول والثانى، والقيامة الأولى والثانية.

ليت الرب يمنحنا أن نكون مستعدين لمجيئه المجيد، صانعين مرضاته كل حين بصلوات **صاحب القداسة البابا شنودة الثالث** أطال الرب حياة قداسته.

المجئ الثانى من منظور روحى

القيامة حقيقة حتمية

هناك أمور يجب على كل مؤمن أن يعرفها، وهى أسرار معلنة للمؤمنين لكى يتعزّوا بها. فأولاً لابد أن نعرف أن القيامة حقيقة حتمية "إن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا

وباطل أيضاً إيمانكم" (١كو١٥: ١٣، ١٤). فلابد أن يقام الأموات عديمى فساد، وأن يلبس هذا الجسد الفاسد عدم فساد، وهذا المائت عدم موت.

فإنه لا يمكن أن يدخل هذا الجسد الذى يمرض ويتحلل ويتعفن إلى ملكوت السماوات. إذ لابد أن تتغير طبيعته أولاً. وقوة هذا التغير تكمن فى تناول جسد الرب ودمه. وقد قال السيد المسيح فى ذلك: "من يأكل جسدى ويشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق. من يأكل جسدى ويشرب دمى يثبت فىّ وأنا فيه" (يو٦: ٥٤-٥٦). وكذلك نقول فى القداس الإلهى: **{يعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لكل من يتناول منه}** ففى القيامة يلبس الفاسد عدم فساد. ونحن عندما نموت يتم فينا حكم الموت، ولكن لابد أن تتم فينا طبيعة القيامة التى وهبها الرب لنا بخلاصه وفدائه العظيم.

المسيح لن يأتى ليملك على الأرض فى مجيئه الثانى

يقول معلمنا بولس الرسول: "لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير" (١كو١٥: ٥١). ففى مجيء السيد المسيح الثانى يقوم الأموات من القبور أولاً. ثم يتغير الأحياء، **وبعد ذلك يختطف الجميع لملاقاة الرب فى الهواء.**

هناك بعض الأشخاص يعتقدون أن السيد المسيح فى مجيئه الثانى سوف يأتى أولاً على الأرض ويملك ألف سنة. فهؤلاء الأشخاص يحبون الأرض ولا يريدون أن يتركوها، وذلك لأن الأرض مازالت مرتبطة بمشاعرهم، وذلك بالرغم من ادعائهم الإيمان بالسيد المسيح. أما شهادة الكتاب المقدس فهى: "لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات فى المسيح سيقومون أولاً. **ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء. وهكذا نكون كل حين مع الرب**" (١تس٤: ١٦، ١٧).

فالسيد المسيح فى مجيئه الثانى لن يأتى ليملك على الأرض. بل سوف يختطفنا جميعاً لملاقاته فى الهواء. والأموات فى المسيح سيقومون أولاً، لأنهم أكملوا جهادهم قبلنا. ولأنهم سبقونا فى حياة الروح والجهاد، ووصلوا قبلنا إلى فردوس النعيم.

ولئلا يخاف الناس من الموت ويطلبوا أن يظلوا أحياء لكى يتغيروا وهم أحياء، فقد رسم الرب أن يقام الأموات أولاً عديمى فساد ثم يتغير الأحياء بعد ذلك. لكى يتشوق الإنسان أن ينطلق من هذا العالم، ويقول مع معلمنا بولس الرسول: "لى اشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح. ذاك أفضل جداً" (فى١: ٢٣).

ما هى الصورة التى يُقام بها الأموات ؟

هناك من يسأل ما هى الصورة التى يُقام بها الأموات؟ لأن الميت عندما يوضع فى التراب ويتحلل ويصبح تراباً وسماداً، وتُزرع زروع وتتغذى على السماد، ويطلع زرع، ويُؤكل ويذهب فى المصارف والترع، وعظامه تتحلل وينتهى، ولا يبقى له أثر. فهل من الممكن أن تتم إقامة هذا التراب بعد آلاف السنين، وبعد هذا التوزيع!!

وقد رد معلمنا بولس الرسول على هذه المشكلة وقال: "لكن يقول قائل كيف يقام الأموات وبأى جسم يأتون؟ يا غبى الذى تزرعه لا يحيا إن لم يمت" (اكو١٥: ٣٥، ٣٦). فعندما تتم زراعة شجرة، لا تُزرع الشجرة كاملة. ولكن تُزرع بذرة صغيرة، وهذه البذرة الصغيرة تحمل طبيعة الشجرة الكبيرة. هذه البذرة الصغيرة تصير شجرة، ويخرج منها أيضاً ثمر يحمل بذوراً مثل البذور التى تمت زراعتها أولاً.. فإن كانت هذه الشجرة شجرة تفاح مثلاً، فإن البذور تكون بذور تفاح أيضاً. لأن بها نفس صفات الشجرة الأصلية.

فإن كنا نستطيع أن نزرع بذرة صغيرة، لكى تخرج لنا شجرة كبيرة بقدرة الله، فمن الممكن أيضاً بقدرة الله أن أى رماد أو بقايا صغيرة من أثر هذا الجسم ينتج عنه الجسم الأصلى كله. وبصورة مشابهة لما يحدث عند زرع بذور النبات فى الأرض. فإن "**الذى تزرعه لا يحيا إن لم يمت**" (اكو١٥: ٣٦). فتوضع البذرة فى الأرض وتتشرب الماء ثم ينفجر غلافها الخارجى وتفقد خصائصها كبذرة، ثم تُخرج جذراً ثم ساقاً إلى أعلى. والبذرة نفسها تتضائل حتى تذبل وتنتهى، ولا يبقى غير الساق والجذر، وتبدأ تخرج شجرة جديدة، فالبذرة نفسها تكون قد اندثرت وتحولت إلى شئ آخر.

قال السيد المسيح: "الحق الحق أقول لكم إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها. ولكن إن ماتت تأتى بثمر كثير" (يو١٢: ٢٤). وكذلك يقول معلمنا بولس الرسول: "**والذى تزرعه لست تزرع الجسم الذى سوف يصير بل حبة مجردة ربما من حنطة أو أحد البواقى**" (اكو١٥: ٣٧). الحنطة هى البذرة، وأحد البواقى هى أنواع من الشجر التى يؤخذ منها جزء من الفرع ويزرع فى الأرض ليخرج شجرة أخرى. "ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد.. هكذا أيضاً قيامة الأموات. يُزرع فى فساد ويُقام فى عدم فساد. يُزرع فى هوان ويُقام فى مجد. يُزرع فى ضعف ويُقام فى قوة. يُزرع جسماً حيوانياً ويُقام جسماً روحانياً.. هكذا مكتوب أيضاً. صار آدم الإنسان الأول نفساً حية وآدم الأخير روحاً محيياً" (اكو١٥: ٣٨-٤٥).

القديسون لا يهتمون بأجسادهم بعد الموت

كان القديسون لا يهتمون بأجسادهم بعد الموت، وذلك لعلمهم أن الله قادر أن يقيمهم ويحيى من يشاء. فالقديس الأنبا أرسانيوس عندما جاء وقت نياحته قال لتلاميذه ألا يكفّنوا جسده أو يدفنوه وإنما يربطوه فى حبل ويجرّوه ويتركوه طعاماً للوحوش على الجبل. وذلك لكى يوضّح لهم مدى اهتمامه بالروح وليس بالجسد. كما أنه يؤمن أن الجسد الذى يموت فى هوان سوف يقام فى مجد كقول الكتاب.

لماذا نكرّم أجساد القديسين ؟

نحن نكرِّم أجساد القديسين **لأن طبيعة القيامة تكمن فيهم**. ولأنهم سوف يقومون فى اليوم الأخير كقديسين فى المسيح يسوع. فالبذرة تحمل طبيعة الشجرة، كما أن بقايا الجسد المائت تحمل قوة القيامة. وتوجد فيها طبيعة القداسة، ويكمن فيها نور السيد المسيح. فمع أنه جسم مات، لكنه مازال يحمل نفس الطبيعة والخصائص التى بها سوف يؤهل للقيامة بصورة جديدة ممجدة. لذلك نحن نكرِّم أجساد القديسين، ونحتفل بها، وندهنها بالأطياب.

الجسد ليس هدفاً يسعى القديسون لإرضائه

كان القديسون يضبطون أجسادهم، ولا يقيمون لرغبات الجسد المنحرفة أو الزائدة أى اعتبار. فقد كانوا لا ينظرون للجسد على أنه هدف يسعون لإرضائه أو إراحته أو إسعاده السعادة الوقتية الزائلة، إنما كان فرحهم وسعادتهم الحقيقية فى أفراح الروح.. وفى تقديس الحياة للرب. فقد كانوا يشكرون الله على عطاياه التى بها يقيتون أجسادهم. وكانوا يشكرون الله أيضاً على الهواء الذى يتنفسونه، والماء الذى يشربونه، وكذلك الأكل الذى يأكلونه. ويقول معلمنا بولس الرسول: "الذى يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله. والذى لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله.. لأننا إن عشنا فللرب نعيش وإن متنا فللرب نموت. فإن عشنا وإن متنا فللرب نحن" (رو١٤: ٦-٨).

فمن الممكن أن يقوت الإنسان جسده ويربيه. ولكن القديسين كانوا لا يسعون لإرضاء الجسد، بقدر ما كانوا يسعون لرفعة الروح، وسعادتها التى تدوم على الدوام وإلى الأبد.

سوف يتغير الأحياء فى طرفة عين

فى اليوم الأخير سوف يتغير الأحياء فى لحظة، وفى طرفة عين. ويتحول جسد الموت والفساد والآلام إلى جسد القيامة. مثل جسد السيد المسيح القائم من الأموات، جسد غير قابل للآلام والفساد. جسد يتفق مع طبيعة الروح، جسد روحانى "كما هو الترابى هكذا الترابيون أيضاً. وكما هو السماوى هكذا السماويون أيضاً. **وكما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضاً صورة السماوى**" (١كو١٥: ٤٨، ٤٩). **فالترابى هو آدم الأول، والسماوى هو آدم الأخير الذى هو الرب يسوع المسيح** الذى نزل من السماء متجسداً فى أحشاء البتول مريم، وظهر فى ملء الزمان لكى يهب الخلاص والحياة للعالم. ثم صعد إلى السماء بجسد القيامة فى حالة ممجدة.

جسد القديسين قريب من جسد القيامة الممجد

فى الجسد الروحانى، تغلب طبيعة الروح على طبيعة الجسد. فهو جسد لا تسيطر عليه غرائز شريرة، ولا شهوات رديئة. وكل ما يُسعد الروح يكون سبب سعادة وفرح له. فالقديسون فى حياتهم يقتربون بأجسادهم من طبيعة جسد القيامة. فهم يظلون يتدرجون مع أنفسهم بقوة الروح القدس الساكن فيهم حتى تصبح أجسادهم أجساداً روحانية قريبة من أجساد القيامة التى تقوم فى اليوم الأخير.

فمن أين أخذوا هذه الطبيعة التى هى طبيعة قريبة من طبيعة الروح؟ إنهم قد بدأوا يميتون أعمال الجسد بالروح ثم بدأت طبيعة الروح تسرى فى أجسادهم فبدأت أجسادهم تكتسب طبيعة روحانية كعربون لجسد القيامة الكامل الممجد.

خرافى تسمع صوتى

أعطى السيد المسيح إنذارًا بقوله: "الحق الحق أقول لكم إنه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون" (يو٥: ٢٥). فالذين يسمعون صوت ابن الله هم الذين سمعوا صوته هنا على الأرض. "خرافى تسمع صوتى وأنا أعرفها فتتبعنى" (يو١٠: ٢٧).

فالإنسان الذى اعتاد على سماع كلام الله وإطاعة وصاياه، عندما يسمع صوت السيد المسيح فى اليوم الأخير، سوف يقوم وينجذب نحوه. أما الإنسان الذى يكسر كلام الله، ويخالف وصاياه، ويعطيه القفا لا الوجه [٩]، فإنه عندما يسمع صوت السيد المسيح فى اليوم الأخير، سوف يخاف ويرتعب من مقابلة الله. وذلك لأنه كسر وصاياه، وعاش فى الفساد بعيداً عن الرب.

يقول معلمنا بولس الرسول: "فلا ننم إذاً كالباقين، بل لنسهر ونصحُ" (١تس٥: ٦). وكذلك يقول: "لأنكم أنتم تعلمون بالتحقيق أن يوم الرب كلص فى الليل هكذا يجيء. لأنه حينما يقولون سلام وأمان حينئذ يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون. وأما أنتم أيها الأخوة فلستم فى ظلمة حتى يدرككم ذلك اليوم كلص" (١تس٥: ٢-٤). وهذا هو الفرق بين أولاد الله وأولاد العالم بالنسبة لمجيء السيد المسيح.

يوم الرب كلص فى الليل هكذا يجيء

"قال لهم يسوع: النور معكم زماناً قليلاً بعد. فسيروا ما دام لكم النور لئلا يدرككم الظلام" (يو١٢: ٣٥). يعيش أولاد الله فى النور، حياتهم واضحة ومقدسة أمام الله. فعند مجيء السيد المسيح الثانى لن تكون مفاجأة بالنسبة لهم، لأنهم سوف يكونون فى حالة استعداد ويقظة روحية. أما أولاد العالم وأولاد إبليس فسوف يجدهم الله غارقين فى خطاياهم. لأنهم يقولون فى أنفسهم لن يأتى المسيح أو لن تنتهى حياتنا فجأة، نعيش فى خطايانا الآن ثم نتوب بعد ذلك. نتمتع الآن بالعالم بعيداً عن الرب ثم نرجع بعد ذلك. وفى وسط هذه الظلمة وهذا الضياع يباغتهم فجأة ذلك اليوم (أى يوم الوفاة أو اليوم الأخير) كالمخاض للحبلى.

قال السيد المسيح: "كما كان فى أيام نوح كذلك يكون أيضاً فى أيام ابن الإنسان. كانوا يأكلون ويشربون ويزوّجون ويتزوّجون إلى اليوم الذى فيه دخل نوح الفلك وجاء الطوفان وأهلك الجميع.. هكذا يكون فى اليوم الذى فيه يظهر ابن الإنسان" (لو١٧: ٢٦-٣٠).

---

[٩]) انظر (أر ٢: ٢٧).

يعيش الناس الآن بعيدين عن الله ويقولون ليس لدينا وقت لله: لدينا أشغالنا وأموالنا، وانشغالات عالمية كثيرة. فهؤلاء الأشخاص يتجاهلون وجود الله، ويهينونه فى كل مناسبة صغيرة كانت أم كبيرة. وهناك أناس يجدّفون على الله ويتحدّونه، وآخرون ينكرون وجوده. وأناس آخرون غارقون فى شرورهم وخطاياهم.. فكل هذه العينات من الناس يأتيها ذلك اليوم فجأة كالمخاض للحبلى فلا ينجون.

ما هو رجاء من يعيش بعيداً عن الله ؟

ما هو رجاء الإنسان الذى يعيش بعيداً عن الله فى هذه الحياة؟ إن كل إنسان يعلم أن هناك يوماً سوف ينتقل فيه من هذه الحياة ويوضع فى القبر "لأنك تراب وإلى تراب تعود" (تك٣: ١٩). فماذا بعد الموت وبعد القبر؟ وماذا يكون حال الإنسان حين لا ينفع الندم ولا ينفع البكاء؟

الإنسان فى هذه الحالة سيطلب يوماً واحداً يرجع فيه إلى الله ليتوب، فيُقال له قد أُعطيت الفرصة تلو الأخرى، لقد أُعطيت فرصاً كثيرة ولكن حتى لو أُعطيت فرصة جديدة فستضيعها أيضاً.. **وذلك لأنك مغلوب من طبيعتك الفاسدة المحزنة. فكم من مرات يعاهد فيها الإنسان الله أن يرجع إليه ثم يعود إلى الخطية مرة أخرى.** كما يقول الكتاب عن الإنسان الخاطئ الذى لا يتوب توبة حقيقية "كلب قد عاد إلى قيئه وخنزيرة مغتسلة إلى مراغة الحمأة" (٢بط٢: ٢٢). لهذا ينبغى أن نتذكر قول الرسول: "جميعكم أبناء نور. وأبناء نهار. لسنا من ليل ولا ظلمة. فلا ننم إذاً كالباقين بل لنسهر ونصحُ. لأن الذين ينامون فبالليل ينامون والذين يسكرون فبالليل يسكرون وأما نحن الذين من نهار فلنصحُ لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هى رجاء الخلاص. **لأن الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح.** الذى مات لأجلنا حتى إذا سهرنا أو نمنا نحيا جميعاً معه" (١تس٥: ٥-١٠).

الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص

لماذا تقول أنا مرفوض من الله ولم تعد هناك أية فائدة منى. يقول معلمنا بولس الرسول: "لأن الله لم يجعلنا للغضب بل لاقتناء الخلاص بربنا يسوع المسيح" فالله يقول لك أنا أعدَّك لكى تعيش معى.

يعطيك الله إمكانية حياة القداسة، والإمكانية الكاملة أن ترضيه فى حياتك. فلماذا لا تستفيد من هذه الإمكانيات المعطاة لك وتيأس وتستسلم لليأس؟! فإن كان هناك من له إمكانيات الحرب، ومعه صواريخ ومدافع، وله جميع الإمكانيات التى يمكنه أن ينتصر بواسطتها، ومع ذلك يستسلم للعدو بكل سهولة. ويستسلم فى خنوع وهو غير مصدِّق أن الأسلحة التى معه هى قادرة أن تعطيه النصرة، والغلبة فى القتال. فإن هذا الإنسان يحتاج أن يصدِّق مواعيد الله، ويؤمن بعمله.. فهذا هو الإيمان الذى يستطيع أن ينقل الجبال؛ أى يستطيع أن ينقل جبال الخطية

الجاثمة على قلوبنا وصدورنا كقول الرب "الحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك" (مت١٧: ٢٠).

هذا هو الإنسان المسيحى الذى يستطيع أن ينقل جبل الخطية، ويقول له انطرح فى بحر هذا العالم المتلاطم فينطرح ويصير هو حراً من الشر والخطية.

سؤال: ما هو الاختطاف؟ وهل هو المجيء الثانى أو مجيء قبل الدينونة؟

الاختطاف سوف يحدث فى المجيء الثانى للسيد المسيح، والذين سوف يختطفون لملاقاة الرب فى الهواء (انظر ١تس٤: ١٧) هم أولاد الله القديسون، والذين أرضوا الرب بأعمالهم الصالحة. وأما الأشرار فيقال عنهم: "هوذا يأتى مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الأرض" (رؤ١: ٧). "وهم يقولون للجبال والصخور اسقطى علينا وأخفينا عن وجه الجالس على العرش وعن غضب الخروف" (رؤ٦: ١٦). فهؤلاء الأشخاص سوف يكونون خجلين، ويفرُّون من وجه السيد المسيح لأنه عندما يأتى سوف يدين كل واحد بحسب أعماله.

سوف تُقام محكمة إلهية.. ومجرد منظر الرب الإلهى سوف يشيع الخوف فى نفوس الأشرار، ويشيع فرحاً فى نفوس الأبرار. وذلك مثل ما يحدث بالضبط عندما يصل مفتش أو مدير أو أى شخص له سلطة فى مكان. فالذى عمل عملاً صالحاً سوف يكون فَرِحاً لأن المفتش سوف يعرف كيف تعب وكيف أنتج ويكافئه. وأما الذى عمل عملاً سيئاً فسوف يكون فى هم وخوف.. وفى لحظة مجيء هذا المفتش من الممكن ألا يحتمل الوجود فى مكان عمله ويحاول أن يهرب..

الإنسان بمجرد أن ينظر إلى الرب القدوس: **إن كان قد عاش نظير القدوس الذى دعاه فسيشتاق إليه ويجرى نحوه ويتعلق بأثره فى حب واشتياق.** وأما إن كان قد كسر وصاياه، ولم يرضهِ فسوف يهرب عرياناً ويخزى. فمجيء السيد المسيح الثانى سيختطف فيه الأموات عديمو الفساد، والأحياء المتغيرون أيضاً عديمو الفساد، لملاقاة الرب فى الهواء وأما الأشرار فلن يستطيعوا أن يلتقوا بالرب القدوس.

أحاديث السيد المسيح عن المجئ الثانى

تحدث السيد المسيح عن مجيئه الثانى فى مواضع عديدة من الكتاب المقدس سواء بحديث شخصى مباشر أو عن طريق أنبيائه ورسله القديسين.

فموضوع المجيء الثانى هو من أهم المواضيع التى تكلّم عنها السيد المسيح. ولا نقصد موعد المجيء الثانى على وجه التحديد، وإنما ما يعنيه هذا المجيء، وما يقترن به، وما يؤدى إليه، وأيضاً ما هى العلامات التى تسبق هذا المجيء. وتأثير ذلك كله فى حياة الكنيسة كجماعة المؤمنين الذين ينتظرون قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى.

جعت فأطعمتمونى

نشير هنا إلى كلمات السيد المسيح عن مسألة سوف تشغله هو شخصياً فى يوم الدينونة الرهيب.

قال السيد المسيح: "ومتى جاء ابن الإنسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه، فحينئذ يجلس على كرسى مجده. ويجتمع أمامه جميع الشعوب، فيميّز بعضهم من بعض كما يميّز الراعى الخراف من الجداء، فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار. ثم يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم.. ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار: اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته. **لأنى جعت فلم تطعمونى، عطشت فلم تسقونى، كنت غريباً فلم تأوونى، عرياناً فلم تكسونى، مريضاً ومحبوساً فلم تزورونى**.. الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر، فبى لم تفعلوا. فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى والأبرار إلى حياة أبدية" (مت ٢٥: ٣١-٣٤، ٤١-٤٣، ٤٥، ٤٦).

والشئ الملاحظ هنا كما يقول قداسة البابا شنودة الثالث -أطال الله حياته- أن السيد المسيح حينما يجلس على كرسى الدينونة سوف يحاسب الناس أولاً عن أعمال الحب والرحمة التى مارسوها تنفيذاً لوصية "**تحب قريبك كنفسك**" (مت٢٢: ٣٩).

مسألة شرط الإيمان والمعمودية للدخول إلى الملكوت ذكرها السيد المسيح فى أحاديث أخرى وهى مسألة مفهومة يدركها كل إنسان مسيحى لأن "الذى يؤمن بالابن له حياة أبدية والذى لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله" (يو٣: ٣٦).

فى حديث السيد المسيح عن يوم الدينونة ركّز على تجاهل الأشرار لجوع المساكين وغيرهم معتبراً أن ما نفعله بأحد إخوته الأصاغر فبه قد فعلنا.

ربما يُطمئِن الإنسان نفسه بأنه قد نال العماد المقدس ويمارس التوبة والاعتراف ويحفظ الأصوام، ويحرص على التناول وينتظم فى حضور الكنيسة، وله العديد من الأنشطة فى خدمة الكنيسة. ولكن الموقف الرهيب هو أن كل هذه الأمور لن تعفيه من سؤال الرب عن تنفيذ وصية المحبة "**تحب قريبك كنفسك**" (مت٢٢: ٣٩).

ينبغى أن يواجه الإنسان نفسه على حقيقتها. هل هو متعاطف مع ذاته؟ هل يفضّل نفسه على غيره؟ هل يكتفى بأنه مرتاح ويتجاهل معاناة الآخرين؟

إن الله قادر أن يشبع الجائع وأن يروى العطشان وأن يكسو العريان وأن يشفى المريض ويطلق المحبوس.. ولكنه يضع هذه الأمور فى طريقنا لاختبار محبتنا. لأن "**من كان له معيشة العالم ونظر أخاه محتاجاً وأغلق أحشاءه عنه فكيف تثبت محبة الله فيه؟**" (١يو٣: ١٧).

الحب والعطاء للكل

وربما يُطمئن الإنسان نفسه بأن له نشاط متسع فى خدمة المحتاجين. ولكن السيد المسيح يقول: "**ما فعلتموه بأحد هؤلاء الأصاغر فبى قد فعلتم**". أى أن إهمال فقير واحد فقط يحزن قلب السيد المسيح.
الذى يخطئ فى حق إنسان واحد فكأنه قد أخطأ فى حق البشرية كلها، لهذا قال السيد المسيح: "أحد هؤلاء الأصاغر". واحد فقط من المساكين تجاهلناه سوف نعطى عنه حساباً فى اليوم الأخير.
أليس لهذا الإنسان الواحد مشاعر؟ أليست كل دنياه هى واقعه وآلامه ومعاناته هو شخصياً؟

إن من يضع نفسه فى مكان المسكين والبائس يستطيع أن يدرك أن التاريخ والعالم والوجود كله سيقف أمام حالة واحدة. ألم يقل الكتاب "من حفظ كل الناموس وإنما عثر فى واحدة، فقد صار مجرماً فى الكل" (يع٢ :١٠).
فما بالك بمن أهمل كثيراً من الفقراء والأرامل والأيتام. وما بالك بمن يظلمهم أو يسلب حقوقهم ويصرخون عليه أمام الرب.
ما أكثر الإنذارات التى وجهها الله إلى شعبه فى القديم لئلا يسلبوا حق اليتيم والأرملة وحق الكادح. وكذلك الإنذارات التى وجهها فى العهد الجديد حول نفس هذه الأمور مثل قول يعقوب الرسول للأغنياء "هلم الآن أيها الأغنياء ابكوا مولولين على شقاوتكم القادمة. غناكم قد تهرأ، وثيابكم قد أكلها العث. ذهبكم وفضتكم قد صدئا، وصدأهما يكون شهادة عليكم، ويأكل لحومكم كنار، قد كنزتم فى الأيام الأخيرة. هوذا أجرة الفعلة الذين حصدوا حقولكم المبخوسة منكم تصرخ، وصياح الحصادين قد دخل إلى أذنى رب الجنود" (يع٥: ١-٤).
لهذا ينبغى أن نراجع أنفسنا قبل فوات الأوان.

الكنيسة و الاستعداد للمجئ الثانى

تهتم الكنيسة المقدسة جداً بالاستعداد للمجيء الثانى للسيد المسيح. لذلك نردد فى **ختام قانون الإيمان المسيحى** العبارة التالية: {**وننتظر قيامة الأموات وحياة الدهر الآتى آمين**}.
وذلك تحقيقاً للوصية الرسولية "منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب" (٢بط ٣: ١٢). وكذلك للتعليم الرسولى "وتنتظروا ابنه من السماء الذى أقامه من الأموات يسوع الذى ينقذنا من الغضب الآتى" (١تس١: ١٠). وقول معلمنا بولس الرسول "السماوات التى منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح. الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده" (فى٣: ٢٠، ٢١). وكذلك قوله: "وإله السلام نفسه يقدسكم بالتمام ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح" (١تس٥: ٢٣).

كذلك رتبت الكنيسة فى **القداس الإلهى** أن يصلى الكاهن عند تقديس القرابين قائلاً: {فيما نحن أيضاً نصنع ذكرى آلامه المقدسة وقيامته من الأموات وصعوده إلى السماوات وجلوسه عن يمينك أيها الآب وظهوره الثانى الآتى من السماوات المخوف المملوء مجداً نقرب لك قرابينك من الذى لك على كل حال ومن أجل كل حال وفى كل حال}.

وقد يتساءل البعض: كيف نصنع ذكرى ظهوره الثانى الآتى من السماوات المخوف المملوء مجداً؟ وهل يمكن أن نصنع ذكرى شئ لم يحدث إلى الآن؟!.

إن حضور السيد المسيح على المذبح فى سر القربان المقدس يحمل معه كل معانى التجسد والصلب والقيامة والمجيء الثانى. إن جسده الكائن على المذبح هو نفسه الذى ولد من العذراء والذى صلب من أجلنا وقام وصعد إلى السماوات وهو نفسه الذى سيأتى فى ظهوره الثانى. ومن يتناول منه فإنه ينال عربون الحياة الأبدية {**يُعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه**}. ولذلك فنحن كما نعيش ذكرى الصليب والقيامة فإننا نعيش ذكرى المجيء الثانى ونستعد بكل قلوبنا لهذا المجيء الآتى من السماوات المخوف المملوء مجداً.

إننا حينما نصنع تذكار موت المسيح فإننا نصنع أيضاً تذكار مجيئه الثانى. ونردد كل يوم فى تسبحة نصف الليل السابقة للقداس {عند ظهورك الثانى المخوف؛ لا نسمع برعدة إننى لست أعرفكم}.

لذلك يقول معلمنا بولس الرسول: "لأننى تسلّمت من الرب ما سلمتكم أيضاً إن الرب يسوع فى الليلة التى أُسلم فيها أخذ خبزاً، وشكر فكسر وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم. اصنعوا هذا لذكرى. كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا قائلاً هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى. اصنعوا هذا كلما شربتم لذكرى. فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس **تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء**" (١كو١١: ٢٣-٢٦).

أى أننا نصنع تذكار موت الرب على الصليب إلى أن يجيء. فالتذكار هو لموته وقيامته والانتظار هو لمجيئه الثانى. وقد ربط الرسول بولس بهذه العبارة بين الإخبار بموت الرب وانتظار مجيئه.

إن حضور السيد المسيح على المذبح يذكرنا بموته ويذكرنا أيضاً بمجيئه الثانى. كما أننا حينما نستعد للتناول بالتوبة والاعتراف فإننا نستعد للحياة الأبدية. أى أن **الاستعداد للتناول من جسد الرب ودمه هو استعداد لمجيء المسيح وعربون للحياة الأبدية وتذوق لها. ألسنا نشترك فى جسد الرب المقام من الأموات؟!**

كيفية الاستعداد

إننى أتعجّب ممن يتكلمون عن الاستعداد لمجيء الرب بعيداً عن أسرار الكنيسة المقدسة.

كيف ينال الإنسان قوة الاتحاد بالمسيح والثبات فيه بدون التناول من جسده الحقيقى ودمه الحقيقى.

وكيف ينال الإنسان قوة الاتحاد بالمسيح فى مجيئه الثانى دون أن يقترب من المائدة متذكراً إنها عربون للميراث الأبدى ومائدة المسيح الأبدية.

كثيرون يتكلمون عن الخلاص ولا خلاص إلا بدم المسيح. وأين نجد هذا الدم إلا فى الكأس كما قال هو بنفسه "**هذه الكأس هى العهد الجديد بدمى**" (لو٢٢: ٢٠، ١كو١١: ٢٥). لقد جعل السيد المسيح الكأس الحاوية لدمه هى العهد الجديد **وليس الدم بدون الكأس.** لأن الكأس هو الوسيلة التى تجعل دمه –الذى للعهد الجديد والذى سفك على الصليب– حاضراً ومتاحاً وفاعلاً فى حياتنا من خلال سر الإفخارستيا.

إننا كلما نحضر القداس الإلهى نستعد لمجيء الرب لأنه بالفعل يحضر وسطنا سرائرياً.

ما بين المجئ الأول و المجئ الثانى للسيد المسيح

نأتى الآن إلى تساؤل لماذا يختلف المجيء الأول للسيد المسيح عن مجيئه الثانى؟!

جاء السيد المسيح فى ظهوره الأول ليخلص العالم باعتباره هو الله الظاهر فى الجسد. ولكن كان ينبغى أن يخفى مجده المنظور لكى يكون من الممكن إتمام الفداء.

لو ظهر السيد المسيح فى ملء مجده لما احتمل البشر النظر إليه. فلا تلاميذه كان من الممكن أن يقتربوا منه ويتتلمذوا على يديه، ولا الأشرار من اليهود أو من الرومان كان من الممكن أن تمتد أيديهم إليه ليسمّروه على الصليب.

لقد أخلى الله الكلمة ذاته "آخذاً صورة عبد.. وإذ وُجد فى الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (فى ٢: ٧، ٨). هزم السيد المسيح كبرياء الشيطان بتواضعه وطاعته للآب السماوى.

كذلك حرر البشر من خطية الكبرياء، وعلّم تلاميذه: "تعلّموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم" (مت١١: ٢٩).

لقد أظهر لنا السيد المسيح أن فى الكبرياء ضعف، وفى التواضع قوة. لهذا تتغنى الكنيسة فى لحن أومونوجينيس "O` Monogenhc" الذى يقال فى الجمعة العظيمة، وفى تقديس الميرون، وفى سيامة الأب البطريرك وتقول { قدوس الله الذى أظهر بالضعف ما هو أعظم من القوة}.

ظهوره الثانى المخوف المملوء مجداً

أما المجيء الثانى فهو للدينونة فى نهاية العالم. لذلك فسوف يأتى السيد المسيح فى مجد أبيه مع ملائكته القديسين ويدين الجميع ويحاسب الأشرار على شرورهم.

لقد أعطاهم الفرصة للخلاص وانتهى زمان التوبة. وكما دفع ثمن الخطية على الصليب فسوف يأتى ليطالب بثمن الدم الذى سفكه حباً فى خلاصنا.

قال معلمنا بولس الرسول: "من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة. فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله وحسب دم العهد الذى قدّس به دنساً وازدرى بروح النعمة" (عب١٠: ٢٨، ٢٩).

فى المجيء الأول احتمل العار لأجلنا، وفى مجيئه الثانى سوف يطالبنا بثمرة محبته وإلا فسنحمل نحن عار أنفسنا. لذلك قيل فى مجيئه الثانى المخوف المملوء مجداً إن الأشرار سوف "يقولون للجبال والصخور اسقطى علينا وأخفينا عن وجه الجالس على العرش" (رؤ٦: ١٦).

وقيل فى نبوة زكريا النبى "فينظرون إلىّ الذى طعنوه" (زك١٢: ١٠).

بمعنى أنهم سيتعجبون من مجده العظيم بالرغم من أنه هو نفسه الذى طعنوه فى جنبه بالحربة ليتأكدوا من موته.

وقيل أيضاً فى مجيئه الثانى "تنوح جميع قبائل الأرض" (مت٢٤: ٣٠). بمعنى أن مجده المرهوب سوف يجعلهم يبكون على موقفهم قبالته، ينوحون لأنهم يرتعبون من مصيرهم بعد الشرور التى ارتكبوها.

وليس معنى هذا النوح أنهم شعروا بمشاعر التوبة الحقيقية عند مجيء الرب لأن الكتاب يقول: "ثم سكب الملاك الرابع جامه على الشمس، فأعطيت أن تحرق الناس بنار. فاحترق الناس احتراقاً عظيماً، وجدّفوا على اسم الله الذى له سلطان على هذه الضربات، ولم يتوبوا ليعطوه مجداً. ثم سكب الملاك الخامس جامه على عرش الوحش، فصارت مملكته مظلمة. وكانوا يعضون على ألسنتهم من الوجع. وجدّفوا على إله السماء من أوجاعهم ومن قروحهم، ولم يتوبوا عن أعمالهم" (رؤ١٦: ٨-١١). بمعنى أن الضربات التأديبية من الله على الأشرار لم تقتادهم إلى التوبة بل على العكس ازدادوا زيغاناً بالرغم من الآلام التى وقعت عليهم. لذلك فإن دينونتهم الأبدية هى نتيجة لعدم توبتهم لا بواسطة الحب والرفق من قبل الله ولا بواسطة التأديبات إذ قد استمروا فى عنادهم وعدم توبتهم مثل الشيطان.

لذلك يقول القديس يوحنا فى رؤياه: "وسمعت ملاك المياه يقول: عادل أنت أيها الكائن والذى كان والذى يكون، لأنك حكمت هكذا. لأنهم سفكوا دم قديسين وأنبياء، فأعطيتهم دماً ليشربوا، لأنهم مستحقون. وسمعت آخر من المذبح قائلاً: نعم أيها الرب الإله القادر على كل شئ حق وعادلة هى أحكامك" (رؤ١٦: ٥-٧).

وقال أيضاً: "وبعد هذا سمعت صوتاً عظيماً من جمع كثير فى السماء قائلاً: هللويا الخلاص والمجد والكرامة والقدرة للرب إلهنا. لأن أحكامه حق وعادلة، إذ قد دان الزانية العظيمة التى أفسدت الأرض بزناها، وانتقم لدم عبيده من يدها. وقالوا ثانية: هللويا ودخانها يصعد إلى أبد الآبدين" (رؤ١٩: ١-٣).

يدين المسكونة بالعدل

من الواضح أن يوم الدينونة هو يوم لاستعلان دينونة الله العادلة. بعد أن أطال أناته كثيراً على الخطاة لعله يقتادهم إلى التوبة.

فمن الواجب أن نحترس من قساوة القلب التى تمنع التوبة. فالكتاب يحذر الإنسان غير التائب قائلاً: "من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة" (رو٢: ٥).

ينبغى أن نتذكّر باستمرار أن لطف الله إنما يقتادنا إلى التوبة وأن نكون دائماً ساهرين على حياتنا الروحية مستعدين لاستقبال العريس كما أوصانا هو بنفسه.

النبوة التى وردت فى سفر ملاخى

سفر ملاخى وهو آخر أسفار العهد القديم. يتكلم فى آخر آيات منه عن مجيء الرب فيقول: "**هأنذا أرسل إليكم إيليا النبى قبل مجيء يوم الرب اليوم** العظيم والمخوف، فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتى وأضرب الأرض بلعن" (ملا٤: ٥-٦).

وفى بداية الأصحاح الرابع والأخير يقول: "**فهوذا يأتى اليوم المتقد كالتنور** وكل المستكبرين وكل فاعلى الشر يكونون قشاً ويحرقهم اليوم الآتى قال رب الجنود: فلا يبقى لهم أصلاً ولا فرعاً. ولكم أيها المتقون اسمى تشرق شمس البر والشفاء فى أجنحتها.. اذكروا شريعة موسى عبدى التى أمرته بها فى حوريب على كل إسرائيل الفرائض والأحكام" (ملا٤: ١، ٢، ٤).

إنها كلمات رائعة لأنه يتكلم عن المجيء الأول وعن المجيء الثانى فى نفس الوقت. فحينما يقول: "يوم الرب اليوم العظيم والمخوف" هذا يشير إلى المجيء الثانى بالأكثر لكن هذا لا يمنع أنه فى المجيء الأول أيضاً كان هناك يوم صلب السيد المسيح يوماً عظيماً ومخوفاً.

قال بطرس الرسول فى عظة يوم الخمسين: "**هذا ما قيل بيوئيل النبى يقول الله ويكون فى الأيام الأخيرة أنى أسكب من روحى على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً. وعلى عبيدى أيضاً وإمائى أسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون. وأعطى عجائب فى السماء من فوق وآيات على الأرض من أسفل دماً وناراً وبخار دخان، تتحول الشمس إلى ظلمة والقمر إلى دم قبل أن يجيء يوم الرب العظيم الشهير، ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص**" (أع٢: ١٦-٢١).

من الواضح هنا أنه يتكلم عن يوم الصليب لأنه يقول "تتحول الشمس إلى ظلمة" وهذا حدث بالفعل فى يوم الصلب.

وحينما يقول: "دماً وناراً وبخار دخان" فالدم كان هو دم السيد المسيح، والنار لأن السيد المسيح قدّم نفسه صعيدة ومحرقة على الصليب فتنسم رائحة ذبيحته أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة، فالدم والنار وبخار الدخان تشير إلى الصعيدة التى أُصعدت واشتمها الآب رائحة رضا وسرور.

ويقول معلمنا بولس الرسول فى (عب٩: ١٤) عن السيد المسيح: "الذى بروح أزلى قدّم نفسه لله بلا عيب". الروح الأزلى هو الروح القدس. وحينما أصعد السيد المسيح نفسه على الصليب بالروح القدس كان هذا هو معنى النار التى أصعدت الذبيحة.

لكن كما أن هذه الآيات تشير إلى المجيء الأول فإنها تشير إلى المجيء الثانى أيضاً. لأنه يقول عن **المجيء الثانى**: "**منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب** الذى به تنحل السماوات ملتهبة والعناصر محترقة تذوب" (٢بط٣: ١٢). وأيضاً "**سيأتى كلص فى الليل يوم الرب** الذى فيه تزول السماوات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها" (٢بط٣: ١٠).

فالمجيء الثانى سوف يكون مهوباً ومرهوباً ومخوفاً أكثر من الزلزلة التى حدثت فى وقت الصلب. إن ما حدث فى يوم الصلب كان مقدمة وإنذارًا لما سوف يحدث فى المجيء الثانى.

حينما رأى التلاميذ إيليا وموسى على جبل التجلى سألوا السيد المسيح "فلماذا يقول الكتبة إن إيليا ينبغى أن يأتى أولاً" (مت١٧: ١٠) رد السيد المسيح: "**إن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا**" (مت١٧: ١٢) "حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان" (مت١٧: ١٣).

وفى البشارة بميلاد يوحنا المعمدان قال الملاك إنه "يتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكى يهيئ للرب شعباً مستعداً" (لو١: ١٧). وما قاله الملاك عن يوحنا المعمدان هو ما ورد فى نبوة ملاخى "فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم لئلا آتى وأضرب الأرض بلعن" (ملا٤: ٦).

وعلى الرغم من أنه فى هذه الآية يؤكد على المجيء الثانى لكنها تشير رمزياً إلى المجيء الأول، **لأن يوحنا المعمدان كان يرمز إلى إيليا**، وكانت له شخصية وأسلوب إيليا، أو المواهب التى يمنحها الروح القدس للأنبياء.

إن إيليا النبى الذى صعد حياً إلى السماء سوف يأتى قبل مجيء الرب المخوف والمرهوب فى مجيئه الثانى. هو صعد حياً إلى ما قبل أزمنة رد كل شئ لأنه فى قصد الله أن يكون لإيليا وأخنوخ رسالة معينة فى مسلسل العمل الإلهى بواسطة قديسيه.

إن هذا التداخل –إذا صح هذا التعبير– بين العهد القديم والعهد الجديد هو أمر رائع. **فقد نقل الله اثنين من أنبياء العهد القديم المميزين وحفظهم عنده فى السماء أحياءً ليدخلهم فى نسيج العمل الروحى والتدبير الخاص بمقاصد الله فى حياة الكنيسة فى العهد الجديد.** وسوف تتضح الصورة فى النهاية حينما تكتمل الأحداث.

الله يأخذ من أنبياء العهد القديم للعمل فى العهد الجديد، **لأنه هو إله العهدين**، ولأنه يريد أن يعرفنا أن شهادة يسوع هى روح النبوة، كما قال بطرس الرسول: "الخلاص الذى فتّش وبحث عنه أنبياء. الذين تنبأوا عن النعمة التى لأجلكم، باحثين أى وقت أو ما الوقت الذى كان يدل عليه روح المسيح الذى فيهم إذ سبق فشهد بالآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعدها، الذين أعلن لهم أنهم ليس لأنفسهم بل لنا كانوا يخدمون بهذه الأمور التى أخبرتم بها أنتم الآن بواسطة الذين بشروكم فى الروح القدس المرسل من السماء، التى تشتهى الملائكة أن تطلع عليها" (١بط١: ١٠-١٢).

أتى يوحنا المعمدان كشاهد على مسح السيد المسيح وعمّده فى نهر الأردن. كان هذا كاهناً من نسل هارون، لكنه كان شاهداً لاستعلان المسيا فى يوم الظهور الإلهى. وقال: "الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى الذى ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس. وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله" (يو١: ٣٣-٣٤).

موسى وإيليا على جبل التجلى

هذا عن يوحنا المعمدان لكنه شئ جميل أن نرى موسى وإيليا هما أيضاً على جبل التجلى، واحد أتى بالروح والآخر روحاً وجسداً لأنه لازال حياً إلى الآن. جاءا ليتكلما مع السيد المسيح أمام ثلاثة من الآباء الرسل عن صلبه وتدبير الفداء والخلاص. كانت زيارة من جوف التاريخ لمعايشة الحدث فى روعته فى حالة من التجلى مع صوت الآب والسحابة النيرة.

قيامة أجساد الراقدين ودخولهم أورشليم

هذه الزيارات من العهد القديم هى شئ فى منتهى الروعة. ويصل الموقف إلى ذروة الروعة حينما "قام كثير من أجساد القديسين الراقدين" (مت ٢٧: ٥٢) فى يوم قيامة السيد المسيح من الأموات بعد أن تمم الفداء "**ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين**" (مت٢٧: ٥٣).

لكى يعلنوا إنهم نقلوا من الجحيم إلى الفردوس وإنهم يأتون الآن بالجسد والروح لكى يشهدوا للمخلص المسيح إنه رب القيامة ورب الحياة، قيامتهم المؤقتة جاءت كعربون ومقدمة للقيامة العامة فى اليوم الأخير، لكى نعرف أن الراقدين بيسوع سيحضرهم أيضاً معه، كشهادة حية ملموسة لقيامة الأبرار، لئلا يظن أحد أن المسيح فقط هو الذى قام. جاء

هؤلاء ليشهدوا "بالحياة الأبدية التى كانت عند الآب وأظهرت لنا" (١يو١: ٢). وكأن الزمن قد اجتمع فى نقطة واحدة. هذا نوع آخر من الاختراق من العهد القديم فى العهد الجديد.
إن هذا التلاشى للفوارق الزمنية يعطينا فكرة عن خروجنا خارج دائرة الزمن حينما يأتى المسيح فى مجيئه الثانى ويأخذنا لنحيا معه فى الأبدية.
الزيتونتان والمنارتان

تكلّمنا عن يوحنا المعمدان كحلقة اتصال بين العهدين وعن التجلى وعن قيامة القديسين الذين شهدوا بالقيامة. والآن نتأمل فى الإصحاح الحادى عشر من سفر الرؤيا:
"**وسأعطى لشاهدىّ فيتنبآن** ألفاً ومئتين وستين يوماً لابسين مسوحاً. **هذان هما الزيتونتان والمنارتان** القائمتان أمام رب الأرض. وإن كان أحد يريد أن يؤذيهما، تخرج نار من فمهما وتأكل أعداءهما، وإن كان أحد يريد أن يؤذيهما، فهكذا لابد أنه يقتل. هذان لهما السلطان أن يغلقا السماء حتى لا تمطر مطراً فى أيام نبوتهما ولهما سلطان على المياه أن يحوّلاها إلى دم وأن يضربا الأرض بكل ضربة كلما أرادا. ومتى تمما شهادتهما فالوحش الصاعد من الهاوية سيصنع معهما حرباً ويغلبهما ويقتلهما" (رؤ١١: ٣-٧).
هناك إشارات تدل على أن أحد المذكورين فى هذا الأصحاح هو إيليا النبى، لأن إيليا كان له سلطان أن يجعل السماء لا تمطر مطراً فى أيام نبوته، ونزلت نار من السماء وأكلت أفواج الجنود الذين أرسلهم الملك إليه فى كبرياء. والدليل على أنهما إيليا وأخنوخ أنه قيل "هذان هما الزيتونتان والمنارتان القائمتان أمام رب الأرض". فإيليا وأخنوخ هما الأحياء والقائمين أمام رب الأرض. وأيضاً ذكر أنهما لابسين مسوحاً وهذا ما نعرفه عن إيليا النبى. أما أخنوخ فلا نعرف عنه الكثير، فقد ذكر عنه الكتاب "وسار أخنوخ مع الله ولم يوجد لأن الله أخذه" (تك٥: ٢٤). لكن ذكر فى رسالة يهوذا أن له نبوة تدل على قوته فقيل "وتنبأ عن هؤلاء أيضاً أخنوخ السابع من آدم قائلاً: هوذا قد جاء الرب فى ربوات قديسيه ليصنع دينونة على الجميع ويعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التى فجروا بها وعلى جميع الكلمات الصعبة التى تكلم بها عليه خطاة فجار" (يه١٤، ١٥). وهو هنا يتكلم عن المجيء الثانى والنبوة أيضاً تشير إلى المجيء الأول لأن المجيء الأول فيه أيضاً ملامح للدينونة مع أنه مجيء للخلاص. فقد قيل عن الروح القدس إنه "يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة" (يو١٦: ٨).
إن دخول أخنوخ وإيليا إلى صراع الكنيسة ضد الوحش قرب نهاية الأيام هو تدبير إلهى عجيب يتواصل فيه العهد القديم مع العهد الجديد لأن الرب نفسه هو إله العهدين ولابد أن من بقى حياً من العهد القديم أن ينال بركات العهد الجديد. ويحيا بمقتضى شريعة الكمال ويجاهد مع الكنيسة المفتداه بدم الحمل.

هل يتباطأ الرب عن موعد مجيئه ؟

عالج القديس بطرس الرسول مشكلة الذين يعتبرون أن الرب قد تباطأ عن موعد مجيئه فقال إنه "سيأتى فى آخر الأيام قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات أنفسهم، وقائلين: أين هو موعد مجيئه لأنه من حين رقد الآباء كل شئ باقٍ هكذا من بدء الخليقة.. ولكن لا يخفَ عليكم هذا الشئ الواحد أيها الأحباء: أن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد. **لا يتباطأ الرب عن وعده كما يحسب قوم التباطؤ، لكنه يتأنى علينا وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة.** ولكن سيأتى كلص فى الليل يوم الرب الذى فيه تزول السماوات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها" (٢بط ٣: ٣، ٤، ٨-١٠).

الله فوق الزمن

بالطبع لا أحد يعرف متى سيحدث المجيء الثانى حتى بطرس الرسول نفسه الذى أوحى إليه الروح القدس بكتابة هذه التعاليم، من الواضح أنه يتكلم عن مبادئ وليس عن أوقات. بدليل قوله كما أوردنا: "أن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة، وألف سنة كيوم واحد" وهذا شئ طبيعى لأن الله فوق الزمن أى غير زمنى وحاضر فى كل زمان كما أنه حاضر فى كل مكان.

وقد كتب الشاعر الفرنسى دى لامارتين عبارة جميلة قال فيها: [إن كينونة يهوه لا تقاس بالشهور والأيام، فيومه يوم أزلى وهو الكائن على الدوام].

ويقول القديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات فى قداسه المشهور مخاطباً ابن الله الوحيد: {أنت الكائن فى كل زمان أتيت إلينا على الأرض أتيت إلى بطن العذراء}.

وكتب القديس يوحنا الإنجيلى فى رؤياه عن الله الكلمة: "أنا هو الألف والياء، البداية والنهاية يقول الرب الكائن والذى كان والذى يأتى، القادر على كل شئ" (رؤ ١: ٨). بمعنى أن الرب كائن فى الماضى وفى الحاضر وفى المستقبل الذى يأتى. لأن الرب لا يعبر زمناً بل نحن الذين نذهب إليه عبر الزمان لنجده فى انتظارنا فى الأبدية.

أما عن مجيئه الثانى فيقول: "**وها أنا آتى سريعاً وأجرتى معى** لأجازى كل واحد كما يكون عمله. أنا الألف والياء، البداية والنهاية، الأول والآخر" (رؤ٢٢: ١٢،١٣). فإن مجيئه بالجسد الممجد الذى صنع به الخلاص لأجلنا هو للدينونة فى اليوم الأخير، ولكى يأخذ قديسيه ويدخل بهم إلى المجد.

وقد لخّص الله الكلمة مفهوم كينونته الدائمة غير المحدودة بزمان عند ظهوره لموسى فى صورة نار مشتعلة فى عليقة، والعليقة لا تحترق، إذ قال لموسى حينما سأله عن اسمه "أهيه الذى أهيه" (خر٣: ١٤) أى "أكون الذى أكون" بمعنى الكائن على الدوام أو الكائن الذى هو كائن أى الكائن الضرورى فوق حدود الزمان والمكان..

طالبين سرعة مجيء يوم الرب

بالرغم من أن القديس بطرس الرسول قد أوضح –كما أوردنا– أن الرب فى مجيئه الثانى لا يشاء أن يهلك إنسان، بل أن يقبل الجميع إلى التوبة. بمعنى أنه يطيل أناته على العالم بصورة تؤكد عدم تسرعه فى إهلاك الناس الذين يتجاهلون الدينونة العتيدة أن تأتى على العالم. كما أنه يعطى فرصة للمجاهدين ليكملوا جهادهم ولأصحاب الرسالة الروحية أن يكملوا رسالتهم.. إلا أن القديس بطرس من جانب آخر يحث المؤمنين أن ينتظروا وأن يطلبوا سرعة مجيء يوم الرب كعلامة لاشتياقهم للقاء العريس وتقديرهم لروعة الملكوت المعد للقديسين.

إن من يسلك فى حياة التوبة وفى حياة القداسة لابد أن تتطلع روحه باشتياق لمجيء السيد المسيح. كذلك فإن انتظار مجيء الرب هو من علامات حياة الاستعداد المؤكدة.

لهذا قال بطرس الرسول بعدما تكلم عن زوال السماوات واحتراق الأرض والمصنوعات التى فيها "فبما أن هذه كلها تنحل، أى أناس يجب أن تكونوا أنتم فى سيرة مقدسة وتقوى؟ منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب، الذى به تنحل السماوات ملتهبة، والعناصر محترقة تذوب" (٢بط٣: ١٢،١١).

نبوة بالروح القدس

لم يكن ممكناً فى العصر الذى كتب فيه القديس بطرس رسالته الثانية أن يوجد من يفهم معنى الانفجار النووى وتحطيم الذرة. ولكن القديس بطرس أورد أقوالاً لا يمكن تفسيرها عملياً إلا فى ضوء المكتشفات العلمية الحديثة فى عالم العناصر والذرات المكونة لها.

قال بطرس الرسول: "ولكن سيأتى كلص فى الليل يوم الرب الذى فيه تزول السماوات بضجيج وتنحل العناصر محترقة وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها" (٢بط٣: ١٠). وقال أيضاً: "تنحل السماوات ملتهبة، والعناصر محترقة تذوب".

إن انحلال العناصر واحتراقها بضجيج هو أمر غير ممكن إلا عن طريق انشطار نواة الذرة للعنصر وهو الأمر الذى لا يتحقق إلاّ فى التفجيرات والتفاعلات النووية وهو ما لم يكن ممكناً فى عصر بطرس الرسول.

كذلك فإن احتراق العناصر لم يكن أمراً ممكناً فى عصر القديس بطرس الرسول. كيف يحترق الحديد أو ينحل؟ كيف يحترق الذهب أو ينحل؟ كيف يحترق الكالسيوم أو ينحل؟ وكيف تحترق الأحجار والصخور وكيف تنحل؟.. كل ذلك من الممكن أن يحدث بواسطة التفجيرات النووية التى تنحل بواسطتها العناصر محترقة وينتج عن ذلك ضجيج هائل مدوى وطاقة حرارية وإشعاعات مروعة.

حينما قال القديس بطرس عن الأجرام السماوية إنها سوف تنحل بضجيج ملتهبة فإن الروح القدس هو الذى أوحى إليه بهذه الكلمات التى لا تناسب على الإطلاق عصره البسيط.

العلامات التى تسبق المجئ الثانى

سوف نعرض لسبع علامات بارزة تسبق المجيء الثانى للسيد المسيح، ثم نأتى بعد ذلك إلى أحداث المجيء الثانى نفسها؛ وهى تتضمن أيضاً علامات أخرى تصاحب هذا المجيء وتميزه عن أى مجيء آخر مزعوم مثل ما يدّعيه الأدفنتست وشهود يهوه. ومن العلامات التى تسبق المجيء الثانى ما يلى:

أولاً: انتشار الإنجيل فى كل العالم

قال السيد المسيح: "ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شهادة لجميع الأمم. ثم يأتى المنتهى" (مت٢٤: ١٤). ونستطيع أن نقول إن هذا قد تحقق فى قارات العالم، ولنا الآن كنائس فى أفريقيا وفى أمريكا الجنوبية وكل أنحاء أستراليا إلى جوار الكنائس المنتشرة فى باقى أنحاء العالم، وإلى جوار الكنائس الشقيقة القديمة والكنائس التى انتشرت قبل عصر الانشقاق مثل كنائس أوروبا وآسيا وغيرها.

ومما يسعدنا أن قداسة البابا شنودة الثالث قد اهتم جداً بكل كنائس القارات الجديدة. يُضاف إلى ذلك أن الإنجيل قد طُبع حالياً بما يزيد عن ١٥٠٠ لغة من لغات العالم، ولم يعد هناك إنسان لا يمكنه قراءة الكتاب المقدس- خاصة العهد الجديد- بلغته الخاصة أو على الأقل أن يستمع إلى من يقرأه له إن كان لا يعرف القراءة.

ومن الأمور الجميلة أيضاً أن طقوس الكنيسة القبطية قد تُرجمت إلى لغات عديدة حتى لغات الكوسا والزولو فى أفريقيا. وبلا شك إلى لغات الشعوب التى توجد فيها لنا كنائس مثل بحر الكاريبى وغيرها. هذا إلى جوار أن الكنائس التى أسستها الكنيسة القبطية قديماً فى أفريقيا فى إريتريا والحبشة قد استخدمت اللغة التجرينية ولغة الجيئز إلى جوار اللغة الأمهرية.

يضاف إلى ذلك أن كتابات قداسة البابا شنودة الثالث قد تُرجمت إلى كثير من لغات العالم المعاصر مثلما تُرجمت كتابات الآباء الأولين أمثال القديسين أثناسيوس الرسولى وكيرلس عامود الدين.

وتحقق فى انتشار الإنجيل بهذه الصورة كلام السيد المسيح الذى أشرنا إليه وتحققت النبوة الواردة فى سفر المزامير والتى ذكرها معلمنا بولس الرسول: "إلى جميع الأرض خرج صوتهم وإلى أقاصى المسكونة أقوالهم" (رو١٠: ١٨). ولكن هناك علامات أخرى وردت فى كتاب العهد الجديد لا يمكننا أن نقول إنها تحققت بعد، لذلك نستكمل باقى العلامات التى تسبق المجيء الثانى.

ثانياً: إيمان اليهود

لقد رفضت الأمة اليهودية -من الناحية الرسمية- السيد المسيح وأسلمته إلى الرومان مطالبة بصلبه. لذلك قال القديس يوحنا الإنجيلى "إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله" (يو١: ١١).

وقال اليهود وقت صدور الحكم على السيد المسيح بالصلب: "دمه علينا وعلى أولادنا" (مت ٢٧: ٢٥). استمرت أجيال الأمة اليهودية تتحمل وزر صلب السيد المسيح إلى يومنا هذا. وزادوا فى غيّهم وشرّدوا سكان الأراضى المقدسة من ديارهم، سفكوا دماءً كثيرة ومازالوا يصارعون من أجل مملكة أرضية رفضها السيد المسيح ومن أجل هيكل قال عنه السيد المسيح إنه لا يترك فيه "حجر على حجر لا ينقض" (مت٢٤: ٢، مر١٣: ٢، لو٢١: ٦).

إنهم يبكون عند حائط المبكى (وهو من بقايا سور هيرودس) لا على خطية صلبهم للسيد المسيح، ولكن على مجدهم الذى فقدوه. ولم يكتشفوا أن غضب الرب عليهم وهدم الهيكل وتشريدهم فى الأرض قرابة ألفى عام، وتوقفهم عن تقديم الذبائح كان بسبب نهاية العهد القديم ولسبب صلبهم للسيد المسيح وهو الذبيحة الحقيقية التى أبطلت كل الذبائح القديمة.

ليتهم يتوبون فيكفوا عن الصراع وسفك الدماء ويرجعوا إلى الرب ويعترفوا بالمسيح ملكاً سمائياً وبصليبه عرشاً مقدساً لخلاصهم، وبمذبح العهد الجديد وبذبيحة الخبز والخمر على طقس ملكى صادق مذبحاً للرب فى وسط أرض مصر وفى كل أنحاء العالم.

إن إيمان اليهود سيحل كثيراً من المشاكل الدينية والسياسية الناشئة عن رفضهم الاعتراف بيسوع أنه هو المسيح. ولنا فى شهادة الكتب المقدسة فى العهدين القديم والجديد ما يوضح أنهم سوف يؤمنون قبل نهاية العالم.

فى نبوة هوشع النبى يقول: "لأن بنى إسرائيل سيقعدون أياماً كثيرة بلا ملك وبلا رئيس وبلا ذبيحة.. بعد ذلك يعود بنو إسرائيل ويطلبون الرب إلههم وداود ملكهم ويفزعون إلى الرب وإلى جوده فى آخر الأيام" (هو٣: ٤، ٥). والمقصود بداود هو المسيح لأن داود كان قد مات وقتما كتب هوشع نبوته.

وفى رسالة معلمنا بولس الرسول إلى أهل رومية يقول "فإنى لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا هذا السر، لئلا تكونوا عند أنفسكم حكماء. أن القساوة قد حصلت جزئياً لإسرائيل إلى أن يدخل مِلؤُ الأمم. وهكذا سيخلص جميع إسرائيل" (رو١١: ٢٥، ٢٦).

ثالثاً: النهضة الروحية

أشار القديس بولس الرسول إلى النهضة الروحية التى ستصاحب توبة اليهود وإيمانهم بالمسيح وانتهاء النزاعات بينهم وبين الآخرين فقال: "إن كان رفضهم هو مصالحة العالم، فماذا يكون اقتبالهم إلا حياة من الأموات" (رو١١: ١٥).

ما هذه الحياة من الأموات التى ستصاحب إيمان اليهود إلا نهضة روحية تعم العالم المسيحى وتدعو الجميع إلى التوبة. والقديس بولس يقصد هنا أن رفض اليهود للمسيح قد أدى إلى اتجاه الرسل إلى الكرازة بالإنجيل للأمم الذين كان لا علاقة لهم بإبراهيم وإسحق ويعقوب وفى هذا خير كبير للأمم فكم بالحرى يكون قبولهم للمسيح إلا مزيد من الخير لهذه الأمم.

رابعاً: ظهور الوحش

فى الأيام الأخيرة سيُحَل الشيطان من سجنه كقول الكتاب "**ثم متى تمت الألف السنة يُحل الشيطان من سجنه، ويخرج ليضل الأمم الذين فى أربع زوايا الأرض**" (رؤ٢٠: ٧، ٨). وكان الشيطان قد تم تقييده حينما صنع السيد المسيح الفداء لمدة ألف سنة. ورقم ألف سنة يشير إلى زمن طويل وليس إلى حرفية الرقم لأن الفداء قد تم منذ ما يقرب من ألفى سنة. وقد ذكر الكتاب تقييد الشيطان كما يلى: "ورأيت ملاكاً نازلاً من السماء معه مفتاح الهاوية، وسلسلة عظيمة على يده. فقبض على التنين، الحية القديمة، الذى هو إبليس والشيطان، **وقيده ألف سنة**، وطرحه فى الهاوية وأغلق عليه، وختم عليه لكى لا يضل الأمم فى ما بعد، حتى تتم الألف السنة. **وبعد ذلك لابد أن يُحل زماناً يسيراً**" (رؤ٢٠: ١-٣).
عن هذه الفترة القصيرة التى سيُحَل فيها الشيطان من سجنه قبل نهاية العالم قيل فى الكتاب "ويل لساكنى الأرض والبحر، لأن إبليس نزل إليكم وبه غضب عظيم، **عالماً أن له زماناً قليلاً**" (رؤ١٢: ١٢).
معنى ذلك أنه قبل نهاية العالم بفترة قصيرة نسبياً سوف ينال الشيطان قدرة على فعل الضلال بصورة أقوى بكثير من سابقتها، بعد أن قيده السيد المسيح بعملية الفداء. وأبرز ما ذكره الكتاب من حيل الضلال التى سوف يأتى بها الشيطان هو ظهور الوحش الذى هو إنسان، سوف يكون مجيئه بعمل الشيطان ومعه قدرات كبيرة لصنع معجزات كاذبة مدّعياً أنه هو الإله الحقيقى والمسيح الحقيقى الذى انتظر اليهود مجيئه من قبل. وهنا يبدأ عصر الارتداد مع أناس غير الذين آمنوا ونالوا الخلاص حسب قول معلمنا بولس الرسول: "وهكذا سيخلص جميع إسرائيل" (رو١١: ٢٦).

أما مرحلة الارتداد التى تسبق مجيء السيد المسيح فقال عنها: "**لا يأتى (يقصد المسيح) إن لم يأتِ الارتداد أولاً ويستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك** المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهاً أو معبوداً، حتى إنه يجلس فى هيكل الله كإله مظهراً نفسه أنه إله.. الذى مجيئه بعمل الشيطان، بكل قوة، وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم، فى الهالكين، لأنهم لم يقبلوا محبة الحق حتى يخلصوا. ولأجل هذا

سيُرسل إليهم الله عمل الضلال، حتى يصدِّقوا الكذب، لكى يدان جميع الذين لم يصدّقوا الحق بل سُرّوا بالإثم" (٢تس٢: ٣، ٤، ٩-١٢).

هذا الوحش هو إنسان ولكن سوف يكون مؤيداً بقوة الشيطان. والدليل على أنه إنسان هو قول الكتاب "**هنا الحكمة من له فهم فليحسب عدد الوحش، فإنه عدد إنسان، وعدده: ستمئةٍ وستةٌ وستون" (رؤ١٣: ١٨).**

فى اللغة العربية مثلاً عندما نحسب عدد اسم إنسان فإننا نرتب الحروف على طريقة أ ب ج د هـ و ز ح ط ى ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت.." فالحرف "أ" يقابله رقم (١)، والحرف "ب" يقابله رقم (٢)، وهكذا إلى الحرف "ى" يقابله رقم (١٠)، ومن بعده مباشرة الحرف "ك" يقابله رقم (٢٠)، وهكذا إلى الحرف "ق" يقابله الرقم (١٠٠)، ومن بعده مباشرة الحرف "ر" يقابله الرقم (٢٠٠) وهكذا..

وفى اللغة اليونانية تتبع نفس الطريقة للأبجدية اليونانية: ألفا، بيتا، جاما (غما)، دلتا.. الخ. وفى اللغة العبرية تستخدم طريقة مشابهة، وهكذا يتم حساب أرقام الحروف المكوِّنة للاسم ويتم جمعها لحساب عدد كل إنسان. وعدد الوحش هو ٦٦٦ (انظر رؤ١٣: ١٨). ويمكننا أن نتأكد من شخصيته عندما يظهر بحساب رقم اسمه فى ذلك الحين.

خامساً: الارتداد العام

نتيجة ظهور الوحش والعجائب التى سيجريها بقوة الشيطان فإنه سيضل الساكنين على الأرض حتى يصدقوا أنه هو المسيح "ويصنع آيات عظيمة، **حتى إنه يجعل ناراً تنزل من السماء على الأرض قدام الناس،** ويضل الساكنين على الأرض بالآيات التى أعطى أن يصنعها" (رؤ١٣: ١٣، ١٤)

لهذا قال السيد المسيح محذراً: "إن قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا" (مت٢٤: ٢٣).

ولكن للأسف سيتبع كثيرون تهلكات الوحش، ويعبدونه كما هو مكتوب "وأعطى أن يعطى روحاً لصورة الوحش، حتى تتكلم صورة الوحش، ويجعل جميع الذين لا يسجدون لصورة الوحش يُقتلون. ويجعل الجميع: الصغار والكبار، والأغنياء والفقراء، والأحرار والعبيد، تصنع لهم سمة على يدهم اليمنى أو على جبهتهم، وأن لا يقدر أحد أن يشترى أو يبيع، إلا من له السمة أو اسم الوحش أو عدد اسمه" (رؤ١٣: ١٥-١٧). عدد اسم الوحش هو ٦٦٦ كما ذكرنا وهو يشير إلى رقم ستة ثلاث مرات، **ورقم ستة هو سبعة ناقص واحد أى ما ينقص عن الراحة. أما عدد ثمانية فهو سبعة زائد واحد أى ما يزيد على الراحة.** لهذا فإن **رقم ثمانية يرمز إلى السيد المسيح وقيامته وعهده الجديد. ويرمز إلى يوم الأحد أى يوم الرب فى بداية الأسبوع الجديد.**

فالوحش يعمل ضد الثالوث القدوس لكى يحرم الناس من الأبدية. أما السيد المسيح فيعمل بقوة الثالوث القدوس أى بقوته مع أبيه الصالح والروح القدس لكى يمنح الناس الأبدية. **لذلك يرمز البعض إلى اسم السيد المسيح برقم ٨٨٨.**

فى فترة الإرتداد العام سيحدث اضطهاد عظيم على الكنيسة، أى على كل جماعة القديسين، ويقتل الوحش كثيرين منهم. ويرسل الله النبيين أخنوخ وإيليا لمساعدة الكنيسة فى صراعها ضد الوحش.

سادساً: عودة أخنوخ وإيليا إلى الأرض

جاء ذلك فى سفر الرؤيا إذ قال الرب: "وسأعطى لشاهدى فيتنبآن ألفاً ومئتين وستين يوماً لابسين مسوحاً. هذان هما الزيتونتان والمنارتان القائمتان أمام رب الأرض. وإن كان أحد يريد أن يؤذيهما تخرج نار من فمهما وتأكل أعداءهما وإن كان أحد يريد أن يؤذيهما فهكذا لابد أنه يقتل. هذان لهما السلطان أن يُغلقا السماء حتى لا تمطر مطراً فى أيام نبوتهما ولهما سلطان على المياه أن يحولاها إلى دم وأن يضربا الأرض بكل ضربة كلما أرادا. ومتى تمما شهادتهما فالوحش الصاعد من الهاوية سيصنع معهما حرباً ويغلبهما ويقتلهما. وتكون جثتاهما على شارع المدينة العظيمة التى تدعى روحياً سدوم ومصر حيث صلب ربنا أيضاً" (رؤ١١: ٣-٨).

من المنطقى طبعاً أن يكون بقاء أخنوخ وإيليا فى السماء أحياء حتى الآن هو لغرض الشهادة للمسيح فى مرحلة حساسة من تاريخ الكنيسة. ومن المنطقى أن ينالا إكليل الشهادة لأنه قد "وُضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة" (عب٩: ٢٧). ومن الطبيعى أن تتحقق نبوة ملاخى النبى الذى كتب قول الرب: "هأنذا أرسل إليكم إيليا النبى قبل مجيء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف" (ملا٤: ٥).

فكما جاء يوحنا المعمدان متقدماً أمام الرب فى مجيئه الأول بروح إيليا وقوته ثم صار شهيداً للحق، هكذا سيأتى إيليا نفسه متقدماً أمام الرب فى مجيئه الثانى المهوب والمخوف ويصير شهيداً مع أخنوخ.

لم يكن يوحنا المعمدان هو إيليا شخصياً بل يرمز إلى إيليا وقد جاء بنفس القوة الروحية التى لإيليا ونفس الأسلوب.

أما إيليا نفسه فقد ظهر مع السيد المسيح فى مجد على جبل التجلى مع موسى النبى وكانا يكلمانه عن الخلاص الذى كان عتيداً أن يصنعه فى أورشليم.

ولو كان يوحنا المعمدان هو نفسه إيليا فى تجسد جديد كما يدّعى أصحاب بدعة "عودة التجسد" Reincarnation لظهر يوحنا المعمدان على جبل التجلى وليس إيليا على اعتبار أنه هو آخر صورة يكون قد تجسد فيها. ولكن المسيحية المستقيمة الرأى ترفض هذه البدعة تماماً.

سابعاً: الضيق العظيم

سأل التلاميذ السيد المسيح على انفراد قائلين: "قل لنا متى يكون هذا؟ وما هى علامة مجيئك وانقضاء الدهر؟" (مت٢٤: ٣). فأجابهم السيد المسيح قائلاً لهم: "انظروا. لا يضلكم أحد، فإن كثيرين سيأتون باسمى قائلين: أنا هو المسيح! ويضلون كثيرين. وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب. انظروا لا ترتاعوا. لأنه لابد أن تكون هذه كلها، **ولكن ليس المنتهى بعد.** لأنه تقوم أمة على أمة، ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن. ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع" (مت٢٤: ٤-٨).

إن مقدمات نهاية العالم هذه التى تكلّم عنها السيد المسيح ولقّبها بلقب "**مبتدأ الأوجاع**" لا تنطبق على مرحلة ظهور الوحش الذى سيدّعى أيضاً أنه هو المسيح ويضل غالبية العالم فى موجة الارتداد العام التى قال عنها بولس الرسول "لا يأتى (يقصد السيد المسيح) إن لم يأت **الارتداد** أولاً ويستعلن إنسان الخطية ابن الهلاك" (٢تس٢: ٣).

فى مبتدأ الأوجاع سوف يظهر أنبياء كذبة ناسبين إلى أنفسهم اسم المسيح، وسوف تحدث اضطهادات على الكنيسة ولكن ليس المنتهى بعد.

كذلك الحروب والزلازل والأوبئة لا تعنى أن نهاية العالم قد أتت لأن النهاية لها مواصفات أخرى تحدّث عنها السيد المسيح وسوف تظهر هذه الأمور بعد تحقق المراحل الخمسة السابقة التى تحدثنا عنها. أما المرحلة السادسة فهى ضمن الأحداث التى تصاحب نهاية العالم أثناء الضيق العظيم.

الضيق العظيم قال عنه السيد المسيح: "لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن ولن يكون" (مت٢٤: ٢١).

وأكمل السيد المسيح كلامه قائلاً: "ولو لم تقصّر تلك الأيام لم يخلص جسد. ولكن لأجل المختارين تقصّر تلك الأيام"(مت٢٤: ٢٢).

إذن من مواصفات المرحلة الأخيرة التى تسبق مجيء السيد المسيح أن الضيق الذى فيها لا يشابه ما سبق من ضيقات. فمثلاً عبرت على الكنيسة ضيقات شديدة فى العصر الرسولى وما بعده، واضطهد اليهود ومن بعدهم الأباطرة الوثنيون الآباء الرسل ومن جاءوا بعدهم حتى سال الدم أنهاراً فى عصور الاستشهاد فى أنحاء كثيرة من العالم مثل مصر وأورشليم وأنطاكية وروما وأرمينيا والهند. فى تلك الآونة استشهد مارجرجس والقديس مرقوريوس والقديسة دميانة مع راهباتها الأربعين والقديس مارمينا والقديسة

كاترينا والقديس أبانوب وكثير من القديسين والقديسات ومن قبلهم القديس اسطفانوس وأحد عشر رسولاً والقديس بولس الرسول.. كان المسيحيون أحياناً يُساقون إلى ساحات الاستشهاد ليكونوا طعاماً للأسود الجائعة ويعذَّبون بالحديد المحمى فى النار وسائر أنواع العذاب التى تقشعر لها الأبدان.
وسوف تتكرر هذه الأمور قبل نهاية العالم، ولكن **كل هذا وذاك لا يُقارن بالضيق العظيم** الذى تكلم عنه السيد المسيح والذى لم يكن مثله منذ ابتداء العالم.

إن الوحش حينما يأتى لن يستطيع أحد أن يقهر سلطانه المدمر إلا بظهور السيد المسيح نفسه مثبتاً بهذا أن الشيطان حينما ينال حريته ويُحَل من سجنه فلن يتراجع عن شروره المريعة، بل سوف يتزايد فى عداوته للكنيسة. وسوف تعاين الخليقة العاقلة كلها جسامة وخطورة أن يُحَل الشيطان من سجنه لأنه لا يمكن أن يتوب لا بالسجن ولا بالحرية. هو شر لا يُضبَط إلا بالدينونة الأبدية. ولذلك فسوف تصرخ الخليقة كلها قائلة للرب الحاكم العادل "عادلة وحق هى طرقك يا ملك القديسين" (رؤ١٥: ٣). لن يوجد فيما بعد من يتعاطف مع الشيطان مثل أوريجانوس ويقول أن الشيطان من الممكن أن يخلص لأن هذا منتهى الضلال. بل سوف تردد الأبدية أصداء هذه الأنشودة أن الرب عادل هو، وأن "العدل والحق قاعدة كرسيك" (مز٨٩: ١٤). وبذلك يصبح الجو مهيئاً لاستعلان الدينونة الأبدية وانقضاء الدهر.
إن شهود يهوه والسبتيين يستكثرون على الرب مثل أوريجانوس أن يحكم بالعذاب الأبدى على الأشرار. ولكن الرب يكون قد فعل أكثر مما يمكن أن نفتكر فى طول أناته على الشيطان وجنوده وكل من له شركة معه فى الظلمة.

لا يوجد حل للشر إلا أن يلقى فى الظلمة الخارجية والدينونة الأبدية فى جهنم. **ولا يمكن إبطال شر الوحش ومن يقويه إلا بظهور مخلصنا يسوع المسيح.**
سوف يعرف الجميع أنه بدون المسيح لا يمكن أن يخلص جسد "لو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد" (مت٢٤: ٢٢).

لهذا قال معلمنا بولس الرسول إن الرب سوف يأتى ليبيد شر الوحش "الأثيم الذى الرب يبيده بنفخة فمه، ويبطله بظهور مجيئه. الذى مجيئه بعمل الشيطان، بكل قوة، وبآيات وعجائب كاذبة، وبكل خديعة الإثم، فى الهالكين" (٢تس٢: ٨-١٠). لقد وعد الرب وقال: "لا يدعكم تُجرَّبون فوق ما تستطيعون، بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ" (١كو١٠: ١٣).

فـلا ينبغـى أن نفـزع مـن الحـديث عـن نهايـة العـالم لأن هنـاك علامـات لـم تتحقـق بعـد سـوف تسـبق الضـيق العظـيم. وحتـى أحبـاء الـرب الـذين سـوف يعايشـون الأيـام الأخيـرة، لاشـك أن الـرب سـوف يـؤازرهم لكـى لا يهلـك المختـارون. لأن الـرب وعـد وقـال عـن خرافـه: "**أنـا أعطيهـا حيـاة أبديـة ولـن تهلـك إلـى الأبـد، ولا يخطفها أحد من يدى**" (يو ١٠: ٢٨).

علينـا فقـط أن نحيـا فـى التوبـة والاسـتعداد طـالبين سـرعة مجيئـه، حتـى ولـو كـان المنتهـى لـم يـأتِ بعـد ولكـن هنـاك أشـواقًا فـى قلـوب القديسـين نحـو اسـتعلان ملكـوت السـماوات. وهـذا الاشـتياق موجـود فـى قلـوب حتـى الذين رقدوا على رجاء القيامة.

أحداث المجيء الثانى

قال السيد المسيح لتلاميذه: "وللوقت بعد ضيق تلك الأيام **تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السماوات تتزعزع. وحينئذ تظهر علامة ابن الإنسان فى السماء.** وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ويبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير. فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السماوات إلى أقصائها" (مت ٢٤: ٢٩-٣١).

إظلام الشمس

كمـا أظلمـت الشـمس فـى يـوم صـلب السـيد المسـيح بصـورة معجزيـة، سـوف تُظلِـم أيضـاً ولكـن بصـورة نهائيـة فـى مجيئـه الثـانى. تنبـأ ملاخـى النبـى عـن يـوم الصـلب وأيضـاً عـن المجـيء الثـانى وكتـب أن الـرب يقـول "ولكـم أيهـا المتقـون اسـمى تشـرق شـمس البـر والشـفاء فـى أجنحتهـا.. هأنـذا أرسـل إلـيكم إيليـا النبـى قبـل مجـيء يـوم الـرب، اليـوم العظـيم والمخـوف" (مـلا٤: ٢، ٥) **حينمـا تظلـم الشـمس الطبيعيـة، تشـرق شـمس البر أى السيد المسيح.**

فـى المجـيء الأول: أشـرقت شـمس الخـلاص عنـدما بسـط السـيد المسـيح ذراعيـه علـى خشـبة الصـليب. **وبهـذا كـان الشـفاء فـى أجنحـة السـيد المسـيح** وهـو معلّـق فـى الجـو مثـل الطـائر أو مثـل النسـر الـذى يفـتح جناحيـه أو يبسط ذراعيه يدعو الجميع إلى أحضانه التى فيها الخلاص.

فـى المجـيء الثـانى: حينمـا تظلـم الشمس، تظهـر علامـة ابن الإنسـان فـى السماء. فكيـف تظهـر فـى الظلمـة بدون الشمس والقمر والنجوم إن لم تكن منيرة؟

فالاحتمـال الأغلـب هـو أن تكـون العلامـة هـى علامـة الصـليب المنيـرة. لأن الصـليب هـو علامـة المسـيحية فـى كـل مكـان. وقـال معلمنـا بـولس الرسـول: "**كلمـة الصـليب عنـد الهـالكين جهالـة وأمـا عنـدنا نحـن المخلصـين فهـى قـوة الله**" (اكـو ١: ١٨). وقـال أيضـاً: "أنـتم الـذين **أمـام عيـونكم قـد رسـم يسـوع المسـيح بينكم مصلوباً**" (غل٣: ١).

وهذا معناه أن الإنسان المسيحى يرتسم أمام عينيه باستمرار صليب المسيح.

علامة ابن الإنسان

لـذلك فالأغلـب أن تكـون علامـة ابـن الإنسـان هـى علامـة الصـليب. وأن تكـون مضـيئة بقـوة حتـى يراهـا الجميـع قبـل مجـيء يـوم الـرب العظـيم والمخـوف. وهـذا مـا تسـلّمناه مـن تقليـد الكنيسـة أن **الصـليب هـو علامــة ورمــز المســيحية**، تتـزين بـه الكنـائس وبـه تـتم مباركـة كـل الأشـياء.. فهـو علامـة المسـيحية وعلامـة البركـة والخـلاص والتقـديس. يعقـب ظهـور علامـة ابـن الإنسـان أن يظهـر السـيد المسـيح نفسـه "آتيـاً علـى سحاب السماء بقوة ومجد كثير" (مت٢٤: ٣٠).

مجيء ابن الإنسان

قـال السـيد المسـيح عـن مجيئـه الثـانى: "ومتـى جـاء ابـن الإنسـان **فـى مجـده** وجميـع الملائكـة القديسـين معـه، فحينئـذ يجلـس علـى كرسـى مجـده ويجتمـع أمامـه جميـع الشـعوب" (مـت٢٥: ٣١، ٣٢). وقـال أيضـاً: "فـإن ابـن الإنسـان سـوف يـأتى **فـى مجـد أبيـه** مـع ملائكتـه، وحينئـذ يجـازى كـل واحـد حسـب عملـه" (مـت١٦: ٢٧).

وقد وصـف السـيد المسـيح عمداً مجيئـه الثـانى مرة بقولـه "**فـى مجـد أبيـه**"، ومرة أخرى "**فـى مجده**" كمـا أوردنـا فـى الآيتـين السـابقتين، وذلـك ليؤكـد لنـا أن **مجـده هـو مجـد أبيـه**. فللأقـانيم الثلاثـة مجـد واحـد ومُلـك واحـد وقدرة إلهية واحدة. لأن الجوهر الإلهى واحد غير منقسم.

بالإضـافة إلـى ذلـك فإنـه قـد اسـتخدم لقـب "ابـن الإنسـان" فـى حديثـه عـن مجـد أبيـه السـماوى ليؤكـد أن "ابـن الإنسـان" هـو هـو نفسـه "ابـن الله" أى أن المولـود مـن الآب قبـل كـل الـدهور بحسـب لاهوتـه هـو هـو نفسـه

الذى تجسد فى ملء الزمان وولد من العذراء القديسة مريم بحسب ناسوته وصار ابناً للإنسان دون أن يتغير عن ألوهيته جاعلاً ناسوته واحداً مع لاهوته بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.
هذا ما نردده فى التسبحة المقدسة عن أن ابن الله هو نفسه صار ابناً للإنسان بقولنا {لم يزل إلهاً، أتى وصار ابن بشر. لكنه هو الإله الحقيقى أتى وخلّصنا} (ثيئوطوكية يوم الخميس).

نعود إلى حديث السيد المسيح عن مجيئه فى مجده أو فى مجد أبيه فنقول إن هذا المجيء المملوء مجداً سوف يكون مفرحاً للأبرار لأن به نجاتهم من الضيق العظيم ولكنه سوف يكون مخيفاً ومرعباً للأشرار. لذلك قال: "تنوح جميع قبائل الأرض" (مت٢٤: ٣٠). وتتحقق النبوة "فينظرون إلىَّ الذى طعنوه" (زك١٢: ١٠).
لن يكون خوف الأشرار هو نوع من التوبة. لأن التوبة ينبغى أن تقترن بمشاعر الحب للرب والعرفان بقيمة دمه المسفوك من أجل غفران الخطايا لكل من يؤمن ويتوب ويتبرر.

مقار الآخرة

مقار الآخرة هى أربعة: الفردوس، والجحيم، وملكوت السماوات، وجهنم، منها **مؤقت** أى **الفردوس والجحيم**، ومنها **أبدى** أى **ملكوت السماوات وجهنم**. والمقار المؤقتة هى لانتظار الأرواح بعد الوفاة إلى يوم الدينونة الأخير، أما المقار الدائمة فهى للأرواح والأجساد معاً فيما بعد الدينونة أى بعد مجيء المسيح الثانى حيث "يخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيآت إلى قيامة الدينونة" (يو٥: ٢٩).
فأجساد الموتى سوف تقوم فى اليوم الأخير حيث تعود الأرواح إلى الأجساد وتتحد بها مرة أخرى لكى تدان الأرواح مع الأجساد. ولكن الجسد بعد القيامة العامة سوف تكون له خصائص جديدة تختلف عن خصائصه الحالية، وليس بمعنى أن الأجساد سوف تفنى ولكنها ستتغير عند القيامة وهذا ما سوف نشرحه بمشيئة الرب بتفصيل أكثر من واقع تعاليم الكتاب المقدس.

أولاً: الفردوس

الفردوس حالياً ليس على الأرض مثلما كان وقت خلق آدم ثم حواء. إذ أن ذلك الفردوس أى الجنة كان يحوى أشجارًا وثمارًا وحيوانات. وقد وضع الرب الإله آدم فى الجنة ليعملها.
وحينما أخطأ الإنسان بعدم طاعته للوصية الإلهية، نُفى من الفردوس أى أن الرب قد أخرجه من الفردوس لئلا يمد يده ويأكل من شجرة الحياة ويحيا إلى الأبد فى خطيته ولا توجد له فرصة لإدراك خطورة الخطية وعواقبها من حيث إن أجرة الخطية هى موت. وصار موت الجسد هو الدليل الواضح على أن الخطية قد أساءت إلى الإنسان وصار

محتاجاً إلى الخلاص بصلب المسيح وموته وقيامته من الأموات، **وذلك مثلما قال قداسة البابا شنودة الثالث -أطال الرب حياة قداسته- عن السيد المسيح: "بالصليب حل الرب مشكلة الخطية (إذ أوفى الدين الخاص بها) وبقيامته حل مشكلة الموت الناتج عن الخطية".**

الفردوس الحالى صار مقراً للروح فقط بدون الجسد، وليس فيه أشياء مادية مثل الأشجار والثمار والمزروعات والأنهار. وبالطبع ليس فيه حيوانات على الإطلاق مثل الحمير والبغال والغزلان والفيلة..الخ. لأن الحيوانات ليس لها أرواح خالدة مثل البشر، بل إن نفس الحيوان هى دمه "لأن نفس كل جسد دمه هو بنفسه" (لا ١٧: ١٤). وبمجرد موت الحيوان يذهب إلى الأرض وليس له روح تذهب إلى مقار الآخرة على الإطلاق.
أما ما رآه القديس يوحنا الرسول وكتب عنه فى سفر الرؤيا من جهة الأربعة أحياء غير المتجسدين، فهذه كائنات حية روحية من طغمة الملائكة الكاروبيم ومنظرها الذى رآه هو منظر رمزى له مدلول روحى. فوجه الإنسان يرمز إلى تجسد الرب، ووجه العجل يرمز إلى ذبيحة الصليب، ووجه الأسد يرمز إلى القيامة، ووجه النسر يرمز إلى الصعود. كما أنها ترمز إلى الأناجيل الأربعة متى ولوقا ومرقس ويوحنا. بنفس هذا الترتيب. وذلك حسب طقس الأيقونات القديمة فى الكنائس الأرثوذكسية جميعاً.

الفردوس الحالى ذكره السيد المسيح وهو معلّق على الصليب حينما طلب إليه اللص اليمين قائلاً: "اذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك" (لو٢٣: ٤٢) فأجابه السيد المسيح مصححاً له طلبته: "الحق أقول لك إنك اليوم تكون معى فى الفردوس" (لو٢٣: ٤٣).
قال السيد المسيح ذلك لأن أرواح الأبرار تذهب إلى الفردوس أولاً وتنتظر هناك فى شركة روحية مع المسيح إلى يوم الدينونة الأخير حيث تقف أمام كرسى المسيح بعد عودتها إلى الجسد المقام من الأموات، ثم يضعها السيد المسيح عن يمينه وبعد ذلك يدعوها إلى ميراث ملكوت السماوات.

وقد قصد السيد المسيح أن يعلن للص اليمين إنه لن ينتظر طويلاً لكى يلتقى به، وذلك بعد مجيئه الثانى واستعلان ملكوت السماوات، بل إنه سوف يلتقى به سريعاً بعد خروج روحه من الجسد حيث يكون السيد المسيح قد فتح باب الفردوس مرة أخرى لتنتقل إليه أرواح الأبرار.

أما أرواح الأبرار الذين رقدوا على رجاء الخلاص وكانت تنتظر فى السجن، فقد **ذهب إليها السيد المسيح بروحه الإنسانى المتحد باللاهوت وبشّرها بإتمام الفداء وأخرجها من السجن ونقلها إلى الفردوس** أى أنه قد {رد آدم وبنيه إلى الفردوس} مثلما نقول فى قسمة عيد القيامة.

وقد وردت أقوال فى الكتاب المقدس تؤكد أن السيد المسيح قد فعل ذلك مثل قول معلمنا بولس الرسول عن السيد المسيح: "لذلك يقول: إذ صعد إلى العلاء سبى سبياً وأعطى الناس عطايا. **وأما أنه صعد فما هو إلا إنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى**، الذى نزل هو الذى صعد أيضاً فوق جميع السماوات لكى يملأ الكل" (أف٤: ٨-١٠). وقد صعد السيد المسيح بروحه من الجحيم إلى الفردوس بعد نزوله إلى الجحيم آخذاً معه أرواح الأبرار. كما أنه صعد إلى السماوات العليا حيث عرش الآب بعد ٤٠ يوم من قيامته من الأموات وفى هذا الصعود لم يأخذ معه أحداً من البشر إلى أن يأتى للدينونة.

وقد تكلم أيضاً القديس بطرس الرسول عن عمل السيد المسيح فى نزوله بالروح إلى الجحيم للكرازة بإتمام الفداء وفى نقل أرواح الأبرار إلى الفردوس فقال: "فإن المسيح أيضاً تألم مرة واحدة من أجل الخطايا، البار من أجل الأثمة، لكى يقربنا إلى الله مماتاً فى الجسد ولكن محيىً فى الروح، الذى فيه أيضاً ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن" (١بط٣: ١٨، ١٩).

وقد سبق إشعياء النبى فقال بفم الله الآب: "أجعلك **عهداً للشعب** ونوراً للأمم، لتفتح عيون العمى، **لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن**" (إش٤٢: ٦، ٧). والكنيسة فى صلاتها على الراقدين تقول: [هذه النفس التى اجتمعنا بسببها اليوم، يا رب افتح لها باب الفردوس كما فتحته للص اليمين. افتح لها باب الراحة لتدخل وتتنعم هناك وتشارك جميع القديسين..].

ثانياً: الجحيم أو الهاوية

"**الجحيم**" كلمة معناها الهاوية، وهى ترجمة للكلمة العبرية "شِئول□□□□□" وللكلمة اليونانية "**هاديس a[dhj**"، وهو كمقر للانتظار كان يحوى أرواح القديسين، وأرواح الأشرار، وذلك قبل أن يتمم السيد المسيح الفداء. ولكن صار مقراً لانتظار أرواح الأشرار فقط بعد إتمام الفداء، وفتح الفردوس ونقل أرواح القديسين إلى هناك.

بالنسبة للقديسين كانت أرواحهم تتطلع إلى مجيء المخلص ليخرجها من بيت السجن حسب وعد الرب "أجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم لتفتح عيون العمى لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن الجالسين فى الظلمة" (إش٤٢: ٦، ٧).

كانت هناك رموز كثيرة للجحيم فى العهد القديم مثل جب الأسود الذى ألقى فيه دانيال النبى. ففى قصة إلقاء دانيال فى الجب إشارة واضحة إلى عمل الخلاص. فالملك داريوس والحكم الذى أصدره وخَتَمه، ولا يمكن أن يتغير حتى

بالرغم من محبة الملك لدانيال، كان إشارة إلى حكم الموت الذى صدر ضد البشرية ولم يكن من الممكن إلغاؤه. كان الملك يتمنى أن ينقذ دانيال من الجب، ولكن الحكم كان ينبغى أن يتم وقال الملك لدانيال: "إن إلهك الذى تَعبُدُه دائماً هو ينجيك" (دا ٦: ١٦).

وحينما أُلقى دانيال فى الجب لسبب مؤامرة أعدائه الأشرار الذين يرمزون إلى الشياطين أعداء الرب وأعداء البشرية، أرسل الله ملاكه وسد أفواه الأسود فلم تمس دانيال بسوء "إلهى أرسل ملاكه وسدَّ أفواه الأسود فلم تضرنى" (دا ٦: ٢٢)، وخرج دانيال من الجب حياً إشارة إلى قيامة السيد المسيح بعد نزوله إلى الجحيم، وإلى صعوده إلى الفردوس دون أن يمسكه الجحيم ودون أن يمسكه الموت أيضاً "إذ لم يكن ممكناً أن يُمسَك منه" (أع٢: ٢٤).

وبهذا تم حكم الموت دون إلغاء، ولكن أمكن العبور منه والتحرر من سلطانه. وقد تنبأ عن ذلك داود النبى فقال "لأنك لا تترك نفسى فى الجحيم (الهاوية) ولا تدع قدوسك يرى فساداً" (أع٢: ٢٧ ، انظر مز١٥: ١٠). وشرح القديس بطرس فى عظة يوم الخمسين أن هذا الكلام قد قيل عن السيد المسيح (انظر أع ٢: ٢٥).

وبهذا أكّد بطرس الرسول أن السيد المسيح قد نزل إلى الجحيم. وعاد فقال عن السيد المسيح فى رسالته الأولى إنه "ذهب فكرز للأرواح التى فى السجن" (١بط٣: ١٩). وبذلك **ربط نبوءة أشعياء (٤٢: ٦) بنبوءة داود النبى فى المزمور (١٥: ١٠)** موضحاً أن **الجحيم كان سجناً للأرواح.**

كان إبليس هو صاحب سلطان الموت كما أوضح القديس بولس الرسول فى حديثه عن عمل السيد المسيح فى تخليصنا من إبليس "فإذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضاً **كذلك فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية**" (عب٢: ١٤، ١٥).

إن تصوير القديس بولس هنا للموقف فى رسالته إلى العبرانيين هو تصوير فى غاية القوة، ربط فيه بين رفع سلطان الموت وبين إبادة إبليس أى إبادة سيطرته على أرواح البشر. وكذلك أوضح أن الخوف من النزول إلى الجحيم بعد الموت فى حياة حتى الذين رقدوا على رجاء الخلاص، هو حالة من العبودية، لأن الأرواح كانت فى طريقها إلى السجن هناك فى الهاوية. ولكن بالطبع كانت أرواح القديسين الراقدين فى حالة أفضل من أرواح الأشرار وغير المؤمنين الذين ليس لهم رجاء على الإطلاق.

كان القديسون فى السجن ينتظرون بالإيمان تنفيذ وعد الرب بالفداء.. كانت عبوديتهم مؤقتة سيحولها المسيح إلى بنوة.. وكان خوفهم ممتزجاً بالرجاء بعكس الآخرين الذين لا رجاء لهم وعبوديتهم لا نهاية لها.

كما قال أبو الآباء يعقوب فى بكائه وحزنه حينما اعتقد بموت يوسف ابنه "إنى أنزل إلى ابنى نائحاً إلى **الهاوية**" (تك٣٧: ٣٥). ولكنه قبيل موته حينما كان يتنبأ أمام أبنائه قال: "**لخلاصك انتظرت يا رب**" (تك٤٩: ١٨). "ولما فرغ يعقوب من توصية بنيه ضم رجليه إلى السرير **وأسلم الروح** وانضم إلى قومه" (تك٤٩: ٣٣).
وحينما قاوم قورح ومعه داثان وأبيرام وأولادهم موسى وهرون وقدموا بخوراً فى مجامرهم، عاقبهم الرب بأن هبطوا أحياء إلى الهاوية إذ "انشقت الأرض التى تحتهم وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال. فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة" (عد١٦: ٣١-٣٣). ومعنى نزولهم أحياء إلى الهاوية أى أنهم نزلوا إلى أقسام الأرض السفلى أحياء وماتوا هناك حيث يوجد الجحيم.

وقد ذكر السيد المسيح أن الجحيم له أبواب فقال عن الكنيسة: "**وأبواب الجحيم لن تقوى عليها**" (مت١٦: ١٨) وكذلك قيل عن حزقيا الملك "كتابة لحزقيا ملك يهوذا إذ مرض وشفى من مرضه، أنا قلت فى عز أيامى أذهب إلى **أبواب الهاوية**. قد أُعدمت بقية سنىَّ" (إش٣٨: ٩، ١٠).

وقد حطّم السيد المسيح متاريس الجحيم حينما نزل إليه من قبل الصليب ليحرر المسبيين الذين رقدوا على الرجاء ويصعد بهم من الجحيم إلى الفردوس كما هو مكتوب "سبى سبياً وأعطى الناس عطايا. وأما أنه صعد فما هو إلا إنه نزل أيضاً أولاً إلى أقسام الأرض السفلى" (أف٤: ٨، ٩).
وتنبأ داود النبى عن ذلك فقال فى المزمور "أعظمك يا رب لأنك احتضنتنى ولم تشمت بى أعدائى أيها الرب إلهى صرخت إليك فشفيتنى. **يا رب أصعدت من الجحيم نفسى**. وخلصتنى من الهابطين **فى الجب**.. أية منفعة فى دمى **إذا هبطت إلى الجحيم**.. حوّلت نوحى إلى فرح لى. مزّقت مسحى ومنطقتنى سروراً، لكى ترتل لك نفسى ولا يحزن قلبى. أيها الرب إلهى إلى الأبد أعترف لك" (مز٢٩).
ثالثاً: ملكوت السماوات

ملكوت السماوات أعده الله للقديسين قبل إنشاء العالم كما قال السيد المسيح عن دعوته للأبرار: "تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم" (مت٢٥: ٣٤).
فى هذا الملكوت السماوى سوف يلتقى الأبرار من البشر ومن الملائكة حول العرش الإلهى ليشتركوا معاً فى تسبيح الله وتمجيده بفرح لا يعبَّر عنه، وبمجد ليس له نظير فى العالم المنظور. وهو "ما لم ترَ عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذين يحبونه" (١كو٢: ٩).

لقد اختار الله الآب فى المسيح جميع القديسين الذين سوف يتأهلون لميراث ملكوت السماوات لأنه سبق فعرف أنهم سوف يستجيبون لدعوة محبته بالفداء الذى أكمله الابن الوحيد لأجلهم. وقد شرح معلمنا بولس الرسول ذلك بكلمات رائعة فى فاتحة الرسالة إلى أهل أفسس إذ قال: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات فى المسيح. كما اختارنا فيه قبل تأسيس العالم لنكون قديسين وبلا لوم قدامه فى المحبة إذ سبق فعيننا للتبنى بيسوع المسيح لنفسه حسب مسرة مشيئته، لمدح مجد نعمته التى أنعم بها علينا فى المحبوب. الذى فيه لنا الفداء بدمه غفران الخطايا حسب غنى نعمته التى أجزلها لنا بكل حكمة وفطنة إذ عرفنا بسر مشيئته حسب مسرته التى قصدها فى نفسه، لتدبير ملء الأزمنة ليجمع كل شئ فى المسيح ما فى السماوات وما على الأرض فى ذاك الذى فيه أيضاً نلنا نصيباً معينين سابقاً حسب قصد الذى يعمل كل شئ حسب رأى مشيئته" (أف١: ٣-١١).

ملكوت السماوات حتى الآن لم يدخله ذو طبيعة بشرية إلا السيد المسيح فقط الذى ذهب هناك كسابق للقديسين ليعد لهم مكاناً كما قال هو بنفسه لتلاميذه: "لا تضطرب قلوبكم أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بى. فى بيت أبى منازل كثيرة، وإلا فإنى كنت قد قلت لكم أنا أمضى لأعد لكم مكاناً، وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتى أيضاً وآخذكم إلىّ حتى حيث أكون أنا تكونون أنتم أيضاً" (يو١٤: ١-٣).

وفى مناجاته مع الآب السماوى قبل الصلب "تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال.. أيها الآب أريد أن هؤلاء الذين أعطيتنى يكونون معى حيث أكون أنا لينظروا مجدى الذى أعطيتنى لأنك أحببتنى قبل إنشاء العالم" (يو١٧: ١، ٢٤).

إن أرواح القديسين تنتظر فى الفردوس ولكن هؤلاء القديسين سوف يدخلون إلى ملكوت السماوات بعدما يأتى السيد المسيح فى مجيئه الثانى للدينونة ويأخذهم معه بعد أن يدعوهم للقيامة من القبور.

وقد شرح القديس بولس الرسول أن **ملكوت السماوات ليس على الأرض** بأقوال متعددة مثل قوله: "وأما رأس الكلام فهو أن لنا رئيس كهنة مثل هذا قد جلس فى يمين عرش العظمة **فى السماوات** خادماً للأقداس والمسكن الحقيقى الذى نصبه الرب لا إنسان. لأن كل رئيس كهنة يُقام لكى يقدم قرابين وذبائح. فمن ثم يلزم أن يكون لهذا أيضاً شئ يقدّمه. فإنه لو كان على الأرض لَما كان كاهناً إذ يوجد الكهنة الذين يقدّمون قرابين حسب الناموس. الذين يخدمون شبه السماويات وظلها كما أوحى إلى موسى وهو مزمع أن يصنع المسكن" (عب٨: ١-٥). "فكان يلزم أن أمثلة الأشياء التى فى السماوات تطهر بهذه وأما السماويات عينها فبذبائح أفضل من هذه. لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقية **بل إلى السماء عينها** ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا" (عب٩: ٢٣، ٢٤).

وأكّد القديس بولس الرسول فى رسالته إلى العبرانيين أن السيد المسيح قد دخل إلى السماء عينها كسابق للقديسين فقال: "حيث دخل يسوع كسابق لأجلنا صائراً على رتبة ملكى صادق رئيس كهنة إلى الأبد" (عب٦: ٢٠).

كذلك أكد أن السيد المسيح قد صعد إلى السماوات مرة واحدة بعد قيامته من الأموات فقال: "**بدم نفسه دخل مرة واحدةً إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً**" (عب٩: ١٢).

وتكلّم أيضاً عن السماء ودعاها مدينة الله الحى وأورشليم السماوية حيث الملائكة الذين يحيطون بعرش الله فقال: "قد أتيتم إلى جبل صهيون وإلى مدينة الله الحى أورشليم السماوية وإلى ربوات هم محفل ملائكة وكنيسة أبكار مكتوبين فى السماوات وإلى الله ديان الجميع وإلى أرواح أبرار مكملين" (عب١٢: ٢٢، ٢٣).

وتكلّم السيد المسيح كثيراً عن ملكوت السماوات ليجتذب أنظار التلاميذ نحو السماويات فقال على سبيل المثال: "يشبه ملكوت السماوات إنساناً ملكاً صنع عرساً لابنه وأرسل عبيده ليدعوا المدعوين إلى العرس" (مت٢٢: ٢، ٣).

وقال عن نهاية العالم: "حينئذ يشبه ملكوت السماوات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس.. والمستعدات دخلن معه إلى العرس.. فاسهروا إذاً لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان" (مت٢٥: ١،١٠، ١٣).

رابعاً: جهنم

كلمة "**جهنم**" هى كلمة عبرية أصلها " **جيهِنوم**□□□□□□□ " أى "**وادى هنوم**" وهو وادٍ عميق ضيق يقع فى جنوب أورشليم حيث قدم اليهود أولادهم للإله مولك على نحو ما فعل الوثنيون، ولذلك أمر الملك يوشيا "لكى لا يعبر أحد ابنه أو ابنته فى النار لمولك" (٢مل٢٣: ١٠).

كان تمثال الإله مولك النحاسى المجوف يتم إيقاد النار بداخله حتى يحمى معدنه إلى درجة الاحمرار. ثم يقدم الآباء أبناءهم كضحايا للإله مولك، فيضع الكهنة الوثنيون الأطفال الصغار على يدى التمثال المحمية بالنار مع عمل أصوات طبول وأصوات صراخ الكهنة أو أناشيد عبادتهم الوثنية للتغطية على صوت صراخ الأطفال الذين تشويهم نار ذراعى الإله مولك بصورة بشعة. وهكذا نرى كيف استعبد الشيطان البشر وماذا يفعل الإنسان بغواية إبليس حينما يفقد إنسانيته.

ولقد أصبح هذا الوادى بعد ذلك هو المكان المرفوض من المدينة وفيه كانت تُلقى أجساد المجرمين، وجثث الحيوانات، وجميع أنواع القاذورات التى يرعى فيها الدود وتشتعل فيها النار. وبسبب عمقه وضيقه والنار والدخان المتصاعد منه، صار رمزاً لمكان عقاب الأشرار فى المستقبل. وحيث إن النار كانت تميِّز المكان لذلك دُعى نار جهنم. ولقد وردت كلمة جهنم فى العهد الجديد إحدى عشرة مرة وذلك فى أناجيل متى ومرقس ولوقا وفى رسالة يعقوب الرسول وفى رسالة بطرس الرسول الثانية.

فقد قال السيد المسيح: "من قال (لأخيه) يا أحمق يكون مستوجب **نار جهنم**" (مت٥: ٢٢). "إن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله فى **جهنم**. وإن كانت يدك

اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى **جهنم**" (مت٥: ٢٩، ٣٠).

كما قال: "لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها. بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى **جهنم**" (مت١٠: ٢٨).

وبذلك أوضح السيد المسيح أن عذاب جهنم سوف يشمل الجسد والروح معاً بقوله "**كليهما فى جهنم**" ووبّخ السيد المسيح الكتبة والفريسيين قائلاً: "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلاً واحداً. ومتى حصل تصنعونه **ابناً لجهنم** أكثر منكم مضاعفاً" (مت ٢٣: ١٥). وكذلك قال لهم: "أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من **دينونة جهنم؟**" (مت٢٣: ٣٣).

جهنم النار الأبدية

أوضح السيد المسيح أن فى جهنم سوف تكون النار الأبدية حيث الدود الذى لا يموت والنار التى لا تطفأ مثلما كان الحال فى وادى هنوم (جيهِنوم) فقال: "خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضى إلى **جهنم إلى النار التى لا تطفأ. حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ**" (مر٩: ٤٤،٤٣).

وشرح يوحنا الرسول فى سفر الرؤيا عذاب الذين يسجدون للوحش ويخضعون لسلطان إبليس فقال "إن كان أحد يسجد للوحش ولصورته ويقبل سمته على جبهته أو على يده، فهو أيضاً سيشرب من خمر غضب الله المصبوب صرفاً فى كأس غضبه ويعذَّب بنار وكبريت أمام الملائكة القديسين وأمام الخروف. ويصعد دخان عذابهم إلى **أبد الآبدين**" (رؤ١٤: ٩-١١). وبهذا أوضح أن العذاب هو أبدى.

وكتب أيضاً عن دينونة الوحش والنبى الكذاب "فقبض على الوحش والنبى الكذاب معه الصانع قدامه الآيات التى بها أضل الذين قَبِلوا سمة الوحش والذين سجدوا لصورته وطُرح الاثنان حيَّين إلى **بحيرة النار** المتقدة بالكبريت" (رؤ١٩: ٢٠).

وكتب عن دينونة الأموات فى اليوم الأخير "ورأيت الأموات صغارًا وكبارًا واقفين أمام الله وانفتحت أسفار وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة، ودين الأموات مما هو مكتوب فى الأسفار بحسب أعمالهم. وسلّم البحر الأموات الذين فيه وسلّم الموت والهاوية الأموات الذين فيهما ودينوا كل واحد بحسب أعماله. **وطرح الموت والهاوية فى بحيرة النار.** هذا هو الموت الثانى. وكل من لم يوجد مكتوباً فى سفر الحياة **طُرح فى بحيرة النار**" (رؤ٢٠: ١٢-١٥).

وكتب عن أنواع الخطاة الذين سوف يذهبون إلى العذاب الأبدى فقال: "**وأما الخائفون وغير المؤمنين والرجسون والقاتلون والزناة والسحرة وعبدة الأوثان وجميع الكذبة** فنصيبهم فى البحيرة المتقدة بنار وكبريت الذى هو الموت الثانى" (رؤ٢١: ٨). وأوضح السيد المسيح أن العذاب سوف يكون فى النار الأبدية المعدة لإبليس وللملائكة الأشرار

"**ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته**" (مت٢٥: ٤١).
"**فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى**" (مت٢٥: ٤٦).

القيامة الأولى والموت الأول – القيامة الثانية والموت الثانى

كتب القديس يوحنا الرسول فى سفر الرؤيا "هذه هى **القيامة الأولى. مبارك ومقدس من له نصيب فى القيامة الأولى. هؤلاء ليس للموت الثانى سلطان عليهم**" (رؤ٢٠: ٥، ٦).

ما هى القيامة الأولى؟ وما هو الموت الثانى؟ وما هى علاقة ذلك بالمجيء الثانى للسيد المسيح؟ هذه الأمور سنحاول أن نجيب عنها. إلى جوار ذلك فإن القيامة الأولى تفترض قيامة ثانية، والموت الثانى يفترض موتاً أولاً فيلزمنا أيضاً أن نضع هذا فى اعتبارنا عندما نتأمل فى هذه الأقوال الإلهية الصادقة.

أولاً: القيامة الأولى

القيامة الأولى هى النصرة الروحية التى يطالبنا الرب بها فى حياتنا الحاضرة لكى نتأهل لميراث الملكوت ونستحق أن نشارك فى قيامة الأبرار أى القيامة الثانية.

عن القيامة الأولى قال السيد المسيح: "كل من كان حياً وآمن بى فلن يموت إلى الأبد" (يو١١: ٢٦). وقال أيضاً "الحق أقول لكم إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة" (مر٩ : ١).

طبعاً لم يكن المقصود فى كلام السيد المسيح عن عدم موت المؤمنين به إلى الأبد بمعنى أنهم لن يُنقلوا من هذا العالم، بل كما نقول فى صلاة أوشية الراقدين {لأنه **لا يكون موت لعبيدك بل هو انتقال**} فإننا نفهم الموت فى كلام السيد المسيح بمعنى السقوط تحت سلطان ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس. وبهذا يكون السيد المسيح قد وعد أن من كان حياً بالجسد وآمن به فلن يذوق الموت الروحى إلى الأبد.

وفى قوله: "إن من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله قد أتى بقوة" يقصد إلى جوار أن هناك قوماً كانوا عتيدين قبل وفاتهم أن يحضروا حلول الروح القدس فى يوم الخمسين، فإنه قصد أيضاً أن من آمنوا به وثبتوا فيه فلن يموتوا موتاً روحياً إلى أن يعاينوا مجيئه الثانى واستعلان ملكوت السماوات بقوة.

مع ملاحظة أن عبارة "**ملكوت الله**" هى عبارة عامة تشمل ملكوته الحالى وملكوته الآتى فى السماوات. أما عبارة "**ملكوت السماوات**" فإنها غالباً تشير إلى الحياة الأبدية فى السماوات.

القيامة الأولى أيضاً نفهمها عن المعمودية فى قول معلمنا بولس الرسول: "حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته.. كذلك أنتم أيضاً احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا" (رو٦: ٤، ٥، ١١).

ثانياً: الموت الثانى

من الطبيعى أن من عاشوا حياتهم ملتصقين بالرب وأكملوا جهادهم وسعيهم أى أنهم قد تمتعوا بقوة القيامة الأولى، فإن الموت الثانى لن يكون له سلطان عليهم كما ورد فى سفر الرؤيا.

والموت الثانى من المفهوم إنه الهلاك الأبدى. ومن ليس للموت الثانى سلطان عليه ينطبق عليه قول الرب: "من يغلب فذلك سيلبس ثياباً بيضاً، **ولن أمحو اسمه من سفر الحياة** وسأعترف باسمه أمام أبى وأمام ملائكته" (رؤ٣: ٥).

الذين للموت الثانى سلطان عليهم ينطبق عليهم قول السيد المسيح لليهود: "وتموتون فى خطيتكم" (يو٨: ٢١). هؤلاء يموتون فى خطاياهم بمعنى أنهم يموتون الموت الأول بنهاية حياتهم على الأرض، ويتأهلون بموتهم فى خطاياهم للموت الثانى أى الهلاك الأبدى.

وقيل أيضاً عن هلاك الأشرار: "وطرح الموت والهاوية فى بحيرة النار. **هذا هو الموت الثانى.** وكل من لم يوجد مكتوباً فى سفر الحياة طُرِح فى بحيرة النار" (رؤ٢٠: ١٤، ١٥).

ثالثاً: الموت الأول

يقول الكتاب: "وُضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة" (عب٩: ٢٧). والمقصود بذلك موت الجسد، وهذا الموت الأول يشترك فيه جميع البشر حتى القديسون مثل السيدة العذراء مريم. وحتى أخنوخ وإيليا بعد صعودهما إلى السماء أحياء، فإنهما سوف يرجعان إلى الأرض ويصيران شهداء وتموت أجسادهما كباقى البشر.

ولكن هذا الموت الأول الذى يشترك فيه الجميع لا يعنى وحدة المصير للجميع لأن الكتاب يقول: "طوبى للأموات الذين يموتون فى الرب منذ الآن. نعم يقول الروح لكى يستريحوا من أتعابهم وأعمالهم تتبعهم" (رؤ١٤: ١٣).

رابعاً: القيامة الثانية

من البديهى أن **القيامة الثانية هى قيامة الأبرار للحياة الأبدية.** وقد تكلّم السيد المسيح عن الأبرار الذين سوف يقيمهم عن يمينه فى يوم الدينونة "يقول الملك للذين عن يمينه: تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم" (مت ٢٥: ٣٤). وقال عن الأشرار مقارناً إياهم بالأبرار فى يوم الدينونة: "فيمضى هؤلاء إلى عذاب أبدى والأبرار إلى حياة أبدية" (مت٢٥: ٤٦).

معنى ذلك أن قيامة الأشرار للدينونة لا ينطبق عليها لقب القيامة الثانية الخاصة بالأبرار لأن الأشرار أصلاً لم يتمتعوا بالقيامة الأولى الروحية التى للأبرار، وبهذا فإن قيامة الأشرار قد أخذت فقط لقب "**قيامة الدينونة**" كقول

السيد المسيح: "تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته. فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى **قيامة الحياة** والذين عملوا السيآت إلى **قيامة الدينونة**" (يو٥: ٢٨، ٢٩). أما القيامة الثانية الخاصة بالأبرار فهى "**قيامة الحياة**". إذا كانت القيامة الأولى هى الانتصار الروحى على الشر فإن القيامة الثانية تكون هى التحرر من سلطان الموت الناتج عن الخطية الأولى التى بها دخل الموت إلى العالم. لذلك قيل فى الكتاب "آخر عدو يُبطل هو الموت" (اكو١٥: ٢٦).

خاتمة

إن المعانى الخاصة بالموت الأول والموت الثانى والقيامة الأولى والقيامة الثانية، ترتبط بعمل السيد المسيح الخلاصى لتحرير البشر المفديين من عواقب الخطية، وصولاً إلى المصير الأبدى للإنسان بعد مجيء السيد المسيح الثانى الذى ينتظره القديسون بكل اشتياق ومحبة.